من أعلام السلف

تأليف

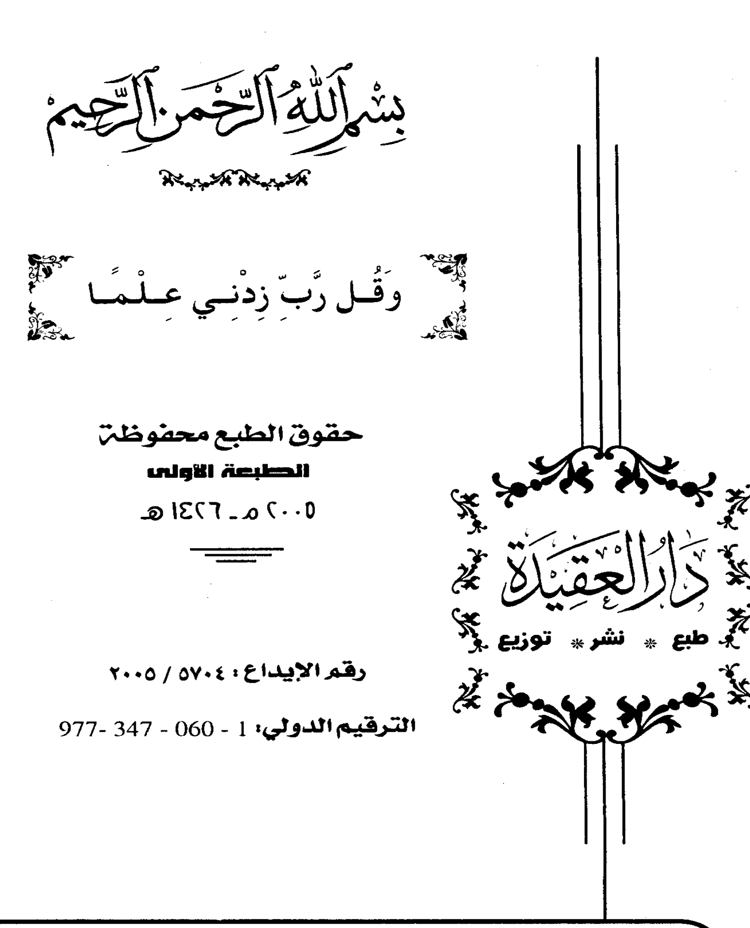


غفر الله له ولوالديه

ولجميع المسلمين

١ ـ ٢

دار العقيدة



بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

الطبعة الأولى

٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ

رقم الإيداع: ٥٧٠٤ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 1 - 060 - 347 - 977

دار العقيدة

طبع * نشر * توزيع

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ ف: ٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهـــرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

ثم أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

فهذه كلمات يسيرة أكتبها بين يدى الطبعة الثانية من سلسلة التراجم التربوية «من أعلام السلف»، وقد خرج إلى النور هذا الكتاب المبارك منذ عام ونصف تقريباً، فى مجلدين مشتملين على أربعين ترجمة لعلماء الأمة الأعلام، ابتداءً من مسروق بن الأجدع التابعى الشهير، إلى الإمام النسائى صاحب السنن -رحمه الله-، وقد لقى الكتاب قبولاً، بحمد الله، لدى إخواننا من طلاب العلم والدعاة، واشتغل البعض بدراسته وتدريسه، مما دفعنى إلى مواصلة المسيرة مع العلماء الأعلام، لاسيما وصحبة العلماء فى تراجمهم محببة إلى نفوس الطلاب، فإن كنا

حُرمنا من رؤيتهم فى حياتهم، وصحبتهم فى حلقاتهم، فلا أقل من أن نسعد بسماع سيرهم، ومعرفة أخبارهم، فى أزمنة عزَّ فيها العلماء العاملون، والمربون الربانيون، فاشتملت هذه الطبعة الجديدة لأعلام السلف على ستين ترجمة، أى بزيادة عشرين ترجمة عن سابقتها، ابتداء من ترجمة شيخ المفسرين المؤرخين ابن جرير الطبرى -رحمه الله-، إلى خاتمة الحفاظ، وأمير المؤمنين، الحافظ ابن حجر العسقلانى، واشتملت على عدة تراجم مهمة لطلاب العلم، وشباب الصحوة، كترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، وترجمة الإمام النووى، وسلطان العلماء العز بن عبد السلام، فالله أسأل أن يتقبل منا أعمالنا الصالحة، على ما فيها من نقص وخلل، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يغفر لنا ما زل به القدم، أو طغى به القلم، إنه خير مسئول، وأكرم مأمول، وعليه -سبحانه- الإثابة والقبول، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أحمد فريد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

نسأل الله حسن الخاتمة

الحمد لله الذى هدى من الضلالة، وعلم من الجهالة، وأنعم بعد القلة، وأعز بعد الذلة، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، البر الرحيم، العزيز الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، ومن سار على نهجهم، واتبع سبيلهم، من العلماء العاملين، والأئمة المهديين، وعلينا معهم، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثم أما بعد، فإن الله -عز وجل- قد تكفل بحفظ الذكر، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩). والذكر هو الكتاب المنزل، وسنة النبى المرسل ﷺ فقد سمى الله -عز وجل- السنة ذكراً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤)، **فما نزل إليهم هو القرآن، بلاشك، ولا مرية، والذكر فى الآية هو السنة، فقد أطلق الله -عز وجل- على السنة اسم الذكر، كما فى هذه الآية الكريمة، وأطلق عليها اسم الحكمة، كما فى قوله تعالى:** ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب:٣٤)، **وعلى كل حال، فحفظ السنة من حفظ القرآن، لأن السنة تبين مجمل القرآن، وتخص عامه، وتقيد مطلقه، وهى التطبيق العملى للقرآن، فلما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»، وحاجة القرآن إلى السنة أكثر من حاجة السنة إلى القرآن، فالله -عز وجل- يقول:** ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة:٤٣)، **وأين فى القرآن مواقيت الصلوات، وشروط صحة الصلاة، وواجباتها، وسننها، وإنما بينت**

ذلك كله سُنَّة النبى ﷺ ، وأين فى القرآن كذلك أنصبة الأموال، ومقدار الواجب من ذلك، وإنما بينت السنة كل ذلك، وجحود السنة كفر بالقرآن، لأن الله -عز وجل- أوجب علينا اتباع رسوله ﷺ ، والاهتداء بهديه، والاقتداء بسنته، فقال تعالى: ﴿ وما آتاكُمُ الرَسُولُ فخُذُوهُ وما نهاكُمْ عَنْهُ فانتهُوا ﴾ (الحشر:٧)، وقال تعالى: ﴿ أطيعُوا اللَّهَ وأطيعُوا الرَسُولَ وأُولِى الأمْرِ منكُمْ ﴾ (النساء:٥٩)، ومن أعظم أسباب حفظ السنة أنْ وفَّق الله -عز وجل- للسنة رجالاً وقفوا أعمارهم على تدوينها وحفظها، وتعلمها وتعليمها، والذب عنها، وتخليصها مما خلطه الزنادقة بها.

أمر الخليفة هارون الرشيد -رحمه الله- بضرب عنق زنديق، فادعى أنه وضع أربعة آلاف حديث، وخلطها بسنة النبى ﷺ ، فقال له هارون الرشيد: «أين أنت يا عدو الله من أبى إسحاق الفزارى، وعبد الله بن المبارك، ينخلانها نخلاً، فيخرجانها حرفاً حرفاً».

ومن مفاخر هذه الأمة أن دُوّن تاريخها، وتُرجم لرجالها، وتاريخ الإسلام حافل زاخر بالأحداث العظيمة التى تفتخر بها الأمم والشعوب، كما أنه غنى كذلك بالرجال الأفذاذ، والعلماء الأعلام، الذين يمثلون عظمة الإسلام، ويصدقون دعوة النبى عليه الصلاة والسلام، فالعلماء الأعلام، والأئمة الكرام، ثمرات طيبة مباركة لدعوة الإسلام الخالدة، رجال تربوا بالإسلام، وتربوا للإسلام، رفع الله -عز وجل- بهم رايته، وأعز شريعته.

فما أحوج طلاب العلم إلى معرفة أقدار العلماء الأعلام، فى أزمنة اندرست فيها أعلام السنن، وكثرت فيها الإحن والمحن، وضعفت فيها همم الطلاب، وتشاغل الناس بزينة الدنيا عن دار الثواب والعقاب، وجهلوا أسباب الرفعة والشرف فى الدنيا والآخرة، من العلم النافع، والعمل الصالح.

والعلماء هم ملوك الدنيا، كما أنهم ملوك الآخرة.

دخل رجل البصرة، فقال: من سيد هذه القرية؟ فقالوا: «الحسن البصرى»، فقال: «بم سادهم؟» قالوا: «احتاجوا إلى علمه، واستغنى عن دنياهم».

وقال سفيان بن عيينة: «أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء».

وقال سفيان الثوري: «إن هذا الحديث عزٌّ، فمن أراد به الدنيا وجدها، ومن أراد به الآخرة وجدها».

العلم يرفع العبد المملوك، حتى يجلسه مجالس الملوك. روى مسلم في «صحيحه» من حديث الزهري، عن أبي الطفيل أن نافع بن الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان، وكان قد استعمله على أهل مكة، فقال له عمر: «من استخلفت على أهل الوادي؟» قال: «استخلفت عليهم ابن أبزى»، فقال: «من ابن أبزى؟»، فقال: «إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض»، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: **«إن الله يرفع بهذا العلم أقواماً، ويضع به آخرين»**.[1]

قال إبراهيم الحربي: «كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة من مكة، وكانت أنفه باقلاة، قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انتقل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: «قوما»، فقاما، فقال: «يا بنيا لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي ذلك العبد الأسود».

قال الحربي: «وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زجان»، فقالت أمه: «يا بني، لا تكن في مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك». فولي قضاء مكة عشرين سنة، قال: «وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرعد حتى يقوم»:

مَا الْفَخْرُ إلاَّ لأَهْلِ الْعِلْمِ إنَّهُمُ ... عَلَى الهُدى لمن اسْتَهْدَى أَدلاَّءُ

وقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

فَفُزْ بعلْمٍ تعشْ حَيًّا به أبدا ... النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

---

(١) رواه مسلم (٧/ ٩٨) صلاة المسافرين.

دخل عبد الله بن المبارك خراسان، فخرج لاستقباله آلاف الطلاب، فسألت أم ولد للخليفة هارون الرشيد عنه، فقيل: «هذا عبد الله بن المبارك محدث خراسان»، فقالت: «هذا المُلك لا ملك هارون».

وروى الحافظ الخطيب البغدادى بسنده فى شرف أصحاب الحديث، عن يحيى بن أكثم قال: قال لى الرشيد: «ما أنبل المراتب؟» قلت: «ما أنت فيه يا أمير المؤمنين»، قال: «فتعرف أجل منى؟»، قلت: «لا»، قال: «لكنى أعرفه، رجل فى حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله ﷺ . . .»، قال: قلت: «يا أمير المؤمنين، هذا خير منك، وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولى عهد المسلمين؟!»، قال: «نعم، ويلك! هذا خير منى، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ ، لا يموت أبداً، نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقى الدهر».[1]

وقال الإمام مسلم لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور: «ما رأيت والياً، ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث».

قال الحافظ: «ولما رجع بخارى عائداً من رحلته الدراسية نصبت له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد، حتى لم يبق مذكور إلا ونشر عليه الدراهم والدنانير».

ولاشك فى أن هذا التكريم وهذه الحفاوة بالعلم والعلماء كانت فى أزمنة الخير والبركة، والناس يتمتعون بالتحاكم إلى شرع الله -عز وجل-، والدولة دولة الإسلام، والجولة جولته، ونحن اليوم فى زمن من أزمنة الغربة، التى يُرفع فيها أعداء الله -عز وجل- الفاسقين والفاسقات، ويطلقون عليهم اسم النجوم، ويهتمون بأخبارهم، ويرصدون حركاتهم وسكناتهم، ويجعلونهم القدوة للعباد، فهم كالنجوم بالنسبة إليهم، ينظرون إليهم كما ينظرون إلى النجوم فى السماء، والسعيد عندهم من اقتفى أثرهم، وسار على دربهم، واقتدى بهديهم، وهذا لاشك من علامات الشقاء ومن أعظم أسباب الشر والبلاء، فكلما يخطط أعداء

(١) شرف أصحاب الحديث (٩٩-١٠٠).

الله -عز وجل- للصد عن سبيل رب العالمين، وصرف الناس عن صراطه المستقيم، فأولى بالدعاة إلى الله -عز وجل- والذين يحبون أن تكون كلمة الله هى العليا، أن يحصنوا أنفسهم ومن يلوذ بهم من هذا الشر الفاضح، والإفك الواضح، وأن يرفعوا لهم أئمة العلم والدين على رءوسهم كالنجوم الزواهر، الذين يسعى للاهتداء بهديهم، والنسج على منوالهم الأصاغر والأكابر.

ولاشك أن فى دراسة تراجم العلماء الأفاضل، وأصحاب المنن والفواضل، فوائد، فمن ذلك:

١- تربية شباب الصحوة الإسلامية على ما تربى عليه العلماء الأعلام، حتى ينسج على منوال الكرام، ويتبوأ منازل الخير والإنعام، فيقرأ سيرهم من لم يعاين صورهم، ويشاهد محاسنهم من لم يعاصرها، فيعرف مناصبهم ومراتبهم، فيجدّ فى الطلب ليلحق بهم، ويتمسك بهديهم.

٢- ومن ذلك أن المسلم تجتمع له خلاصة التجارب، وعصارة الأفكار والمواقف، فيأخذ بالحسن، ويجدّ فى الطلب، فكأنه يضم عمر غيره إلى غيره:

إذا علم الإنسانُ أخبارَ من مضى ... وَهَّمْتَهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ
وتحْسَبُهُ قَدْ عاشَ آخرَ عُمْرِهِ ... إذَا كَانَ قَدْ أبْقَى الجَمِيلَ مِنَ الذِّكْرِ
فقدْ عاشَ كُلَّ الدَّهرِ مَنْ كانَ عالمًا ... حَلِيماً كَرِيماً فاغْتَنِمْ أوَّلَ العُمْرِ

٣- ومن ذلك معرفة شرف العلم وحملته، فإذا كان أهل التجارات قد شغلوا أنفسهم بالتجارة، والملوك شغلوا أنفسهم بأمور الملك، فإن العلماء قد شغلوا أنفسهم بحراسة دين الله، ونشر شريعته، وإحياء سنة رسوله ﷺ:

قَنَادِيلُ دِينِ اللَّهِ تَسْعَى بِحَمْلِهَا ... رِجَالٌ بِهِمْ يَحْيَا حَدِيثُ مُحَمَّدِ
هُمْ حَمَلُوا الآثارَ عَنْ كُلِّ عَالِمٍ ... تَقِيٍّ صَدُوقٍ فَاضِلٍ مُتَعَبِّدِ
مَحَابِرُهُمْ زُهْرٌ تُضِيءُ كَأَنَّهَا ... قَنَادِيلُ حَبْرٍ نَاسِكٍ وَسْطَ مَسْجِدِ
تُسَاقُ إلى مَنْ كَانَ فى الفِقْهِ عَالِمًا ... وَمَنْ صَنَّفَ الأحْكَامَ مِنْ كُلِّ مُسْنَدِ

٤- ومن هذه الفوائد أن يزداد حب المسلم للعلماء الأعلام، وقد قال النبى ﷺ : **«المرء مع من أحب»**، فطوبى لمن أحب أهل العلم والشرف الدائم والعز الباقى.

٥- ومن ذلك نشر علمهم والاستفادة بفقههم، والاعتبار بمواعظهم ونصائحهم.

٦- ومن ذلك أن الرحمات تتنزل عند ذكر الصالحين.

٧- ومن ذلك أن ننزل أنفسنا المنازل اللائقة بها، كما قال بعضهم: «إذا ذكر السلف افتضحنا».

٨- ومن ذلك أننا فى أزمنة غابرة متأخرة، عزَّ فيها العلماء العاملون، فدراسة تراجم العلماء الأعلام، والأئمة الكرام يعوض شيئاً من هذا النقص، ويجبر شيئاً من هذا الفقر.

٩- ومن ذلك ما يستفيده طالب علم الحديث من معرفة طبقات هؤلاء الأعلام، ومعرفة شيوخهم وتلامذتهم.

١٠- ومن ذلك أن القارئ الكريم قد تتجدد له همة، فيلحق ولو بساقة القوم، أو يجد أثراً من غبارهم:

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ ... فَكُنْهَا تَكُنْ مِثْلَ مَا أَعْجَبَكْ

فَلَيْسَ عَلَى الجُودِ وَالمَكْرُمَاتِ ... فَإِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكْ

وهذه سلسلة تراجم تربوية، تم انتقاء أخبارها بعناية خاصة، حتى يتربى عليها شباب الإسلام، وقد ابتدأت هذه التراجم بذكر أسماء العلماء وألقابهم، وميعاد مولدهم، ومواطنهم، وإن وقفت على شىء من صفاتهم الخلقية، أثبته حتى يستحضر القارئ الكريم صورة الشيخ، فكأنه يصحبه فى الترجمة، ويتعلم منه، ويأنس به، ويزداد حباً له، ثم أردفت ذلك بذكر ثناء العلماء عليه، حتى يعرف رتبته ودرجته، ثم ألقيت الضوء على ما تميز به هؤلاء العلماء عن الزهد والورع، والعبادة والخشية، واتباع السنة، وبينت طبقة هؤلاء العلماء بذكر شيوخهم

وتلامذتهم، وذكرت بعض أقوالهم، ثم ذكرت تاريخ وفاتهم -رحمهم الله-، وقد أبديت اهتماماً خاصاً بأئمة الفقه، أصحاب المذاهب المتبعة، وكذا أئمة الحديث، وأئمة الجرح والتعديل، وأئمة الزهد والعبادة، ممن لهم فى السنة باع، وخرج إلى النور بعض هذه التراجم فى رسائل مفردة، ولقيتْ بحمد الله -عز وجل- قبولاً عند إخواننا طلاب العلم، وكذا عامة الناس، وهذا مما شجعنا على الاستمرار فى هذه السلسلة المباركة، وقد رتبنا التراجم بحسب وفاة أصحابها، وجمعنا فى كل جزء من الكتاب ثلاثين ترجمة، تسهيلاً لإخواننا، وبعد أن قطعت شوطاً ليس بالهين فى تراجم هؤلاء العلماء، ترجمت لبعض الصحابة ﷺ وهم العشرة المبشرون بالجنة، ولاشك فى أن الصحابة ﷺ هم أئمة السلف، ولكن لارتفاع رتبتهم على من بعدهم، وعلو درجتهم، أفردتهم بسلسلة، كما نصح بذلك أخونا الفاضل الشيخ أبو إسحاق الحوينى، وأسميت سلسلة تراجم الصحابة ﷺ : «من أعلام الصحابة»، وهذه السلسلة سلسلة علماء السلف من التابعين فمَنْ بعدهم بـ «من أعلام السلف».

وأسأل الله الغنى الكريم أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يتجاوز عما فى أعمالنا وأعمارنا من خلل وتقصير، وأن يمنحنا من فضله وكرمه الثواب الجزيل، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أحمد فريد

مِـنَ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(١)

مَسْرُوقُ بْـنُ الأَجْـدَع

فهـذه الترجمة الأولى من سـلسلة التراجم التربـوية (من أعلام السلف) التى يقصـد بها تربية شبـاب الصحوة الإسلامـية على ما تربى عليه العلـماء الأعلام، والأئمة الكرام، من الزهد والعفـاف، والورع والكفاف، والعبادة والخشـية، حتى ينسجوا على مـنوال الكرام، ويتبوءوا منازل الخير والإنعـام، وهى لعَلَم من أعلام التابعين، وإمام من الأئمة العاملين، وهو (مَـسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ الْهَمَدَانِى)، تتلمذ على علماء الصحـابة ﷺ : عبد الله بن مسعود، وعلىّ، وعـائشة. وكان ذا زهد وورع وعبـادة، رحمه الله، فكان مـثالاً طيبـاً لأن نفتح به هذه السلسلة المبـاركة، والله يتـقبل منا سـائر الطاعات، ويجـمعنا بـعلمائنا الكرام فى أعلى الـدرجات، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، وآل بـيته الطيبين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، والحمد لله رب العالمين.

١ - اسْمُـهُ وَمَـوْلِـدُهُ

اسْمُهُ: مسروق بن الأجدع الهمـدانى الوادعى أبو عائشة الكوفى، وهو مسروق ابن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مُرٍّ بن سلمان -ويقال: سلامان- بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة.(١)

قال الحـافظ أبو بكر الخطيب: يقال: إنه سُرِقَ وهو صـغير، ثم وجد فـسُمِّىَ: مسروقاً، وأسلم أبوه الأجدع.(٢)

(١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٥١، ٤٥٢). (٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢).

مَوْلِدُهُ: لم يصرح أحد ممن ترجم له -مما وقفتُ عليه- بتاريخ ميلاده، إلا أنهم صرّحوا بأنه توفي سنة اثنتين وستين أو ثلاث وستين، وقال هارون بن حاتم عن الفضل بن عمرو: «مات وله ثلاث وستون سنة»، فيكون ميلاده فى السنة الأولى من الهجرة أو قبلها بسنة، والله أعلم.

٢- ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن مالك بن مغول قال: سمعت أبا السفر غير مرة قال: ما ولدتْ همدانية مثل مسروق.[(١)]

وعن عامر الشعبى: ما علمت أن أحداً أطلب للعلم فى أفقٍ من الآفاق من مسروق.[(١)]

وعن منصور عن إبراهيم قال: كان أصحاب عبد الله الذين يُقرئون الناس، ويعلمونهم السنة: علقمة، والأسود، وعبيدة، ومسروق، والحارث بن قيس، وعمرو بن شرحبيل.[(١)]

وقال الشعبى: لما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة قال: من أفضل الناس؟ قالوا له: مسروق.[(٢)]

وقال ابن المدينى: أنا ما أُقدِّم على مسروق أحداً صلى خلف أبى بكر.[(٢)]

وقال أحمد بن حنبل: قال ابن عيينة: بقى مسروق بعد علقمة لا يُفضَّل عليه أحد.[(٣)]

وعن ابن أبجر عن الشعبى قال: كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح يستشير مسروقاً.[(٤)]

وقال يحيى بن معين: مسروق ثقة، لا يُسألُ عن مثله. وسأل عثمان بن سعيد

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٢).

يحيى عن مسروق وعروة فى عائشة فلم يخير.(1)

وقال ابن سعد: وكان ثقة، وله أحاديث صالحة.(2)

وقال العجلى: تابعى ثقة، كان أحد أصحاب عبد الله الذين يُقرئون ويفتون، وكان يصلى حتى ترم قدماه.(1)

وقال أبو نعيم: ومنهم العالم بربه، الهائم بحبه، الذاكر لذنبه، فى العلم معروق، وبالضمان موثوق، ولعبادة الله معشوق، أبو عائشة المسمى بمسروق.(3)

وعن مجالد عن الشعبى عن مسروق: قالت عائشة: يا مسروق، إنك من ولدى، وإنك أحبهم إلىَّ فهل لك علم بالمخدج.(1)

٣ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ

عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر قال: كان مسروق يرخى الستر بينه وبين أهله، ويقبل على صلاته، ويخليهم ودنياهم.(4)

وقال أنس بن سيرين عن امرأة مسروق: كان مسروق يصلى حتى تورم قدماه، فربما جلست خلفه أبكى، مما أراه يصنع بنفسه.(5)

وعن فطر بن خليفة عن الشعبى قال: غُشى على مسروق بن الأجدع فى يوم صائف وهو صائم، وكانت عائشة زوج النبى ﷺ قد تبنته، فسمى ابنته عائشة، وكان لا يعصى ابنته شيئاً، قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه، أفطر واشرب، قال: ما أردت بى يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية، إنما طلبت الرفق لنفسى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.(6)

وعن أبى إسحاق قال: حجّ مسروق فما بات إلا ساجداً.(7)

---

(1) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧).
(2) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٤).
(3) حلية الأولياء (٢/ ٩٥).
(4) حلية الأولياء (٣/ ٩٦).
(5) تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٥٥).
(6) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٤).
(7) حلية الأولياء (٢/ ٩٥).

قال إبراهيم بن محمد بن المنتشر: أهدى خالد بن عبد الله بن أسيد عامل البصرة إلى عمى مسروق ثلاثين ألفاً، وهو يومئذ محتاج، فلم يقبلها.

وقال أبو إسحاق السبيعى: زوّج مسروق بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف لنفسه، يجعلها فى المجاهدين والمساكين.(١)

وعن الأعمش بن أبى الضحى قال: كان مسروق يقوم فيصلى كأنه راهب، وكان يقول لأهله: هاتوا كل حاجة لكم فاذكروها لى قبل أن أقوم إلى الصلاة.(٢)

وعن سعيد بن جبير قال: لقينى مسروق، فقال: يا سعيد، ما بقى شىء يُرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا فى التراب.(٢)

٤ – مَوْقِفُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ – فِى الْفِتْنَةِ

عن الشعبى قال: كان مسروقٌ إذا قيل له: أبطأت عن علىّ وعن مشاهده، فأراد أن يناصَهم الحديث، قال: أذكركم بالله، أرأيتم حين صف بعضكم لبعض، وأخذ بعضكم على بعض السلاح، يقتل بعضكم بعضاً، فتح باب من السماء، وأنتم تنظرون، ثم نزل منه ملك، حتى إذا كان بين الصفين قال: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تأكُلُوا أموالكُم بيْنكُم بالْباطل إلاَّ أن تكُون تجارةً عن تراضٍ منكُمْ ولا تقْتُلُوا أنفُسكُمْ إنَّ اللَّهَ كان بكم رحيما﴾ (النساء: ٩٢)، أكان ذلك حاجزاً بعضكم عن بعض؟ قالوا: نعم، قال: فوالله، لقد فتح الله لها باباً من السماء، ولقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم ﷺ، وإنها لمحكمة فى المصاحف، ما نسخها شىء.(٣)

وقال الذهبى: قال وكيع: تخلف عن علىّ مسروق، والأسود، والربيع بن خثيم، وأبو عبد الرحمن السلمى، ويقال: شهد صفين، فوعظ وخوّف، ولم يقاتل، وقيل: شهد قتال الحرورية مع علىّ، واستغفر مِنْ تأخره عن علىّ، وقيل: إن قبره بالسلسلة بواسط.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٦).
(٢) حلية الأولياء (٢/٩٦).
(٣) طبقات ابن سعد (٤/٦٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٦٧).

٥ - وَرَعُـهُ وَزُهْـدُهُ - رَحِمَهُ اللّـهُ

عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن مسروق: أنه كان لا يأخذ على القضاء أجراً، ويتأول هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. (١)

عن الأعمش عن أبى الضحى قال: غاب مسروق عاملاً على السلسلة سنتين، ثم قدم، فنظر أهله فى خُرْجه فأصابوا فأساً، فقالوا: غبتَ سنتين ثم جئتنا بفأس بلا عود، قال: إنا لله، استعرناها، نسينا نردها. (٢)

قال أبو الضحى: سئل مسروق عن بيت شعر، فقال: أكره أن أجد فى صحيفتى شعراً. (٣)

وعن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن المنتشر قال: كان مسروق يركب كل جمعة بغلة ويحملنى خلفه، ثم يأتى كناسة بالحيرة قديمة، فيحمل عليها بغلته فيقول: الدنيا تحتنا. (٤)

وعن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: بلغنى أن مسروقاً أخذ بيد ابن أخ له، فارتقى به على كناسة بالكوفة، قال: ألا أريكم الدنيا؟ هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، ولبسوها فأبلوها، وركبوها فأنضوها، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا منها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم. (٥)

وعن محمد بن عقبة قال: سمعت الأصمعى يقول: كان مسروق يتمثل:

ويكفيكَ مِمَّا أغْلقَ البَابُ دُونَه	وأرْخِى عَلَيْهِ السِّتْرُ مِلْحٌ وجُرْدَقُ
وَمَاءٌ فُراتٌ بَاردٌ تَغْتَدى بِهِ	تُعَارِضُ أصحَابَ الثَّريد المُلَبَّقِ (٦)
تَجشَّا إذَا مَا هُمْ تَجَشُّوا كَأنَّمَا	غُذِيتَ بألْوانِ الطَّعَامِ المُفَتَّقِ (٧)

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٩٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٩٦).
(٤) حلية الأولياء (٢/ ٩٦).
(٥) حلية الأولياء (٢/ ٩٦، ٩٧).
(٦) الثريد الملبق: الملين بالدسم.
(٧) حلية الأولياء (٢/ ٩٧) والطعام المفتق: الكثير الخصب.

٦ - شُيُوخُهُ وَتلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ:

قال المزى: روى عن أُبىّ بن كعب، وخباب بن الأرت، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود، وعبيد بن عمير الليثى وهو من أقرانه، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، ومعقل بن سنان الأشجعى، والمغيرة ابن شعبة، وأبى بكر الصديق، وسبيعة الأسلمية، وعائشة زوج النبى ﷺ، وأمها: أم رومان يقال: مرسل، وأم سلمة زوج النبى ﷺ.(١)

تَلامِذَتُهُ:

قال المزى: روى عنه: إبراهيم النخعى، وأنس بن سيرين، وأيوب بن هانئ، وحبال بن رفيدة، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وعامر الشعبى، وعبد الله بن مرة الخارقى، وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعبيد بن نضلة، وعمارة بن عمير، والقاسم بن المنتشر بن الأجدع، ومحمد بن نشر الهمدانى، وأبو الضحى مسلم بن صبيح، ومكحول الشامى، ويحيى بن الجزار، ويحيى بن وثاب، وأبو الأحوص الجشمى، وأبو إسحاق السبيعى، وأبو الشعثاء المحاربى، وامرأته قمير بنت عمرو.(٢)

٧ - مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ

عن مسلم عن مسروق قال: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.(٣)

وقال مسروق: المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر ذنوبه؛ فيستغفر الله.(٣)

---

(١) تهذيب الكمال، للمزي (٢٧/ ٤٥٢، ٤٥٣). (٢) تهذيب الكمال، للمزي (٢٧/ ٤٥٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٠).

وعن أبى الضحى: أن مسروقاً شفع لرجل بشفاعة، فأهدى له جارية فغضب، وقال: لو علمت أن هذا فى نفسك ما تكلمت فيها، ولا أتكلم فيما بقى منها أبداً، سمعت عبد الله بن مسعود يقول: من شفع شفاعة ليرد بها حقاً، أو يدفع بها ظلماً، فأهدى له فقبل، فذلك السحت، قالوا: ما كنا نرى السحت إلا الأخذ على الحكم، قال: الأخذ على الحكم كفر.(١)

وعن الشعبى أن مسروقاً قال: لأقضى بقضية فأوافق الحق، أو أصيب الحق، أحبُّ إلىَّ من رباط سنة فى سبيل الله.(٢)

وعن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن مسروق قال: ما من شىء خيرٌ للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا، وأمن من عذاب الله.(٣)

وعن مسلم أو غيره عن مسروق قال: إن أحسن ما أكون ظناً حين يقول لى الخادم: ليس فى البيت قفيز ولا درهم.(٣)

وعن هلال بن يساف قال: من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين، وعلم الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

قال الذهبى: هذا قاله مسروق على المبالغة، لعظم ما فى السورة من جمل أمور الدارين، ومعنى قوله: «فليقرأ الواقعة» أى: يقرأها بتدبر وتفكّر وحضور، ولا يكن مثل الحمار يحمل أسفاراً.(٤)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ

عن شقيق قال: كان مسروق على السلسلة سنتين، فكان يصلى ركعتين ركعتين، يبتغى السنة.

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٨١).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٢).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٩٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٨).

عن الأعمش عن شقيق قال: قلت لمسروق: ما حملك على هذا العلم؟ قال: لم يدعني ثلاثة: زيادٌ وشريحٌ، والشيطان حتى أوقعوني فيه.[1]

عن أبي وائل: أن مسروقاً حين حضره الموت قال: اللهم لا أموت على أمر لم يسنه رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، والله ما تركت صفراء ولا بيضاء عند أحدٍ من الناس، غير ما في سيفي هذا، فكفنوني فيه.[1]

قال سفيان بن عيينة: مات مسروق سنة ثلاث وستين، وكان ثقة، وله أحاديث صادقة.[2]

وقال أبو نعيم: مات سنة اثنتين وستين، وقال يحيى بن بكير، وابن سعد، وابن نمير: مات سنة ثلاث وستين.[3]

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٨٤).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٦٨).

مِـنَ أَعْـلاَمِ السَّـلَـفِ

(٢)

سَيدُ التَّابعينَ سَعيدُ بْنُ المُسَيِّب

فهـذه الترجمـة الثانية مـن السلسلة المباركة (من أعـلام السلف)، والعلم الذى نرفعه اليوم، والعالم الذى نتشرف بترجمته، ليس مشهوراً عند العوام، إلا أنه جبل من جبال العلم، يعرف قـدرهُ ويقدر علمه أهل العلم، إنه سيد التابعـين سعيد بن المسيب، عاصر الأكـابر من أصحاب رسول الله ﷺ : عمر، وعثمان، وعلى، وأبا هريرة، وعـائشـة، وأم سلمـة رضـوان الله عليـهم. وكـان آية فى الحـفظ، والذكاء، والورع، والصدع بـالحق، والصبر على الابتلاء فى سـبيل نصرته، رآه ابن عمر رضي الله عنهما فقال: لو رأى هذا رسول الله ﷺ لسره.

قال أبو نعيم فى ترجمـته: فأما أبو محمد سعيـد بن المسيب بن حزن المخزومى كان من الممتحنين، امتحن فلم تأخذه فى الله لومة لائم، صاحب عبادة وجماعة، وعفة وقناعة، وكان كاسمه بالطاعات سعيداً، ومن المعاصى والجهالات بعيداً.[١]

ويكفى فى بيان سـعة علمه أن ابن عمـر رضي الله عنهما كان يسأله عن قضـاء عمر، لأنه كـان أعلم الناس بقـضاء أبى بكر وعـمـر وعثـمان، وكـان أروى الناس لحديث أبى هريرة، وقد زوجـه أبو هريرة رضي الله عنه ابنته، ما فاتته صلاة الجـماعة من أربعين سنة، أو خمسين سنة، ولا نـظر فى أقفية الناس، لأنه كان يصلى فى الصف الأول.

عن عمرو بن دينار قال: لما مـات زيد بن ثابت، قال ابن عباس: هكذا يذهب

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٦١).

العلم. قال: فحدث به سعيد بن المسيب، فقال: وكذلك كان ابن عباس، قال: وأنا أقول: كذلك كان سعيد بن المسيب.[١]

قال ابن حبان فى الثقات: كان من سادات التابعين فقهاً وديناً وورعاً وعبادة وفضلاً، وكان أفقه أهل الحجاز، وأعبر الناس لرؤيا، ما نودى بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد ينتظرها.[٢]

وبقدر ما كان سيد التابعين شديداً صعب القياد مع الخلفاء الظالمين، كان لين الجانب سهل المعاملة مع الأتقياء والصالحين، رفض أن يخرج إلى باب المسجد ليكلم الخليفة عبد الملك بن مروان، وكذا ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك، وذهب بابنته إلى تلميذه ابن وداعة، بعد أن زوجها له بدرهمين أو ثلاثة، ومنعها من عبد الملك بن مروان، عندما خطبها لابنه الوليد، تحمل الحبس والضرب ورفض أن يبايع بولاية العهد بعد عبد الملك لولديه الوليد وسليمان، فرحمه الله -عز وجل- رحمة واسعة وأدخله جنة عالية، قطوفها دانية.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

١ - اسْمُـهُ وَكُنْيَتُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفتُـهُ

اسْمُهُ: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب ابن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشى المخزومى المدنى، سيد التابعين.

كُنْيَتُهُ: أبو محمد.

روى ابن سعد بسنده عن علىّ بن زيد عن سعيد بن المسيب بن حزن: أن جده حزناً أتى النبى ﷺ فقال: **ما اسمك؟** قال: أنا حزن، قال: **بل أنت سهل،** قال: يا رسول الله، اسم سمانى به أبواى، فعُرفت به فى الناس. قال: فسكت عنه النبى ﷺ.

(١) تهذيب الكمال (١١/ ٧٥).

(٢) الثقات، لابن حبان (٤/ ٢٧٤).

فقال سعيد: ما زلنا تعرف الحزونة فينا أهل البيت.[١]

قلت: والترجمة شاهدة لصحة الخبر، والله أعلم.

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: ولد فى خلافة عمر، لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها.[٢]

وقيل: ولد سعيد قبل موت عمر بسنتين.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: والذى رأيت عليه الناس فى مولده -سعيد ابن المسيب- أنه ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر، ويروى: أنه سمع منه، ولم أر أهل العلم يصححون ذلك، وإن كانوا قد رووه.[٣]

صِفَتُهُ: عن عمران بن عبد الملك قال: قال سعيد بن المسيب: ما خفت على نفسى شيئاً مخافة النساء، قال: فقالوا: يا أبا محمد، إن مثلك لا يريد النساء ولا تريده النساء، قال: هو ما أقول لكم. قال: وكان شيخاً كبيراً أعمش.[٤]

وعن أبى الغُصن أنه رأى سعيد بن المسيب أبيض الرأس واللحية.[٥]

وعن محمد بن هلال أنه رأى سعيد بن المسيب يعتم، وعليه قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء، لها علم أحمر يرخيها وراءه شبراً.[٦]

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩).

قال الذهبى: هذا حديث مرسل، ومراسيل سعيد محتج بها، والحديث مروى بإسناد صحيح متصل (٤/ ٢٢١) سير أعلام النبلاء. والحزن هو الصعب، والحزن هو الصعب، عكس السهل، وهذه القصة شبيهة بقصة الأعرابى، الذى عاده النبى ﷺ وقال: **«لا بأس طهور»**، فقال: بل هى حُمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور، قال: **«فنعم إذاً»**، فمات الرجل.

(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧١). (٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٦)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤١).

(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٤٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٤).

(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٥)، والسير (٤/ ٢٤٢).

٢- ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن مكحول قال: طفت الأرض كلها فى طلب العلم، فما لقيت أحداً أعلم من سعيد بن المسيب.(١)

وقال على ابن المدينى: لا أعلم فى التابعين أوسع علماً منه، هو عندى أجلُّ التابعين.(٢)

وقال أحمد بن عبد الله العجلى، كان رجلاً صالحاً، فقيهاً، وكان لا يأخذ العطاء، وكانت له بضاعة أربعمائة دينار، وكان يتجر بها فى الزيت، وكان أعور.(٣)

وقال أبو زرعة: مدنى قرشى ثقة إمام.(٣)

وقال أبو حاتم: ليس فى التابعين أنبل من سعيد بن المسيب، وهو أثبتهم فى أبى هريرة.(٣)

وعن ميمون بن مهران قال: أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها، فدفعت إلى سعيد بن المسيب، فسألته.(٤)

وعن مكحول قال: لما مات سعيد بن المسيب استوى الناس، ما كان أحدٌ يأنف أن يأتى إلى حلقة سعيد بن المسيب، ولقد رأيت فيها مجاهداً، وهو يقول: لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم.(٥)

وسئل القاسم بن محمد عن مسألة، فقيل له: إن سعيد بن المسيب قال فيها كذا، قال معن فى حديث: فقال القاسم: ذاك خيرنا وسيدنا، وقال محمد بن عمر فى حديث: ذلك سيدنا وعالمنا.(٦)

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٢).
(٢) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٣).
(٣) تهذيب الكمال (١١/ ٧٤).
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨١).
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٢).
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٠).

٣ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال: ما فاتتنى الصلاة فى الجماعة منذ أربعين سنة.[١]

وعن عثمان بن حكيم قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ما أذن المؤذن من ثلاثين سنة، إلا وأنا في المسجد.[١]

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة، وقال سعيد بن المسيب: ما فاتتنى التكبيرة الأولى منذ خمسين، وما نظرت فى قفا رجل فى الصلاة منذ خمسين سنة.[٢]

وعن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب: أنه اشتكى عينه، فقالوا له: لو خرجت يا أبا محمد إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة لوجدت لذلك خفة، قال: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح.[٣]

وعن يزيد بن حازم قال: كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم، فكان إذا غابت الشمس أتى بشراب له من منزله المسجد فشربه.[٤]

وعن عمران بن عبد الله قال: قال سعيد بن المسيب: ما أظلنى بيت بالمدينة بعد منزلى، إلا أن آتى ابنة لى، فأسلم عليها أحياناً.[٥]

وعن ابن حرملة قال: قلت لبرد مولى ابن المسيب: ما صلاة ابن المسيب فى بيته قال: ما أدرى، إنه ليصلى صلاة كثيرة، إلا أنه يقرأ بـ ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ﴾.[٦]

وعن عاصم بن العباس الأسدى قال: كان سعيد بن المسيب يُذكر، ويخوف، وسمعته يقرأ فى الليل على راحلته فيكثر، وسمعته يجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وكان يحب أن يسمع الشعر، وكان لا ينشده، ورأيته يمشى حافياً وعليه

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٦٢).
(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٦٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٢).
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٣).
(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣١).
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣١) والسير (٤/ ٢٤٠).

بت، ورأيته يحفى شاربه شبيهاً بالحلق، ورأيته يصافح كل من لقيه، وكان يكره كثرة الضحك.[١]

٤ - عِلْمُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن يحيى بن حبان قال: كان رأس المدينة فى دهره، المقدَّم عليهم فى الفتوى سعيد بن المسيب، ويقال: فقيه الفقهاء.[٢]

وقال قتادة: ما رأيت أحداً أعلم بالحلال والحرام من سعيد بن المسيب.[٢]

وعن هشام بن سعد قال: سمعت الزهرى يقول وسأله سائل: عمن أخذ سعيد ابن المسيب علمه؟ فقال: عن زيد بن ثابت، وجالس سعد بن أبى وقاص، وابن عباس، وابن عمر، ودخل على أزواج النبى ﷺ: عائشة، وأم سلمة، وكان قد سمع من عثمان بن عفان، وعلىّ، وصهيب، ومحمد بن مسلمة، وَجُلُّ روايته المسندة عن أبى هريرة، وكان زوج ابنته، وسمع من أصحاب عمر، وعثمان، وكان يقال: ليس أحدٌ أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان منه.[٣]

قال عباس الدُّورى: سمعت يحيى بن معقل يقول: مُرسلات سعيد بن المسيب أحب إلىَّ من مرسلات الحسن، ومرسلات إبراهيم صحيحة، إلا حديث تاجر البحرين، وحديث الضحك فى الصلاة.[٤]

وقال أبو طالب: قلت لأحمد بن حنبل: سعيد بن المسيب؟ فقال: ومن مثل سعيد بن المسيب، ثقة من أهل الخير. قلت: سعيد عن عمر حجة؟ قال: هو عندنا حجة، قد رأى عمر، وسمع منه، وإذا لم يُقبل سعيد عن عمر، فمن يُقبل.[٤]

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٠) وقوله (وعليه بت): أي طيلسان من خز ونحوه.
(٢) تهذيب الكمال (١١/ ٧١). (٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٠).
(٤) تهذيب الكمال (١١/ ٧٣).

وعن مالك: أن القاسم بن محمد سأله رجل عن شيء، فقال: أسألت أحداً غيرى؟ قال: نعم، عروة، وفلاناً، وسعيد بن المسيب. فقال: أطع ابن المسيب، فإنه سيدنا وعالمنا.(١)

وقال مالك: كان يقال لابن المسيب: «راوية عمر»، فإنه كان يتبع أقضية عمر يتعلمها، وإن كان ابن عمر ليرسل إليه يسأله.(١)

وعن أبى علىّ ابن حسين قال: سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار، وأفقههم فى رأيه.(٢)

وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال: كان السبعة الذين يُسألون بالمدينة وينتهى إلى قولهم: سعيد بن المسيب، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة، والقاسم بن محمد، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار(٣)، وقد نظمهم بعض الفضلاء فقال:

أَلا كُلُّ مَنْ لا يَقْتَدِى بِأئِمَّةٍ فَقِسْمَتُهُ ضِيزَى عَنِ الْحَقِّ خَارِجَهْ
فَخُذْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ عُرْوَةُ قَاسِمٌ سَعِيدٌ سُلَيْمَانٌ أَبُو بَكْرٍ خَارِجَهْ(٤)

٥ – عِلْمُهُ بِالتَّعْبِيرِ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال الذهبى: قال الواقدى: كان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبى بكر الصديق، وأخذته أسماء عن أبيها.

وروى ابن سعد فى «الطبقات» عدة منامات وتفسير ابن المسيب لها، ونقله عنه الذهبى فى «سيره»، فمن ذلك ما رواه عمرو بن حبيب بن قليع قال: كنت جالساً عند سعيد بن المسيب يوماً، وقد ضاقت بى الأشياء، ورهقنى دين، فجاء رجل فقال: رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان، فأضجعته إلى الأرض وبطحته،

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢١، ١٢٢).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٨٤).
(٤) شذرات الذهب (١١/ ١٠٤).

فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد، قال: ما أنت رأيتـها؟ قال: بلى. قال: لا أخبرك، أو تخبـرنى. قال: ابن الزبيـر رآها، وهو بعثنى إليك. قـال: لئن صدقت رؤياه، قتله عـبد الملك، وخرج من صلب عبـد الملك أربعة، كلهم يكون خليفـة. قال: فرحلت إلى عـبد الملك بالشام فأخـبرته، فسـرَّ، وسألنى عن سعيـد وعن حاله، فأخبرته، وأمر بقضاء دينى، وأصبت منه خيراً.(١)

وعن إسماعيل بن أبى الحكم قال: قـال رجل: رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول فى قبلة مسجد النبى ﷺ أربع مرات، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب فقال: إن صدقت رؤياك، قام فيه من صلبه أربعة خلفاء.(٢)

وقيل له: يا أبا محمد، رأيت كأنى فـى الظلِّ، فقمت إلى الشمس، فقال: إن صدقت رؤياك لتخرجن من الإسلام، قال: يا أبا محمد، إنى أرانى أخرجت حتى أدخلت فى الشـمس فجلست، قـال: تُكره على الكفر. قـال: فأسر وأكـره على الكفر، ثم رجع فكان يخبر بهذا بالمدينة.(٣)

وعن عمـران بن عبد الله قال: رأى الحسن بن علىّ كأن بين عينيـه مكتوب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فاستبشر به وأهل بيته، فقصوها على سعيد بن المسيب، فقال: إن صدقت رؤياه، فقلَّ ما بقى من أجله، فمات بعد أيام.(٤)

وعن شريك بن أبى نميـر قال: قلت لابن المسيب: رأيـت فى النوم كأن أسنانى سقطت فى يدى ثم دفنتـها، فقال ابن المسـيب: إن صدقت رؤياك، دفنت أسنانك من أهل بيتك.(٥)

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٥).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٦، ٢٣٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٧).
(٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٤).

وعن شريك بن أبى نمر عن ابن المسيب قال: التمر فى النوم رزق على كل حال، والرطب فى زمانه رزق.(١)

وعن ابن المسيب قال: آخر الرؤيا أربعون سنة - يعنى: تأويلها.(١)

٦ - عِزَّةُ نَفْسِهِ وَصَدْعُهُ بِالْحَقِّ

عن عمران بن عبد الله قال: كان لسعيد بن المسيب فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه، وكان يُدعى إليها فيأبى، ويقول: لا حاجة لى فيها، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان.(٢)

وعن علىّ بن زيد: أنه قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج، لا يبعث إليك ولا يحركك، ولا يؤذيك؟ قال: والله، ما أدرى، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد، فصلى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفاً من حصى فحصبته بها، زعم أن الحجاج قال: ما زلت بعدُ أحسن الصلاة.(٣)

وعن عمران بن طلحة الخزاعى قال: حج عبد الملك بن مروان، فلما قدم المدينة، ووقف على باب المسجد وأرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه، فأتاه الرسول، وقال: أجب، أمير المؤمنين واقف الباب يريد أن يكلمك. فقال: ما لأمير المؤمنين إلىَّ حاجة، وما لى إليه حاجة، وإن حاجته لى لغير مقضية. فرجع الرسول فأخبره، فقال: ارجع فقل له: إنما أريد أن أكلمك، ولا تحركه، فرجع إليه فقال له: أجب أمير المؤمنين. فرد عليه مثل ما قال أولاً. فقال: لولا أنه تقدم إلىّ فيك، ما ذهبت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا! فقال: إن كان يريد أن يصنع بى خيراً فهو لك، وإن كان يريد غير ذلك، فلا أحل حبوتى حتى يقضى ما هو قاضٍ، فأتاه فأخبره، فقال: رحم الله أبا محمد، أبى إلا صلابة.(٤)

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٥). (٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٦).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٩)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٦).
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٩)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٧).

وعن عمرو بن عاصم عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعى قال: فلما استخلف الوليد قدم المدينة، فدخل المسجد فرأى شيخاً قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ قالوا: سعيد بن المسيب، فلما جلس أرسل إليه، فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: لعلك أخطأت باسمى، أو لعله أرسلك إلى غيرى، فرد الرسول فأخبره، فغضب وهمَّ به، وفى الناس يومئذ تقية، فأقبلوا عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقيه المدينة، وشيخ قريش، وصديق أبيك، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه، فما زالوا به حتى أضرب عنه.[١]

ولعله -رحمه الله- لم يجبهم لما كان يراه من ظلمهم، وقد أجاب عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة.

روى ابن سعد فى «الطبقات» عن مالك بن أنس قال: كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء، حتى يسأل سعيد بن المسيب، فأرسل إليه إنساناً يسأله، فدعاه فجاءه، حتى دخل، قال عمر: أخطأ الرسول، إنما أرسلناه يسألك فى مجلسك.[٢]

وعن سلام بن مسكين: ثنا عمران بن عبد الله قال: أرى نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه فى الله من نفس ذباب.[٣]

٧ - تَزْوِيجُهُ ابْنَتَهُ

عن أبى بكر ابن أبى داود قال: كانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتال عبد الملك حتى ضربه مئة سوط فى يوم بارد، وصبَّ عليه جرَّة ماء، وألبسه جبة صوف، ثم قال: حدثنى أحمد ابن أخى عبد الرحمن بن وهب: حدثنا عمر بن وهب عن عطاف بن خالد، عن ابن حرملة، عن ابن أبى وداعة -يعنى كثيراً- قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٩، ١٣٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٢).

(٣) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٧٤)، وهو فى الحلية (٢/ ١٦٤).

ففقدنى أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلى فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم. ثم تحمَّد، وصلى على النبى ﷺ وزوجنى على درهمين -أو قال: ثلاثة- فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى، وجعلت أتفكر فيمن أستدين، فصليت المغرب، ورجعت إلى منزلى، وكنت وحدى صائماً، فقدمت عشائى أفطر، وكان خبزاً وزيتاً، فإذا ببابى يُقرع. فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد. فأفكرت فى كل من اسمه سعيد، إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له. قلت: يا أبا محمد، ألا أرسلت إلىَّ فآتيك، قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هى قائمة من خلفه فى طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها إلى الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم وضعت القصعة فى ظل السراج لكى لا تراه، ثم صعدت السطح فرميت الجيران، فجاؤونى، فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم، ونزلوا إليها، وبلغ أمى، فجاءت وقالت: وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق زوج، فمكثت شهراً لا آتى سعيد بن المسيب، ثم أتيته وهو فى حلقة، فسلمت فردَّ علىَّ السلام، ولم يكلمنى حتى تقوض المجلس، فلما لم يبق غيرى، قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا محمد على ما يحب الصديق، ويكره العدو. قال: إن رابك شىء فالعصا، فانصرفت إلى منزلى فوجَّه إلىَّ بعشرين ألف درهم.(1)

---

(1) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ١٦٧)، وذكره الذهبى فى السير (٤/ ٢٣٣). قال الذهبى: تفرد بالحكاية أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وعلى ضعفه قد احتج به مسلم، وفى هامش السير وثقه ابن أبى حاتم وغيره، إلا أنه تغير بآخره.

قال أبو بكر ابن أبى داود: ابن أبى وداعة، هو كثير بن عبد المطلب بن أبى وداعة.

قال الذهبى: هو سهمى مكى روى عن أبيه المطلب أحد مسلمة الفتح، وعنه ولده جعفر بن كثير وابن حرملة.

٨ - مِحْنَتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّـهُ -

عن عبد الله بن جعفر وغيره قالوا: استعمل ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهرى على المدينة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير، فقال سعيد بن المسيب: لا، حتى يجتمع الناس، فضربه ستين سوطاً، فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومه، ويقول: ما لنا ولسعيد، دعْهُ.(١)

وعنهم: أن عبد العزيز بن مروان توفى بمصر سنة أربع وثمانين، فعقد عبد الملك لابنيه: الوليد وسليمان بالعهد، وكتب بالبيعة لهم إلى البلدان، وعامله يومئذ على المدينة، وأبى سعيد بن المسيب أن يبايع لهما، وقال: حتى أنظر، فضربه هشام ستين سوطاً، وطاف به فى تبان من شعر، حتى بلغ به رأس الثنية، فلما كروا به، قال: أين تكرون بى؟ قالوا: إلى السجن. فقال: والله، لولا أنى ظننته الصلب، ما لبست هذا التبان أبداً، فردوه إلى السجن، فحبسه، وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به، ويقول سعيد كان -والله- أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه، وإنا لنعلم ما عنده خلاف.(٢)

عن سفيان عن رجل من آل عمر قال: قلت لسعيد بن المسيب: ادعُ على بنى أمية، قال: اللهم، أعزَّ دينك، وأظهر أولياءك، واخز أعداءك، فى عافية لأمة محمد ﷺ.(٣)

وعن أبى يونس القوى قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا سعيد بن المسيب جالس وحده، فقلت: ما شأنه؟ قيل: نهى أن يجالسه أحدٌ.(٣)

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٩).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٥، ١٢٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٢).

وعن قتادة: أن ابن المسيب كان إذا أراد أحد أن يجالسه، قال: إنهم قد جلدونى ومنعوا الناس أن يجالسونى.(١)

٩ – شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ –رَحِمَهُمُ اللَّهُ–

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن أبى بكر مرسلاً، وعن عمر، وعثمان، وعلىّ، وسعد بن أبى وقاص، وحكيم بن حزام، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وأبيه المسيب، ومعمر بن عبد الله بن نصلة، وأبى ذر، وأبى الدرداء، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن زيد المازنى، وعتاب بن أسيد، وعثمان بن أبى العاص، وأبى ثعلبة الخشنى، وأبى قتادة، وأبى موسى، وأبى سعيد، وأبى هريرة وكان زوج ابنته، وعائشة، وأسماء بنت عميس، وخولة بنت حكيم، وفاطمة بنت قيس، وأم سليم، وأم شريك، وخلق.(٢)

تَلامِذَتُهُ: قال الحافظ: وعنه: ابنه محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، والزهرى، وقتادة، وشريك بن أبى نمر، وأبو الزناد، وسمى، وسعد بن إبراهيم، وعمرو بن مرة، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وداود بن أبى هند، وطارق بن عبد الرحمن، وعبد الحميد بن جبير بن شعبة، وعبد الخالق بن سلمة، وعبد المجيد ابن سهل، وعمرو بن مسلم بن عمارة بن أكيمة، وأبو جعفر الباقر، وابن المنكدر، وهاشم بن هاشم بن عتبة، ويونس بن يوسف، وجماعة.(٣)

١٠ – دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ

عن عبد الله بن محمد قال: حدثنا سعيد بن المسيب قال: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله –عز وجل–، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله.(٤)

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٢).

(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٧٤، ٧٥)، وانظر لمزيد الفائدة: تهذيب الكمال (١١/ ٦٧، ٦٨).

(٣) تهذيب التهذيب (٤/ ٧٥)، وانظر لمزيد الفائدة: تهذيب الكمال (١١/ ٦٩، ٦٨، ٧٠).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ١٦٤)، وابن سعد (٥/ ١٣٧)، وذكره الذهبى (٤/ ٢٣٨) السير.

عن ابن حرملة قال: قال سعيد بن المسيب: لا تقولوا مصيحف ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل.(١)

وعن عليّ بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء، ثم قال لنا سعيد، وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وهو يعشو بالأخرى: ما شيء أخوف عندى من النساء.(٢)

وعن عبد الرحمن بن حرملة أنه سأل سعيد بن المسيب قال: وجدت رجلاً سكران أفتراه يسعنى ألا أرفعه إلى السلطان؟ فقال له سعيد: إن استطعت أن تستره بثوبك، فاستره.(٣)

وعن أبى عيسى الخراسانى عن سعيد بن المسيب قال: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكى لا تحبط أعمالكم الصالحة.(٤)

وعن سفيان بن عيينة قال: قال سعيد بن المسيب: إن الدنيا نذلة، وهى إلى كل نذل أميل، وأنذل منها أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها فى غير سبيلها.(٤)

١١- مَرَضُهُ وَوَفَاتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن عبد الرحمن بن حرملة قال: دخلت على سعيد بن المسيب وهو شديد المرض، وهو يصلى الظهر، وهو مستلقٍ يومئ إيماءً، فسمعته يقرأ بـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.(٥)

وعن عبد الرحمن بن الحارث المخزومى قال: اشتد وجع سعيد بن المسيب، فدخل عليه نافع بن جبير يعوده فأغمى عليه، فقال نافع: وجهوه، ففعلوا،

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٣)، وطبقات ابن سعد (٥/ ١٣٧).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٧).

(٣) الطبقات (٥/ ١٣٤). (٤) حلية الأولياء (٢/ ١٧٠).

(٥) الطبقات (٥/ ١٤١)، والسير (٤/ ٢٤٤).

فأفاق، فقال: مَنْ أمركم أن تحولوا فراشى إلى القبلة، أنافع؟ قال: نعم. قال له سعيد: لئن لم أكن على القبلة والملة، والله، لا ينفعنى توجيهكم فراشى.[١]

وعن يحيى بن سعيد قال: لما احتضر سعيد بن المسيب، ترك دنانير فقال: اللهم، إنك تعلم أنى لم أتركها إلا لأصون بها حسبى ودينى.[٢]

وعن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فروة قال: مات سعيد بن المسيب بالمدينة سنة أربع وتسعين، فى خلافة الوليد بن عبد الملك، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وكان يقال لهذه السنة التى مات فيها سعيد: سنة الفقهاء، لكثرة من مات منهم فيها.[٣]

وقد توفى فى هذه السنة من فقهاء المدينة السبعة، أبو محمد عروة بن الزبير، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى، وكذا زين العابدين علىّ بن الحسين الهاشمى من أكابر العلماء والزهاد، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أحد الأئمة الكبار، فرحمة الله على الجميع.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

---

(١) الطبقات (٥/ ١٤٢)، والسير (٤/ ٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) الطبقات (٥/ ١٤٣)، والسير (٤/ ٢٤٥).

(٣) الطبقات (٥/ ١٤٣).

مِنَ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣)

عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْر

ما زلنا مع سلسلة (من أعلام السلف) سلسلة التراجم التربوية، وإمامنا فى هذه الحلقة من السلسلة المباركة، إمام من أئمة التابعين، من فقهاء المدينة السبعة، كان بحراً من بحور العلم، وإماماً فى الصبر واليقين.

قال أبو نعيم فى وصفه: ومنهم المعطى ما تمنى، حمل العلم عنه إذ فيه تعنَّى، مُكِّن من الطاعة فاكتسب، وامتحن بالمحنة فاحتسب، عروة بن الزبير بن العوام، المجتهد الصوام.(١)

وقوله: «المعطى ما تمنى» إشارة إلى ما رواه ابن أبى الزناد عن أبيه قال: اجتمع فى الحجر مصعب، وعبد الله، وعروة بنو الزبير، وابن عمر، فقالوا: تمنوا، قال عبد الله: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أتمنى أن يؤخذ عنى العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، وأما ابن عمر فقال: أتمنى المغفرة، فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر له.(٢)

وأئمة المسلمين هم أئمة فى العلم والعمل والصبر واليقين، فهذا عروة بن الزبير يُحْكِم ما عند خالته عائشة رضي الله عنها قبل وفاتها بثلاث سنين، ثم هو يسرد الصوم، ويقوم الليل بربع القرآن كل ليلة، ثم يصاب بقرحة فى ساقه فتبتر ساقه، ويرفض أن يأخذ ما يذهب بعقله، حتى لا يحرم من عبادة ربه -عز وجل-، ثم هو ينظر

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٨٩).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٧٦)، وذكره الذهبي في السير (٤/ ٤٣١).

إليها فى الطست بـعد أن قطعت، فيقول: والله، مـا مشيت بها إلى معـصية وفى هذه الأثناء، يموت أحـد أبنائه السبعة، فـيحمد الله أن أخـذ أحد أبنائه وأبقى له ستة، وأخـذ أحد أعضائه، وأبقى له ثلاثة، والرجل يبتـلى على قدر دينه، فرحم الله أئمـتنا، وغفـر لنا ولهم، وجمـعنا وإياهم فى فردوسـه الأعلى، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

١ – اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: عروة بن الزبيـر بن العوام بن خويلد بن أسـد بن عبد العـزى بن قصى القرشى، الأسدى، أبو عبد الله المدنى الفقيه، أحد الفقهاء السبعة.

مَوْلِدُهُ: قال خليفة: ولد عروة سنة ثلاث وعشرين.

وقال مـصعب بن عبـد الله: ولد لست سنين خلت من خلافـة عثمـان، وقال مرة: ولد سنة تسع وعشرين.(١)

صِفَتُهُ: عن محمد بن هلال قال: رأيت عـروة بن الزبير لا يحفى شاربه جداً، يأخذ منه أخذاً حسناً.(٢)

وعن إسحاق بن يحيى قال: رأيت عروة يلبس رداءً معصفراً.(٢)

٢ – ثَنَاءُ العُلَمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً مأموناً ثبتاً.(٢)

وقال أحـمد بن عـبد الله العجلى: مـدنى تابعى ثقة، وكـان رجلاً صـالحاً لم يدخل فى شىء من الفتن.(٣)

وعن عمر بن عـبد العزيز قال: مـا أحدٌ أعلم من عروة بن الزبير، ومـا أعلمه يعلم شيئاً أجهله.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٩).
(٣) تهذيب الكمال (٢٠/ ١٥، ١٦).
(٤) تهذيب الكمال (٢٠/ ١٧).

وعن الزهرى قال: رأيت عروة بحراً لا تكدره الدلاء.[1]

وعن هشام قال: والله، ما تعلمنا جزءً من ألفى جزءٍ من حديث أبى.[1]

وعن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلت مع أبى المسجد، فرأيت الناس قد اجتمعوا على رجل. فقال أبى: انظر من هذا، فنظرت، فإذا هو عروة، فأخبرته وتعجبت فقال: يا بُنى لا تعجب، لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه.[1]

وعن سفيان بن عيينة قال: كان أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن.[2]

وعن أبى الزناد قال: ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة.[3]

وقال الذهبى: وكان ثبتاً، حافظاً، فقيهاً، عالماً بالسيرة، وهو أول من صنف المغازى.[3]

وعن الزهرى قال: كنت آتى عروة، فأجلس ببابه ملياً، ولو شئت أن أدخل دخلت، فأرجع، وما أدخل إعظاماً له.[4]

٣ - حِرْصُهُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ

عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: العلم لواحد من ثلاثة: لذى حسب، يزينه به، أو لذى دين، يسوس به دينه، أو مختبط سلطاناً، يتحفه بعلمه، ولا أعلم أحداً أشرط لهذه الخلال من عروة، وعمر بن عبد العزيز.[5]

وعن هشام عن أبيه قال: لقد رأيتنى قبل موت عائشة بأربع حجج، وأنا أقول:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٥).
(٢) تهذيب الكمال (٢٠/ ٨).
(٣) تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٦)، والمختبط: الذي يسألك بلا وسيلة، ولا معرفة.

لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقـد وعيته، ولقد كان يبلغنى عن الرجل من المهاجـرين الحديث، فآتيه، أجـده قد قال، فأجلس على بابه، فـأسأله عنه. يعنى: إذا خرج.(١)

وعن قبيصة بن ذؤيب قال: كنا فى خلافة معاوية، وإلى آخرها نجتمع فى حلقة بالمسجـد بالليل، أنا، ومصعب وعـروة ابنا الزبير، وأبو بكر ابن عبـد الرحمن بن عوف، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وكنا نتفرق بالنهار، فكنت أنا أجالس زيد ابن ثابت، وهو متـرئس بالمدينة فى القضاء والفـتوى والقراءة والفرائض فى عـهد عمر، وعثمان، وعلىّ، ثم كـنت أنا وأبو بكر ابن عبد الرحمن نجالس أبا هريرة، وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة.(٢)

٤ - عِبَـادَتُـهُ - رَحِمَهُ اللَّـهُ -

عن حماد بن زيد عن هشام بن عروة: أن أباه كان يسرد الصوم.(٣)

وعن علىّ بن المبـارك الهنائى قال: حدثنا هشـام بن عروة: أن أباه كـان يصوم الدهر كله، إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم.(٣)

وعن مـالك بن أنس عن هشام بن عـروة قـال: كنا نسافـر مع عروة فـيصـوم ونفطر، فلا يأمرنا بالصيام، ولا يفطر هو.(٤)

وعن ابن شوذب قال: كان عروة يقـرأ ربع القرآن كل يوم فى المصحف نظراً، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكان وقع فـيها الأكلة فنشرت، وكان إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه، ثم يأذن للناس فيه، فيدخلون، يأكلون ويحملون.(٥)

وعن عبد الـله بن محمد بن عبـيد قال: لم يترك عـروة بن الزبير ورده إلا فى الليلة التى قطعت فيها رجله، قال: وتمثل بأبيات معن بن أوس:

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٠، ١٨١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٦).

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي[1]

٥ – فِرَارُهُ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ وبَنَاءُ قَصْرِهِ

عن هشام بن عروة قال: لما اتخذ عروة قصره بالعقيق، قال له الناس: جفوت مسجد رسول الله ﷺ فقال: إنى رأيت مساجدهم لاهية، وأسواقهم لاغية، والفاحشة فى فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية.[2]

ولعروة فى قصره بالعقيق:

بنيناه فأحسنا بناه ... بحمد الله في خير العقيق

تراهم ينظرون إليه شزرا ... يلوح لهم على وضح الطريق

فساء الكاشحين وكان غيظا ... لأعدائى وسُرَّ به صديقي

يراه كل مختلف وسار ... ومعتمد إلى البيت العتيق

وقيل: لما فرغ من بنائه وبئاره، دعا جماعة فطعم الناس، وجعلوا يباركون، وينصرفون.[3]

وعن عبد الله بن حسن قال: كان علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير فى مؤخر مسجد رسول الله ﷺ بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدثنا ليلة، فذكر جور من جار من بنى أمية، والمقام معهم وهم لا يستطيعون تغيير ذلك، ثم ذكروا ما يخافان من عقوبة الله لهم، فقال عروة لعلىّ: يا علىّ، إن من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٨). (٢) حلية الأولياء (٢/ ١٨٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٨) وقوله: وبئاره، أي حفر آباره، قال الذهبي: وبئر عروة مشهور بالعقيق طيب الماء.

لأعمالهم، فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله، رجىَ له أن يسلم مما أصابهم. قال: فخرج عروة فسكن العقيق.(١)

٦ – قِصَّةُ قُدُومِهِ عَلَى عَبْدِ الْـمَـلِكِ بَعْدَ مَقْتَلِ أخِيهِ

قال ابن عيينة: لما قتل ابن الزبير خرج عروة إلى المدينة بالأموال فاستودعها، وسار إلى عبد الملك فقدم عليه قبل البريد بالخبر، فلما انتهى إلى الباب، قال للبواب: قل لأمير المؤمنين: أبو عبد الله بالباب فقال: من أبو عبد الله؟ قال: قل له كذا، فدخل فقال: ها هنا رجل عليه أثر السفر، قال كيت وكيت، فقال: ذاك عروة، فأذن له، فلما رآه زال له عن موضعه، وجعل يسأله: كيف أبو بكر -يعنى: عبد الله بن الزبير- فقال: قُتل -رحمه الله- فنزل عبد الملك عن السرير، فسجد فكتب إليه الحجاج: إن عروة قد خرج والأموال عنده. قال: فقال له عبد الملك فى ذلك، فقال: ما تدعون الرجل حتى يأخذ سيفه فيموت كريماً، فلما رأى، كتب إلى الحجاج: أن أعرض عن ذلك.(٢)

٧ – قِصَّةُ زَوَاجِهِ مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا-

عن أبى الأسود عن عروة قال: خطبت إلى ابن عمر بنته سودة، ونحن فى الطواف فلم يجبنى بشىء، فلما دخلت المدينة بعده مضيت إليه، فقال: أكنت ذكرت سودة؟ قلت: نعم، قال: إنك ذكرتها ونحن فى الطواف نتخايل الله بين أعيننا، أفلك فيها حاجة؟ قلت: أحرص ما كنت، قال: يا غلام، ادعُ عبد الله بن عبد الله، ونافعاً مولى عبد الله، قال: قلت له: وبعض آل الزبير؟ قال: لا. قلت: فمولى خبيب؟ قال: ذاك أبعد. ثم قال لهما: هذا عروة بن أبى عبد الله، وقد علمتما حاله، وقد خطب إلى سودة، وقد زوجته إياها بما جعل الله للمسلمات على المسلمين من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وعلى أن يستحلها بما يستحل به مثلها، أقبلت يا عروة؟ قلت: نعم. قال: بارك الله لك.(٣)

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٢، ٤٣٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٢).

٨ - صَبْرُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن هشام بن عروة عن أبيه: وقعت الأكلة فى رجله، فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: إن شئتم. فجاء الطبيب فقال: أسقيك شراباً يزول فيه عقلك، فقال: امض لشأنك ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً ويزول فيه عقله، حتى لا يعرف ربه. قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى، ونحن حوله فما سمعنا له حساً، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة.(١)

وقال عام بن صالح عن هشام بن عروة: إن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادى القرى وجد فى رجله شيئاً فظهرت به قرحة، ثم ترقى به الوجع، فلما قدم على الوليد قال: يا أبا عبد الله، اقطعها. قال: دونك، فدعا له الطبيب وقال له: اشرب المرقدَ، فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على أن قال: حسٍّ حسٍّ. فقال الوليد: ما رأيت شيخاً قط أصبر من هذا.

وأصيب عروة فى هذا السفر بابنه محمد، ركضته بغلة فى إصطبل، فلم نسمع منه كلمة فى ذلك، فلما كان بوادى القرى، قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (الكهف: ٦٢)، اللهم كان لى بنون سبعة، فأخذت منهم واحداً وأبقيت لى ستة، وكان لى أطراف أربعة، فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة، فإذا ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت.(٢)

وعن عبد الله بن عروة: أن أباه نظر إلى رجله فى الطست، فقال: الله يعلم أنى ما مشيت بها إلى معصية قط، وأنا أعلم.(٣)

وعن عبد الملك بن عبد العزيز وغيره: أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك، وقد قطعت رجله، فقال لبعض

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٠-٢١). (٢) تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٧).
(٣) تاريخ الإسلام (٦/ ٤٢٧، ٤٢٨).

بنيه: اكشف لعمك عن رجلى، ينظر إليهـا، فنظر، فقال عيسى بن طلحة: يا أبا عبد الله، ما أعـددنا للصراع ولا للسباق، وقد بقَّى الله لنا مـا كنا نحتاج إليه منك، رأيك وعلمك. فقال عروة: ما عزانى أحدٌ عن رجلى مثلك.(١)

وقال ابن خلكان: كان أحسن من عزاه إبراهيم بن مـحمد بن طلحة، فقال: والله، ما بك حاجة إلى المشى، ولا أرب فى السعى، وقـد تقدمك عضو من أعضائك، وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض -إن شـاء الله- وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء من علمك ورأيك، والله ولى ثوابك، والضمين بحسابك.(٢)

٩ – شُيُوخُـهُ وَتَلامِذَتُـهُ – رَحِمَهُمُ اللَّهُ –

شُيُـوخُـهُ: قال الحافظ: روى عن أبيه، وأخيه عبد الله، وأمه أسماء بنت أبى بكر، وعلىّ بن أبى طالب، وسعـيد بن زيد بن عمرو بن نفـيل، وحكيم بن حزام وزيد ابن ثابت، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، وأسـامة بن زيد، وأبى أيوب، وأبى هريرة، وحجاج الأسلمى، وسفيان بن عبد الله الثقفى، وعمـرو بن العاص، ومحمد بن مسلمة، والمسور بن مخرمة، والمغيـرة بن شعبة، وناجية الأسلمى، وأبى حميـد الساعدى، وهشام بن حكيم بن حزام، ويسـار بن مكرم، وبسرة بنت صفـوان، وزينب بنت أبى سلمة، وعـمر بن أبى سلـمة، وأمـهمـا أم سلمـة زوج النبى ﷺ ، وأم هانئ بنت أبى طالب، وأم حبيبـة بنت أبى سفيان، وجابر بن عبد الـله الأنصارى، والنعمان بن بشير، وعبـيد الله بن عدى بن الخيار، ومروان بن الحكم، وبشيـر بن أبى مسعود الأنصارى، وحمران مولى عثمان، وعـبد الله بن زمعة بن الأسود، وعبد الرحمن ابن عبد القارى، ونافع بن جبيـر بن مطعم، وأبى مراوح الغفارى، وأبى سلمة بن عبد الرحمن، وهو من أقرانه، وخلق كثير.(٣)

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢١).   (٢) وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٦).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٣، ١٦٤).

تَلامِذَتُهُ: قال الحافظ: وعنه: أولاده: عبد الله، وعثمان، وهشام، ومحمد، ويحيى، وابن ابنه عمر بن عبد الله بن عروة، وابن أخيه محمد بن جعفر بن الزبير، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يتيم عروة، وحبيب مولاه، وزميل مولاه، وسليمان بن يسار، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن، وأبو بردة بن أبى موسى، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة، وهم من أقرانه، وتميم بن سلمة السلمى، وسعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان بن عفان، وصالح ابن كيسان، والزهرى، وعبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، وأبو الزناد، وابن أبى مليكة، وعبد الله بن دينار بن مكرم الأسلمى، وعبد الله البهى، وعراك بن مالك، وعطاء بن أبى رباح، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، ومحمد بن إبراهيم التيمى، ويزيد بن عبد الله بن خصيفة، وأبو بكر ابن حفص بن عمر بن سعد ابن أبى وقاص، وجعفر بن محمد بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ، وصفوان بن سليم، ويحيى بن أبى كثير، وقيل: لم يسمع منه، وآخرون.(١)

١٠- دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ -رحمه اللَّهُ-

عن هشام بن عروة قال: قال عروة لبنيه: يا بنى لا يهدين أحدكم إلى ربه -عز وجل- ما يستحى أن يهديه إلى كريمه، إن الله -عز وجل- أكرم الكرماء، وأحق من اختير إليه.

وكان يقول: يا بنى تعلموا فإنكم إن تكونوا صغراء قومٍ عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتاه، ماذا أقبح من شيخ جاهل؟!

وكان يقول: إذا رأيتم خلة شرٍّ رائعة من رجل فحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق، فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم خلة خير رائعة من رجل فلا تقطعوا عن إياسكم، وإن كان عند الناس رجل سوء، فإن لها عنده أخوات، وقال: الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم.(٢)

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٤). (٢) حلية الأولياء (٢/ ١٧٧).

وعن هشام عـن أبيه قال: مكتـوب فى الحكمة: لتكـن كلمتك طيبـة، وليكن وجهك بسطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.[1]

وعن معاوية بن إسحاق عن عروة قال: ما برَّ والده من شدَّ الطرف إليه.[2]

وقال هشام: قال أبى: ربَّ كلمة ذل احتملتها أورثتنى عزاً طويلاً.[3]

وقال: ما حدثت أحداً بشىء من العلم قط لا يبلغه عقله، إلا كان ضلالة عليه.[4]

١١ - وَفَـاتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّـهُ -

قال الزبـير: توفى عروة وهو ابـن سبع وستـين سنة، وقال ابن المديـنى: مات عروة سنة ثلاث وتسعين، وقـال الهيثم والواقدى، وأبو عبيـدة، ويحيى بن معين والفلاس: سنة أربع وتسعين.[5]

وقـال معـاوية بن صالح عن يحـيى بن معـين فى «تسـميـة تابعى أهل المدينة ومحدثيهم»: أبو بكر ابن عبد الرحمن مات سنة أربع وتسعين، وعروة بن الزبير، وسعيد، وعلى بن الحسين، وكان يقال: سنة الفقهاء.[6]

وعن عبـد الحكيم بن عبـد الله بن فروة قال: مـات عروة بن الزبيـر فى أمواله بمجاح من ناحية الفرع، ودفن هناك يوم الجمعة سنة أربع وتسعين.[7]

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٤).
(٦) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٤).
(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ١٨٢).

مِنَ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٤)

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر

فمع السلسلة المباركة (من أعلام السلف)، والفارس فى هذه الجولة إمام من أئمة المسلمين، اشتهر بالعبادة والبكاء، وكان كاسمه بالطاعة سعيداً، ونرجو أن يكون عند الله شهيداً.

ولىٌّ من أولياء الله الصالحين، مستجاب الدعوة، عن أصبغ بن زيد قال: كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالى حتى أصبح، فلم يصلِّ سعيد تلك الليلة، فشق عليه، فقال: ما له، قطع الله صوته؟ فما سمع له صوت بعدُ، فقالت له أمه: لا تدعُ على شيء بعدها.(١)

هذا السعيد عذبه الحجاج حتى قتله، وكان يمكن أن يدعو على الحجاج فلم يفعل، والذى دعا به أن يكون آخر من يقتله الحجاج، وقلع الله الحجاج، وأراح البلاد والعباد من شره، وكان ذلك بعد مقتل سعيد بمدة يسيرة، كان ابن عباس -حبر الأمة وترجمان القرآن- إذا سأله أحد من أهل الكوفة يحيل عليه، ويقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟!

إنه السعيد الذى بكى بالليل حتى عمش، تابع ابن الأشعث عندما خرج على الحجاج، ودعا الناس إلى قتال الحجاج، لجوره، وتجبره، وإماتة الصلاة، واستذلال المسلمين، فلما انهزم ابن الأشعث، فرَّ سعيد بن جبير إلى مكة، وظل مختفياً اثنتى

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٣).

عشرة سنة، ثم ظفر به الحجاج في السنة التي هلك فيها، لما أراده الله -عز وجل- للحجاج الثقفي -لعنة الله على الظالمين- من سوء الخاتمة، وكذا لسوق السعادة والشهادة لابن جبير، فقتله أشنع قتلة، وهو صابر محتسب، راغب في فضل الله -عز وجل- والجنة، فنسأل الله -عز وجل- أن يرفعه فوق كثير من خلقه لصبره وعبادته، وبذله وشهادته، ونسأله -عز وجل- أن يرزقنا شهادة في سبيله، مقبلين غير مدبرين، وصلى الله وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، وآل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرِّ الميامين، والحمد لله رب العالمين.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، مولاهم، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أحد الأعلام.

مَوْلِدُهُ: لم يصرح أحد من المترجمين بميعاد مولده، وصرحوا بأن مقتله في شعبان سنة خمس وتسعين، وقد قال لابنه: ما بقاء أبيك بعد سبعة وخمسين؟ وعلى ذلك يكون ميلاده سنة ثمانية وثلاثين من الهجرة، وقد صرح الذهبي بأن ميلاده في خلافة أبي الحسن عليّ بن أبي طالب ﷺ وقال بعضهم: له تسع وأربعون، فيكون ميلاده سنة ست وأربعين.

صِفَتُهُ: قال الذهبي: روى أنه كان أسود اللون.

عن عبد الله بن نمير عن فطر قال: رأيت سعيد بن جبير أبيض الرأس واللحية.(١)

عن أيوب قال: سئل سعيد بن جبير عن الخضاب بالوسمة، فكرهه، وقال: يكسو الله العبد النور في وجهه، ثم يطفئه بالسواد.(٢)

وعن إسماعيل بن عبد الملك قال: رأيت على سعيد بن جبير عمامة بيضاء.(٢)

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٦٧). (٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٧).

وعن القاسم الأعرج قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.[1]

٢ - ثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن جعفر بن أبي المغيرة: كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟! يعنى سعيد بن جبير.[2]

وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير، وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.[2]

وعن أشعث بن إسحاق قال: كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء.[1]

وعن أسلم المنقرى: عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال: ائت سعيد بن جبير، فإنه أعلم بالحساب منى، وهو يفرض منها ما أفرض.[3]

قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبرى: هو ثقة، إمام حجة على المسلمين.[4]

وقال إبراهيم النخعي: ما خلف سعيد بن جبير بعده مثله.[5]

وعن خصيف قال: كان أعلمهم بالقرآن مجاهد، وأعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام طاووس، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب، وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير.[6]

وعن على ابن المدينى قال: ليس فى أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير، قيل: ولا طاووس؟ قال: ولا طاووس ولا أحد.[6]

٣ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن هلال بن خباب قال: خرجنا مع سعيد بن جبير فى جنازة، فكان يحدثنا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٣٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٨).
(٤) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٧٦).
(٥) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٦٧).
(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤١).

في الطريق ويذكرنا، حتى بلغ، فلما جلس لم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا، وكان كثير الذكر لله.(١)

وعن هلال بن خباب قال: خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يخرج كل سنة مرتين، مرة للحج، ومرة للعمرة.(٢)

وعن نصيف قال: رأيت سعيد بن جبير صلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح، قال: فأتيته فصليت إلى جنبه، وسألته عن آية من كتاب الله فلم يجبني، فلما صلى الصبح قال: إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله، حتى تصلي الصبح.(٣)

وعن أبي جرير: أن سعيد بن جبير قال: لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر، تعجبه العبادة، ويقول: أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة.(٣)

وعن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير: أنه كان ينكر أن يتكفأ الرجل في صلاته، قال: وما رأيته قط يصلي إلا وكأنه وتدٌ.(٤)

وعن هشام بن حسان قال: قال سعيد بن جبير: إني لأزيد في صلاتي من أجل ابني هذا. قال هشام: رجاء أن يحفظ فيه.(٥)

وعن عمر بن ذرٍّ: كتب سعيد بن جبير إلى أبي كتاباً، أوصاه بتقوى الله، وقال: إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة، فذكر الفرائض والصلوات، وما يرزقه الله من رزقه.(٦)

وعن القاسم بن أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة ﴿ واتَّقُوا يوماً تُرْجَعُون فيه إلى اللَّه ﴾ (البقرة: ٢٨١).(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٧).
(٢) حلية الأولياء (٤/ ٢٧٥).
(٣) حلية الأولياء (٤/ ٢٨١).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٦).
(٥) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٦٦).
(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٦).
(٧) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٤).

وعن أبى شهاب قال: كان سعيد بن جبير يصلى العتمة فى رمضان، ثم يرجع فيمكث هنيهة، ثم يرجع فيصلى بنا ست ترويحات، ويوتر بثلاث، ويقنت بقدر خمسين آية.(١)

٤- تَوَكُّلُهُ وَخَشْيَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن ضرار بن مرة الشيبانى عن سعيد بن جبير قال: **التوكل على الله جماعُ الإيمان**.(٢)

وعن أبى سنان عن سعيد بن جبير: **أنه كان يدعو: اللهم إنى أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك**.(٣)

عن موسى بن رافع قال: **دخلت على سعيد بن جبير بمكة، وقد أخذه صداع شديد، فقال له رجل ممن عنده: هل لك أن نأتيك برجل يرقيك من هذه الشقيقة؟** قال: **لا حاجة لى فى الرقى**.(٤)

وعن أبى سنان عن سعيد بن جبير قال: **لدغتنى عقرب، فأقسمت علىَّ أمى أن أسترقى، فأعطيت الراقى يدى التى لم تلدغ، وكرهت أن أحنثها**.(٥)

وعن القاسم الأعرج قال: كان سعيد بن جبير **يبكى بالليل حتى عمش**.(٥)

وروى عن سعيد بن جبير: **لو فارق ذكر الموت قلبى، لخشيت أن يفسد على قلبى**.(٥)

٥ - مِحْنَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبى: خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، ثم إنه اختفى، وتنقل فى النواحى اثنتى عشرة سنة، ثم وقعوا به، **فأحضروه إلى الحجاج، فقال: يا شقى**

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٠).
(٢) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٦٤).
(٣) تهذيب الكمال (١٠/ ٣٦٥).
(٤) حلية الأولياء (٤/ ٢٨٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٣٣).

ابن كسير -يعني: ما أنت سعيد بن جبير- أما قدمت الكوفة، وليس يؤم بها إلا عربى، فجعلتك إماماً؟ قال: بلى. قال: أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة، وقالوا: لا يصلح للقضاء إلا عربى، فاستقضيت أبا بردة ابن أبى موسى الأشعرى، وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك؟ قال: بلى. قال: أما جعلتك فى سُمّارى، وكلهم رؤوس العرب؟ قال: بلى. قال: أما أعطيتك مئة ألف تفرقها على أهل الحاجة؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك علىَّ؟ قال: بيعة كانت فى عنقى لابن الأشعث، فغضب الحجاج، وقال: أما كانت بيعة أمير المؤمنين فى عنقك من قبل؟ يا حرسى، اضرب عنقه، فضرب عنقه -رحمه الله-.(١)

وعن أبى حصين قال: رأيت سعيداً بمكة، فقلت: إن هذا قادم -يعنى خالد بن عبد الله- ولست آمنه عليك، قال: والله، لقد فررت حتى استحييت من الله.(٢)

قال الذهبى: طال اختفاؤه، فإن قيام القراء على الحجاج كان فى سنة اثنتين وثمانين، وما ظفروا بسعيد إلا سنة خمس وتسعين، السنة التى قلع الله فيها الحجاج.(٣)

وعن أبى اليقظان قال: كان سعيد بن جبير يقول يوم دير الجماجم وهم يقاتلون: قاتلوهم على جورهم فى الحكم، وخروجهم من الدين، وتجبرهم على عباد الله، وإماتتهم الصلاة، واستذلالهم المسلمين، فلما انهزم أهل دير الجماجم، لحق سعيد بن جبير بمكة، فأخذه خالد بن عبد الله فحمله إلى الحجاج مع إسماعيل بن أوسط البجلى.(٤)

قال محمد بن سعد: كان الذى قبض على سعيد بن جبير والى مكة خالد ابن عبد الله القسرى، فبعث به إلى الحجاج، فأخبرنا يزيد عن عبد الملك بن أبى سليمان قال: سمع خالد بن عبد الله صوت القيود، فقال: ما هذا؟ قيل:

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٦٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٣٥).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٥).

سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، وأصحابهما يطوفون بالبيت، فقال: اقطعوا عليهم الطواف.[1]

وعن أبي صالح قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج، فبكى رجل، فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك. قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، وتلا: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا**﴾ (الحديد: ٢٢).[2]

وعن سالم بن أبي حفصة قال: لما أتى سعيد بن جبير الحجاج، قال: أنت شقي ابن كسير؟ قال: أنا سعيد بن جبير. قال: لأقتلنك. قال: أنا إذن كما سمتني أمي، قال: دعوني أصلي ركعتين. قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ (البقرة: ١١٥)، قال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم. قال: ما عاذت به مريم؟ قال: ﴿**قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ (مريم: ٨).

قال سليمان التيمي: كان الشعبي يرى التَّقية، وكان ابن جبير لا يرى التَّقية، وكان الحجاج إذا أتى بالرجل -يعني: ممن قام عليه- قال له: أكفرت بخروجك عليَّ؟ فإن قال: نعم، خلى سبيله، فقال لسعيد: أكفرت؟ قال: لا. قال: اختر أي قتلة أقتلك. قال: اختر أنت، فإن القصاص أمامك.[3]

وعن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير، قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رُزقها، وأنا أنظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

قال الذهبي: ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكترث، وإلا عامل عدوه بالتَّقية المباحة له -رحمه الله تعالى-.[4]

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٤)، والسير (٤/ ٣٣٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٣٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٣٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٠).

قال الذهبي: ويروى أن الحجاج رئى فى النوم، فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلنى بكل قتيل قتلة، وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

روى: أنه لما احتضر كان يغوص ثم يفيق، ويقول: ما لى وما لك يا سعيد ابن جبير.[١]

وقال ابن عيينة: لم يقتل بعد سعيد إلا رجلاً واحداً.[٢]

٦ - عِلْمُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالتَّفْسِيرِ

سعيد بن جبير هو أكبر تلامذة ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن، وقد أخذ عنه علماً كثيراً، وقد كان أهل الكوفة يسألونه، فيقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء، أى: سعيد بن جبير؟! وهذه بعض آثاره فى التفسير -رحمه الله-.

عن الربيع بن أبى راشد عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ (العنكبوت: ٥٦)، قال: إذا عمل فى أرضٍ بالمعاصى فاخرجوا.[٣]

وعن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قوله -عز وجل-: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، قال: اذكرونى بطاعتى، أذكركم بمغفرتى.[٣]

وعن عطاء عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ قال: ما سنوا.[٣]

وعن أبى سنان ضرار بن مرة عن سعيد فى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ قال: الصلاة فى الجماعة.[٤]

وعن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ قال: الأيدى القوة فى العلم، والبصر فيما هم فيه من أمر دينهم.[٣]

---

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٦٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٨).
(٣) حلية الأولياء (٤/ ٢٨٤).
(٤) حلية الأولياء (٤/ ٢٨٦).

وعن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير ﴿يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ قال: يقول: سوف أتوب.(١)

وعن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير فى قوله -عز وجل-: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ قال: لا ترضوا أعمالهم.(٢)

٧ - شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -

شُيُوخُهُ: قال المزى: روى عن أنس بن مالك، والضحاك بن قيس الفهرى، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مغفل، وعدى بن حاتم، وعمرو بن ميمون الأودى، وأبى سعيد الأنصارى، وأبى موسى الأشعرى، وأبى هريرة، وعائشة.(٣)

تَلامِذَتُهُ: قال الحافظ: وعنه: ابناه: عبد الملك، وعبد الله، ويعلى بن حكيم، ويعلى بن مسلم، وأبو إسحاق السبيعى، وأبو الزبير المكى، وآدم بن سليمان، وأشعث بن أبى الشعثاء، وأيوب، وبكير بن شهاب، وثابت بن عجلان، وحبيب ابن أبى ثابت، وجعفر بن أبى وحشية، وجعفر بن أبى المغيرة، والحكم بن عتيبة، وحصين بن عبد الرحمن، وسماك بن حرب، والأعمش، وابن خثيم، وذر بن عبد الله المربعى، وسالم الأفطس، وسلمة بن كهيل، وطلحة بن مصرف، وعبد الله بن سليمان، وعطاء بن السائب، وعمرو بن أبى عمرو مولى المطلب، وعمرو بن مرة، والقاسم بن أبى بزة، ومحمد بن سوقة، ومنصور بن المعتمر، والمنهال بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، ووبرة بن عبد الرحمن، وخلق.(٤)

٨ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ -رحمه اللَّهُ-

عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية. الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد

---

(١) الزهد للإمام أحمد (٣٧٠).
(٢) الزهد للإمام أحمد (٣٧١).
(٣) تهذيب الكمال (١٠/٣٥٨، ٣٥٩).
(٤) تهذيب التهذيب (٤/١١).

ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإنْ أكثر التسبيح وتلاوة القرآن.(١)

وعن حبيب بن أبى ثابت قال: قال لى سعيد بن جبير، لأن أنشر علمى أحب إلىَّ من أن أذهب به إلى قبرى.(٢)

وعن هلال بن خباب قال: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.(٣)

وعن عمر بن حبيب قال: كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث، فقلنا له فى ذلك، فقال: انشر بزك حيث تعرف.(٣)

وعن عبد الملك بن سعيد بن جبير قال: قال أبى: أظهر اليأس مما فى أيدى الناس، فإنه غناء، وإياك وما يعتذر منه، فإنه لا يعتذر من خير.(٤)

وعن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير قال: لأن أضرب على رأسى أسواطاً أحب إلىَّ من أن أتكلم والإمام يخطب يوم الجمعة.(٥)

وعن أيوب قال: حدث سعيد بن جبير بحديث، قال: فتبعته أستزيده، فقال: ليس كل حين أحلب فأشرب.(٦)

وعن جعفر عن سعيد قال: من عطس عنده أخوه المسلم فلم يشمته، كان ديناً يأخذه به يوم القيامة.(٧)

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبى: وكان قتله فى شعبان سنة خمس وتسعين، ومن زعم أنه عاش تسعاً وأربعين سنة لم يصنع شيئاً، وقد مر قوله لابنه: ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين.(٨)

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ٢٧٦).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٦).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦١، ٢٦٢).
(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦٠).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٩).
(٧) حلية الأولياء (٤/ ٢٨٩).
(٨) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤١، ٣٤٢).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٥)

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيز

فهذه الترجمة الخامسة من هذه السلسلة المباركة (من أعلام السلف)، وهى فى ترجمة الخليفة الزاهد، والإمام العابد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- ولو أنصفناه لكان هو المستفتح به هذه السلسلة، لتقدمه فى المجد على من سلف، ولمزيد الفضل والشرف، إنه المجدد الأول لشباب الإسلام على رأس المئة الأولى، ومن أعطر الناس سيرة، وأطيبهم سريرة، أقبلت عليه الدنيا بخيلها ورَجْلها، ملأ الأرض عدلاً، بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً، وغير وجه الأرض فى سنتين وخمسة أشهر، قضى بعدها نحبه، ولقى ربه.

قال أبو نعيم فى ترجمته: كان واحد أمته فى الفضل، ونجيب عشيرته فى العدل، جمع زهداً وعفافاً، وورعاً وكفافاً، شغله آجل العيش من عاجله، وألهاه إقامة العدل عن عاذله، كان للرعية أمناً وأماناً، وعلى من خالفه حجة وبرهاناً، كان مفوهاً عليماً، ومفهماً حكيماً.[١]

ونحن إذ نتشرف بنشر فضائله، ونظم مآثره، نرجو من الله الجليل الخير الجزيل.

قال أحمد بن حنبل -رحمه الله-: إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز، ويذكر محاسنه وينشرها، فاعلم أن من وراء ذلك خيراً -إن شاء الله-[٢] ومن يقرأ

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٥٤).

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى. حققه نعيم زرزور (٧٥) طبعة: دار الكتب العلمية.

سيرة هذا الإمـام ولا يمتلئ قلبه بحبـه، وقد جمع الفضائل، وتـنزهت نفسه عن القصور والرذائل؟!

ظهرت عليه علامات النجابة منذ الصغـر، فختم القرآن، ولم يشتغل بما يشتغل به الأمراء من الترف والثراء، ولكنه طلب الشرف الحقيقى والعزّ الدائم، فرحل إلى مدينة رسول الله ﷺ وجالس فقهاء المدينة، وأخـذ من علمهم وهديهم وسمتهم، وما تطلع يوماً للخـلافة، ولم يكن فى نسل من تصيبه، فـقد كان من ولد عبد العزيز بن مروان، وكانت الخـلافة فى نسل عبد الملك بن مروان، ولكن القدر الأعلى اختـاره لها، وعلى حداثة سنه وقصـر مدته، حيث كانت شـبيهة بـخلافة الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ : رد المظالم، واستـعمل أهل الخير والصلاح، وعزل أهل الجـور والفسـاد، حتى صـار استـعمـاله للرجل تعـديلاً له عند أئمة الجـرح والتعديل، يقـولون: استعمله عـمر بن عبد العزيز، فـأعز الله به الملة، ورفع منار السنة، وأخمـد نار البدعة، فصـار أهل البدع مقهـورين أذلاء، ولا يجرؤون على الجهـر ببدعـتهم، وأمـر بكتابة الحـديث وجمـعه، فكثـر الخير، وعـم الصلاح، وانتظمت أمور العباد.

عن عوانة بن الحكم قال: لما استخلف عمر بن عـبد العزيز، وفد الشعراء إليه، فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم، فبينـما هم كذلك يوماً، وقد أزمعوا على الرحيل، إذ مر بهم رجـاء بن حيوة -وكان من خطـباء أهل الشام-، فلما رآه جـرير داخلاً على عمر بن عبد العزيز، أنشد يقول:

يا أيُّهـا الرَّجُلُ الـمُـرْخـي عـمـامَـتَـهُ ... هَذا زَمَـانُكَ فَـاسْـتَـأذِنْ لَنَا عُـمَـرا

قال: فدخل، ولم يذكر من أمرهم شيئاً، ثم مر بهم عدى بن أرطاة، فقال جرير:

يـا أيُّهـا الرَّكْبُ الـمُـزْجي مَطيَّـتَـهُ ... هَذا زَمَـانُكَ إنِّي قَـدْ مَـضَى زَمَني

أبلغْ خليـفـتنا إنْ كُنْت لاقـيَـهُ ... أنِّي لَدَى البَـابِ كـالمصْـفُـودِ في قَـرَنِ

لا تنْس حـاجـتنا لُقّـيتَ مـغـفـرَةً ... قَـدْ طَالَ مُكْثي عَنْ أهْلي وَعَنْ وَطَني

قال: فدخل عدى على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك، وسهامهم مسمومة، وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدى!! ما لى وللشعراء؟! قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله ﷺ امتدح فأعطى، ولك فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، قال: كيف؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمى، فأعطاه حُلَّة، فقطع بها لسانه.[1]

فأذن -رحمه اللهُ- لجرير فى الدخول عليه، فدخل وهو يقول:

إنَّ الَّذي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّداً ... جَعَلَ الخِلافَةَ للإِمَامِ الْعَادِلِ

وَسِعَ الخَلافَةَ عَدْلُهُ وَوَقَارُهُ ... حَتَّى ارْعَوَى وَأَقَامَ مَيْلَ المائِلِ

إنِّي لأرجو فِيكَ خَيْراً عَاجِلاً ... وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ[2]

فقال: يا جرير، ما أرى لك فيما هاهنا حقاً. قال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن سبيل، ومنقطع بى فأعطاه من صلب ماله مئة درهم، ثم خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسوؤكم، خرجت؟ من عند أمير المؤمنين، وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء، وإنى عنه لراضٍ، وأنشأ يقول:

رَأَيْتُ رُقَى الشَّيْطَانِ لا تَسْتَفِزُّهُ ... وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الجِنِّ رَاقِيَا[3]

ونسأل الله -عز وجل- أن يمن على أمة الإسلام بعمر، يعيد إلى الأمة عزها ومجدها، والله الموفق للطاعات، والهادى لأعلى الدرجات.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد،

---

(١) سيرة عمر، لابن الجوزى (١٩٨) مختصراً.

(٢) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٠٠) مختصراً.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز (٢٠١) مختصراً.

الزاهد، العـابد، السيـد، أميـر المؤمنين حـقاً، أبو حـفص، القرشى، الأمـوى، المدنى، ثم المصرى، الخليفة الزاهد، الراشد، أشج بنى أمية.(١)

مَوْلِدُهُ: ولد عمـر بحلوان قرية بمصر، وأبوه: أمـير عليها سنة إحـدى -وقيل: ثلاث- وستين، وأمه: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.(٢)

قال الفـلاس: سمعت الخريبى يقـول: الأعمش، وهشام بن عروة، وعـمر بن عبـد العزيز، وطلحـة بن يحيى، ولدوا سـنة مقتل الحـسين، يعنى: سـنة إحدى وستين، وكذلك قال خليفة بن خياط وغير واحد فى مولده.(٣)

صِفَتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: قال سعـيد بن عفيـر: كان أسمر، رقيق الـوجه، حسنه، نحيف الجسم، حسن اللحية، غائر العينين، بوجهه أثر نفحة دابة.(٤)

قال حمزة بن سعيد: دخل عمـر بن عبد العزيز إصطبل أبيه، وهو غلام فضربه فرس فشجه، فجـعل أبوه يمسح عنه الدم، ويقول: إن كنت أشجَّ بنى أمية، إنك إذن لسعيد.(٥)

وعن يحيى بن فلان قال: قدم محمد بن كعب القرظى على عمر بن عبد العزيز، قال: وكان عـمر حسن الجسـم، قال: فجعل ينظر إليـه نظراً شديداً، لا يطرف، قـال: فقـال: ابن كـعب، ما لى أراك تنـظر إلىَّ نظراً لم تكن تنظر إلىَّ من قـبل ذلك. قال: يا أميـر المؤمنين، عهدى بك حسن الجسم، وأراك وقـد اصفرَّ لونك، ونحل جسمك، وذهب شعرك، فـقال: يا ابن كعب، فكيف بك لو قد رأيتنى فى قبرى بعد ثلاث، وقد انتدرت الحدقتان على وجنتى، وسال منخراى وفمى صديداً ودوداً، لكنت لى أشد نكرة.(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى (٥/ ١١٤).
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى (٢٨٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٥، ١١٦).
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٧٠) وانظر: سير ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزى (١٥).

قال الثعلبى فى «لطائف المعارف»: كان عمر بن الخطاب أصلع، وعثمان، وعلى، ومروان بن الحكم، وعمر بن عبد العزيز، ثم انقطع الصلع عن الخلفاء.[1]

٢ - ابْتِدَاءُ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ وَاسْتِخْلافُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن الزبير بن بكار عن العتبى قال: إن أول ما استبين من عمر بن عبد العزيز: أن أباه ولى مصر، وهو حديث السن، يشك فى بلوغه، فأراد إخراجه، فقال: يا أبت، أو -غير ذلك- لعله أن يكون أنفع لى ولك، ترحلنى إلى المدينة، فأقعد إلى فقهاء أهلها، وأتأدب بآدابهم، فوجهه إلى المدينة، فاشتهر بها بالعلم والعقل، مع حداثة سنه. قال: ثم بعث إليه عبد الملك بن مروان عند وفاة أبيه، وخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوّجه بابنته فاطمة، التى قيل فيها:

بِنْتُ الْخَلِيفَةِ وَالْخَلِيفَةُ جَدُّهَا ... أُخْتُ الْخَلائِفِ وَالْخَلِيفَةُ زَوْجُهَا

وقال أبو مسهر: ولى عمر المدينة فى إمارة الوليد، من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين.[2]

وقال السيوطى: جمع القرآن وهو صغير، وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم، فلما توفى أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق، وزوّجه ابنته فاطمة، وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضاً، إلا أنه كان يبالغ فى التنعم، والاختيال فى المشية، فلما ولى الوليد الخلافة أمر عمر المدينة، فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وعزل فقدم الشام.

ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد، وأن يعهد إلى ولده، فأطاعه كثير من الأشراف طوعاً وكرهاً، فامتنع عمر بن عبد العزيز، وقال: لسليمان فى أعناقنا بيعة، وصمَّم، فطيَّن عليه الوليد[3]، ثم شفع فيه بعد ثلاث، فأدركوه وقد مالت عنقه، فعرفها له سليمان، فعهد إليه بالخلافة.[4]

---

(١) نقلاً عن تاريخ الخلفاء للسيوطى (٢٤٤). (٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٧) باختصار.

(٣) أى أدخله حجرة، وسد جميع منافذها بالطين، حتى يموت جوعاً.

(٤) تاريخ الخلفاء (٢٩٩، ٢٣٠).

عن رجاء بن حيوة قـال: لما كان يوم الجمعة، لبس سليمـان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خزٍّ، ونظر فى المرآة، فقال: أنا والله، الملك الشاب، فخرج إلى الصلاة يصلى بالناس الجمعة، فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب، وهو غـلام لم يبلغ. فقلت: مـا تصنع يا أمـير المؤمنين؟ إن مما يحـفظ به الخليفة فى قبره أن يستخلف الرجلَ الصالح. فقال: كتابٌ أستخير الله فيه، وأنظر ولم أعزم عليه. فـمكث يوماً أو يومين ثم خرقه، ثم دعانى، فـقال: ما ترى فى داود بن سليـمان؟ فـقلت: هو غـائب بقـسطنطينيـة، وأنت لا تدرى أحى هو أو ميت. قال: يا رجاء، فمن ترى؟ فقلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أن أنظر من تذكر، فـقال: كـيف ترى فى عمـر بن عبد الـعزيز؟ فقلت: أعلـمه -والله- فاضــلاً خياراً مسلمـاً. قال: هو -والله- على ذلك، ولئن وليتـه ولم أولِ أحداً من ولد عبد الملك، لتـكونن فتنة، ولا يتركونه أبداً يلى عليـهم، إلا أن أجعل أحدهم بعده -ويزيد بن عبـد الملك يومئذ غائب على الموسم- قـال: فاجعل يزيد بن عبد الملك بعده، فإن كان مما يسكنهم ويرضون به.

قلت: رأيك، فكتب بيده:

عهد سليمان إلى عمر:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عـبد الله سليمان أميـر المؤمنين لعمر بن عبد العـزيز، إنى وليته الخلافة بعدى، ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا، فيُطمع فيكم.[1]

وعن سهل بن يحيى بن مـحمد المروزى قال: أخبرنى أبى عن عـبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمرُ بن عبد العزيز سليمانَ بن عبد الملك، وخرج من قـبره، سـمع للأرض هَدّةً أو رَجَّةً، فقـال: ما هذا؟ فـقيل: هذه

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزى (٥٩، ٦٠).

مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين، قربت إليك لتركبها. فقال: ما لى ولها، نَحُّوهَا عنى، قرّبوا إلىَّ بغلتى، فقربت إليه بغلته فركبها، فجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة. فقال: تنحَ عنى، ما لى ولك إنما أنا رجل من المسلمين، فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فقال: أيها الناس، إنى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى، فاختاروا لأنفسكم.

فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فَلِ أمرنا باليمن والبركة. فلما رأى الأصوات قد هدأت، ورضى به الناس جميعًا، حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبى ﷺ، وقال: أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شىء، وليس من تقوى الله -عَزَّ وَجَلَّ- خلف، واعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله -تبارك وتعالى- أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم- عليه السلام -أبًا حياً لمعرَّقٌ له فى الموت، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها -عَزَّ وَجَلَّ- ولا فى نبيها ﷺ، ولا فى كتابها، وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم، وإنى -والله- لا أعطى أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً.

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس، فقال:

يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم.[١]

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (٦٥، ٦٦).

٣ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ وَمَحَبَّةُ الْـخَلْقِ لَهُ

قال سفيان الثورى: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ، وعمر ابن عبد العزيز.[١]

وعن زيد بن أسلم عن أنس ﷺ قال: ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى-يعنى: عمر بن عبد العزيز- وهو أمير على المدينة. قال زيد بن أسلم: فكان يتم الركوع والسجود، ويخفف القيام والقعود. له طرق عن أنس أخرجه البيهقى فى «سننه» وغيره.[٢]

وسئل محمد بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز، فقال: هو نجيب بنى أمية، وإنه يبعث يوم القيامة أمَّة وحده.[٣]

وعن سفيان قال: كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة.[٤]

ولما جاء نعى عمر بن عبد العزيز، قال الحسن: مات خير الناس.[٤]

وعن أبى سعيد الفريابى قال: قال أحمد بن حنبل: إن الله تعالى يقيض للناس فى كل رأس مئة سنة من يعلمهم السنن، وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا فإذا فى رأس المئة عمر بن عبد العزيز، وفى رأس المائتين الشافعى.[٥]

وعن سهيل بن أبى صالح قال: كنت مع أبى غداة عرفة، فوقفنا لننظر لعمر بن عبد العزيز، وهو أمير الحج، فقلت: يا أبتاه، والله، إنى لأرى الله يحب عمر، قال: لِمَ؟ قلت: لما أراه دخل له فى قلوب الناس من المودة، وأنت سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّه عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إن اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلانًا فَأَحِبّوهُ».[٦]

---

(١) تاريخ الخلفاء (٢٢٨)، والصحيح أن خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على ﷺ وقد ولى الخلافة ستة أشهر، بعد مقتل أبيه، وقد قال النبى ﷺ: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، وكان تمام الثلاثين سنة، ستة أشهر للحسن بن على ﷺ.

(٢) السابق (٢٣٠).

(٣) السابق (٢٣٠)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٢٥٤).

(٤) سيرة عمر، لابن الجوزى (٣٥).

(٥) سيرة عمر لابن الجوزى (٧٤).

(٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٩).

قال الذهبي -رَحِمَهُ اللَّه-: كان هذا الرجل حسن الخَلْق والخُلُق، كامل العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أوَّاهًا منيباً، قانتًا لله تعالى حنيفًا، زاهدًا مع الخلافة، ناطقًا بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة، الذين مَلّوه، وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أعطياتهم، وأخذه كثيرًا مما في أيديهم، مما أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى سقوه السُّمَّ، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعدَّ عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين.[١]

وعن ابن عون قال: كان ابن سيرين إذا سُئل عن الطلاء، قال: نهى عنه إمام الهدى -يعني: عمر بن عبد العزيز.[٢]

قال جويرية بن أسماء: لما استخلف عمر بن عبد العزيز، جاءه بلال بن أبي بردة فهنأه، وقال: من كانت الخلافة شرَّفتْه فقد شرَّفتَها، ومن كانت زانتْه فقد زنتَها، وأنت كما قال مالك بن أسماء:

وتزيدين أطيب الطيب طيبا	أنْ تَمسّيه أيْنَ مثْلك أيْنا
وإذا الدُّرُّ زانَ حُسْنَ وُجُوه	كَانَ للدُّرِّ حُسنُ وَجْهك زَيْنَا

٤ - خَشْيَتُهُ وَبُكَاؤُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن المغيرة بن حكيم قال: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك: يا مغيرة، قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصيامًا من عمر، ولكني لم أر من الناس أحداً قد كان أشد خوفاً من ربه من عمر، كان إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ فيفعل ذلك ليلته أجمع.[٣]

وعن عبد العزيز بن الوليد بن أبي السائب قال: سمعت أبي يقول: ما رأيت أحدًا قط، الخوف -أو قال: الخشوع- أبين على وجهه من عمر بن عبد العزيز.[٤]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢٠). (٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٣٤).
(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٠)، طبقات ابن سعد (٥/٣٦٧). (٤) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٠).

وعن مزيد بن حوشب -أخي العوام- قال: ما رأيت أخوف من الحسن، وعمر ابن عبد العزيز؟ كأن النار لم تخلق إلا لهما.(١)

وعن هشام بن الغاز قال: نزلنا منزلاً مرجعنا من دابق، فلما ارتحلنا، مضى مكحول ولم يُعْلِمْنَا أين ذهب، فسرنا كثيرًا حتى رأيناه، فقلنا: أين ذهبت؟ قال: أتيت قبر عمر بن عبد العزيز فدعوت له، ثم قال: لو حلفت ما استثنيت، ما كان في زمانه أخوف لله -عز وجل- من عمر، ولو حلفت ما اسثنيت، ما كان في زمانه أزهد في الدنيا من عمر.(٢)

وعن قتادة قال: دخل على عمر بن عبد العزيز رجل يقال له: ابن الأهتم، فلم يزل يعظه وعمر يبكي، حتى سقط مغشياً عليه.(٣)

وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك قال: بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلَّى عنهم العسر، قالت له فاطمة: بأبى أنت يا أمير المؤمنين، ممَّ بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم بين يدى الله، فريق فى الجنة وفريق فى السعير. قال: ثم صرخ وغشى عليه.(٤)

وعن عطاء بن أبي رباح قال: حدثتنى فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز: أنها دخلت عليه فإذا هو فى مصلاه، يده على خده، سائلة دموعه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إنى تقلدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعارى المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذى العيال، فى أقطار الأرض، فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم، وأن خصمى دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا تثبت لى حجة عن خصومته، فرحمت نفسى، فبكيت.(٥)

---

(١) طبقات ابن سعد (٥/١٩٨).
(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزى (٣٧).
(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزى (٢١٣).
(٤) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزى (٢١٣، ٢١٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/١٣١، ١٣٢).

وعن عبد الله بن شوذب قال: حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز، فخرج سليمان إلى الطائف فأصابه رعد وبرق، ففزع، فقال لعمر: ألا ترى، ما هذا يا أبا حفص؟ قال: هذا نزول رحمته، فكيف لو كان عند نزول عذابه.[1]

وعن الحسن بن عميرة قال: اشترى عمر بن عبد العزيز جارية أعجمية، فقالت: أرى الناس فرحين، ولا أرى هذا فرح؟ فقال: ما تقول لكع؟ فقيل له: إنها تقول: كذا وكذا، فقال: ويحها، حدثوها: أن الفرح أمامها.[2]

وعن ميمون بن مهران قال: قرأ عمر بن عبد العزيز: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، فبكى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر: ٢)، ما أرى المقابر إلا زيارة، ولابد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو النار.[3]

٥ - زُهْدُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة، اغسلي قميص أمير المؤمنين. قالت: نفعل -إن شاء الله- ثم عدت فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة، ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين؟ فإن الناس يعودونه، قالت: والله، ما له قميص غيره.[4]

عن سعيد بن سويد: أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعطاك، فلو لبست؟! فنكس ملياً، ثم رفع رأسه، فقال: أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة.[5]

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٨٨).
(٢) حلية الأولياء (٥/ ٢٨٨)، وسيرة عمر لابن الجوزي (٢١٦).
(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (٢١٨، ٢٢٩)، وانظر الحلية (٥/ ٢١٧).
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٢٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٤).
(٥) حلية الأولياء (٥/ ٢٦١)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٤)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٠٢).

قال مالك بن دينار: الناس يقولون: مالك زاهد، وإنما الزاهد عـمر بن عبد العزيز، الذى أتته الدنيا فتركها.(١)

قال أبو أمـية الخصىُ غـلام عمـر: دخلت يوماً على مولاتى فـغدتنى عَـدَساً، فقلت: كل يوم عدس؟ قالت: يا بنى، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين.(١)

قال أحمد بن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمان الدارانى وأبا صفوان يتناظران فى عمر بـن عبد العزيز، وأويس القـرنى؟ قال أبو سليمان لأبى صـفوان: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس. قـال له: ولِمَ؟ قال: لأن عمر ملك الدنيا فزهد فـيها. فقـال له أبو صفوان: وأويس لو ملكَها، لزهد فـيها مثل مـا فعل عمـر. فقال أبو سليـمان: لا تجعل مـن جرَّب كمن لم يجـرب. إن من جرت الدنيا على يديه ليس لهـا فى قلبه موقع، أفـضل ممن لم تجر على يديه، وإن لم يكن لها فى قلبه موقع.(٢)

٦ - وَرَعُـــهُ - رَحِمَهُ اللَّـهُ -

عن أبى عثمان الثقفى قال: كـان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغل له، يأتيه بدرهم كل يوم، فجاءه يومًا بدرهم ونصف، فقال: ما بدا لك؟ فقال: نفقت السوق. قال: لا، ولكنك أتعبت البغل، أرحه ثلاثة أيام.(٣)

قال جعونة: لما مات عبد الملك بن عمـر بن عبد العزيز جـعل عمر يثنى عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو بقى، كنت تعهد إليه؟ قال: لا. قال: ولِمَ، وأنت تثنى عليه؟ قال: أخاف أن يكون زين فى عينى ما زين فى عين الوالد من ولده.(٤)

وعن وهيب بن الورد قال: اجتـمع بنو مروان على باب عمر بن عـبد العزيز، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيـه، فقالوا له: إما أن تستأذن لنا، وإما أن

(١) تاريخ الخلفاء (٢٣٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٤).
(٢) سيرة عمر. لابن الجوزى (١٨٤).
(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٠).
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٧)، تاريخ الخلفاء (٢٣٩).

تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة قال: قـولوا، قالوا: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا، ويعرف لنا مـوضعنا، وإن أباك قد حرمنا ما في يـديه. قال: فدخل على أبيه فـأخبـره عنهم، فقـال له عمـر: قل لهم: إن أبى يقول لكـم: إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم.(١)

عن عمـرو بن مهاجـر: أن عمر بن عبـد العزيز كانت له الشـمعة مـا كان فى حوائج المسلمين، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها، ثم أسرج عليه سراجه.(٢)

عن جرير بن حازم عن رجل عن فاطمة بنت عبد الملك قالت: اشتهى عمر بن عبـد العزيز يوماً عسـلاً، فلم يكن عندنا، فوجهنا رجـلاً على دابة من البريد إلى بعلبك، فأتى بعسل، فقلنا يومًا: إنك ذكرت عسلا، وعندنا عسل، فهل لك فيه؟ قال: نعم، فأتينا به، فقرب ثم قال: من أين لكم هذا العسل؟ قلت: وجهنا رجلاً على دابة من دواب البـريد بدينارين إلى بعلبك، فاشـترى لنا بهـما عسـلاً. قال: فأرسل إلى الرجل فجـاءه، فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق فـبعه، فاردد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفـضل واجعله فى بيت مال المسلمـين علف دواب البريد، ولو ينفع المسلمين قيئى لتقيأت. (٣)

وعن عمر بن مهاجر قال: اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً، فقال: لو كان لنا -أو عندنا- شيء من التفاح، فـإنه طيب الريح، طيب الطعم. فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليـه تفاحًا، فلما جاء به الرسول قال عمـر: ما أطيب ريحه وأحسنه، ارفعه يا غلام فأقرئ فـلانًا السلام، وقل له: إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب. فقلت: يا أمير المؤمنين، ابن عـمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبى ﷺ كان يأكل الهـدية، ولا يأكل الصدقـة. قال: ويحك! إن الهـدية كانت للنبى ﷺ وهى لنا اليوم رشوة.(٣)

(١) حلية الأولياء (٥/٢٦٧). (٢) سيرة عمر، لابن الجوزى (٩٨).
(٣) سيرة عمر لابن الجوزى (١٨٩).

وعن ربيع بن عطاء قـال: أُتِىَ عمـر بعنبرة من اليـمن، فوضع يده على أنـفه بثوبه، فـقال له مزاحم: إنما هى ريحهـا يا أمير المؤمنين، قـال: ويحك يا مزاحم وهل ينتفع من الطيب إلا بريحه؟ قال: فما زالت على أنفه حتى رفعت.[1]

وعن يحيى بن سعـيد قال: كتب عبد الحـميد بن عبد الرحـمن إلى عمر بن عبد العزيز: إنه رفـع إلىَّ رجل يسبُّك -وربما قال حماد: يشتـمك- فهممت أن أضرب عنقه، فحبستـه، وكتبت إليك لأستطلع فى ذلك رأيك. فكتب إليه: لو قتلته لأقتدتك به، إنه لا يُقْتَل أحد بسبِّ أحد، إلا مَن سبَّ النبى ﷺ فاسْبُبْهُ إن شئت، وخلِّ سبيله.[2]

٧ - تَوَاضُـعُـهُ - رَحِمَهُ اللَّـهُ -

عن رجاء بن حيوة قال: سمرت ليلة مع عـمر بن عبد العزيز، فاعتل السراج، فذهبت أقوم أصلحـه، فأمرنى عمر بالجلوس، ثم قام فأصلـحه، ثم عاد فجلس، فقال: قـمت وأنا عمر بن عبـد العزيز، وجلست وأنا عمر بن عـبد العزيز، ولؤم بالرجل إن استخدم ضيفه.[3]

وعن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، لو أتيت المدينة فإن قضى الله موتًا دُفنت موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، وأبى بكر، وعمر. قال: والله، لأن يعذبنى الله بكل عذاب -إلا النار؟ فـإننى لا أصبر عليها- أحب إلىَّ من أن يعلم الله من قلبى أنى أرى أنى لذلك أهل.[4]

عن بشير بن الحارث قال: أطرى رجل عمر بن عبد العزيز فى وجهه، فقال: يا هذا، لو عرفت من نفسى ما أعرف منها، ما نظرت فى وجهى.[5]

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزى (١٩٣). (٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٦٩).

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٣٣٢).

(٤) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٠٥)، وطبقات ابن سعد (٥/ ٤٠٤).

(٥) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٠٦).

وعن أبي سعيد المؤدب عن عبد الكريم قال: قيل لعمر: جزاك الله عن الإسلام خيراً. قال: لا بل جزى الله الإسلام عنِّي خيرًا.[١]

وعن عمر بن حفص قال: حدثنا شيخ، قال: لما ولى عمر بن عبد العزيز بدابق، خرج ذات ليلة ومعه حرسي، فدخل المسجد، فمر في الظلمة برجل نائم، فعثر به، فرفع رأسه إليه فقال: أمجنونٌ أنت؟ قال: لا. فَهَمَّ به الحرس. فقال له عمر: مه، إنما سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا.[٢]

٨ - اتِّبَاعُهُ للسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن زياد بن مخراق قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وهو يخطب الناس، يقول: لولا سنَّةٌ أحييها، أو بدعة أميتها، لما باليت أن لا أعيش فواقًا.[٣]

قال الذهبي: أظهر غيلان (الْقَدَرَ) في خلافة عمر بن عبد العزيز، فاستتابه، فقال: لقد كنتُ ضالاً فهديتني. قال عمر: اللهم، إن كان صادقًا، وإلا فاصلبه، واقطع يديه ورجليه، فنفذت فيه دعوته، فأخذ في خلافة هشام بن عبد الملك، وقُطِعَتْ أربعته، وصلِبَ بدمشق في (الْقَدَرِ).

وقال غيره: كان بنو أمية يسبُّون عليًّ بن أبي طالب في الخطبة، فلما ولى عمر ابن عبد العزيز أبطله، وكتب إلى نوابه بإبطاله، وقرأ مكانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحسان**﴾ (النحل: ٩٠)، فاستمرت قراءتها إلى الآن.[٤]

وعن حزم بن أبي حزم قال: قال عمر بن عبد العزيز في كلام له: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي، وكل سنَّة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي، حتى يأتي آخر ذلك من نفسي، كان في الله يسيرًا.[٥]

وقد تقدم قول أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ-: إن الله تعالى يقيض للناس في

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (٢٠٦). (٢) طبقات ابن سعد (٣٩٧).

(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (٩٧)، وابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٨٣).

(٤) تاريخ الخلفاء (٢٤٣). (٥) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٤٣).

كل رأس مئة سنة من يعلمهم السنن، وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا، فإذا فى رأس المئة عمر بن عبد العزيز، وفى رأس المائتين الشافعى.(١)

٩ - شيوخه وتلامذته - رحمه الله

شيوخه: قال المزى: روى عن أنس بن مالك، وصلى أنس خلفه، وقال: ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى، وعن الربيع بن سَبْرَةَ بن معبد الجهنى، والسائب بن يزيد، وسعيد بن المسيب، واستوهب من سهل بن سعد قدحًا شرب منه النبى ﷺ فوهبه له، وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ، ويقال: إبراهيم بن عبد الله بن قارظ، وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وعروة بن الزبير، وعقبة بن عامر الجهنى -يقال: مرسل-، ومحمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، ومات قبله، ونوفل بن مساحق العامرى، ويحيى بن القاسم بن عبد الله بن عمرو ابن العاص، ويوسف بن عبد الله بن سلام، وأبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، وأبى سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، وخولة بنت حكيم مرسل. (٢)

تلامذته: قال الذهبى: حدث عنه أبو سلمة أحد شيوخه، وأبو بكر بن حزم، ورجاء بن حيوة، وابن المنكدر، والزهرى، وعنبسة بن سعيد، وأيوب السختيانى، وإبراهيم بن عبلة، وتوبة العنبرى، وحميد الطويل، ومصلح بن محمد بن زائدة الليثى، وابنه عبد العزيز بن عمر، وأخوه زبان، وصخر بن عبد الله بن حرملة، وابنه عبد الله بن عمر، وعثمان بن داود الخولانى، وأخوه سليمان بن داود، وعمر ابن عبد الملك، وعمر بن عامر البجلى، وعمرو بن مهاجر، وعمير بن هانئ العنبسى، وعيسى بن أبى عطاء الكاتب، وغيلان بن أنس، وكاتبه ليث بن أبى رقية، وأبو هاشم مالك بن زياد، ومحمد بن أبى سويد الثقفى، ومحمد بن قيس القاص، ومروان بن جناح، ومسلمة بن عبد الملك الأمير، والنضر بن عربى،

(١) سيرة عمر لابن الجوزى (٧٤).

(٢) تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٤).

وكاتبه نعيم بن عبد الله القينى، ومولاه هلال أبو صعمة، والوليد بن هشام المطيعى، ويحيى بن سعيد الأنصارى، ويعقوب بن عتبة بن المغيرة، وخلق سواهم.(١)

١٠- دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال أبو الحسن المدايني: كتب عمر بن عبد العَزَيز إِلىَ عمر بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة؟ يعزيه على ابنه: أما بعد، فإنا قوم من أهل الآخرة، أُسكنا الدنيا، أموات أبناء أموات، والعجب لميت يكتب إلى ميت، يعزيه عن ميت، والسلام.(٢)

وعن حمزة الجزرى قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: أوصيك بتقوى الله الذى لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.(٣)

وعن عمر بن محمد المكى: قال خطب عمر بن عبد العزيز، فقال: إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فكم عامر موثق عما قليل مخرب، وكم مقيم عما قليل يظعن، فأحسنوا -رحمكم الله- منها الرحل بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، إنما التقوى كفىء ظلال قلص، فذهب، بينما ابن آدم فى الدنيا ينافس فيها، وبها قرير العين، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، وسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، إنها تَسرُّ قليلاً وتجر حزنًا طويلا.(٤)

وعن أبى عمران قال: قال عمر بن عبد العزيز: من قَربَ الموت من قلبه، استكثر ما فى يديه.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤، ١١٥).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٦)، وسيرة عمر، لابن الجوزى (٢٥٠).

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٦٧).

(٤) حلية الأولياء (٥/ ٧٩٢)، وسيرة عمر، لابن الجوزى (٢٣٢، ٢٣٣).

(٥) حلية الأولياء (٥/ ٣١٦).

وعن محمد بن عيسى بن عبد العزيز قال: كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يَرَ أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نَرَمّهَا به، فعل.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما ذكرت، إن مدينتكم قد خربت؟ فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونَقّ طرقها من الظلم؟ فإنه مَرَمّتها، والسلام.(١)

وعن رجل من ولد عثمان بن عفان: أن عمر بن عبد العزيز قال في بعض خطبه: إن لكل سفر زادًا لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه، ترغبون وترهبون، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسو قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله، ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسى بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغْتَرّاً، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة، فأما من لا يبرأ من كلم إلا أصابه جُرْحٌ من ناحية أخرى، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه، فتخسر صفقتى، وتظهر عيلتى، وتبدو مسكنتى، فى يوم يبدو فيه الغنى والفقير، والموازين منصوبة، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لشققت، أَمَا تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما؟!(٢)

وعن عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى: أن عمر بن عبد العزيز كان يقول: ليس تقوى الله بصيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير.

وعن ميمون بن مهران قال: أوصانى عمر بن عبد العزيز، فقال: يا ميمون، لا تخلو بامرأة لا تحل لك، وإن أقرأتها القرآن، ولا تتبع السلطان، وإن رأيت أنك تأمره بمعروف وتنهاه عن منكر، ولا تجالس ذا هوى، فيلقى فى نفسك شيئًا يسخط الله به عليك.(٣)

(١) سيرة عمر، لابن الجوزى (١١٠).
(٢) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٣٢).
(٣) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٤٦).

وعن عبد الله بن محمد بن سعد الأنصارى: أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإنى لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم، ولكن فكرت فى هذا الأمر الذى أنتم إليه صائرون، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق، والمكذب به هالك ثم نزل.(١)

وعن محمد بن مهاجر قال: كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبى ﷺ، وعصاه، وقدحه، وجفنته، فكان إذا دخل عليه النفر من قريش، قال: هذا ميراث من أكرمكم الله به، ونصركم به، وفعل وفعل.(٢)

وعن عبد الله بن الفضل التميمى قال: آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز: أن صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن فى أيديكم أسلاب الهالكين، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون، ألا ترون أنكم فى كل يوم وليلة تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله تعالى، وتضعونه فى صدع من الأرض، ثم فى بطن صدع غير ممهد ولا موسَّد، قد خَلَعَ الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، فقيرًا إلى ما قدم أمامه، غنيًا إلى ما ترك جده، أما والله، إنى لأقول هذا وأنا لا أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسى، قال: ثم وضع طرف ثوبه على عينيه، فبكى ثم نزل، فما خرج حتى أُخرج إلى حفرته -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-.(٣)

١١- مَا تَمَثَّلَ بِهِ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ قَالَهُ

عن محمد بن كثير قال: قال عمر بن عبد العزيز ذات يوم، وهو لائم نفسه وعائبها:

أيقظانُ أنتَ اليومَ أمْ أنتَ نائمٌ ... وكيفَ يُطيقُ النَّومَ حيرانُ هائمُ

فلوْ كنْتَ يقظانَ الغداةَ لحرَّقَتْ ... محاجرَ عينَيْكَ الدُّمُوعُ السَّواجمُ

نهارُكَ يا مغْرورُ سهوٌ وغفْلَةٌ ... وليْلُكَ نومٌ والرَّدَى لكَ لازمُ

وتشْغلُ فيما سوْفَ تكْرَهُ غبَّهُ ... كذلكَ فى الدنيا تَعيشُ الْبَهَائمُ(٤)

---

(١) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٥١).
(٢) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٥٣).
(٣) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٦٠).
(٤) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٦١).

عن عقيل بن مرة قال: أنشدنى حرمى بن الهيثم لعمر بن عبد العزيز:

وَلا خَيْـرَ فِى عَـيْشِ امْـرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ ... مَـعَ اللـهِ فِـى دَارِ الْـقَـرَارِ نَـصِـيـبُ

فَـإِن تُعْـجِبْ الدُّنْيَـا أُنَاسًا فَـإِنهَـا ... قَـلِيـلُ مَـتَـاعٍ وَالـزَّوَالُ قَـرِيـبُ[(١)]

وعن يونس قال: كان عـمر بن عبد العزيز يسيـر فى جماعة، فلما كثـر الغبار تلثم، ثم ذكر أبياتًا قالها عبد الأعلى القرشى:

مَنْ كَانَ حَيْث تُصِيبُ الشَّمس جَبْهَتَهُ ... أَوِ الْغُـبَـارُ يَخَافُ الشَّيْنَ وَالشَّـعْـثَـا

وَيَألفُ الظلَّ كَىْ تَبْـقَـى بَشَـاشَـتُـهُ ... فَـسَـوْفَ يَسْكُنُ يَومًا رَاغِـمًـا جَـدَثَا

فِى قَـعْـرِ مُظْلِمَـةٍ غَـبْـرَاءَ مُـقْـفِـرَةٍ ... يُطِيلُ تَحْتَ الثرَى فِى قَعْرِهَا اللُّبْثَا[(٢)]

حدث مسـعود بن بشر: أن رجلاً قال لعـمر بن عبد العـزيز، لما ولى الخلافة: تفرغ لنا. فقال:

قَـدْ جَـاءَ شُـغْـل شَـاغِـل ... وَعَـدَلْـتُ عَنْ طُرُقِ السَّـلامَـه

ذَهَـبَ الْـفَـرَاغُ فَـلا فَـرا ... غَ إِلَـى يَـوْمِ الْـقِـيَـامَـه[(٣)]

١٢- وفاته - رَحِمَهُ اللَّهُ - وما قيل فى رثائه

توفى عمر بن عبـد العزيز-رَحِمَهُ اللَّهُ- بدير سمعان من أعمـال حمص، لعشر بقين، وقيل: لخمس بقين، من رجب سنة إحـدى ومئة، وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهـر، وكانت وفاته بالسم، كانت بنو أُميَّةَ قـد تبرموا به، لكونه شَدَّدَ عليهم، وانتزع من أيديهم كثيرًا مما غصبوه، وكان قد أهمل التحرز.

قال مجاهد: قال لى عمر بن عـبد العزيز: ما يقول الناس فىَّ؟ قلت: يقولون: مسحور. قال: ما أنا بمسحور، وإنى لأعلم الساعة التى سُقيتُ فيها، ثم دعا غلامًا له، فقـال لـه: ويحك مـا حـملك علـى أن تسقـينى السـمَّ؟ قـال: ألف دينار

(١) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٦٢). (٢) سيرة عمر، لابن الجوزى (٢٦٢، ٢٦٣).

(٣) سيرة عمر لابن الجوزى (٢٦٦).

أعطيتها، وعلى أن أُعْتَقَ. قال: هاتها. قال: فجاء بها، فألقاها فى بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد.(١)

وعن المغيرة بن حكيم قال: حدثتنى فاطمة بنت عبد الملك قالت: كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول: اللهم اخف عليهم موتى، ولو ساعة من نهار. فلما كان اليوم الذى قبض فيه، خرجت فجلست فى بيت آخر، وبينى وبينه باب، وهو فى قبة له، فسمعته يقول: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأَرْضِ ولا فَسادًا والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:٨٣)، ثم هدأ، فجعلت لا أسمع له حسًّا ولا كلامًا، فقلت للوصيف الذى يخدمه: انظر أمير المؤمنين، فلما دخل عليه صاح، فوثبت، فدخلت عليه، فإذا هو ميت قد استقبل القبلة، وأغمض نفسه، ووضع إحدى يديه على عينيه، والأخرى على فيه.(٢)

وعن عبيد بن حسان قال: لما احْتُضر عمر بن عبد العزيز، قال: اخرجوا عنى، فلا يبقى عندى أحد، وكان عنده مسلمة بن عبد الملك، قال: فخرجوا، فقعد على الباب هو وفاطمة، قال: فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جان، قال: ثم قال: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأَرْضِ ولا فَسادا والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، قال: ثم هدأ الصوت. فقال مسلمة لفاطمة قد قُبِض صاحبك، فدخلوا فوجدوه قد قُبض، وغمض وسوى.(٣)

نظر مسلمة بن عبد الملك إلى عمر مسجًّى، فقال: يرحمك الله؟ لقد لينت لنا قلوبًا قاسية، وأبقيت لنا فى الصالحين ذكرًا.(٤)

قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعى:

وليت فلم تشتم عليًا ولم تخف ... بريئا ولم تتبع سجيَّة مجرم

وقلت فصدقت الذى قلت بالذى ... فعلت فأضحى راضيًا كل مسلم(٥)

---

(١) تاريخ الخلفاء (٢٤٦).
(٢) سيرة عمر لابن الجوزى (٣٢٥).
(٣) سيرة عمر لابن الجوزى (٣٢٥، ٣٢٦).
(٤) سيرة عمر لابن الجوزى (٣٢٩).
(٥) سيرة عمر، لابن الجوزى (٣٣٣).

وقال جرير:

تَنْعى النَعَاةُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَنَا ... يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ وَاعْتَمَرَا

حُمِّلْتَ أَمْراً عَظِيماً فَاضْطَلَعْتَ بِهِ ... وَسِرْتَ فِيهِ بِحُكْمِ اللَّهِ يَا عُمَرَا

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْست بِكَاسِفَةٍ ... تَبْكِي عَلَيْكَ نُجومُ الليلِ وَالْقَمَرا[1]

وعن عمر بن صالح الزهرى قال: حدثنى الثقة قال: لما بلغ محارب بن دثار موتُ عمر بن عبد العزيز، دعا بكاتبه، فقال: اكتب: فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: امحه، فإن الشعر لا يكتب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم قال:

لَوْ أعظم الموْتُ خَلقًا أنْ يواقِعَهُ ... لِعَدْلِهِ لَمْ يُصِبْكَ الموْتُ يَا عُمَرُ

كَمْ مِن شَرِيعَةِ حقٍّ قَدْ نَعَشْتَ لَهَا ... كَادَتْ تَمُوتُ وَأخْرَى مِنْكَ تُنْتَظَرُ

يَالَهْفَ نَفْسِي وَلَهْفَ الْوَاجِدِينَ مَعِي ... عَلَى العُدُولِ الَّتِي تَغْتَالُهَا الحُفَرُ

ثَلاثَةٌ مَا رَأَتْ عَيْنِي لَهُمْ شَبَهًا ... تضَمُّ أَعْظُمَهُمْ فِي المسْجِدِ الحُفَرُ

وَأنْتَ تَتْبَعُهُمْ لَمْ تَألُ مُجْتَهِدًا ... سَعْيًا لَهُمْ سُنَنٌ بِالحَقِّ تُقْتَفَرُ

لَو كُنْتَ أمْلِكُ وَالأقْدارُ غَالِبَةٌ ... تَأتِي رَوَاحاً وَتِبْيَاناً وَتَبْتَكِرُ

صَرَفْتُ عَنْ عُمَرِالخيْرَاتِ مَصْرَعَهُ ... بِدِيرِ سَمْعَانَ لَكِنْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ[1]

ونختم بما ذكره ابن الجوزى فى خاتمة سيرته، قال: بلغنى أن المنصور قال لعبد الرحمن ابن القاسم بن محمد بن أبى بكر رضي الله عنه عظنى، قال: بما رأيت، أو بما سمعت؟ قال: بما رأيت. قال: مات عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ اللَّهُ- وخلف أحد عشر ابنًا، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً، كفِّن منها بخمسة دنانير، واشتُرِيَ له موضع قبره بدينارين، وقسِّم الباقى على بنيه، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهماً، ومات هشام ابن عبد الملك، وخلف أحد عشر ابناً، فقسمت تركته، وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف. ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل فى يوم واحد على مئة فرس فى سبيل الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ورأيت رجلاً من ولد هشام يُتَصَدَّقُ عليه.[2]

(١) سيرة عمر، لابن الجوزى (٣٣٥، ٣٣٦). (٢) سيرة عمر. لابن الجوزى (٣٣٨).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٦)

عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيل

ما زلنا -بحمد لله- مع الصحبة الطيبة المباركة، مع علماء السلف -رحمهم الله- ومع سلسلة (من أعلام السلف)، وعالمنا فى هذه الحلقة من السلسلة المباركة، نحيف الجسم، عظيم القدر، جبل من جبال العلم، وإمام من أئمة التابعين، أدرك ما يقرب من خمسين صحابياً، وكانت له حلقة عظيمة فى وجود أكابر الصحابة رضي الله عنهم رآه ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: كأنه قد شاهد معنا. ذو دعابة وذكاء، يرغب الملوك فى قربه، ويحتاج الجميع إلى علمه، أرسله عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فتعجب الملك، لماذا لم يؤمِّرْه العرب عليهم، وهذه هى القصّة، كما ذكرها الذهبى فى «سِيَرِه» عن ابن عائشة، قال: وجَّه عبد الملك بن مروان الشعبى إلى ملك الروم -يعنى: رسولاً- فلما انصرف من عنده، قال: يا شعبى، أتدرى ما كتب به إلَيَّ ملك الروم؟ قال: وما كتب به يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أتعجب لأهل ديانتك؟ كيف لم يستخلفوا عليهم رسولك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، لأنه رآنى ولم يرك. أوردها الأصمعى، وفيها قال: يا شعبى، إنما أراد أن يغرينى بقتلك، فبلغ ذلك ملك الروم، قال: لله أبوه، والله، ما أردت إلا ذاك.[١]

ولا شك فى أن هذه الشخصيات الفذة علامة من علامات صدق نبينا ﷺ وأن ما جاء به هو الحق من عند الله، ولم يحصل فى أمة من الأمم هذه الكثرة الكاثرة من الأئمة الأعلام، والعلماء الكرام، الذين بلغوا الغاية فى العلم والعمل،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٤).

والأخلاق الزكية، والشيم المرضية، فنسأل الله أن يمتنا على حبهم، وأن يحشرنا في جمعهم، فقد قيل للنبي ﷺ : الرجل يحب القوم، ولم يلحق بهم، فقال: «المرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ». وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين.

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: عامر بن شراحيل، وقيل: ابن عبد الله بن شراحيل بن عبد الشعبى أبو عمرو الكوفى.

مَوْلِدُهُ: ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب، على المشهور، وأمه من سبى جلولاء، وجلولاء: قرية بناحية فارس، كانت بها الوقعة المشهورة التى انتصر فيها المسلمون على الفرس، وهى فى العراق اليوم تسمى: السعيدية.

وقيل: ولد سنة إحدى وعشرين.

صِفَتُهُ: قال ابن سعد: كان الشعبى ضئيلاً نحيفًا ولد هو وأخ له توأمًا.(١)

وقال الحاكم أبو عبد الله: وكان الشعبى توأمًا ضئيلاً، فكان يقول: إنى زوحمتُ فى الرحم.(٢)

وعن ليث قال: رأيت الشعبى، وما أدرى ملحفته أشد حمرة أو لحيته.(٣)

عن أبى بكر ابن شعيب بن الحبحاب قال عامر الشعبى: وقال له أبى: ما لإزارك مسترخيـاً يا أبا عمرو؟ قال: وعليه إزار كتان مورد، قال: فقال الشعبى: ليس ها هنا شيءٌ يحمله، وضرب بيده إلى إليته، قال: فقال له أبى: كم تراه أتى لك يا أبا عمرو؟ فأجابه الشعبى فقال:(٣)

نَفْسِي تَشكَّي إليكَ النَّفْسُ مُزْحِفَةً ... وَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعِينا

إنْ تُحدثِي أَمَلاً يَا نَفْسُ كَاذِبةً ... إنَّ الثلاثَ يُوفينَ الثَّمَانِينَا(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥).

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن الزهرى قال: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، وعامر الشعبى بالكوفة، والحسن بن أبى الحسن البصرى بالبصرة، ومكحول بالشام.[١]

وعن أبى أسامة قال: كان عمر بن الخطاب فى زمانه رأس الناس -وهو جامع- وكان بعده ابن عباس فى زمانه، وكان بعد ابن عباس فى زمانه الشعبى، وكان بعد الشعبى فى زمانه سفيان الثورى.[١]

وعن أبى بكر الهذلى قال: قال لى محمد بن سيرين: يا أبا بكر، إذا دخلت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبى، فإنه كان ليُسأل، وإن أصحاب محمد ﷺ لأحياء.[٢]

وقال أشعث بن سوار: نعى لنا الحسنُ الشعبىَّ، فقال: كان -والله- كبير العلم، عظيم الحلم، قديم السِّلم، من الإسلام بمكان.[٣]

وعن يحيى بن معين وأبى زرعة وغير واحد: الشعبى ثقة.[٤]

وقال أحمد بن عبد الله العجلى: سمع من ثمانية وأربعين من أصحاب رسول الله ﷺ ، والشعبى أكبر من أبى إسحاق بسنتين، وأبو إسحاق أكبر من عبد الملك بن عمير بسنتين، ومرسل الشعبى صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحًا.[٤]

وقال عاصم بن سليمان: ما رأيت أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة، والبصرة، والحجاز، والآفاق من الشعبى.[٥]

٣ - قُوَّةُ حِفْظِهِ وَنَبَاهَةُ خَاطِرِهِ وَسِعَةُ عِلْمِهِ

عن ابن شبرمة قال: سمعتُ الشَّعبى يقول: ما كَتبتُ سَوداء فى بيضاء إلى يومى هذا، ولا حدثنى أحد قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده عَلَىَّ.[٦]

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٨).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٩).
(٣) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٤).
(٤) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٥).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٠٣).
(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠١).

وعنه عن الشعبى قال: ما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث، إلا أنا أعلم به منه، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالمًا.(١)

وعن وادع الراسبى عن الشعبى قال: ما أروى شيئًا أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهرًا، لا أعيد.(٢)

وعن أبى مجلز قال: ما رأيت فقيهًا أفقه من الشعبى.(٣)

وقال مكحول: ما رأيت أعلم بسنة ماضية من الشعبى.(٣)

وقال داود بن أبى هند: ما جالست أحداً أعلم من الشعبى.(٣)

وعن عبد الملك بن عمير قال: مَرَّ ابن عمر بالشعبى، وهو يقرأ المغازى، فقال: كأنه كان شاهدًا معنا، ولهو أحفظ لها منى وأعلم.(٣)

وقال عاصم الأحول: ما رأيت أحداً أعلم من الشعبى.(٣)

٤ – تَوَرُّعُـهُ عَـنِ الْفَتْـوَى وَذَمُّـهُ الـرَّأيَ

عن محمد بن جُحادة: أن عامر الشعبى سُئل عن شىء فلم يكن عنده فيه شىء، فقيل له: قل برأيك. قال: وما تصنع برأيى، بُلْ على رأيى.(٤)

وعن آدم أن رجلاً سأل إبراهيم عن مسألة فقال: لا أدرى، فمر عليه عامر الشعبى، فقال للرجل: سَلْ ذاك الشيخ، ثم ارجع فأخبرنى، فرجع إليه قال: قال: لا أدرى. قال إبراهيم: هذا -والله- الفقه.(٤)

وعن مالك بن مغول عن الشعبى قال: لو كانت الشيعة من الطير كانوا رخمًا، ولو كانوا من الدواب كانوا حميرًا. (٥)

وعن الوصافى عن عامر الشعبى قال: أُحِبَّ صالح المؤمنين، وصالح بنى

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٢).

(٣) تاريخ الذهبي (٧/ ١٢٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٠).

(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٨).

هاشم، ولا تكن شيعياً، وارجُ ما لم تعلم، ولا تكن مرجئًا، واعلم أن الحسنة من الله، والسيئة من نفسك، ولا تكن قدرياً، وأحبب من رأيته يعمل بالخير، وإن كان أخرم سندياً.(١)

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى: كان الشعبى صاحب آثار، وكان إبراهيم النخعى صاحب قياس.(٢)

وعن مجالد قال: وكان الشعبى يذم الرأى، ويفتى بالنص. قال مجالد: سمعت الشعبى يقول: لعن الله رأيت.(٣)

وعن الهذلى قال: قال الشعبى: أرأيتم لو قتل الأحنف بن قيس، وقتل طفل أكانت ديتهما سواء، أم يفضل الأحنف لعقله وعلمه؟ قلت: سواء. قال: فليس القياس بشىء.(٤)

وعن أبى أُبحر قال: قال الشعبى: ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم فَخُذْه، وما قالوا برأيهم فبُلْ عليه.(٥)

وعن صالح بن مسلم قال: قال عامر الشعبى: إنما هلكتم أنكم تركتم الآثار، وأخذتم بالمقاييس.(٦)

وعن الشعبى قال: «لا أدرى» نصف العلم.(٧)

٥ - قِصَّةُ خُرُوجِهِ مَعَ القُرَّاءِ عَلَى الحَجَّاجِ واعتذارُه إليهِ

قال الذهبى: خرج القراء، وهم أهل القرآن والصلاح بالعراق على الحجاج، لظلمه، وتأخيره الصلاة، والجمع فى الحضر، وكان ذلك مذهبًا واهيًا لبنى أمية، كما أخبر النبى ﷺ: «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ».

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/٢٤٨، ٢٤٩).
(٢) تاريخ الإسلام (٧/ ١٢٧).
(٣) تاريخ الإسلام (٧/ ١٣٠).
(٤) تاريخ الإسلام (٧/ ١٣١).
(٥) حلية الأولياء (٤/ ٣١٩).
(٦) حلية الأولياء (٤/ ٣٢٠).
(٧) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣١٨).

فخرج على الحجاج: عبد الرحـمن بن الأشعث بن قيس الكندى، وكان شريفًا مطاعًا، وجـدته أخت الصديق، فـالتفَّ على مئة ألف أو يـزيدون، وضاقت على الحجـاج الدنيا، وكاد أن يـزول ملكه، وهزموه مرات، وعـاين التلف، وهو ثابت مقدام، إلى أن انتـصرَ وتمزق جمع ابن الأشعث، وقُـتِل خلق كثير من الـفريقين، فكان من ظفر به الحجاج منهم قتله، إلا من باء منهم الكفر على نفسه، فيدعه.[١]

عن مجـالد عن الشعـبى قال: لما قـدم الحجاج سـألنى عن أشيـاء من العلم، فوجدنى بها عارفًا، فجعلنى عـريفاً على قومى: الشعبيين، ومنكباً[٢] على جميع همدان، وفرض لى، فلم أزل عنده بأحسن منزلة، حتى كان شأن عبد الرحمن بن الأشعث، فأتانى قـراء أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمـرو، إنك زعيم القراء، فلم يزالوا حتى خـرجت معهم، فقـمت بين الصفين، أذكر الحـجاج وأعيبـه بأشياء، فبلغنى أنه قال: ألا تعـجبون من هذا الخبيث؟! أمـا لئن أمكننى الله منه، لأجعلن الدنيا عليه أضيق من مسك[٣] جمل.

قال: فما لبثنا أن هُزِمْنَا، فجئت إلى بيـتى وأغلقت عَلَىَّ، فمكثت تسعة أشهر، فندب الناس لخراسان، فقام قتيبة بن مسلم، فقال: أنا لها فعقد له على خراسان، فنادى مناديه من لحق بعسكر قتيبة، فهو آمن، فاشترى مولى لى حمارًا، وزودنى، ثـم خرجت فكنت فى العـسكر، فلم أزل معه حتى أتينـا فرغانة[٤]. فجلس ذات يوم وقد برِقَ[٥]. فنظرت إليه فقلت: أيها الأميـر، عندى علم ما تريد. فقال: من أنت؟ قلت: أعيـذك أن لا تسأل عن ذلك، فـعرف أنى ممَّن يخفـى نفسه، فـدعا بكتاب، فقال: اكتب نسخة، قلت: لا تحتاج إلى ذلكَ، فجعلت أملى عليه، وهو ينظر حتى فرغ من كتاب الفـتح، قال: فحملنى على بغلة، وأرسَل إلىَّ بسرق من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٦، ٣٠٧). (٢) قال الليث: منكب القوم رأس العرفاء.

(٣) المسك: الجلد.

(٤) مدينة وكورة واسعة، بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان.

(٥) برق: أي تحيـر.

حرير، وكنت عنده بأحسن منزلة، فإنى ليلة أتعشى معه، إذا أنا برسول الحجاج بكتاب فيه: إذا نظرت إلى كتابى هذا، فإن صاحب كتابك عامر الشعبى، فإن فاتك قطعت يدك على رجلك، وعزلتك. قال: فالتفت إلىَّ، وقال: ما عرفتك قبل الساعة، فاذهب حيث شئت من الأرض، فوالله، لأحلفن له بكل يمين، فقلت: أيها الأمير، إن مثلى لا يخفى. فقال: أنت أعلم. قال: فبعثنى إليه، وقال: إذا وصلتم إلى خضراء واسط، فقيدوه، ثم أدخلوه على الحجاج.

فلما دنوت من واسط، استقبلنى ابن أبى مسلم، فقال: يا أبا عمرو، إنى لأضن بك عن القتل، إذا دخلت فقل: كذا وكذا. فلما أدخلت عليه، ورآنى قال: لا مرحبًا ولا أهلاً، جئتنى ولست فى الشرف من قومك، ولا عريفًا، فقلتَ وفعلتَ، ثم خرجت عَلَىَّ. وأنا ساكت، فقال: تكلم. فقلت: أصلح الله الأمير، كل ما قلته حق، ولكنا قد اكتحلنا بعدك السهر، وتحلسنا الخوف، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، فهذا أوان حقنت لى دمى، واستقبلت بى التوبة. قال: قد فعلت ذلك.(١)

وعن عبادة بن موسى عن الشعبى قال: أتى بى الحجاج موثقًا، فلما انتهيت إلى باب القصر، لقينى يزيد بن أبى مسلم، فقال: إنا لله يا شعبى، لما بين دفتيك من العلم، وليس بيوم شفاعة، بُؤْ للأمير بالشرك والنفاق على نفسك، فبالحرى أن تنجو، ولقينى محمد بن الحجاج، فقال لى مثل مقالة يزيد. فلما دخلت عليه، قال: وأنت يا شعبى، فيمن خرج علينا وكثر. قلت: أصلح الله الأمير، أحزن بنا المنزل، وأجدب بنا الجباب، وضاق المسلك، واكتحلنى السهر، واستحلسنا الخوف(٢)، ودمغنا فى خَرْبة خَربة، ولم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. قال: صدق والله، ما بروا فى خروجهم علينا، ولا قووا علينا، حيث فجروا، فأطلقا عنه، قال: فاحتاج إلى فريضة، فقال: ما تقول فى أخت وأم وجد؟ قلت:

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٤، ٣٠٥).

(٢) قوله: أحزن بنا المنزل، أي صار ذا حزونة، أي خشونة، واستحلسنا الخوف، أي لزمنا.

اختلف فـيها خمـسة من أصحـاب رسول الله ﷺ : عثمـان بن عفان، وزيد بن ثابـت، وعبد الله بن مسعود، وعليّ، وابن عباس -رضى الله تعالى عنهم- قال: فما قال فيها ابن عبـاس، إن كان لمفتيًا؟ قال: جعل الجد أباً، وأعطى الأم الثلث، ولم يعط الأخت شيئًـا. قال: فما قال فـيها أمير المؤمنين، يعنى: عـثمان؟ قلت: جعلها أثلاثًا. قال: فـما قال فيها زيد بن ثابت؟ قلت: جعلهـا من تسعة؟ فأعطى الأم ثلاثًا، وأعطى الجد أربعًا، وأعطى الأخت سـهمين، قال: فما قـال فيها ابن مسـعود؟ قلت: جعلها من سـتة، أعطى الأخت ثلاثًا، وأعطى الأم سهـماً، وأعطى الجد سهمين، قال: فما قال فيها أبو تراب؟ قلت: جعلها من ستة، أعطى الأخت ثلاثاً، وأعطى الجد سهماً، وأعطى الأم سهمين، قال: مُرِ القاضى فيمضِها على ما أمضاها أمير المؤمنين عثمان.(١)

٦ - مُلَـحٌ مِنْ أَخْبَارِهِ وَطَرَائِـفُ مِنْ آثَـارِهِ

عن عامر بن يساف قال: قال لى الشـعبى: امض بنا نفر من أصحاب الحديث، فخـرجنا، قال: فمر بنا شـيخ، قال له الشعـبى: ما صنعتك؟ قال: رفـاء. قال: عندنا دنّ مكسـورة، ترفـوه لنـا؟ قال: إن وهـبت لى سلوكًـا من رملٍ، رفـوته، فضحك الشعبى حتى استلقى.(٢)

وقد ذكر صاحب (المراح فى المزاح) جملة من نوادره، فمن ذلك:

قال: سـأل رجل الشعـبى عن المسح على اللحـية، فقـال: خللها بأصـابعك. فقال: أخاف أن لا تبلها. قال الشعبى: إن خفت، فانقعها من أول الليل.

وسأله آخـر: هل يجوز للمحـرم أن يحك بدنه؟ قال: نعم. قال: مـقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم.

وسُئل عن أكل لحم الشيطان، فقال: نحن نرضى منه بالكفاف.(٣)

(١) حلية الأولياء (٤/ ٣٢٥، ٣٢٦). (٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٨٧).

(٣) المراح في المزاح، لبدر الدين أبي البركات العربي (٣٩، ٤٠)، ط: مكتبة الثقافة الدينية.

وذكر المحقق جملة أخرى من مداعباته، قال: دخل الشعبى الحمام، فرأى داود الأودى بلا مئزر، فغمض عينيه. فقال له داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك الله سترك.

وجاءه رجل فقال: اكتريت حماراً بنصف درهم، فجئتك لتحدثنى. فقال: اكترِ بالنصف الآخر وارجع، فما أريد أن أحدثك.

وقيل له: هل تمرض الروح؟ قال: نعم، من ظل الثقلاء، قال بعض أصحابه: فمررت به يومًا، وهو بين ثقيلين، فقلت: كيف الروح؟ قال: فى النزع.(١)

وقال مجالد عن الشعبى: إنى لجالس يومًا، إذ أقبل حمَّال معه دنّ حتى وضعه، ثم جاءنى، فقال: أنت الشعبى؟ قلت: نعم. قال: أخبرنى عن إبليس، هل له زوجة؟ قلت: إن ذاك لعرسٌ ما شهدته. قال: ثم ذكرت قول الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذريته أولياء من دوني﴾ (الكهف: ٥٠)، قال: فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة.(٢)

٧ – شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ – رَحِمَهُمُ اللَّهُ –

شيوخه: قال الحافظ: روى عن عليّ، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وزيد بن ثابت، وقيس بن سعد بن عبادة، وقرظة بن كعب، وعبادة بن الصامت، وأبى موسى الأشعرى، وأبى مسعود الأنصارى، وأبى هريرة، والمغيرة بن شعبة، وأبى جحفة السوائى، والنعمان بن بشير، وأبى ثعلبة الخشنى، وجرير بن عبد الله البجلى، وبريدة بن الخصيب، والبراء بن عازب، ومعاوية، وجابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وجرير بن عبد الله، والحارث بن مالك بن البصراء، وحبشى بن جنادة، والحسن، وزيد بن أرقم، والضحاك بن قيس، وسمرة بن جندب، وعامر ابن شهر، والعبادلة الأربعة، وعبد الله بن مطيع، وعبد الله بن يزيد الخطمى، وعبد الرحمن بن سمرة، وعدى بن حاتم، وعروة بن الجعد البارقى، وعروة بن

(١) أخبار الحمقى، والمتماجنين، لابن الجوزي، نقلاً عن هامش المراح في المزاح (٤١).
(٢) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٧).

مضرس، وعمرو بن أمية، وعمرو بن حريث، وعمران بن حصين، وعوف بن مالك، وعياض الأشعرى، وكعب بن عجرة، ومحمد بن صيفى، والمقدام بن معد يكرب، ووابصة بن معبد، وأبى جبيرة ابن الضحاك، وأبى سريحة الغفارى، وأبى سعيد الخدرى، وأنس، وعائشة، وأم سلمة، وميمونة بنت الحارث، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت قيس، وأم هانئ بنت أبى طالب، وغيرهم من الصحابة.

ومن التابعين: عن الحارث الأعور، وخارجة بن الصلت، وزر بن حبيش، وسفيان بن الليل، وسمعان بن مشيخ، وسويد بن غفلة، وشريح القاضى، وشريح بن هانئ، وعبد خير الهمدانى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وعروة بن المغيرة بن شعبة، وعلقمة بن قيس، وعمرو بن ميمون الأودى، ومسروق بن الأجدع، والمحرر بن أبى هريرة، ووراد كاتب المغيرة، وأبى بردة ابن أبى موسى الأشعرى، وأرسل عن عمر، وطلحة، وابن مسعود.(١)

تلامذته: قال الحافظ: وعنه أبو إسحاق السبيعى، وسعيد بن عمرو بن أشوع، وإسماعيل بن أبى خالد، وبيان بن بشر، وأشعث بن سوار، وتوبة العنبرى، وحصين بن عبد الرحمن، وداود بن أبى هند، وزبيد اليامى، وزكريا بن أبى زائدة، وسعيد بن مسروق الثورى، وسلمة بن كهيل، وأبو إسحاق الشيبانى، والأعمش، ومنصور، ومغيرة، وسماك بن حرب، وصالح بن حيى، وسيار أبو الحكم، وعبد الله بن بريدة، وعاصم الأحول، وأبو الزناد، وعبد الله بن أبى السفر، وابن عون، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر، وأبو حصين الأسدى، وأبو فروة الهمدانى، وعمر بن أبى زائدة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وفراس بن يحيى الهمدانى، وفضيل بن عمرو الفقيمى، وقتادة، ومجالد بن سعيد، ومطرف بن طريف، ومنصور بن عبد الرحمن الغدانى، وأبو حيان التيمى، وجماعات.(٢)

---

(١) تهذيب التهذيب (٥/ ٥٨).

(٢) تهذيب التهذيب (٥/ ٥٨، ٥٩).

٨ - مِنْ أَقْوَالِه - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو الحسن المدائنى فى كتاب (الحكمة): قيل للشعبى: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: بنفى الاغتمام، والسير فى البلاد، وصبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغراب.[١]

وعن ابن شبرمة عن الشعبى قال: إنما سمى هوى، لأنه يهوى بأصحابه.[٢]

وعن أبى الجابية الفراء قال: قال الشعبى: إنا لسنا بالفقهاء، ولكنا سمعنا الحديث فروينا، ولكن الفقهاء من إذا علم عمل.[٣]

وعن مالك بن مغول قال: قيل للشعبى: أيها العالم، فقال: العالم من يخاف الله.[٤]

وعن أبى إسحاق عن الشعبى قال: ما ترك أحدٌ فى الدنيا شيئاً لله إلا أعطاه الله فى الآخرة ما هو خير له.[٥]

وعن مجالد عن الشعبى قال: تعايش الناس بالدين زمنًا طويلاً، حتى ذهب الدين، ثم تعايش الناس بالمروءة زمناً طويلاً، حتى ذهبت المروءة، ثم تعايش الناس بالحياء زمنًا طويلاً، حتى ذهب الحياء، ثم تعايش الناس بالرغبة والرهبة، وأظن أنه سيأتى بعد هذا ما هو أشد منه.[٥]

وعن ابن عياش عن الشعبى قال: كانت العرب تقول: إذا كانت محاسن الرجل تغلب مساويه، فذلكم الرجل الكامل، وإذا كانا متقاربين، فذلكم المتماسك، وإذا كانت المساوئ أكثر من المحاسن فذلكم المتهتك.[٦]

وعن مجالد عن الشعبى قال: شهدت شريحًا، وجاءته امرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينها تبكى، فقلت: أبا أمية، ما أظنها إلا مظلومة. فقال: يا شعبى، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون.[٧]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣١٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٣).
(٤) حلية الأولياء (٤/ ٣١١).
(٥) حلية الأولياء (٤/ ٣١٢).
(٦) حلية الأولياء (٤/ ٣١٢، ٣١٣).
(٧) حلية الأولياء (٤/ ٣١٣).

قال: عيسى بن أبى عيسى الخياط عن الشعبى: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل، والنسك، فإن كان ناسكًا ولم يكن عاقلاً، قال هذا أمر لا يناله إلا العقلاء، فلم يطلبه، وإن كان عاقلاً ولم يكن ناسكًا، قال: هذا أمر لا يناله إلا النساك، فلم يطلبه، قال الشعبى: ولقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليست فيه واحدة منهما، لا عقل، ولا نسك.[(1)]

وعن محمد بن بشر أو بشير قال: قال الشعبى: اتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبدين، فإنها آفة كل مفتون.[(1)]

وعن داود بن أبى هند عن الشعبى: الرجال ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا شيء، فأما الرجل التام: هو الذى له رأى وهو يستشير، وأما نصف الرجل: فالذى ليس له رأى وهو يستشير، وأما الذى لا شيء: فالذى ليس له رأى، ولا يستشير.[(1)]

وعن مجالد عن الشعبى: العلم أكثر من أن يحصى، فخذ من كل شيء أحسنه.[(2)]

وقال أيضاً عنه: ليس حُسْنُ الجوار أن تكف أذاك عن الجار، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار.[(2)]

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الهيثم بن عدى، ويحيى بن بكير: مات سنة ثلاث ومئة. زاد يحيى: وسنه تسع وسبعون سنة.

وقال يحيى بن معين، وغيره: مات سنة ثلاث أو أربع ومئة.

وقال أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد القطان: مات قبل الحسن بيسير، ومات الحسن سنة عشر ومئة بلا خلاف.[(3)] فرَحِمَه اللَّهُ رحمةً واسعةً.

---

(١) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٦). (٢) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٨).
(٣) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٩، ٤٠) باختصار.

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٧)

طَاوُوسُ بْنُ كَيْسَانَ

مع سلسلة (من أعلام السَّلف) المباركة، وعَلَمنَا فى هذه الترجمة إمام من أئمة التابعين من أهل اليمن، والإيمان يمان، والحكمة يمانية، إنه طاووس بن كيسان، من تلامذة ابن عباس ﷺ وقيل: سُمِّيَ طاووسًا لأنه كان طاووس القراء، كان من أزهد الناس وأورعهم، وأشدهم على الحكام الجائرين، فرحم الله أئمتنا وجمعنا بهم فى عليين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: طاووس بن كيسان اليمنى الحميرىَ مولىَ بحير بن كريسان الحميرى من أبناء فارس.

وقال أبو حاتم ابن حبان وأبو بكر ابن منجويه: كانت أمه من أبناء فارس، وأبوه من قاسط.

وقيل: اسمه ذكوان، وطاووس لقبه.

وروى عن يحيى بن معين قال: سمى طاووسًا لأنه كان طاووس القراء.[1]

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: أراه ولد فى دولة عثمان ﷺ أو قبل ذلك.[2]

(١) تهذيب الكمال باختصار (١٣/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨).

صِفَتُهُ: قال جرير بن حازم: رأيت طاووسًا يخضب بحناء شديد الحمرة، وقال فطر بن خليفة: كان طاووس يصبغ بالحنَّاء.

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر المُلَيْلى: رأيت طاووسًا وبين عينيه أثر السجود.(1)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال حبيب بن الشهيد: كنت عند عمرو بن دينار فذُكِرَ طاووس، فقال: ما رأيت أحداً قط مثل طاووس.(٢)

وعن عثمان بن سعيد قال: قلت ليحيى بن معين: طاووس أحبُّ إليك أو سعيد بن جبير؟ فقال: ثقات ولم يخيّر.(٢)

وروى عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال: إنى لأظن طاووسًا من أهل الجنة.(٣)

وقال ابن شهاب: لو رأيتَ طاووساً علمتَ أنه لا يكذب.(٤)

وقال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن فقهائهم، ومن سادات التابعين.(٥)

وعن ابن عيينة قال: قلت لعبيد الله بن أبى يزيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء وأصحابه. قلت: طاووس؟ قال: أيهان ذاك كان يدخل مع الخواص.(٦)

وعن ابن أبى نجيح قال: قال مجاهد لطاووس: رأيتك يا أبا عبد الرحمن تصلى فى الكعبة، والنبى ﷺ على بابها، يقول لك: اكْشفْ قنَاعَك، وَبَيِّنْ قرَاءَتَكَ. قال طاووس: اسكت، لا يسمع هذا منك أحد. قالَ: ثم خُيِّلَ إلىَّ أنه انبسط فى الكلام؟ يعنى: فرحاً بالمنام.(٧)

وقد كان من عادته -رَحِمَهُ اللَّهُ- التقنع، فعن حاتم وابن أيوب الجعفى قال: كان طاووس يتقنع، لا يدع التقنع.(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٤).
(٢) الجرح والتعديل (٤ الترجمة ٢٢٠٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣).
(٥) الثقات (٤/ ٣٩١)
(٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦).
(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣٨).

وعن يونس بن الحارث قال: رأيت طاووساً يصلى وهو متقنع. (١)

وعن قيس بن معد قال: كان طاووس فينا مثل ابن سيرين فيكم. (٢)

وقال سفيان: وحلف لنا إبراهيم بن ميسرة، وهو مستقبل الكعبة: وربِّ هذه البنية، ما رأيت أحدًا الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاووسًا. (٣)

وروى جعفر بن بُرْقان قال: حدثنا طاووس، ولا تحسبن فينا أحدًا أصدق لهجةً من طاووس. (٤)

٣ - وَرَعُــهُ وَزُهْـدُهُ وَخَشْيَتُـهُ

عن عبد الله بن بشر أن طاووساً اليمانى كان له طريقان إلى المسجد، طريق فى السوق، وطريق آخر، فيأخذ فى هذا يومًا، وفى هذا يومًا، فإذا مَرَّ فى طريق السوق فرأى تلك الرؤوس المشوية، لم ينعس تلك الليلة. (٥)

وعن سفيان الثورى قال: كان طاووس يجلس فى بيته، فقيل له فى ذلك، فقال: حيف الأئمة، وفساد الناس. (٥)

وعن ابن طاووس قال: قلت لأبى: أريد أن أتزوج فلانة. قال: اذهب، فانظر إليها، قال: فذهبت فلبست من صالح ثيابى، وغسلت رأسى، وأتيت، فلما رآنى فى تلك الهيئة، قال: اقعد لا تذهب. (٦)

عن عبد الرزاق قال: سمعت النعمان بن الزبير الصفانى، يحدث أن محمد بن يوسف أخا الحجاج، أو أيوب بن يحيى بعث إلى طاووس بسبعمائة دينار، أو خمسمائة، وقيل للرسول: إن أخذها منك، فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك، قال: فخرج بها حتى قدم على طاووس، فقال: يا أبا عبد الرحمن، نفقة بعث الأمير بها إليك. قال: ما لى بها من حاجة، فأراده على أخذها، فأبى أن يقبل طاووس،

(١) طبقات ابن سعد (٥/٥٣٨).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/٥٤١).
(٣) تهذيب الكمال (١٣/٣٧١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/٤٦).
(٥) حلية الأولياء (٤/٤).
(٦) حلية الأولياء (٤/١٠).

فرمى بها فى كوة البيت، ثم ذهب، فقـال لهم: أخذها، فلبثوا حينًا، ثم بلغهم عن طاووس شيئًا يكرهونه، فـقال: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا، فـجاءه الرسول فقال: المال الذى بعث به إليك الأمير. قال: ما قبضت منه شيئًا، فرجع الرسول فأخبرهم، فعرفوا أنه صادق، فـقال: انظروا الذى ذهب بها فابعثوا إليه، فبعـثوه، فجاءه وقال: المال الذى جئتك به يا أبا عبد الرحمن، قال: هل قبضت منك شيئًا، قال: لا، قال: هل تعلم أين وضعتـه؟ قال: نعم، فى تلك الكوة، قال: انظر حيث وضعـته، فمد يده، إذا هو بالصرّة قد بنت عليها العنكبوت، قال: فأخذها فذهب بها إليهم.[١]

وعن أيوب قـال: سأل رجل طاووسًـا عن شىء، فانتـهره، ثم قـال: يريد أن يجعل فى عنقى حبل ثم يُطاف بى.[٢]

وعن عمر بن طاووس قال: جاء رجل من الخوارج إلى أبى، فقال: أنت أخى. فقال أبى: أمن بين عباد الله! المسلمون كلهم أخوة.[٣]

وعن أبى عاصم قال: زعم لى سـفيان قال: جاء ابنٌ لسليمـان بن عبد الملك، فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه، فـقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه؟ قال: أردت أن يعلم أن لله عبادًا يزهدون فيما فى يديه.[٤]

وقال الحافظ: قال عمـرو بن دينار: ما رأيت أحدًا أعفَّ عما فى أيدى الناس من طاووس.

وقال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر فى زمانه، وطاووس فى زمانه، والثورى فى زمانه.[٥]

وروى عن عبد الرزاق عن أبيه قال: كان طاووس يصلى فى غداة باردة مغيمة، فمر به محمد بن يوسف أخو الحجاج، أو أيوب بن يحيى فى موكبه وهو ساجد، فأمر بسباخ أو طيلسان مرتفع فطرح عليـه، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته،

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ١٤، ١٥).
(٢) تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٨).
(٣) تهذيب الكمال (١٣/ ٣٦٩).
(٤) تهذيب الكمال (١٣/ ٣٧٢).
(٥) تهذيب التهذيب (٥/ ١٠).

فلما سلَّم نظر، فإذا السباخ عليه فانتفض ولم ينظر إليه، ومضى إلى منزله.(١)

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر المكى: رأيت طاووسًا وبين عينيه أثر السجود.(٢)

٤ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن داود بن إبراهيم: أن الأسد حَبس الناس ليلة فى طريق الحج، فدقَّ الناس بعضهم بعضًا، فلما كان السحر ذهب عنهم، فنزل الناس يمينًا وشمالاً، فألقوا أنفسهم وناموا، فقام طاووس يصلى، فقال له رجل: ألا تنام؟ فإنك نَصَبْتَ هذه الليلة؟ فقال طاووس: وهل ينام السحرَ أحدٌ.(٣)

وعن ابن شوذب قال: شهدت جنازة طاووس بمكة سنة خمس ومئة، فجعلوا يقولون: رحم الله أبا عبد الرحمن حَجَّ أربعين حجة.(٤)

٥- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال المزِّى: روى عن جابر بن عبد الله، وحجر المدرى، وزياد بن الأعجم، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل ولم يلقه، وأبى هريرة، وعائشة أم المؤمنين، وأم كرز الكعبية، وأم مالك البهزية.(٥)

وقال عبد الملك بن ميسرة عنه: أدركت خمسين من الصحابة.(٦)

تلامذته: قال الحافظ: وعنه ابنه عبد الله، ووهب بن منبه، وسليمان القيمى، وسليمان الأحول، وأبو الزبير، وإبراهيم بن ميسرة، وحبيب بن أبى ثابت، والحكم ابن عتبة، والحسن بن مسلم بن يناق، وسليمان بن موسى الدمشقى، وعبد الكريم الجزرى، وعبد الكريم أبو أمية، وعبد الملك بن ميسرة، وعمرو بن شعيب، وعمرو بن دينار، وعمرو بن مسلم الجندى، وقيس بن سعد المكى، ومجاهد، وليث بن أبى سليم، وهشام بن حجير، وغيرهم.(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٤).
(٣) حلية الأولياء (٤/ ١٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥).
(٥) تهذيب الكمال (١٣/ ٣٥٨).
(٦) تهذيب التهذيب (٥/ ٩).

٦ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن أبان أبى نجيح عن أبيه: أن طاووسًا قَالَ له: أى أبا نجيح، من قال واتقى الله، خير ممن صمت واتقى الله.(١)

وعن هشام بن حجير عن طاووس قال: لا يتم نُسك الشاب حتى يتزوج.(٢)

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: قال لى طاووس: لتنكحن، أو لأقولن ما قال عمر ابن الخطاب لأبى الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور.(٢)

وعن سفيان قال: سمعت طاووسًا يقول: لا يحرز دين المرء إلا حفرته.(٢)

وعن ابن طاووس عن أبيه قال: البخل: أن يبخل الإنسان بما فى يديه، والشح أن يحبَّ الإنسان أن يكون له ما فى أيدى الناس بالحرام، لا يقنع.(٢)

وعن ابن طاووس عن أبيه قال: كان رجل له أربع بنين، فمرض فقال: أحدهم: إما أن تمرِّضوه وليس لكم من ميراثه شىء، وإما أن أمرِّضه وليس لى من ميراثه شىء، قالوا: مرضه، وليس لك من ميراثه شىء، قال: فمرضه حتى مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئًا.

قال: فأُتِىَ فى النوم، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا، فخذ منه مائة دينار، فقال فى نومه: أفيها بركة؟ قالوا: لا. قال: فأصبح فذكر ذلك لامرأته، فقالت امرأته: خذها، فإن من بركتها أن نكتسى منها، فأبى، فلما أمسى أُتِىَ فى النوم، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا، فخذ منه عشرة دنانير، فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا، فلما أصبح قال ذلك لامرأته، فقالت له مثل مقالتها الأولى، فأبى أن يأخذها، فأُتِىَ فى الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا، فخذ منه دينارًا، فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم، قال: فذهب فأخذه، ثم خرج إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين، فقال: بِكَمْ هما؟ قال بدينار. قال: فأخذهما منه بدينار، ثم انطلق بهما، فلما دخل بيته شق بطنهما، فوجد فى

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ٥).

(٢) حلية الأولياء (٤/ ٦).

بطن كل واحدة منهما درة، لم ير الناس مثلها. قال: فبعث الملك يطلب درة يشتريها، فلم توجد إلا عنده، فباعها بوقر ثلاثين بغلاً ذهبًا، فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت؟ اطلبوا أختها، وإن أضعفتم. قال: فجاءوا، فقالوا: أعندك أختها، ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: وتفعلون؟! قالوا: نعم. فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا الأولى.(١)

وعن ابن طاووس عن أبيه قال: لقى عيسى -عليه السلام- إبليس، فقال: أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدر لك؟ قال: نعم. قال: فارق ذروة هذا الجبل، فترَدَّ منه، فانظر أتعيش أم لا. قال عيسى: إن الله يقول: لا يجربنى عبدى، فإنى أفعل ما شئت.

ورواه معمر عن الزهرى، وفيه: فقال: إن العبد لا يبتلى ربَّه، ولكن الله يبتلى عبده، قال: فخصمه.(٢)

وعن طاووس قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم، إلا أحصى عليه، حتى أنينه فى مرضه.(٢)

عن أبى عبد الله الشامى قال: استأذنت على طاووس، لأسأله عن مسألة، فخرج علىَّ شيخ كبير، فظننته هو. فقال: لا، أنا ابنه. قلت: إن كنت ابنه، فقد خرَّف أبوك، قال: تقول ذاك ؟ إن العالم لا يخرف. قال: فدخلت، فقال لى طاووس: سل وأوجز، وإن شئت علَّمتك فى مجلسك هذا القرآن والتوراة والإنجيل. قلت: إن علمتنيهم، لا أسألك عن شيء. قال: خف الله مخافة لا يكونُ شيء عندك أخوف منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحبَّ للناس ما تحبه لنفسك.(٣)

---

(١) حلية الأولياء (٤/ ٧، ٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٧).

٧ – وَفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال محمد بن عمر الواقدى، ويحيى القطان، والهيثم، وغيرهم: مات طاووس سنة ست ومئة، ويقال: كانت وفاته يوم التروية من ذى الحجة، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك، اتفق له ذلك، ثم بعد أيام اتفق له الصلاة بالمدينة، على سالم بن عبد الله.[1]

وروى عبد الرزاق عن أبيه قال: مات طاووس بمكة، فلم يصلوا عليه، حتى بعث هشام بن عبد الملك بالحرس. قال: فلقد رأيت عبد الله بن الحسن بن الحسن واضعا السرير على كاهله، فسقطت قلنسوة كانت عليه، ومُزِّق رداؤه من خلفه، فما زايله إلى القبر، توفى بمزدلفة أو بمنًى.[1]

وقال الذهبى: توفى طاووس بمكة أيام الموسم، ومن زعم أن قبر طاووس ببعلبك فهو لا يدرى ما يقول، بل ذاك شخص اسمه طاووس، إن صح، كما أن قبر أُبى بشرق دمشق، وليس بأُبى بن كعب البتة.[2]

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٤، ٤٥).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَف

(٨)
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ

فمع أحد العلماء العاملين، وأئمة التابعين، الإمام الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء، تشرَّب بالعلم حتى نطق بالحكمة، وصفه أبو نعيم فقال: ومنهم حليف الخوف والحزن، أليف الهَمِّ والشَّجَن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن، الفقيه الزاهد، المتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً، ولشهوة النفس ونخوتها واقذاً.(١)

ووصفه الذهبى فقال: مناقبه كثيرة، ومحاسنه غزيرة، كان رأسًا فى العلم والحديث، إمامًا مجتهدًا، كثير الاطلاع، رأسًا فى القرآن وتفسيره، رأسًا فى الوعظ والتذكير، رأسًا فى الحلم والعبادة، رأسًا فى الزهد والصدق، رأسًا فى الفصاحة والبلاغة، رأساً فى الأيد والشجاعة.

كان رجلاً مليحًا، تام الشكل، وحسن الصورة، طال عمره فى العلم والعمل، فقال ابنه: عاش أبى ثمان وثمانين سنة، عصمه الله -عَزَّ وَجَلَّ- من الفتن، فلم يخفَ فى فتنة ابن الأشعث، وسلك مسلك الورع؟ فكان ينهى عن الانضمام إليه، وكذا إلى جيش الحجاج، فأمر باعتزال الجميع، وهذا هو الواجب على المسلم فى الفتن، وكان يرى الحجاج الثقفى عقوبة من الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومع ذلك يدعو إلى اللجوء إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وعدم اللجوء إلى السلاح؟ فإنهم إذا لجأوا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- جعل لهم من ظلم الظالمين فرجًا ومخرجًا، وإذا لجأوا إلى السلاح

---

(١) الوقذ: الضرب حتى يسترخى، ويشرف على الموت.

وإلى الخروج عليـهم، وُكلوا إليه فلا يغنى عنهم شيـئاً، فما أحـوج المسلمين إلى معرفة أخباره، والانتفاع بآثاره.

وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، والحمد لله رب العالمين.

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسمه: الحسن بن أبى الحسن، واسـمه يسار البصَرى أبو سعـيد، مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جابر بن عبدالله، ويقـال: مولى جميل بن قطبة بن عامر بن حديدة، ويـقال: مولى أبـى اليسر، وأمـه خيـرة مولاة أم سلمـة زوج النبى ﷺ ويقال: إن يسار والد الحسن من سبى ميسان.

مولده: ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

صفته: قال محمد بن سعد: كان الحسن -رَحِمَهُ اللَّهُ- جامعًا، عالمًا، رفيعًا، فقيهًا، ثقة، حجّة، مامونًا، عابدًا، ناسكًا، كثير العلم، فصيحًـا، جميلاً، وسيمًا.[١]

قال الذهبى: كـان رجلاً تام الـشكل، مليح الصورة بَهِيًّا، وكان من الشـجعان الموصوفين.[٢]

وعن العوام بن حوشب قال: ما أشبِّه الحسن إلا بنبىّ.[٢]

عن شعبة قال: رأيت الحسن وعليه عمامة سوداء.[٣]

وعن عاصم بن سيـار الرقاشى: أخبرتنى أَمَةُ الحكم قـالت: كان الحسن يجىء إلى حطّان بن عبد الله الرقاشى، فما رأيت شابًا قط كان أحسن وجهًا منه.[٤]

٢ - ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

عن أبى بردة قال: ما رأيت أحداً أشبه بأصحَاب محمد ﷺ منه.[٥]

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٢).
(٣) تاريخ الإسلام (٧/ ٥١).
(٤) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٢).

وعن حميد بن هلال قال: قال لنا أبو قتادة: الزموا هذا الشيخ، فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر منه، يعني: الحسن.(١)

وعن أنس بن مالك قال: سلوا الحسن؟ فإنه حفظ ونسينا.(١)

وعن أيوب قال: كان الحسن يتكلم بكلام كأنه الدر، فتكلم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القيءُ.(٢)

قال ابن سعد: قدم مكة، فأجلسوه على سرير، واجتمع الناس إليه فحدثهم، فكان فيمن أتاه: مجاهد، وعطاء، وطاووس، وعمرو بن شعيب، فقالوا، أو قال بعضهم: لم نر مثل هذا قط.(٣)

وعن قتادة قال: ما جمعت علم الحسن إلى علم أحد إلا وجدت له عليه فضلاً، غير أنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى سعيد بن المسيب، يسأله.(٤)

وقال أيوب السختياني: كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج، ما يسأله عن مسألة؛ هَيبة له.(٤)

وقال معاذ بن معاذ: قلت لأشعث: قد لقيت عطاء وعندك مسائل أفلا سألته؟ قال: ما لقيت أحداً بعد الحسن، إلا صغر في عيني.(٤)

وقال قتادة: ما جالست فقيهًا إلا رأيت فضل الحسن عليه.(٥)

وعن الأشعث بن سَوَّار قال: أردت أن أقدم البصرة لألقى الحسن، فسألت الشعبي فقلت: يا أبا عمرو، إني أريد أن آتي البصرة، قال: وما تصنع بالبصرة؟ قلت: أريد أن ألقى الحسن؟ فصفه لي قال: نعم، أنا أصفه إذا دخلت البصرة فادخل مسجد البصرة، فارم ببصرك، فإذا رأيت في المسجد رجلاً ليس في المسجد مثله، أو لم تر مثله، فهو الحسن. قال الأشعث: فأتيت مسجد البصرة فما سألت عن الحسن أحدًا حتى جلست إليه، بنعت الشعبي.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٨).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٥٧).
(٥) تهذيب الكمال (٦/ ١٠٧).

وعن خـالد بن صفوان قـال: لقيت مسلمة بن عبد الملك، فـقال: أخبرنى عن حسن أهل الـبصرة. قلت: أصلـح الله الأمير، أخـبرك عنه بعلم، أنـا جاره إلى جنبه، وجليسه فى مجلسه أشبه الناس سـريرة بعلانية، وأشبه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد به، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كـان أترك الناس له، رأيتـه مـسـتـغنيـاً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه. قال: حسبك يا خالد، كيف يضل قوم هذا فيهم.(١)

وعن الأعمش قـال: ما زال الحـسن البصـرى يَعِى الحكمة، حتى نـطق بها، وكان إذا ذكر عند أبى جعـفر محمد بن علىّ بن الحسـين، قال: ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء.(٢)

٣ - عِبَـادَتُـهُ وَخَـوْفُـهُ وَحُـزْنُـهُ

قال إبراهيم بن عيسى اليشكرى: ما رأيت أحدًا أطول حزنًا من الحسن، ما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.(٣)

وقال السَّـرى بن يحيى: كـان الحسن يـصوم البيض، وأشـهـر الحرم، والاثنين والخميس.(٤)

وعن شعـيب صاحب الطيالسـة قال: رأيت الحسن يقـرأ القرآن فيـبكى، حتى يتحدر الدمع على لحيته.(٥)

وعن يونس قـال: كان الحـسن رجلاً محـزونًا، وكان ابـن سيرين صـاحب ضحك ومزاح.(٦)

عن مطر الوراق قال: كان جابر بن زيد رجل أهل البـصرة، فلما ظهر الحسن، جاء رجل كأنما كان فى الآخرة، فهو يخبر عما رأى وعاين.(٧)

---

(١) تاريخ الإسلام (٧/ ٥٨).
(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٤٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٨).
(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ١٧٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ١٦٢).
(٧) تهذيب الكمال (٢/ ٢٣١).

وعن هشام عن الحسن قال: إنه المؤمن يصبح حزينًا، ويسمى حزيناً، وينقلب فى الحزن، ويكفيه ما يكفى العنيزة.(١)

وعن محمد بن حجادة عن الحسن قال: ذهبت المعارف، وبقيت المناكير، ومن بقى من المسلمين فهو مغموم.(٢)

٤ - علمه - رحمه الله -

قال قتادة: كان الحسن من أعلم النّاس بالحلال والحرام.(٣)

وعن بكر بن عبد الله المزنى قال: من سره أن ينظر إلى أفقه من رأينا، فلينظر إلى الحسن.(٣)

وعن أبى هلال قال: كنت عند قتادة، فجاء الخبر بموت الحسن، فقلت: لقد غمس فى العلم غمسة. قال قتادة: بل نبت فيه، وتحقبه، وتشربه، والله، لا يبغضه إلا حرورى.(٤)

وعن حجاج بن أرطاة قال: سألت عطاء عن القراءة على الجنازة قال: ما سمعنا ولا علمنا، أنه يقرأ عليها. قلت: إن الحسن يقول: يقرأ عليها. قال عطاء: عليك بذاك، ذاك إمام ضخم يقتدى به.(٥)

وعن أبى سعيد ابن الأعرابى قال: كان عامة من ذكرنا من النساك يأتون الحسن، ويسمعون كلامه، ويذعنون له بالفقه فى هذه المعانى خاصة، وكان عمرو ابن عبيد، وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له، وكان له مجلس خاص فى منزله، لا يكاد يتكلم فيه إلا فى معانى الزهد والنسك، وعلوم الباطن، فإن سأله إنسان غيرها، تبرم به، وقال: إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر، فأما حلقته فى المسجد، فكان يَمُرّ فيها الحديث، والفقه، وعلوم القرآن، واللغة، وسائر العلوم،

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٣٣).
(٢) حلية الأولياء (٢/ ١٣٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٣، ٥٧٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٤).

وكان ربما يسأل عن التصوف فيجيب، وكان منهم من يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم الخصوص، كعمرو بن عبيد، وأبى جهيم، وعبد الواحد بن زيد، وصالح المرىِّ، وشميط، وأبي عبيدة الناجى، وكل واحد من هؤلاء اشتهر بحال، يعنى: فى العبادة.[1]

وعن خالد بن رباح: أن أنس بن مالك سئل عن مسألة، قال: عليكم مولانا الحسن، فقال: إنا سمعنا وسمع، فحفظ ونسينا.[2]

وعن قتادة قال: دخلنا على الحسن وهو نائم وعند رأسه سلة، فجذبناها، فإذا خبزٌ وفاكهة، فجعلنا نأكل، فانتبه فرآنا، فَسَرَّه فتبسم، وهو يقرأ: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ (النور: ٦١)، لا جناح عليكم.[3]

٥ - الـحَسَنُ الْبَصْـرِيُّ وَفِتْنَـةُ ابْنِ الأَشْعَـثِ

يبدو أن الحسن البصرى -رَحِمَهُ اللَّه- كان مُعَارضًا للخروج على الحجاج مع ابن الأشعث، ولكنهم ما زالوا به حتى أكرهوه على الخروج معهم، ثم نجاه الله -عَزَّ وجَلَّ- بفضله ورحمته، وكاد أن يهلك، وهذه جملة من أخباره -رَحِمَه اللَّهُ- تنبئ بذلك .

عن سليمان بن على الربعى قال: لما كانت الفتنة -فتنة ابن الأشعث- إذ قاتل الحجاج بن يوسف، انطلق عقبة بن عبد الغافر، وأبو الجوزاء، وعبد الله بن غالب فى نظرائهم، فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول فى قتال هذا الطاغية، الذى سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل، وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؟

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٩).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٥٧٧).

فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادى عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاءً، فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج! قال: وهم قوم عرب. قال: وخرجوا مع ابن الأشعث، قال: فقتلوا جميعًا.(١)

وعن الحسن قال: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يُفَرَّجُ عنهم، ولكنهَم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله، ما جاؤوا بيوم خيرًا قط.(١)

وعن أيوب قال: قيل لابن الأشعث: إن سَرّك أن يُقتلوا حولك كما قتلوا حول جمل عائشة، فأخرج الحسن، فأرسل إليه، فأكرهه.(٢)

وعن ابن عون قال: استبطأ الناس أيام ابن الأشعث؟ فقالوا له: أخرج هذا الشيخ -يعنى: الحسن- قال ابن عون: فنظرت إليه بين الجسرين، وعليه عمامة سوداء. قال: فغفلوا عنه، فألقى نفسه فى بعض تلك الأنهار، حتى نجا منهم، وكاد يومئذ أن يهلك.(٢)

وعن سلم بن أبى الذيّال قال: سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام، فقال: يا أبا سعيد، ما تقول فى الفتن مثل يزيد بن المهلب، وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء. فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ فغضب، ثم قال بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد، نعم، ولا مع أمير المومنين.(٣)

وعن ابن عون قال: كان مسلم بن يسار أرفع عند أهل البصرة من الحسن، حتى خَفَّ مع ابن الأشعث. فلم يزل فى علو منها بعدُ، وسقط الآخر.(٤)

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٣، ١٦٤).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٤).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٥).

٦- شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: رأى علياً، وطلحة، وعائشة، وكتب للربيع بن زياد والى خراسان في عـهد معاوية، روى عن أبى بن كـعب، وسعد بن عبـادة، وعمر بن الخطاب، ولم يدركـهم، وعن ثوبان، وعمار بن ياسـر، وأبى هريرة، وعثمان بن أبى العاص، ومعقل بن سنان، ولم يسمع منهم.(١)

وقال الذهبى: روى عن عمران بن حـصين، والمغيرة بن شعبـة، وعبد الرحمن ابن سمـرة، وأبى بكرة، والنعمـان بن بشير، وجندب بن عـبد الله، وسـمرة بن جندب، وابن عـباس، وابن عـمـر، وجابر، وعـمرو بن تـغلب، وعبـد الله بن عمـرو، ومعـقل بن يسار، وأبى هريرة، والأسـود بن سريع، وأنس بـن مالك، وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين: كالأحنف بن قيس، وحطان الرقاشى.(٢)

تَلامِـذَتُهُ: قالَ الحـافظ: وعنه: حمـيد الطويل، ويزيد بن أبى مـريم، وأيوب، وقتـادة، وعوف الأعرابى، وبكر بن عـبـد الله المزنى، وجـرير بن حـازم، وأبو الأشـهب، والربيع بن صـبيح، وسـعيـد الجريـرى، وسعـد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عـوف، وسماك بن حرب، وشيبـان النحوى، وابن عون، وخالد الحذاء، وعطاء بن السـائب، وعثمان البـتى، وقرة بن خالد، ومبارك بـن فضالة، ومعبد بن هلال، وآخرون، من أواخرهـم: يزيد بـن إبراهيم التستري، ومعاوية بن عبد الكريم الثقفى المعروف بالضَّال.(١)

٧ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِـهِ - رَحِمَـهُ الـلَّـهُ -

عن عمران بن خالد قال: قال الحـسن: إنَ المؤمن يصبح حزيناً ويمسى حزينًا، ولا يسعـه غير ذلك، لأنه بين مـخافتـين: بين ذنب قد مـضى، لا يدرى ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقى، لا يدرى ما يصيب فيه من المهالك.(٣)

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٣١). (٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٥).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ١٣٢).

عن عمران القصير قال: سألت الحسن عن شيء فقلت: إن الفقهاء يقولون: كذا وكذا. فقال: وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه -عَزَّ وَجَلَّ-. (١)

عن طلحة بن صبيح عن الحسن قال: المؤمن من يعلم أن ما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- كما قال، المؤمن أحسن عملاً، وأشد الناس خوفًا، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين، ولا يزداد صلاحًا وبرًا وعبادة إلا ازداد فرقًا؛ يقول: لا أنجو، والمنافق يقول: سواد الناس كثير، وسيُغفر لي، ولا بأس عَلَيَّ، وينسى العمل، يتمنى على الله تعالى. (٢)

وعن هشام بن حسان قال: سمعت الحسن يحلف بالله، ما أعزَّ أحدٌ الدرهم، إلا أذله الله. (٣)

وعن حزم بن أبي حزم قال: سمعت الحسن يقول: بئس الرفيقان الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتى يفارقاك. (٣)

وعن أبي عبيدة الناجي عن الحسن قال: ابنَ آدم، ترْكُ الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة، ما يؤمنك أن تكون أصبت كبيرة أغلق دونها باب التوبة، فأنت في غير معمل. (٤)

عن زريك بن أبي زريك قال: سمعت الحسن يقول: إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل. (٥)

عن عمارة قال: كنت عند الحسن، فدخل علينا فرقد، وهو يأكل خبيصًا. فقال: تعال فكُلْ، فقال: أخاف أن لا أؤدي شكره. فقال الحسن: وتؤدي شكر الماء البارد؟!(٦)

---

(١) حلية الأولياء (٢/١٤٩).
(٢) حلية الأولياء (٢/١٥٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٥٧٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٥٧٨).
(٥) طبقات ابن سعد (٧/١٦٦).
(٦) طبقات ابن سعد (٧/١٧٦).

٨- وَفـاتُـهُ - رَحِمَـهُ الـلَّـهُ -

عن عبد الواحد بن ميمون، مولى عروة بن الزبير، قال: قال رجلٌ لابن سيرين: رأيت طائرًا آخذًا الحسن حصاه في المسجد. فقال ابن سيرين: إن صدقتْ رؤياك، مات الحسن. قال: فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات.[١]

عن يونس قال: لما حضرتِ الحسنَ الوفاةُ، جعل يسترجع، فقام إليه ابنه فقال: يا أبت قد غممتَنَا، فهل رأيت شيئًا؟ قال: هى نفس لم أصب بمثلها.

قال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشيةَ يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر، فقال: مات الحسن، فترحَّم عليه محمد، وتغير لونه، وأمسك عن الكلام، فما تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه؟ مما رأوا من وجده عليه.

قال الذهبى: وما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مئة يوم.

وقال عبدالله بن الحسن: إن أباه عاش نحوًا من ثمان وثمانين سنة.

قال الذهبى: مات فى أول رجب، أى: سنة عشر ومئة، وكانت جنازته مشهودة، وصلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة، فشيعه الخلق، وازدحموا عليه، حتى إن صلاة العصر لم تقم فى الجامع.

ويروى: أنه أغمى عليه، ثم أفاق إفاقة، فقال: لقد نبهتمونى من جنات وعيون ومقام كريم.

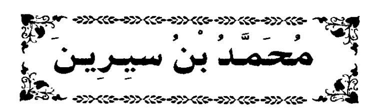
فرَحِمَهُ اللَّه رحمة واسعة، وأدخلنا وإياه جنة عالية قطوفها دانية.

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١٧٤).

مِنْ أَعْلامِ السَّلَفِ

(٩)



مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِين

فمع عَلَم من أعلام السلف الكرام، ومن علماءَ التابعين الأعلام، وهو محمد ابن سيرين، إمام في الورع، وتأويل الرؤيا.

قال أبو نعيم: ومنهم ذو العقل الرصين، والورع المتين، المطعم للإخوان والزائرين، ومعظِّم الرجاء للمذنبين والموحدين، أبو بكر محمد بن سيرين، كان ذا ورعٍ وأمانة، وحيطة وصيانة، كان بالليل بكّاء نائحاً، وبالنهار سائحاً، بسامًا، يصوم يوماً ويفطر يومًا.(١)

وقال محمد بن جرير الطبري: كان ابن سيرين فقيهًا، عالماً، ورعًا، أديباً، كثير الحديث، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة.(٢)

اجتمعت في هذا الإمام خلال، من فضل الكبير المتعال، جعلته من أكابر الرجال في الورع، والاحتياط في الدين، والاجتهاد في طاعة رب العالمين، مع الديانة، والصيانة، وكثرة الرواية، ثم هو من بيت علم وفضل وكمال، فقد كان سابع سبعة من إخوته من ثقات التابعين، أُلْهِمَ في تأويل الرؤيا، وَعُلِّم من علم التعبير ما صار يضرب به المثل في هذا العلم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، فنسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن ينفعنا بعلم هؤلاء الأكابر، ويجمعنا بهم في دار النعيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣).   (٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١).

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: محمد بن سيرين الأنصارى أبو بكر ابنَ أبى عمرة البصرى، أخو أنس، ومعبد، وحفصة، وكريمة، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وكان أبوه من سبى «عين التمر»، الذين أسرهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.

مَوْلِدُهُ: عن أنس بن سيرين قال: ولد أخى محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر.

قال الحاكم: هكذا وجدت فى كتابى «عمر»، وقال غيره: عثمان.

قال الذهبى: الثانى أشبه، ولو كان أَوْلاهُمَا الأوَّل، لكان ابن سيرين فى سنِّ الحسن، ومعلوم أن محمدًا كان أصغر بسنوات.[١]

صِفَتُهُ: عن يوسف بن عطية قال: رأيت ابن سيرين قصيرًا، عظيم البطن، له وفرة، يفرق شعره، كثير المزاح والضحك، يخضِّب بالحنَّاء.[٢]

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن هشام بن حسان قال: حدثنى أصدق من أدركت من البشر: محمد بن سيرين.[٣]

وقال محمد بن سعد: كان ثقة، مأموناً، عالمًا، رفيعًا، فقيهًا، إمامًا، كثير العلم، ورعاً، وكان به صمم.[٤]

وقال العجلى: بصرى تابعى ثقة، وهو من أروى الناس عن شريح وعبيدة، وإنما تأدب بالكوفيين أصحاب عبد الله، وإخوته: معبد، ويحيى، وأنس، وحفصة «أم الهذيل»، تابعون ثقات.[٣]

عن عمرو بن دينار قال: والله، ما رأيت مثل طاووس، فقال أيوب السختيانى، وكان جالساً: والله، لو رأى محمد بن سيرين، لم يقله.[٥]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٧، ٦٠٨).
(٣) تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٥٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٨).

وعن عثمان البتى قال: لم يكن بالبصرة أحد أعلم بالقضاء من ابن سيرين.(١)

وعن شعيب بن الحبحاب قال: كان الشَّعبيُّ يقول لنا: عليكم بذاك الأصم، يعنى: ابن سيرين.(١)

وعن ابن عون قال: ثلاثة لم تر عيناي مثلهم: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حَيْوَة بالشام، كأنهم التقوا فتواصَوْا.(١)

وعن ابن عون قال: كان محمد من أرجى الناس لهذه الأمة، وأشد الناس إزراءً على نفسه.(٢)

وعن أم عبدان امرأة هشام بن حسان قالت: كنا نزولاً مع محمد بن سيرين فى الدار، فكنا نسمع بكاءه بالليل، وضحكه بالنهار.(٣)

عن ابن عون عن محمد بن سيرين: أنه لما ركبه الدين، اغتم لذلك فقال: إنى لأعرف هذا الغم بذنب أصبته منذ أربعين سنة. وعن عبد الله بن السرى قال: قال ابن سيرين: إنى لأعرف الذنب الذى حُمِل علىَّ به الدين ما هو؟ قلت لرجل من أربعين سنة يا مفلس فحدث به أبا سليمان الدارانى.

فقال: قَلَتْ ذنوبهم؟ فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبى وذنوبكم؛ فليس ندرى من أين نُؤْتَى.(٤)

٣- وَرَعُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الخطيب البغدادى: وكان محمد أحد الفقهاء من أهل البصرة، والمذكورين بالورع فى وقته.(٥)

وعن مورق العجلى قال: ما رأيت رجلاً أفقه فى ورعه، ولا أورع فى فقهه من محمد بن سيرين. وقال أبو قلابة: اصرِفوه حيث شئتم، فلتَجِدُنَّه أشدكم ورعاً، وأملككم لنفسه.(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٨).
(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٥).
(٣) تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٠).
(٤) حلية الأولياء (٢/ ٢٧١).
(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٣٣١).
(٦) تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٤).

وعن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال: لما حبس ابن سيرين فى السجن، قال له السَّجَّان: إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعال. فقال ابن سيرين: لا والله، لا أعينك على خيانة السلطان.(١)

وعن ابن عون قال: قال محمد فى شىء راجعته فيه: إنى لم أقل: ليس به بأس، إنما قلت: لا أعلم به بأساً.(٢)

وعن جرير بن حازم قال: سمعت محمد بن سيرين يحدِّث رجلاً، فقال: ما رأيت الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله، ما أرانى إلا قد اغتبت الرجل.(٢)

وعن طلق بن وهب الطاحى قال: دخلت على محمد بن سيرين، وقد كنت اشتكيت، فقال: ائت فلانًا فاستوصفه، فإنه حسن العلم بالطب، ثم قال: ولكن ائت فلانًا؟ فإنه أعلمُ منه. ثم قال: أستغفر الله، ما أرانى إلا قد اغتبته.(٢)

وقال بكر بن عبد الله المزنى: من أراد أن ينظر إلى أورع من أدركنا، فلينظر إلى محمد بن سيرين.(٣)

وعن يونس بن عبيد: لم يكن يعرض لمحمدٍ أمران فى ذِمَّته، إلا أخذ بأوثقهما.(٣)

وعن عمارة بن مهران قال: كنا فى جنازة حفصة بنت سيرين، فوُضِعَتْ الجنازة، ودخل محمد بن سيرين صهريجًا يتوضأ. فقال الحسن: أين هو؟! قالوا: يتوضأ صباً صباً، دَلكًا دَلكًا، عذاب على نفسه وعلى أهله.(٣)

وقال هشام بن حسان: كان محمد يتجر، فإذا ارتاب فى شىء تركه.(٤)

وعن المدائنى قال: كان سبب حبس ابن سيرين فى الدَّين أنه اشترى زيتاً بأربعين ألف درهم، فوجد فى زُق منه فأرة، فقال: الفأرة كانت بالمعصرة، فَصبَّ الزيت

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٣٣٤).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٥).

كله. وكان يقول: عيَّرت رجلاً بشيء منذ ثلاثين سنة، أحسبني عوقبتُ به، وكانوا يرون أنه عيَّر رجلاً بالفقر فابتُلى به.(١)

وعن ميمون بن مِهْران قال: قدمت الكوفة، وأنا أريد أن أشترى البز، فأتيت ابن سيرين بالكوفة، فساومته، فجعل إذا باعنى صنفاً من أصناف البزّ قال: هل رضيتَ؟ فأقول: نعم، فيعيد ذلك عليَّ ثلاث مرات، ثم يدعو رجلين فيشهدهما، ولا يشترى ولا يبيع بهذه الدراهم الحجَّاجية، فلما رأيت ورعه، ما تركت شيئًا من حاجتى أجده عنده إلا اشتريته، حتى لفائف البزّ.(٢)

٤ - عِبَادَتُهُ وَبِرُّهُ بِأُمِّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن أيوب وهشام: أن ابن سيرين كان يصوم يوماً ويفطر يومًا.(٣)

وعن أنس بن سيرين قال: كانت لمحمدٍ سبعة أورادٍ، فكان إذا فاته شىءٌ من الليل قرأه بالنهار.(٣)

عن هشام بن حسان قال: حدثنى بعض آل سيرين قال: ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط، إلا وهو يتضرع.(٤)

وعن ابن عون قال: دخل رجل على محمد، وعنده أمه، فقال: ما شأن محمد أيشتكى شيئًا؟ قالوا: لا، ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه.(٤)

٥ - تَوَرُّعُهُ عَنِ الْفَتْوَى

قال أشعث: كان ابن سيرين إذا سُئل عن الحلال والحرام تغيَّر لونه؛ حتى تقول: كأنه ليس بالذى كان.(٥)

وعن عاصم الأحول قال: كنت عند ابن سيرين، فدخل عليه رجل فقال:

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٣٣٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٢٠).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٠).
(٤) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٣).

يا أبا بكر، ما تقول في كذا؟ قال: ما أحفظ فيها شيئاً. فقلنا له: فقل فيها برأيك. قال: أقول فيها برأيي، ثم أرجع عن ذلك الرأي، لا والله.(١)

وقال ابن شبرمة: دخلت على محمد بن سيرين بواسط، فلم أر أجبن على فتوًى منه، ولا أجرأ على رؤيا منه.(٢)

٦ - شِدَّتُهُ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْحُكَّامِ الْجَائِرِينَ

عن شعيب بن الحبحاب قال: قلت لابن سيرين: ما ترى في السماع من أهل الأهواء؟ قال: لا نسمع منهم، ولا كرامة.(٣)

وعن ابن عون قال: جاء رجل إلى محمد فذكر له شيئًا من القدر، فقال محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. قال: وَوضع إصبعيْ يديه في أذنيه، وَقال: إما أن تخرج عني، وإما أن أخرج عنك. وقال: فخرج الرجل. قال. فقال محمد: إن قلبي ليس بيدي؟ وإني خفتُ أن ينفث في قلبي شيئاً، فلا أقدر على إخراجه منه؛ فكان أحبَّ إِلَيَّ أن لا أسمع كلامه.(٤)

وعن عمر بن عبد العزيز قال: سمعت محمد بن سيرين، وسمع عمن يسمع القرآن فيصعق، قال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط، فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره، فإن سقطوا فهم كما يقولون.(٥)

وعن جعفر بن مرزوق قال: بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي. قال: فدخلوا عليه، فقال لابن سيرين: يا أبا بكر، ماذا رأيت منذ قربت من بابنا؟ قال: رأيت ظلماً فاشيًا، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تسأل، إنما أنا أُسْأَلُ، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف، وإلى ابن

(١) حلية الأولياء (٢/ ٢٦٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١١).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٧).
(٥) حلية الأولياء (٢/ ٢٦٥).

سيرين بثلاثة آلاف، وإلى الشعبى بألفين، فأما ابن سيرين فلم يأخذها.(١)

قال هشام: ما رأيت أحداً، عند السلطان أصلب من ابن سيرين.(٢)

٧ - بَرَاعَتُهُ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا

قال الذهبى -رَحِمَهُ اللَّه-: قد جاء عن ابن سيرين عجائب يطول الكتاب بذكرها، وكان له فى ذلك تأييد إلهى.(٣)

عن عبد الله بن مسلم المروزى قال: كنت أجالس ابن سيرين، فتركته وجالست الإباضية، فرأيت كأنى مع قوم يحملون جنازة النبى ﷺ فأتيت ابن سيرين فذكرته له، فقال: ما لك جالستَ أقواماً يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبى ﷺ.(٤)

وعن مغيرة بن حفص قال: سئل ابن سيرين فقال: رأيت كأن الجوزاء تقدمت الثريا، قال: هذا الحسن يموت قبلى، ثم أتبعه، وهو أرفع منى.(٣)

وعن يوسف الصباغ عن ابن سيرين قال: من رأى ربه تعالى فى المنام دخل الجنة.(٥)

وعن أبى قلابة: أن رجلاً قال لأبى بكر: رأيت كأنى أبول دماً، فقال: أتأتى امرأتك وهى حائض؟ قال: نعم، قال: اتقِ الله، ولا تَعُد.(٦)

وعن أبى جعفر عن ابن سيرين: أن رجلاً رأى فى المنام كأن فى حجره صبياً يصيح، فقص رؤياه على ابن سيرين، قال: اتقِ الله، ولا تضرب العود.(٧)

وعن مبارك بن يريد البصرى قال: قال رجل لابن سيرين رأيت كأنى أطير بين السماء والأرض، قال: أنت رجل تكثر المُنَى.(٨)

وعن هشام بن حسان قال: جاء رجل إلى ابن سيرين، وأنا عنده، فقال: إنى رأيت كأن على رأسَى تاجًا من ذهب، فقال له ابن سيرين: اتق الله، فإن أباك فى أرض غربة، وقد ذهب بصره، وهو يريد أن تأتيه. قال: فما زاده الرجل الكلام،

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٢٦٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٧).
(٥) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٦).
(٦) حلية الأولياء (٢/ ٢٢٧).
(٧) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٧).
(٨) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٨).

حتى أدخل يده فى حجزته فأخرج كتابًا من أبيه، يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه فى أرض غربة، ويأمر بالإتيان إليه.[1]

٨- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن مولاه أنس بن مالك، وزيد بن ثابت، والحسن بن علىّ بن أبى طالب، وجندب بن عبد الله البجلى، وحذيفة بن اليمان، ورافع بن خديج، وسليمان بن عامر، وسَمُرَةَ بن جندب، وابن عمر، وابن عباس، وعثمان بن أبى العاص، وعمران بن حصين، وكعب بن عجرة، ومعاوية، وأبى الدرداء، وأبى سعيد، وأبى قتادة، وأبى هريرة، وأبى بكر الثقفى، وعائشة أم المؤمنين، وأم عطية، وحميد بن عبد الرحمن الحميدى، وعبد الله بن سقيف، وعبد الرحمن بن أبى بكرة، وعبيدة السلمانى، وعبد الرحمن بن بشر بن مسعود، وقيس بن عباد، وكثير بن أفلح، وعمرو بن وهب، ومسلم بن يسار، ويونس بن جبير، وأبى المهلب الجرمى، وإخوته: معبد، ويحيى، وحفصة، ويحيى بن أبى إسحاق الحضرى وهو أصغر منه، وخالد الحذاء، وهو من تلامذته، وطائفة من كبار التابعين.[2]

تَلامذته: قال الحافظ: روى عنه الشعبى، وثابت، وخالد الحذاء، وداود بن أبى هند، وابن عون، ويونس بن عبيد، وجرير بن حازم، وأيوب، وأشعث بن عبدالملك، وحبيب بن الشهيد، وعاصم الأحول، وعوف الأعرابى، وقتادة، وسليمان التيمى، وقرة بن خالد، ومالك بن دينار، ومهدى بن ميمون، والأوزاعى، وهشام بن حسان، ويحيى بن عتيق، ويزيد بن إبراهيم، وأبو هلال الراسبى، وعمران القطان، وعمارة بن مهران، وعلى بن زيد بن جدعان، ومنصور بن زاذان، وكثير بن شنظير، ويزيد بن طهمان، وآخرون.[3]

٩ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن أيوب قال: قال محمد: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.[4]

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٨).
(٢) تهذيب التهذيب (٩/ ١٩٠).
(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ١٩١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١١).

عن ابن عون قال: جاء ناس إلى محمد فقالوا: إنا قد نلنا منك فاجعلنا فى حلٍّ، فقال: لا أحلّ لكم شيئاً حرَّمَهُ الله عليكم.(١)

وعن هشام عن محمد قال: كانوا يقولون: المسلم: المسلم عند الدراهم.(٢)

عن هشام عن محمد بن سيرين قال: كان مما يقول للرجل إذا أراد أن يسافر فى التجارة: اتق الله تعالى، واطلب ما قدر لك فى الحلال، فإنك إن تطلبه من غير ذلك، لم تصب أكثر مما قدر لك.(٣)

وعن حبيب عن ابن سيرين قال: إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يأمره وينهاه.(٤)

وعن قرة بن خالد عن ابن سيرين أنه كان يقول:

إنَّكَ إنْ كَلَّفْتَنِى مَا لَمْ أُطِقْ سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقْ(٤)

وعن ابن عون قالَ: سمعت محمد بن سيرين يقول: ثلاثة ليس معهم غربة: حسن الأدب، وكف الأذى، ومجانبة الريب.(٥)

١٠ – وَفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال الذهبى: قال غير واحد: مات محمد بعد الحسن البصرى بمئة يوم سنة عشر ومئة.(٦)

وعن خالد بن خداش قال: حدثنا حماد بن زيد قال: مات ابن سيرين لتسع مضين من شوال سنة عشر ومئة.(٦)

وعن عبد الله بن محمد بن سيرين قال: لما ضمنت على أبى دينه، قال لى: بالوفاء به. قلت: بالوفاء، فدعا لى بخير فقضى عبد الله عنه ثلاثين ألف درهم. فما مات عبد الله حتى قوَّمنا ماله ثلاث مئة ألف درهم، أو نحوها.(٦)

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٠١).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣).
(٤) حلية الأولياء (٢/ ٢٦٤).
(٥) حلية الأولياء (٢/ ٢٧٦).
(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٢١).

(١٠)

الإمَـــامُ الزُّهْــرِيُّ

ما زلنا فى صحـبة العلماء الكرام من أئمة الدين، والعلمـاء العاملين، فى هذه السلسلة المبـاركة (من أعـلام السلف)، وهذه الجولة مع إمـام من أئمة الحـديث، صغـار التابعين، انتهت إليـه رئاسة الحديث، إنه شـيخ مالك، والليث، وابن أبى ذئب، والسفيانين، وغيرهم من أئمة أتباع التابعين، إنه الإمام الزهرى، وناهيك به علمًا وفضلاً وشرفًا.

قال أبو نعيم -رَحِـمَـهُ اللهُ-: ومنـهم العالم السوى، والراوى الروى، أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، وكان ذا عزٍّ وسناء، وفخرٍ وسخاء.(١)

لازم سعيـدَ بن المسيب سيِّدَ التابعين، ومـستْ ركبته ركبـتَه ثمان سنين، وتردد على عروة بن الزبيـر، وعبيـد الله بن عبـد الله بن عتبـة، والقاسم بن محـمد، وغيرهم من أئمة التابعين، وكـان آية فى الحفظ والذكاء، فنهل من علومهم، حتى قال له سعيد بن المسيب: من مات وترك مثلك لم يمت.

ساق الله -عَزَّ وَجَلَّ- له أسباب الشرف والعـز فى الدنيا والآخرة، فكان كثير المال، عظيم السـخـاء، له رتبـة وشرف فـى دولة بنى أميـة، وكـان أول من دوّن الحديث بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان يتردد بين الشام والحجاز.

قال أبو بكر الهذلى: قـد جالست الحسن وابن سيرين، فـما رأيت أحدًا أعظم منه يعنى الزهرى.(٢)

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٠).

(٢) تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣٧).

والحسن وابن سيرين أعلى منه طبقة، وأكبر منه سناً، ولكن العلم منايح، والله -عز وجل- يختص بفضله ورحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: محمد بن مسلم بن عبيد بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب.

الإمام العَلَم، حافظ زمانه أبو بكر القرشى الزهرى المدنى، نزيل الشام.

مَوْلِدُهُ: قال دحيم وأحمد بن صالح: فى سنة خمسين، وقال خليفة بن خياط: سنة إحدى وخمسين.(١)

صِفَتُهُ: قال محمد بن يحيى بن أبى عمر عن سفيان: رأيت الزهرى أحمر الرأس واللحية، وفى حمرتها انكفاءً قليلاً، كأنه يجعل فيه كتماً.

قال: وكان الزهرى أُعيمش، وعليه جميمة.(٢)

وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال: رأيت الزهرى قصيرًا، قليل اللحية، له شعرات طوال، خفيف، العارضين.(٣)

قال الذهبى: كان -رَحِمَه اللهُ- محتشماً جليلاً بزى الأجناد، له صورة كبيرة فى دولة بنى أمية.(٤)

وقال محمد بن إشكاب: كان الزهرى جندياً.

قال الذهبى: كان برتبة أمير.(٥)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن عمرو بن دينار قال: ما رأيت أحدًا أبصر للحَديث من ابن شهاب.(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦).
(٢) تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣١، ٤٣٢).
(٣) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤١).
(٦) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٠).

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: هل تأتون ابن شهاب؟ قالوا: إنا لنفعل. قال: فأتوه، فإنه لم يبق أحدٌ أعلم بسنَّة ماضية منه.

وقال محمد بن عبد الملك فى حديثه: والحسن وضرباؤه يومئذ أحياء.(1)

وعن الليث قال: ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهرى، يحدِّث فى الترغيب، فتقول: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن أيام العرب والأنساب. قلتَ: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة، فكذلك.(2)

وعن الدراوردى قال: أول من دوَّن العلم وكتبه ابن شهاب.(3)

وعن أحمد بن حنبل قال: الزهرى أحسن الناس حديثًا، وأجود الناس إسناداً.(4)

وقال أبو حاتم: أثبتُ أصحاب أنسٍ الزهرى.(4)

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: ما رُئِىَ أحد جمعَ بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب.(4)

وقيل لمكحول: من أعلم من لقيت؟ قال: ابن شهاب، قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب. قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب.(5)

وقال أحمد بن عبد الله العِجْلىُ: أدركَ من أصحاب النبى ﷺ أنس بن مالك، وسهل بن سعد، وعبد الرحمن بن أزهر، ومحمود بن الربيع الأنصارى، وروى عن عبدالله بن عمر نحوًا من ثلاثة أحاديث، وروى عن السائب بن يزيد.(6)

وقال أبو بكر ابن مَنْجَويه: رأى عشرة من أصحاب النبى ﷺ وكان من أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار، وكان فقيهًا فاضلاً.(6)

وعن جعفر بن ربيعة قال: قلت لعراك بن مالك: مَن أفقه أهل المدينة، وأفقههم فقهًا، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس، فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثًا،

(1) حلية الأولياء (3/ 360).
(2) تذكرة الحفاظ (3/ 109).
(3) سير أعلام النبلاء (5/ 334).
(4) سير أعلام النبلاء (5/ 335).
(5) سير أعلام النبلاء (5/ 336).
(6) تهذيب الكمال (26/ 432).

فعروة بن الزبير، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بحراً إلا فجرته. قال عراك: فأعلمهم عندي جميعًا ابن شهاب، فإنه جمع علمهم جميعاً إلى علمه.(١)

وعن يونس عن ابن شهاب قال: قال لي سعيد بن المسيب: ما مات رجل ترك مثلك.(٢)

٣ - أَسْبَابُ تَفَوُّقِهِ فِي الْعِلْمِ

١ - قُوَّةُ حِفْظِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الذهبي: ومن حِفْظِ الزهري أنه حَفِظَ القرآن في ثمانين ليلة. روى ذلك عنه ابن أخيه محمد بن عبد الله.(٣)

وعن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري قال: ما استعدت حديثًا قط، وما شككت في حديث إلا حديثًا واحدًا؟ فسألت صاحبي، فإذا هو كما حفظت.(٤)

وعن الليث قال: كان ابن شهاب يقول: ما استودعت قلبي شيئًا قط فنسيته.(٥)

٢ - كِتَابَتُهُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ:

عن عَبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كنت أطوف أنا وابن شهاب، ومع ابن شهاب الألواح والصحف قال: وكنا نضحك به.

وفي رواية: كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه، علمت أنه أعلم الناس.(٦)

وعن محمد بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: كان ابن شهاب يختلف إلى الأعرج، وكان الأعرج يكتب المصاحف، فيسأله عن الحديث، ثم يأخذ قطعة ورق فيكتب فيها، ثم يتحفظه، فإذا حفظ الحديث مزّق الرقعة.(٧)

---

(١) صفوة الصفوة (٢/ ١٣٦، ١٣٧).
(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٣٤).
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ١١٠).
(٤) تذكرة الحفاظ (١/ ١١١).
(٥) تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣٦).
(٦) تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣٣).
(٧) تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣٤).

وعن صالح بن كيسان: كنت أطلب العلم أنا والزهرى، قال: فقال: نكتب السنن. قال: فكتبنا ما جاء عن النبى ﷺ ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة. قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت.(١)

٣ - مُدَارَسَتُهُ الْعِلْمَ ومُذَاكَرَتُهُ:

عن الأوزاعى عن الزهرى قال: إنما يُذهبُ العلمَ النسيانُ، وتَرْكُ المذاكرة.(١)

وعن يعقوب بن عبد الرحمن: أن الزهرى كان يبتغى العلم عن عروة وغيره، فيأتى جارية له نائمة فيوقظها، فيقول لها: حدثنى فلان وفلان بكذا، فتقول: ما لى ولهذا. فيقول: قد علمت أنك لا تنتفعين به، ولكن سمعت الآن، فأردت أن أستذكره.(٢)

٤ - مُلازَمَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَخِدْمَتُهُمْ وَالْقُرْبُ مِنْهُمْ:

عن مالك عن الزهرى قال: تبعت سعيد بن المسيب فى طلب حديث ثلاثة أيام.(٣)

وعن معمر قال: سمعت الزهرى يقول: مست ركبتى ركبة سعيد بن المسيب ثمان سنين.(٣)

وعن مالك بن أنس عن الزهرى قال: خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، حتى أن خادمه ليخرج فيقول: مَنْ بالباب؟ فتقول الجارية: غُلامك الأعميش -فتظن أنى غلامه- وإن كنت لأخدمه، حتى لأستقى له وَضوءه.(٣)

٥ - تَوْقِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ:

عن معمر عن الزَهرى قال: إن كنت لآتى باب عروة، فأجلس ثم أنصرف ولا أدخل، ولو أشاء أن أدخل لدخلت، إعظامًا له.(٤)

وعن سفيان قال: كنت أسمع الزهرى يقول: حدثنى فلان، وكان من أوعية العلم، ولا يقول: كان عالمًا.(٥)

---

(١) تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٣٤).
(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤٣).
(٣) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٢).
(٤) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٢).
(٥) حلية الأولياء (٣/ ٢٦٢).

٦ - الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى الحِفْظِ وَتَجَنُّبُ مَا يُؤَدِّي إِلَى النِّسْيَانِ:

عن إسماعيل المكى قال: سمعت الزهرى يقول: من سرَّه أن يحفظ الحديث، فليأكل الزبيب. قالَ الحاكم: لأن زبيب الحجاز حارٌ حلو رقيق، فيه يبسٌ، مقطع للبلغم.[1]

وعن الليث عن ابن شهاب، أنه كان يسمر على العسل، كما يسمر أهل الشراب على شرابهم، ويقول: اسقونا وحدثونا، وكان يكثر شرب العسل، ولا يأكل شيئًا من التفاح.[2]

وعن ابن وهب عن الليث: كان ابن شهاب يقول: ما استودعت قلبى شيئًا قط فنسيت، وكان يكره أكل التفاح، وسؤر الفأر، وكان يشرب العسل ويقول: إنهُ يُذَكِّرُ.[3]

٤ - سَخَاؤُهُ وَكَرَمُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن الليث قال: كان ابن شهاب يختم حديثه بدعاء جامع يقول: اللهم أسألك من كل خير أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شرٍ أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة، وكان من أسخى من رأيت، كان يعطى فإذا فرغ ما معه، يستلف من عبيده، يقول: يا فلان، أسلفنىَ كما تعرف، وأضعف لك كما تعلم، وكان يطعم الناس الثريد، ويسقيهم العسل.[2]

وعن مالك قال: كان ابن شهاب من أسخى الناس، فلما أصاب تلك الأموال، قال له مولى له وهو يعظه: قد رأيت ما مر عليك من الضيق فانظر كيف تكون، أمسك عليك مالك، قال: إن الكريم لا تحنكه التجارب.[4]

وعن عقيل بن خالد: أن ابن شهاب كان يخرج إلى الأعراب يفقههم، فجاء أعرابى، وقد نَفَدَ ما بيده، فمد الزهرى يده إلى عمامتى فأخذها فأعطاه، وقال: يا عقيل أعطيك خيرًا منها.[5]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤٦، ٣٤٧). (٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٨)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٤٤٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤٠، ٣٤١).

وعن عمــرو بن دينار قال: مــا رأيت أحداً أهون عليــه الدينار والدرهم من ابن شهاب، وما كانت عنده إلا مثل البعرة.(١)

وعن مالك بن أنس قال: قال الزهرى: وجدنا السخى لا تنفعه التجارب.(١)

ولفايد بن أقرم يمدح الزهرى:

مَعَ ذَا وأثْنِ عَلَى الكريمِ مُـحَـمَّـدٍ ... واذْكُـرْ فَـوَاضِلَهُ عَلَى الأصْـحَـابِ

وَإِذَا يُـقَـالُ مَـنِ الجَـــوَادُ بِمَــالِهِ ... قِـيلَ الجَـوَاد مُـحَـمـدُ بْنُ شِـهَـابَ

أَهْـلُ المَـدَائِنِ يَـعْـرِفُـونَ مَكَـانَـهُ ... وَرَبِـيـعُ بَـادِيَـةِ عَـلَـى الأعْـرَابِ(٢)

٥ – قِصَّةُ دُخُولِهِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَعَدَمُ مُداهَنَتِهِ فِي الحَقِّ

قال ابن أبى ذئب: ضاقت حَال الزهرى، ورهقه دين، فخرج إلى الشام، فجالس قبيصة بن ذؤيب. قال ابن شهاب: فبينما نحن معه نَسمرُ، إذ جاءه رسول عبد الملك فذهب به إليه، ثم رجع. فـقال: من منكم يحفظ قضاء عمـر فى أمهات الأولاد؟ قلت: أنا. قال: قم، فـدخلنا على عبـد الملك، فإذا هو جالس على نمرقـة، بيده مخصرة، عليه غلالة، ملتحف بسبيبة(٣)، بين يديه شمعة، قال: من أنت؟ فانتسبت له. فقال: إن كان أبوك لَنَعَّارًا(٤) فى الفتن. قلت: يا أمير المؤمنين، عـفا الله عما سلف. قال: اجلس، فجلست. قال: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: اقرأ من سورة كذا، ومن سورة كذا. فـقرأت. فقال: أتفرض؟ قلت: نعم. قال: فـما تقول فى امرأة تركت زوجها وأبويها؟ قلت: لزوجها الـنصف، ولأمها السدس، ولأبيها ما بقى. قال: أصبت الفرض، وأخطأت اللفظ، وإنما لزوجها النصف، ولأمها ثلث ما يبقى، هات حديثك. قلت: حدثنى سعيد بن المسيب فـذكر قضاء عمر فى أمهات الأولاد، فقال: وهكذا حدثنى سعيـد. فقلت: يا أمير المؤمنين اقضِ دينى. قال: نعم. قلت: وتفرض لى؟ قال: لا والله، ما نجمعهما على أحد. قال: فتجهزت إلى المدينة.(٥)

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٧١).

(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤٣).

(٣) السبيبة: شقة من الثياب.

(٤) أي عالي الصوت، وقد تبع أبوه ابن الزبير.

(٥) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤١، ٢٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٩).

قال الشافعى: حدثنا عمى قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان، من الذى تولى كبره منهم؟ قال: عبد الله بن أُبى ابن سلول، قال: كذبت، هو علىٌّ، فدخل ابن شهاب، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أُبى قال: كذبت هو علىٌّ، فقال: أنا أكذب، لا أباً لك، فوالله لئن نادى منادٍ من السماء إنَّ الله أحل الكذب ما كذبت. حدثنى سعيد وعروة، وعبيد وعلقمة بن وقاص عن عائشة: أنَّ الذى تولَّى كبره عبد الله بن أُبى، قال: فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل فوالله ما كان ينبغى لنا أنْ نحمل عن مثلك. قال: ولم أنا اغتصبتك على نفسى، أو أنت اغتصبتنى على نفسى؟ فخلِّ عنى. فقال له: لا، ولكنك استدنت ألفى ألف، فقال: قد علمت وأبوك قبلك أنى ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك، فقال هشام: إنا أن نهيج الشيخ فأمر فقُضى عنه ألف ألف فأخبر بذلك فقال: الحمد لله الذى هذا هو من عنده.[1]

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: روى عن سهل بن سعد، وأنس بن مالك ولقيه بدمشق، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن ثعلبة بن صُعير، ومحمود بن الربيع، ومحمود بن لبيد، وسفين أبى جميلة، وأبى الطفيل عامر، وعبد الرحمن بن أزهر، وربيعة بن عباد الدَّيلى، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، ومالك بن أوس بن الحدثان، وسعيد بن المسيب وجالسه ثمانى سنوات وتفقه به، وعلقمة بن وقاص، وكثير بن العباس، وأبى أمامة ابن سهل، وعلى بن الحسين، وعروة بن الزبير، وأبى إدريس الخولانى، وقبيصة بن ذؤَيب، وعبد الملك بن مروان، وسالم بن عبد الله، ومحمد بن جبير ابن مطعم، ومحمد بن النعمان بن بشير، وأبى سلمة ابن عبد الرحمن، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة، وعثمان بن إسحاق العامرى، وأبى الأحوص مولى بنى ثابت، وأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، والقاسم بن محمد، وعامر بن سعد،

(١) سير أعلام النبلاء (٥/٣٣٩-٣٤٠).

وخارجة بن زيد بن ثابت، وعبد الله بن كعب بن مالك، وأبى عمر رجل من بَلِيّ له صحبة، وأبان بن عثمان.[1]

تَلامِـذَتُهُ: قالَ الذهبـى: حدَّث عنه عطاء بن أبى رباح وهو أكـبر منه ومـات قبله ببضع وعشرين سنة، وعمرو بن دينار، وعمـرو بن شعيب، وقتادة بن دعامة، وزيد ابن أسلم، وطائفة من أقرانه، ومنصـور بن المعتمر، وأيوب السختـيانى، ويحيى بن سعـيد الأنصارى، وأبو الزناد، وصالح بن كـيسان، وعـقيل بن خالد، ومحـمد بن الوليد الزبيدى، ومـحمد بن أبى حفصة، وبكر بن وائل، وعـمرو بن الحارث، وابن جريج، وجعفر بن برقان، وزياد بن سعـد، وعبد العزيز بن الماجشون، وأبو أويس، ومعمر بن راشد، والأوزاعى، وشـعيب بن أبى حمزة، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، وإبرهيم بن سعد، وسعيد بن عبدالعزيز، وفليح بن سليمان، وابن أبى ذئب، وابن إسحـاق، وسفيان بن حـسين، وصالح بن أبى الأخضـر، وسليمان بن كثـير، وهشام بن سعد، وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة، وأمم سواهم.[2]

٧ - دُرَرٌ مِـنْ أقْوَالِـهِ - رَحِمَـهُ الـلَّـهُ -

وعن معمر عن الزهرى قال: إذا طال المجلسَ كان للشيطان فيه نصيب.[3]

وعن ابن أبى رواد عن ابن شهاب قال: العمائم تيـجان العرب، والحبوة حيطان العرب، والاضِّجاع فى المسجد رباط المؤمنين.[4]

عن يونس قال: قال الزهرى: إياك، وغلول الكتب، قلت: ومـا غلولها؟ قال: حبسها.[5]

عن أبى يحيى عن الزهرى قـال: استكثروا من شىء لا تمسه النـار، قيل: وما هو؟ قال: المعروف.[6]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٧، ٣٢٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤٥).
(٦) حلية الأولياء (٣/ ٣٧١).

عن سفيان قال: سُئِل الـزهرى عن الزهد، فقال: من لم يمنعه الحلال شكره، ولم يغلب الحلال صبره.(١)

عن محمد بن إسحاق عن الزهرى قال: إن للعلم غوائل: فمن غوائله أن يترك العالم حتى يذهب بعلمه، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه، وهو أشد غوائله.(٢)

وروى معمر عن الزهرى قال: ما عُبِدَ اللَّهُ بشىء أفضل من العلم.(٣)

وعن يونس عن الزهرى: العلم وادٍ، فإذا هبطت وادياً فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه.(٣)

وعن الزهرى قال: كنا نأتى العالم فما نتعلم من أدبه أحبُ إلينا من علمه.(٣)

وعن الأوزاعى عن الزهرى قال: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنَّة نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعًا، فبعزِّ العلم ثبات الدين والدنيا، وفى ذهاب العلم ذهاب ذلك كله.(٣)

وقال حماد بن زيد: كان الزهرى يحدث ثم يقول: هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم، فإن الأذن مجَّاجة، وإن للنفس حمضة.(٤)

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣٧١).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٤).

(٣) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤٠).

(٤) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤٧).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(١١)

أيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ

فمع علَم من الأعلام، وإمام من أئمة السلفَ الكرام، ومع سيد شباب أهل البصرة فى زمانه، وإمام من أئمة الحديث فى أوانه، إمام فى الورع والزهد، والفِرَار من الشهرة. قال فيه شيخ المؤرخين الإمام الذهبى: إليه المنتهى فى الإتقان، أيوب السختيانى.

فرحم الله أئمتنا الأعلام، ونفعنا بعلمهم وزهدهم وورعهم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: أيوب بن أبى تميمة، واسمه: كيسان السَّخْتيانى أبو بكر البصرى مولى عنزة، ويقال: مولى جهينة.

مَوْلِدُهُ: قال إسماعيل بن عُلَيَّة: ولد أيوب سنة ست وستين، وقال غيره: ولد قبل الجارف بسنة؟ سنة ثمان وستين.(١)

وقال الذهبى: مولده عام توفى ابن عباس، سنة ثمان وستين، وقد رأى أنس ابن مالك، وما وجدنا له عنه رواية، مع كونه معه فى بلد، وكونه أدركه وهو ابن بضع وعشرين سنة.(٢)

---

(١) تهذيب الكمال (٢/ ٣٦٣)، وقوله: الجارف، أى الطاعون الجارف، وكان سنة تسع وستين.

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٦).

صفته: عن حماد بن زيد قال: ما كنت تسقى أيوب شربة من ماء على القراءة، إلا أن تعرفه، كان شعره وافراً، يحلقه من السنة إلى السنة، قال: فكان ربما طال فينسجه هكذا، كأنه يفرقه.(١)

٢ - ثناءُ العُلَماءِ عَلَيْهِ

عن الحسن قال: أيوب سيد شباب أهل البصرة.(٢)

وكان محمد بن سيرين إذا حدثه أيوب بالحديث يقول: حدثنى الصدوق.(٣)

وعن هشام بن عروة قال: ما قدم علينا من العراق أحد أفضل من ذاك السختيانى، أيوب.(٣)

وعن أيوب بن سليمان بن بلال قال: قلت لعبيدالله بن عمر: أراك تتحرى لقاء العراقيين في الموسم، قال: فقال: والله، ما أفرح فى سنتى إلا أيام الموسم، ألقى أقوامًا قَدْ نَوَّرَ الله قلوبهم بالإيمان، فإذا رأيتهم ارتاح قلبى، فمنهم أيوب.(٣)

قال محمد بن سعد: وكان أيوب ثقة ثبتًا فى الحديث، جامعًا عدلاً، ورعًا، كثير العلم، حُجَّة.(٤)

وعن شعبة قال: حدثنى أيوب سيد الفقهاء.(٥)

وعن سلام بن أبى مطيع قال: ما فُقْنَا أهل الأمصار فى عصر قط، إلا فى زمان أيوب، ويونس، وابن عون، لم يكن فى الأرض مثلهم.(٥)

قال الذهبى: إليه المنتهى فى الإتقان.(٦)

وقال النسائى: ثقة ثبت.(٧)

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤٨).
(٢) حلية الأولياء (٣/ ٣).
(٣) حلية الأولياء (٣/ ٤).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٩).
(٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠).
(٧) تهذيب الكمال (٢/ ٤٦٣).

وقال أبو حاتم: سئل ابن المدينى: من أثبت أصحاب نافع.[1] قال: أيوب وفضله، ومالك وإتقانه، وعبيدالله وحفظه. وقال محمد بن أحمد بن البراء بن على بن المدنى: وليس فى القوم -يعنى: هشام بن حسان، وسلمة بن علقمة، وعاصماً الأحول، وخالداً الحذاء- مثل أيوب، وابن عون، وأيوب أثبت من ابن سيرين، ومن خالد الحذاء.[1]

وعن أشعث قال: كان أيوب جِهْبِذ العلماء.[2]

٣ – عِبَادَتُهُ وَخَشْيَتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

عن إسحاق بن محمد قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كنا ندخل على أيوب السختيانى، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى، حتى نرحمه.[3]

وعن هشام بن حسان قال: حج أيوب السختيانى أربعين حجة.[4]

وعن سعيد بن عامر عن سلام قال: كان أيوب السختيانى يقوم الليل كله، فيخفى ذلك، إذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة.[5]

وروى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد قال: كان أيوب فى مجلس، فجاءته عبرة، فجعل يتمخط ويقول: ما أشدَّ الزكام.[6]

وعن ابن شوذب قال: كان أيوب يؤم أهل مسجده فى شهر رمضان، ويصلى بهم فى الركعة قدر ثلاثين آية، ويصلى لنفسه فيما بين الترويحتين بقدر ثلاثين آية، وكان يقول هو بنفسه للناس: الصلاة، ويوتر بهم، ويدعو بدعاء القرآن، ويؤمِّنُ من خلفه، وآخر ذلك يصلى على النبى ﷺ ويقول: اللهم استعملنا بسنته، وأوزعنا بهديه، واجعلنا للمتقين إمامًا، ثم يسجد، وإذا فرغ من الصلاة، دعا بدعوات.[7]

---

(١) تهذيب الكمال (٢/ ٤٦٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢١).
(٣) حلية الأولياء (٣/ ٤).
(٤) حلية الأولياء (٣/ ٥).
(٥) حلية الأولياء (٣/ ٨).
(٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠).
(٧) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢١).

٤ - زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن ابن شوذب قال: كان أيوب -يعنى السختيانى- إذا سئل عن الشىء ليس عنده فيه شىءٌ قال: سَلْ أهل العلم.[١]

وعن حماد عن أيوب قال: أدركت النَّاسَ هاهنا وكلامهم: إن قضى وإن قدر. وكان يقول: ليتق الله رجلٌ، فإن زهد فلا يجعلنَّ زهده عذاباً على إلناس، فلئن يخفى الرجلُ زهده خير من أن يعلنه.

وكان أيوب ممن يخفى زهده، دخلنا عليه فإذا هو على فراش مُخَمَّسٍ أحمر، فرفعته، أو رفعه بعض أصحابنا، فإذا خَصَفَةٌ محشوة بليف.[٢]

وعن شعبة قال: ما واعدت أيوب موعدًا قط، إلا قال حين يفارقنى: ليس بينى وبينك موعد، فإذا جئت وجدته قد سبقنى.[٣]

وعن بشر بن منصور قال: كنا عند أيوب فوعظنا، وتكلمنا، فقال لنا: كفوا، ولو أردت أن أخبركم بكل شىء تكلمت به اليوم، لفعلتُ.[٤]

قال حماد بن زيد: كان أيوب صديقاً ليزيد بن الوليد، فلما ولى الخلافة، قال أيوب: اللهم أنسه ذكرى.[٥]

٥ - أَدَبُهُ وَفِرَارُهُ مِنَ الشُّهْرَةِ

عن حماد بن زيد قال: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسماً فى وجوه الرجال من أيوب.[٤]

وعن حماد قال: رأيت أيوب لا ينصرف من سوقه إلا معه شىء يحمله لعياله، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها، فقلت له فى ذلك، فقال: إنى سمعت الحسن يقول: إنَّ المؤمن أخذ عن الله -عَز وَجَلَّ- أدبًا حسنًا، فإذا أوسع عليه أوسع، وإذا أمسك عليه أمسك.[٦]

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٤٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٩).
(٤) حلية الأولياء (٣/ ٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢).
(٦) حلية الأولياء (٣/ ٩).

قال شعبة: قال أيوب: ذُكِرتُ ولا أحب أن أذكر.

وقال حماد بن زيد: كـان لأيوب برد أحمر يلبسه إذا أحرم، وكـان يعدُّه كفنًا، وكنت أمشى معه، فـيأخذ فى طُرُقٍ، إنى لأعجب له كيف يهـتدى لها؟ فراراً من الناس أن يقال: هذا أيوب.(١)

وقال شعبـة: ربما ذهبت مع أيوب لحاجة، فلا يدعنى أمشى مـعه، ويخرج من هاهنا وهاهنا؟ لكى لا يُفْطَن له.(١)

٦ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ وَذَمُّهُ لِلبِدَعةِ وَأَهْلِهَا

قال حماد بن زيد: أيوب عندى أفضل من جَالَسته، وأشدهم اتباعاً للسنة.(٢)

قال سعيد بن عامـر الضبعى: عن سلام بن أبى مطيع قال: رأى أيوب رجلاً من أصحـاب الأهواء، فقال: إنى لأعرف الذلة فى وجـهه، ثـم تلا: ﴿**سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ**﴾ (الأعراف:١٥٢)، ثم قـال: هذا لكل مفـتـر، وكـان يسـمى أصحـاب الأهواء خوارجَ، ويقول: إن الخوارج اخـتلفوا فى الاسم، واجتمـعوا على السيف.(٢)

وقـال له رجل من أهل الأهواء: يا أبا بكر، أسـالك عن كلمـة؟ فـولَى، وهو يقول: ولا نصف كلمة «مرتين».(٢)

وعن هشـام بن حسَّان عن أيوب السـختيـانى قال: مـا ازداد صاحب بـدعة إجتهاداً، إلا ازداد من الله بعدًا.(٣)

وعن ابن عيينة قال: قال أيوب: إنه ليبلغنى موت الرجل من أهل السنة، فكأنما يسقط عضو من أعضائى.(٣)

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢). (٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢١).
(٣) حلية الأولياء (٣/ ٩).

٧- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبي: سمع من أبي بريد عمرو بن سلمة الجَرْميّ، وأبي عثمان النَّهدي، وسعيد بن جبير، وأبي العالية الرياحي، وعبدالله بن شقيق، وأبي قلابة الجَرْميّ، ومجاهد بن جبر، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، ومعاذة العدوية، وقيس بن عباية الحنفيّ، وأبي رجاء عمران بن ملحان العطاردي، وعكرمة مولى ابن عباس، وأبي مجلز لاحق بن حميد، وحفصة بنت سيرين، ويوسف بن مَاهَك، وعطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، وأبي الشعثاء جابر بن زيد، وحميد بن هلال، وأبي الوليد عبد الله بن الحارث، والأعرج، وعمرو بن شعيب، والقاسم بن عاصم، والقاسم بن محمد، وابن أبي مليكة، وقتادة، وخلق سواهم.(١)

تَلامذَتُه: قالَ الذهبي: حدَّث عنه: محمد بن سيرين، وعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة، وهم من شيوخه، ويحيى بن أبي كثير، وشعبة، وسفيان، ومالك، ومعمر، وعبد الوارث، وحماد بن سلمة، وسليمان بن المغيرة، وحماد بن زيد، ومعمر بن سليمان، ووهيب، وعبيد الله بن عمرو، وإسماعيل بن عليَّةَ، وعبد السلام بن حرب، ومحمد بن عبد الرحمن الطُّفاوي، ونوح بن قيس الحُدَّاني، وهشيم بن بشير، ويزيد بن زريع، وخالد بن الحارث، وسفيان بن عيينة، وعبد الوهاب الثقفي، وأمم سواهم.(١)

٨- دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن عبيد الله بن شميط قال: سمعت أيوب السختياني وهو يقول: لا يستوي العبد -أو لا يسود العبد- حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم.(٢)

وعن حماد بن زيد قال: قال لنا أيوب: إنك لا تبصر خطأ معلمك، حتى تجالس غيره، وتجالس النَّاسَ.(٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/١٦).
(٢) حلية الأولياء (٣/٥).
(٣) حلية الأولياء (٣/٩).

وعن حماد بن سلمــة قال: سمعت أيوب يقول: إن قوماً يتــرفعون، ويأبى الله إلا أن يضعهم، وإن قومًا يتواضعون، ويأبى إلله إلا أن يرفعهم.[1]

وعن حماد بن زيد قال: قــال لى أيوب: الزم سوقك، فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم.[2]

وعن مخلد بن الحسين قال أيوب: ما صدق عبدٌ قط، فأحبَّ الشهرة.[3]

٩ - وَفَـاتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّـهُ-

قال الذهبى: اتفقوا على أنه تُوفى سنة إحــدى وثلاثين ومئة بالبصرة، زَمنَ الطاعون، وله ثلاث وستون سنة، وآخر من روى حــديثه «عالياً»: أبو الحسن ابن البخارى.[4]

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٠).
(٢) حلية الأولياء (٣/ ١١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(١٢)

سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ (الأَعْمَشُ)

مع علم جديد من أعلام السلف، وهو من علَماء الكوفة، ومن صغار التابعين، وهو سليمان بن مِهْـرَان، الملقب بالأعمش، له علم وفواضل، ومُلَح ونوادر، امام فى القرآن والحديث، لقب بالمصـحف، من صدقه، وكانوا يصححون مـصاحفهم من حفـظه، كان فقـيراً من الدنيـا، ولكنه كان مـليئًا من الـعلم، قال عيسى بن يونس: مـا رأينا الأغنيـاء والسـلاطين فى مـجلس قط أحـقـر منهم فى مـجلس الأعمش، وهو محتاج إلى درهم.

قال أبو نعـيم فى وصفـه: ومنهم الإمام المقـري، الراوى المفتى، كـان كثـير العمل، قصير الأمل، من ربه راهباً ناسكًا، ومع عـباده لاعباً ضاحكًا، سليمان ابن مِهْرَان الأعمش.[١]

تتلمذ عليه الأكـابر، كشعبة، وسفـيان الثور، وسفيان بن عـيينة، وكان أعلم الناس بحديث عبد الله بن مسـعود، رأى انس بن مالك، ولكنه لم يرو عنه إلا بواسطة.

وكانت له عجائب ونوادر وملح، ذكـرنا شيئًا منها فى غضون الترجـمة فرَحِمَه اللَّهُ، وسائر الأئمة الأعلام، والعلماء الكرام.

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٤٦).

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُـهُ: سليـمان بن مِـهْـرَان الأسدى الكاهلى مـولاهم، أبو مـحمـد الكوفى الأعمش، وكاهل هو ابن أسد بن خزيمة.

مَوْلِدُه: أصله من نواحى الرَّىِّ، فقيل: ولد بقرية «أمُهْ» من أعمال طبرستان، فى إحدى وستين، وقدموا به إلى الكوفة طفلاً، وقيل: حَمْلاً.(١)

صِفَتُهُ: عن أبى عـيينة قال: رأيت الأعـمش لبس فرواً مـقلوباً، وثياباً تـسيل خيوطه على رَجليـه، ثم قال: أرأيتم، لولا أنى تعلمت العلم من كـان يأتينى؟ لو كنت بقالاً، كان يقذرنى الناس أن يشتروا منى.(٢)

وعن أبى بكر ابن عياش: رأيت الأعمش يلبس قميـصًا مقلوبًا، فيقول: الناس مجانين يلبسون الخشن مقابل جلودهم.(٣)

وعن أبى هشام قال: سـمعت عمى يقول: قال عـيسى بن موسى لابن أبى ليلى: اجمع الـفقهـاء فجـمعـهـم، فجاء الأعـمش فى جبة فـرو، وقد ربط وسطه بشريـط، فأبطأوا، فقـام الأعمش فقـال: إن أردتم أن تعطونا شيـئًا، وإلا فخلوا سبيلنا. فقال: يا بن أبى ليلى، قلت لك: تأتى بالفقهاء، تجىء بهذا؟ قال: هذا سيدنا الأعمش.(٤)

٢ - ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال أحمد بن عبد الله العجلى: الأعمش ثبتٌ، كَان محدِّثَ الكوفة فى زمانه، يقال: إنه ظهر له أربعة آلاف حديث، ولم يكن له كتاب، قال: وكان يقرأ القرآن، و[هو] رأسٌ فيه، وكان فصيحًا.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٧).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٤٧)، وقوله: «عن أبى عيينة»، الصحيح ابن عيينة، كما ذكره الذهبي.

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٥١). (٤) تاريخ بغداد (٩/ ٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٤، ٢٣٥).

وقال عيسى بن يونس: لم نر نحن مثل الأعمش، وما رأيت الأغنياء عند أحد أحقر منهم عنده، مع فقره وحاجته.

قال الذهبي: كان عزيز النفس، قنوعًا، وله رزق على بيت المال، في الشهر خمسة دنانير، قُرِّرَتْ له في آخر عُمْرِه.(١)

وعن ابن عيينة قال: سبق الأعمش الناس بأربع: كان أقرأهم للقرآن، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وذكر خصلة أخرى.(٢)

وقال أحمد: أبو إسحاق، والأعمش رَجُلا أهلِ الكوفة.(٣)

وقال محمد بن سعد: وكان الأعمش صاحبَ قرآن وفرائض وعلمٍ بالحديث، وقرأ عليه طلحة بن مصرف القرآن، وكان يقرئ الناس. ثم ترك ذاك في آخر عمره، وكان يقرأ القرآن في كل شعبان على الناس، في كل يوم شيئًا معلوماً حين كبر وضعف، ويحضرون مصاحفهم، فيعارضونها، ويصلحونها على قراءته.(٤)

عن عيسى بن يونس قال: ما رأينا في زماننا مثل الأعمش، ولا الطبقة الذين كانوا قبلنا، وما رأينا الأغنياء والسلاطين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش، وهو محتاج إلى درهم.(٥)

وكان القاسم بن عبد الرحمن يقول: ليس أحد أعلم بحديث عبد الله من الأعمش.(٦)

وعن ضرار بن صرد قال: ما كان هذا العلم إلا في العرب وأشراف الملوك، فقال له رجل من جلسائه: وأي نبل كان الأعمش؟ قال شريك: أما لو رأيت الأعمش، ومعه لحم يحمله، وسفيان الثوري عن يمينه، وشريك عن يساره، وكلاهما ينازعه حمل اللحم، لعلمت أن ثمَّ نبلاً كثيرًا.(٦)

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٤).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٤٢).
(٥) حلية الأولياء (٥/ ٤٧، ٤٨).
(٦) حلية الأولياء (٥/ ٤٨).

وعن إسحاق بن راشد قال: قال لى الزهرى: وبالعراق أحد يحدث؟ قلت: نعم، قلت له: هل لك أن آتيك بحديث بعضهم؟ فقال لى: نعم. فجئته بحديث سليمان الأعمش، فجعل ينظر فيها ويقول: ما ظننت أن بالعراق مَن يحدث مثل هذا. قال: قلت: وأزيدك هو من مواليهم.(١)

وقال عليّ ابن المدينى: حفظ العلم على أمة محمد ﷺ ستة: فلأهل مكة: عمرو ابن دينار، ولأهل المدينة: ابن شهاب الزهرى، ولأهل الكوفة: أبو إسحاق السبيعى، وسليمان بن مهران الأعمش، ولأهل البصرة: يحيى بن أبى كثير ناقلة، وقتادة.(٢)

وقال شعبة ما شفانى أحد فى الحديث ما شفانىَ الأعمش.(٣)

وقال عبد الله بن داود الخريبى: سمعت شعبة إذا ذكرَ الأعمش، قال: المصحف المصحف.(٣)

وقال عمر بن على: كان الأعمش يسمى المصحفَ، من صدقه.(٤)

وقال محمد بن عمار الموصلى: ليس فى المحدثين أثبت من الأعمش، ومنصور ابن المعتمر، وهو ثبت أيضاً، وهو أفضل من الأعمش، إلا أن الأعمش أعرف بالمسند، وأكثر مسنداً منه.(٤)

٣ - الأعْمَشُ وَالتَّدْلِيسُ

قال الذهبى: الأعمش أبو محمد أحد الأئمة الثقات، عداده فى صغار التابعين، ما نقموا عليه إلا التدليس.

قال الذهبى: قال جرير بن عبد الحميد: سمعت مغيرة يقول: أَهْلَكَ أهل الكوفة أبو إسحاق، وأعيمشكم هذا، كأنه عنى الرواية عمن جاء، وإلا فالأعمش عدل صادق ثابت، صاحب سنة وقرآن، ويحسن الظن بمن يحدثه، ويروى عنه، ولا يمكننا أن نقطع عليه بأنه عَلِمَ ضعف ذلك الذى يدلسه، فإن هذا حرام.

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ١١). (٢) تهذيب الكمال (١٢/ ٨٤) وقوله: ناقلة، أي من المنتقلين إليها.
(٣) تهذيب الكمال (١٢/ ٨٦) (٤) تهذيب الكمال (١٢/ ٨٧).

وقال الذهبي في خاتمة ترجمته في «الميزان»: وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدري به، فمتى قال: «حدثنا»، فلا كلام، ومتى قال: «عن»، تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم، كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال.

وقال ابن المديني: الأعمش كان كثير الوهم في أحاديث هؤلاء الضعفاء.[1]

٤ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة، لم تفته التكبيرة الأولى.[2]

وقال عبد الله الخريبي: ما خلف الأعمش أعبد منه.[2]

وعن عبد الرزاق قال: أخبرني بعض أصحابنا: أن الأعمش قام من النوم لحاجة، فلم يصب ماءً، فوضع يده على الجدار فتيمم، ثم نام. فقيل له في ذلك، قال: أخاف أن أموت على غير وضوء.[3]

وعن إبراهيم بن عرعرة قال: سمعت يحيى القطان إذا ذكر الأعمش قال: كان من النساك، كان محافظًا على الصلاة في الجماعة، وعلى الصف الأول، وهو عَلاَّمَةُ الإسلام، وكان يحيى يلتمس الحائط، حتى يقوم في الصف الأول.[4]

وعن أبي نعيم قال: قال عبد السلام: كان الأعمش إذا حدث يتخشع، ويعظِّم العلم.[5]

٥- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن أنس ولم يثبت له منه سماع، وعبد الله بن أبي أوفى «يقال: مرسل»، وزيد بن وهب، وأبي وائل، وأبي عمرو الشيباني،

---

(١) باختصار من ميزان الاعتدال (٢/ ٤١٤)، ترجمة رقم (٣٥١٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٨). (٣) حلية الأولياء (٥/ ٤٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٢). (٥) حلية الأولياء (٥/ ٥٢).

وقيس بن أبى حازم، وإسماعيل بن رجاء، وأبى صخرة جامع بن شداد، وأبى ظبيان ابن جندب، وخيثمة بن عبد الرحمن الجعفى، وسعيد بن عبيدة، وأبى حازم الأشجعى، وسليمان بن مسهر، وطلحة بن مصرف، وأبى سفيان طلحة بن نافع، وعامر الشعبى، وإبراهيم النعفى، وعبد الله بن مرة، وعبد العزيز بن رفيع، وعبد الملك بن عمير، وعدى بن ثابت، وعمارة بن عمير، وعمارة بن القعقاع، ومجاهد بن جبر، وأبى الضحَى، ومنذر الثورى، وهلال بن يساف، وخلق كثير.(١)

تلامذته: قالَ الحافظ: وعنه الحكم بن عتيبة، وزبيد اليامى، وأبو إسحاق السبيعى وهو من شيوخه، وسليمان التيمى، وسهيل بن أبى صالح وهو من أقرانه، ومحمد بن واسع، وشعبة، والسفيانان، وإبراهيم بن طهمان، وجرير بن حازم، وأبو إسحاق الفزارى، وإسرائيل، وزائدة، وأبو بكر ابن عياش، وشيبان النحوى، وعبد الله بن إدريس، وابن المبارك، وابن نمير، والخريبى، وعيسى بن يونس، وفضيل بن عياض، ومحمد بن عبد الرحمن الطفاوى، وهشيم، وأبو شهاب الحناط، وخلائق من أواخرهم: أبو نعيم، وعبيد الله بن موسى.(١)

٦ - مُلَحٌ مِنْ أَخْبَارِهِ

قال الذهبى: وكان مع جلالته فى العلم والفضلَ صاحبَ مُلَح ومزاح، قيل: إنه جاءه أصحاب الحديث يوماً، فخرج فقال: لولا أن ما فى منزلى من هو أبغض إلىَّ منكم، ما خرجت إليكم.(٢)

وقد سأله داود الحائك: ما تقول يا أبا محمد، فى الصلاة خلف الحائك؟ فقال: لا بأس بها، على غير وضوء. قيل: فما تقول فى شهادة الحائك؟ قال: تقبل، مع عَدْلَيْن.(٢)

وقيل: إن الأعمش كان له ولد مُغَفَّلٌ، فقال له: اذهب فاشتر لنا حبلاً للغسيل. فقال: يا أبه، طول كم؟ قال: عشرة أذرع. قال: فى عرض كم؟ قال: فى عرض مصيبتى فيك.(٣)

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ١٩٥). (٢) تاريخ الإسلام (١٠/ ١٦٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٩).

وعن سفيان قال: جاء شبيب بن شيبة وأصحاب له إلى الأعمش، فنادوه على بابه: يا سليمان، اخرج إلينا، فقال من الداخل: من أنتم؟ قالوا: نحن من الذين ينادونك من وراء الحجرات. فقال من الداخل: أكثرهم لا يعقلون.(١)

ويقال: إن الأعمش كان ربما خرج إليهم، وعلى كتفه مئزر العجين، وإنه لبس مرة فروًا مقلوبًا، فقال له قائل: يا أبا محمد، لو لبستها وصوفها إلى داخل كان أدفأ لك. قال: كنت أشرت على الكبش بهذه المشورة.(٢)

٧ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن حفص بن غياث قال: سمعت الأعمش يقول: يوشك إن احتبس عَلَيَّ الموت، إن وجدته بالثمن اشتريته.(٣)

وعن الحسن بن صالح عن الأعمش قال: إنا كنا لنشهد الجنازة، فلا ندرى من نعزى، من خزن القوم.(٣)

وعن منصور بن أبى الأسود قال: سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام:١٢٩)، ما سمعتهم يقولون فيه؟ قالَ: سمعتهم يقولون: إذا فسَد الناس أمّرَ عليهم شرارهم.(٤)

وقال حميد: سمعت أبى يقول: سمعت الأعمش يقول: لا تنثروا اللؤلؤ تحت أظلاف الخنازير.(٥)

وقيل لحفص بن أبى حفص الأبّار: رأيتَ الأعمش؟ قال: نعم، وسمعته يقول: إن الله يرفع بالعلم أو بالقرآن أقوامًا، ويضع به آخرين، وأنا ممن يرفعنى الله به، لولا ذلك لكان على عنقى دن صحن، أطوف به فى سكك الكوفة.(٦)

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٥٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٤).
(٣) حلية الأولياء (٥/ ٥٠).
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٥٠، ٥١).
(٥) حلية الأولياء (٥/ ٥٢).
(٦) حلية الأولياء (٥/ ٥٤).

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن أبى بكر ابن عياش قال: دخلت على الأعمش فى مرضه الذى توفى فيه، فقلت: أدعو لك الطبيب؟ قال: ما أصنع به؟ لو كانت نفسى معى، لطرحتها فى الحشِّ، إذا أنا مت، فلا تؤذنن بى أحداً، واذهب بى، واطرحنى فى لحدى.(١)

قال الذهبى: قالوا: مات الأعمش فى ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومئة بالكوفة، ومات معه فيها شيخ المدينة جعفر بن محمد الصادق، وشيخ مصر عمرو بن الحارث الفقيه، وشيخ حمص محمد بن الوليد الزبيدى، وشيخ واسط العوام بن حوشب، وقاضى الكوفة وفقيهها محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى.(٢)

عن جرير قال: رأيت الأعمش بعد موته فى منامى، فقلت: أبا محمد، كيف حالكم؟ قال: نجونا بالمغفرة. والحمد لله رب العالمين.(٣)

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٥١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٥).
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ١٣٠).

مِـنْ أَعْـلامِ السَّـلَـفِ

(١٣)

الإمَامُ أبُو حَنيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابت

هذه الجـولة فى السلسلة المبـاركة (من أعـلام السلف)، مع إمـام من الأئمـة الأربعة، أصحاب المذاهب الفـقهية المتبعة، وكلهـم فاضل كريم، وإنما تأخرت فى إنجاز ترجمته لأمور:

أولها: أن الأمور تجرى بالمقادير، والذى يملك مفاتيح خزائن السماوات والأرض هو الذى يملك قلوب العباد.

ثانيها: همة البحث والتوفيق بيد الله -عَـزَّ وَجَلَّ- نسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يعرضنا لأسباب رحمته وجنته.

ثالثها: أن هذا الإمام تبـاينت أقوال الناس فيـه تباينًا بليـغاً، فمنْ مُـعَظِّم أشد تعظيم، فمقدم له على جـميع العلماء، وهـم متعصـبة الأحناف، وفى مقابلهم من انتقصه، وطعن فـى حفظه وفضله، وقد ساق الخطيب -رَحِمَهُ اللَّه- فى ترجمته أقوال الفريقين، إلا أن أسانيد من طعن فيـه الغالب عليها الضَّعفُ الشديد، ومع تتبع سيرته وانتقاء أبعد الروايات عن الغلو والقصور، اتضحت لنا بفضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- الأمور، وظهر ما أخبر به الخريبى: لا يقع فى أبى حنيفة إلا جاهل أو حاسد.[١]

وإذا كـان الأصل فى المسلم حسن الظن، فكيـف بمن شهد له علماء عـصره الأثبات بالعدالة والفقه والشرف والفضل، وكـيف بمن امـتلأت قلوب المسلمين بمحبته، وشغلت الألسنة بالثناء عليه، وقد قال النبى ﷺ: «**تلكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمن**» رواه مسلم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٢).

قال التاج السبكى: ينبغى لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم فى بعض، إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن، فدونك، وإلا فاضرب صفحاً عما جرى بينهم، فإنك لم تُخلق لهذا، فاشتغل بما يعنيك، ودع ما لا يعنيك، ولا يزال طالب العلم عندى نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين، ويقضى لبعضهم على بعض، فإياك ثم إياك أن تصغى إلى ما اتفق بين أبى حنيفة وسفيان الثورى، أو بين مالك وابن أبى ذئب، أو بين أحمد بن صالح والنسائى، أو بين أحمد والحارث بن أسد المحاسبى . . . وهلمَّ جراً، إلى زمان العز بن عبد السلام، والتقى بن الصلاح، فإنك إذا اشتغلت بذلك، خشيت عليك الهلاك، فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل، وربما لم تفهم بعضها، فليس لنا إلا الترضى والسكوت عما جرى بينهم، كما نقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم.(١)

عن يحيى بن معين قال: سمعت يحيى القطان يقول: جالسنا -والله- أبا حنيفة، وسمعنا منه، وكنت -والله- إذا نظرت إليه، عرفت فى وجهه أنه يتقى الله عز وجل.(٢)

وقال سفيان بن عيينة: ما قدم مكة رجل فى وقتنا أكثرصلاة من أبى حنيفة.(٣)

وروى الخطيب بسنده أبياتًا مدح فيها ابنُ المبارك أبا حنيفة -رَحِمَهُ الله- فقال:

رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... يَزِيدُ نَبَالَةً وَيَزِيدُ خَيْرَا

وَيَنْطِقُ بِالصَّوَابِ وَيَصْطَفِيهِ ... إذا مَا قَالَ أَهْلُ الجُورِ جَوْرَا

يُقَايِسُ مَا يُقَايِسُهُ بِلُبٍّ ... فَمَنْ ذَا يَجْعَلُونَ له نَظِيرَا

كَفَانَا فَقْدَ حَمَّادٍ وَكَانَتْ ... مُصِيبَتنا به أَمْرًا كَبِيرَا

فَرَدَّ شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ عَنَّا ... وَأَبْدَى بَعْدَهُ عِلْمًا كَثِيرَا

رأيتُ أَبَا حَنِيفَةَ حِينَ يُؤْتَى ... وَيُطْلَبُ عِلْمُهُ بَحْرًا غَزِيرَا

إذا مَا المُشْكِلاتُ تَدَافَعَتْهَا ... رِجَالُ الْعِلْمِ كَانَ بِهَا بَصِيرَا(٤)

---

(١) نقلاً عن الخيرات الحسان (١٠٣، ١٠٤) والأولى أن يترحم على العلماء، ويقتصر الترضى على الصحابة الكرام.

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٢).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٣).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٠).

وبعدُ، فلسنا مع متعصبة الأحناف الذين يرفعون الإمام أبي حنيفة فوق جميع علماء الأمة، أو الذين يعتقدون أن رسول الله ﷺ بَشَّرَ به، وأنه لقى جمعًا من الصحابة، وروى عنهم كما أننا كذلك لسنا مع الذين يطعنون فيه ويجرحونه، وينسبون إليه الأقاويل الشنيعة ظلمًا وبهتاناً، بل نعتقد أنه إمام من أئمة المسلمين، طيب السيرة والسريرة، سارت بعلومه الركبان، وانتشر علمه فى سائر البلدان، ونشْهدُ الله -عز وجل- على حبنا له، وهو من أئمة الاجتهاد، مأجور على كل حال، إما أجراً كاملاً إن كان مصيبًا، وإما أجراً ناقصًا إن أخطأ، وهو معذور إن أخطأ، والأئمة الأربعة الكرام لهم من المنزلة الخاصة فى قلوب المسلمين، لانتفاع الناس بعلومهم، ولعل لهم من سريرة الخير ما رفع الله به منارهم، وأبقى على مر الزمان ذكرهم، فنسأل الله -عَزَّ وَجَل-أن يميتنا على حبهم، وأن يحشرنا فى جمعهم، يوم يحشر المرء مع من أحب، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: النعمان بن ثابت بن زوطى التيمى الكوفى، مولى بنى تيم بن ثعلبة، وقيل: سبب تكنيته بأبى حنيفة ملازمته للدواة المسماة: حنيفة، بلغة العراق.

مَوْلِدُه: ولد سنة ثمانين بالكوفة، فى خلافة عبد الملك بن مروان، فى حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قَدِمَ عليهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم.

صِفَتُهُ: قال أبو يوسف -رَحِمَهُ اللَّهُ-: كان رَبعَةً، من أحسن الناس صورة، وأبلغهم نطقًا، وأكملهم إيراداً، وأحلاهم نغمة، وأبينهم حجة على من يريد.

وقال حماد ولده: كان طويلاً يعلوه سمرة، جميلاً حسن الوجه، هيبوبًا، لا يتكلم إلا جوابًا، ولا يخوض فيما لا يعنيه.

قال أحمد بن حجر الهيثمى: ولا تنافى بين كونه ربعة، وبين كونه طويلاً، لأنه قد يكون مع كونه ربعة أقربَ إلى الطول.

وقال ابن المبارك: كان حسن الوجه، حسن الثياب.(١)

وقال عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة: رأيت أبا حنيفة شيخاً يفتى الناس بمسجد الكوفة، على رأسه قلنسوة سوداء طويلة.(٢)

٢- ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ وَالـرَّدُّ عَلَى مَنْ طَعَنَ فِيهِ

قال الفضيل بن عياض: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً، معروفًا بالفقه، مشهورًا بالورع، واسع المال، معروفاً بالأفضال على من يطيف به، صبورًا على تعليم العلم بالليل والنهار، وحسن الليل، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة فى حلال أو حرام، فكان يحسن أن يدل على الحق، هاربًا من مال السلطان.(٣)

وزاد ابن الصباح: وكان إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتَّبَعَه، وإن كان عن الصحابة والتابعين، وإلا قاس، وأحسن القياس.(٣)

وعن أبى بكر بن عياش قال: مات عمر بن سعيد أخو سفيان، فأتينا نعزيه، فإذا المجلس غَاصّ بأهله، وفيهم عبد الله بن إدريس، إذ أقبل أبو حنيفة فى جماعة معه، فلما رآه سفيان، تحرك من مجلسه، ثم قام فاعتنقه، وأجلسه فى موضعه، وقعد بين يديه. قال أبو بكر: فاغتظت عليه. وقال ابن إدريس: ويحك! ألا ترى؟ فجلسنا حتى تفرق الناس، فقلت لعبد الله بن إدريس: لا تقم حتى نعلم ما عنده فى هذا. فقلت يا أبا عبد الله، رأيتك اليوم فعلت شيئًا أنكرته، وأنكره أصحابنا عليك. قال: وما هو؟ قلت: جاءك أبو حنيفة، فقمت إليه، وأجلسته فى مجلسك، وصنعت له صنيعًا بليغاً، وهذا عند أصحابنا منكر.

فقال: وما أنكرت من ذاك؟ هذا رجل من العلم بمكان، فإن لم أقم لعلمه، قمت لسنِّه، وإن لم أقم لسنِّه، قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه، قمت لورعه، فأحجَمَنى، فلم يكن عندى جواب.(٣)

---

(١) الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان (٣٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٩). (٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٠).

وعن أبى وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: رأيت أعبد الناس، ورأيت أورع الناس، ورأيت أعلم الناس، ورأيت أفقه الناس، فأما أعبد الناس، فعبد العزيز بن أبى رواد، وأما أورع الناس، فالفضيل بن عياض، وأما أعلم الناس، فسفيان الثورى، وأما أفقه الناس، فأبو حنيفة.

ثم قال: ما رأيت فى الفقه مثله.(١)

وعن يحيى بن معين قال: كان أبو حنيفة ثقة، لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ.(٢)

وعن أبى وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: لولا أن الله أعاننى بأبى حنيفة، وسفيان، كنت كسائر الناس.(٣)

وعن الشافعى قال: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهباً، لقام بحجته.(٤)

وعن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة ورعًا تقياً، مفضلاً على إخوانه.(٥)

وعن شريك قال: كان أبو حنيفة طويل الصمت، كثير العقل.(٥)

وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أحدًا أحلم من أبى حنيفة.(٥)

وعن أبى معاوية الضرير قال: حب أبى حنيفة من السُّنَّة.(٥)

وقال الشافعى: الناس فى الفقه عيالٌ على أبى حنيفة.(٦)

وقال الذهبى: وكان من أذكياء بنى آدم، جمع الفقه، والعبادة، والورع، والسخاء، وكان لا يقبل جوائز الدولة.(٦)

وقال ضرار بن صرد: سئل يزيد بن هارون: أيما أفقه، الثورى أو أبو حنيفة؟ فقال: أبو حنيفة أفقه، وسفيان أحفظ للحديث.(٧)

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٩).
(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٠).
(٦) العبر (١/ ١٦٤).
(٧) تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٨).

قال فى هامش السير: وأما ما يؤثر عن النسائى وابن عدى من تضعيفهم لأبى حنيفة من جهة حفظه، فهو مردود لا يعتد به فى جنب توثيق أئمة الجرح والتعديل، من أمثال على ابن المدينى، ويحيى بن معين، وشعبة، وإسرائيل بن يونس، ويحيى بن آدم، وابن داود الخريبى، والحسن بن صالح، وغيرهم، فهؤلاء كلهم معاصرون لأبى حنيفة، أو قريبو العهد به، وهم أعلم الناس به، وأعلم من النسائى وابن عدى. وأمثالهما من المتأخرين عن أبى حنيفة بكثير كالدارقطنى الذى ولد بعد مئتى سنة من وفاة أبى حنيفة، فقول هؤلاء الأئمة الأقرب والأعلم أحرى بالقبول، وقول المتأخرين زمانًا أجدر بالرمى فى حضيض الخمول. وقد نقل الشيخ ابن حجر المكى فى «الخيرات الحسان» (ص: ٣٤) قول شعبة بن الحجاج فى أبى حنيفة: كان -والله- حسن الفهم، جيد الحفظ. وهذا نصٌّ صريح فى قوة حفظه، صادر عمن هو مشهود له بالإمامة، وبالتدين، والتشدد فى نقد الرجال، وبهذا القول الرشيد يسقط كل ما ادعاه المتعصبون والحاقدون، من متقدم ومتأخر، من ضعف هذا الإمام العظيم.[١]

وقال السبكى: ضرورة نافعة لا تراها فى شىء من كتب الأصول، فإنك إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل، ورأيت الجرح والتعديل، وكنت غِراً بالأمور، أو فدماً مقتصرًا على منقول الأصول، حسبت أن العمل على جرحه، فإياك، والحذر كل الحذر، من هذا الحسبان، بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته، وكثر مَادحُوه ومُزَكُوه، وندُر جارحوه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه، من تعصب مذهبى أو غيره، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب، وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه، لما سلم لنا أحد من الأئمة، وإذا ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه الهالكون.[٢]

---

(١) هامش سير أعلام النبلاء، بتحقيق/ حسين الأسد، وإشراف/ شعيب الأرناؤوط (٦/ ٣٩٢).
(٢) قاعدة فى الجرح والتعديل (٥٤، ٥٩) باختصار.

٣ - عبادته - رحمه الله -

عن أسد بن عمرو: أن أبا حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ- صلى العشاء والصبح بوضوءٍ أربعين سنة.[١]

وعن بشر بن الوليد عن القاضى أبى يوسف، قال: بينما أنا أمشى مع أبى حنيفة، إذ سمعت رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل. فقال أبو حنيفة: والله، لا يُتَحَدَّثُ عنى بما لم أفعل، فكان يحيى الليل صلاة وتضرعًا ودعاء.[٢]

وعن المثنى بن رجاء قال: جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقاً أن يتصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة، تصدق بمثلها.[٣]

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يُسمى: الْوَتِد، لكثرة صلاته.[٣]

وعن يحيى بن عبد الحميد الحِمَّانى عن أبيه أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر، قال: فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة، وكان يختم كل ليلة عند السحر.[٣]

وعن القاسم بن معن: أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر:٤٦) ويبكى ويتضرع إلى الفجر.[٤]

وقال الفضل بن دكين: رأيت جماعة من التابعين وغيرهم، فما رأيت أحسن صلاة من أبى حنيفة، ولقد كان قبل الدخول فى الصلاة يبكى ويدعو.[٥]

وقالت أم ولد لأبى حنيفة: ما توسَّد فراشاً بليل منذ عرفته، وإنما كان نومه بين الظهر والعصر بالصيف، وأول الليل بمسجده فى الشتاء.[٦]

وقال ابن أبى رواد: ما رأيت أصبر على الطواف والفتيا بمكة منه، إنما كان كلَّ الليل والنهار فى طلب الآخرة والنجاة، ولقد شاهدته عشر ليالٍ، فما رأيته نام

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٣٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠١).
(٥) الخيرات الحسان (٥١).
(٦) الخيرات الحسان (٥١، ٥٢).

بالليل، ولا هدأ ساعة من نهار، من طواف وصلاة أو تعليم.(١)

وعن سفيان بن عيينة قال: ما قدم مكة رجل فى وقتنا أكثر صلاة من أبى حنيفة.(٢)

٤ - وَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن عبد الله بن المبارك قال: قَدِمتُ الكوفة، فسألت عن أورع أهلها، فقالوا: أبو حنيفة.(٣)

وقال مكى بن إبراهيم: جالست الكوفيين، فما رأيت أورع من أبى حنيفة.(٣)

وعن على بن حفص البزار قال. كان حفص بن عبدالرحمن شريك أبى حنيفة، وكان أبو حنيفة يجهز عليه، فبعث إليه رفقة بمتاع، وأعلمه أن فى ثوب كذا وكذا عيبًا، فإذا بعته فبَيِّن، فباع حفصٌ المتاع ونسى أن يبين، ولم يعلم لمن باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله.(٣)

٥- سَمَاحَتُهُ وَكَرَمُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً، فقيهاً محسوداً، كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، كثير الإفضال على إخوانه.(٤)

وعن حفص بن حمزة القرشى قال: كان أبو حنيفة ربما مَرَّ به الرجل، فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة وصله، وإن مرض عاده، حتى يجره إلى مواصلته، وكان أكرم الناس مجالسة.(٥)

٦ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن سعيد بن سالم البصرى قال: سمعت أبا حنيفة يقول: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شىء، فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة قال: أنت من القرية

(١) الخيرات الحسان (٥٢).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٥٣).
(٣) تاريخ بغداد (١٣/٣٥٨).
(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٠).
(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٠، ٣٦١).

الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ قلت: نعم. قال: فمن أى الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسبُّ السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفِّر أحـدًا بذنب. قال: فقال لى عطاء عَرَفْتَ، فَالْزَمْ. (١)

قال العلامة أحـمد بن حجر الهيثمى المكى: اعلم أنه يـتعين عليك أن لا تفهم من أقوال العلماء عن أبى حنيفة وأصحابه: إنهم أصحاب الرأى، أن مرادهم بذلك تنقيصهم، ولا نسبـتهم إلى أنهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله ﷺ ولا على قول أصحابه، لأنهُ براء من ذلك.

فقـد جاء عن أبى حنيـفة من طرق كثـيرة مـا ملخصه: أنـه أولاً يأخذ بما فى القرآن، فإن لم يجـد، فبالسنة، فإن لم يجد، فبـقول الصحابة(٢)، فإن اختلفوا، أخذ بما كـان أقرب إلى القرآن أو السنَّة من أقـوالهم، ولم يخرج عليـهم، فإن لم يجد لأحدٍ منهم قولاً، لم يأخذ بقول أحدٍ من التابعين، بل يجتهد كما اجتهدوا.

وقال الفضيل بن عياض: إن كان فى المسألة حديث صحيح تبعه، وإن كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك، وإلا قاس فأحسن القياس.

وقال ابن المبارك «رواية عنه»: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جـاء عن الصحابة اختـرنا، ولم نخرج عن أقـوالهم، وإذا جاء عن التابعين، زاحمناهم.

وعنه أيضاً: عجباً للناس! يقولون: أفتى بالرأى؟ ما أفتى إلا بالأثر.

وعنه أيضًـا: ليس لأحـد أن يقـول برأيه مع كـتـاب الله تعـالى، ولا مع سنة رسول الله ﷺ ، ولا ما أجـمع عليه الصـحابة، وأما ما اختلفوا فيـه، فنتخير من أقاويلهم أقـربه إلى كتـاب الله تـعالى أو إلى السنة، ونجتـهد، ومـا جاوز ذلك، فالاجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف وقاس، وعلى هذا كانوا. (٣)

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣١).

(٢) أى إذا اجتمعوا والله أعلم.

(٣) الخيرات الحسان (٤١، ٤٢).

٧ - مِحْنَتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّـهُ

عن عبيد الله بن عمرو: أن ابن هبيرة ضرب أبا حنيفة مئة سوط وعشرة أسواط في أن يليَ القضاء فأبى، وكان ابن هبيرة عاملَ مروان على العراق في زمن بني أمية.(١)

وعن يحيى بن عبدالحميد عن أبيه قال: كان أبو حنيفة يخرج كل يوم -أو قال: بين الأيام- فَيُضْرَبُ ليدخل في القضاء فأبى، ولقد بكى في بعض الأيام، فلما أُطْلِقَ قال لي: كان غمُّ والدتي أشدَّ عليَّ من الضرب.(٢)

وعن بشر بن الوليد قال: طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء، وحلف لَيَلِيَنَّ، فأبى، وحلف، إني لا أفعل. فقال الربيع الحاجب: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف؟ قال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني، فأمر به إلى السجن، فمات فيه ببغداد.(٣)

وقيل: دفعه أبو جعفر إلى صاحب شرطته حميد الطوسي، فقال: يا شيخ إن أمير المؤمنين يدفع إليَّ الرجلَ، فيقول لي: اقتله، أو اقطعه، أو اضربه، ولا أعلم بقصته، فماذا أفعل؟ فقال: هل يأمرك أمير المؤمنين بأمر وقد وجب، أو بأمر لم يجب؟ قال: بل بما قد وجب. قال: فبادر إلى الواجب.(٤)

وعن مغيث بن بديل قال: دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلُح. قال: كذبت، قال: فقد حكم أمير المؤمنين عليَّ أنْ لا أصلح، إن كنت كاذبًا، وإن كنتُ صادقًا؛ فقد أخبرتكم أني لا أصلح، فحبسه.

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٢).

وروى نحوها إسماعيل بن أبى أويس عن الربيع الحاجب. وفيها قال أبو حنيفة: والله، ما أنا بمأمون الرضى، فكيف أكون مأمون الغضب؟! فلا أصلح لذلك. قال المنصور: كذبت، بل تصلح. فقال: كيف يحل أن تولى من يكذب؟

وقيل: إن أبا حنيفة ولى القضاء، فقضى قضية واحدة، وبقى يومين، ثم اشتكى ستة أيام، وتوفى.

وقال الفقيه أبو عبد الله الصيمرى: لم يقبل العهد بالقضاء، فضُرِب وحُبِس، ومات فى السجن.[١]

٨- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن عطاء بن أبى رباح، وعاصم بن أبى النجود، وعلقمة بن مرثد، وحماد بن أبى سليمان، والحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وأبى جعفر محمد بن علىّ، وعلىّ بن الأقمر، وزياد بن علاقة، وسعيد بن مسروق الثورى، وعدى بن ثابت الأنصارى، وعطية بن سعيد العوفى، وأبى سفيان السعدى، وعبدالكريم أبى أمية، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وهشام ابن عروة، وآخرين.[٢]

تَلامذَتُه: قالَ الحافظ: وعنه ابنه حماد، وإبراهيم بن طهمان، وحمزة بن حبيب الزيات، وزفر بن الهذيل، وأبو يوسف القاضى، وأبو يحيى الحمانى، وعيسى بن يونس، ووكيع، ويزيد بن زريع، وأسد بن عمرو البجلى، وحكام بن يعلى بن

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٢).
(٢) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠١).

سلم الرازى، وخارجة بن مصعب، وعبد المجيد بن أبى رواد، وعلى بن مُسْهِر، ومحمد بن بشر العبدى، وعبد الرزاق، ومحمد بن الحسن الشيبانى، ومصعب بن المقدام، ويحيى بن يمان، وأبو عصمة نوح بن أبى مريم، وأبو عبد الرحمن المقرى، وأبو عاصم، وآخرون.(١)

٩ - بَرَاعَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الْفِقْهِ

قال يحيى بن سعيد القطان: لا نَكْذِبُ اللهَ، ما سَمَعنا أحسن من رأي أبى حنيفة.(٢)

وقال على بن عاصم: لو وُزِنَ علم أبى حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم.(٣)

وقال حفص بن غياث: كلام أبى حنيفة فى الفقه أدق من الشَّعْر، لا يعيبه إلا جاهل.(٣)

ورُوِىَ عن الأعمش: أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يحسن هذا النعمان بن ثابت الخزاز، وأظنه بُورِكَ له فى عمله.(٣)

وقال جرير: قال لى مغيرة: جالس أبا حنيفة تَفْقَهْ، فإن إبراهيم النخعى لو كان حياً لجالسه.(٣)

وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس.(٣)

---

(١) تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠١)، ومن تلامذته أيضاً: شيخ المحدثين عبد الله بن المبارك، وشيخ الزهاد داود الطائى.

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٣).

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

قال الذهبي: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لاشك فيه.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأذْهَانِ شَيْءٌ إذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إلَى دَلِيل

وسيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين ﷺ ورحمه.[١]

١٠ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الذهبي في «العبر»: وقد رُوي أن المنصورَ سقاه السمَّ، فمات شهيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ.[٢]

وقال الهيثمي: روى جماعة: أنه رُفِعَ إليه قدح فيه سم ليشرب، فامتنع وقال: إني لأعلم ما فيه، ولا أُعِينُ على قتل نفسي، فَطُرِح، ثم صُبَّ في فِيهِ قهرًا؛ فمات.

وقيل: إن ذلك كان بحضرة المنصور، وصح أنه لما أحس بالموت سجد، فخرجت نفسه وهو ساجد.

وقيل: الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة؟ وإنما السبب في ذلك أن بعض أعداء أبي حنيفة دس إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن عليّ ﷺ الخارج عليه بالبصرة، فخاف خوفًا شديدًا، ولم يقر له قرار، وأنه قواه بمالٍ كثير، فخشي

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٣).
(٢) العبر (١/ ١٦٤).

المنصور من ميله إلى إبراهيم، لأنه -أعني: أبا حنيفة- كان وجيهًا، ذا مال واسع من التجارة، فطلبه لبغداد، ولم يجسر على قتله بغير سبب، فطلب منه القضاء مع علمه بأنه لا يقبله، ليتوصل بذلك إلى قتله.[١]

واتفقوا على أنه -رَحْمَةَ اللَهِ عَلَيْهِ- مات سنة مئة وخمسين، عن سبعين سنة، قال كثيرون: وكان موته في رجب، وقيل: شعبان، وقيل: نصف شوال، ولم يخلف غير ولده حماد[٢].

فرحمه اللَّه -عَزَّ وَجَلَّ- رحمة واسعة.

---

(١) الخيرات الحسان (٩٢).
(٢) الخيرات الحسان بتصرف واختصار (٩٢).

مِنْ أَعْلاَمِ السَّلَفِ

(١٤)

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرو الأَوْزَاعِيُّ

فما زلنا بحمد الله سعداء بصحبة الركب المبارَك أعلام السلف، وعالمنا وعَلَمنَا في هذه الترجمة إمامٌ مُبَاركٌ من أئمة أتباع التابعين، ومن علماء الشام الغُرِّ الميامين، جمع العلم والأدب والعبادة والخشية، فكان لا يهاب الملوك الجبابرة، وتهابه الملوك لقوته في الحقِّ، وعدم مداهنته للخلق، فما أحوج الطلاب والعلماء إلى معرفة سيرته، والانتفاع ببركته.

ونكتفي في هذه المقدمة بما ذكره الحافظ الذهبي في «سيَرِه» عن العباس بن الوليد قال: فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا تَعَجُّبَه من الأوزاعي، فكان يقول: سبحانك، تفعل ما تشاء، كان الأوزاعي يتيماً فقيرًا في حجر أمِّه، تنقله من بلد إلى بلد، وقد بلغ حكمك فيه أن بلغته حيث رأيتُه، يا بني، عجزت الملوك أن تؤدبَ أنفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة، إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكًا قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد، أقول في نفسي: أترى في المجلس قلبٌ لم يبك.[1]

فرحم الله الأوزاعي وسائر أئمة المسلمين، وجمعنا بهم في عليين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٠).

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الشامي الأوزاعي.

مَوْلِدُهُ: قال أبو مُسْهِر وطائفة: ولد سنة ثمان وثمانين.

وعن ضمرة قال: سمعت الأوزاعي يقول: كنت محتلماً، أو شبيهًا بالمحتلم في خلافة عمر بن عبد العزيز.(١)

وقال الوليد بن مَزيد: مولده ببعلبك، ومنشؤه بالكرك.(٢)

قال الذهبي: كان يسكن عجلة الأوزاع، وهي العقبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطًا بها إلى أن مات.(٣)

صِفَتُهُ: قال محمد بن عبد الرحمن السلمي: رأيت الأوزاعي فوق الربعة، خفيف اللحم، به سمرة، يخضِّب بالحنَّاء.(٤)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: الأئمة فيَ الحدَيث أربعة: الأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد.(٥)

وعنه قال: ما كان بالشام أحدٌ أعلم بالنسب من الأوزاعي.(٥)

وعن عثمان بن سعيد الدارمي قال: سألت يحيى بن معين عن الأوزاعي ما حاله في «الزهري»؟ فقال: ثقة ما أقَل ما روى عن الزهري.(٥)

وعن سفيان بن عيينة قال: كان الأوزاعي إمام -يعني- أهل زمانه.(٦)

وقال محمد بن سعد: وكان ثقة، مأموناً، صدوقاً، فاضلاً، خيراً، كثير الحديث، والعلم والفقه، حُجَّةً.(٧)

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١١).
(٥) تهذيب الكمال (١٧/ ٣١٣).
(٦) تهذيب الكمال (١٧/ ٣١٤).
(٧) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨).

وقال إسماعيل بن عياش: سمعت الناس فى سنة أربعين ومئة يقولون: الأوزاعى اليوم عالم الأمة.

وعن محمد بن شعيب قال: قلت لأمية بن يزيد: أين الأوزاعى من مكحول؟ قال: هو عندنا أرفع من مكحول.

قال الذهبى: بلا ريب هو أوسع دائرة فى العلم من مكحول.(١)

وقال الخريبى: كان الأوزاعى أفضلَ أهل زمانه.(١)

عن الوليد بن مسلم قال: ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعى، حتى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام والأوزاعى إلى جنبه، فقلت: يا رسول الله، عمن أحمل العلم؟ قال: عن هذا، وأشار إلى الأوزاعى.

قال الذهبى: كان الأوزاعى كبير الشأن.(٢)

وقال إسحاق بن راهويه: إذا اجتمع الثورى، والأوزاعى، ومالك على أمر، فهو سُنة.

وقال الذهبى: بل السنَّة سُنة النبى ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، والإجماع هو ما اجتمعت عليه علماء الأمة قديمًا وحديثًا، إجماعًا ظنياً أو سكوتياً، فمن شذَّ عن هذا الإجماع من التابعين أو تابعيهم، لقول باجتهاد احتمل له، فأما من خالف الثلاثة المذكورين من كبار الأئمة، فلا يسمى مخالفًا للإجماع ولا للسنة، وإنما مراد إسحاق: أنهم إذا اجتمعوا على مسألة، فهو حقٌ غالبًا، كما نقول اليوم: لا يكاد يوجد الحق فيما أئمة الاجتهاد الأربعة على خلافه، مع اعترافنا بأن اتفاقهم على مسألة لا يكون إجماع الأمة، ونهاب أن نجزم فى مسألة اتفقوا عليها بأن الحق فى خلافها.

ومن غرائب ما انفرد به الأوزاعى: أنَّ الفخذ ليست فى الحمام عورة، وأنها فى المسجد عورة، وله مسائل كثيرة حسنة ينفرد بها، وهى موجودة فى الكتب الكبار، وكان له مذهب مستقل مشهور، عَمِلَ به فقهاء الشام مدَّة، وفقهاء الأندلس، ثم فنى.(٣)

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١١). (٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ١١٦، ١١٧).

٣ - عِـبَـادَتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّهُ -

قال الوليد بن مسلم: ما رأيت أحداً أشد اجتهاداً من الأوزاعى فى العبادة.

وقال غيره: حج فما نام على الراحلة، إنما هو فى صلاة، فإذا نعس، استند إلى القتب، وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى.(١)

وعن الوليد بن مزيد قال: كان الأوزاعى من العبادة على شىء ما سمعنا بأحدٍ قوى عليه، ما أتى عليه زوال قط إلا قائم يصلى.

وقال مروان الطاطرى: قال الأوزاعى: مَنْ أطال قيامَ الليل، هوَّن الله عليه وقوفَ يوم القيامة.(٢)

وقال الوليد بن مسلم: رأيت الأوزاعى يثبت فى مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس، ويخبرنا عن السلف إن ذلك كان هديهم، فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض، فأفاضوا فى ذكر الله، والفقه فى دينه.(٣)

٤ - خَشْـيَتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّهُ -

عن بشر بن المنذر قال: رأيت الأوزاعى كأنه أعمى من الخشوع.(٢)

وعن أبى مسهر قال: ما رُئِىَ الأوزاعى باكياً قط، ولا ضاحكًا حتى تبدو نواجذه، وإنما كان يتبسم أحيانًا كما رُوِى فى الحديث، وكان يُحيى الليل صلاة وقرآناً وبكاءً.

وأخبرنى بعض إخوانى من أهل بيروت: أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعى، وتتفقد موضع مصلاه، فتجده رطبًا من دموعه فى الليل.(٤)

وقال بعضهم: ما رئى الأوزاعى ضاحكًا مقهقهاً قط، ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحدٌ فى مجلسه إلا بكى بعينه، أو بقلبه، وما رأيناه يبكى فى مجلسه قط، وكان إذا خلى بكى، حتى يرحم.(٥)

---

(١) البداية والنهاية (١٠/١١٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/١١٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/١١٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠).
(٥) البداية والنهاية (١٠/١١٦).

٥ - وَرَعُــــهُ - رَحِمَـهُ اللَّهُ-

عن أبى مسهر قال: حدثنا محمد بن الأوزاعى قال: قال لى أبى: لو قَبِلْنَا من الناس كلما يُعطونا، لَهُنَّا عليهم.(١)

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال: بلغنى أن نصرانيًا أهدى إلى الأوزاعى جَرَّةَ عسل، فقال له. يا أبا عمرو، تكتب لى إلى والى بعلبك؟ قال: إن شئت رددت الجَرَّة، وكتبت لك، وإلا قبلت الجَرَّة، ولم أكتب لك. قال: فرد الجَرَّة، وكتب له، فوضع عنه ثلاثين دينارًا.(١)

وعن أبى فروة يزيد بن محمد الرهاوى: سمعت أبى يقول: قلت لعيسى بن يونس: أيهما أفضل الأوزاعى، أو سفيان؟ فقال: وأين أنت من سفيان ؟ قلت. يا أبا عمرو، ذهبت بك العرْقيَّة! الأوزاعى فقهه، وفضله، وعلمه، فغضب، وقال. أتراني أوثر على الحق شيئًا. سمعت الأوزاعى يقول: ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علىٍّ بالنفاق، وتبرأنا منه، وأُخذ علينا بذلك الطلاق، والعتاق، وأيمان البيعة، قال: فلما عقلت أمرى، سألت مكحول، ويحيى بن أبى كثير، وعطاء ابن أبى رباح، وعبيد الله بن عبيد بن عمير، فقالوا: ليس عليك شىء، وإنما أنت مكره، فلم تقر عينى حتى فارقت نسائى، وأعتقت رقيقى، وخرجت من مالى، وكفَّرت أيمانى. فأخبرنى، سفيان كان يفعل ذلك.(٢)

وعن سعيد بن سالم صاحب الأوزاعى قال: قدم أبو مرحوم من مكة على الأوزاعى، فأهدى له طرائف، فقال له: إن شئت قبلت منك، ولم تسمع منى حرفًا، وإن شئت، فضُمَّ هديتك واسمع.(٣)

٦ - اتِّبَاعُهُ للسُّنَّةِ

عن العباس بن الوليد قال: حدثنا أبى قال: سمعت الأوزاعى يقول: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك، وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلى، وأنت على طريق مستقيم.(٤)

(١) حلية الأولياء (٦/ ١٤٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٣٠، ١٣١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٣٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠).

وعن بقـية بن الوليـد قـال: قال لى الأوزاعى: يا بـقيـة، لا تذكر أحـدًا من أصحاب نبيك إلا بخـير، يا بقية، العلم ما جاء عن أصحـاب محمد ﷺ وما لم يجئ عنهم، فليس بعلم.(١)

وعن بقية والوليد بن يزيد قال: قال الأوزاعـى: لا يجتمع حـبّ علىّ وعثمان رضي الله عنهما إلا فى قلب مؤمن.(١)

وعن محـمد بن كثيـر المصيصى قال: سـمعت الأوزاعى يقول: كنا والتـابعون متـوافـرون نقـول: إنّ الله تعالى فـوق عـرشـه، ونؤمن بما وردت به السنَّة من صفاته.(٢)

وعن أبى إسحاق الفزارى قال: قـال الأوزاعى: اصبر نفسك على السنة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قـالوا، وكف عما كـفوا عنه، واسلك سـبيل سلفك الصالح، فـإنه يسعك ما وسعـهم، ولا يستقـيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستـقيم القول إلا بالعـمل، ولا يستقيم الإيمان والقـول والعمل إلا بالنية وموافـقة السنة، وكان من مضى من سلـفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمـل، والعمل من الإيمان، والإيمان من العـمل، وإنما الإيمان اسم جامع كـما يجـمع هذه الأديان اسمـها، ويصدقـه العمل، فـمن آمن بلسانه، وعـرف بقلبه، وصدق بعمله، فـتلك العروة الوثقى، التى لا انفـصام لها، ومن قـال بلسانه، ولم يعـرف بقلبه، ولم يصـدقه بعمله، لم يُقبل منه، وكان فى الآخرة من الخاسرين.(٣)

وعن الأوزاعى قال: رأيت رب العزة فى المنام، فقال: أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المـنكر؟ فـقلت: بفـضلك، أى ربِّ، ثم قلت: يا رب، أمـتنى على الإسلام، فقال: وعلى السنة.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢١).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ١٤٣، ١٤٤).
(٤) البداية والنهاية (١٠/ ١١٧).

٧ - صَدْعُهُ بِكَلِمَةِ الحَقّ

عن أبى خليد عتبة بن حماد القارئ قال: حدثنا الأوزاعى قال: بعث عبد الله ابن علىّ إلىَّ، فاشتد عَلَىَّ، وقدمت فدخلت، والناس سماطان فقال: ما تقول فى مخرجنا، وما نحن فيه. قلت: أصلح الله الأمير، قد كان بينى وبين داود بن علىّ مودة. قال: لتخبرنى، فتفكرت، ثم قلت: لأَصْدُقَنَّهُ، واستبسلت للموت، ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث «الأعمال»، وبيده قضيب ينكت به، ثم قال: يا عبد الرحمن، ما تقول فى قتْل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثنى محمد بن مروان عن مطرف بن الشّخير عن عائشة عن النبى ﷺ قال: «**لا يَحلُ قَتْل المسلم إلا فى ثَلاث ...**» وساق الحديث. فقال: أخبرنى عن الخلافة، وصية لنا من رسول الله ﷺ. فقلت: لو كانت وصية من رسول الله ﷺ ما ترك علىّ رضي الله عنه أحدًا يتقدمه. قال: فما تقول فى أموال بنى أمية؟ قلت: إن كانت لهم حلالاً، فهى عليك حرام، وإن كانت عليهم حراماً، فهى عليك أحرم، فأمر بى؟ فأخرجت.

قال الذهبى: قد كان عبد الله بن علىّ ملكًا جباراً سفاكًا للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعى يصدعه بمر الحق كما ترى، لا كَخَلْق من علماء السوء؛ الذين يحسِّنون للأمراء ما يقتحمون من الظلم والعَسْف، ويقلبون لهم الباطل حقاً -قاتلهم الله-، أو يسكتون مع القدرة على بيان الحَق.(١)

وعن أبى الأسوار محمد بن عمر التنوخى، قال: كتب المنصور إلى الأوزاعى:

أما بعد، قد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك فى عنقه، فاكتب إِلَىَّ بما رأيت فيه المصلحة مما أحببت.

فكتب إليه: أما بعد، فعليك بتقوى الله، وتواضعْ يرْفَعْك الله يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله عليك إلا عِظَمًا، ولا طاعته إلا وجوباً.(٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٤، ١٢٥). (٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٥).

وعن عبد الحميد بن بكار قال: حدثنا ابن أبى العشرين: سمعت أميرًا بالساحل يقول -وقد دفنا الأوزاعى، ونحن عند القبر-: رحمك الله أبا عمرو، فلقد كنت أخافك أكثر ممن ولانى.(١)

٨- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، وشداد بن عمار، وعبدة بن أبى لبابة، وعطاء بن أبى رباح، وقتادة، وأبى النجاشى عطاء بن صهيب، ونافع مولى ابن عمر، والزهرى، ومحمد بن إبراهيم التيمى، ومحمد بن سيرين، والمطلب بن عبد الله بن حنطب، ويحيى بن سعيد الأنصارى، ويحيى ابن أبى كثير، وأبى عبيد المذحَجِىِّ، وأبى كثير السحيمى، وسليمان بن حبيب المحاربى، وحسان بن عطية، وربيعة بن أبى عبد الرحمن، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد، وعمرو بن زيات، والوليد بن هشام المعيطى، ويزيد بن يزيد ابن جابر، وخلقٍ من أقرانه، وغيرهم.(٢)

تلامذَتُهُ: قال الحافظ: روى عنه مالك، وشعبة، والثورى، وابن المبارك، وابن أبى الزِّناد، وعبد الرزاق، وبقية، وبشر بن بكر، ومحمد بن حرب، وعقل بن زياد، ويحيى بن سعيد القطان، وشعيب بن إسحاق، وأبى ضمرة المدنى، وصخرة ابن ربيعة، وإسماعيل بن عبد الله بن سماعة، وأبو إسحاق الفزارى، وإسماعيل ابن عياش وعبد الله بن كثير الدمشقى القارى، وعبد الله بن نمير، وعمرو بن أبى سلمة التنيسى، ومبشر بن إسماعيل، ومحمد بن شعيب بن شابور، ومحمد ابن مصعب القرقسانى، ومخلد بن يزيد الحرانى، والهيثم بن حميد، والوليد بن مسلم، والوليد بن يزيد العذرى، ويحيى بن حمزة الحضرمى، ويزيد بن السمت، ويحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلتى، وموسى بن أعين الجزرى، وعيسى بن يونس، وعمرو بن عبد الواحد السلمى، وعبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٦).

(٢) تهذيب التهذيب (٦/ ٢١٦).

وأبو عاصم النبيل، ومحمد بن يوسف الفريابى، والمغيرة الخولانى، وعبيد الله ابن موسى العبسى، ومحمد بن كثير المصيصى، وجماعة، وروى عنه من شيوخه: الزهرى، ويحيى بن أبى كثير، وقتادة، وغيرهم.(١)

٩ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن يحيى بن عبدالملك بن أبى عُنَيَّة قال: كتَبَ الأوزاعى إلى أخ له: أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يُسار بك فى كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به، والسلام.(٢)

وعن الأوزاعى قال: إن المؤمن يقول قليلاً، ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يقول كثيرًا، ويعمل قليلاً.(٣)

وعن موسى بن أعين قال: قال لى الأوزاعى: يا أبا سعيد، كنا نمزح ونضحك، فأما إذ صرنا يُقْتَدَى بنا ما أرى يسعنا التَّبَسُّم.(٤)

وعن أبى حفص عمرو بن أبى سلمة عن الأوزاعى قال: من أكثر ذكر الموت، كفاه اليسير، ومن علم أن منطقه من عمله، قلَّ كلامه. قال أبو حفص: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: ما جاء الأوزاعى بشىء أعجب إلينا من هذا.(٤)

وعن الوليد بن مَزيد قال: سمعت الأوزاعى يقول: إذا أراد الله بقوم شرًا، فتح عليهم باب الجدل، ومنعهم العمل.(٥)

وعن محمد بن شعيب قال: سمعت الأوزاعى يقول: من أخذ بنوادر العلماء، خرج من الإسلام.(٦)

وعن الأوزاعى قال: ما ابتدع رجل بدعة، إلا سُلب الورع.(٦)

---

(١) تهذيب التهذيب (٦/٢١٦، ٢١٧).
(٢) حلية الأولياء (٦/١٤١).
(٣) حلية الأولياء (٦/١٤٢).
(٤) حلية الأولياء (٦/١٤٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/١٢١).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/١٢٥).

١٠ - وَفَـاتُـهُ - رَحِمَـهُ الـلَّـهُ -

عن محـمد بن عبـيد الطنافسى قـال: كنتَ عند سفـيان الثورى، فـجاءه رجل فقال: رأيت كـأن ريحانة من المغرب رُفِعَتْ. قال: إن صدقت رؤياك، فـقد مات الأوزاعى، فكتبوا ذلك، فوجد كذلك فى ذلك اليوم.(١)

وعن أحمـد بن عيسـى المصرى: حدثنى خـيـران بن العلاء، وكـان من خـيار أصحـاب الأوزاعى قال: دخل الأوزاعى الحمَّام، وكـان لصاحب الحمام حـاجة، فأغلق عليه الباب، وذهب ثم جاء ففتح، فوجد الأوزاعى مَيْتًا، مستقبلَ القبلة.(٢)

وعن أبى مُسْـهِر قال: بلغنا موت الأوزاعى، وأن امـرأته أغلقت عليه باب الحمَّام، غـير متعمدة فـمات، فأمرها سعـيد بن عبد العزيز بعـتق رقبة، ولم يخلِّف سوى ستة دنانير، فضلت من عطائه، وكـان قد اكتسب -رَحِمَهُ اللَّهُ- فى ديوان الساحل.(٢)

وقالى أبو مُسْهِـر، وعدة: مات سنة سبع وخـمسين ومـئة، وزاد بعضهم: فى صَفَرَ.(٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/١٢٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/١٢٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/١٢٨).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(١٥)

أمير المؤمنين فى الحديث
شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ

ما زلنا بحمد الله -عَزَّ وَجَلَّ- سعداء بصحبة العلماء الأعلام، والأئمة الكرام، وهذه حلقة من حلقات هذه السلسلة المباركة سلسلة التراجم التربوية (من أعلام السلف) وشيخنا فيها إمام من أئمة الحديث من التابعين، ومن العلماء العاملين، إمام الحديث فى أوانه، والمقدَّم على سائر أقرانه، كان حماد بن زيد، وناهيك به شرفاً وفضلاً، شيخ ابن المبارك، إذا حدث عنه قال:

حدثنا الضَّخْمُ عَنِ الضِّخَام ... شُعْبةُ الخَيْرِ أبو بِسْطَام

إنه شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بِسطام. وقال بعضهم: وهل العلماء إلا شعبة من شعبة. اشتهر بالزهد والعَفاف، والورع والكفاف، كان محباً للمساكين، معظمًا لأهل الدين، مع أنه كان فقيرًا من الفقراء، قوَّموا ثيابه وحماره وسرجه ولجامه ببعضة عشر درهمًا، كان إذا حَك جلده تناثر منه التراب، ولكنه كان شديد الغيرة على حديث النبى ﷺ.

قال حماد بن زيد: رأيت شعبة قد لبب أبان بن أبى عياش، يقول: أستعدى عليك إلى السلطان، فإنك تكذب على رسول الله ﷺ.

قال: فبصُرَ بى فقال: يا أبا إسماعيل، قال: فأتيته، فما زلت أطلب إليه، حتى خلصته.[1]

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٢).

وكان شديد التحرى، قال: لو حدثتكم عن ثقة، ما حدثتكم إلا عن ثلاثة. وقالوا له مرة: حدثنا، ولا تحدثنا إلا عن ثقة، فقال: قوموا، فكأنه لم يجد شرطهم. روى عنه مالك «نجم السنن» بواسطة، مع أن مالكاً لا يفعل ذلك إلا نادرًا. قال العلماء: لولا شعبة، لذهب حديث أهل العراق، ولما مات شعبة قال سفيان: مات الحديث.

قال الذهبى: كان أبو بسطام إمامًا ثبتًا، حجة، ناقداً، جهْبذاً، صالحًا، زاهدًا، قانعًا بالقوت، رأسًا فى العلم والعمل، منقطع النظير، وهو أول من جَرّح، وعدَّلَ، أخذ عنه هذا الشأن يحيى بن سعيد القطان، وابن مهدى وطائفة، وكان سفيان الثورى يخضع له ويجلُّه، ويقول: شعبة أمير المؤمنين فى الحديث.[١]

فلا يليق بطلاب العلم الشرعى أن يجهلوا مثل هذه القمم الشامخة، والأمثلة النادرة، التى قلما يسمح الزمان بمثلها، لقد لمع نجمه فى سماء كثرت فيها النجوم، واشتهر اسمه فى أزمنة، هى أزمنة العلم والخير والبركة والعلماء العاملين، فى زمن سفيان، ومالك، والأوزاعى، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، وغيرهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وهذه فائدة جديدة من فوائد هذه السلسلة المباركة، وهى تبصير أجيال الصحوة بما لم يشتهر عند العوام من العلماء الكرام، والأئمة الأعلام؛ حتى يتقربوا إلى الله بحبهم، والنسج على منوالهم، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يرزقنا وإياهم جنة عالية، قطوفها دانية.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد، وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى أبو بسطام الواسطى، مولى عبدة بن الأغر مولى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة.

وقال قعنب بن المحرر: مولى الجهاضم من العتيك.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٦).

وقال محمد بن سعد: مولى الأشاقر عتاقة.[1]

مَوْلِدُهُ: ولد في سنة ثمانين في دولة عبد الملك بن مروان، وقال أبو زيد الهروى: ولد سنة اثنتين وثمانين.

صِفَتُهُ: قال حمزة بن زياد الطوسى: سمعت شعبة، وكان ألثغَ، قد يبس جلده من العبادة.[2]

وعن أبى بحر البكراوى قال: ما رأيت أعبد لله من شعبة؛ لقد عبد الله حتى جلده على ظهره، ليس بينهما لحم.[3]

وقال أبو قطن: كانت ثياب شعبة كالتراب، وكان كثير الصلاة سخياً.[4]

وعن عبد العزيز بن أبى رواد قال: كان شعبة إذا حك جسمة انتثر منه التراب، وكان سخيًا، كثير الصلاة.[4]

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال أبو عبد الله الحاكم: شعبة إمام الأئمة بالبصرة فى معرفة الحديث، رأى أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الجَرْمى، وسمع من أربعمائة شيخ من التابعين، قال: وحدَّث عنه من شيوخه: منصور، والأعمش، وأيوب، وداود بن أبى هند، وسعد بن إبراهيم -يعنى: قاضى المدينة.[5]

قال الذهبى: ومن جلالته، قد روى مالك الإمام عن رجل عنه، وهذا قلَّ أن عَملَه مالك.[6]

عن أبى داود: حدثنا شعبة قال: قال لى سفيان الثورى: أنت أمير المؤمنين فى الحديث.[7]

---

(١) تهذيب الكمال للمزى (١٢/ ٤٧٩، ٤٨٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٩).
(٣) تهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٦).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٥).
(٧) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٤).

وعن أبى النضر قال: كان سليمان بن المغيرة إذا ذكر شعبة، قال: سيد المحدثين، وكان شعبة إذا ذكر سليمان، قال: سيد القراء.(١)

وعن الفضيل بن زياد قال: سئل أحمد بن حنبل: شعبة أحب إليك حديثًا أو سفيان؟ فقال: شعبة أنبل رجالاً، وأنسق حديثًا.(٢)

وعن سلم بن قتيبة: قدمت البصرة فأتيت الكوفة، فأتيت سفيان، فقال لى: من أين أنت؟ فقلت: من البصرة. فقال: ما فعل أستاذنا شعبة؟(٣)

وقال يحيى بن معين: شعبة إمام المتقين.(٤)

وقال أبو زيد الأنصارى: وهل العلماء إلا شعبة من شعبة.(٥)

قال ابن معين: كان يحيى بن سعيد إذا سمع الحديث من شعبة، لم يبالِ أن لا يسمعه من غيره.(٦)

وقال حماد بن زيد: إذا خالفنى شعبة فى حديث، صرت إليه.(٧)

وعن حسن بن عيسى قال: سمعت ابن المبارك قال: كنت عند سفيان فأتاه موت شعبة، فقال: اليوم مات الحديث.(٨)

وقال الشافعى: لولا شعبة لما عُرِفَ الحديث بالعراق.(٧)

وقال أبو قطن: كتب لى شعبة إلى أبى حنيفة، فأتيته، فقال: كيف أبو بسطام؟ قلت: بخير. قال: نِعْمَ حشو المصرِ هو.(٩)

قال أحمد بن حنبل: شعبة أثبت من الأعمش فى الحكم -أى: ابن عتيبة- وشعبة أحسن حديثاً من الثورى، وقد روى عن ثلاثين شيخاً كوفياً لم يلقهم سفيان.

(١) حلية الأولياء (٧/ ١٥٣).
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٢٦٤)، تهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٠).
(٣) تهذيب الكمال (١٢/ ٤٩١).
(٤) تاريخ الإسلام (٩/ ٤٢٠).
(٥) تاريخ الإسلام (٩/ ٤٢١).
(٦) تاريخ الإسلام (٩/ ٤٢٣).
(٧) تاريخ الإسلام (٩/ ٤١٧).
(٨) تاريخ الإسلام (٩/ ٤٢٦).
(٩) تاريخ الإسلام (٩/ ٤١٨).

قال: وكان شعبة أمة وحده فى هذا الشأن.(١)

قال أبو نعيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: ومنهم الإمام المشهور، والعلم المنشور، فى المناقب مذكور، له التقشف والتعبد، والتكشف عن الأخبار والتشدد، أمير المؤمنين فى الرواية والتحديث، وزين المحدثين فى القديم والحديث، أكثر عنايته بتصحيح الآثار، والتبرى من تحمل الأوزار، المتثبت المحجاج، أبو بسطام شعبة بن الحجاج، كان للفقر عانقًا، وبضمان الله تعالى واثقاً.(٢)

وقال يحيى بن سعيد: لا يعدل شعبة عندى أحد.(٣)

٣ - عِبَادَتُهُ وَزُهْدُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن أبى بكر البكراوى قال: مَا رأيت أعبد للهَ من شعبة، لقد عَبَدَ الله حتى جفَّ جلده على عظمه ليس بينهما لحم.(٤)

وعن عمر بن هارون قال: كان شعبة يصوم الدهر كله، لا ترى عليه، وكان سفيان الثورى يصوم ثلاثة أيام من الشهر، ترى عليه.(٥)

وعن ابن منيع قال: سمعت أبا قطن قال: ما رأيت شعبة ركع قط، إلا ظننت أنه قد نسى، ولا قعد بين السجدتين، إلا ظننت أنه قد نسى.(٥)

وقال عبد السلام بن مطهر: ما رأيت أحداً أمعن فى العبادة من شعبة.(٦)

وعن أبى الوليد عن شعبة قال: إذا كان عندى دقيق وقصب، ما أبالى ما فاتنى من الدنيا.(٧)

وعن صالح بن سليمان قال: كان شعبة مولى للأزد، مولده ومنشؤه بواسط، وعلمه كوفى، وكان له ابن يقال له سعد، وكان له أخوان: بشار، وحماد، وكانا

(١) تاريخ الإسلام (٩/ ٤١٨).
(٢) تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢١٣).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ١٤٤)، وتاريخ بغداد (٩/ ٢٦٣).
(٥) حلية الأولياء (٧/ ١٤٥)، وصفة الصفوة (٣/ ٣٤٩).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٠).
(٧) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٧)، وقوله: «القصب» المعى.

يعالجان الصرف، وكان شعبة يقول لأصحاب الحديث: ويلكم، الزموا السُّوق، فإنما أنا عيالٌ على أخَوىّ. قال: وما أكل شعبة من كسبه درهماً قط.(١)

وعن قراد أبى نوح قال: رأى عَلَيَّ شعبة قميصًا، فقال: بكم اشتريت هذا؟ فقلت: بثمانية دراهم، فقال لى: ويحك، أما تتقى الله، ألا اشتريت قميصًا بأربعة دراهم، وتصدقت بأربعة، كان خيرًا لك؟ قلت: يا أبا بسطام، إنا مع قوم نتجمل لهم. قال: أيش نتجمل لهم.(٢)

وعن يحيى بن أيوب قال: حدثنا أبو قطن قال: كان ثياب شعبة لونها لون التراب، وكان كثير الصلاة، كثير الصيام، سخيَّ النفس.(٣)

وعن عبدان بن عثمان عن أبى: قوَّمنا حمار شعبة، وسرجه، ولجامه بضعة عشر درهمًا.(٤)

وعن عبد العزيز بن داود قال: كان شعبة إذا حَكَّ جلده، انتثر منه التراب.(٣)

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: ما رأيت أعقل من مالك بن أنس، ولا أشد تقشفًا من شعبة، ولا أنصح للأمة من عبدالله بن المبارك.(٥)

٤ – أدَبُـهُ وَسَمَاحَتُـهُ وَحُبُّـهُ لِلْمَسَـاكِيـنِ

عن أبى داود الطيالسى قال: كنا عند شعبة، فجاء سليمان بن المغيرة يبكى. فقال له شعبة: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ قال: مات حمارى، وذهبت منى الجمعة، وذهبت حوائجى. قال: فبكم أخذته ؟ قال: بثلاثة دنانير. قال: فعندى ثلاثة دنانير، والله، ما أملك غيرها، يا غلام هات تلك الصرة، فإذا فيها ثلاثة دنانير، فدفعها إليه، وقال: اشتر بها حمارًا، ولا تبك.(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٨)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٣).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ١٤٦).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ١٤٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٨).
(٥) تهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٣). (٦) حلية الأولياء (٧/ ١٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢١١).

وعن حجاج قال: ركب شعبة حمارًا له، فلقيه سليمان بن المغيرة فشكى إليه، فقال له شعبة: والله، ما أملك إلا هذا الحمار، ثم نزل عنه، ودفعه إليه.(١)

وعن النضر بن شميل قال: ما رأيت أرحم لمسكين من شعبة، إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه، حتى يغيب عن وجهه.(٢)

وعن مسلم بن إبراهيم قال: كان شعبة إذا وقف فى مجلسه سائل، لا يحدث حتى يُعْطَى، فقال له يومًا سائل، ثم جلس. فقال: ما شأنه؟! قال: ضمن عبد الرحمن بن مهدى أن يعطيه درهمًا.(٣)

قال يحيى بن سعيد القطان: كان شعبة من أرق الناس يعطى السائل ما أمكنه.(٤)

وعن أبى داود قال: كنا عند شعبة نكتب ما يملى، فسأل سائل، فقال شعبة: تصدقوا. فلم يتصدق أحدٌ. فقال: تصدقوا؛ فإن أبا إسحاق حدثنى عن عبد الله ابن معقل عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»**. قال: فلم يتصدق أحد. فقال: فإن عمرو بن مرة حدثنى عن خيثمة عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِن لَمْ تَجِدُوا، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**، فلم يتصدق أحد، فقال: تصدقوا؛ فإن مُحِلاً الضبى حدثنى عن عدى بن حاتم. قال: قال رسول الله ﷺ: **«اسْتَتِرُوا مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِن لَمْ تَجِدُوا، فَبِكَلِمَةٍ طيبة»**، فلم يتصدق أحد. فقال: قوموا عنى، فوالله، لا حدثتكم ثلاثة أشهر، ثم دخل منزله، فأخرج عجينًا، فأعطاه السائل، فقال: خذ هذا، فإنه طعامنا اليوم.(٥)

وقال مسلم بن إبراهيم: ما دخلت على شعبة فى وقت صلاة قط، إلا رأيته قائماً يصلى، وكان أبا الفقراء، وأمَّهم، وسمعته يقول: والله، لولا الفقراء ما جلست لكم.(٦)

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ١٤٦). (٢) حلية الأولياء (٧/ ١٤٦)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٢).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ١٤٧)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١١). (٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٧، ٢٢٨).
(٦) تهذيب الكمال (١٢/ ٤٩٢).

وعن سليمان بن حرب قال: لو نظرتَ إلى ثياب شعبة، لم تكن تساوى عشرة دراهم، إزاره، ورداؤه، وقميصه، وكان شيخاً كثير الصدقة.(١)

وعن مسلم بن إبراهيم قال: سمعت شعبة يقول: لولا المساكين، ما حدثت، فإنى أُحَدِّثُ ليعطوا.(٢)

وعن عَفَّان قال. لولا حوائج، لى ما حدثتكم، وكان يسأل لنسوة ضعاف.(٢)

٥- احْتِيَاطُهُ فى الرِّوَايَةِ وَتَشَدُّدُهُ فِى التَّوْثِيقِ وَذَمُّهُ لِلتَّدْلِيسِ

عن أبى داود الطيالسى قال: سمعت شعبة بن الحجاج يقول: كل حديث ليس فيه «حدثنا» و «أخبرنا» فهو خل وبقل.(٣)

وعن حماد بن سلمة قال: جاء شعبة إلى حميد، فسأله عن حديث فحدثه به قال: أسمعته؟ قال: أحسبه. قال: فقال بيده هكذا -أى: لا أريده- فلما قام فذهب. قال: قد سمعته من أنس، ولكن تشدد عَلَىَّ، فأحببت أن أشدد عليه.(٤)

وعن خضر بن اليسع قال: رئى شعبة متقنعًا فى شدة الحر، فقيل له: إلى أين أبا بسطام؟ قال: أستعدى على رجل يكذب على رسول الله ﷺ.(٤)

وعن حماد بن زيد قال: لقينى شعبة بن الحجاج، ومعه مدرة، فقلت: يا أبا بسطام، أين تريد؟ قال: إلى أبان بن عياش، أدعوه إلى القاضى، فإنه يكذب، فقلت له: فإنى أخاف عليك عبد القيس. قال فكلمته، فانصرف. قال حماد: ثم لقينى شعبة بعد ذلك، فقال لى: يا أبا إسماعيل، إنى نظرت فى ذلك فلم يسعنى السكوت.(٤)

وعن أبى أسامة قال: وافقنا من شعبة طيب نفس، فقلنا له: حدثنا، ولا تحدثنا إلا عن ثقة. فقال: قوموا.(٥)

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٢٦١، ٢٦٢). (٢) حلية الأولياء (٧/ ١٥٧).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ١٤٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٨).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ١٥٠). (٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٨).

عن يحيى بن سعيد قال: ما رأيت أحدًا قط أحسن حديثًا من شعبة.(١)

قال أبو نعيم: سمعت شعبة يقول: لأن أزنى أحبُّ إلىَّ من أن أدلِّس.(٢)

قال عبد الرحمن بن مهدى: قال شعبة: كنت أتفقد فم قتادة، فإذا قال: سمعت، أو حدثنا، تحفظته، وإلا تركته.(٣)

قال أبو زرعة: سمعت مقاتلاً -وهو ابن محمد- يقول: سمعت وكيعًا يقول: إنى لأرجو أن يرفع الله لشعبة درجات فى الجنة، بذَبِّه عن رسول الله ﷺ.(٤)

وقال أبو الوليد: قال لى حماد بن زيد: إذا خالفنى شعبة فى حديث، صرت إلى قوله، قلت: كيف يا أبا إسماعيل؟! قال: إن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة، وأنا أرضى أن أسمعه مرة.(٤)

قال مكى بن إبراهيم: سئل شعبة عن ابن عون، فقال: سمن وعسل، قيل: فما تقول فى هشام بن حسان؟ فقال. خَلّ وزيت، قيل: فما تقول فى أبى بكر الهذلى؟ قال: دعنى لا أقىء به.(٥)

وقال أبو الوليد: سألت شعبة عن حديث. فقال: والله، لا حدثتك به. قلت: ولِمَ؟! قال: لأنى لم أسمعه إلا مرة.(٦)

قال شعيب بن حرب. سمعت شعبة يقول: لأن أُقَدَّم فتضرب عنقى أحبُّ من أن أحدث عن أبى هارون العبدى.(٦)

وقال بشر بن عمر الزهرانى: سمعت شعبة يقول: لأن أخرَّ من السماء، أو من فوق هذا القصر أحبُّ إلىَّ من أن أقول: «قال الحاكم» لشىء لَم أسمعه منه.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٠)، قال ابن الصلاح: محمول على المبالغة، والزجر، والصحيح في أمر المدلس التفصيل، فإن صرح بالسماع قُبل منه، وإن لم يصرح لم يُقبل، وفي الصحيحين حديث جماعة من هذا الضرب، كالسفيانين، والأعمش، وقتادة وهشيم وغيرهم.

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢١).

قال الذهبى: هذا -والله- الورع.[1]

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: قلت لشعبة: من الذين تُتْرَكُ الرواية عنهم؟ قال: إذا أكثر عن المعروفين من الرواية ما لا يعرف، أو أكثر الغلط، أو تمادى فى غلط، مجتمع عليه، ولم يتهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه، أو رجلٌ متهم بالكذب، وسائر الناس فارْوِ عنهم.[2]

وعن بقية قال: سمعت شعبة يقول: إنى لأذاكر بالحديث يفوتنى، فأمرض. وقال مُظَفَّر بن مدرك: ذكروا لشعبة حديثًا لم يسمعه، فجعل يقول: واحزناه.[3]

وقال صالح جزرة: أول من تكلم فى الرجال شعبة، ثم تبعه القطان، ثم أحمد ويحيى.[4]

٦- شُيُوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: حدَّث عن أنس بن سيرين، وإسماعيل بن رجاء، وسلمة بن كهيل، وجامع بن شداد، وسعيد بن أبى سعيد المقبرى، وجبلة بن سحيم، والحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة، وزبيد بن الحارث اليامى، وقتادة بن دعامة، ومعاوية بن قرة، وأبى جمرة الضبعى، وعمرو بن دينار، ويحيى بن أبى كثير، وعبيد بن الحسن، وعدى بن ثابت، وطلحة بن مُصَرِّف، والمنهال بن عمرو، وسعيد بن أبى بردة، وسماك بن الوليد، وأيوب السَّختيانى، ومنصور بن المعتمر، وخلق كثير سواهم، ورأى ناجية بن كعب شيخ أبى إسحاق السبيعى.[5]

تَلامِذَتُهُ: قال الخطيب البغدادى: روى عنه أيوب السختيانى، والأعمش، ومحمد بن إسحاق، وإبراهيم بن سعد، وسفيان الثورى، وشريك بن عبد الله،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٨).
(٤) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٠٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٣)، وانظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٨٠-٤٨٦) وقال الحافظ الذهبي: ذكر شيخنا أبو الحجاج، في تهذيبه لشعبة ثلاث مئة شيخ سماهم.

وسفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدى، ومحمد بن جعفر غُندر، وعبد الله بن المبارك، ويزيد بن زريع، وخالد بن الحارث، ومحمد بن أبى عدى، وابن عُلَيَّة، وبشر بن المفضل، ومعاذ بن معاذ، ووهب بن جرير، ووكيع، وأبو داود، وأبو الوليد الطيالسيان، ويزيد بن هارون، وروح بن عبادة، وبهز بن أسد، وعفان، وحجاج الأعور، وآدم بن أبى إياس، وشبابة بن سوار، وأبو النضر، والحسن بن موسى الأشيب، وعلى بن الجعد، وغيرهم.[١]

٧ - دُرَرٌ مِنْ أقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال عفان: سمعت شعبة يقول: من ذهبنا إلى أبيه فأكرمنا فجاءنا ابنه، أكرمناه، ومن أتيناه فأهاننا أتانا ابنه، أهناه.[٢]

عن يحيى القطان عن شعبة قال: من الناس من عقله معه، ومن الناس من عقله بفنائه، ومنهم من لا عقل له، فأما الذى عقله معه، فالذى يبصر ما يخرج منه قبل أن يتكلم، وأما الذى عقله بفنائه، فالذى . . . وذكر كلمة.[٣]

وعن ابن عيينة قال: سمعت شعبة يقول: من طلب الحديث أفلس، بعتُ طست أمى بسبعة دنانير.[٣]

وقال سلم بن قتيبة: ربما سمعت شعبة يقول لأصحاب الحديث: يا قوم، إنكم كلما تقدمتم فى الحديث، تأخرتم فى القرآن.[٤]

وعن يزيد بن هارون قال: كان شعبة يقول. لا تكتبوا الحديث إلا عن غنىٍّ، وكان هو فقيراً، وكان يعوله بنو أخيه.[٤]

وعن مؤمل بن إسماعيل: سمعت شعبة يقول: كل حديث ليس فيه «حدثنا»، فهو مثل الرجل فى فلاة، معه بعير بلا خطام.[٤]

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥)، وانظر أيضاً: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٨٦-٤٨٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٩). (٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٣).

قال أبو نوح قراد سمعت شعبة يقول: إذا رأيت المحبرة في بيت إنسان، فارحمه، وإن كان في كمك شيء، فأطعمه.(1)

وعن الأصمعي قال: سمعت شعبة يقول: ما أعلم أحدًا فتش الحديث كتفتيشي، وقفت على أن ثلاثة أرباعه كذب.(2)

عن حمزة بن الزيات الطوسي: سمعت شعبة وكان ألثغ، قد يبس جلده من العبادة، يقول: لو حدثتكم عن ثقة، ما حدثتكم إلا عن ثلاثة.(3)

وقال يحيى بن سعيد: سمعت شعبة يقول: كل من كتبت عنه حديثًا فأنا له عبد.(3)

وقال ابن مهدي: سمعت شعبة يقول: إن هذا العلم يصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، وعن صلة الرحم، فهل أنتم منتهون.(4)

وقال ابن قطن: سمعت شعبة يقول: ما من شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث.(4)

٨ - طَرَائِفُ وَأَخْبَارٌ

عن عمر بن أبان قال: لما قَدِم هشيم البصرة، فقال شعبة: إذا حدثكم عن عيسى ابن مريم، فصدِّقوه، واكتبوا عنه. فمال الناس إلى هُشَيْم، وتركوا شعبة، فمر به بعض أصحابه، فقال: يا أبا بسطام، ما لكَ؟ أين الناس؟ قال: أنا صنعت بنفسي ألقيت بنفسي في غبار الجصِّ.(5)

وعن يحيى بن معين قال: قال حجاج الأعور: كتب لي سليمان بن مجالد إلى شعبة، فأتيته، فكنت أسأله حديث حماد عن إبراهيم، فكان يحدثني، ولا يدع أحدًا يكتب عنده، فكنت أسأله، ثم قال: البول البول! فقال: هذا -والله- باطلٌ إنما تريد أن تتذكر الأبواب.(6)

---

(1) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٥).

(2) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٦)، وهذا على سبيل المبالغة، والله أعلم.

(3) تاريخ الإسلام (٩/ ٤١٨).

(4) تاريخ الإسلام (٩/ ٤٢١).

(5) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٢).

(6) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٣).

وروى عن شعبة. قال: سميت ابني: سعداً، فما سعد، ولا أفلح.[1]

وعن أشعث أبى الربيع السَّمَّان قال: قال لى شعبة: لزمتَ السوق فأفلحت، ولزمت أنا الحديث فأفلست.[2]

وعن الأصمعى قال: كنا عند شعبة فجعل يسمع -إذا حدَّث- صوتَ الألواح، فقال: السماء تمطر؟ قالوا: لا. ثم عاد للحديث، فسمع مثل ذلك، فقال: المطر؟! قالوا: لا. ثم عاد، فَسمع مثل ذلك، قال: والله، لا أحدِّث اليوم إلا أعمى، فمكث ما شاء الله، فقام أعور فقال: يا أبا بِسطام، تخبرنى أنا.[2]

وعن أبى داود قال: حدثنا شعبة قال: خرجت أنا وهشيم إلى مكة، فلما قدمنا الكوفة، رآنى هشيم مع أبى إسحاق، قال: من هذا؟ قلت: شاعر السبيع، فلما خرجنا جعلت أقول: حدثنا أبو إسحاق. قال: وأين رأيته؟ قلت: هو الذى قلت لك: شاعر السبيع. فلما قدمنا مكة، مررت به، وهو قاعد مع الزهرى، فقلت: أبا معاوية، من هذا؟ قال: شرطيّ لبنى أمية، فلما قفلنا، جعل يقول: حدثنا الزهرى. فقلت: وأين رأيته؟ قال: الذى رأيته معى، قلت: أرنى الكتاب، فأخرجه، فخرَّقته.[3]

وعن أبى عاصم قال: اشترى أخ لشعبة من طعام السلطان، فخسر هو وشركاؤه، فحُبس بستة آلاف دينار بحصته، فخرج شعبة إلى المهدى ليكلمه فيه، فلما دخل عليه قال له: يا أمير المؤمنين، أنشدنى قتادة، وسماك بن حرب لأمية ابن أبى الصلت بقوله لعبدالله بن جدعان:

أأذْكُرُ حاجتى أمْ قدْ كفانى ... حَياؤُكَ إن شيمتَكَ الحَياءُ

كَريمٌ لا يُعَطِّلُهُ صَباحٌ ... عَنِ الخلقِ الكَريمِ ولا مَساءُ

فأرْضُكَ أرضُ مَكْرُمَةٍ بَنَتْها ... بَنُو تَيْمٍ وأنْتَ لَها سَماءُ

فقال: لا يا أبا بسطام، لا تذكرْها، قد عرفناها، وقضيناها لك، ادفعوا إليه أخاه، لاتلزموه شيئًا.[4]

---

(1) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٤).

(2) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٥).

(3) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٦).

(4) تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٦).

٩ – وَفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

عن شبابة قال: دخلت على شعبة فى يومه الذى مات فيه، وهو يبكى، فقلت له: ما هذا الجزع يا أبا بسطام؟ أبشر فإن لك فى الإسلام موضعاً. فقال: دعنى، فلقد وددت أنى وقَّاد حمامٍ، وأنى لم أعرف الحديث.(١)

وعن أبى قطن قال: سمعت شعبة يقول: ما شىء أخوف عندى من أن يدخلنى النار من الحديث.(٢)

قال الذهبى: كل من حاقق نفسه فى صحة نيته فى طلب العلم يخاف من مثل هذا، ويود أن ينجو كفافًا.(٣)

وقال سعد بن شعبة: أوصى أبى إذا مات أن أغسل كتبه، فغسلها.

قال الذهبى: وهذا فَعَلَهُ غير واحد، بالغسل، وبالحرق، والدَّفن، خوفًا من أن تقع فى يد إنسان واهٍ، يزيد فيها، أو يغيرها.(٣)

قال أبو بكر منجويه: مولده سنة اثنين وثمانين، ومات سنة ستين ومئة فى أولها، وله يوم مات سبع وسبعون سنة.(٤)

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ١٥٦).

(٢) حلية الأولياء (٧/ ١٥٦)، وهذا من باب الورع، وقد قال سفيان الثورى: ما رأيت أحداً أورع في الحديث من شعبة، يشك في الحديث، فيتركه. (٩/ ٢٦٥)، تاريخ بغداد.

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٣).

(٤) تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٥).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(١٦)

سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

ما زلنا بحمد الله فى هذه الجولة المباركة مع العلماء الأعلام، والأئمة الكرام، نسعد بصحبتهم، ونأخذ من هديهم، وننهل من بركة علمهم وعملهم، فى سلسلة التراجم التربوية (من أعلام السلف)، والعلَم الذى نرفعه اليوم، والعالم الذى نتشرف بترجمته، عالم زمانه، والمقتدى به فى أوانه، سيد من سادات العلماء العاملين، والعباد المجتهدين، إنه عالم الكوفة وشيخها سفيان بن سعيد الثورى، من بيت خيْر وعلْم وفضْل، فأبوه من كبار الثقات بالكوفة، وإخوته من العلماء الأثبات، فرَحِمَة اللَّهِ على الجميع، والدارس لتراجم العلماء يرى حاجة الطلاب إلى دراستها، والانتفاع ببركتها، إلا أنها كسائر العلوم المدونة تحتاج إلى تصفية، فقد يكون فيها من الغلو، أو العصبية المذهبية، أو الحكايات الملفقة، والأخبار المزوقة، التى تخالف روح الشرع المتين، وتنادى على نفسها بالوضع، فمن ذلك ما أتى فى ترجمة هذا الحبر أنه عندما طلبه أبو جعفر لاذ بالبيت، وقال -ومعاذ الله أن يُنْسَبَ ذلك إليه-: أكون بريئاً منك إن دخل أبو جعفر مكة. فمات أبو جعفر قبل أن يدخلها. فأمثال هذه الحكايات إن قصد بها بيان كرامة لسفيان -رَحِمَهُ اللَّهُ-، ففيها نسبة سوء الأدب إليه، وهو فى الخشية والورع والأدب بمكان، فنحن نقتصر على الأخبار التى تنشط الهمم، وتشحذ العزائم على الاجتهاد فى الطاعة والزهد والورع والخشية، وإمامنا فى هذه الرسالة أستاذ هذه الصنعة، وقد جمع بين العلم، والعمل، والشجاعة فى الجهر بكلمة الحق.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان إمامًا من أئمة المسلمين، وعالماً من أعلام المسلمين، وعلمًا من أعلام الدين، مجمعاً على أمانته، بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الإتقان، والحفظ، والمعرفة، والضبط، والورع، والزهد.(١)

وقال ابن مهدى: ما كنت أقدر أن أنظر إلى سفيان، استحياءً وهيبة منه.(٢)

وكما قال بعض السلف: على قدر محبتك لله -عَزَّ وَجَلَّ- يحبك الخلق، وعلى قدر خشيتك من الله -عَزَّ وَجَلَّ- يهابك الخلق، وعلى قدر انشغالك بالله -عَزَّ وَجَلَّ- تشغل الخلق بأشغالك.

فهنيئًا للمسلمين هذه السلسلة المباركة (من أعلام السلف)، عَسَلٌ مُصَفًّى، تنشر محاسن العلماء الكرام، والأئمة الأعلام، فكأن القارئ لسيَرِهِمْ قد عاين صورهم، وسعد بصحبتهم وقرْبهم، فأسال الله -عَزَّ وَجَلَّ- الغنى الكريم، أن ينفع بهذه التراجم النفع التام العميم، وأن يجعلها ذخرًا لنا يوم يقوم الناس لرب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، والحمد لله رب العالمين.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ ومَوْطِنُهُ

اسْمُهُ: سفيان بن سعيد بن مسروق بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبى عبد الله ابن منقد بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس.

مَوْلِدُهُ: ولد سنة سبع وتسعين اتفاقًا، ووالده المُحَدِّث سعيد بن مسروق الثورى، من أصحاب الشعبى وخيثمة بن عبدالرحمن من ثقات الكوفيين، وعداده فى صغار التابعين، روى له الجماعة الستة فى دواوينهم، وحدَّث عنه أولاده: سفيان الإمام، وعمر، ومبارك، وشعبة بن الحجاج، وآخرون.(٣)

---

(١) تهذيب الكمال (١١/١٦٨، ١٦٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/٢٦٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/٢٢٩، ٢٣٠).

مَوْطِنُهُ: ولد -رَحِمَهُ اللَّهُ- بالكوفة فى خلافة سليمان بن عبد الملك. وَقال أبو نعيم: خرج سفيان من الكوفة سنة خمس وخمسين ومئة ولم يرجع إليها.

ولم أقف على شىء من صفته -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فقد كان اعتناء أكثر المترجمين له فى بيان أحواله وأقواله، وثناء العلماء عليه، ولا شك أنه الأولى بالاهتمام، والله المستعان.

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

وهذا بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، ولا نحرم -بفضل الملك الوهاب- من نقل بعض ما أثر من ذلك فى هذا الكتاب.

قال وكيع: كان سفيان بحراً.

وقال الأوزاعى: لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضى والصحة إلا سفيان.

وقال ابن المبارك: لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان.[١]

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أحدًا أفضل من سفيان، ولا رأى سفيان مثل نفسه.[٢]

وعن يحيى بن سعيد -وسألوه عن سفيان، وشعبة- قال: ليس الأمر بالمحاباة، ولو كان الأمر بالمحاباة، لَقَدَّمْنَا شعبة على سفيان، لتقدمه، سفيان يرجع إلى كتاب، وشعبة لا يرجع إلى كتاب، وسفيان أحفظهما، قد رأيناهما يختلفان، فوجدنا الأمر كما قال سفيان.[٣]

وقال أبو بكر ابن عياش: إنى لأرى الرجل يصحب سفيان فيَعْظم.[٤]

وعن يحيى بن معين قال: ما خالف أحد سفيان فى شىء، إلا كان القولُ قولَ سفيان.[٥]

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٠٤).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٧).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٦٠).
(٤) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٨).
(٥) تهذيب الكمال (١١/ ١٦٦).

وقال أحمد بن عبد الله العجلى: أحسن إِسناد الكوفة سفيان عن منصور عن إِبراهيم عن علقمة عن عبد الله.(١)

وقال شعبة، وسفيان بن عيينة، وأبو عاصم النبيل، ويحيى بن معين، وغير واحد من العلماء: سفيان أمير المؤمنين فى الحديث.(١)

وقال يونس بن عبيد: ما رأيتُ أفضل من سفيان، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، رأيتَ سعيد بن جبير، وإِبراهيم، وعطاءً، ومجاهداً، تقول هذا؟! فقال: هو ما رأيت أفضل من سفيان.(٢)

وروى وكيع عن شعبة قال: سفيان أحفظ منى. وقال عبد العزيز بن رِزْمَةَ: قال رجل لشعبة: خالفك سفيان، فقال: دَمَغْتَنِى.(٣)

وقال ابن مهدى: رأى أبو إِسحاق السبيعى سفيانَ الثورى مقبلاً، فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢).(٣)

وقال محمد بن عبد الله بن عمار: سمعت يحيى بن سعيد يقول: سفيان أعلم بحديث الأعمش منَ الأعمش.(٤)

وعن شعيب بن حرب قال: إِنى لأحسب أنه يجاء غدًا بسفيان حجة من الله على خلقه، يقول لهم: لم تدركوا نبيكم، قد رأيتم سفيان.(٤)

وقال ابن المبارك: كتبتُ عن ألف ومئة شيخ، ما كتبت عن أفضل من الثورى.(٥)

ومع علو شأنه، وارتفاع قدره، وجمعه بين العلم والعمل، لم يكن -رَحِمَهُ الله- بالمعصوم فقد لخص الحافظ الذهبى مناقبه، وما أُخذ عليه-رَحِمَهُ اللَّه-فقال:

قد كان سفيان رأسًا فى الزهد، والتأله، والخوف، رأسًا فى الحفظ، رأسًا فى معرفة الآثار، رأسًا فى الفقه، لا يخاف فى الله لومة لائم، من أئمة الدين،

---

(١) تهذيب الكمال (١١/ ١٦٤).
(٢) تهذيب الكمال (١١/ ١٦٥).
(٣) تهذيب الكمال (١١/ ٢٣٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٩).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٢٢).

واغتفر له غير مسألة اجتهد فيها، وفيه تشيع يسير: كان يثلث بعليّ، وهو على مذهب بلده أيضًا فى النبيذ. ويقال: رجع عن كل ذلك، وكان ينكر على الملوك، ولا يرى الخروج أصلاً، وكان يدلّس فى روايته، وربما دلّس عن الضعفاء، وكان سفيان بن عيينة مدلسًا، لكن ما عُرف له تدليس عن ضعيف.(١)

٣ - زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

المقصود بالزهد: خلو القلب من الدنيا، وعدم الحرص عليها، فليس هو نفض اليدين منها، والقلب متعلق بها، شديد الشغف بحبها.

قال يحيى بن نصر بن حاجب: سمعت ورقاء بن عمر يقول: إن الثورى لم ير مثل نفسه.(٢)

قال وكيع: سمعت سفيان يقول: ليس الزهد بأكل الغليظ، ولبس الخشن، ولكنه قصر الأمل، وارتقاب الموت.(٣)

عن عيسى بن يونس قال: مات سفيان الثورى مستخفيًا، قد جعل قميصه خريطة قد ملأها كتبًا.(٤)

وعن شعيب بن حرب قال: قال لى الثورى: يا أبا صالح، احفظ عنى ثلاثًا: إذا احتجت إلى شسع فلا تسأل، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل، واعلم أن الخبز الذى تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك؛ فإنه يجرى مجرى الإناء.(٥)

قال أبو قطن: عن شعبة: ساد سفيانُ الناسَ بالورع، والعلم.(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤١، ٢٤٢)، قال ابن مهدي: يزعمون أن سفيان كان يشرب النبيذ، أشهد لقد وصف له دواءً، فقلت: نأتيك بنبيذ؟ فقال: لا، ائتنى بعسل وماء، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٥)، والمراد بالنبيذ: ما أسكر كثيره.

(٢) تهذيب الكمال (١١/ ١٦٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٣).

(٤) حلية الأولياء (٦/ ٣٦٤).

(٥) حلية الأولياء (٦/ ٣٨٢).

(٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٨)، وتهذيب الكمال (١١/ ١٦٧).

وعن أبى السرى قال: قيل لفضيل بن عياض -ما كان يذهب إليه من الورع- من إمامك فى هذا؟ قال: سفيان الثورى.(١)

أُهدىَ لسفيان ثوبًا فَرَدَّهُ، فقال له من أهداه: لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده علىَّ، قال: علمت أنك ليس ممن يسمع الحديث، ولكنَّ أخاك يسمع منى الحديث، فأخاف أن يلين قلبى لأخيك أكثر مما يلين لغيره.(١)

وعن قتيبة بن سعيد قال: لولا سفيان لمات الورع.(٢)

وعن عبدالعزيز القرشى قال: سمعت سفيان يقول: عليك بالزهد، يبصِّرْك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع، يخفِّف الله عنك حسابك، ودعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين، يسلم لك دينك.(٢)

وعن قبيصة قال: سمعت سفيان يقول: لا تصلح القراءة إلا بالزهد، واغبط الأحياء بما تغبط به الأموات، وأحبَّ الناس على قدر أعمالهم، وذل عند الطاعة، واستعص عند المعصية.(٣)

وعن العمرى قال: معاشرَ القراء، كلوا الدنيا، فقد مات سفيان الثورى.(٤)

وعن حفص بن غياث وذكر الثورى فقال: كان يُتعزى بسفيان، وبمجالس سفيان عن الدنيا.(٥)

وعن يحيى بن يمان قال: كان سفيان الثورى يتمثل بهذا البيت:

باعُوا جَديداً جَميلاً بَاقِياً أَبَداً ... بِدَارِسٍ خَلِقٍ يا بِئْسَ مَا اتَّجَرُوا(٦)

٤ - عِبَادَتُهُ وَخَشْيَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن على بن فضيل قال: رأيت سفيان الثورى ساجدًا حول البيت، فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه.(٧)

---

(١) حلية الأولياء (٧/٣).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٢٠).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ٢١).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٥٥).
(٥) حلية الأولياء (٧/ ٥٧).
(٦) حلية الأولياء (٧/ ٥٧).
(٧) حلية الأولياء (٧/ ٥٧)، والمقصود بسبعة أسابيع سبعة أشواط.

وعن ابن وهب قال: رأيت الثورى فى المسجد الحرام بعد المغرب صلى، ثم سجد سجدة، فلم يرفع رأسه حتى نودى بصلاة العشاء.(١)

قال رجل لسفيان: أوصنى. قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها.(١)

وعن عبد الله بن عبدان أبو محمد البغلانى قال: حدثنا عبد الله: أن رجلاً كان يتبع سفيان الثورى، فيجده أبدًا يُخرج من لبنة رقعة ينظر فيها، فأحب أن يعلم ما فيها، فوقع فى يده الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سفيان، اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل.(١)

وعن سعيد بن صدقة أبو مهلهل قال: أخذ بيدى سفيان الثورى، فأخرجنى إلى الجبال، فاعتزلنا ناحية عن طريق الناس، فبكى، ثم قال: يا أبا مهلهل، إن استطعت أن لا تخالط فى زمانك هذا أحدًا فافعل، وليكن همك مَرَمَّة جهازك، واحذر إتيان هؤلاء الأمراء، وارغب إلى الله فى حوائجك لديهم، وافزع إليه فيما ينوبك، وعليك بالاستغناء عن جميع الناس. وارفع حوائجك إلى من لا تعظم الحوائج عنده، فوالله ما أعلم اليوم بالكوفة أحدًا أفزع عليه فى قرض عشرة دراهم أقرضنى، ثم كتبها علىّ، حتى يذهب ويجىء، ويقول: جاءنى سفيان، فاستقرض منى، فأقرضته.(٢)

وعن مزاحم بن زفر: صلى بنا سفيان الثورى المغرب، فقرأ حتى بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بكى، حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: الحمد لله.(٣)

وعن عطَاء الخفاف قال: ما لقيت سفيان الثورى إلا باكيًا، فقلت: ما شأنك، قال: أخاف أن أكون فى أم الكتاب شقيًا.(٤)

وعن عبد الرحمن بن رستة قال: سمعت ابن مهدى يقول: بات سفيان عندى،

(١) حلية الأولياء (٧/ ٥٧).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٧).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ١٧).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٥١).

فجعل يبكى، فقيل له. فقال: لَذُنوبى عندى أهون من ذا ورفع شيئًا من الأرض، إنى أخاف أن أُسلبَ الإيمان قبل أن أموت.(١)

وعن يحيى القطان قال: ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان، لولا الحديث كان يصلى ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء.(٢)

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: كنا نكون عند سفيان الثورى فكأنه قد أُوقف للحساب فلا نجترئ أن نكلمه، فنعرض بذكر الحديث، فيذهب ذلك الخشوع، فإنما هو حدثنا وحدثنا.(٣)

٥ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

وعن شعيب بن حرب قال: قلت لسفيان الثورى: حدث بحديث فى السنة ينفعنى الله به، فإذا وقفت بين يديه، وسألنى عنه، قلت: يا رب، حدثنى بهذا سفيان، فأنجو أنا، وتؤْخَذْ. فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، ومن قال غير هذا، فهو كافر، والإيمان قول وعمل ونية، ويزيد وينقص، وتقدمه الشيخين. إلى أن قال: يا شعيب، لا ينفعك ما كتبت، حتى ترى «المسح على الخفين»، وحتى ترى أن إخفاء «بسم الله الرحمن الرحيم» أفضل من الجهر به، وحتى تؤمن بالقدر، وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان، جارَ أو عدل. فقلت: يا أبا عبد الله، الصلاة كلها؟ قال: لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين صلِّ خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فأنت مخير، لا تصلى إلا خلف من تثق به، وتعلم أنه من أهل السنة، فإذا وقفت بين يدى الله وسألك عن هذا، فقل: يا رب، حدثنى بهذا سفيان بن سعيد، ثم خلٍّ بينى وبين ربى عَزَّ وَجَلَّ.

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٨). (٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧١).

قال الذهبي: هذا ثابت عن سفيان.[١]

٦ - مِحْنَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَصَدْعُهُ بِالْحَقِّ

عن داود عن أبيه قال: كنت مع سفيان الثوري، فمررنا بشرطي نائم، وقد حان وقت الصلاة، فذهبت أحركه، فصاح سفيان: مه! فقلت: يا أبا عبد الله، يصلي. فقال: دعه، لا صلى الله عليه! فما استراح الناس حتى نام هذا.[٢]

وعن عطاء بن مسلم قال: لما استخلف المهدي، بعث إلى سفيان، فلما دخل خلع خاتمه، فرمى به إليه، فقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي، فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده، وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ -قال عبيد: قلت لعطاء: يا أبا مخلد، قال له. يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم- قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم. قال: لا تبعث إليَّ حتى آتيك، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك. قال: فغضب من ذلك، وَهَمَّ به، فقال له كاتبه: أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى. فلما خرج خَفَّ به أصحابه، فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله، وقد أمر أن تعْمَلَ في هذه الأمة بالكتاب والسنة؟! قال: فاستصغر عقولهم، ثم خرج هاربًا إلى البصرة.[٣]

وروى ابن سعد في «الطبقات» قال: وطُلب سفيان، فخرج إلى مكة، فكتب المهدي أمير المؤمنين إلى محمد بن إبراهيم -وهو على مكة- يطلبه، فبعث محمد إلى سفيان، فأعلمه ذلك، وقال: إن كنت تريد إتيان القوم، فاظهر حتى أبعث بك إليهم، وإن كنت لا تريد ذلك، فتوارَ، قال: فتوارى سفيان، وطلبه محمد بن إبراهيم، وأمر مناديًا فنادى بمكة: من جاء بسفيان، فله كذا وكذا. فلم يزل متواريًا بمكة، لا يظهر إلا لأهل العلم، ومن لا يخافه.

قالوا: فلما خاف سفيان بمكة من الطلب، خرج إلى البصرة فقدمها، فنزل قرب

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٦، ٢٠٧). (٢) حلية الأولياء (٧/ ٤١).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ٤٠).

منزل يحيى بن سعيد القطان، فقال لبعض أهل الدار: أما قربكم أحدٌ من أصحاب الحديث؟ قالوا: بلى، يحيى بن سعيد، قال: جئنى به. فأتاه به، فقال: أنا هنا منذ ستة أيام، أو سبعة، فحوله يحيى إلى جواره، وفتح بينه وبينه بابًا، وكان يأتيه بمحدثى أهل البصرة يسلمون عليه، ويسمعون منه، فكان فيمن أتاه: جرير بن حازم، والمبارك ابن فضالة، وحماد بن سلمة، ومرحوم العطار، وحماد بن زيد، وغيرهم، وأتاه عبد الرحمن بن مهدى ولزمه، فكان يحيى وعبدالرحمن يكتبان عنه تلك الأيام، وكَلَّما أبا عَوَانة أن يأتيه، فأبى، وقال: رجل لا يعرفنى كيف آتيه؟ وذاك أن أبا عوانة سلَّم عليه بمكة، فلم يرد عليه سفيان السلام، وكلَّم فى ذلك فقال: لا أعرفه، ولما تخوف سفيان أن شهر بمقامه بالبصرة قُرْبَ يحيى بن سعيد، قال له: حولنى من هذا الموضع. فحوله إلى منزل الهيثم بن منصور الأعرجى، من بنى سعد بن زيد مناة بنى تميم، فلم يزل فيهم، فكلمه حماد بن زيد فى تنحيه عن السلطان، وقال: هذا فعل أهل البدع، وما نخاف منهم ؟ فأجمع سفيان وحماد على أن يقدما بغداد.[1]

٧ - شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن أبيه، وأبى إسحاق الشيبانى، وعبد الملك بن عمير، وعبد الرحمن بن عابس بن ربيعة، وإسماعيل بن أبى خالد، وسلمة بن كهيل، وطارق بن عبد الرحمن، والأسود بن قيس، وبيان بن بشر، وجامع بن أبى راشد، وحبيب بن أبى ثابت، وحصين بن عبد الرحمن، والأعمش، ومنصور، ومغيرة، وحماد بن أبى سليمان، وزبيد اليامى، وصالح بن صالح بن حيى، وأبى حصين، وعمرو بن مرة، وعون بن أبى جحيفة، وفراس بن يحيى، وفطر بن خليفة، ومحارب بن دثار، وأبى مالك الأشجعى، وخَلقٍ من أهل الكوفة، وعن زياد بن علاقة، وعاصم الأحول، وسليمان التيمى، وحميد الطويل، وأيوب، ويونس بن عبيد، وعبد العزيز بن رفيع، والمختار بن فلفل، وإسرائيل بن أبى موسى، وإبراهيم بن ميسرة، وحبيب بن الشهيد، وخالد الحذاء،

(١) باختصار من طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧٢، ٣٧٣).

وداود بن أبى هند، وابن عون، وجماعة من أهل البصرة، وعن زيد بن أسلم، وعبد الله بن دينار، وعمرو بن دينار، وإسماعيل بن أمية، وأيوب بن موسى، وجبلة بن سحيم، وربيعة، وسعد بن إبراهيم، وسمى مولى أبى بكر، وسهيل بن أبى صالح، وأبى الزبير، ومحمد، وموسى بن عقبة، وهشام بن عروة، ويحيى ابن سعيد الأنصارى، وطوائف من أهل الحجاز، وغيرهم.[١]

تَلامِذَتُهُ: قالَ الحافظ: روى عنه خلق لا يحصون، منهم: جعفر بن برقان، وخصيف بن عبد الرحمن، وابن إسحاق، وغيرهم من شيوخه، وأبان بن تغلب، وشعبة، وزائدة، والأوزاعى، ومالك، وزهير بن معاوية، ومسعر، وغيرهم من أقرانه، وعبد الرحمن بن مهدى، ويحيى بن سعيد، وابن المبارك، وجرير، وحفص ابن غياث، وأبو أسامة، وإسحاق الأزرق، وروح بن عبادة، وزائدة بن الحباب، وأبو زبيدة عثير بن القاسم، وعبد الله بن وهب، وعبد الرزاق، وعبيد الله الأشجعى، وعيسى بن يونس، والفضل بن موسى السينانى، وعبد الله بن نمير، وعبد الله بن داود الخريبى، وفضيل بن عياض، وأبو إسحاق الفزارى، ومخلد ابن يزيد، ومصعب بن المقدام، والوليد بن مسلم، ومعاذ بن معاذ، ويحيى بن آدم، ويحيى بن يمان، ووكيع، ويزيد بن زريع، ويزيد بن هارون، وأبو عامر العقدى، وأبو أحمد الزبيرى، وأبو نعيم، وعبيد الله بن موسى، وأبو حذيفة النهدى، وأبو عاصم، وخلاد بن يحيى، وقبيصة، والفريابى، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وعلى بن الجعد، وهو آخر من حدَّث عنه من الثقات.[٢]

٨ - دُرَرٌ مِنْ أقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن عبد الله بن سابق قال: قال سفيان الثورى: النظر إلى وجه الظالم خطيئة.[٣]

وعن يوسف بن أسباط قال: قال سفيان الثورى: من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحبَّ أن يعصى الله.[٣]

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ٩٩، ١٠٠). (٢) تهذيب التهذيب (٤/ ١٠٠).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٤٦).

وعن يحيى بن يمان قال: حدثنا سفيان قال: قال عيسى بن مريم -عليه السلام-: تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصى، والتمسوا رضوانه بالتباعد منهم، قالوا: فمن نجالس؟ قال: من تذكركم بالله رؤيته، ويرغبكم فى الآخرة عمله، ويزيد فى علمكم منطقه.(١)

وعن محمد بن أبى منصور أو غيره قال: عاتب سفيان رجلاً من إخوانه كان همَّ أن يلتبس بشىء من أمر هؤلاء، فقال له: يا أبا عبد الله، إن عَلَىَّ عيالاً. قال: لأن تجعل فى عنقك مخلاة فتسأل على الأبواب، خير من أن تدخل فى شىء من أمر هؤلاء.(٢)

وعن حذيفة المرعشى قال: قال سفيان: لأن أخلّف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها، أحب إلىَّ من أن أحتاج إلى الناس.(٣)

وعن خلف بن تميم قال: سمعت سفيان يقول: من أحبَّ أفخاذ النساء لم يفلح.(٤)

وعن عبد الله بن بشر قال: سمعت الثورى يقول: إن الحديث عز، من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد الآخرة فآخرة.(٥)

وعن أبى أسامة قال: سمعت سفيان الثورى يقول: إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه.(٦)

وعن الفريابى قال: سمعت سفيان يقول: يعجبنى أن يكون صاحب الحديث مكفياً، فإن الآفات إليه أسرع، وألسنة الناس إليه أسرع.(٧)

وعن زيد بن أبى الزرقاء قال: خرج سفيان، ونحن على بابه نتداوى فى النسخ، فقال: يا معشر الشباب، تعجلوا بركة هذا العلم، فإنكم لا تدرون، لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه، لِيُفِدْ بعضكم بعضًا.(٨)

وعن حفص بن عمرو قال: كتب سفيان إلى عباد بن عباد: أما بعد، فإنك فى

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٤٦).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٤٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٨).
(٥) حلية الأولياء (٦/ ٣٦٦).
(٦) حلية الأولياء (٦/ ٣٦٧).
(٧) حلية الأولياء (٦/ ٣٦٩).
(٨) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٠).

زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القَدَم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم، وقلة صبر، وقلة أعوان على الخير، وفساد من الناس، وكدر من الدنيا؟! فعليك بالأمر الأول والتمسك به، وعليك بالخمول، فإن هذا زمن الخمول، وعليك بالعزلة، وقلة مخالطة الناس، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك، والنجاة في تركهم، فيما نرى، وإياك، والأمراء أن تدنو منهم، وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك، أن تُخدع! فيقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة؛ فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها القراء سلمًا، وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وما لقيت من المسألة والفتيا، فاغتنم ذلك، ولا تنافسهم فيه، وإياك، أن تكون كمن يحب أن يُعْمَل بقوله، أو يُنشر قوله، أو يُسمع من قوله، فإذا تُرك ذاك منه عرف فيه، وإياك، وحب الرياسة؛ فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض، لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك، واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت، والسلام.(١)

وعن أحمد الزبيري قال: كتب رجل من إخوان سفيان الثوري إلى سفيان الثوري: أن عظني، فأوجز. فكتب إليه: عافانا الله وإياك من السوء كله. يا أخي، إن الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك حتى تنجو، ولا تتوان فتعطب، والسلام.(٢)

٩ – مَا تَمَثَّل بِهِ مِنَ الشِّعْرِ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

عن عبد الله بن زياد بن بشر قال: سمعت سفيان يقول:

إذا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... وَلاقَيْتَ بَعْدَ الموتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا(٣)

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٦، ٣٧٧). (٢) حلية الأولياء (٧/ ٥).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٢).

عن محمد بن عبيد الطنافسي قال: سمعت سفيان يقول:

يَسُرُّ الْفَتَى مَا كَانَ قَدَّمَ مِنْ تُقى ... إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذى هُو قَاتِلُهُ[1]

وعن مزاحم بن زفر قال: سمعت سفيان الثورى ينشد هذه الأبيات من قول ابن حطان:

أَرَى أَشْقِيَاءِ النَّاسِ لا يَسْأَمُونَهَا ... عَلَى أَنَّهُمْ فِيهَا عُرَاةٌ وَجُوَّعُ

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَت قَلِيلاً كَأنها ... سَحَابَةُ صيفٍ عَنْ قَلِيلٍ تُقَشَّعُ[2]

وقال -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتِ الفِرْدَوْسُ مَسْكَنَهُ ... مَاذَا تَجَرَّعَ مِنْ بُؤْسٍ وَإقْتَارِ

تَرَاهُ يَمْشِي كَئِيبًا خَائِفًا وَجِلاً ... إِلَى المسَاجِدِ يَمْشِى بَيْنَ أَطْمَارِ

ثم أقبل على نفسه فقال:

يَا نَفْسُ مَا لَكِ مِنْ صَبْرٍ عَلَى النَّارِ ... قَدْ حَانَ أَنْ تُقْبِلِى مِنْ بَعْدِ إِدبارِ[2]

وعن زكريا بن عدى قال: كان الثورى يتمثل:

أَرَى الرجَالَ بِدُونِ الدينِ قَدْ قَنِعُوا ... وَلَيْس فِى عَيْشِهِمْ يَرْضَوْنَ بِالدونِ

فَاسْتَغْنِ بِالدينِ عَنْ دُنْيَا المُلُوكِ كَمَا ... اسْتَغنى المُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ[2]

١٠- وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَمَا قِيلَ فِى رِثَائِهِ

قال ابن سعد -رَحِمَهُ اللَّهُ- كتبَ سفيان إلى المَهدى، أو إلَى يعقوب بن داود، فبدأ بنفسه، فقيل له إنهم يغضبون من هذا، فبدأ بهم، فأتاه جواب كتابه بما يجب من التقريب، والكرامة، والسمع منه، والطاعة، فكان على الخروج إليهم، فحُمَّ ومرض مرضًا شديدًا، وحضره الموت، فجزع، فقال له مرحوم بن عبد العزيز: يا أبا عبد الله، ما هذا الجزع؟ إنك تقدم على الربِّ الذى كنت تعبده، فسكن وهدأ. وقال: انظروا مَن هاهنا من أصحابنا الكوفيين، فأرسلوا إلى عبادان، فقدم عليه

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٣).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٤).

عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر، والحسن بن عياش أخو أبو بكر ابن عياش، فأوصى إلى عبد الرحمن بن عبد الملك، وأوصاه أن يصلى عليه، فأقاما عنده حتى مات، فأخرج بجنازته على أهل البصرة فجأة، وسمعوا بموته، وشهده الخلق، وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك وكان رجلا صالحًا، رضيه سفيان لنفسه، ونزل فى حفرته، ونزل معه خالد بن الحارث، وغيرهما ودفنوه، ثم انصرف عبد الرحمن بن عبد الملك، والحسن بن عياش إلى الكوفة فأخبرا أهلها بموت سفيان -رَحِمَهُ اللَّهُ-.[1]

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: لما أن مات سفيان أخرجناه من الليل من أجل السلطان، فحملناه بالليل، فما أنكرنا الليل من النهار. قال: وسمعته يقول فى عِلَّته -وكان به البطن-: ذهب التستر، ذهب التستر.[2]

قال يحيى القطان: مات فى أول سنة إحدى وستين ومئة.[3]

قال الذهبى: الصحيح موته فى شعبان سنة إحدى، وكذلك أرخه الواقدى، ووهم خليفة؛ فقال: مات سنة اثنتين وستين.

وعن ضمرة قال: نظر حماد بن زيد إلى سفيان الثورى مُسجى بثوب على السرير، فقال: يا سفيان، لست أغبطك اليوم بكثرة الحديث، وإنما أغبطك بعمل صالح قدّمت.[4]

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: جاءنى جرير بن حازم، وحماد بن زيد الغد يوم دفنا سفيان، فقالا: اخرج بنا، فخرجت معهما، فبينما نحن نمشى، قال جرير بن حازم:

مَنْ كَانَ يَبْكِى عَلَى حَىّ لِمَنْزِلَةٍ ... بَكَى الغَدَاةَ عَلَى الثَّورِىْ سُفْيَانَا

قال: ثم سكت، فظننت أنه كان هيأ أبياتًا يقولها، فسكتُّ، فقال عبد الله بن الصباح:

أبْكِى عَلَيْهِ وقد وَلَّى وَسُؤدُدُهُ ... وَفَضْلُهُ نَاضِرٌ كَالغُصْنِ رَيَّانَا[5]

فرَحِمَهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- رحمة واسعة، وأدخلنا وإياه جنة عالية، قطوفها دانية.

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٧٣، ٣٧٤).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٧١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٩).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٣٧١).
(٥) حلية الأولياء (٦/ ٣٧٢).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(١٧)

حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ

فمع سلسلة (من أعلام السلف)، وعلم من الأعلام، وإمام من الأئمة الكرام، إنه أكبر الحمَّادَيْنِ سناً، وأكثرهم عبادة، وشدة على أهل البدع، إنه إمام أهل البصرة، حماد بن سلمة -رَحِمَهُ اللَّه- كفاه شرفًا وفخراً قول ابن المبارك -رَحِمَهُ اللَّه-: «دخلت البصرة، فما رأيت أحدًا أشبه بمسالك الأوَلِ من حماد بن سلمة».

فرَحِمَهُ اللَّهُ، وأعلى درجته فى الجنة، وجمعنا به فى دار الكرامة، ولله الحمد والمنة، على كل نعمة.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام أبو سلمة البصرى النَّحوى، البزاز الخرَقى البطائنى، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل.[١]

مَوْلِدُهُ: قال أبو سلمة التبوذكى: مات حماد بن سلمة، وقد أتى عليه ست وسبعون سنة، والمشهور أن وفاته سنة سبع وستين ومئة؛ فيكون ميلاده فى إحدى وتسعين.

صِفَتُهُ: قال البخارى: سمعت آدم بن أبى إياس يقول: شهدت حماد بن سلمة، ودعوه -يعنى: السلطان- فقال: أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء؟! لا والله، ما فعلت.[٢]

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤). (٢) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٦).

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن يحيى بن معين قال: حماد بن سلمة ثقة.(١)

وعن حجاج بن المنهال حدثنا: حدثنا حماد بن سلمة، وكان من أئمة الدين.(٢)

وعن عبد الرحمن بن مهدى: حماد بن سلمة صحيح السماع، حسن اللقى، أدرك الناس، ولم يُتهم بلون من الألوان، ولم يلتبس بشىء، أحسن ملكة نفسه، ولسانه لم يطلقه على أحد، ولا ذكر خلقاً بسوء، فسلم حتى مات.(٣)

وقال عبد الله بن المبارك: دخلت البصرة، فما رأيت أحدًا أشبه بمسالك الأوَلِ من حماد بن سلمة.(٣)

وعن موسى بن إسماعيل: حدثنا حماد بن زيد قال: ما كنا نأتى أحدًا نتعلم شيئًا بنية فى ذلك الزمان، إلا حماد بن سلمة، قال: ونحن نقول اليوم: ما نأتى أحدًا يُعَلم بنيَّة إلا حماد بن سلمة.(٤)

وقال أحمد: أعلم الناس بثابت البُنَانِى حماد بن سلمة، وهو أثبتهم فى حميد الطويل.(٥)

قال الذهبى: كان بحرًا من بحور العلم، وله أوهام فى سعة ما روى، وهو صدوق حجَة، وليس هو فى الإتقان كحماد بن زيد، وتحايد البخارى إخراج حديثه، إلا حديثًا، خرجه فى الرقاق، فقال: «قال لى أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أُبى، ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن»، ومسلم روى له فى «الأصول» عن ثابت وحميد لكونه خبيرًا بهما.(٥)

ورد الحافظ ابن حبان على الإمام البخارى فى تجنب حديثه، فقال فى «صحيحه»: لم ينصف من جانب حديثه، واحتج بأبى بكر ابن عياش، وبابن أخى الزهرى،

---

(١) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٢).

(٢) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٣).

(٣) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٤).

(٤) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٦).

وعبد الرحمن بن دينار، فإن كان تركه إياه لما كان يخطئ، فغيره من أقرانه مثل الثورى، وشعبة، ودونهما كانوا يخطئون، فإن زعم أن خطأه قد كثر من تغير حفظه، فكذلك أبو بكر، ولم يكن مثل حماد بالبصرة، ولم يكن يثلبه إلا معتزلى أو جهمىّ، لما كان يظهر من السنن الصحيحة، وأنَّى يبلغ أبو بكر ابن عياش مبلغَ حماد بن سلمة فى إتقانه، أم فى جمعه، أم فى علمه، أم ضبطه.(١)

وقال الذهبى: قال أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ-: إذا رأيت من يغمزه، فاتهمه، فإنه كان شديدًا على أهل البدع. إلا أنه لما طعن فى السن، ساء حفظه، فلذلك لم يحتج به البخارى، أما مسلم فاجتهد فيه، وأخرج من حديثه عن ثابت، مما سمع منه قبل تغيره، وأما عن غير ثابت، فأخرج نحو اثنى عشر حديثًا فى الشواهد، دون الاحتجاج، فالاحتياط أن لا يُحتج به فيما يخالف الثقات، وهذا الحديث من جملتها.(٢)

وقال عبد الله بن معاوية الجمحى: حدثنا الحمادان، وفَضْلُ ابن سلمة على ابن زيد كفضل الدينار على الدرهم -يعنى: الذى اسم جده دينار أفضل من حماد بن زيد، الذى اسم جده درهم.

قال الذهبى: هذا محمول على جلالته ودينه، وأما الإتقان، فمُسَلم إلى ابن زيد، هو نظير مالك فى التثبت.(١)

٣- عِبَادَتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال أبو نعيم فى ترجمته له: ومنهم المجتهد فى العبادة، المعدود فى الإمامة، أبو سلمة حماد بن سلمة، كان لخطير الأعمال مصطنعاً، وبيسير الأقوات مقتنعاً.(٣)

وعن عبد الرحمن بن المهدى قال: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد فى العمل شيئًا.(٤)

(١) نقلاً عن سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٢).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٢٤٩).
(٤) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٠).

وعن عفان بن مسلم قال: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، ولكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله من حماد بن سلمة.(١)

وعن موسى بن إسماعيل قال: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا، لصدقت، كان مشغولاً: إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يُسَبِّحُ، أو يصلي، قد قسَّم النهار على ذلك.(٢)

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: حدثني أبي قال: كان حماد بن سلمة لا يحدث حتى يقرأ مئة آية، نظرًا في المصحف.(٢)

وعن حماد بن سلمة قال: أخذ إياس بن معاوية بيدي، وأنا غلام، فقال: لا تموتَنَّ حتى تقص، أما إني قد قلت هذا لخالك -يعني: حميد الطويل- فما مات حماد حتى قص.

قال أبو خالد: قلت لحماد: أنت قصصت؟ قال: نعم.

قال الذهبي: القاص: هو الواعظ.(٣)

٤ - وَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن موسى بن إسماعيل قال: سمعت حَماد بن سلمة يقول لرجل: إن دعاك الأمير أن تقرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلا تأته.(٤)

وعن محمد بن الحجاج قال: كان رجل يسمع معنا عند حماد بن سلمة، فركب إلى الصين، فلما رجع أهدى إلى حماد بن سلمة هدية، فقال له حماد: إني إن قبلتها لم أحدثك بحديث، وإن لم أقبلها حدثتك. قال: لا تقبلها، وحدثني.(٥)

وعن حماد بن سلمة قال: ما كان من شأني أن أحدث أبدًا، حتى رأيت -يعني: أيوب السختياني- في منامي، فقال لي: حدِّث، فإن الناس يقبلون.(٥)

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٢).
(٤) حلية الأولياء (٦/ ٢٤٩).
(٥) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٠).

وقال سوار بن عبد الله العنبرى: حدثنا أبى قال: كنت آتى حماد بن سلمة فى سوقه، فإذا ربح فى ثوب حَبَّةً أو حبتين، شدَّ جونته، ولم يبع شيئًا، فكنت أظن ذلك يقوته.(1)

٥ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن أحمد بن حنبل قال: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديدًا على المبتدعة.(2)

وتقدم قول ابن حبان: ولم يكن مثل حماد بالبصرة، ولم يكن يثلبه إلا معتزلىّ أو جهمى، لما كانَ يظهر من السنن الصحيحة.(2)

وقال حنبل بن إسحاق: قلت لأبى عبد الله: وهيب، وحماد بن زيد، وحماد ابن سلمة؟! قال: وهيب، وهيب «كأنه يوثقه»، وحماد بن سلمة، لا أحدًا أروى فى الرد على أهل البدع منه، وحماد بن زيد، حسبك به.(3)

وقال عبد الله بن المبارك: دخلت البصرة فما رأيت أحدًا أشبه بمسالك الأُوَلِ من حماد بن سلمة.(4)

وروى عبد العزيز بن المغيرة عن حماد بن سلمة: أنه حدثهم بحديث نزول الرب -عَزَّ وَجَلَّ- فقال: من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه.(5)

٦ - شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: روى عن ثابت البنانى، وقتادة، وخاله حميد الطويل، وإسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، وأنس بن سيرين، وثمامة بن عبد الله بن أنس، ومحمد بن زياد القرشى، وأبى الزبير المكى، وعبد الملك بن عمير، وعبد العزيز بن صهيب، وأبى عمران الجونى، وعمرو بن دينار، وهشام بن زيد بن أنس، وهشام بن عروة،

---

(1) سير أعلام النبلاء (٦/٤٤٨).
(2) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٠).
(3) تهذيب الكمال (٧/٢٥٩).
(4) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٤).
(5) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥١).

ويحيى بن سعيد الأنصارى، وأيوب السختيانى، وخالد الحذاء، وداود بن أبى هند، وسليمان التيمى، وسماك بن حرب، وخلق كثير من التابعين، فمن بعدهم.(١)

تَلامِذَتُهُ: قالَ الحافظ: وعنه ابن جريج، والثورى، وشعبة وهم أكبر منه، وابن المبارك، وابن مهدى، والقطان، وأبو داود، وأبو الوليد الطيالسيان، وأبو سلمة التبوذكى، وآدم بن أبى إياس، والأشيب، وأسود بن عامر شاذان، وبشر بن السرى، وبهز بن أسد، وسليمان بن حرب، وأبو نصر التمار، وهدبة بن خالد، وشيبان بن فروخ، وعبيد الله العيشى، وآخرون.(١)

٧ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال إسحاق بن الطَّبَّاع: سمعت حماد بن سلَمَة يقول: من طلب الحديث لغير الله تعالى مُكِرَ به.(٢)

عن محمد بن إسماعيل البخارى قال. سمعت بعض أصحابنا يقول: عاد حمادُ ابن سلمة سفيانَ الثورى، فقال سفيان: يا أبا سلمة، أترى الله يغفر لمثلى؟! فقال حماد: والله، لو خيرت بين محاسبة الله إياى، وبين محاسبة أبوىَّ، لاخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بى من أبوىَّ.(٣)

وعن أبى سلمة المنقرى: سمعت حماد بن سلمة يقول: إن الرجل ليثقل حتى يخفَ.(٤)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو الحسن المدائنى: مات حماد بن سَلمة يوم الثلاثاء فى ذى الحجة سنة سبع وستين ومئة، وصلى عليه إسحاق بن سليمان.(٥)

وقال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة فى الصلاة فى المسجد.(٦)

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ١١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٣).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٨).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(١٨)

اللَّيْثُ بْنُ سَعْد

فمـا زلنا مع أعلام السلف الكرام، ومـعنا فى هذه الترجمـة المباركـة الإمام الحافظ شيخ الإسـلام، عالم الديار المصرية، أبو الحارث الفهـمى الليث بن سعد. قال أبو نعيم: ومنهم السرى السـخى، الملى الوفى، لعلمه عَقُول، ولماله بذول، أبو الحارث الليث بن سعد، كان يعلم الأحكام ملياً، ويبذل الأموال سخياً.

وهو من أئمة أتباع التابعين، من أقران مالك، وسفيان، والأوزاعى، حفظ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهم الإسلام، وارتفـعت بهم أعـلام السنة، ونكست أعلام البـدع، فرحم الله الجميع.

وقد كان الليث إمامًـا فى الحديث والفقه والسخَاء، فرَحِمَـهُ اللَّه رحمة واسعة، وأدخله جنة عالية قطوفها دانية.

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: ليث بن سعد بن عـبد الرحمن الفَهْمِىُّ أبو الحـارث المصرى مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، وقيل: مولى بان ثابت بن ظاعن جد عبد الرحمن ابن خالد بن مسافـر، وأهل بيته يقولون: نحن من الفرس من أهل أصـبهان، قال أبو سعيد ابن يونس: وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة.

ورُوِىَ عن الليث أنه قال مثل ذلك، والمشهور أنه فهمى، وفهم من قيس عيلان.[١]

(١) تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥٥، ٢٥٧).

مَولِدُهُ: ولد بقَرْقَشَنْدة قرية على نحو أربعة فراسخ من مصر، في سنة أربع وتسعين، وقيل: ثلاث وتسعين. ذكره سعيد بن أبي مريم، والأول أصح، لأن يحيى يقول: سمعت الليث يقول: ولدت في شعبان سنة أربع. قال الليث: حججت سنة ثلاث عشرة ومئة.[1]

صِفَتَهُ: عن عمرو بن محمد الحيري: سمعت محمد بن معاوية يقول، وسليمان ابن حرب إلى جنبه: خرج الليث بن سعد يومًا، فقوموا ثيابه، ودابته، وخاتمه، وما عليه ثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألفاً. فقال سليمان: لكن خرج علينا شعبة يومًا، فقوموا حماره، وسرجه، ولجامه ثمانية عشر درهمًا إلى عشرين درهمًا.[2]

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن شرحبيل بن جميل بن يزيد مولى شرحبيل ابن حسنة قال: أدركت الناس أيام هشام، وكان الليث بن سعد حَدَثَ السنِّ، وكان بمصر عبيد الله بن جعفر، وجعفر بن ربيعة، والحارث بن يزيد، ويزيد بن أبي حبيب، وابن هبيرة، وغيرهم من أهل مصر، ومن يقدم علينا من فقهاء المدينة، وإنهم ليعرفون لليث فضله، وورعه، وحسن إسلامه، على حداثة سِنِّه.[3]

وقال ابن بكير: ورأيت من رأيت فلم أر مثل الليث.[3]

وعن أبي الوليد عبد الملك بن يحيى بن بكير قال: سمعت أبي يقول: ما رأيت أحدًا أكمل من الليث بن سعد، كان فقيه البدن، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الشعر والحديث، وحسن المذاكرة . . . وما زال يذكر خصالاً جميلة، ويعقد بيده، حتى عَدَّ عشرة لم أر مثله.[4]

وعن هارون بن سعيد قال: سمعت ابن وهب يقول: كل ما كان في كتب مالك، «وأخبرني من أرضى من أهل العلم»: فهو الليث بن سعد.[5]

---

(١) سير أعلام النبلاء بتصرف (٨/ ١٣٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٧).
(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٥).
(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٧).

وعن الربيع بن سليمان قال: قال ابن وهب: لولا مالك والليث لضَلَّ النَّاس.[(١)]

وقال الفضل بن زياد: قال أحمد: ليث كثير العلم، صحيح الحديث.[(١)]

وعن أحمد بن سعد الزهرى قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الليث ثقة ثبت.[(١)]

وقال عثمان الدارمى: سمعت يحيى بن معين يقول: الليث أحبُّ إِلَيَّ من يحيى ابن أيوب، ويحيى ثقة، قلت: فكيف حديثه عن نافع فقال: صالح ثقة.[(٢)]

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: سمعت الشافعى يقول: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به.[(٣)]

وقال محمد بن سعد: وكان ثقة، كثير الحديث، صحيحه، وكان قد اشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر، وكان سرياً من الرجال، نبيلاً، سخياً له ضيافة.[(٤)]

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبى يقول: أصح الناس حديثًا عن سعيد المقبرى: لَيث بن سعد يفصل ما روى عن أبى هريرة، وما روى عن أبيه عن أبى هريرة.[(٥)]

وقال على ابن المدينى: الليث بن سعد ثبت.[(٦)]

وقال العجلى: مصرى فَهمىّ ثقة.[(٦)]

٣ - سَخَاؤُهُ وَكَرَمُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن حرملة بن يحيى قال: سمعت ابن وهب يقول: كتب مالك إِلى الليث: إِنى أريد أن أدخل ابنتى على زوجها، فأحب أن تبعث لى بشىء من عصفر، قال ابن وهب: فبعث إِليه بثلاثين جملاً عصفر، فصبغ منه لابنته، وباع منه بخمسمائة دينار.[(٧)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٦).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٧).
(٥) تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٦١).
(٦) تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٦٤).
(٧) تاريخ بغداد (١٣/ ٧).

عن أسد بن موسى قال: كان عبد الله بن عليّ يطلب بنى أمية فيقتلهم، فلما دخلت مصر دخلتها فى هيئة رَثَّة، فدخلت على الليث بن سعد، فلما فرغت من مجلسه خرجت، فتبعني خادم له فى دهليزه، فقال: اجلس حتى أخرج إليك، فجلست، فلما خرج إليَّ وأنا وحدى، دفع إلَيَّ صُرَّة فيها مئة دينار، فقال: يقول لك مولاى: أصلح بهذه النفقة بعض أمرك، ولُمَّ من شعثك، وكان فى حوزتى هيمان فيه ألف دينار، فأخرجت الهيمان، فقلت: أنا عنها فى غنى، استأذن لى على الشيخ، فاستأذن لى، فدخلت، فأخبرته بنسبى، واعتذرت إليه من ردها، وأخبرته بما مضى. فقال: هذه صلة، وليست بصدقة. فقلت: أكره أن أعوِّد نفسى عادة، وأنا فى غنى. فقال: ادفعها إلى بعض أصحاب الحديث، ممن تراه مستحقاً لها، فلم يزل بى حتى أخذتها، ففرقتها على جماعة.(١)

وعن يحيى بن بكير قال: سمعت أبى يقول: وصل الليث بن سعد ثلاثة أنفس بثلاثة آلاف دينار احترقت دار ابن لهيعة، فبعث إليه بألف دينار، وحج، فأهدى إليه مالك بن أنس رطبًا على طبق، فرد إليه فى الطبق ألف دينار، ووصل منصور ابن عمار القاضى بألف دينار، وقال: لا تسْمع بهذا ابنى فتهون عليه.(٢)

وقال قتيبة: كان الليث يركب فى جميع الصلوات إلى الجامع، ويتصدق كل يوم على ثلاثمائة مسكين.(٣)

وعن عبد الله بن صالح قال: صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى، ولا يتعشى إلا مع الناس، وكان لا يأكل إلا بلحم، إلا أن يمرض.(٤)

قال قتيبة: وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث، إن ابناً لى عليلٌ، واشتهى عسلاً. فقال: يا غلام، اعطها مِرْطًا من عسلٍ، والمرط عشرون ومئة رطل.(٥)

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٢١، ٣٢٢).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٣٢٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٩).

٤ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعى يقول: الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس.[١]

وعن عثمان بن صالح قال: كان أهل مصر ينتقصون عثمان، حتى نشأ فيهم الليث ابن سعد، فحدثهم بفضائل عثمان، فكفوا عن ذلك، وكان أهل حمص ينتقصون عليًا، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش، فحدثهم بفضائله، فكفوا عن ذلك.[٢]

عن سعيد بن أبى مريم: سمعت ليث بن سعد يقول: بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط.

قال الذهبى: كانت الأهواء والبدع خاملة فى زمن الليث، ومالك، والأوزاعى، والسنن ظاهرة عزيزة؛ فأما فى زمن أحمد بن حنبل، وإسحاق، وأبى عبيد، فظهرت البدعة، وامتحن أئمة الأثر، ورَفَعَ أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة ثم كثر ذلك، واحتج عليهم العلماء أيضًا بالعقول، فطال الجدال، واشتد النزاع، وتولدت الشُبَه، نسأل الله العافية.[٣]

وعن أبى بكر الفقيه الخلال: أخبرنى أحمد بن محمد بن واصل المقرئ حدثنا الهيثم بن خارجة أخبرنا الوليد بن مسلم قال: سألت مالكًا، والثورى، والليث، والأوزاعى عن الأخبار التى فى الصفات، فقالوا: أَمِرَّها كما جاءت.[٤]

٥ - عَرْضُ وِلايَةِ مِصْرَ عَلَى اللَّيْثِ

عن أبى بكير: قال الليث: قال لى أبو جعفر: تلى لىَ مصر؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، إنى أضعف عن ذلك، إنى رجل من الموالى. فقال: ما بك ضعف، ولكن ضعفت نيتك فى العمل عن ذلك لى.[٥]

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣١٩).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٦٢).
(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ٥).

وعن يحيى بن بكير قال: قال الليث: قال لى المنصور: تلـى لى مصر؟ فاستعفيت. قال: أمـا إذا أبيت، فدلنى على رجل أقلده مصـر. قلت: عثمـان بن الحكم الجذامى، رجل له صلاح وله عشيرة. قال: فبلغَ عثمان ذلك، فعاهد الله لا يكلم الليث.[1]

قال الذهبى: كان الـليث -رَحِمَهُ اللَّهُ- فقيـه مصر، ومحدثـها، ومحتشـمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولى مصر، وقاضيها، وناظرها من تحت أوامره، ويرجـعون إلى رأيه ومـشورته، ولقد أراده المنـصور أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك.[2]

٦ - دُرَرٌ مِـنْ أقْوَالِـهِ - رَحِمَـهُ الـلَّـهُ-

عن الليث قال: بلغت الثمانين، وما نازعت صاحب هوى قط.[3]

وعن يحيى بن بكير قال: أخبرنى من سـمع الليث يقول: كتبت من علم ابن شهاب علمًا كثيرًا، وطلبت ركوب البريد إلى الرصافة، فخفت أن لا يكون ذلك لله فتركته، ودخلت على نافع فسألنى، فقلت: أنا بصـرى، فقال: ممن؟ قلت: من قيس؟ قال: ابن كم؟ قلت: ابن عشرين سنة. قال: أما لحيتك فلحية ابن أربعين.[4]

وعن حفص بن سلمة قـال: تكلم الليث بن سعد فى مسـألة فقال له رجل: يا أبا الحارث، فى كتابـك غير هذا، قال: فى كتاب -أو فى كتـبنا- ما إذا مَرَّ هذبناه بعقولنا وألسنتنا.[5]

وعن عبـد الله بن صالح قال: سمـعت الليث بن سعد يقـول: لما قدمت على هارون الرشـيد، قـال لى: يا ليث، مـا صلاح بلدكم؟ قلـت: يا أميـر المؤمنين، صلاح بلدنا بإجـراء النيل، وإصلاح أمـيرها، ومن رأس العيـن يأتى الكدر، فإذا صَفَا رأس العين صفت السواقى، فقال: صدقت يا أبا الحارث.[6]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٤٥).
(٥) حلية الأولياء (٧/ ٣١٩).
(٦) حلية الأولياء (٧/ ٣٢٢).

٧- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ : روى عن نافع، وابن أبى مليكة، ويزيد بن أبى حبيب، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وأخيه عبد ربه بن سعيد، وابن عجلان، والزهرى، وهشام بن عروة، وعطاء بن أبى رباح، وبكير بن الأشج، والحارث بن يعقوب، وأبى عقيل زهرة بن معبد، وسعيد المقبرى، وأبى الزناد ابن رباح، ويزيد بن الهاد، وأبى الزبير المكى، وإبراهيم بن أبى عبلة، وأيوب ابن موسى، وإبراهيم بن نشيط، وجعفر بن ربيعة، وعبيدالله بن أبى جعفر، وأبى قبيل، وحكيم بن عبيدالله بن قيس، وحنين بن أبى حكيم، والحسن بن ثوبان، وخالد بن يزيد المصرى، وخالد بن أبى عمران، وخير بن نعيم، وأبى شجاع سعيد بن يزيد، ويحيى بن عبد الرحمن بن غنيم، ومعاوية بن صالح، وصفوان بن سليم، ويحيى بن أيوب، وعقيل، ويونس بن يزيد، ويزيد بن محمد القرشى، وعميرة بن أبى ناجية، وعبد العزيز الماجشون، وجماعة من أقرانه، ومن هو أصغر منه.[١]

تَلامِذَتُهُ: قال الحافظ : روى عنه شعيب، ومحمد بن عجلان، وهشام بن سعد وهما من شيوخه، وابن لهيعة، وهشيم بن بشير، وقيس بن الربيع، وعطاف بن خالد، وهم من أقرانه، وابن المبارك، وابن وهب، ومروان بن محمد، وأبو النضر، وأبو الوليد ابن مسلم، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد، ويونس بن محمد المؤدب، ويحيى بن إسحاق السيلحينى، وعلى بن نصر الجهضمى الكبير، وأبو سلمة الخزاعى، والحسن بن سوار، وهجين بن المثنى، وعبد الله بن نافع الصائغ، وقراد أبو نوح، وعبد الله بن عبد الحكم، وبشر بن السرى، وشبابة ابن سوار، وعبد الله بن يحيى البرلسى، وحجاج بن محمد، وزيد بن يحيى بن عبيد، وأشهب بن عبد العزيز، وداود بن منصور، وسعيد بن سليمان، وآدم بن

(١) تهذيب التهذيب (٨/ ٤١٢، ٤١٣).

أبى إياس، وسعيد بن أبى مريم، وسعيد بن شرحبيل، وسعيد بن كثير بن عفير، وكاتبه أبو صالح عبد الله بن صالح، وعبد الله بن يوسف التنيسى، وعبد الله بن يزيد المقرى، وعلى بن عياش الحمصى، وعمرو بن خالد الحرانى، وعمرو بن الربيع بن طارق، وأبو الوليد الطيالسى، ويحيى بن عبد الله بن بكير، والقاسم بن كثير الإسكندرانى، وأحمد بن عبد الله بن يونس، وقتيبة بن سعيد، ومحمد بن رمح بن المهاجر، ومحمد بن الحارث بن راشد المصرى، وأبو الجهم العلاء بن موسى، وعيسى بن حماد بن زغبة، وهو آخر من حدَّث عنه من الثقات، وآخرون.(١)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال يحيى بن بكير وسعيد بن أبى مريم: ومات الليث للنصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومئة.

قال يحيى: يوم الجمعة، وصلى عليه موسى بن عيسى.

قال خالد بن عبد السلام الصدفى: شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدى، فما رأيت جنازة قط أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يعزى بعضهم بعضًا، ويبكون، فقلت: يا أبت، كأن كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة. فقال: يا بنى، لا ترى مثله أبدًا.(٢)

---

(١) تهذيب التهذيب (٨/ ٤١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٦١، ١٦٢).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(١٩)

حَـمَّــادُ بْـنُ زَيْـــدٍ

فمع سلسلة (من أعـلام السلف)، ومع إمام من أئمة المسلمـين، فى زمن كـبار التابعين زمن مالك، وسفـيان، والليث، والأوزاعى، إنه إمام أهل البصرة، وراوية أيوب السختيانى، حماد بن زيد -رَحِمَهُ اللَّهُ-، إنه شيخ ابن المبارك، وابن مهدى، والقطان، كان حديثـه أربعة آلاف حديث، يحفظهـا عن ظهر قلب، لا يخطئ فى حرف واحد، فارق الدنيا ولـيس له فيها نظير، فرَحِمَهُ اللَّهُ رحـمة واسعة، وسائر الأئمـة الكرام، والعلمـاء الأعـلام، وصلى الله وسلم وبارك علـى محـمـد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضَمى، أبو إسماعيل البصرى الأزرق، مولى آل جرير بن حازم، وكان جده درهم من سبى سجستان.(١)

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: مولده فى سنة ثمان وتسعين.(٢)

وعن حماد بن زيد قال: زعمت أمى أننى ولدت فى عمل عمر بن عبد العزيز، قال: وقالت عمتىَ: فى آخر عمل سليمان بن عبد الملك.(٣)

صِفَتُهُ: قال أبو حاتم ابن حـبان: كان ضريرًا يحفظ حـديثه كله، قال الذهبى: إنما أضرَّ بآخرة.(٤)

---

(١) تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٩).

وعن عَفَّان بن مسلم قال: كان حماد بن زيد يلبس قلنسوة بيضاء طويلة لطيفة.[1]

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الحافظ أبو نعيم: ومنهم الإمام الرشيد، الآخذ بالأصل الوكيد، المتمسك بالمنهج الحميد، نزل من العلوم بالمحل الرفيع، وتوصل إلى الأصول بالوسيط المنيع، اقتبس الآثار عن الأخبار، وأخذ الأعمال عن الأبرار، أكبر فوائده فى الأقضية والأحكام، وأبلغ مواعظه فى مراعاة الأبنية والأعلام، أبو إسماعيل حماد بن زيد.[2]

وعن على بن الحسن بن شقيق قال: قال عبد الله بن المبارك:

أيها الطالبُ علمًا ... ائتِ حمَّادَ بنَ زيدِ

فاطلبِ العلمَ بحلمٍ ... ثمَّ قيِّدْهُ بقيدِ

لا كثورٍ وكجهمٍ ... وكعمرِو بنِ عبيدِ[3]

وعن خالد بن خداش قال: حماد بن زيد من عقلاء الناس، وذوى الألباب.[4]

وعن عاصم قال: مات حماد بن زيد يوم مات، ولا أعلم له فى الإسلام نظيرًا فى هيبته ودلِّه، أظنهُ قال: وسمته.[3]

قال عبد الرحمن بن مهدى: أئمة الناس فى زمانهم أربعة: سفيان الثورى بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعى بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة.

وقال آخر: هو أجلُّ أصحاب أيوب السختيانى، وأثبتهم.[5]

وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدين، هو أحب إلَيَّ من حماد بن سلمة.[5]

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٦).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٧).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٨).
(٤) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٩).
(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٨).

وقال عبد الرحمن بن مهدى: ما رأيت أعلم من حماد بن زيد، ومالك بن أنس، وسفيان الثورى، وما رأيت أحدًا أفقه منه -يعنى: حماد بن زيد.(١)

وعن إبراهيم بن سعيد الجوهرى: سمعت أبا أسامة يقول: كنت إذا رأيت حماد ابن زيد، قلت: أدَّبه كسرى، وفقهه عمر رضي الله عنه.(٢)

وقال محمد بن سعد: حماد بن زيد يكنى: أبا إسماعيل، وكان عثمانياً، وكان ثقة، ثبتًا، حُجَّةً، كثير الحديث.(٣)

وعن يحيى قال: حماد بن زيد أثبت من عبد الوارث، وابن علَيَّةَ، وعبد الوهاب الثقفى، وابن عيينة.(٤)

وعن عبيد الله بن الحسن قال: إنما هما الحمَّادَان، فإذا طلبتم العلم، فاطلبوه من الحمادين.(٥)

وعن عبد الرحمن بن مهدى: ما رأيت بالبصرة أفقه من حماد بن زيد.(٦)

٣ - تَثَبُّتُهُ وَحِفْظُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن محمد بن المنهال الضرير قال: سمعت يزيد بن زريع، وسئل: ما تقول فى حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، أيهما أثبت فى الحديث؟

قال: حماد بن زيد، وكان الآخر رجلاً صالحًا.(٦)

وعن يحيى بن معين قال: ليس أحدٌ فى أيوب أثبت من حماد بن زيد.(٦)

وعن عبد الرحمن قال: سئل أبو زرعة عن حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، فقال: حماد بن زيد أثبت من حماد بن سلمة بكثير، أصح حديثًا وأتقن.(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦٤).
(٥) الجرح والتعديل (١/ ١٧٩).
(٦) الجرح والتعديل (١/ ١٨١).
(٧) الجرح والتعديل (١/ ١٨٢).

وقال مُصفى: أخبرنا بقية قال: ما رأيت بالعراق مثل حماد بن زيد. قال: الذّهَبى: ومن خاصية حماد بن زيد أنه لا يدلس أبدًا، قال خالد بن خداش: سمعته يقول: المدلِّس متشبع بما لم يُعْطَ.

قال الذهبى: والمدلس داخل فى عموم قوله: ﴿وَّيُحِبُّونَ أن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (آل عمران:١٨٨)، ودخل فى قوله -عليه الصلاة والسلام-: **«مَنْ غَشّنَا فَلَيْسَ مِنا»**، لأنه يوهم السامعين أن حديثه متصلٌ، وفيه انقطاع، وهذا إذا دلس عن ثقة، أما إذا دلس خبره عن ضعيف يوهم أنه صحيح، فهذا قد خان الله ورسوله، وقد قال عبد الوارث بن سعيد: التدليس ذُلّ.[١]

وعن يحيى بن يحيى النيسابورى قال: ما رأيتُ أحفظ من حماد بن زيد.[٢]

وقال أحمد بن عبد الله العجلى: حماد بن زيد ثقة، وحديثه أربعة آلاف حديث، وكان يحفظها، ولم يكن له كتاب.[٢]

وقال عبد الرحمن بن خرَاش الحافظ: لم يخطئ حماد بن زيد فى حديث قَط.[٣]

وعن مقاتل بن محمد قال: سمعت وكيعًا -وقيل له: حماد بن زيد كان أحفظ، أو حماد بن سلمة؟ فقال: حماد بن زيد، ما كنا نشبه حماد بن زيد إلا بمسعر.[٤]

٤ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن عبد الرحمن بن مهدى قال: لم أرَ أحدًا قط أعلم بالسُّنَّة، ولا بالحديث الذى يدخل فى السنة، من حماد بن زيد.[٥]

وعن يحيى بن المغيرة قال: قرأت كتاب حماد بن زيد إلى جرير: بلغنى أنك تقول فى الإيمان بالزيادة، وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك، اثبت على ذلك ثبتكَ الله.[٥]

---

(١) تاريخ الإسلام (١١/٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/٤٥٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/٤٥٨، ٤٥٩).
(٤) الجرح والتعديل (١/١٧٨).
(٥) الجرح والتعديل (١/١٧٧).

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: إذا رأيت بصرياً يحب حماد بن زيد، فهو صاحب سنة.(١)

قال الذهبى: لا أعلم بين العلماء نزاعًا فى أن حماد بن زيد من أئمة السلف، ومن أتقن الحفاظ وأعدلهم، وأعدمهم غلطاً، على سعة ما روى -رَحِمَهُ اللَّه.(٢)

وعن سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد يقول: إنما يدورون على أن يقولوا: ليس فى السماء إله -يعنى: الجهمية.(٣)

وعن أبى النعمان عارم قال: قال حماد بن زيد: القرآن كلام الله، أنزله جبريل من عند رب العالمين.(٣)

وعن فطر بن حماد بن واقد قال: سألت حماد بن زيد فقلت: يا أبا إسماعيل، إمام لنا يقول: القرآن مخلوق، أصلى خلفه؟ قال: لا، ولا كرامة.(٤)

وعن خالد بن خداش قال: سمعت حماد بن زيد يقول: لئن قلت إنَّ علياً أفضل من عثمان، لقد قلت: إن أصحاب رسول الله ﷺ قد خانوا.(٥)

٥ - اشْتِرَاكُ الحَمَّادَيْن فى كَثِيرٍ منَ المَشَايخِ وَالتَّلامِيذِ وكيفية التفريق بينهما

قال الحافظ الذهبى ما ملخصه: اشترك الحمادان فى الرواية عن المشايخ، وروى عنهما جميعًا جماعة من المحدثين، فربما روى الرجل منهم عن حماد لم ينسبه، فلا يُعرف أى الحمادين هو، إلا بقرينة، فإن عَرِىَ السند من القرائن وذلك قليل لم نقطع بأنه ابن زيد، ولا أنه ابن سلمة، بل نتردد أو نقدره ابن سلمة، ونقول: هذا الحديث على شرط مسلم، إذ مسلم قد احتج بهما جميعًا.(٦)

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ١٨٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١).
(٤) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٨).
(٥) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٩).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦٤).

ثم ذكر -رَحِمَهُ اللَّهُ- جملة من شيوخهما معًا، وتلامذتهما، ثم قال: والحفاظ المختصون بالإكثار وبالرواية عن حماد بن سلمة: بهز بن أُسد، وحبان بن هلال، والحسن الأشيب، وعمر بن عاصم، والمختصون بحماد بن زيد، الذين ما لحقوا ابن سلمة، فهم أكثر وأوضح، كعلى ابن المدينى، وأحمد بن عبدة، وأحمد بن المقدام، وبشر بن معاذ العقدى، وخالد بن خداش، وخلف بن هشام، وزكريا بن عدى، وسعيد بن منصور، وأبى الربيع الزهرانى، والقواريرى، وعمرو بن عوف، وقتيبة بن سعيد، ومحمد بن أبى بكر المقدمى، ولوين، ومحمد بن عيسى الطباع، ومحمد بن عبيد بن حساب، ومُسَدَّد، ويحيى بن حبيب، ويحيى بن يحيى التميمى، وعدة من أقرانهم.

فإذا رأيت الرجل من هؤلاء الطبقة قد روى عن حماد، وأبهمه، علمت أنه ابن زيد، وأن هذا لم يدرك حماد بن سلمة، وكذا إذا روى رجل ممن لقيهما، فقال: حدثنا حماد، وسكت، نظرت فى شيخ حماد من هو، فإن رأيته من شيوخهما ترددت، وإن رأيته من شيوخ أحدهما على الاختصاص والتفرد، عرفته من شيوخه المختصين به، ثم عادة عفان لا يروى عن حماد بن زيد إلا وينسبه، وربما روى عن حماد بن سلمة، فلا ينسبه، وكذلك يفعل حجاج بن منهال وهدبة ابن خالد، فأما سليمان بن حرب، فعلى العكس من ذلك، وكذلك عارم يفعل، فإذا قالا: «حدثنا حماد»، فهو ابن زيد، ومتى قال موسى التبوذكى: «حدثنا حماد» فهو ابن سلمة؛ فهو راويته، والله أعلم.[1]

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن ثابت البنانى، وأنس بن سيرين وعبد العزيز بن صهيب، وعاصم الأحول، ومحمد بن زياد القرشى، وأبى جمرة الضبعى،

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦٥، ٤٦٦).

والجعد أبى عثمان، وأبى حازم سلمة بن دينار، وشعيب بن الحبحاب، وصالح ابن كيسان، وعبد الحميد صاحب الزيادى، وأبى عمران الجونى، وعمرو بن دينار، وهشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، وغيرهم من التابعين، فمن بعدهم.(١)

تلامذته: قال الحافظ: وعنه ابن المبارك، وابن مهدى، وابن وهب، والقطان، وابن عيينة وهو من أقرانه، والثورى وهو أكبر منه، وإبراهيم بن أبى عبلة وهو فى عداد شيوخه، ومسلم بن إبراهيم، وعارم، ومُسدَّد، ومؤمل بن إسماعيل، وأبو أسامة، وسليمان بن حرب، وعفان، وعمرو بن عوف، وعلى ابن المدينى، وقتيبة، ومحمد بن زنبور المكى، وأبو الأشعب أحمد بن المقدام العجلى، وخلق كثير آخرهم: الهيثم بن سهل التسترى، مع ضعفه.(١)

٧ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن سليمان بن حرب قال: سمعت حماد بن زيد يقول فى قوله: ﴿لا ترفعوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢)، قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته، كرفع الصوت عليه فى حياته، إذا قرئ حديثه، وجب عليك أن تنصت له، كما تنصت للقرآن.(٢)

وقال محمد بن وزير الواسطى: سمعت يزيد بن هارون يقول: قلت لحماد بن زيد: هل ذكر الله أصحاب الحديث فى القرآن؟ قال: بلى، الله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ (التوبة: ١٢٢).(٣)

وعن أيوب العطار: سمعت بشر بن الحارث يقول: حدثنا حماد بن زيد، ثم قال: أستغفر الله، إن لذكر الإسناد فى القلب خيلاء.(٤)

---

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦٠)، وتمام الآية ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.
(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١).

٨ – وَفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الذهبي مات سنة تسع وسبعين ومئة وفاقاً في شهر رمضان.

وقال أبو حفص الفلاس: مات يوم الجمعة، تاسع عشر شهر رمضان.

وقال عارم: مات لعشر ليال خَلَوْنَ من رمضان يوم الجمعة، وقال أبو داود: مات قبل مالك بشهرين وأيام.

قال الذهبي: هذا وهم، بل مات قبله بستة أشهر، فرحمهما الله، فلقد كانا ركني الدِّين، وما خلفهما مثلهما.[1]

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٦١، ٤٦٢).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٢٠)

مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ

ما زلنا نسعد بحمد الله مع سلسلة التراجم التربوية (من أعلام السلف)، وإمامنا وقدوتنا فيها هو إمام دار الهجرة، مالك بن أنس -رَحِمَهُ اللَّهُ-، نجم السنن، ووارث العلوم النبوية، والسنن المصطفوية، في مدينة رسول الله ﷺ.

قال الإمام الذهبي: قد كان هذا الإمام من الكبراء والسعداء، والسادة العلماء، ذا حشمة وتجمل وعبيد، ودار فاخرة، ونعمة ظاهرة، ورفعة في الدنيا والآخرة، كان يقبل الهدايا، ويأكل طيبًا ويعمل صالحًا، وما أحسن قول ابن المبارك فيه:

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... وَفَتَّاقُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخَتَّمِ

وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ ... وَسِيطَتْ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ[1]

وقال أبو مصعب: كانوا يزدحمون على باب مالك، حتى يقتتلوا من الزِّحْم، وكنا نكون عنده فلا يكلم ذا ذا، ولا يلتفت ذا إلى ذا، والناس قابلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه، وهم قابلون منه ومستمعون، وكان يقول: لا ونعم، ولا يقال له: من أين قلت هذا؟![2]

وقال بعضهم واصفًا مالكًا -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

يَدَعُ الْجَوَابَ وَلَا يُرَاجَعُ هَيْبَةً ... وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ

نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى ... فَهُوَ الْمَهِيبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٣)، وقوله: «وسيطت»، أي مزجت.

(٢) تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢٢).

والدارس لترجمة الإمام يقف على شيء من أسباب هذه الهيبة وهذا القبول، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في غضون الترجمة، فمن ذلك أنه كان كثير التعظيم لحديث النبي ﷺ فإذا أراد أن يحدث اغتسل، وتطيب، وسَرَّحَ لحيته، وجلس على منصَّة، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ، ومن أعزَّ دين الله أعزَّه الله، ومن نَصر دين الله نصره الله، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾(الحج: ٤٠)، ومن ذلك قوة حجته في نصر السُّنَّة، وشدته على أهل الأهواء والبدعة، ومن ذلك احتياطه في الرواية؛ نصرة للشريعة، فلا يروى إلا عن ثقة، ولا يروى إلا عمن عرف بالرواية، وأنه من أهل الحديث، وهو الذي قال: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السَّفَهَ، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل، إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.[1]

قال ابن أبي حاتم: كان مالك -رَحِمَهُ اللهُ- أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث، ولم يكن يروى إلا ما صح، ولا يحدث إلا عن ثقة، مع الفقه، والدين، والفضل، والنسك.[2]

بقي أن تعرف أن أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر.

وأصح الكتب المصنفة في زمانه «موطأ» مالك، كما أشار الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ- وذلك قبل تصنيف «الصحيحين»، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يغفر لنا وله، ويدخلنا وإياه جنة عالية قطوفها دانية.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ابن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خُثَيْل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح الأصبحي الحميري، أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة، وعدادهم في بني تيم بن مرة من قريش، حلفاء عثمان ابن عُبيد الله التيمي، أخي طلحة بن عبيد الله.[3]

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٧، ٦٨). (٢) الثقات، لابن أبي حاتم (٧/ ٤٥٩).
(٣) تهذيب الكمال (٢٧/ ٩٣).

مَولِدُهُ: قال الذهبي: مـولد الإمام مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسـعين، عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ ونشأ في صيانة ورفاهية، وتجمل.(١)

صِفَتُهُ: عن مطرف بن عبد الله قال: كان مالك بن أنس طويلاً، عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، شديد البياض إلى الشقرة.(٢)

وعن عيـسى بن عمر المدني قـال: ما رأيت بيـاضًا قط، ولا حمـرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب من مالك.(٣)

وعن عبد الرحـمن بن مهدي قال: ما رأيت أهيب من مـالك، ولا أتم عقلاً، ولا أشد تقوى.(٤)

٢ – ابْتِدَاءُ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ وثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال الذهـبي: وطلب مالك العلم، وهو ابن بضع عـشرة سنة، وتـأهل للفتـيا وجلس للإفـادة وله إحدى وعشـرون سنة، وحدَّث عنه جـماعـة وهو حي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخـر دولة أبي جـعفر المنصور، وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات.(٥)

عن عبد الله بـن المبارك قال: ما رأيت رجلاً ارتفع مـثل مالك بن أنس ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.(٦)

قال عبـد الله بن أحمد: قلت لأبي: من أثبت أصحـاب الزهري؟ قال: مالك أثبت في كل شيء.(٧)

وقال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم.(٨)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٧٧)، وتاريخ الإسلام (١١/ ٣١٩).
(٣) تاريخ الإسلام (١١/ ٣١٩)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٦٢).
(٤) تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٧).
(٦) حلية الأولياء (٦/ ٣٣٠).
(٧) تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢٠).
(٨) حلية الأولياء (٦/ ٣١٨).

وعن ابن عيينة قال: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه.(١)

قال الذهبي: كان عالم المدينة فى زمانه بعد رسول الله ﷺ وصاحبه زيد بن ثابت، وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيب، ثم الزهرى، ثم عبيد الله بن عمر، ثم مالك.(١)

وقال كذلك: لم يكن بالمدينة عالم بعد التابعين يشبه مالكًا فى العلم، والفقه، والجلالة، والحفظ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل: سعيد بن المسيب، والفقهاء السبعة، والقاسم، وسالم، وعكرمة، ونافع، وطبقتهم، ثم زيد بن أسلم، وابن شهاب، وأبى الزناد، ويحيى بن سعيد، وصفوان بن سليم، وربيعة بن أبى عبد الرحمن، وطبقتهم، فلما تفانوا اشتهر ذكر مالك بها، وابن أبى ذئب، وعبد العزيز بن الماجشون، وفليح بن سليمان، والدراوردى، وأقرانهم، فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق، والذى تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق.(٢)

قال ابن مهدى: أئمة الناس فى زمانهم أربعة: الثورى، ومالك، والأوزاعى، وحماد بن زيد. وقال: ما رأيت أحدًا أعقل من مالك.(٣)

قال الواقدى: كان مالك يجلس فى منزله على ضجاع ونمارق، مطروحة يمنة ويسرة، فى سائر البيت لمن يأتى، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان مهيبًا نبيلاً، ليس فى مجلسه شىء من المراء واللغط، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث بعد الحديث، وربما أذن لبعضهم فقرأ عليه، وكان له كاتب يقال له: حبيب، قد نسخ كتبه ويقرأ للجماعة، فإذا أخطأ، فتح عليه مالك، وكان ذلك قليلاً.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٨)، وقد اشتهر في تراجم الإمام مالك، ما رواه أبو هريرة، يبلغ به النبي ﷺ «ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة»، والحديث رواه أحمد والترمذي، والحاكم والبيهقي، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم، والبيهقي وأعله الإمام أحمد بالوقف، وفيه أيضاً عنعنة ابن جريج، وأبي الزبير، ثم القطع بأن المقصود به الإمام مالك لا يمكن القطع به، وقد قال بعضهم سعيد بن المسيب، ورجح بعضهم بأنه العمري.

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٦). (٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٩).

عن بَقِيَّةَ قال: ما بقى على وجه الأرض أعلمُ بسنة ماضية منك يا مالك.[١]

٣ – عِزَّةُ نَفْسِهِ وَتَوْقِيرِهِ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ

عن ابن أبى أويس قال: كان مالك إذا أراد أن يحدث، توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرَّح لحيته، وتمكن فى الجلوس بوقار وهيبة، ثم حدث. فقيل له فى ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث النبى ﷺ، ولا أحَدِّثُ به إلا على طهارة، متمكنًا، وكان يكره أن يحدث فى الطريق، وهو قائم، أو مستعجل، فقال: أحب أن يُفهم ما أُحَدِّث به عن رسول الله ﷺ.[٢]

وعن معن بن عيسى قال: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث، اغتسل، وتبخر، وتطيب، فإذا رفع أحدٌ صوته فى مجلسه، زجره، قال: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ.[٣]

وعن عمر بن المحبر الرعينى قال: قدم المهدى المدينة، فبعث إلى مالك فأتاه، فقال لهارون وموسى: اسمعا منه. فبعثا إليه فلم يجبهما، فأعلما المهدى فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين، العلم يُؤْتَى أهله. فقال: صدق مالك، صيرا إليه، فلما صارا إليه قال له مؤدبهما: اقرأ علينا. قال: إن أهل المدينة يقرءون على العالِم، كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإن أخطئوا أفتاهم، فرجعوا إلى المهدى، فبعث إلى مالك فكلمه، فقال: سمعت ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم فى الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين، سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، ونافع، وعبد الرحمن بن هرمز، ومن بعدهم أبو الزناد، وربيعة، ويحيى بن سعيد، وابن شهاب.

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٤).

(٢) صفة الصفوة (٢/١٧٨)، وحلية الأولياء (٦/ ٣٨٨).

(٣) تهذيب الكمال (١١/ ١١١).

وكل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرءون. فقال: فى هؤلاء قدوة؛ صيروا إليه فاقرءوا عليه، ففعلوا.[1]

وعن ابن القاسم قال: قيل لمالك: لِمَ لمْ تأخذ عن عـمرو بن دينار؟ قال: أتيته فوجدته يأخذون عنه قيامًا، فأجللت حديث رسول الله ﷺ أن آخذه قائمًا.[2]

٤ - احْتِيَاطُهُ فِي الرِّوَايَةِ وَتَحَرِّيهِ في نَقْدِ الرِّجَالِ

عن منصور بن سلمة الخـزاعى قال: كنت عند مالك فقـال له رجل: يا أبا عبد الله، أقمت على بابك سبعين يومًا، وقد كتبت ستين حديثًا.

فقال: ستون حديثا، وكأنه يستكثره.

فقال له الرجل: إنما ربما كـتبنا بالكوفة فى المجلس ستين حديـثاً. قال: وكيف بالعراق دار الضرب، يُضرب بالليل، وينفق بالنهار.[3]

وعن محمد بن إسحاق الثقفى السراج قال: سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن أصح الأسانيد، فقال: مالك عن نافع عن ابن عمر.[4]

وعن سفيان بن عيينة قال: ما كـان أشد انتقاد مالك للرجال، وأعلمه بشأنهم.[5]

قال الذهبى: وقد كان مالك إمامًا فى نقد الرجال، حافظًا، مجودًا، متقنًا.[6]

قال بشر بن عمر الزَّهرانى: سألت مالكًا عن رجل، فقال: هل رأيته فى كتبى؟ قلت: لا. قال: لو كان ثقة، لرأيته فى كتبى.[7]

قال الذهبى: فهذا القـول يعطيك بأنه لا يروى إلا عمن هو عنده ثقة، ولا يلزم من ذلك أن يروى عن كل الثـقات، ثم لا يلزم مما قـال أن كل من روى عنه وهو

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٣، ٦٤). (٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٧).
(٣) تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤).
(٤) تهذيب الكمال (٢٧/ ١١٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤).
(٥) تهذيب الكمال (٢٧/ ١١١). (٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧١).
(٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٢).

عنده ثقة، أن يكون ثقة عند باقى الحفاظ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره، إلا أنه بكل حال كثير التحرى فى نقد الرجال.(١)

وعن عثمان بن كنانة عن مالك قال: ربما جلس إلينا الشيخ فيحدث جل نهاره، ما نأخذ عنه حديثًا واحدًا، وما بنا أن نتهمه، ولكن لم يكن من أهل الحديث.(١)

وعن ابن عيينة قال: ما نحن عند مالك، إنما كنا نتبع آثار مالك، وننظر الشيخ إن كان كتب عنه مالك، كتبنا عنه.(٢)

وعنه قال: كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً، ولم يحدث إلا عن ثقة، ما أرى المدينة إلا ستخرج بعد موته -يعنى: من العلم.(٢)

قال الشافعى: قال محمد بن الحسن: أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسرًا، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلأ منزله، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين لم يجئه إلا اليسير.(٣)

وعن محمد بن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعى -رضى الله تعالى عنه- يقول: إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يديك به.(٤)

وعنه عن الشافعى قال: كان مالك إذا شك فى الحديث طرحه كله.(٥)

وعن حبيب بن زريق قال: قلت لمالك بن أنس لِمَ لم تكتب عن صالح مولى التوأمة، وحزام بن عثمان، وعمر مولى غفرة؟ قال: أدركت عن سبعين تابعياً فى هذا المسجد، ما أخذت العلم إلا عن الثقات المأمونين.(٦)

٥ – تَوَرُّعُهُ عَنِ الْفَتْوَى

عن مالك قال: جُنَّةُ العالم: «لا أدرى» فإن أغفلها أصيبت مَقَاتله.(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٢).   (٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٥).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٣٢٢)، والأولى الاقتصار على الصحابة ﷺ في الترضى والترحم على العلماء.
(٥) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٢).   (٦) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣).
(٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٧).

وعن الهيثم بن جميل قال: سمعت مالكاً سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنين وثلاثين منها بـ «لا أدرى». [1]

وعن خالد بن خداش قال: قدمت على مالك بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل. [1]

وعن مالك أنه سمع عبد الله بن يزيد بن هُرْمز يقول: ينبغى للعالم أن يُورِث جلساءه قول: «لا أدرى» حتى يكون ذلك أصلاً يفزعون إليه. [1]

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: رأيت رجلا جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله، إنى أريد الخروج قال: فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه، وقال: ما شاء الله، يا هذا، إنى إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير. [2]

وعنه قال: سأل رجل مالكاً عن مسألة فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: أنى ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها. فقال له مالك: إذا رجعت إلى مكانك وموضعك، فأخبرهم أنى قد قلت لك: إنى لا أحسنها. [2]

وعن سعيد بن سليمان قال: قلما سمعت مالكًا يفتى بشيء، إلا تلا هذه الآية: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية: ٣٢). [2]

وعن عمرو بن يزيد -شيخ من أهل مصر- صديق لمالك بن أنس قال: قلت لمالك: يا أبا عبد الله، يأتيك ناس من بلدان شتى، قد أنضوا مطاياهم، وأنفقوا نفقاتهم، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم، تقول: لا أدرى؟! فقال: يا عبد الله، يأتينى الشامى من شامه، والعراقى من عراقه، والمصرى من مصره، فيسألوننى عن الشيء، لعلى أن يبدو لى فيه غير ما أجيب به، فأين أجدهم؟ قال عمرو: فأخبرت الليث بن سعد بقول مالك. [3]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٧). (٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٤).

٦ - نُصْرَتُهُ للسُّنَّةِ وَشِدَّتُهُ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ

عن مطرف بن عبد الله قال: سمعت مَالكًا يقول: سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر فى شىء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.(١)

وعن يحيى بن خلف الطرطوسى -وكان من ثقات المسلمين- قال: كنت عند مالك، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق، اقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله، إنما أحكى كلامًا سمعته. قال: إنما سمعته منك، وعَظَّم هذا القول.(٢)

وحدث أبو ثور عن الشافعى قال: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إنى على بينة من دينى، وأما أنت فشاكٌ اذهب إلى شاك مثلك، فخاصمه.(٣)

وقال القاضى عياض: قال أبو طالب المكى: كان مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشد نقدًا للعراقيين، ثم قال القاضى عياض: قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكًا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥) كيف استوى؟ فسكت مالك حتى علاه الرُّحَضاء، ثم قال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإنى لأظنك ضالاً، أخرجوه. فناداه الرجل: يا أبا عبد الله، والله، لقد سألت عنها أهل البصرة، والكوفة، والعراق فلم أجد أحدًا وُفِّقَ لما وُفِّقْتَ له.(٤)

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٩٨).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٩٩).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٩٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٧).

عن سعيد بن عبد الجبار قال: سمعت مالكاً يقول: رأيي فيهم: أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا -يعني: القدرية. [1]

وعن عثمان بن صالح وأحمد بن سعيد الدارمي قالا: حدثنا عثمان قال: جاء رجل إلى مالك وسأله عن مسألة، فقال له: قال رسول الله ﷺ كذا. فقال الرجل: أرأيت؟! قال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣). [2]

وعن أبي حفص قال: سمعت مالك بن أنس قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣)، قوم يقولون إلى ثوابه، قال مالك: كذبوا، فأين هم عن قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥). [2]

وكان يقول: لست أرى لأحد يسب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء سهمًا. [3]

وعن عبد الله بن عمر بن الرَّمَّاح قال: دخلت على مالك فقلت: يا أبا عبد الله، ما في الصلاة من فريضة؟ وما فيها من سنة؟ أو قال نافلة. فقال مالك: كلام الزنادقة! أخرجوه. [4]

٧- مِحْنَتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال محمد بن جرير: كان مالك قد ضرب بالسياط، واختلف في سبب ذلك، فحدثني العباس بن الوليد حدثنا ابن ذكوان عن مروان الطَّاطري: أن أبا جعفر نهى مالكًا عن الحديث: «**لَيْسَ عَلَى مُسْتَكْرَهٍ طَلاقٌ**»، ثم دس إليه من يسأله على رؤوس الناس، فضربه بالسياط. [5]

وعن الفضل بن زياد القطان قال: سألت أحمد بن حنبل: مَن ضرب مالك بن أنس؟ قال: ضربه بعض الولاة، لا أدري من هو، إنما ضربه في طلاق المكره، كان لا يجيزه، فضربه لذلك. [6]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٦).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٤، ٣٢٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٩، ٨٠).
(٦) حلية الأولياء (٦/ ٣١٦).

وعن أبى بكر ابن محمد بن أحمد بن راشد قال: سمعت أبا داود يقول: ضرب جعفر بن سليمان مالك بن أنس فى طلاق المكره، وحكى له بعض أصحاب ابن وهب: أن مالكًا بن أنس لما ضُرب حُلق، وحُمل على بعير، فقيل له: ناد على نفسك، قال: فقال: ألا من عرفنى، فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى، فأنا مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى، وأنا أقول: طلاق المكره ليس بشىء. قال: بلغ جعفر بن سليمان أنه ينادى على نفسه بذلك، فقال: أدركوه، أنزلوه.(١)

وروى ابن سعد عن الواقدى قال: لما دُعى مالك وَشُورَ، وسُمع منه، وقبل قوله، حُسد وبغوه بكل شىء، فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشىء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت ابن الأحنف فى طلاق المكره أنه لا يجوز عنده، قال: فغضب جعفر، فدعا بمالك، فاحتج عليه بما رفع إليه عنه، فأمر بتجريده وضربه بالسياط، وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه، وارتُكب منه أمر عظيم، فوالله، ما زال مالك بَعد فى رفعة وعُلُو.(٢)

قال الذهبى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: هذا ثمرة المحنة المحمودة، أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حال هى بما كسبت أيدينا، ويعفو عن كثير، «**وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**».(٣) وقال النبى ﷺ: «**كُلُّ قَضَاءِ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ لَهُ**».(٤) وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (محمد: ٣١)، وأنزل تعالى فى وقعة أحد قوله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٥)، وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠). فالمؤمن إذا امتُحن، صَبر واتعظ واستَغفر، ولم يتشاغَل بذم من انتقم منه، فالله حكم مقسط، ثم يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخيرٌ له.(٥)

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣١٦). (٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٨٠، ٨١).

(٣) رواه البخاري (١٠/ ١٠٣) المرضى، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤١)، العين.

(٤) رواه مسلم (١٨/ ١٢٥) الزهد، وأحمد (٦/ ١٦)، والدارمى (٢/ ٣١٨)، الرقاق، وانظر: طرق الحديث في «الصحيحة» رقم (١٤٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٨١).

٨- مِنْ أَقْوَالِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن ابن وهب أنه سمع مالكاً يقول: إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه، ذهب بهاؤه.[١]

وعن حرملة عن ابن وهب: سمعت مالكًا، وقال له رجل: طلب العلم فريضة؟ قال: طلب العلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله تعالى.

وقال: لا يكون إمامًا من حدث بكل ما سمع.

وقال: إن حقاً على طالب العلم أن يكون له وقار، وسكينة، وخشية، وأن يكون متبعًا لأثر من مضى قبله.[١]

وقال الفروى: سمعت مالكًا يقول: إذا لم يكن للإنسان فى نفسه خير، لم يكن للناس فيه خير.[٢]

وعن ابن وهب عن مالك قال: بلغنى أنه ما زهد أحد فى الدنيا واتقى، إلا نطق بالحكمة.[٣]

قال الذهبى: قال الحافظ ابن عبد البر فى «التمهيد»: هذا كتبته من حفظى، وغاب عنى أصلى، إن عبد الله العمرى العابد كتب إلى مالك يحضُّه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك: إنَّ الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رجل فتح له فى الصلاة، ولم يفتح له فى الصوم، وآخر فتح له فى الصدقة، ولم يفتح له فى الصوم، وآخر فتح له فى الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لى فيه. وما أظن ما أنا فيه، بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.[٤]

وعن خالد بن نزار قال: سمعت مالك بن أنس يقول لفتى من قريش: يا بن أخى، تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم.

---

(١) تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢٨).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٢١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤).

٩- شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

قال النووى: قال الإمام أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولقى فى كتابه «الرسالة المصنفة فى بيان سبل السنة المشرفة»: أخذ مالك عن تسعمائة شيخ، منهم ثلاثمائة من التابعين، وستمائة من تابعيهم، ممن اختاره، وارتضى دينه، وفقهه، وقيامه بحق الرواية، وشروطها، وخلصت الثقة به، وترك الرواية عن أهل دين وصلاح، لا يعرفون الرواية.(١)

قال الذهبى: وأول طلبه للعلم فى حدود سنة عشرين ومئة، وفيها توفى الحسن البصرى، فأخذ عن نافع ولازمه، وعن سعيد المقبرى، ونعيم المجمر، ووهب بن كيسان، والزهرى، وابن المنكدر، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن دينار، وزيد بن أسلم، وصفوان بن سليم، وإسحاق بن أبى طلحة، ومحمد بن يحيى بن حبان، ويحيى بن سعيد، وأيوب السختيانى، وأبى الزناد، وربيعة بن أبى عبد الرحمن، وخلق سواهم من علماء المدينة؟ فَقَلَّ ما روى عن غير أهل بلده.

وروى عنه من شيوخه: الزهرى، وربيعة، ويحيى بن سعيد، وغيرهم، ومن أقرانه: الأوزاعى، والثورى، والليث، وخلق، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ومحمد بن الحسن، وابن وهب، ومعن بن عيسى، والشافعى، وعبد الرحمن بن مهدى، وأبو مسهر، وأبو عاصم، وعبد الله بن يوسف التنيسى، والقعنبى، وسعيد بن منصور، ويحيى بن يحيى، ويحيى بن يحيى القرطبى، ويحيى بن بكير، والنُّفيلى، ومصعب الزبيدى، وأبو مصعب الزهرى، وقتيبة بن سعيد، وهشام بن عمار، وسويد بن سعيد، وعتبة بن عبد الله المروزى، وإسماعيل ابن موسى السدى، وخلائق آخرهم: أحمد بن إسماعيل السهمى.(٢)

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٧٨، ٧٩).

(٢) تاريخ الإسلام (١١/٣١٨، ٣١٩).

١٠ - «مُوَطَّأُ» الإِمَامِ مَالِكٍ وَمَكَانَتُهُ

قال القاضى أبو بكر بن العربى: «الموطأ» هَو الأصل الأول واللباب، وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب، وعليهما بنى الجميع، كمسلم والترمذى.

وقد صنف الإمام مالك «الموطا» وتوخى فيه القوى من أحاديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وقد وضع مالك «الموطأ» على نحو عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه، فى كل سنة، ويُسقط منه حتى بقى هذا.

وقد أخرج ابن عبد البر عن عمر بن عبد الواحد صاحب الأوزاعى، قال: عرضنا على مالك «الموطأ» فى أربعين يوماً، فقال: كتاب ألفته فى أربعين سنة، أخذتموه فى أربعين يومًا، ما أقل ما تفقهون فيه!

وقال مالك: عرضت كتابى هذا على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، فكلهم واطأنى عليه فسميته: «الموطأ».

وقال الجلال السيوطى: وما من مرسل فى «الموطأ» إلا وله عاضد أو عواضد، فالصواب أن «الموطأ» صحيح كله، لا يستثنى منه شىء. اهـ.

وقد صنف ابن عبد البر كتابًا فى وصل ما فى «الموطأ» من المرسل والمنقطع والمعضل، قال: ما فيه من قوله: «بلغنى»، ومن قوله: «عن الثقة» عنده ما لم يسنده، أحد وستون حديثًا، كلها مسندة من غير طريق مالك، إلا أربعة لا تُعرف.

قال الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى فى كتابه «دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك» عند قوله:

وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ مُتْقِنِى السُّنَنْ ... مَنْ حَازَ فِى كُلِّ الْعُلُومِ خَيْرَ فَنْ

عَزَا إِلَى نجْلِ الصَّلاح انْ وَصَلْ ... أَرْبَعَةَ الأَخْبَارِ فَالْكُلُّ اتَّصَلْ

فقد وصل ابن الصلاح الأربعة فى تأليف مستقل.

قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى:

والعجب من ابن الصلاح -رَحِمَهُ اللَّه- كيف يطلع على اتصال جميع أحاديث «الموطأ»، حتى إنه وصل الأربعة التى اعترضت ابن عبد البر بعدم الوقوف على طرق اتصالها، ومع هذا لم يزل مقدمًا للصحيحين عليه فى الصحة، مع أن «الموطآ» هو أصلها، وقد انتهجا منهجه فى سائر صنيعه، وأخرجا أحاديثه من طريقه.

وغاية أمرهما أن ما فيهما من الأحاديث أزيد مما فيه.

قال أحمد شاكر-رحِمَهُ اللَه-:

ولكنه لم يذكر الأسانيد التى قال الفلانى: إن ابن الصلاح وصل بها هذه الأحاديث، فلا يستطيع أهل العلم بالحديث أن يحكموا باتصالها، إلا إذا وجدت أسانيدها وفحصت! حتى يتبين إن كانت متصلة أو لا، وصحيحة أو لا. (١)

١١ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال القعنبى: سمعتهم يقولون: عُمِّرَ مالكَ تسعاً وثمانين سنة، ومات سنة تسع وسبعين ومئة.

وقال إسماعيل بن أبى أويس: مرض مالك، فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت: قالوا: تشهد، ثم قال: ﴿لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ﴾ (الروم: ٤).

وتوفى صبيحة أربع عشرة من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة، فصلى عليه الأمير عبدالله بن محمد بن إبراهيم.

---

(١) باختصار من مقدمة الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، **لموطأ الإمام مالك (١/د، هـ)**، ط. عيسى البابي الحلبي.

وغسله ابن أبى زنبر، وابن كنانة، وابنه يحيى، وكاتبه حبيب يصبان عليه الماء، ونزل فى قبره جماعة، وأوصى أن يكفن فى ثياب بيض، وأن يصلى عليه فى موضع الجنائز، فصلى عليه الأمير المذكور، قال: وكان نائبًا لأبيه محمد على المدينة، ثم مشى أمام جنازته، وحمل نعشه، وبلغ كفنه خمسة دنانير.

ويقال: إنه فى الليلة التى مات فيها رأى رجلٌ من الأنصار قائلاً ينشد:

لَقَدْ أَصْبَحَ الإِسْلامُ زَعْزَعَ رُكْنُهُ ... غَدَاةَ ثَوَى الْهَادِى لَدَى مُلْحِدِ الْقَبْرِ

إِمَامُ الْهُدَى مَا زَالَ لِلْعِلْمِ صَائِنًا ... عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ فِى آخِرِ الدَّهْرِ

قال ابن القاسم: مات مالك عن مئة عَمَامَةٍ، فضلاً عن سواها.

وقال ابن أبى أويس: بيع ما فى منزل خالى من بسط، ومنصات، ومخاد، وغير ذلك بما ينيِّف على خمسمائة دينار.(1)

(١) باختصار من سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٠-١٣٣).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٢١)

الإمام المبارك عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَك

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ ومَوْطِنهُ –رَحِمَهُ اللَّهُ–

اسْمُهُ: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزى، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء فى وقته.

عن العباس بن مصعب قال: كانت أم عبد الله بن المبارك خوارزمية وأبوه تركياً، وكان عبدًا لرجلٍ من التجار من همذان من بنى حنظلة[١].

عن الحسن قال: كانت أم ابن المبارك تركية، وكان الشبه لهم بَيِّنًا فيه، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعر[٢].

مَوْلِدُهُ: قال أحمد بن حنبل: ولد ابن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة.

وقال خليفة: وفيها ـ يعنى ثمان عشرة ومائة ـ ولد عبد الله بن المبارك.

وقال بشر بن أبى الأزهر: قال ابن المبارك ذاكرنى عبد الله بن إدريس السنَّ فقال: ابن كم أنت؟ فقال: إن العجم لا يكادون يحفظون ذلك، ولكنى أذكر أنى لبست السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم. قال: فقال لى: قد ابتليت بلبس السواد. قلت: إنى كنت أصغر من ذلك، كان أبو مسلم أخذ الناس كلهم بلبس السواد الصغار والكبار[٣].

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٣) للخطيب البغدادى.

(٢) صفة الصفوة (٤/ ١٣٤) مكتبة التوعية الإسلامية.

(٣) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٠٥) لابن عساكر.

وكان أبو مسلم فى بداية الدولة العباسية قد ألزم الرعية كبارًا وصغارًا بلبس السواد، وكان ذلك شعارهم إلى آخر أيامهم.

مَوْطِنُهُ: مرو، وهى من مدن خراسان.

عن عبد العزيز بن أبى رزمة قال: قال لى شعبة: من أين أنت؟ قال: قلت: من أهل مرو. قال: تعرف عبد الله بن المبارك؟ قال: قلت: نعم. قال: ما قدم علينا مثله.

وفى رواية: ما قدم علينا من ناحيتكم مثله[1].

وعن أحمد بن سنان قال: بلغنى أن ابن المبارك أتى حماد بن زيد فى أوَّل الأمر قال له: من أين أنت؟ قال: من أهل خراسان. قال: من أى خراسان؟ قال: من مرو. قال: تعرف رجلاً يقال له عبد الله بن المبارك. قال: نعم. قال: ما فعل؟ قال: هو الذى يخاطبك. قال: فسلم عليه، ورحَّبَ به، وحَسُنَ الذى بينهم.[2]

٢ - اجْتِمَاعُ خِصَالِ الْخَيْرِ فِيه

عن الحسن بن عيسى قال: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل ابن موسى، ومخلد بن حسين، ومحمد بن النضر فقالوا: تعالوا حتى نَعُدَّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العِلْمَ، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحةَ، والزهد، والورع، والإنصاف، وقيام الليل والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والشدة فى بدنه، وترك الكلام فى ما لا يعنيه، وقلة الخلاف على أصحابه، وكان كثيرًا ما يتمثل:

وإذا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ صَاحِبًا ... ذَا حَيَاء وَعَفَافٍ وَكَرَم

قَوْلُهُ لِلشَّيء لا إن قُلْتَ لا ... وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ قَالَ نَعَمْ[3]

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٢٠). (٢) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٢٤).

(٣) تهذيب الكمال (١٦/ ١٨) للحافظ المزى بتحقيق د. بشار عواد معروف ط. الرسالة، وانظر أيضاً «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٧) للذهبى ط. الرسالة، و«تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٣٥) لابن عساكر.

وقال ابن حبان: كان فيه خصال الخير مجتمعة، ولم تجتمع فى أحدٍ من أهل العلم فى زمانه فى الدنيا كلها.(١)

وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلاَّ وقد جعلها فى عبد الله بن المبارك، ولقد حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم.(٢)

وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدى قال: ما رأيت مثل ابن المبارك. قال: فقال له يحيى بن سعيد القطان: ولا سفيان ولا شعبة؟ قال: ولا سفيان ولا شعبة، كان ابن المبارك فقيهًا فى علمه، حافظًا، زاهدًا، عابدًا، غنيًا، حَجَّاجًا، غَزَّاءً، نحويًا، شاعرًا، ما رأيت مثله.(٣)

وعن عبد العزيز بن أبى رِزْمة قال: لم تكن خصلة من خصال الخير إلا جمعت فى عبد الله بن المبارك؛ حياء، وتكرم، وحسن خلق، وحسن صحبة، وحسن مجالسة، والزهد، والورع، وكل شىء.(٤)

وقال النسائى: لا نعلم فى عصر ابن المبارك أجلَّ من ابن المبارك، ولا أعلى منه، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه.(٥)

وقال الحافظ: ثقة، ثبت، فقيه، عالم، جواد، مجاهد، جمعت فيه خصال الخير.(٦)

٣ – طلبه للعلم

قال أحمد بن حنبل -رحمه الله-: لم يكن فى زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام، والبصرة، والكوفة، وكان من رواة العلم وأهل ذلك، كتب عن الصغار والكبار، كتب عن عبد الرحمن بن مهدى،

(١) «الثقات» (٧/ ٧) لابن حبان.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٤٤) و«تاريخ بغداد» (١٠/ ١٥٧) للخطيب البغدادى، و«تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٣٢)، «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢٠).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٢٧) لابن عساكر.

(٤) السابق (٣٨/ ٣٣٥).

(٥) «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٨٦، ٣٨٧).

(٦) «تهذيب التهذيب» (٣٢٠).

وعن الفزارى، وجمع أمرًا عظيمًا ما كان أحدٌ أقل سقطاً من ابن المبارك، كان رجلاً يحدث من كتاب، ومن حدث من كتاب لا يكاد يكون له سقط،وكان وكيع يحدث من حفظه، ولم يكن ينظر فى كتاب، فكان يكون له سقط، كم يكون حفظ الرجل؟!(1)

سأل أبو خراش بالمَصيصة عبد الله بن المبارك يا أبا عبد الرحمن إلى متى تطلب العلم؟ قال: لعل الكلمة التى فيها نجاتى لم أسمعها بعد.(2)

عن محمد بن النضر بن مُساور قال: قال أبى: قلت لعبد الله -يعنى ابن المبارك-: يا أبا عبد الرحمن هل تحفظ الحديث؟ قال: فتغير لونه. وقال: ما تحفظت حديثًا قط إنما آخذ الكتاب، فأنظر فيه فما أشتهيه علق بقلبى.(3)

وعن الحسين بن عيسى قال: أخبرنى صخر ـ صديق ابن المبارك ـ قال: كنا غلمانًا فى الكُتَّاب فمررت أنا وابن المبارك، ورجل يخطب خطبة طويلة فلما فرغ قال لى ابن المبارك: قد حفظتها، فسمعه رجل من القوم فقال: هاتها فأعادها عليهم ابن المبارك وقد حفظها.(4)

وعن نعيم بن حماد قال: سمعت عبد الله بن المبارك قال: قال لى أبى: لئن وجدت كتبك لأحرقنها. قال: فقلت له: وما عَلَيَّ من ذلك، وهى فى صدرى.(5)

قال شقيق بن إبراهيم: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين. قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر فى علمى فأدرك آثارهم، وأعمالهم، ما أصنع معكم أنتم تغتابون الناس.(6)

---

(1) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣١١).

(2) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣١٢)، و«صفة الصفوة» (٤/ ١٣٨).

(3) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٢).

(4) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٥، ١٦٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٣).

(5) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٣) وفيه (وهى فى صدرى) ولعل ما فى «تاريخ بغداد» خطأ مطبعى.

(6) «صفة الصفوة» (٤/ ١٣٧).

وروى نعيم بن حماد قال: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس فى بيته فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبى ﷺ.[1]

٤ – عِبَادَتُهُ وَخَشْيَتُهُ

قال محمد بن الوزير ـ وصىّ ابن المبارك ـ: كنت مع عبد الله فى المحمَل[2] فانتهينا إلى موضع بالليل، وكان ثَمَّ خوفٌ قال: فنزلَ ابن المبارك وركب دابته حتى جاوزنا الموضع، فانتهينا إلى نهر فنزل عن دابته، وأخذت أنا مقوده، واضطجعت، فجعل يتوضأ ويصلى حتى طلع الفجر، وأنا أنظر إليه، فلما طلع الفجر نادانى. قال: قم فتوضأ. قال: قلت: إنى على وضوء فركبه الحزن حيث علمتُ أنا بقيامه، فلم يكلمنى حتى انتصف النهار وبلغت المنزل معه.[3]

وعن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرًا ما كان يخطر ببالى فأقول فى نفسى: بأى شىء فُضِّلَ هذا الرجل علينا حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة، إن كان يصلى إنَّا لنصلى، ولئن كان يصوم إنَّا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج.

قال: فكنا فى بعض مسيرنا فى طريق الشام ليلة نتعشى فى بيت إذ طُفِئ السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت بالدموع، فقلت فى نفسى: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة.

قال المروزى: وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال: ما رفع الله ابن المبارك إلا لغيبة كانت له.[4]

قال الخليل أبو محمد: كان ابن المبارك إذا خرج إلى مكة يقول:

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ١٣٦).

(٢) المحمل: الذى يركب عليه. قال ابن سيده: المحمل شقان على البعير يحمل فيهما العديلان.

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٤٠).

(٤) «صفة الصفوة» (٤/ ١٤٥، ١٤٦) وقوله: «غيبة» أى شىء مغيب من خصال الخير لا نعرفه.

بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوْفُ الله أَخْرَجَني وَبَيْعُ نَفْسي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا

إنِّي وَزَنْتُ الذى يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلاَ وَالله مَا اتَّزَنَا[(١)]

وقال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق كأنه ثور منحور أو بقرة منحورة من البكاء، لا يجترئ أحدٌ منَّا أن يدنو منه، أو يسأله عن شيء إلا دفعه.[(٢)]

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن الأشعث: مرض ابن المبارك مرضةً فجزع حتى رأوه جزِعًا، فقيل له: إنه ليس بك كل ذلك، وأنت تجزع هذا الجزع. قال: مرضت وأنا بحال لا أرضاه.

قال أبو إسحاق: وقال الفضيل يومًا، وذكر عبد الله فقال: أما إنى أحبه لأنه يخشى الله.

قال أبو إسحاق: قيل لابن المبارك رجلان أحدهما أخوف، والآخر قُتِلَ فى سبيل الله. فقال: أحبهما إلَيَّ أخوفهما.[(٣)]

قال أبو خزيمة العابد: دخلت على عبد الله، وهو مريض فجعل يتقلب على فراشه من الغَمِّ فقلت له: يا أبا عبد الرحمن ما هذا؟! فاصبر. قال: من يصبر فى أخذ الله ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ (هود:١٠٢).[(٤)]

قال أبو روح قال ابن المبارك: إن البُصَرَاء لا يأمنون من أربع خصال: ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الرب فيه، وعمر قد بقى لا يدرى ماذا فيه من المهلكات، وفضل قد أعطى لعله مكرٌ واستدراجٌ، وضلالة قد زينت له فيراها هدى، ومن زيغ القلب ساعة ساعة أسرع من طرفة عين، قد يسلب دينه، وهو لا يشعر.[(٥)]

وعن عبد الله بن عاصم الهروى أن شيخًا دخل على عبد الله بن المبارك فرآه على وسادة خَشِنة مرتفعة قال: فأردت أن أقول له فرأيت به من الخشية حتى

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٦). (٢) السابق (١٠/ ١٦٧)، وتاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٣).
(٣) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٣). (٤) السابق (٣٨/ ٣٤٤).
(٥) السابق (٣٨/ ٣٤٤).

رحمـته، فإذا هو يقول: قـال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: ٣٠). قـال: لم يرض الله أن يَنظر إلى محـاسن المرأة فكيف بمن يزنى بهـا؟! وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١). فى الكيل والوزن، فكيف بمن يأخذ المال كله؟! وقـال الله تعالى: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢). ونحو هذا فكيف بمن يقتله؟! قال: فرحمته وما رأيته فيه، فلم أقل له شيئًا.[١]

٥ - زُهْـدُهُ وَوَرَعُـــهُ

وأصل الزهد هو خلو القلب من الدنيـا، وليس خلو اليد منهـا، فقـد كان ابن المبارك تاجـرًا، ولكنه كان ينوى بذلك أن يسـتعين بـالمال على مساعـدة الإخوان، والحج، والجهاد، وغير ذلك من المكرمات.

عن علىٍّ بن الفـضيل قال: سـمعـت أبى وهو يـقول لابن المبارك أنت تـأمرنا بالزهد، والتقلل، والبلغة، ونراك تأتى بالبضـائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام كيف ذلك؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علىٍّ إنما أفعل ذاك لأصون به وجهى، وأكرم به عرضى، وأسـتعـين به على طاعة ربى، لا أرى لله حـقًا إلا سـارعت إليـه حتى أقـوم به. فقـال له الفضيل: يا بن المبارك ما أحسن ذا إذا تم ذا.[٢]

وسوف يظهـر إن شاء الله فى باب أدبه وكرمـه كيف أنه كـان ينفق الأموال فى طاعة الكبـير المتعـال، بما يدل على خلو قلبه منهـا، وإنما المال كمـا قال السلف: وسائل للمكارم.

أما عن ورعه ـ رحمه الله ـ فقد قال الحسن: ورأيت فى منزل ابن المبارك حمامًا طَيَّارةً فـقال ابن المبارك: قـد كنا ننتفع بفراخ هذه الحـمام فليس ننتفع بهـا اليوم. قلت: ولم ذلك؟ قال: اخـتلطت بها حـمام غيـرها فتزاوجت بهـا فنحن نكره أن ننتفع بشىء من فراخها من أجل ذلك.[٣]

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٤). (٢) السابق (٣٨/ ٣٦١)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠).
(٣) «صفة الصفوة» (١٣٦).

وعن الحسن بن عرفة قال: قال لى ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام فذهبَ عَلَىَّ أن أرده إلى صاحبه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معى، فرجعت يا أبا علىّ (الحسن بن عرفة) إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه.(١)

وعن على بن الحسن بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: لأن أرد درهمًا من شبهة أحبُّ إلَىَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف.(٢)

وعن عياش بن عبد الله قال: قال عبد الله بن المبارك: لو أن رجلاً اتقى مائة شىء ولم يتق شيئًا واحدًا لم يكن من المتقين، ولو تورع عن مائة شىء ولم يتورع عن شىء واحد لم يكن ورعًا، ومن كان فيه خلَّةٌ من الجهل كان من الجاهلين، أما سمعت الله تعالى قال لنوح - عليه السلام - لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ (هود:٤٥). فقال الله تعالى: ﴿إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود:٤٦).(٣)

٦ - أَدَبُـهُ وَكَرَمُـهُ - رَحِمَهُ اللَّـهُ -

قال إسماعيل الخُطَبى بلغنى عن ابن المبارك أنه حضر عند حمَّاد بن زيد فقال أصحاب الحديث لحمَّاد: سل أبا عبد الرحمن يُحدثنا. فقال: يا أبا عبد الرحمن تحدثهم، فإنهم قد سألونى. قال: سبحان الله يا أبا إسماعيل أُحَدِّث وأنت حاضر؟ فقال: أقسمت عليك لتفعلنَّ. فقال: خذوا. حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد فما حدث بحرف إلا عن حماد.(٤)

وقال أبو العباس ابن مَسْرُوق: حدثنا ابن حميد قال: عطس رجل عند ابن المبارك فقال له ابن المبارك: أيش يقول الرجل إذا عطس؟ قال: الحمد لله. فقال له: يرحمك الله. قال فعجبنا كلنا من حسن أدبه.(٥)

(١) تاريخ دمشق (٣٨/ ٢٤٠). (٢) صفة الصفوة (١٣٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٥٥).
(٥) السابق (٨/ ٣٨٣)، وحلية الأولياء (٢/ ١٧٠)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٥٥).

وكان ـ رحمه الله ـ يحث على تعلم الأدب، ويبين للناس خطره.

قال أبو نعيم عبيد بن هشام سمعت ابن المبارك يقول لأصحاب الحديث: أنتم إلى قليل من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم.

وكان يقول: طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون.(١)

قال يحيى بن يحيى الأندلسى: كنا فى مجلس مالك فاستؤذن لابن المبارك فأذن فرأينا مالكًا تزحزح له فى مجلسه ثم أقعده بلصقه، ولم أره تزحزح لأحدٍ فى مجلسه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك فربما مر بشىء فيسأله مالك ما عندكم فى هذا؟ فكان عبد الله يجيبه بالخفاء ثم قام فخرج فأُعْجب مالك بأدبه ثم قال لنا: هذا ابن المبارك فقيه خراسان.(٢)

وكما كان ـ رحمه الله ـ كريم الخُلق، حسن السجايا، كان كذلك من أسخى الناس يدًا، وأكثرهم بذلاً وإنفاقًا، وقصصه فى ذلك كثيرة شهيرة، ولكن نشير إلى بعضها.

فمن ذلك ما رواه الخطيب بسنده عن حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك فيما يفرق المال فى البلدان، ولا يفعل فى أهل بلده قال: إنى أعرف مكان قوم لهم فضل، وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث، بحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع عليهم، وإن أعنَّاهم بَثُّوا العلم لأمة محمد ﷺ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.(٣)

عن على بن خَشْرَم قال: حدثنى سلمة بن سليمان قال جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضى دينًا عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل: كم الدين الذى سألته قضاءه؟ قال: سبع مائة درهم، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضًا قد فنى، فأجز له ما سبق به قلمى.(٤)

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٥٠).
(٢) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٧).
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٦).

وقال محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرِّقَّة فى خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرَّة فلم يره، فخرج فى النفير مستعجلاً، فلما رجع سأل عن الشاب فقيل له: محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم، ووزنَ له عشرة آلاف، وحَلَّفه ألا يخبر أحدًا ما عاش، فأخرج الرجل وسَرى ابن المبارك فلحقه الفتى على مرحلتين من الرِّقة. فقال له: يا فتى أين كنت؟ لم أرك. قال: يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بدين. قال: وكيف خلصت؟ قال جاء رجل فقضى دينى ولم أدر. قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله.[1]

وعن عمر بن حفص الصُّوفى بمنبج، قال: خرج ابن المبارك من بغداد يُريد المصيصة فصحبه الصوفية[2]. فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم، يا غلام هاتِ الطست، فألقى عليه منديلاً، ثم قال: يلقى كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، فجعل الرجل يلقى عشرة دراهم، والرجل يلقى عشرين، فأنفق عليهم إلى المصيصة، ثم قال: هذه بلاد نفير، فنقسم ما بقى فجعل يعطى الرجل عشرين دينارًا فيقول: يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهمًا فيقول: وما تنكر أن يبارك اللهُ للغازى فى نفقته.[3]

وقال محمد بن على بن شقيق عن أبيه: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها فى صندوق، ويقفل عليها، ثم يكترى لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، ولا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلواء، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٦، ٣٨٧)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٥٩)، وصفة الصفوة (٤/ ١٤٢).
(٢) المراد أهل الزهد والعبادة لا أصحاب المناهج المبتدعة والعقائد الباطلة كوحدة الوجود.
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٥)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٧، ١٥٨).

أن تشتـرى لهم من المدينة من طرفها، فيـقول: كذا. ثم يخرجـهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة، وقضوا حَجَّهُم من مكة قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من متـاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا فيشـترى لهم ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا صاروا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعـد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة، وكسـاهم، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه، ودفع إلى كلٍّ رجل منهم صُرَّتَه بعد أن كتب عليها اسمه.(١)

٧ - تَوَاضُعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَفِرَارُهُ مِنَ الشُّهْرَةِ

ومع أنه ـ رحمه الله ـ اجتمعت فيه خصال الخير، وجمع الفضائل فقد زينه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بالتواضع، وما تواضع أحدٌ لله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلا رفعه الله.

قال الحسن: وبينما هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك انتهى إلى حديث وفيه: قال عـبد الله: وبه نأخـذ. فقـال: من كتب هذا من قـولى؟ قلت: الكاتب الذى كتبه، فلم يزل يحكه بيده حتى درس، ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولى.(٢)

وفى هذا أدب حسن للـذين يزاحمون العلمـاء الأعلام بأقوالهـم ويُوَهِّمُونهم، وهم بعدُ لم يحصلوا القدر الواجب من العلوم الشرعية.

قال الحسن: وزوج النضر بن محمد ولده، فـدعا ابن المبارك، فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس، فأبى النضر أن يدعه، وحلف عليه حتى جلس.(٣)

وقال الحسن أيضًا: وكانت دار ابن المبارك بمرو كبـيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعًا فى خمسيـن ذراعًا، فكنت لا تحب أن ترى فى داره صاحب علم أو صاحب عبادة، أو رجلاً له مروءة وقدر بمرو إلا رأيتـه فى داره يجتمعون فى كل يوم حلَقًا يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه، فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل فى دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله، لا يكاد يخرج منه،

(١) «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢١)، و«تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٥٧، ٣٥٨).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٣٥). (٣) السابق (٤/ ١٣٦).

ولا يأتيه كثير أحد. فقلت له: يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش هاهنا مع الذى كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من الذى أراك تحبه، وأحببت ما هاهنا للذى أراك تكرهه لى، فكنت بمرو لا يكون أمرٌ إلا أتونى فيه، ولا مسألة إلا قالوا اسألوا ابن المبارك، وأنا هاهنا فى عافية من ذلك.

قال: وكنت مع ابن المبارك يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب، ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لى: ما العيش إلا هكذا. يعنى حيث لم نعرف ولم نوقر.(١)

٨ - جِهَادُهُ وَشَجَاعَتُهُ

ومع علمه وزهده وكرمه وعبادته، كان من مشهور سجاياه جهاده وشجاعته.

روى الخطيب بسنده عن عبدة بن سليمان - يعنى المروزى - قال: كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز فخرج إليه رجلٌ فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه فطارده ساعة، فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس فكنت فيمن ازدحم إليه فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته، فإذا هو عبد الله بن المبارك. فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنِّع علينا.(٢)

وعن عبد الله بن سنان قال: كنت مع ابنِ المبارك والمعتمر بن سليمان بطرسوس، فصاح الناس: النفيرَ النفيرَ، قال: فخرج ابن المبارك والمعتمر، وخرج الناس، فلما اصطف المسلمون والعدو، خرج رجل من الروم يطلب البراز فخرج إليه مسلم فشد العلج على المسلم فقتل المسلم حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة، فجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة لا يخرج إليه أحدٌ. قال: فالتفت إلىَّ ابن المبارك فقال: يا عبد الله إن حدث بى حدث الموت فافعل كذا، قال: وحرَّك دابته، وخرج

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٣٤، ١٣٥).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٧)، وصفة الصفوة (١٤٤).

العلج، فعـالج معه ساعـة فقتل العلج، وطلب المبارزة، فخرج إليـه علج آخر، فقـتله، حتى قـتل ستـة من العلوج مبارزة، وطـلب البراز، فكأنهم كـاعوا عنه، فضرب دابته، ونظر بين الصفـين، وغاب، فلم أشعر بشىء إذا أنا بابن المبارك فى الموضع الذى كان. فقـال لى: يا عبد الله لئن حدثت بهذا أحـدًا وأنا حى ـ فذكر كلمة ـ قال: فما حدثت به أحدًا، وهو حى.(١)

وكما اشتهر بالشجاعة، والمروءة، والمشاركـة فى الجهاد فقد كان يدعو إليه أيضًا بأقواله، وأشعاره.

عن محمـد بن إبراهيم بن أبى سكينة قال: أملى عَلَيَّ عبـد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعـته للخروج، وأنفذها معى إلى الفضـيل بن عياض ـ فى سنة سبعين ومائة ـ وفى حديث أبى الغنائم سنة سبع وسبعين.

يَا عَـابِدَ الحَـرَمَـيْنِ لَوْ أَبْصَـرْتَنَا ... لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِـبَـادَةِ تَلْعَبُ

مَن كَـانَ يَخْـضِبُ خَـدَّهُ بِدُمُـوعِـهِ ... فَنُحُـورُنَا بِدِمَـائِنَا تَتَـخَـضَّبُ

أَوْ كَـانَ يُتْـعِبُ خَـيْلَهُ فِي بَاطِلٍ ... فَـخُـيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِـيْحَـةِ تَتْـعَبُ

رِيحُ العَـبِـيْـرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَـبِـيْـرُنَا ... رَهَجُ السَّنَابِكِ(٢) وَالغُـبَـارُ الأَطْيَبُ

وَلَقَـدْ أَتَانَا مِن مَـقَـالِ نَبِـيِّنَا ... قَـوْلٌ صَـحِـيْحٌ صَـادِقٌ لاَ يُكَذَّبُ

لاَ يَسْـتَـوِي غُـبَـارُ خَـيْلِ الله فِي ... أَنْفِ امْـرِئٍ وَدُخَـانُ نَارٍ تَلَهَّبُ(٣)

هَذَا كِـتَـابُ الله يَنطِقُ بَيْنَنَا ... لَيْسَ الشَّـهِـيْـدُ بِمَـيِّتٍ لا يُكْذَبُ(٤)

---

(١) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٥٣، ٣٥٤): وقوله: كاعوا أي جبنوا.

(٢) قوله: (رهج السنابك) الرهج: الغبار، والسنابك: جمع سنبك وهو طرف حافر الخيل.

(٣) يشير إلى الحـديث الذي أخرجه أحمـد (٢/ ٢٥٦، ٣٤٢، ٣٤١) والنسائي (٦/ ١٢، ١٣)، والحاكم (٢/ ٧٢)، والبيهقي (٩/ ١٦١) من حـديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدًا..**» وصححه الألباني.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران: ١٦٩).

فلقيت الفضيل بن عياض فى المسجد الحرام بكتابه، فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم يا أبا على. قال: فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبى عبد الرحمن إلينا، وأملى عَلَىَّ الفضيل، أخبرنا منصور بن المعتمر عن أبى صالح عن أبى هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله علمنى عملاً أنال به ثواب المجاهدين فى سبيل الله. فقال له النبى ﷺ: **«هل تستطيع أن تصلى فلا تفتر وتصوم فلا تفطر»**. فقال: يا نبى الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك. ثم قال النبى ﷺ: **«فوالذى نفسى بيده لو طُوِّقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين فى سبيل الله، أما علمت أن فرس المجاهد لَيُسْتَنُّ فى طوله فتكتب بذلك حسناته»**.(١)

٩ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

ومن عاجل بشرى المؤمن ثناء الخلق ومحبة الخلق، قيل للنبى ﷺ: الرجل يعمل العمل يرجو به وجه الله فيحبه الخلق، وفى رواية: فيثنى عليه الخلق. فقال: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»**.(٢)

وقد نال عالمنا، وعالم الدنيا عبد الله بن المبارك أوفر الحظ من ذلك، وقد تقدم قول الفضيل: أما إنى أحبه لأنه يخشى الله.

وقال الذهبى: والله إنى لأحبه فى الله، وأرجو الخير بحبه لما منحه الله من التقوى، والعبادة، والإخلاص، والجهاد، وسعة العلم، والإتقان، والمواساة، والفتوة والصفات الحميدة.(٣)

ولاشك أن هذه المحبة رزق من الله -عزَّ وجلَّ-، والله -عَزَّ وجَلَّ-:

(الرعد:٢٦). وهى التى وعد بها عباده الذين آمنوا، وعملوا الصالحات

(١) رواه البخاري (٦/ ٤) الجهاد، ومسلم (١٣/ ٢٤، ٢٥) الإمارة.

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٨٩) البر والصلة، وفي رواية عند مسلم «ويحبه الناس».

(٣) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٧٥).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم:٩٦). وهى كذلك المقصودة بالحديث: «**إذا أَحَبَّ الله عبدًا نادى جبريل، قال: يا جبريل إنى أحبُّ فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى جبريل فى أهل السماء إنَّ الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القَبُولُ فى الأرض**».[١]

أما حظ الإمام من ثناء الخلق، فأوفر الحظ، وأطيبه، فلا يكاد يُذكر حتى يثنى عليه بأحسن الثناء، وهذا طرف من أقوال العلماء على سبيل الإشارة ليس الحصر.

عن شعيب بن حرب قال: ما لقى ابن المبارك رجلاً إلا وابن المبارك أفضل منه.[٢]

وقال المعتمر بن سليمان: ما رأيت مثل عبد الله بن المبارك، نُصِيبُ عنده الشىء الذى لا يصاب عند أحد.[٣]

وعن عبد الوهاب بن الحكم قال: لما مات ابن المبارك بلغنى أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء.[٤]

وقال عبد الرحمن بن زيد الجهضمى: قال الأوزاعى: رأيت ابن المبارك؟ قلت: لا. قال لو رأيته لقرت عينك.[٥]

وعن عبيد بن جنادة قال: قال عطاء بن مسلم: يا عُبيد رأيتَ عبد الله بن المبارك؟ قلت: نعم. قال: ما رأيت مثله، ولا يُرى مثله.[٦]

وقال عبد الرحمن بن مهدى: ما رأت عيناى أنصح لهذه الأمة من عبد الله ابن المبارك.[٦]

وقال يحيى بن معين، وذُكِرَ عنده ابن المبارك فقال: سيد من سادات المسلمين.[٧]

(١) رواه البخارى (١٠/ ٤٦١) الأدب، مسلم (١٦/ ١٨٣، ١٨٤) البر والصلة، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٣).

(٢) تهذيب الكمال (١٦/ ١٥).

(٣) السابق (١٦/ ١٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٠).

(٥) السابق (٨/ ٣٨٤).

(٦) صفة الصفوة (٤/ ١٣٦).

(٧) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٥).

وعن أحمد بن عبدة قال: كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوسًا فى المسجد الحرام فطلع ابن المبارك من الثنية فقال سفيان: هذا رجل أهل المشرق. فقال الفضيل: هذا رجل أهل المشرق، وأهل المغرب، وما بينهما.(١)

وعن شفيع بن إسحاق قال: قلت لسعيد بن منصور: مَا لَكَ لم تكتب حديث شعبة وسفيان؟ فقال: إنى لقيت ابن المبارك. فلما رأيته هان عَلَيَّ الناس.(٢)

وقال على بن المدينى: انتهى العلم إلى رجلين؛ إلى عبد الله بن المبارك ومن بعده إلى يحيى بن معين.(٢)

وقال خارجة لإخوانه: من شاء منكم أن ينظر إلى رجل كأنه من الصحابة فلينظر إلى عبد الله بن المبارك.(٣)

وقال عبد الله بن الحسن:

إذَا سَارَ عَبْدُ الله مِنْ مَرْوَ لَيلةً ... فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا

إذَا ذُكِرَ الأَحْبَارُ فِيَ كُلِّ بَلْدَةٍ ... فَهُمْ أَنْجُمٌ فِيهَا وَأَنْتَ هِلاَلُهَا(٤)

وقال إبراهيم بن موسى: «كنت عند يحيى بن معين فجاءه رجل فقال: يا أبا زكريا من كان أثبت فى معمر عبدُ الرزاق أو عبدُ الله بن المبارك؟ وكان متكئًا فاستوى جالسًا - فقال: كان ابن المبارك خيرًا من عبد الرزاق ومن أهل بيته».(٥)

وقال شعيب بن حرب قال سفيان: إنى لأشتهى من عمرى كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون، ولا ثلاثة أيام.(٦)

وقال يحيى بن آدم: كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده فى كتب ابن المبارك أيست.(٧)

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٢).
(٢) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٣٦).
(٣) السابق (٣٨/ ٣٣٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩١).
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٥).
(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٢).
(٧) تهذيب الكمال (١٦/ ١٥).

وقال أسود بن سالم: كان ابن المبارك إمــامًا يُقتدى به، كان من أثبت الناس فى السُّنة إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام.[١]

١٠- مِنْ أَقْوَالِـهِ وَأَشْعَـارِهِ

وهذه درر من أقواله ونتف من أشـعاره تدل على كمال عقله، وارتفـاع رتبته، فإن العبد إذا تهذبت نفسه، واكتملت مروءته، نطق بالحكمة وفصل الخطاب.

فمن مأثور أقواله:

من بخل بالعلم ابتلى بثلاث: إما بموت، أو نسيان، أو لحوق بسلطان.[٢]

قال أبو وهب المروزى: سألت ابن المبارك عــن الكبر. فقال: أن تزدرى الناس، وسألته عن العُجب. فقال: أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك.[٣]

عن رستة الطلقـانى قال: قام رجل إلى ابن المبارك فقال: يا أبا عـبد الرحمن فى أى شيء أجعل فضل يومى فى تعلم القرآن، أو فى طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك قال: نعم. قال: فاجعله فى طلب العلم الذى يُعرف به القرآن.[٤]

قال بشـر بن الحارث: سأل رجل ابن المبـارك عن حديث، وهو يمـشى. قال: ليس هذا من توقير العلم. قال بشر: فاستحسنته جدًا.[٥]

وعن إبراهيم بن شماس قال: قال ابن المبارك: إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل من الكلب.[٥]

وعن عبد الله بن خُبَيق قال: قـيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال: التكبر على الأغنياء.[٦]

وعن عبد الله بن عمر السرخسي قال: قال لى ابن المبارك: ما أعيانى شيء كما أعيانى أنى لا أجد أخًا فى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.[٦]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٥).
(٢) تهذيب الكمال (٨/ ٢٢، ٢٣).
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٨).
(٤) حلية الأولياء (٨/ ١٦٥).
(٥) السابق (٨/ ١٦٦).
(٦) صفة الصفوة (٤/ ١٣٩).

وعن سعيد بن يعقوب الطلقانى قال: قال رجل لابن المبارك: هل بقى من ينصح؟ فقال: وهل تعرف من يقبل.(١)

قال أبو بكر ابن عبد الله بن حسن: قال ابن المبارك: طلبنا العلم للدين فدلنا على ترك الدنيا.(٢)

وقال أحمد بن الزِّبرقان: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوًا، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كُرْهٍ، فينبغى لنا أن نُكْرِهها.(٢)

ومن أشعاره:

وَمِنَ البَلاءِ وَلِلْبَلاءِ عَلامَةٌ ... أَنْ لا يُرَى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعْ

العَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا ... والحُرُّ يَشْبَعُ مَرَّةً وَيَجُوعْ(٣)

ومن أشعاره:

كيف القرارُ وكيفَ يَهْدأُ مسلم ... والمسْلِمَاتُ مَعَ العَدُوِّ المُعْتَدي

الضَّارباتِ خُدُودَهُنَّ بِرَنَّةٍ ... الدَّاعِياتِ نَبِيَّهُنَّ مُحَمَّد

القَائِلاتِ إِذَا خَشِيْنَ فَضِيحَةً ... جُهْدَ المَقَالَةِ لَيْتَنَا لَمْ نُولَد

مَا تَسْتَطِيعُ وَمَا لَهَا مِنْ حِيلَةٍ ... إلا التَّسَتُّرُ مِنْ أخِيهَا بِاليَد(٣)

وعن أبى أمية الأسود قال: سمعت ابن المبارك يقول: أحبُّ الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم، ثم أنشأ يقول:

الصَّمْتُ أزينُ بالفَتَى ... مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِه

والصِّدْقُ أَجْمَلُ بالفَتَى ... فِي القَوْلِ عِنْدي مِنْ يَمِينِه

وَعَلَى الفَتَى بِوَقَارِهِ ... سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى جَبِينِه

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٤٤). (٢) السابق (٤/ ١٤٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٧).

فَمَن الَّذي يَخْفَى عَلَيْكَ ... إذَا نَظَرْتَ إلَى قَرِينه

رُبَّ امْرئٍ مُتَيَقِّنٍ ... غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى يَقِينه

فأزالَهُ عَنْ رَأيِهِ ... فَابْتَاعَ دُنْيَاهُ بدينه[1]

وأنشد سَلْم الخواص عن ابن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب ... ويتبعها الذُّلُ إدْمَانُهَا

وَتركُ الذُّنوب حَيَاةُ القلوب ... وَخَيرٌ لنَفْسكَ عِصْيانُهَا

وهَلْ بدَّلَ الدِّيْنَ إلاَّ المُلُوكُ ... وَأحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وَبَاعُوا النُّفُوس فَلَمْ يَرْبَحُوا ... وَفِي البَيْعِ لَمْ تَغْلُ أثمَانُهَا

لَقَدْ وَقَعَ القَوْمُ فِي جِيْفَةٍ ... يَبِيْنُ لِذِي العَقْلِ إنْتَانُهَا[2]

وقال محمد بن حاتم المروزى أنشدنا سويد بن نصر لعبد الله بن المبارك:

أيا رَبِّ يَا ذَا العَرْشِ أنْتَ رَحِيْمُ ... وَأَنْتَ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ عَلِيم

فيا رب هب لي منك حلمًا فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه حليم

ومن أشعاره:

ويا رب هَبْ لي مِنْكَ عَزْمًا عَلى التُّقَى ... أقِيْمُ بِهِ في النَّاسِ حَيْثُ أقِيْمُ

ألاَ إنَّ تَقْوَى الله أكْرَمُ نِسْبَةٍ ... يُسَامِي بَهَا عِنْدَ الفِخَارِ كَرِيْم

إذَا أنْتَ نَافَسْتَ الرِّجَالَ عَلَى التُّقَى ... خَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا وأنْتَ سَلِيمُ

أرَاكَ امْرءًا تَرْجُو مِن الله عَفْوَهُ ... وَأنْتَ عَلَى مَا لا يُحِبُّ مُقِيْمُ

وَإنَّ امْرءًا لا يَرْتَجِي النَّاسُ عَفْوَهُ ... وَلَمْ يَأمَنُوا مِنْهُ الأذَى لَلَئِيْمُ

فَحَتَّى مَتَى تَعْصِي الإلَهَ إلَى مَتَى ... تُبَارِزُ رَبِّيَ إنَّهُ لَرَحِيْمُ

وَلَقَدْ تَوَسَّدْتَ الثَّرَى وَافْتَرَشْتَهُ ... لَقَدْ صِرْتَ لا يَلْوِي عَلَيْكَ حَمِيْمُ[3]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٦).

(٢) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٦٦، ٣٦٧).

(٣) السابق (٣٨/ ٣٧٨).

وقال صالح الفراء: سمعت ابن المبارك يقول:

المَرْءُ مِثْلُ هِلالٍ عِنْدَ رُؤيَتِهِ ... يَبْدو ضَئِيلاً تَراهُ ثُمَّ يَتَّسقُ

حَتَّى إذَا مَا تَراه ثَمَّ أَعْقَبَهُ ... كَرُ الجَدِيْدَيْنِ نَقْصًا ثُمَّ يَمَّحِقُ(١)

١١- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: أقدم شيخ لقيه هو الربيع بن أنس الخراسانى، تحيَّل ودخل إليه إلى السجن فسمع منه نحوًا من أربعين حديثًا، ثم ارتحل فى سنة إحدى وأربعين ومائة، وأخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال والتطواف.(٢)

وقال ابن الجوزى: أدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم هشام بن عروة، وإسماعيل بن أبى خالد، والأعمش، وسليمان التيمى، وحميد الطويل، وعبد الله بن عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وموسى بن عقبة فى آخرين.(٣)

وقال ابن عساكر: قدم دمشق وسمع من: الأوزاعى، وسعيد بن عبد العزيز، وأبى عبد ربٍّ الزاهد، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وهشام بن الغاز، وعتبة بن أبى الحكم الهمْدانى، وإبراهيم بن أبى عَبْلة، وأبى المُعَلَّى صخر بن جندل البيروتى، وصفوان ابن عمر، وعمر بن محمد بن زيد العسقلانى، والحكم بن عبد الله الأبلى، ويحيى بن أبى كثير، وابن لهيعة، والليث بن سعد، وسعيد بن أبى أيوب، وحرملة بن عمران، وأبى شجاع سعيد بن يزيد، والأعمش، وإسماعيل بن أبى خالد، ويونس بن أبى إسحاق، ومجالد بن سعيد، وهشام بن عروة، وزائدة بن قدامة، ويحيى بن سعيد الأنصارى، ويحيى بن عبيد الله بن موهَب، وأسامة بن زيد الليثى، وابن عجلان، وابن جُريج، ومَعْمر، ويونس بن يزيد، وموسى بن عقبة، وهشام بن سعد، ومحمد بن إسحاق، وعبد الله بن سعيد بن أبى هند، ومالك بن أنس، وسفيان الثورى، وحماد بن زيد، والمبارك ابن فضالة، وسليمان التيمى، وحميد الطويل، وعوف الأعرابى، وشعبة، وهشام بن حسان، وعاصم بن سليمان الأحول، وعبد الله بن عَون، وخالد الحذاء وغيرهم.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ١٤٦).

(٤) تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٠١).

وانظر شيوخه فى «تهذيب الكمال» للحافظ المزى (١٦/ من ٦ إلى ١٠) واقتصرنا على ما ذكرناه خشية الإطالة، وما ذكره المزى من شيوخه على كثرته ليس حصرًا لجميع شيوخه، فقد ذكر الذهبى عن إبراهيم بن إسحاق عن ابن المبارك قال: حملت عن أربعة آلاف شيخ، فرويت عن ألف منهم. قال العباس بن مصعب فى «تاريخه»: وقع لى من شيوخه ثمان مائة.[١]

وقد ذكر المزى مئتين وسبعة وعشرين من شيوخه فى «التهذيب».

تَلامِذَتُه: قال الذهبى: حدث عنه خلق لا يحصون من أهل الأقاليم، فإنه من صباه ما فتر عن السفر.[٢]

قال الحافظ ابن حجر: وعنه -أى روى عنه- الثورى، ومعمر بن راشد، وأبو إسحاق الفزارى، وجعفر بن سليمان الضبعى، وبقية بن الوليد، وداود بن عبد الرحمن العطار، وابن عيينة، وأبو الأحوص، وفضيل بن عياض، ومعتمر بن سليمان، والوليد بن مسلم، وأبو بكر بن عياش وغيرهم من شيوخه وأقرانه، ومسلم بن إبراهيم، وأبو أسامة، وأبو سلمة التبوذكى، ونعيم بن حماد، وابن مهدى، والقطان، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وإبراهيم بن إسحاق الطالقانى، وأحمد بن محمد مردويه، وإسماعيل بن أبان الوراق، وبشر بن محمد السختيانى، وحبان بن موسى، والحكم بن موسى، وزكريا بن عدى، وسعيد بن سليمان، وسعيد بن عمرو الأشعثى، وسفيان بن عبد الملك المروزى، وسلمة بن سليمان المروزى، وسليمان بن صالح سلمويه، وعبد الله ابن عثمان عبدان، وأبو بكر وعثمان ابنا أبى شيبة، وعبد الله بن عمر بن أبان الجعفى، وعلى بن الحسن ابن شقيق، وعمرو بن عون، وعلى بن حجر، ومحمد بن الصلت الأسدى، ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم الأنطاكى، وأبو كريب، وأبو بكر ابن أصرم، ومنصور بن أبى مزاحم، ومحمد بن مقاتل المروزى، ويحيى بن أيوب، وخلق كثير آخرهم الحسين بن داود البلخى.[٣]

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٦). (٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٥).

(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٥، ٣٣٦).

وانظر كذلك ما ذكره المزى من تلامذة هذا الإمام، فى «تهذيب الكمال» (١٦/ من ١٠ إلى ١٤) فقد ذكر مائة وثلاثة وأربعين من تلامذته.

وقد ذكر جماعة فى شيوخه، وتلامذته ممن روى عنهم ابن المبارك، ورووا عنه، وهو الذى يسمى فى علم المصطلح بالمدبج، مأخوذ من ديباجتى الوجه: منهم السفيانان، وأبو بكر بن عياش، وداود بن عبد الرحمن العطار، ومعمر بن راشد، كما ذكر جماعة فى تلامذته، وهم من أقرانه منهم بقية بن الوليد، ومعتمر بن سليمان، والوليد بن مسلم، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزارى.

١٢- مُؤَلَّفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

١- «التفسير»: ذكره الداودى فى «طبقات المفسرين» (١/ ٢٥٠) ط. دار الكتب العلمية.

٢ ـ «المسند»: برواية الحسن بن سفيان بن عامر النسوى (ت٣٠٣هـ) وتوجد منه مخطوطة فى الظاهرية، مجموع (١٨/ ٥) (الأقسام ٢، ٣ من ١٠٧ أ -١٢٤ ب فى القرن السابع الهجرى» كما فى «تاريخ التراث» (١/ ١٣٨) لفؤاد سزكين.

٣ ـ «كتاب الجهاد»: مطبوع بتحقيق الدكتور نزيه حماد الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة سلسلة البحوث الإسلامية.

٤ ـ «كتاب البر والصلة»: ذكره ابن النديم والبغدادى وفؤاد سزكين فى «تاريخ التراث» (١/ ١٣٨) وتوجد منه اقتباسات فى «الإصابة» (١/ ٧٦٤)، (٤/ ٣٦٢).

٥ ـ «السنن»: ذكره الداودى (١/ ٢٥٠) وذكره ابن النديم والبغدادى باسم «السنن فى الفقه»، وانظر مقدمة الدكتور نزيه ضيف لكتاب الجهاد لابن المبارك (ص١٤).

٦ ـ «كتاب التاريخ»: ذكره ابن النديم والبغدادى.

٧ ـ «أربعين فى الحديث»: ذكره البغدادى وحاجى خليفة باسم: «الأربعين».

٨ ـ «رقاع الفتاوى»: ذكره حاجى خليفة والبغدادى.

٩ ـ «كتاب الزهد ويليه الرقائق»: مطبوع بتحقيق وتعليق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى، برواية المروزى، وأضاف فى نهاية النسخة ما رواه نعيم بن حماد زائدًا على ما

رواه المروزى عن ابن المبارك فى كتاب «الزهد» طبعـته دار الكتب العلمية ببيروت، ثم طبع الكتاب بتحقيق وتعليق المصنف.

١٣- وَفَـاتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّـهُ-

روى ابن عساكر بسنده عن ابن المدينى قال: مات خـيار الأرض جميعًا فى سنة واحدة مـالك، وحمـاد، وخالد، وسـلام بن سليم أبو الأحوص، وعـبد الله بن المبارك سنة تسع وسبعين ومائة.

ووهَّم هذا القول ثم قال: والمحفوظ ما ذكره عبـدان بن عثمان قال: خرج عبد الله إلى العراق أول مـا خرج سنة إحـدى وأربعين ومـائة، ومات بهـيت وعانات لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة.

وقال الحسن بن الربيع: شهدت موت ابن المبارك مات سنة إحدى وثمانين ومائة فى رمضان لعشر مضين منه مات سَحَرًا ودفناه بهيت.[1]

قلت: وهيت ناحيـة فى العراق (لواء الديلم) عندما كانت القـوافل تقطع الفرات فى طريقها بين بغداد وحلب، وبالقرب منها ينابيع النفط.

وعانات: أو عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت.

وقال الحسن: وسألت ابن المبارك قبل أن يموت قال: أنا ابن ثلاث وستين.

وقال صـالح بن أحمد حدثـنى أبو عبد الله قال: لما احـتضر ابن المبـارك جعل رجل يلقنه: قل لا إله إلا الله. فقال له: إنك لست تحـسن، أخاف أن تؤذى رجلاً مسلمًا بعدى إذا لقنتنى فقلت: لا إله إلا الله ثم لم أحدث كلامًا ما بعدها فدعنى، فإذا أحدثت كلامًا بعدها فلقّنى حتى تكون آخر كلامى.

وقيل: فـتح عبد الله بن المبـارك عينيـه عند الوفاة فضـحك، وقال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ (الصافات: ٦١).

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٨٠) باختصار.

وقال محمد بن سعد: مات بهيت منصرفًا من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة، وله ثلاث وستون سنة، ولد سنة ثمانى عشرة ومائة، وطلب العِلمَ وروى رواية كثيرة، وصنف كتبًا كثيرة فى أبواب العلم، وصنوفه حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم، وقال الشعر فى الزهد، والحث على الجهاد، وقدم العراق، والحجاز، والشام، ومصر، واليمن، وسمع علمًا كثيرًا، وكان ثقة مأمونًا إمامًا حجة كثير الحديث.[1]

وغابت بذلك هذه الشمس الطيبة بعد أن أضاءت الدنيا بضيائها الباهر، ووارى التراب هذا الجسد الطاهر الذى تحرك دائمًا فى فلك الطاعات بين طلب العلم، والتعليم، والجهاد، والبذل، والإحسان، والحج، والعمرة، وقضاء حاجات المسلمين، وبقى الذكر الحسن والمحبة التى تملأ قلوب المسلمين؛ لما أسداه للإسلام وأهله من معروفه العظيم.

(١) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٨٠) باختصار.

من أعلام السلف

(٢٢)

الفضيل بن عياض

فمع السلسلة الطيبة، (من أعلام السلف) . . . وعَلَم من أعلام الزهد، والورع، والخوف، والعبادة، إنه الملقَّب بـ «عابد الحرمين» فضيل بن عياض -رحمه الله-، تهذَّبت نفسه، فنطق بالحكمة، وفصل الخطاب، إنه قرين مالك، وسفيان، وابن المبارك، من هذه الطبقة المباركة، طبقة كبار أتباع التابعين، فرحم الله أئمتنا الكرام، وجمعنا بهم في دار السلام.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ

اسْمُهُ: فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى، اليربوعى، أبو على.

مولِدُهُ: وُلِدَ بسمرقند، ونشأ بأبيورد، مدينة بين سرخس، ونسا، وكتب بالكوفة، وتحول إلى مكة.

٢ - ثناءُ العُلَماءِ عَلَيْهِ

قال ابن سعد: وكان ثقة فاضلاً، عابدًا، وَرَعًا، كَثيرَ الحديث.(١)

وقال ابن حبان: نشأ بالكوفة، وبها كتب الحديث، ثم انتقل إلى مكة، وأقام بها مجاورًا للبيت الحرام، مع الجهد الشديد، والورع الدائم، والخوف الوافر، والبكاء الكثير، والتخلى بالوحدة، ورفض الناس، وما على أسباب الدنيا، إلى أن توفى بها، سنة سبع وثمانين ومئة.(٢)

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٠٠). (٢) ثقات ابن حبان (٧/ ٣١٥).

وقال الذهبى: فضيل بن عياض، الزاهد، شيخ الحرم، وأحد الأثبات، مُجْمَع على ثقته، وجلالته، ولا عبرة بما رواه أحمد بن أبى خثيمة، قال: سمعت قطبة ابن العلاء، يقول: تركت حديث فضيل بن عياض، لأنه روى أحاديث، أزرى فيها على عثمان رضى الله عنه. من قطبة، وما قطبة، حتى يجرح، وهو هالك.(١)

قال إبراهيم بن محمد الشافعى: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: فضيلٌ ثقة.(٢)

وقال العجلى: كوفىّ، ثقةٌ، متعبِّدٌ، رجلٌ صالحٌ، سكن مكة.(٣)

وروى إبراهيم بن شمَّاس، عن ابن المبارك، قال: ما بقى على ظهر الأرض عندى، أفضل من فضيل بن عياض.(٣)

وعن نصر بن المغيرة البخارى: سمعت إبراهيم بن شماس، يقول: رأيت أفقه الناس، وأورع الناس، أحفظ الناس، وكيعًا، والفضيل، وابن المبارك.(٣)

وعن عبد الصمد، مردويه الصائغ: قال لى ابن المبارك: إن الفضيل بن عياض صدق اللّه، فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممن نفعه عمله.(٤)

وقال أبو نعيم: ومنهم الراحل من المفاوز والقفار إلى الحصون والحياض، والناقل من المهالك والسباخ إلى الخصون والرياض، أبو على الفضيل بن عياض. كان من الخوف نحيفًا، وللطواف أليفًا.(٥)

قال الذهبى: وأما قول ابن مهدى: لم يكن بالحافظ، فمعناه: لم يكن فى علم الحديث، كهؤلاء الحفاظ البحور، كشعبة، ومالك، وسفيان، وحَمَّاد، وابن المبارك، ونظرائهم، لكنه ثَبْت، قَيِّمٌ بما نقل، ما أخذ عليه فى حديث، كما علمت.

وهل يُرَادُ من العلم، إلا ما انتهى إليه الفضيل -رحمة اللّه عليه.(٦)

---

(١) ميزان الاعتدال (٤/ رقم ٦٧٦٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٥).
(٥) حلية الأولياء (٨/ ٨٤).
(٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٨).

٣ - عِبَادَتُـهُ وَخَشْيَتُهُ - رَحِمَـهُ اللَّهُ -

عن إسحاق بن إبراهيم الطبرى، قال: مـا رأيت أحدًا، أخوف على نفسه، ولا أرجى للناس، من الفـضيل كانت قـراءته حزينة، شهـية، بطيـئة، متـرسلة، كأنه يخاطب إنسـانًا، وكان إذا مرَّ بآية، فـيها ذكر الجنَّة، يُـردد فيها، ويسـأل، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً، يلقى له الحصير فى مسجده، فيصلى من أول الليل ساعة، ثم تغلبه عينه، فيلقى نفسه على الحـصير، فينام قليلاً، ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم، هكذا حتى يصـبح، وكان دأبه إذا نعس أن ينام، ويقال: أشد العبادة ما كان هكذا.

وكان صحيح الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث إذا حدَّثَ، وكان يثقل عليـه الحديث جداً، وربمـا قال لى: لو أنك طلبت منى الدنانيـر، كان أيسـر علىَّ، من أن تطلب منى الحـديث، فقـلت: لو حدَّثنى بأحـاديث فوائد، ليـست عندى، كـان أحب إلىَّ من أن تهب لى عـددها دنانير، قـال: إنك مفـتون، أمـا والله، لو عملت بما سمـعت، لكان لك فى ذلك شغل، عما لم تسـمع، سمعت سليمان بن مهـران، يقول: إذا كان بين يديك طعام تأكله، فتأخذ اللقـمة، فترمى بها خلف ظهرك، متى تشبع.(١)

وعن إبراهيم بن الأشعث، قـال: ما رأيت أحدًا، كـان الله فى صدره، أعظم من الفضيل بن عياض، كان إذا ذكـر الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سمع القرآن، ظهر به الخوف والحـزن، وفاضت عـيناه، حتى يرحـمه من بحضـرته، وكان دائم الحزن، شـديد الفكرة، مـا رأيت رجلاً، يريد اللّـه بعلمه، وعـمله، وأخـذه، وعطائه، ومنعه، وبذله، وبغـضه، وحبـه، وخصاله كلهـا غيره، وقـال أيضًا عنه: كنا إذا خرجنا مع الفضيل فى جنازة، لا يزال يعظُ ويذكـر، ويبكى، كأنه مودِّع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر، فـيجلس فكأنه بين الموتى، جلس من الحزن والبكاء، حـتى يقوم، وكأنه يرجع من الآخرة، يخبر عنها.(٢)

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٧، ٤٢٨).

(٢) تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨٩، ٢٩٠).

وعن سفيان بن عيينة، قال: ما رأيت أحدًا أخوف من الفضيل، وأبيه.(١)

وعن إسحاق بن إبراهيم، قال: قال عبد الله بن المبارك: إذا مات الفضيل، ارتفع الحزن.(٢)

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهرى: قال لى المأمون: قال لى الرشيد: ما رأت عيناى مثل فضيل بن عياض، دخلت عليه، فقال لى: فرِّغْ قلبك للحزن، والخوف، حتى يسكناه، فيقطعاك عن المعاصى، ويباعداك من النار.(٣)

وعن ابن أبى عمر، قال: ما رأيت بعد الفضيل أعبد من وكيع.(٣)

وعن ابن المبارك، قال: إذا نظرت إلى الفضيل، جَدَّدَ لى الحزن، وَمَقَّتُ نفسى، ثم بكى.(٣)

٤ - اتِّبَاعُهُ للسُّنَّةِ وَذَمُّهُ لِلْبَدَعِ وَالْمُبْتَدِعِينَ

عن عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفضيل، يقول: من أحبَّ صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.(٤)

وعن عبد الصمد، قال: سمعته قال: إذا رأيت مبتدعًا فى طريقٍ، فخذ فى طريق آخر.(٤)

وقال الفضيل: لا يرتفع لصاحب بدعة، إلى الله -عز وجل- عملٌ.(٤)

وعن الفضيل قال: من أعان صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام.(٤)

وعن حسين بن زياد، قال: سمعت فضيلاً يقول: ما على الرجل، إذا كان فيه ثلاث خصال: إذا لم يكن صاحب هوى، ولا يشتم السلف، ولا يخالط السلطان.(٥)

وعن عبد الصمد بن يزيد الصائغ، قال: ذُكِرَ عند الفضيل -وأنا أسمع- الصحابة، فقال: اتَّبِعُوا، فقد كفيتم أبو بكر، وعثمان، وعليّ ﷺ.(٦)

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٨٥).
(٢) حلية الأولياء (٨/ ٨٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٨).
(٤) حلية الأولياء (٨/ ١٠٣).
(٥) حلية الأولياء (٨/ ١٠٤).
(٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٨).

قال الذهبى: فالرجل صاحب سنة، واتباع.(1)

٥- شُيُوخُهُ وتَلامذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن الأعمش، ومنصور، وعبيد الله بن عمر، وهشام ابن حسان، ويحيى بن سعيد الأنصارى، ومحمد بن إسحاق، وليث بن أبى سليم، ومحمد بن عجلان، وحصين بن عبد الرحمن، وسليمان التيمى، وحميد الطويل، وفطر بن خليفة، وصفوان بن سليم، وجعفر بن محمد الصادق، وإسماعيل بن أبى خالد، وبيان بن بشر، وزياد بن أبى زياد، وعوف الأعرابى فى آخرين.(2)

تَلامذَتُهُ: قال الحافظ: وعنه الثورى، وهو من شيوخه، وابن عيينة، وهو من أقرانه، وابن المبارك، ومات قبله، ويحيى القطان، وابن مهدى، وحسين بن على الجعفى، وعبد الرزاق، وإسحاق بن منصور السلولى، والأصمعى، وابن وهب الشافعى، ومروان بن محمد، ومؤمل بن إسماعيل، وهريم بن سفيان، ويوسف ابن مروان، ويحيى بن يحيى التميمى، والقعنبى، وأحمد بن عبد الله بن يونس، ومسدد، ومحمد بن يحيى بن أبى عمر، والحميدى، وإبراهيم بن محمد الشافعى، وداود بن عمرو، وأبو عمار الحسين بن حريث، المروزى، والحصين بن الربيع البورانى، والحسن بن إسماعيل المجالدى، وأحمد بن عبدة الضبى، وقتيبة بن سعيد، وعبيد الله بن عمر القواريرى، وعبدة بن عبد الرحيم المروزى، ومحمد بن زنبور المكى، ومحمد بن سليمان لوين، وآخرون.(3)

٦ - دُرَرٌ مِنْ أقوالِه

عن أبى الفضل الخزاز، قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: أصلح ما أكون، أفقر ما أكون، وإنى لأعصى الله، فأعرف ذلك فى خلق حمارى، وخادمى.(4)

وعن إسحاق بن إبراهيم، قال: إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار؛ فاعلم أنكَ محرومٌ، مكبَّل، كبَّلتْكَ خطيئتُكَ.(4)

---

(1) سير أعلام النبلاء (٨/٤٤٨).
(2) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٤).
(3) تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٤، ٢٦٥).
(4) صفة الصفوة (٢/ ٢٣٨).

قال فيض بن إسحاق: سمعت الفضيل بن عياض، وسأله عبد الله بن مالك: يا أبا عليّ، ما الخلاص مما نحن فيه؟ قال: أخبرنى، من أطاع الله، هل تضرّه معصيةُ أحد؟ قال: لا، قال: فمن يعصى الله، هل تنفعه طاعةُ أحد؟ قال: لا. قال: هو الخلاص، إن أردت الخلاص.(١)

وعن إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: أكذب الناس العائد فى ذنبه، وأجهل الناس المدل بحسناته، وأعلم الناس بالله، أخوفهم منه، لن يكمل عبدٌ، حتى يُؤْثِرَ دينه على شهوته، ولن يهلك عبدٌ، حتى يُؤْثِرَ شهوتَه على دينه.(٢)

وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: من أحبَّ أن يذكر، لم يذكر، من كره أن يذكر، ذُكر.(٣)

قال الذهبى: وقيل له: ما الزهد؟ قال: القنوع، قيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم، قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض، قيل: ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق، وقال: أشد الورع فى اللسان.

قال الذهبى: هكذا هو، فقد ترى الرجل ورعاً فى مأكله، وملبسه، ومعاملته، وإذا تحدث، يدخل عليه الداخل من حديثه، فإما أن يتحرى الصدق، لا يكمل الصدق، وإما أن يصدق، فينمق حديثه، ليمدح على الفصاحة، وأما أن يظهر أحسن ما عنده، ليعظم، وإما أن يسكت فى موضع الكلام، ليُثْنَى عليه، ودواء ذلك كله، الانقطاع عن الناس، إلا من الجماعة.(٤)

وعنه قال: يا مسكين، أنت مسيءٌ، وترى أنك محسن، وأنت جاهل، وترى أنك عالم، وتبخل، وترى أنك كريم، وأحمق، وترى أنك عاقل، أجلك قصير، وأملك طويل -قال الذهبى: إى والله، صدق-، وأنت ظالمٌ، وترى أنك مظلوم، وآكلٌ للحرام، وترى أنك متورِّع، وفاسقٌ، وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا، وترى أنك تطلبه لله.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٠).

وعن عبد الصمد، قال: سمعت الفضيل يقول: إذا أتاك رجلٌ، يشكو إليك رجلاً، فقل: يا أخى، اعفُ عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبى العفو، ولكن أنتصر، كما أمرنى الله -عز وجل-، قل: فإن كنت تحسن تنتصر مثلاً بمثل، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب أوسع.

فإنه من عفا، وأصلح، فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.(١)

وعن إبراهيم بن الأشعث، قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: ما يؤمنك، تكون بارزت الله بعمل، مقتك عليه، فأغلق دونك أبواب المغفرة، وأنت تضحك، كيف ترى أن يكون حالك؟(٢)

وعن محمد بن طفيل، قال: سمعت فضيل بن عياض، يقول: حزن الدنيا، يذهب بهمِّ الآخرة، وفرح الدنيا، يذهب بحلاوة العبادة.(٢)

٧ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال بعضهم: كنا جلوسًا عند الفضيل بن عَيَاض، فقلنا له: كم سِنكَ، فقال:

بَلَغْتُ الثَّمَانِينَ أَوْ جَاوَزْتُهَا ... فَمَاذَا أُؤَمِّلُ أَوْ أَنْتَظِرُ

عَلَتْنِي السُّنُون فَأَبْلَيْنَنِي ... فَدَقَّ الْعِظَامُ وَكَلَّ الْبَصَرُ

قال الذهبى: هو من أقران سفيان بن عيينة، فى المولد، ولكنه مات قبله بسنوات.(٣)

قال مجاهد بن موسى: مات الفضيل، سنة ست وثمانين ومئة، وقال أبو عبيد، وابن المدينى، وابن معين، وابن نُمَيْر، والبخارى، وآخرون: مات سنة سبع بمكة، وزاد بعضهم: فى أوَّل المحرم.

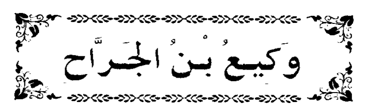
قال الذهبى: وله نَيِّف وثمانون سنة.(٤)

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ١١٢).
(٢) حلية الأولياء (٨/ ١٠٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٨).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٢٣)



وَكِيعُ بْنُ الجَرَّاح

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسمُهُ: وكيع بن الجراح بن مَلِيح الرؤاسى، أبو سفيان الكوفى، من قيس عَيْلَان.

مَولِدُه: ولد سنة تسع وعشرين ومئة، قال أحمد بن حنبل: وقال خليفة، وهارون بن حاتم: ولد سنة ثمان وعشرين.(١) ورُوِىَ عنه أنه قال: ولدت بـ «أبة»، قرية من قرى أصبهان.(٢)

صِفَتهُ: قال الشاذكونى: قال لنا أبو نعيم يومًا: ما دام هذا التنين حياً، ما يُفلح أحد معه.

قال الذهبى: كان وكيع آسمرًا، ضخمًا، سمينًا.(٣)

وقال أبو داود: كان أعور.(٢)

وقال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة، وكان سمينًا، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن، وأنت راهب العراق ؟ قال: هذا من فرحى بالإسلام.(٤)

وعن أبى جعفر الجمال، قال: أتينا وكيعًا، فخرج بعد ساعة، وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به، فزعنا من النور الذى رأيناه يتلألأ من وجهه، فقال رجلٌ بجنبى: أهذا ملكٌ؟ فتعجبنا من ذلك النور.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤١).

(٢) تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٧).

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال محمد بن سعد: كان ثقةً، مأمونًا، عالماً، رفيَعاً، كثير الحديث، حجة.(١)

عن يحيى بن يمان، قال: نظر سفيان إلى عَيْنَى وكيع، فقال: ترون هذا الرؤاسى، لا يموت حتى يكون له شأن.

قال يحيى بن يمان: مات سفيان الثورى، فجلس وكيع بن الجراح فى موضعه.(٢)

وعن القعنبى قال: كنا عند حماد بن زيد، سنة سبعين، وكان عنده وكيع، فلما قام قالوا: هذا رَاوِيَة سفيان، فقال: هذا -إن شئتم- أرجح من سفيان.(٢)

عن أحمد بن أبى الحوارى، قال: سمعت مروان، يقول: ما وُصِفَ لى أحدٌ، إلا رأيته دون الصفة، إلا وكيع، فإنه فوق ما وصف لى.(٣)

وعن يحيى بن معين، قال: واللّه ما رأيت أحدًا، يحدث للّه غير وكيع، وما رأيت رجلاً أحفظ من وكيع، ووكيع فى زمانه، كالأوزاعى فى زمانه.(٣)

وعن جرير الرازى، قال: قدم ابن المبارك، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، من خَلَفْتَ بالعراق؟ قال: وكيع، قلت: ثم من؟ قال: ثم وكيع. (٤)

وقال محمد بن عامر المصيصى: سألت أحمد: وكيعٌ أحبُّ إليك، أو يحيى بن سعيد؟ فقال: وكيع، فقلت: كيف فَضَّلْتَهُ على يحيى؛ ويحيى، ومكانه من العلم، والحفظ، والإتقان، ما قد عَلِمْتَ؟ قال: وكيع كان صديقًا لحفص بن غياث، فلما وَلِىَ القضاء هجره، وإن يحيى كان صديقًا لمعاذ بن معاذ، فلما ولى القضاء، لم يهجره يحيى.(٥)

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٩٤).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٤٦٩).
(٣) حلية الأولياء (٨/ ٣٧٠).
(٤) حلية الأولياء (٨/ ٣٧١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٤).

وعن عبد الرزاق قال: رأيت الثورى، وابن عيينة، ومعمرًا، ومالكًا، ورأيتُ، ورأيت، فما رأت عيناى مثل وكيع.[1]

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبى يقول: كان وكيع حافظًا حافظًا، ما رأيت مثله.[2]

وقال بشر بن موسى: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت قط، مثل وكيع، فى العلم، والحفظ، والإسناد، والأبواب، مع خشوع وورع.

قال الذهبى: يقول هذا أحمد مع تحريه، وورعه، وقد شاهد الكبار، مثل هشيم، وابن عيينة، ويحيى القطان، وأبى يوسف القاضى، وأمثالهم.[2]

وقال الترمذى: سمعت أحمد بن الحسن: سُئِلَ أحمد بن حنبل، عن وكيع، وابن مهدى، فقال: وكيع أكبر فى القلب، وعبد الرحمن إمام.[3]

وعن جرير، قال: جاءنى ابن المبارك، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، من رجل الكوفة اليوم؟ فسكت عنى، ثم قال: رجل المصريْنِ وكيع.[3]

وقال عباس الدورى: ذاكرت أحمد بن حنبل، بحديث من حديث شعبة، فقال لى: من حدثك بهذا؟ فقلت شبابة بن سوار: قال: لكن حدثنى، من لم تر عيناك مثله، وكيع بن الجراح.[4]

وقال على بن عثمان النفيلى: قلت لأحمد بن حنبل: إن أبا قتادة يتكلم، فى وكيع بن الجراح، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، فقال: من كذّب أهل الصدق، فهو الكذاب.[4]

وقال أحمد العجلى: وكيع كوفىّ، ثقة، عابد، صالحٌ، أديبٌ، من حُفَّاظِ الحديث، وكان مفتيًا.[5]

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٦، ١٤٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٨).
(٤) تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٧٢).
(٥) تهذيب الكمال (٩/ ١٥٢).

٣ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن يحيى بن أكثم، قال: صحبت وكيعًا، فى الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة.[١]

قال الذهبى: هذه عبادةٌ يخضع لها، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة، فقد صح نهيه عليه السلام عن صوم الدهر، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن، فى أقل من ثلاث، والدين يُسْر، ومتابعة السنة أولى، فَرَضِىَ اللّه عن وكيع، وأين مثل وكيع.[٢]

وعن يحيى بن أيوب: حدَّثنى بعض أصحاب وكيع، الذين كانوا يلزمونه: أن وكيعاً كان لا ينام، حتى يقرأ جزأه من كل ليلة، ثلث القرآن، ثم يقوم فى آخر الليل، فيقرأ المفصل، ثم يجلس، فيأخذ فى الاستغفار، حتى يطلع الفجر.[٣]

وعن أحمد بن سنان، قال: رأيت وكيعًا، إذا قام فى الصلاة، ليس يتحرك منه شىء، لا يزول، ولا يميل عن رجل دون الأخرى.[٤]

وعن سفيان بن وكيع، قال: كان أبى يجلس لأصحاب الحديث، من بكرة إلى ارتفاع النَّهار، ثم ينصرف، فيقيل، ثم يصلى الظهر، ويقصد الطريق منها إلى المشرعة، التى يصعد منها أصحاب الرّوايا، فيريحون نواضحهم، فيعلمهم من القرآن، ما يؤدون به الفرائض، إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده، فيصلى العصر، ثم يجلس يدرس القرآن، ويذكر اللّه إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله، فيقدم إليه إفطار، وكان يفطر على عشرة أرطال من الطعام، ثم تقدم إليه قرابة، فيها نحو من عشرة أرطال من نبيذ، فيشرب منها ما طاب له على طعامه، ثم يجعلها بين يديه، ثم يقوم، فيصلى ورده من الليل، كلما صلى شيئًا، شرب منها، حتى ينفذها، ثم ينام.[٥]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٨، ١٤٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٩، ١٥٠)، والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها، والروايا جمع رواية: المزادة فيها الماء.

٤ – حفظه – رحمه الله –

عن إبراهيم بن شماس، قال: لو تمنيت، أتمنى عقل ابن المبارك، وورعه، وزهد ابن فضيل، ورقته، وعبادة وكيع، وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفى، لم يتزوج، ولم يدخل فى شىء من أمر الدنيا.(١)

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبى، وذكر وكيعًا، فقال: ما رأيت أحدًا، أوعى للعلم منه، ولا أحفظ.(٢)

وعن بشر بن موسى، قال: سمعت أبا عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل، يقول: ما رأيت رجلاً قط، مثل وكيع، فى العلم، والحفظ، والإسناد، والأبواب، مع خشوع وورع.(٢)

وعن على بن خَشْرم: ما رأيت بِيَد وكيع كتاباً قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ، فقال: إن علمتك الدواء استعملته؟ قلت: إى والله، قال: ترك المعاصى، ما جربت مثله للحفظ.(٣)

وعن يحيى بن معين، قال: ما رأيت أحفظ من وكيع.(٤)

وقال أبو حاتم الرازى: وكيع أحفظ من ابن المبارك.(٥)

وقال إسحاق بن راهويه: حفظى، وحفظ ابن المبارك تكلف، وحفظ وكيع أصلىّ، قام وكيع، فاستند، وحدث بسبع مئة حديث حفظًا.(٦)

٥ – أدبه وكرمه – رحمه الله –

عن السائب، سلم بن جنادة، قال: جالست وكيع بن الجراح، سبع سنين، فما رأيته بزق، وما رأيته مَسَّ، والله، حصاةً بيده، وما رأيته جلس مجلسه فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.(٧)

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٣)، وصبر حسين الجعفي، صبر مذموم، فالزواج من سنة النبى ﷺ.
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٤). (٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٢). (٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٣).
(٦) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٧). (٧) حلية الأولياء (٨/ ٣٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٥).

وعن محمد بن أبى الصباح، قال: كان وكيع بن الجراح، إذا أراد أن يحدث احتبى، فإذا احتبى سأله أصحاب الحديث، فإذا نزع الحبوة، لم يسألوه، وكان إذا حدث استقبل القبلة.(١)

ورُوِىَ عن وكيع، أن رجلاً أغلظ له، فدخل بيتًا، فَعَفَّر وجهه، ثم خرج إلى الرجل، فقال: زد وكيعاً بذنبه، فلولاه ما سُلِّطتَ عليه.(٢)

عن سعيد بن عفير، قال: أخبرنى رجل من أهل هذا الشأن، ثقةٌ، من أهل المروءة، والأدب، قال: جاء رجل إلى وكيع بن الجراح، فقال له: إنى أمتُّ بحرمة، قال: ما حرمتك؟ قال: كنت تكتب من محبرتى، فى مجلس الأعمش، قال: فوثب وكيع، فدخل، منزله، فأخرج له صرَّةً، فيها دنانير، فقال: اعذرنى، فإنى ما أملك غير هذا.(٣)

٦ - مِحْنَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبى: وهى غريبة، تورط فيها، ولم يُرد إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبى ﷺ: «كَفَى بِالمرْءِ إِثْمًا، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِ مَا سَمِع، فَلْيَتَّقِ عَبْد رَبَّهُ، وَلا يَخَافَنَّ إلا ذَنْبَهُ».(٤)

قال على بن خُشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبد الله البهى، أن أبا بكر الصديق، جاء إلى النبى ﷺ، بعد وفاته، فأكبَّ عليه، فقبله، وقال: «بأبى وأمى، ما أطيب حياتك، وميتتك»، ثم قال البهى: وكان تُرك يومًا، وليلةً، حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه، وقال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبةً لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله، هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف.

---

(١) حلية الأولياء (٨/٣٦٩). (٢) سير أعلام النبلاء (٩/١٥٥).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٩)، والحديث رواه أبو داود، ومسلم في مقدمة صحيحه من حديث، أبى هريرة، وعنده «كفي بالمرء كذباً».

قال سفيان: ولم أكن سمعته، إلا أني أردت تخليص وكيع.[(١)]

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع، بعد ما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعاً أصبح، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله ﷺ، فأراد الله أن يريهم آية الموت.[(١)]

قال الذهبي: فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر، المنقطع الإسناد!! كادت نفسه أن تذهب غلطًا، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غَضاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي، يوهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس -إن شاء الله- بذلك، فإن الحي قد يربو جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الأمراض، وأشد الناس بلاءً الأنبياء[(٢)]، وإنما المحذور أن تجوِّز عليه تغير سائر موتى الآدميين، ورائحتهم، وأكل الأرض لأجسادهم، والنبي ﷺ مفارق لسائر أمته في ذلك، فلا يبلى، ولا تأكل الأرض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن، وما زال أطيب، ربما من المسك، وهو حي في لحده، حياة مثله في البرزخ، التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب، أتم وأشرف، من حياة الشهيد، الذين هم بنص الكتاب: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

٧ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو حاتم الرازي: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا وكيع بحديث في الكرسي، قال: فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب، وقال: أدركنا الأعمش، والثوري، يحدثون بهذه الأحاديث، لا ينكرونها.[(٣)]

وعن يحيى بن يحيى التميمي: سمعت وكيعًا، يقول مكرره: من شك أن القرآن كلام الله -يعني غير مخلوق-، فهو كافر.[(٣)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٦٠).

(٢) الحديث رواه الترمذي (٩/ ٢٤٣)، الزهد، وقال: هذا حديث صحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٦٥).

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: سمعت وكيعًا يقول: نسلم هذه الأحاديث، كما جاءت، ولا نقول كيف كذا؟ ولا لم كذا؟ يعني حديث: «**يَحمل السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَع**». (١)

٨ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ

عن إبراهيم بن شماس، قال: سمعت وكيع بن الجراح، يقول: من لم يأخذ أهبة الصلاة، قبل وقتها، لم يكن وَقَّرَهَا. (٢)

وقال وكيع: من تهاون بالتكبيرة الأولى؛ فاغسل يديك منه. (٢)

عن الفضل بن محمد البيهقي، قال: سمعت وكيعًا، يقول -وقد جاءه رجل يناظره، في شيء من أمر المعاش، أو الورع-، فقال له وكيع: من أين تأكل؟ قال: ميراثاً ورثته عن أبي، قال: من أين هو لأبيك؟ قال: ورثه عن أبيه، قال: من أين هو كان لجدك؟ قال: لا أدري، فقال له وكيع: لو أن رجلاً، نذر لا يأكل إلا حلالاً، ولا يلبس إلا حلالاً، ولا يمشي إلا في حلال، لقلنا له: اخلع ثيابك، وارم نفسك في الفرات، ولكن لا تجد إلا السعة. (٢)

ثم قال وكيع: لو أن رجلاً، بلغ في ترك الدنيا، مثل سلمان، وأبي ذر، وأبي الدرداء، ما قلنا له زاهدًا؛ لأن الزُّهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض؛ والحلال المحض لا نعرفه اليوم، فالدنيا عندنا حلالٌ، وحرام، وشبهات؛ فالحلال حساب، والشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، وخذ منها ما يقيمك، فإن كانت حلالاً، كنت قد زهدت فيها، وإن كانت حرامًا، كنت قد أخذت منها ما يقيمك، لأنه لا يحل من الميتة، إلا قدر ما يقيمك، وإن كانت شبهات؛ كان فيها عتاب يسير. (٢)

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت وكيعًا، يقول: إنما العاقل من عقل عن الله أمره، وليس من عقل أمر دنياه. (٢)

وعن عبد الله بن ضبيق، قال: قال وكيع: هذه بضاعة؛ لا يرتفع فيها إلا صادق. (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٦٥)، والحديث رواه البخاري (٨/ ٨٢٣) التفسير، ومسلم (٢٧٨٦)، القيامة.
(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣٧٠).

وعن علي بن خشرم، قال: سمعت وكيعًا، يقول: لا يكمل الرجل؛ حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه.[1]

٩- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: روى عن أبيه، وإسماعيل بن أبي خالد، وأيمن بن نابل، وعكرمة بن عمار، وهشام بن عروة، والأعمش، وتوبة أبي صدقة، وجرير بن حازم، وعبد الله ابن سعيد بن أبي هند، ومعروف بن خربوذ، وابن عون، وعبد الرحمن بن الغسيل، وأبي خَلْدة، خالد بن دينار، وسلمة بن نبيط، وعيسى بن طهمان، ومصعب بن سليم، ومسعر بن حبيب الجرمي، وعبد المجيد بن وهب العقيلي، وابن جريج، والأوزاعي، ومالك، وأسامة بن زيد الليثي، وإسرائيل، وإسماعيل بن مسلم العبدي، والبختري بن المختار، وبدر بن عثمان، وجعفر بن برقان، وحاجب بن عمر، وحريث بن أبي مطر، وحنظلة بن أبي سفيان، والحسن وعلي ابني صالح بن حيي، وزكريا بن أبي زائدة، وسعيد بن عبيد الطاهي، وسفيان الثوري، وشعبة، وطلحة بن يحيى بن طلحة، وعبد الحميد بن جعفر، وعثمان الشحام، وعذرة بن ثابت، وعلي بن المبارك، وعمر بن ذر، وعمران بن حُدَيْر، ومعاوية بن أبي مزرد، ومعروف بن واصل، ونافع بن عمر الجمحي، وموسى بن علي بن رياح، ويزيد بن إبراهيم التستري، وفضيل بن غزوان، وكهمس بن الحسن، ومالك بن مغْوَل، وابن أبي ذئب، وابن أبي ليلى، ومحمد بن قيس الأسدي، ومساور الوراق، وهشام الدستوائي، وهشام بن سعد، ويعلى بن الحارث، وأبي سنان الشيباني الصغير، وأفلح بن حميد، وحماد بن سلمة، وحماد بن نجيح، وزمعة بن صالح، وسعد بن أوس العبسي، وسعيد بن عبد العزيز الشوخي، وسليمان بن المغيرة، وصالح بن أبي الأخضر، وعبد الله بن عمر العمري، وعبد العزيز بن أبي رواد، وفضيل بن مرزوق، وقرة بن خالد، ومبارك بن فضالة، وموسى بن عبيدة الربذي، ونافع بن عمر الجمحي، وهمام بن يحيى، ويونس بن أبي إسحاق، وأبي شهاب الحنَّاط الأكبر، وأبي هلال الراسبي، ويزيد بن زياد بن أبي الجعد، وخلق كثير.[2]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/١٥٩).

(٢) تهذيب التهذيب (١١/١٠٩، ١١٠).

تَلامذتُهُ: روى عنه أبناؤه سفيان، ومليح، وعبيد، ومستمليه محمد بن أبان البلخى، وشيخه سفيان الثورى، وعبد الرحمن بن مهدى، وأحمد، وعلى، ويحيى، وإسحاق، وابنا أبى شيبة، وأبو حنيفة، والحميدى، والقعنبى، والأشج، وعلى بن خشرم، ومُسَدَّد، ومحمد بن سلام، وابن أبى عمر، ونصر ابن على، ويحيى بن يحيى النيسابورى، ومحمد بن الصباح الدولابى، وإبراهيم ابن سعد الجوهرى، ومحمد بن رافع، وآخرون، آخرهم إبراهيم بن عبد اللّه العبسى القَصَّار.[1]

١٠ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللّهُ -

قال على بن عثَّام: مرض وكيع، فدخلنا علَيه، فقال: إن سفيان أتانى، فبشرنى بجواره، فأنا مبادر إليه.[2]

قال أبو هشام الرفاعى: مات وكيع سنة سبع وتسعين ومئة، يوم عاشوراء، فَدُفِنَ بـ «فَيْد»، يعنى راجعًا من الحج.[3]

قال أحمد بن حنبل: حج وكيع سنة سبع وتسعين، ومات بـ «فَيْد».[2]

قال الذهبى: عاش ثمانيًا، وستين سنة سوى شهرٍ، أو شهرين.[2]

---

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ١١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٦٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٦٦)، و «فيد» بلدة على النصف بين مكة والكوفة.

مِنْ أَعْلامِ السَّلَفِ

(٢٤)

سُفْيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسمُهُ: سفيان بن عيينة بن أبى عمران، ميمون الهلالى، أبو محمد الكوفى، مولى محمد بن مزاحم، أخى الضحاك بن مزاحم.(١)

مولِدُهُ: عن محمد بن عمر، قال: أخبرنى سفيان بن عيينة: أنه وُلِدَ سنة سبع ومئة.

قال ابن سعد: وكان أصله من أهل الكوفة، وكان عمال خالد بن عبد الله الْقَسرى، فلما عُزِلَ خالد عن العراق، وولى يوسف بن عمر الثقفى، طلب عمال خالد، فهربوا منه، فلحق عيينة بن أبى عمران بمكة، فنزلها.(٢)

صفَتُهُ: قال المزِّىُّ: وكان أعورَ.(٣)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال أبو نعيم: ومنهم الإمام الأمين، ذو العَقلَ الرصين، والرأى الراجح الركين، المستنبط للمعانى، والمرتبط للمبانى، أبو محمد، سفيان بن عيينة الهلالى، كان عالمًا ناقدًا، وزاهداً عابداً، علمه مشهور، وزهده معمور.(٤)

قال الذهبى: طلب الحديث، وهو حدثٌ، بل غلام، ولقى الكبار، وحمل عنهم علما جماً، وأتقن، وجَوَّد، وصنَّفَ، وعُمِّر دهرًا، وازدحم الخلق عليه،

(١) تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧، ١٧٨).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٧).
(٣) تهذيب الكمال (١١/ ١٧٨).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٠).

وانتهى إليه علو الإسناد، ورُحِلَ إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد.[1]

وقال على ابن المدينى: ما من أصحاب الزهرى أحدٌ، أتقن من سفيان بن عيينة.[1]

وقال أحمد بن عبد الله العجلى: كان ابن عيينة ثبتاً فى الحديث، وكان حديثه نحوًا من سبعة آلاف، ولم تكن له كتب.[1]

وقال بهز بن أسد: ما رأيت مثل سفيان بن عيينة؛ فقيل له: ولا شعبة؟ قال: ولا شعبة.[1]

وقال يحيى بن معين: وهو أثبت الناس، فى عمرو بن دينار.[1]

وقال ابن المدينى: قال لى يحيى القطان: ما بقى من معلمى أحد، غير سفيان ابن عيينة؛ وهو إمام منذ أربعين سنة.[2]

وقال ابن المبارك: سئل سفيان الثورى عن سفيان بن عيينة، فقال: ذاك أحد الأحدين، ما أغربه.[2]

وقال أبو حاتم الرازى: سفيان بن عيينة، إمام، ثقةٌ، كان أعلم بحديث عمرو ابن دينار من شعبة، قال: وأثبت أصحاب الزهرى، هو ومالك.[3]

وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعى يقول: لولا مالك وسفيان، لذهب علم الحجاز.[4]

وقال على: وسمعت بشر بن المفضل، يقول: ما بقى على وجه الأرض أحدٌ، يشبه سفيان بن عيينة.[4]

وقال عثمان بن سعيد الدارمى: سألت يحيى بن معين، قلت له: ابن عيينة أحب إليك، فى عمرو بن دينار، أو الثورى؟ فقال: ابن عيينة أعلم به، قلت: فابن عيينة أحب إليك فيه، أو حماد بن زيد، قال: ابن عيينة أعلم به، قلت: فشعبة؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٦١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٦٤).

(٤) تهذيب الكمال (١١/ ١٨٩).

قال: وأيش روى عنه شعبة؟ إنما روى عنه نحوًا من مئة حديث.[1]

وقال محمد بن إسحاق: وكان ثقةً، ثبتاً، كثيرَ الحديث، حُجَّةً، توفى وهو ابن إحدى وتسعين سنة.[2]

٣ – سعَةُ علْمِهِ – رَحِمَهُ اللَّهُ–

قال حرملة بن يحيى: سمعت الشافعى يقول: ما رأيت أحدًا من الناس، فيه من آلة العلم، ما فى سفيان بن عيينة، وما رأيت أحدًا، أكفأ فى الفتيا منه.[1]

قال الشافعى -رحمه الله-: وجدت أحاديث الأحكام كلها، عند ابن عيينة، سوى ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك، سوى ثلاثين حديثًا.

قال الذهبى: فهذا يوضح لك، سعة دائرة سفيان فى العلم، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين، إلى أحاديث الحجازيين، وارتحل، ولقى خلقًا كثيرًا، ما لقيهم مالك، وهما نظيران فى الإتقان، ولكن مالكًا أجل وأعلى، فعنده نافع، وسعيد المقبرى.[3]

وقال عبد الرحمن بن مهدى: كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز.[4]

وقال ابن وهب: لا أعلم أحدًا، أعلم بالتفسير من ابن عيينة.[5]

وقال أحمد: ما رأيت أعلم بالسنن منه.[5]

٤ – اتِّبَاعُهُ للسُّنَّةِ – رَحِمَهُ اللَّهُ–

قال الذهبى: كان سفيان -رحمه اللَّه- صاحب سنة، واتباع.

قال الحافظ ابن أبى حاتم: حدثنا محمد بن الفضل بن موسى، حدثنا محمد ابن منصور الجواز، قال: رأيت سفيان بن عيينة، سأله رجل: ما تقول فى القرآن؟

---

(١) تهذيب الكمال (١١/ ١٩٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٨).
(٥) تاريخ الإسلام (١٣/ ١٩٣).

قال: كلام الله، منه خرج، وإليه يعود.[1]

وقال محمد بن إسحاق الصَّاغانى: حدثنا لوين، قال: قيل لابن عيينة: هذه الأحاديث التى تروى فى الرؤية؟ قال: حقّ على ما سمعناها، ممن نثق به ونرضاه.[1]

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهرى: سمعت ابن عيينة، يقول: الإيمان قولٌ، وعمل، يزيد، وينقص.[2]

٥ – زُهْدُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ – وَأَقْوَالُهُ فِي الزُّهْدِ

قال أحمد بن أبى الحوارى: قلت لسفيان بن عيينة: ما الزهد فى الدنيا؟ قال: إذا أنعم عليه، فشكر، وإذا ابتلى ببليَّة، فصبر، فذلك الزهد.[2]

وقال المسيب بن واضح: سئل ابن عيينة عن الزهد، قال: الزهد فيما حرَّم الله، فأما ما أحل فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا، وركبوا، ولبسوا، وأكلوا، لكن الله نهاهم عن شيء، فانتهوا عنه، وكانوا به زهادًا.[3]

وعن أحمد بن عبدة، ثنا سفيان بن عيينة، قال: الزهد فى الدنيا: الصبر، وارتقاب الموت.[4]

وعن حرملة بن يحيى قال: أخذ سفيان بن عيينة بيدى، فأقامنى فى ناحية، وأخرج من كمه رغيف شعير، وقال لى: دع -يا حرملة- ما يقول الناس: هذا طعامى منذ ستين سنة.[4]

٦ – شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن عبد الملك بن عمير، وأبى إسحاق السبيعى، وزياد بن علاقة، والأسود بن قيس، وأبان بن تغلب، وإبراهيم بن موسى، ومحمد بن عقبة، وإسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، وإسرائيل بن موسى،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٦٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٦٩).

(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٢).

وإسماعيل بن أبى خالد، وإسماعيل بن أمية، وأيوب بن موسى، وأيوب بن أبى تميمة السختيانى، ويزيد بن أبى بردة، وبيان بن بشر، وجعفر الصادق، وجامع ابن أبى راشد، وحميد الطويل، وحميد بن قيس الأعرج، وزكريا بن أبى زائدة، وزيد بن أسلم، وسالم أبى النضر، وأبى حازم ابن دينار، وسليمان التيمى، وسليمان الأحول، وسمى، وسهيل، وشبيب بن غرقدة، وصالح بن كيسان، وصالح بن صالح بن حى، وصفوان بن سليم، وضمرة بن سعيد، وعاصم الأحول، وعاصم بن بهدلة بن كليب، وعبد الله بن دينار، وأبى الزناد، وعبد الله بن طاووس، وعبد الله بن أبى حسين، وابن أبى نجيح، وعبد ربه وسعد ويحيى أولاد سعيد بن قيس الأنصارى، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد العزيز بن رفيع، وعبد الكريم بن أمية، وعبد الكريم الجزرى، وعبيد الله بن عمر، وعبيد الله بن أبى بريد، وعلى بن زيد بن جدعان، وعبيد الله بن عبد الله ابن الأصم، وعمرو بن دينار، والزهرى، والعلاء بن عبد الرحمن، وابن عجلان، ومحمد بن عمرو بن علقمة، ومطرف بن طريف، والأعمش، ومنصور، والوليد بن كثير، ويزيد بن خصيفة، وأبى إسحاق الشيبانى، وأبى يعفور الكبير، وأبى يعفور الصغير، وخلق لا يحصون.(١)

تلامذته: قال الحافظ: وعنه الأعمش، وابن جريج، وشعبة، والثورى، ومسعر، وهم من شيوخه، وأبو إسحاق الفزارى، وحماد بن زيد، والحسن بن حى، وهمام، وأبو الأحوص، وابن المبارك، وقيس بن الربيع، وأبو معاوية، ووكيع، ومعمر بن سليمان، ويحيى بن أبى زائدة، وهم من أقرانه، وماتوا قبله، ومحمد بن إدريس الشافعى، وعبد الله بن وهب، ويحيى القطان، وابن مهدى، وأبو أسامة، وروح بن عبادة، والفريابى، وأبو الوليد الطيالسى، وعبد الرزاق، وأبو نعيم، وأبو غسان النهدى، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلى ابن المدينى، وإسحاق بن راهويه، وعمرو بن على الفلاس، وابنا أبى شيبة،

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ١٠٤).

وأبو خيثمة، وأحمد بن صالح المصرى، وأحمد بن منيع، وأبو توبة الحلبى، وأبو جعفر النفيلى، وأبو بكر الحميدى، وابن عمر العدنى، وعلى بن حجر، وعلى بن خَشْرم، وقتيبة، وموسى العنزى، وهارون الجمال، وأحمد بن شيبان الرملى، والحسن بن محمد الزعفرانى، والزبير بن بكار، ومحمد بن عيسى بن حبان، ومحمد بن عاصم الأصبهانى، وطوائف كثيرة.(١)

٧ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ

عن محمد بن ميمون الخياط، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: إذا كان نهارى نهار سفيه، وليلى ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذى جمعت.(٢)

وعن إبراهيم الجوهرى، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: إنما أرباب العلم، الذين هم أهله، الذين يعملون به.(٢)

وعن على بن الجعد، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: من زيد فى عقله، نقص من رزقه.(٢)

وعن سيد بن داود، عن ابن عيينة، قال: من كانت معصيته فى الشهوة، فارجُ له التوبة، فإن آدم -عليه السلام- عصى مشتهيًا، فغفر له، وإذا كانت معصيته فى كبر، فأخشى على صاحب اللعنة؟ فإن إبليس عصى مستكبرًا، فلعن.(٣)

وعن أبى معمر، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: ليس العالم الذى يعرف الخير والشر؛ إنما العالم الذى يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر، فيجتنبه.(٤)

وعن أحمد بن محمد بن أيوب، قال: اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينة، فقال: من أحوج الناس إلى هذا العلم؟ فسكتوا، ثم قالوا: تكلم يا أبا محمد، قال: أحوج الناس إلى العلم العلماء، وذلك أن الجهل بهم أقبح، لأنهم غاية الناس، وهم يسألون.(٥)

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ١٠٤).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٢٧١).
(٣) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٢).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٤).
(٥) حلية الأولياء (٧/ ٢٨١).

وعن سفيان بن عيينة، قال: كان يقال: جالس الحكماء؛ فإن مجالستهم غنيمة، وصحبتهم سليمة، ومؤاخاتهم كريمة.(١)

عن أبي موسى الأنصاري، قال: قال: من أبر البر؟ كتمان المصائب، قال: وسمعت سفيان، يقول: لا تكن مثل العبد السوء، لا يأتي حتى يدعى؛ ائت الصلاة قبل النداء، قال: وسمعت سفيان، يقول: قال رجل: من توقير الصلاة، أن تأتي قبل الإقامة.(٢)

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة، رجل كان له عبدٌ، فجاء يوم القيامة، أفضل عملاً منه، ورجل له مال، فلم يتصدق منه، فمات، فورثه غيره، فتصدق منه، ورجل عالم، لم ينتفع بعلمه فَعَلَّمَه غيره، فانتفع به.(٣)

وقال أبو أيوب، سليمان بن داود، عن سفيان بن عيينة: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة، لم يزدد على الكثير منها إلا شَراً.(٤)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن الحسن بن عمران بن عيينة بن أبي عمران ابن أخي سفيان، قال: حججت مع عمي سفيان آخر حجَّة حجها، سنة سبع وتسعين ومئة، فلما كنا بجمع، وصلى، استلقى على فراشه، ثم قال: وقد وافيت هذا الموضع، سبعين عامًا أقول في كل سنة: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت الله، من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع، فتوفي في السنة الداخلة، يوم السبت، أول يوم من رجب، سنة ثمان، وتسعين ومئة، ودفن بالحجون.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٤).

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٥).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٨).

(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٧).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٢٥)

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيّ

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ

اسْمُهُ: عبد الرحمن بن مهدى بن حسان بن عبد الرحمن، العنبرى، وقيل: الأزدى، مولاهم، أبو سعيد البصرى اللؤلؤى.

مَوْلِدُهُ: عن أبى الوليد الطيالسى، قال: وُلِدَ عبد الرحمن بن مهدى، فى سنة خمس وثلاثين ومئة. (١)

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله، يقول: وُلِدَ عبد الرحمن بن مهدى، سنة خمس وثلاثين ومئة. (١)

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال أيوب بن المتوكل: كنا إذا أردنا أن ننظر إلى الدين، والدنيا، ذهبنا إلى دار عبد الرحمن بن مهدى. (٢)

وقال محمد بن أبى بكر المقدَّمى: ما رأيت أحدًا، أتقن لما سمع، ولما لم يسمع، ولحديث الناس من عبد الرحمن بن مهدى، إمامٌ ثبت، أثبت من يحيى بن سعيد، وأتقن من وكيع، كان عرض حديثه على سفيان. (٣)

قال ابن حبان: وكان من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع فى الدين، ممن حفظ، وجمع، وتفقَّهَ، وصنَّف، وحدَّث، وأبى الرواية إلا عن الثقات. (٤)

---

(١) تهذيب الكمال (٧/ ٤٣٥). (٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٧)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٤، ١٩٥). (٤) الثقات لابن حبان (٨/ ٣٧٣).

وقال محمد بن سعد: وكان ثقة، كثير الحديث.[١]

وعن خالد بن يزيد المخرمى، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كأن عبد الرحمن بن مهدى، خُلِقَ للحديث.[٢]

وعن زياد بن أيوب، قال: كنا فى مجلس هشيم، فلما قام، أخذ أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلف بن سالم، بيد فتًى أَمَّنَا، فأدخلوه مسجدًا، وكتبوا عنه، وكتبنا، فإذا هو عبد الرحمن بن مهدى.[٣]

وعن الحسن بن محمد بن الصباح، قال: أخبرنى غير واحد، أنهم كانوا عند حماد بن زيد، فسئل عن مسألة، فقال: أين ابن مهدى؟ من لهذا إلا ابن مهدى؟ قال: فأقبل عبد الرحمن، فسأله عن ذلك، فأجاب: فلما قام من عنده، قال: هذا سيد -أو فتى- البصرة، منذ ثلاثين سنة، أو نحو هذا.[٣]

وعن على بن المدينى، قال غير مرة: والله، لو أُخِذْتُ، فحلفت بين الركن والمقام، لحلفت بالله أنى لم أر أحداً قط، أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدى.[٤]

وقال أيوب بن المتوكل: كان حماد بن زيد، إذا نظر إلى عبد الرحمن بن مهدى فى مجلسه، تهلل وجهه.[٥]

وقال محمد بن عبد الرحيم صاعقة: سمعت علياً يقول: -وذكر الفقهاء السبعة- فقال: كان أعلم الناس بقولهم، وحديثهم، ابن شهاب، ثم بعده مالك، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدى.[٦]

وقال الخطيب البغدادى: وهو بصرى، قدم بغداد، وحدَّث بها، وكان من الربانيين فى العلم، وأحد المذكورين بالحفظ، وممن برع فى معرفة الأثر، وطرق الروايات، وأحوال الشيوخ.[٧]

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٩٧).
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٣).
(٣) حلية الأولياء (٩/ ٥).
(٤) تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠١).
(٦) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٢).
(٧) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠).

٣ – عِبَادَتُـهُ – رَحِمَـهُ اللَّـهُ –

قال ابن المديني: دخلت على امرأة عبـد الرحمن بن مهدى، وكنت أزورها بعد موته، فرأيت سواداً فى القبلة، فقلت: ما هذا؟ قـالت: موضع استراحة عبد الرحمن، كان يصلى بالليل، فإذا غلبه النوم، وضع جبهته عليه.(١)

وقال على: كان ورد عبد الرحمن كل ليلة، نصف القرآن.(٢)

قال رسـتة: وكان عـبد الرحمن يحـج كل عـام، فمات أخـوه، وأوصى إليه، فأقام على أيتامه، فسمعته يقـول: قد ابتليت بهؤلاء الأيتام، فاستقرضت من يحيى ابن سعيد، أربع مئة دينار، احتجـت إليها فى مصلحة أرضهم.(٣)

٤ – حِفْظُـهُ وَضَبْطُـهُ وَتَثَبُّتُـهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

تقـدم قول الحـافظ الخطيب البـغـدادى: كان من الربانيـين فى العلم، وأحـد المذكورين بالحفظ، وممن برع فى معرفة الأثر، وطرق الروايات، وأحوال الشيوخ.(٤)

وعن حنبل قال: قال أبو عبد الله: إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن، فعبد الرحمن أثبت، لأنه أقرب عهداً بالكتاب.(٥)

وعن عبيد الله بن عمر القواريرى: أملى عـبد الرحمن بن مهدى، عشرين ألف حديثاً حفظًا.(٦)

وعن خالد بن يزيد الخـواص المخرمى: سمـعت أحمد بن حنبل، يقـول: كأن عبد الرحمن بن مهدى خُلِقَ للحديث.(٦)

وقال محمد بن عبد الرحيم صاعقة: سـمعت علياً يقول –وذكر الفقهاء السبعة–، فقال: كان أعلـم الناس بقولهم وحديثهم ابن شهاب، ثم بعـده مالك، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدى.(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٤، ٢٠٥).
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠).
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٣).
(٦) حلية الأولياء (٩/ ٣).
(٧) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٢).

وقال محمد بن يحيى الذهلى: ما رأيت فى يدى عبد الرحمن بن مهدى كتاباً قط، يعنى كان يحدث حفظًا.(١)

وعن عمرو بن على، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدى، يقول: حدثنا أبو خلدة، فقال له رجل: أكان ثقة؟ فقال: كان صدوقًا، وكان خياراً، وكان مأمونًا، الثقة: سفيان، وشعبة.(٢)

وقال ابن حبان، فى صدر كتابه فى «الضعفاء»: إلا أن أكثرهم تنقيرًا عن شأن المحدثين، وأتركهم للضعفاء والمتروكين، حتى يجعله لهذا الشأن صناعة لهم، لم يتعدوها، مع لزوم الدين، والورع الشديد، والتفقه فى السنن، رجلين: يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدى.(٣)

وقال سهل بن صالح: سمعت يزيد بن هارون، يقول: وقعت بين أسدين: عبد الرحمن بن مهدى، ويحيى القطان.(٤)

٥ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن عبد الرحمن بن عمر، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدى، يقول: كنا فى جنازة، فيها عبيد الله بن الحسن العنبرى، وهو يومئذ قاضى البصرة، وموضعه فى قومه، وقدره عند الناس، فتكلم فى شىء فأخطأ، فقلت وأنا يومئذ حدث: ليس هكذا يا أبى، عليك بالأثر، فتزايد علىَّ الناس، فقال عبيد الله: دعوه، وكيف هو؟ فأخبرته، فقال: صدقت يا غلام، إذاً أرجع إلى قولك، وأنا صاغر.(٥)

وعن أبى موسى محمد بن المثنى، قال: رأيت فى حجر عبد الرحمن بن مهدى كتابًا.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٣). (٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٥).
(٣) المجروحين من المحدثين، والضعفاء، والمتروكين (١/ ٥٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٦). (٥) حلية الأولياء (٩/ ٦).

وعن إبراهيم بن زياد -سبلان-، قال: سألت عبد الرحمن بن مهدى: ما تقول فيمن يقول. القرآن مخلوق؟ فقال: لو كان لى سلطان، لقمت على الجسر، فكان لا يمر بى أحدٌ، إلا سألته، فإذا قال لى مخلوق: ضربت عنقه، وألقيته فى الماء.(١)

وعن عبد الرحمن بن عمر، قال: ذكر عند عبد الرحمن بن مهدى قوم، من أهل البدع، واجتهادهم فى العبادة، فقال: لا يقبل الله، إلا ما كان على الأمر والسنة، ثم قرأ ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ (الحديد:٢٧)، فلم يقبل ذلك منهم، ووبخهم عليه، ثم قال: الزم الطريق والسّنّة.

وسمعت عبد الرحمن بن مهدى، يكره الجلوس إلى أصحاب الأهواء، ويكره أن يجالسهم، أو يماريهم، فقلت له: أترى للرجل، إذا كانت له خصومة، وأراد أن يكتب عهده أن يأتيهم؟ قال: لا، مشيك إليهم توقير، وقد جاء فيمن وقر صاحب بدعة ما جاء.(٢)

وقال رُستَة: سمعت ابن مهدى، يقول لفتى من ولد الأمير، جعفر بن سليمان: بلغنى أنك تتكلم فى الرب، وتصفه، وتشبهه، قال: نعم، نظرنا، فلم نر من خلق الله شيئاً، أحسن من الإنسان، فأخذ يتكلم فى الصفة، والقامة، فقال له: رويدك يا بنى، حتى تتكلم أول شىء فى المخلوق، فإن عجزنا عنه، فنحن عن الخالق أعجز، أخبرنى عما حدثنى شعبة، عن الشيبانى، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (النجم:١٨)، قال: رأى جبريل، له ستمائة جناح، فبقى الغلام يَنظرَ، فقال: أنا أُهَوِّنُ عليك، صف لى خلقًا، له ثلاثة أجنحة، وركب الجناح الثالث منه موضعًا، حتى أعلم، قال: يا أبا سعيد، عجزنا عن صفة المخلوق، فأشهدك أن قد عجزت، ورجعت.(٣)

(١) حلية الأولياء (٩/٧).

(٢) حلية الأولياء (٩/٨، ٩)، ولعله يقصد -رحمه الله- ما جاء في الأثر، «من وقر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الدين».

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/١٩٦، ١٩٧).

وقال الذهبي: ونقل غير واحد، عن عبد الرحمن بن مهدي، قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا: أن يكون الله كلم موسى، وأن يكون ﴿اسْتَوَى﴾ على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا، وإلا ضربت أعناقهم.(١)

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ -رحمهم الله-

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن أيمن بن نابل، وجرير بن حازم، وعكرمة بن عمار، وأبي خلدة خالد بن دينار، ومهدي بن ميمون، ومالك، وشعبة، والسفيانين، والحمادين، وإسرائيل، وحرب بن شداد، ومحمد بن راشد، ومالك، ابن مغول، ووهيب، وهشام بن سعد، وهمام بن يحيى، والمثنى بن سعيد الضبعي، وسليم بن حيان، وسلام بن أبي مطيع، وإبراهيم بن نافع المكي، وأبان العطار، وصخر بن جويرية، وعمران القطان، ومنصور بن سعد، وخلق كثير.(٢)

تَلامِذَتُهُ: قالَ الحافظ: وعنه ابن المبارك، وهو من شيوخه، وابن وهب، وهو أكبر منه، وابنه موسى، وأحمد، وإسحاق، وعلي، ويحيى بن معين، ويحيى بن يحيى، وأبو ثور، وأبو خثيمة، وأبو عبيد، وأحمد بن سنان القطان، وإبراهيم بن محمد بن عزرة، وابنا أبي شيبة، وعبد الله بن هاشم الطويل، وعبد الرحمن بن عمر رستة، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي، وآخرون.(٣)

٧- دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ

عن عبيد الله بن سعيد، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: احفظ، لا يجوز الرجل أن يكون إمامًا، حتى يعلم ما يصح، مما لا يصح، وحتى لا يحتج بكل شيء، وحتى يعلم بمخارج العلم.(٤)

وعن عبد الرحمن بن عمر، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: يحرم على الرجل، أن يقول في أمر الدين إلا شيئًا سمعه من ثقة.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/١٩٩، ٢٠٠).
(٢) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٠، ٢٥١).
(٣) تهذيب التهذيب (٦/٢٥١).
(٤) حلية الأولياء (٩/ ٣).

وعن عبد الرحمن بن عمر، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدى، يقول: إذا لقى الرجلُ الرجلَ فوقه فى العلم، كان يوم غنيمة، وإذا لقى من هو مثله، دارسه وتعلم منه، وإذا لقى من هو دونه، تواضع له، وعلمه، ولا يكون إماماً فى العلم، من يحدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً فى العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إماماً فى العلم من يحدث بالشاذ من العلم، والحفظ والإتقان.(١)

وعن عبد الرحمن بن عمر، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدى، يقول: لولا أنى أكره أن يعصى الله، لتمنيت أن لا يبقى فى هذا المصر أحدٌ، إلا وقع فىَّ واغتابنى، وأى شىء أهنأ من حسنة، يجدها الرجل، فى صحيفته يوم القيامة، لم يعملها، ولم يعلم بها.(٢)

وعن أحمد بن سنان، قال. سمعت ابن مهدى، يقول: لزمت مالكًا حتى ملنى، فقلت يومًا: قد غِبْتُ عن أهلى، هذه الغيبة الطويلة، ولا أعلم ما حدث بهم بعدى، قال: يا بنى، وأنا بالقرب من أهلى، ولا أدرى، ما حدث بهم، منذ خرجت.(٣)

وعن عبد الرحمن بن عمر، قال: سمعت ابن مهدى، يقول: فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد.(٤)

وقال أبو قدامة: سمعت ابن مهدى، يقول: لأن أعرف علة حديثٍ، أحب إلىَّ من أن أستفيد عشرة أحاديث.(٤)

وقال رُسْتَة: قام ابن مهدى من المجلس، وتبعه الناس، فقال: يا قوم، لا تَطَؤنَّ عقبى، ولا تمشُنَّ خلفى، حدثنا أبو الأشهب عن الحسن، قال عمران: خفق النعال، خلف الأحمق، قَلَّ ما يُبقى من دينه.(٥)

---

(١) حلية الأولياء (٩/٤).
(٢) حلية الأولياء (٩/١١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/٢٠٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/٢٠٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/٢٠٧).

قال رُسْتَة: سألت ابن مهدى، عن الرجل يتمنى الموت، مخافة الفتنة على دينه، قال: ما أرى بذلك بأسًا، لكن لا يتمناه من ضُرٍّ به، أو فاقة، تمنى الموت أبو بكر وعمر، ومن دونهما.[١]

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللهُ -

قال الذهبى: توفى ابن مهدى بالبصرة فى جمادى الآخرة، سنة ثمان وتسعين ومئة.[٢]

وقال الخطيب البغدادى: ومات عبد الرحمن بن مهدى، سنة ثمان وتسعين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ولد سنة خمس وثلاثين ومئة.

وعن أحمد بن سفيان، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدِى، سئل عن سِنِّه، سنة خمس وتسعين، فقال: هذه السنة تتم لى ستين، ومات عبد الرحمن فى رجب سنة ثمان وتسعين وهو ابن ثلاث وستين.[٣]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٦).
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٢٦)

يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْقَطَّانِ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: يحيى بن سعيد بن فَرُّوخ القطان، التميمي، أبو سعيد البصرى، الأحول الحافظ، يقال: مولى بنى تميم، ويقال: ليس لأحد عليه ولاء.(١)

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: وُلِدَ فى أول سنة عشرين ومئة.(٢)

صِفَتُهُ: قال الحافظ ابن عمار: كنت إذا نظرت إلى يحيى القطان، ظننت أنه لا يحسن شيئًا، بزىِّ التجار، فإذا تكلَّم، أَنْصَتَ له الفقهاء.(٣)

وقال أحمد بن محمد بن يحيى القطان: لم يكن جَدِّى يمزح، ولا يضحك إلا تبسمًا، ولا دخل حمامًا، وكان يخضب.(٣)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن بندار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، إمام أهل زمانه.(٤)

وقال إسحاق بن إبراهيم الشهيدى: كنت أرى يحيى القطان، يصلى العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه على ابن المدينى، والشاذكونى، وعمرو بن على، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم، يسألونه عن الحديث، وهم قيام على أرجلهم، إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لواحدٍ

---

(١) تهذيب الكمال (٣١/ ٣٢٩، ٣٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٩).

(٤) تهذيب الكمال (٣١/ ٣٣٩).

منهم، اجلس، ولا يجلسون، هيبة له، وإعظاماً.(١)

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبى يقول: حدثنى يحيى القطان، وما رأت عيناى مثله.(٢)

وعن عبد الله بن بشر الطالقانى، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: يحيى ابن سعيد أثبت الناس، قال أحمد: وما كتبت عن مثل يحيى بن سعيد.(٣)

وعن أبى عوانة، قال: إن كنتم تريدون الحديث، فعليكم بيحيى القطان، فقال له رجل: فأين حماد بن زيد؟ قال: يحيى بن سعيد معلمنا.(٤)

قال عبد الرحمن بن مهدى: اختلفوا يومًا عند شعبة، فقالوا له: اجعل بيننا، وبينك حكمًا، قال: قد رضيت بالأحول -يعنى القطان- فجاء فقضى على شعبة، فقال شعبة: ومن يطيق نقدك يا أحول.(٥)

وقال محمد بن بندار الجرجانى: قلت لابن المدينى: من أنفع من رأيت للإسلام وأهله؟ قال: يحيى بن سعيد القطان.(٦)

وقال أحمد بن عبد الله العجلى: كان يحيى بن سعيد نقى الحديث، لا يحدث إلا عن ثقة.(٦)

وعن أحمد بن أبى الحوارى، قال: سمعت أحمد بن حنبل -ولقيته بحمص- يقول: المتثبت عندنا بالعراق ثلاثة: يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدى، ووكيع بن الجراح.(٧)

وعن على ابن المدينى، قال: سنح لى ليلة خالد بن الحارث، فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لى إن الأمر شديد. قلت: فما فعل بيحيى بن سعيد القطان؟

---

(١) تهذيب الكمال (٣١/ ٣٣٩).
(٢) صفة الصفوة (٣/ ٣٦٥).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨١).
(٧) حلية الأولياء (٨/ ٣٨١).

قال: نراه كما ترون الكوكب الدرى فى السماء.(١)

وقال محمد بن سعد: وكان ثقة، مأمونًا، رفيعًا حجة.(٢)

٣ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن يحيى بن معين، قال: أقام يحيى بن سعيد، عشرين سنة، يختم القرآن، فى كل ليلة، ولم يفته الزوال فى المسجد، أربعين سنة، وما رؤى يطلب جماعة قط.(٣)

عن عمرو بن على، قال: كان يحيى بن سعيد القطان، يختم القرآن، كل يوم وليلة، يدعو لألف إنسان، ثم يخرج بعد العصر، فيحدث الناس.(٤)

وقال ابنُ خزيمة: سمعت بُندارًا يقول: اختلفت إلى يحيى بن سعيد، أكثر من عشرين سنة، ما أظنه عصى الله، هذه قط.(٤)

وقال محمد بن يحيى بن سعيد: قال أبى: كنت أخرج من البيت، أطلب الحديث، فلا أرجع إلا بعد العتمة.(٥)

٤ - تَشَدُّدُهُ فِى نَقْدِ الرِّجَالِ

قال الذهبى -رحمه الله-: كان يحيى بن سعيد، متعنتًا فى نقد الرجال، فإذا رأيته قد وثق شيخًا فاعتمد عليه، أما إذا لين أحدًا، فتأن فى أمره، حتى ترى قول غيره، فقد ليَّن مثل: إسرائيل، وهمام، وجماعة احتج بهم الشيخان، وله كتاب فى الضعفاء لم أقف عليه، ينقل منه ابن حزم، وغيره، ويقع كلامه فى سؤالات على، وأبى حفص الصيرفى، وابن معين له.(٥)

---

(١) صفة الصفوة (٣/ ٣٦٧). (٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٩٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٤١)، وقوله: يختم كل ليلة يعتذر عنه، ولا يقتدى به فيه، فلم يرخص النبى ﷺ أن يختم فى أقل من ثلاثة أيام.

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٨). (٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨٣).

عن على ابن المدينى، قال: ما رأيت أعلم بالرجال، من يحيى بن سعيد القطان، ولا رأيت أعلم بصواب الحديث، والخطأ، من عبد الرحمن بن مهدى، فإذا اجتمع يحيى، وعبد الرحمن بن مهدى، على ترك حديث رجل، تركت حديثه، وإذا حدَّث عنه أحدهما حدثت عنه.(١)

وعن يحيى قال: قال لى يحيى القطان: لو لم أروِ إلا عمن أرضى، لم أروِ إلا عن خمسة.(٢)

وقال أحمد بن عبد الله العجلى: كان يحيى بن سعيد نقى الحديث، لا يحدث إلا عن ثقة.(٣)

قال عبد الرحمن بن مهدى: اختلفوا يوماً عند شعبة، فقالوا له: اجعل بيننا وبينك حكمًا، قال: قد رضيت بالأحول، يعنى القطان، فجاء، فقضى على شعبة، فقال شعبة: ومن يطيق نقدك يا أحول.(٤)

٥ - حِفْظُهُ وَتَثَبُّتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبى: عنى بهذا الشان أتم عناية، ورحل فيه، وساد الأقران، وانتهى إليه الحفظ، وتكلم فى العلل والرجال، وتخرج به الحفاظ، كمسدد، والفلاَّس، وكان فى الفروع على مذهب أبى حنيفة، فيما بلغنا إذا لم يجد النَّصّ.(٥)

قال على ابن المدينى: لم أر أحداً أثبت من يحيى بن سعيد القطان.(٦)

وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبى: من رأيت فى هذا الشأن، يعنى الحديث؟ قال: ما رأيت مثل يحيى بن سعيد، قلت: فهشيمٌ، قال: هشيم شيخ، ما رأيت مثل يحيى، قلت: وعبد الرحمن بن مهدى؟ قال: لم نر مثل يحيى فى كل أحواله.(٧)

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٦).
(٦) تهذيب الكمال (٣١/ ٣٣٦).
(٧) تهذيب الكمال (٣١/ ٣٣٧).

وقال أبو داود: قلت لأحمد بن حنبل: كان يحيى يحدثكم من حفظه، قال: ما رأينا كتابًا، كان يحدثنا من حفظه، ويقرأ علينا الطوال من كتابنا.(١)

وعن أبي عوانة قال: إذا كنتم تريدون الحديث فعليكم بيحيى القطان، فقال له رجل: فأين حماد بن زيد، قال: يحيى بن سعيد معلمنا.(٢)

وقال عبد الله بن بشر الطالقاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يحيى بن سعيد أثبت الناس.(٢)

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن سليمان التيمي، وحميد الطويل، وإسماعيل بن أبي خالد، وعبيد الله بن عمر، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وعكرمة ابن عمار، ويزيد بن أبي عبيد، وأبان بن صمعة، وبهز بن حكيم، وجعفر بن محمد ابن علي بن الحسين، وجعفر بن ميمون، والأعمش، وحسين المعلم، وابن جريج، والأوزاعي، ومالك، وابن عجلان، وأبي صخر حميد بن زياد، والحسن بن ذكوان، وحاتم بن أبي صغيرة، وخثيم بن عراك، وسليم بن حيان، وشعبة، وسفيان الثوري، وابن أبي عروبة، وسيف بن سليمان، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند، وعبد الحميد ابن جعفر، وعبد الملك بن أبي سليمان، وعثمان بن غياث، وعثمان بن الأسود، وعبيد الله بن الأخنس، وعوف الأعرابي، وعمران القصير، وقرة بن خالد، وفضيل ابن غزوان، ويزيد بن كيسان، والمثنى بن سعيد الضبعي، وخلق كثير.(٣)

تَلامِذَتُهُ: ابنه محمد بن يحيى بن سعيد، وحفيده، أحمد بن محمد، وأحمد، وإسحاق، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، وعمرو بن علي الفلاَّس، ومسدَّد، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وأبو خيثمة، وبشر بن الحكم، وصدقة بن الفضل، وأبو قدامة السرخسي، وعبد الله بن عمر القواريري، وبندار، وأبي موسى، ويعقوب الدورقي، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، وأبو كامل الجحدري، وخلق

(١) تهذيب الكمال (٣١/ ٣٣٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٨).
(٣) تهذيب التهذيب (١١/ ١٩٠).

كثير آخرهم موتاً: أبو يعلى ابن شداد المسمعي، وحدث عنه من شيوخه شعبة، والسفيانان، ومن أقرانه: معتمر بن سليمان، وعبد الرحمن بن مهدى.[١]

٧ - دُرَرٌ مِنْ أقْوَالِهِ

عن عمرو بن علىّ، قال: قلت ليحيى فى مرضه، الذى مات فيه: يعافيك الله فقال: أحبه إلى أحبه إلى الله عز وجل.[٢]

قال محمد بن عبد اللّه بن عمار: قال يحيى بن سعيد: لا تنظروا إلى الحديث، ولكن انظروا إلى الإسناد، فإن صحَّ الإسناد، وإلا فلا تغتروا بالحديث، إذا لم يصح الإسناد.[٣]

وعن علىّ بن عبد اللّه، قال: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: القَدَر والعلم والكتاب عندنا واحد، وسمعته -وسأله ابنه محمد-، فقال: يا أبت، المعاصى بقدر؟ قال: المعاصى تقدر.[٤]

وعن شاذى بن يحيى قال: قال يحيى بن سعيد القطان: من زعم أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾ مخلوق، فهو زنديق، واللّه الذى لا إله إلا هو.[٤]

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبى: قالوا: توفى يحيى بن سعيد فى صفر، سنة ثمان وتسعين ومئة، قبل موت ابن مهدى، وابن عيينة، بأربعة أشهر-رحمهم اللّه تَعَالَى-.[٥]

وعن على ابن المدينى، قال: رأيت خالد بن الحارث فى النوم، فقلت: ما فعل اللّه بك؟ قال: غفر لى على أن الأمر شديد، قلت: فما فعل بيحيى القطان، قال: نراه، كما يُرَى الكوكب الدرى فى السماء.[٥]

---

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ١٩٠).
(٢) صفة الصفوة (٣/ ٣٦٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨٨).
(٤) حلية الأولياء (٨/ ٣٨١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨٧).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٢٧)

نَاصِرُ الحَقِّ والسُّنَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ إدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ

١ - اسْمُهُ وَنَسَبُهُ وَمَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ وَصِفَتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

اسمُهُ ونسَبُهُ وكنيَتُهُ: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب.

كنيَتُهُ: أبو عبد الله.

وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، يلتقى معه فى جده، عبد مناف، فرسول الله ﷺ من بنى هاشم بن عبد مناف، وإمامنا الشافعى من بنى عبد المطلب بن عبد مناف، وقال النبى ﷺ : «**إِنَّمَا بَنُو المطَّلِب، وَبَنُو هَاشِم شَىْء وَاحِد**».[١]

قال النووى -رحمه الله-: اعلم أنه ﷺ كان من أنواع المحاسن بالمحل الأعلى، والمقام الأسنى، لما جمعه الله له من أنواع المكرمات، فمن ذلك شرف النسب الطاهر، والعنصر الباهر، واجتماعه هو، ورسول الله ﷺ فى النسب، وذلك غاية الشرف، ونهاية الحسب، ومن ذلك شرف المولد والمنشأ، فإنه ولد بالأرض المقدسة، ونشأ بمكة.[٢]

مولدُهُ وَنَشْأتُهُ: قال الذهبى -رحمه الله-: اتفق مولد الإمام -رحمه الله- بغزة، ومات أبوه إدريس شاباً، فنشأ محمد يتيمًا فى حجر أمه، فخافت عليه الضيعة،

(١) رواه البخارى (٦/ ٦١٦)، المناقب، وأبو داود (٢٩٦٢)، الخراج والإمارة، والنسائى (٧/ ١٣٠، ١٣١).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات، للإمام النووى (١/ ٤٩)، دار الكتب العلمية.

فتحولت إلى محتده، وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل على الرمى، حتى فاق الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية، والشعر، فبرع فى ذلك، وتقدم، ثم حُبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه.(١)

وقال العليمى: أبو عبد الله الشافعى، الإمام الأعظم، والحبر المكرم، أحد الأئمة المجتهدين الأعلام، إمام أهل السنة، ركن الإسلام، لقى جده شافع رسول الله ﷺ وهو مترعرع، وكان أبوه السائب صاحب راية بنى هاشم، يوم بدر فأسر، وفدى نفسه ثم أسلم.

فقيل له: لِمَ لَمْ تسلم قبل أن تفدى نفسك؟ فقال: ما كنت أحرم المسلمين طُعماً لَهم فِيَّ.

ولد بغزة من بلاد الشام، على الأصح، فى سنة خمسين ومئة؛ وهى السنة التى مات فيها أبو حنيفة النعمان -رحمه الله-، وقيل فى اليوم الذى مات فيه، وقيل كان مولده بعسقلان، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة رسول الله ﷺ وقدم بغداد مرتين، وخرج إلى مصر فنزلها، وكان وصوله إليها فى سنة تسع وتسعين ومئة، وقيل: سنة إحدى ومئتين، ولم يزل بها إلى حين وفاته.(٢)

صِفَتُه -رَحِمَهُ الله-: وروى أبو نعيم، بسنده عن إبراهيم بن مراد، قال: وكان الشافعى طويلاً، نبيلاً، جسيمًا.

وقال الزعفرانى: كان الشافعى يخضب بالحناء، خفيف العارضتين.

وقال المزنى: ما رأيت أحسن وجهًا من الشافعى، وكان ربما قبض على لحيته، فلا تفضل عن قبضته.(٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/١٠)، للإمام الذهبي، أشرف على التحقيق/ شعيب الأرناؤوط، ط. دار الرسالة.

(٢) المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد، لأبى اليمن العليمى (٦٣)، بتحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. مطبعة المدنى.

(٣) تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي، بتحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، حوادث ووفيات، (٢٠١-٣٠١)، صفحة (٣١٠)، الناشر/ دار الكتاب العربي.

٢ - ابْتِدَاءُ طَلَبِهِ للْعِلْمِ وَنُبُوغُهُ فِيهِ

روى أبو نعيم، بسنده عن أبى بكر ابن إدريس -وراق الحميدى- عن الشافعى، قال: كنت يتيماً فى حجر أمى، ولم يكن معها ما تعطى المعلم، وكان المعلم قد رضى منى أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن، دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، فأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا بمكة، فى شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم، يلوح، فأكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا جَرَّةٌ قديمة، فإذا امتلأ العظم؛ طرحته فى الجرة.(١)

وروى البيهقى بسنده، عن مصعب بن عبدالله الزبيرى، قال: كان الشافعى فى ابتداء أمره، يطلب الشعر، وأيام الناس والأدب، ثم أخذ فى الفقه بعد.

قال: وكان سبب أخذه فى الفقه؛ أنه كان يومًا يسير على دابة له، خلفه كاتب أبى، فتمثل الشافعى ببيت شعر، فقرعه كاتب أبى بسوط، ثم قال له: مثلك تذهب مروءته فى مثل هذا، أين أنت عن الفقه؟ قال: فهزّه ذلك، فقصد مجالسة الزنجى ابن خالد -وكان مفتى مكة-، ثم قدم علينا، فلزم ،مالك بن أنس.(٢)

وروى البيهقى كذلك عن أبى بكر الحميدى، قال:

قال الشافعى: خرجت أطلب النحو والأدب، فلقينى مسلم بن خالد، فقال: يا فتى، من أين أنت؟ قلت: من أهل مكة. قال: وأين منزلك بها؟ قلت: بشعب الخيف، قال: من أى قبيلة أنت؟ قلت: من ولد عبد مناف، قال: بخ بخ، لقد شرفك الله فى الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك هذا فى الفقه، كان أحسن بك؟!(٣)

---

(١) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهانى (٩/ ٧٣)، مطبعة السعادة، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات (٢٠١-٢١٠)، عن الحميدي عن الشافعي كذلك، وفي مناقب الشافعي، للبيهقي (١/ ٩٢)، عن وراق الحميدي عن الحميدي.

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٩٦)، بتحقيق السيد/ أحمد صقر.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٩٧).

قال الذهبى: وعن الشافعى، قال: أتيت مالكًا، وأنا ابن ثلاث عشرة سنة -كذا قال، والظاهر أنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة -قال: فأتيت ابن عم لى، والى المدينة، فكلّم مالكًا، فقال: اطلب من يقرأ لك، قلت : أنا أقرأ؛ فقرأت عليه، فكان ربما قال لى لشىء، قد مرّ: أعده، فأعيده حفظًا؛ فكأنه أعجبه، ثم سألته عن مسألة فأجابنى، ثم أخرى، فقال: أنت تحب أن تكون قاضيًا. (١)

وقال النووى -رحمه الله- ما ملخصه:

آخذ الشافعى -رحمه الله- فى الفقه، وحصل منه على مسلم بن خالد الزنجى، وغيره من أئمة مكة ما حصل، ورحل إلى المدينة، قاصدًا الأخذ عن أبى عبد الله؛ مالك بن أنس ﷺ، وأكرمه مالك -رحمه الله-، وعامله؛ لنسبه، وعلمه، وفهمه، وعقله، وأدبه، بما هو اللائق بهما، وقرأ «الموطأ» على مالك حفظًا، فأعجبته قراءته، فكان مالك يستزيده من القراءة؛ لإعجابه من قراءته، ولازم مالكًا، فقال له: اتّقِ الله، فإنه سيكون لك شأن، وفى رواية: أنه قال لى: إن الله تَعَالَى قد ألقى على قلبك نورًا؛ فلا تطفئه بالمعصية. ثم ولى اليمن، واشتهر من حسن سيرته، وحمله الناس على السنة، والطرائق الجميلة، أشياء كثيرة معروفة، ثم رحل إلى العراق فى الاشتغال بالعلم، وناظر محمد بن الحسن، وغيره، ونشر علم الحديث، وأقام مذهب أهله، ونصر السنة، وشاع ذكره وفضله، وتزايد تزايدًا ملأ البقاع.

وأذعن بفضله الموافقون والمخالفون، واعترف به العلماء أجمعون، وعظمت عند الخلائق، وولاة الأمور مرتبته، وظهر من فضله فى مناظراته، أهل العراق، وغيرهم، ما لم يظهر لسواه، عكف للاستفادة منه الصغار، والكبار، والأئمة الأخيار؛ من أهل الحديث، والفقه، وغيرهم، ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها، إلى مذهبه، وتمسكوا بطريقته، وصنف فى العراق كتابه القديم، المسمى (كتاب الحجة)، ثم خرج الشافعى -رحمه الله- إلى مصر؛ سنة تسع وتسعين

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٢)، وهو في مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٠١)، وفيه أنت يجب أن تكون قاضياً، فلعله فيه تصحيف، ورواه أبو نعيم في الحلية مختصراً (٩/ ٦٩).

ومئة، وصنف كتبه الجديدة، كلها بمصر، وسار ذكره فى البلدان، وقصده الناس فى الشام، واليمن، والعراق.[١]

٣ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الحافظ أبو نعيم: ومنهم الإمام الكامل، العالم العامل، ذو الشرف المنيف، والخلق الظريف، له السخاء والكرم، وهو الضياء فى الظلم، أوضحَ المشكلات، وأفصح عن المعضلات، المنتشر علمه شرقًا وغربًا، المستفيض مذهبه براً وبحرًا، المتبع للسنن والآثار، المقتدى بما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار، اقتبس عن الأئمة الأخيار؛ فحدث عنه الأئمة الأحبار، الحجازى، المطلبى، أبو عبدالله، محمد بن إدريس الشافعى -رَضِيَ اللّه عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-، حاز المرتبة العالية، وفاز بالمنقبة السامية، إذ المناقب والمراتب، يستحقها من له الدين، والحسب، وقد ظفر الشافعى بهما جميعاً.

شرف العلم، والعمل به، وشرف الحسب؛ قربه من رسول اللّه ﷺ فشرفه فى العلم؛ ما خصه اللّه تَعَالَى به؛ من تصرفه فى وجوه العلم، وتبسطه فى فنون الحكم، فاستنبط خفيات المعانى، وشرح بفهم الأصول والمبانى، ونال ذلك بما يخص اللّه تَعَالَى به قريشاً؛ من نبل الرأى.[٢]

وروى الخطيب، بسنده إلى إسحاق بن راهويه، قال: أخذ أحمد بن حنبل بيدى، وقال: تَعالَ؛ حتى أذهب بك إلى من لم تر عيناك مثله، فذهب بى إلى الشافعى.[٣]

وبسنده أيضًا إلى عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، قال: قلت لأبى: يا أبتِ، أى شيءٍ كان الشافعى؟ فإنى سمعتك تكثر من الدعاء له، فقال لى: يا بنى، الشافعى كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، انظر هل لهذين من خلف، أو منهما عوض[٤].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٧-٤٨) باختصار.

(٢) حلية الأولياء (٩/ ٦٣، ٦٤). (٣) تاريخ بغداد (٢/ ٦٦).

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٦٦)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٧١).

وعن أيوب بن سويد، قال: ما ظننت أني أعيش؛ حتى أرى مثل الشافعي.[1]

وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: ركب الشافعي حماره، فجعل أبي يمشي. والشافعي راكب، وهو يذاكره، فبلغ ذلك يحيى بن معين، فبعث إلى أبي في ذلك، فبعث إليه؛ أنك لو كنت في الجانب الآخر من الحمار، كان خيرًا لك، هذا أو معناه.[2]

وعن حميد بن زنجويه، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: يروى الحديث عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ اللّهَ يَمُن عَلَى أَهْلِ دينه فى رَأْسِ كل مِئَة سَنَة؛ برَجل منْ أَهْلِ بَيْتى، يبَيِّنُ لَهُمْ أَمْرَ دينهمْ»** وإنّى نَظَرْتُ فى سَنَة مِئَة؛ فَإِذَا رَجُلٌ منْ آل رَسول اللّه ﷺ، عُمَرُ بْنُ عَبد الْعَزيز، وَنَظَرْتُ فى المئَة الثَّانيَة؛ فإذَا هُوَ رَجُلٌ منْ آل رَسول اللّهِ ﷺ؛ مُحَمَّدُ بْنُ إدْريس.[3]

وعن محمد بن الفضل البزار، قال: سمعت أبى يقول: حججت مع أحمد بن حنبل، فنزلنا فى مكان واحد، أو فى دار؛ (يعنى مكة)، وخرج أبو عبدالله، يعنى أحمد بن حنبل، باكرًا، وخرجت أنا معه، فلما صلينا الصبح، درت المجالس، فجئت مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلسًا مجلساً؛ طلباً لأبى عبد الله، حتى وجدته عند شاب أعرابى، وعليه ثياب مصبوغة، وعلى رأسه جمة، فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل، فقلت: يا أبا عبدالله، تركت ابن عيينة، وعنده الزهرى، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة، ومن التابعين ما الله به عليم؟! فقال: اسكت؛ فإن فاتك حديث بعلو، تجده بنزول، فلا يضرك فى دينك، ولا فى عقلك -أو فى فقهك-، وإن فاتك عقل هذا الفتى، أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحدًا، أفقه فى كتاب الله تَعَالَى، من هذا الفتى القرشى، قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله-.[4]

---

(١) رواه مسنداً البيهقي في مناقب الشافعي (٢١)، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٢٠١-٢١٠)، صفحة (٣١٥).

(٢) مناقب الشافعي، للبيهقي (٢/ ٢٥٣).

(٣) حلية الأولياء (٩/ ٩٨).

(٤) مناقب الشافعي، للبيهقي (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٩٨، ٩٩).

وعن سويد بن سعيد، قال: كنا عند سفيان بن عيينة، فجاء محمد بن إدريس، فجلس، فروى ابن عيينة حديثًا رقيقًا، فغشى على الشافعى؛ فقيل: يا أبا محمد، مات محمد بن إدريس، فقال ابن عيينة: إن كان قد مات محمد بن إدريس، فقد مات أفضل أهل زمانه.(١)

قال الرازى -رحمه الله- إن ثناء العلماء، على الإمام الشافعى، أكثر من أن يحيط به الحصر، ونحن نذكر السبب فى محبتهم له، وثنائهم عليه، فنقول: الناس كلهم كانوا قبل زمان الشافعى فريقين؛ أصحاب الحديث، وأصحاب الرأى.

أما أصحاب الحديث: فكانوا حافظين لأخبار رسول الله ﷺ ، إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل، وكلما أورد عليهم أحد أصحاب الرأى سؤالاً أو إشكالاً؛ بقوا على ما فى أيديهم، عاجزين متحيرين.

وأما أصحاب الرأى؛ فكانوا أصحاب الجدل والنظر، إلا أنهم كانوا فارغين، من معرفة الآثار والسنن.

وأما الشافعى، فإنه كان عارفاً بسنة النبى ﷺ ، محيطًا بقوانينها، وكان عارفًا بآداب النظر والجدل، وقوياً فيه، وكان فصيح اللسان، قادراً على قهر الخصوم، فأخذ فى نصرة أحاديث رسول الله ﷺ ، وكان كل من أورد عليه سؤالاً، أو إشكالاً؛ أجاب عنه بأجوبة شافية كاملة! فانقطع بسببه استيلاء أهل الرأى، على أصحاب الحديث، وسقط فقههم، وتخلص بسببه أصحاب الحديث، من شبهات أصحاب الرأى، فلهذا السبب انطلقت الألسن بمدحه، والثناء عليه، وانقاد له علماء الدين، وأكابر السلف، وبه التوفيق.(٢)

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٩٥٦)، وذكره الرازى في مناقب الشافعي (٥٨/ ٥٩).

(٢) مناقب الإمام الشافعي، لفخر الدين الرازي، بتحقيق/ أحمد حجازي السقا (٦٦)، الناشر/ مكتبة الكليات الأزهرية.

٤ - عبادته وزهده وورعه - رحمه الله -

قال بحر بن نصر: ما رأيت، ولا سمعت، كان في عصر الشافعي، أتقى لله، ولا أورع من الشافعي، ولا أحسن صوتًا منه بالقرآن.[١]

وعن الحسين الكرابيسي، قال: بت مع الشافعي، ثمانين ليلة، فكان يصلي نحو ثلث الليل، وما رأيته يزيد عن خمسين آية! فإذا أكثر فمئة، وكان لا يمر بآية رحمة، إلا سأل الله لنفسه، وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بآية عذاب، إلا تعوَّذَ بالله منها، وسأل النجاة لنفسه، ولجميع المؤمنين، فكأنما جُمِعَ له الرجاء، والرهبة معًا.[٢]

وعن بحر بن نصر، قال: كنا إذا أردنا أن نبكي، قلنا بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي، نقرأ القرآن، فإذا أتيناه استفتح القرآن، حتى تتساقط الناس بين يديه، ويكثر عجيجهم بالبكاء، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة من حسن صوته.[٣]

وعن الربيع بن سليمان، قال: كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.[٤]

وعن حرملة، قال: قال الشافعي: ما حلفت بالله صادقًا، ولا كاذبًا.[٥]

قال الحارث بن مسكين: أراد الشافعي الخروج إلى مكة، فأسلم إلى قَصَّارٍ ثيابًا بغدادية مرتفعة، فوقع الحريق، فاحترق دكان القصار، والثياب، فجاء القصار، ومعه قومٌ، فتحَمَّلَ بهم على الشافعي في تأخيره، ليدفع إليه قيمة الثياب، فقال له الشافعي: قد اختلف أهل العلم في تضمين القصار، ولم أتبين أن الضمان يجب، فلست أضمنك شيئًا.[٦]

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٥٨).

(٢) السابق (٢/ ١٥٨)، وتاريخ بغداد (٢٠/ ٦٣).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٦٤)، تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٦٨).

(٤) حلية الأولياء (٩/ ١٣٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٦).

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٦٣).

وعن الحارث بن شريح: قال: دخلت مع الشافعى على خادم الرشيد، وهو فى بيت قد فرش بالديباج، فلما وضع الشافعى رجله على العتبة، أبصره فرجع، ولم يدخل، فقال له الخادم: ادخل، فقال: لا يحل افتراش هذا، فقام الخادم، فتبسَّمَ، حتى دخل بيتاً، قد فرش بالأرض، فدخل الشافعى، ثم أقبل عليه، فقال: هذا حلال، وهذا حرام، وهذا أحسن من ذاك، وأكثر ثمنًا، فتبسم الخادم، وسكت.[1]

وعن الربيع، قال: قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعى: إن عزمت أن تسكن البلد -يعنى مصر- فليكن لك قوت سنة، ومجلس من السلطان تتعزز به، فقال له الشافعى: يا أبا محمد، من لم تُعِزَّهُ التقوى، فلا عز له، ولقد وُلِدْتُ بغزة، ورُبِّيتُ بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جياعًا.[2]

وقيل للشافعى: ما لك تدمن إِمساك العصى، ولست بضعيف؟! قال: لأذكر أنى مسافر، يعنى فى الدنيا.[3]

وعن يونس بن عبد الأعلى، قال: قال لى الشافعى: يا أبا موسى، أنست بالفقر، حتى صرت لا أستوحش منه.[4]

وعن الربيع بن سليمان، قال: قال لى الشافعى: يا ربيعُ، عليك بالزهد، فللزهد على الزاهد، أحسن من الحلى على المرأة الناهد.[5]

وعن عبد الله بن محمد البلوى، قال: جلسنا ذات يوم، نتذاكر الزهاد، والعباد، والعلماء، وما بلغ من زهدهم، وفصاحتهم، وعلمهم، فبينما نحن كذلك، إذ دخل علينا عمر بن نباتة، فقال: فبماذا تتحاورون؟ قلنا: نتذاكر الزهاد، والعباد، والعلماء، وما بلغ من فصاحتهم، فقال عمر بن نباتة: والله، ما رأيت رجلاً قط، أورع، ولا أخشع، ولا أفصح، ولا أسمح، ولا أعلم، ولا أكرم، ولا أجمل، ولا أنبل، ولا أفضل، من محمد بن إدريس الشافعى.[6]

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٦٥). (٢) السابق (٢/ ١٦٨).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٥٥)، مناقب الشافعي، للبيهقي (٢/ ١٧٠).

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٦٨). (٥) السابق (٢/ ١٧١).

(٦) السابق (٢/ ١٧٧).

٥- سَخَاؤُهُ وَجُودُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن الحميدى، قال: قدم الشافعى -رحمه الله-، من صنعاء إلى مكة، بعشرة آلاف دينار فى منديل، فضرب خباءه فى موضع خارجًا من مكة، فكان الناس يأتوه، فما برح حتى ذهبت كلها.(١)

وعن الربيع بن سليمان، قال: كان الشافعى راكبًا حمارًا، فمر على سوق الحذائين، فسقط سوطه من يده، فوثب غلام من الحذائين، فأخذ السوط، ومسحه بكمه، وناوله إياه، فقال الشافعى لغلامه: ادفع تلك الدنانير التى معك إلى هذا الفتى، قال الربيع: فلست أدرى، كانت تسعة دنانير، أو ستة.(٢)

وعن الربيع بن سلمان، قال: تزوجت، فسألنى الشافعى: كم أصدقتها؟ فقلت: ثلاثين دينارًا، قال: كم أعطيتها؟ فقلت: ستة دنانير، فصعد داره، وأرسل إلىَّ بُصرة، فيها أربعة وعشرون دينارًا.(٣)

قال ابن عبد الحكم: كان الشافعى أسخى الناس بما يجد، وكان يمر بنا، فإن وجدنى، وإلا قال: قولوا لمحمد، إذا جاء، يأتى المنزل، فإنى لا أتغذى، حتى يجىء، فربما جئته، فإذا قعدت معه على الغذاء، قال: يا جارية، أنضجى لنا فالوذج، فلا تزال المائدة بين يديه، حتى تفرغ منه ويتغذى.(٤)

وعن الربيع، قال: أخذ رجل بركاب الشافعى، فقال: يا ربيعُ، أعطه أربعة دنانير، واعذرنى عنده.(٥)

وعن الربيع، قال: كنا مع الشافعى -رحمه الله-، وقد خرج من مسجد مصر، فانقطع شسع نعله، فأصلح له رجلٌ شسعه، ودفع إليه، فقال: يا ربيعُ، معك من

(١) حلية الأولياء (٩/ ١٣٠)، والمناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٠)، والمناقب للرازى (١٢٨).
(٢) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٢١)، والمناقب للرازى (١٢٨).
(٣) حلية الأولياء (٩/ ١٣٢)، والمناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٣).
(٤) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٢)، وفي السير مختصراً (١٠/ ٣٩).
(٥) حلية الأولياء (٩/ ١٣٠)، والمناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٠).

نفقتنا شيء؟ قلت: نعم، قال: كم؟ قلت: سبعة دنانير، قال: ادفعها إليه.(١)

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: جاءنا الشافعى إلى منزلنا، قال: فقال لى: اركب دابَّتى هذه، قال: فركبتها، قال: فقال لى: أقبل بها، وأدبر، ففعلت، فقال: إنى أراك بها لبقًا، فخذها، فهى لك، قال: وكان من أسخى الناس، ثم ذكر قصة التمر.(٢)

وقصة التمر رواها أيضًا البيهقى، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: كان الشافعى -رحمه الله- من أسخى الناس، قال: وكنت آكل مع الشافعى، تمرًا ملوزًا من هذه الجرار، فجاء رجلٌ، فقعد، وأكل، وكان يجلس إليه.

فلما فرغ من الأكل، قال الرجل للشافعى: ما تقوله فى أكل الفجأة؟ قال: فلوى الشافعى عنقه إلىَّ، وقال: هلا كان سؤاله قبل أن يأكل.(٣)

وقال الشافعى -رحمه الله-: السخاء، والكرم، يغطيان عيوب الدنيا، والآخرة، بعد أن لا يلحقهما بدعة.(٤)

وعن إبراهيم بن محمد، قال: كنت فى مجلس أحمد بن يوسف النقلى، صاحب أبى عبيد، القاسم بن سلاَّم، فجرى ذِكْرُ الشافعى، وأخلاقه، وفقهه، وسماحته، فقالوا: ما شبهناه إلا بأبيات، أنشدها حفص بن عمر الأزدى المقرعى، لبعض الأعراب:

إنْ زُرْتَ سَاحَتَهُ تَرْجُو سَمَاحَتَه ... بَلَّتْكَ رَاحَتُهُ بِالجودِ وَالْكَرَمِ

أخْلاقُه كَرَمٌ وَقولُه نَعَمٌ ... يَقُولُهَا بفم بَحْبَحت فَاحْتَكِمِ

مَا ضَرَّ زَائِرَهُ يَرْجُو أنَامِلَهُ ... إنْ كَانَ ذَا رَحِم أوْ غَيْرَ ذَا رَحم

الجود غُرَّتهُ وَالمجْدُ غَايَتُهُ ... يَقولهَا بفم قد لَجَّ فِى نَعَم(٥)

---

(١) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٢١).
(٢) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٣)، والمناقب للرازي (١٢٨).
(٣) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٣).
(٤) حلية الأولياء (٩/ ٣٤)، والمناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٧).
(٥) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦).

وعن الربيع بن سليمان، قال: دفع إِلَيَّ الشافعى دراهم، لأشترى له حملاً، وأمرنى أن أشوى ذلك، قال: فنسيت، واشتريت سمكتين، وشويتهما، فأتيته بهما، فنظر فقال: يا أبا محمد، كُلْهُمَا، فقد اشتهيتَهما.(١)

٦ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ وَذَمُّهُ لأَهْلِ الأَهْوَاءِ

عن ميمون بن مهران، قال: قال لى أحمد بن حنبل: مَا لك لا تنظر فى كتب الشافعى؟ فما من أحد وضع الكتب، أتبع للسنة من الشافعى.(٢)

وعن أبى جعفر الترمذى، قال: أردت أن أكتب كتب الرأى، فرأيت النبى ﷺ فى المنام، فقلت: يا رسول الله، فأكتب رأى الشافعى، فقال النبى ﷺ: إِنَّه لَيْسَ بِرَأْيٍ، إِنَّهُ رَدّ عَلَى مَنْ خالف سُنَّتى.(٢)

وعن أحمد بن حنبل، قال: قدم علينا نعيم بن حماد، وحثنا على طلب المسند، فلما قدم علينا الشافعى، وضعنا على المحجة البيضاء.(٣)

قال الربيع، سمعت الشافعى يقول: إِذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلته.

وقال: سمعته يقول، وقال له رجل: يا أبا عبد الله، نأخذ بهذا الحديث؟ فقال: متى رويت عن رسول الله حديثًا صحيحًا، ولم آخذ به، فأشهدكم أن عقلى قد ذهب.(٤)

وقال الحميدى: روى الشافعى يوماً حديثاً، فقلت: أتاخذ به؟ فقال: رأيتنى خرجت من كنيسة، أو عَلَيَّ زنَّارًا، حتى إِذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثًا، لا أقول به.

وقال الشافعى: إِذا صح الحديث، فهو مذهبى.

---

(١) المناقب للبيهقى (٢/ ٣٣٤). (٢) حلية الأولياء (٩/ ١٠٠).

(٣) السابق (٩/ ١٠١).

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي (٣٢١)، وفيات (٢٠١-٢١٠).

وقال: إذا صح الحديث، فاضربوا بقولى الحائط.[١]

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعى يقول: لأن يلقى اللّهَ العبدُ، بكل ذنبٍ، ما خلا الشرك باللّه، خير من أن يلقاه بشيء من الهوى.[٢]

وعن أبى ثور، قال: سمعت الشافعى يقول: حكمى فى أهل الكلام، أن يُضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم فى العشائر، والقبائل، وينَادَى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب، والسنة، وأقبل على الكلام.

وعن أبى ثور، قال: سمعت الشافعى، يقول: من ارتدى بالكلام، لم يفلح.

قال البيهقى: وإنما يعنى -واللّه أعلم- كلام أهل الأهواء، الذين تركوا الكتاب، والسنة، وجعلوا معولهم عقولهم، وأخذوا فى تسوية الكتاب عليها، وحين حملت إليهم السنة بزيادة بيان؛ لنقض أقاويلهم، اتهموا رواتها، وأعرضوا عنها.[٣]

فأما أهل السنة، فمذهبهم فى الأصول، مبنيّ على الكتاب والسنة، وإنما أخذ من أخذ منهم فى العقل، إبطالاً لمذهب من زعم أنه غير مستقيم فى العقل.[٤]

٧ - فِقْهُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن عبيد بن محمد بن خلف البزاز، قال: سئل أبو ثور؟ فقيل له: أيما أفقه، الشافعى، أو محمد بن الحسن؟ فقال أبو ثور: الشافعى أفقه من محمد، وأبى يوسف، وأبى حنيفة، وحماد، وإبراهيم، وعلقمة، والأسود.[٥]

وعن أحمد بن يحيى، قال: سمعت الحميدى، يقول: سمعت سيد الفقهاء، محمد بن إدريس الشافعى.[٦]

عن الربيع، قال: سمعت الحميدى، يقول: «عن مسلم بن خالد» أنه قال للشافعى: أفت، يا أبا عبد اللّه، فقد -واللّه- آن لك أن تفتى، وهو ابن خمس عشرة سنة.[٧]

(١) تاريخ الإسلام (٣٢١)، وفيات (٢٠١-٢١٠). (٢) المناقب للبيهقى (٢/ ٤٥٢).
(٣) السابق (٢/ ٤٦٢). (٤) السابق (٢/ ٤٦٣).
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٦٩). (٦) حلية الأولياء (٩/ ٩٤).
(٧) حلية الأولياء (٣/ ٩٣)، والمناقب للبيهقي (١/ ٣٣٨).

وعن حرملة بن يحيى، قال: سمعت الشافعى، يقول فى رجل، قال لامرأته، وفى فيها تمرة: إن أكلتيها فأنت طالق، وإن طرحتيها فأنت طالق، قال: تأكل نصفها، وتطرح نصفها.(١)

وعن المزنى قال: سئل الشافعى عن نعامة، ابتلعت جوهرة، لرجل آخر؟ فقال: لست آمره بشىء، ولكن إن كان صاحب الجوهرة، كيساً غدا على النعامة، فذبحها، واستخرج جوهرته، ثم ضمن لصاحب النعامة، ما بين قيمتها حية، ومذبوحة.(٢)

وعن معمر بن شبيب، قال: سمعت المأمون، يقول لمحمد بن إدريس الشافعى: يا محمد، لأى علة خلق الله الذباب؟ قال: فأطرق، ثم قال له: مذلة للملوك، يا أمير المؤمنين، قال: فضحك المأمون، وقال: يا محمد، رأيت الذبابة، قد سقطت على خدى؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، ولقد سألتنى، وما عندى جواب، فأخذنى من ذلك الزمع، فلما رأيت الذبابة، قد سقطت بموضع، لا يناله أحدٌ، انفتح فيه الجواب، فقال: لله درك، يا محمد.(٣)

قال إبراهيم بن أبى طالب الحافظ: سألت أبا قدامة السرخسى، عن الشافعى، وأحمد، وأبى عبيد، وابن راهويه، فقال: الشافعى أفقههم.(٤)

وعن الربيع، قال: كنت يوماً عند الشافعى، فجاءه رجل، فقال: أيها العالم، ما تقول فى حالف، حلف إن كان فى كمى دراهم، أكثر من ثلاثة، فعبدى حر؟ وكان فى كمه أربعة دراهم، فقال: لم يعتق عبده، قال: لِمَ؟ قال: لأنه استثنى من جملة ما فى كمه دراهم، والدرهم لا يكون دراهم، فقال: آمنت بالذى فَوَّهَكَ هذا العلم.(٥)

٨ - بَرَاعَتُهُ فى التَّصْنِيفِ وَبَرَكَةُ مُصَنَّفَاتِهِ

الشافعى -رحمه الله- أول من صنف فى أصول الفقه، وأحكام القرآن، وقد تسابق العلماء، والأكابر، على اقتناء مصنفاته، والاستفادة منها، وأعظم كتبه كتابه

(١) المناقب للبيهقي (٢/ ٣٤٠).
(٢) السابق (٢/ ٣٦٣، ٣٦٤).
(٣) السابق (٢/ ٣٦٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤).
(٥) المناقب للبيهقي (٢/ ٦١، ٦٢).

«الرسالة»، فهو على سهولة لفظه، كثير المعانى، عظيم المبانى، شاهد برجاحة عقله، وكمال بصيرته، وعذوبة لفظه.

عن أبى ثور، قال: كتب عبد الرحمن بن مهدى، إلى الشافعى، وهو شاب، أن يضع له كتابًا، فيه معانى القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، والناسخ والمنسوخ من القرآن، والسنة، فوضع له كتاب «الرسالة».

قال عبد الرحمن بن مهدى: ما أصلى صلاةً، إلا وأدعو للشافعى فيها.(١)

وعن المزنى قال: قرأت كتاب «الرسالة» للشافعى، خمسمائة مرة، ما من مرة منها، إلا واستفدت منها فائدة جديدة، لم أستفدها فى الأخرى.(٢)

وعن محمد بن مسلم بن وارة، قال: قدمت من مصر، فأتيت أبا عبد الله، أحمد بن حنبل، أسلم عليه، قال: كتبت كتب الشافعى؟ قلت: لا، قال: فرطت، ما علمنا المجمل من المفصل، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ، من منسوخه، حتى جالسنا الشافعى، قال: فحملنى ذلك إلى أن رجعت إلى مصر، وكتبتها ثم قدمت.(٣)

وعن أحمد بن مسلمة النيسابورى، قال: تزوج إسحاق بن راهويه بمرو، بامرأة رجلٍ، عنده كتب الشافعى، فتوفى، لم يتزوج إلا لحال كتب الشافعى، فوضع جامعه الكبير على كتاب الشافعى، ووضع جامعه الصغير على جامع الثورى الصغير.(٤)

وقال أبو بكر الصومعى: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: صاحب حديث لا يشبع من كتب الشافعى.(٥)

وقال الجاحظ: نظرت فى كتب هؤلاء النبغة: الذين نبغوا فى العلم، فلم أر أحسن تأليفًا من المطلبىِّ، كأن لسانه ينظم الدرر.

---

(١) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٣٠). (٢) السابق (٢/ ٢٣٦).
(٣) حلية الأولياء (٩/ ٩٧)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥).
(٤) حلية الأولياء (٩/ ١٠٣). (٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٧).

قال العلامة أحمد شاكر: فكتبه كلها مثل رائعة، من الأدب العربى النقى، فى الذروة العليا من البلاغة، يكتب على سجيته، وعلى فطرته، ولا يتكلف، ولا يتصنع، أفصح نثر تقرؤه بعد القرآن، والحديث، ولا يساميه قائل، ولا يدانيه كاتب.[1]

وعن الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعى، يقول: أريت فى المنام، كأنَّ آت أتانى، فحمل كتبى، وبثها فى الهواء، فتطايرت، فاستعبرت بعض المعبرين، فقال: إن صدقت رؤياك، لم يبق بلد من بلدان الإسلام، إلا ودخله علمك.[2]

٩- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن مسلم بن خالد الزنجى، ومالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسعيد بن سالم القداح، والدراوردى، وعبد الوهاب الثقفى، وابن علية، وابن عيينة، وأبى ضمرة، وحاتم بن إسماعيل، وإبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، وإسماعيل بن جعفر، ومحمد بن خالد الجندى، وعمر بن محمد بن على بن شافع، وعطاف بن خالد الجندى، وعمر بن محمد بن على بن شافع الصنعانى، وعطاف بن خالد المخزومى، وهشام بن يوسف الصنعانى، وجماعة.[3]

تَلامَذَتُه: قال الحافظ: وعنه سليمان بن داود الهاشمى، وأبو بكر عبد اللّه بن الزبير الحميدى، وإبراهيم بن المنذر الحزامى، وأبو ثور إبراهيم بن خالد، وأحمد ابن حنبل، وأبو يعقوب، يوسف بن يحيى البويطى، وحرملة، وأبو الطاهر ابن السرح، وأبو إبراهيم ابن إسماعيل بن يحيى بن المزنى، والربيع بن سليمان المرادى، والربيع بن سليمان الجيزى، وعمرو بن سواد العامرى، والحسن بن محمد ابن الصباح الزعفرانى، وأبو الوليد موسى بن أبى الجارود المكى، ويونس بن عبد الأعلى، وأبو يحيى محمد بن سعد بن غالب العطار، وآخرون.[4]

---

(١) مقدمة العلامة / أحمد شاكر، للرسالة للشافعي (١٤). (٢) المناقب للبيهقي (١/ ٢٥٩).
(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ٢٣)، وانظر أيضاً: تهذيب الكمال، في جملة أخرى من شيوخه (٢٤/ ٣٥٦، ٣٥٧).
(٤) تهذيب التهذيب (٩/ ٢٣، ٢٤)، وانظر أيضاً لمزيد الفائدة: تهذيب الكمال، (٢٤/ ٣٥٧، ٣٥٨).

١٠- كُتُبُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

ذكر البيهقى فى مناقبه مئةً ونيفاً وأربعين كتابا، فى الأصول، والفروع.[1]

قال فؤاد سزكين، ما ملخصه:

تبلغ كتب الشافعى حوالى (١١٣-١٤٠) ذكر منها ابن النديم، فى الفهرست (١٠٩) كتاباً، كما أن هناك قائمة أخرى فى كتاب «توالى التأسيس»، لابن حجر (٧٨)، وترجع هذه القائمة إلى البيهقى.

ولقد قسم تلاميذه مؤلفاته إلى قديمة، وحديثة، فالقديمة هى التى كتبها فى بغداد، ومكة، والحديثة هى التى كتبها فى مصر.

أولاً: كتاب «الأم»: بعد موت الشافعى، جمع تلاميذه عدداً من دراساته فى كتاب واحد، وأغلب الظن أن تسمية هذا الكتاب، باسم كتاب «الأم»، إنما يرجع إلى الجيل الثانى، ولقد دار البحث منذ وقت طويل، حول شخصية من قام بتحرير هذه الرسالة، وجمعها فى كتاب، وقد ذكر أبو طالب المكى، أن يوسف بن يحيى البويطى، هو من قام بهذا العمل، ويقال بأن تلميذاً آخر للشافعى، وهو الربيع بن سليمان.

ثانياً: «السنن المأثورة»: برواية إسماعيل بن يحيى المزنى، وطبع بحيدر أباد، والقاهرة ١٣١٥هـ.

ثالثاً: «الرسالة»، فى أصول الفقه، وسُمِّيَ هذا الكتاب بـ «الرسالة»، لأن الشافعى ألفه، ليجيب على بعض أسئلة لعبد الرحمن بن مهدى، أرسلها إليه، وحققه أحمد شاكر، بالقاهرة، ١٩٤٠ .

رابعاً: «مسند» يضم الأحاديث التى جمعها أبو العباس ابن محمد بن يعقوب الأصم، من مؤلفات مختلفة، وطبع على هامش كتاب الأم.

---

(١) انظر: المناقب، للبيهقي (١/ ٢٤٦ : ٢٥٤).

خامسًا: «اختلاف الحديث»، وطبع على هامش كتاب الأم.

سادسًا: «العقيدة».

سابعًا: «أصول الدين، ومسائل السنة».

ثامناً: «أحكام القرآن» وحقَّقَهُ العطار، فى جزأين.

تاسعًا: «مسائل فى الفقه، سألها أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيبانى للشافعى، وأجوبتها».

عاشراً: «كتاب السبق والرمى».

حادى عشر: «وصية».

ثانى عشر: «الفقه الأكبر»، وطبع فى القاهرة، ١٩٠٠ م.[١]

ونختم هذا الفصل بكلمتين، أحدهما للشافعى -رحمه الله-، مما يدل على صدقه، وإخلاصه فى هذه المصنفات، والثانية لإسحاق بن راهويه، أما الأولى، فقد روى البيهقى، بسنده إلى الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعى، يقول: وددت أن الناس، أو الخلق، تعلموا هذا، (يعنى كتبه)، على أن لا ينسب إلىَّ منه شىء.[٢]

والثانية عن محمد بن إسحاق بن راهويه، قال: سمعت أبى، وسئل: كيف وضع الشافعى هذه الكتب كلها، ولم يكن بكبير السن؟ فقال: عجَّلَ الله له عقله، لقلة عمره.[٢]

١١ - دُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِهِ، وَنُتَفٌ مِنْ أَشْعَارِهِ

قال الشافعى -رحمه الله-:

- طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.
- زينة العلم الورع، والحلم.

(١) تاريخ التراث العربى، لفؤاد سزكين (٢/١٦٨ إلى ١٧٥)، باختصار.
(٢) المناقب للبيهقى (١/٢٥٨).

- لا عيب بالعلماء، أقبح من رغبتهم فيما زهَّدهم الله فيه، وزهدهم فيما رغبهم فيه.

- ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع.

- من غلبته الشهوة للدنيا، لزمته العبودية لأهلها.

- ومن رضى بالقنوع، زال عنه الخضوع.

- ولو علمت أن شُرْبَ الماء البارد، ينقص مروءتى، لما شربته، ولو كنت اليوم، ممن يقول الشعر، لرثيت المروءة.

- للمروءة أربعة أركان: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك.

- المروءة: عفة الجوارح، عما لا يعنيها.

- ليس بأخيك من احتجت إلى مدارته.

- من صدق فى أخوة أخيه؛ قَبَلَ علله، وسد خلله، وغفر زلله.

- ليس سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غم يعدل فراقهم.

- الشفاعات زكاة المروءات.

- من صدق الله، نجا، ومن أشفق على دينه، سلم من الردى، ومن زهد فى الدنيا، قرت عيناه بما يراه من ثواب الله غداً.

- وقال لأخ له فى الله تَعَالَى، يعظه، ويخوفه: يا أخى، إن الدنيا دحض مزلة، ودار مذلة! عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها للقبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله، وارض برزق الله تَعَالَى، ولا تستلف من دار بقائك، فى دار فنائك، فإن عيشك فىء زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك، وقصِّر من أملك.(1)

---

(1) باختصار من تهذيب الأسماء (1/53 إلى 57) وهي في مناقب البيهقي كذلك، (2/168 إلى 214).

وقال -رحمه الله-: الشعر كلام، حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام، غير أنه كلامٌ باق سائر، فذلك فضله على سائر الكلام.[1]

دخل رجلٌ على الشافعي، وهو مستلقٍ على ظهره، فقال: إن أصحاب أبي حنيفة الفصحاء، قال: فاستوى الشافعي جالسًا، وأنشأ يقول:

فَلَوْلا الشِّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي ... لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ

وَأَشْجَعُ فِي الْوَغَى مِنْ كُلِّ لَيْثٍ ... وَآلِ مُهَلَّبٍ وَأَبِي يَزِيدِ

وَلَوْلا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي ... حَشَرْتُ النَّاسَ كلهم عَبِيدِي[2]

فمن أشعاره -رحمه الله-:

لا تَأْسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى فَائِتٍ ... وَعِنْدَكَ الإِسْلامُ وَالْعَافِيَهْ

إِنْ فَاتَ أَمْرٌ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ ... فَفِيهِمَا مِنْ فَائِتٍ كَافِيَهْ[2]

ومنها:

أَمَتُّ مَطَامِعِي وَأَرَحْتُ نَفْسِي ... فَإِنَّ النفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ

وأحييتُ الْقنوعَ وكان مَيْتًا ... فَفِي إِحْيَائه عِرْضٌ مَصُونُ[3]

ومنها:

يَا رَاكِبًا قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ

سَحَرًا إِذَا فَاضَ الحجيج إِلَى مِنًى ... فَيْضاً كَملْتَطِم الْفُرَاتِ الْغَائِضِ

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلانِ أَنِّي رَافِضِي

وإنما قال هذه الأبيات، حين نسبه الخوارج إلى الرفض حسدًا وبغيًا.

---

(١) المناقب للبيهقي (٢/ ٦٢).
(٢) السابق (٢/ ٦٦).
(٣) السابق (٢/ ٦٧).

وقال البيهقى: وقد روينا عن يونس بن عبد الأعلى: أن الشافعى كان إذا ذكر الرافضة، عابهم أشد العيب، ويقول: شر عصابة.(١)

وعن الربيع قال: لما دخل الشافعى مصر، أول قدومه إليها، جفاه الناس، فلم يجلسوا إليه، فقال له بعض من قدم معه: لو قلت شيئًا، يجتمع إليك به الناس، قال: إليك، وقال:

أَأَنْثُرُ دُرًا بَيْنَ سَارِحَةِ النَّعَمْ ... وانْظِمُ مَنْثُوراً لِرَاعِيَةِ الغَنَمْ
لَعَمْرِى لَئِنْ ضُيِّعْتُ فِى شَرِّ بَلْدَة ... فَلَسْتُ مُضِيعًا بَيْنَهُمْ غُرَرَ الكَلِمْ
فَإِنْ فَرَّجَ اللهُ الكَرِيمُ بِلُطْفِهِ ... وَصَادَفْتُ أَهْلاً لِلْعُلُوم وَلِلْحِكَمْ
بثَثْتُ مفيداً واستفدْتُ ودادَهمْ ... وإلا فمخزونٌ لدىَّ ومكتتمْ
وَمَنْ مَنَحَ الجُهَّالَ علماً أضاعَهُ ... وَمَنْ منَعَ المُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ(٢)

ومن أشعاره:

النَّاس بِالنَّاسِ مَا دَامَ الحيَاة بِهِمْ ... وَالسَّعْدُ لاشَكَّ تَارَاتٌ وَهَبَّاتُ
وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الوَرَى رَجُل ... تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ
لا تَمْنَعَنَّ يَدَ المَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ ... مَا دُمْتَ مُقْتَدِراً فَالسَّعْدُ تَارَاتُ
وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللهِ إِذْ جُعِلَتْ ... إِلَيْكَ لا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وما مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ ... وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِى النَّاسِ أَمْوَات

ومن أشعاره:

إِنَّ الطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوَائِهِ ... لا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَقْدُورِ القَضَا
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالدَّاءِ الَّذِى ... قَدْ كَانَ يَبْرِى مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى
هَلَكَ المُدَاوَى وَالمُدَاوِى وَالَّذِى ... جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَى(٣)

---

(١) المناقب للبيهقى (٢/ ٧١).
(٢) المنهج الأحمد (٦٨، ٦٩).
(٣) المناقب للبيهقي (٢/ ٢٩٦).

١٢ – وَصِيَّتُـهُ – رَحِمَـهُ اللّـهُ –

قال الربيع بن سليمان: قُرِئَ على محمد بن إدريس الشافعى -رحمه الله-، وأنا حاضر هذا الكتاب.

كتبه محمد بن إدريس بن العباس الشافعى، فى شعبان، سنة ثلاث ومئتين، وأشهد الله، عالم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور، وكفى به -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- شهيدًا، ثم من سمعه: أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، لم يزل يدين بذلك، وبه يدين حتى يتوفاه الله تَعَالَى، ويبعثه عليه -إنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى-، وأنه يوصى نفسه، وجماعة من سمع وصيته، بإحلال ما أحل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فى كتابه، ثم على لسان نبيه ﷺ، وتحريم ما حرَّم الله فى الكتاب، ثم فى السنة، ولا يجاوزوا من ذلك إلى غيره، فإن مجاوزته ترك فرض الله، وترك ما خالف الكتاب والسنة، وهما من المحدثات، والمحافظة على أداء فرائض اللّه، فى القول والعمل، والكف عن محارمه، خوفًا لله -عَزَّ وَجَلَّ-، وكثرة ذكر الوقوف بين يدى ربه ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾ (آل عمران: ٣٠).

وأن ينزل الدنيا حيث أنزلها الله -عَزَّ وَجَلَّ- فإنه لم يجعلها دار مقام، إلا مقام مدة عاجلة الانقطاع، وإنما جعلها دار عمل، وجعل الآخرة دار قرار، وجزاء بما عمل فى الدنيا؟ من خير أو شر، إن لم يعف الله -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، وألا تخالل أحدًا، إلا أحدًا تخالله لله، ممن يعقل الخلة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ويرجى منه إفادة علم فى دين، وحسن أدب فى دنيا، وأن يعرف المرء زمانه، ويرغب إلى الله تَعَالَى، فى الخلاص من شر نفسه فيه، ويمسك عن الإسراف بقول أو فعل، فى أمر لا يلزمه، وأن يخلص النية لله تَعَالَى، فيما قال وعمل، فإن الله يكفى مما سواه، ولا يكفى منه شىء غيره، وأوصى متى حدث به الموت، الذى كتب الله -عَزَّ وَجَلَّ- على خلقه، الذى أسأل الله العون عليه، وعلى ما بعده، وكفاية كل همٍّ لى، دون الجنة برحمته.

ولم يغير وصيته هذه.

فذكر الوصيــة فى أمور مماليكه، وأولاده، وصفته، وغيــرها، وقال فى آخرها: ومحمد بن إدريــس، يسأل الله القادر على ما يشاء أن يصلى على محــمد، عبده ورسوله، وأن يرحمه، فـإنه فقير إلى رحمته، وأن يجـيره من النار، فإنه غنى عن عذابه، وأن يخلفه فى جميع ما خلف، بأفضل ما خلف به أحدًا من المؤمنين، وأن يكفيهم فقــده، ويجبر مصيبتــهم بعده، وأن يقيهم معاصيــه، وإتيان ما قبح بهم، والحاجة إلى أحد من خلقه بقدرته.(١)

١٣ - مَـرَضُـهُ - رَحِمَـهُ الـلَّـهُ - وَوَفَاتُـهُ

قــال الربيع بن سليــمــان: أقــام الشــافــعى هاهنا، أربع سنوات، فــأملى ألفًــا وخمسمائة ورقة.

وخرج كتاب «الأم» ألفى ورقة.

وكتاب «السنه»، وأشياء كثيرة كلها فى أربع سنين.

وكان عليلاً، شديد العــلة، فكان ربما يخرج الدم منه، وهو راكب، حتى تمتلئ سراويله ومركبه وخفه.(٢)

وعن يونس بن عبــد الأعلى، قال: ما رأيت أحداً، لــقى من السقم، مــا لقى الشافعى، فدخلت عليه يومًا، فقــال لى: يا أبا موسى، اقرأ علىَّ ما بعد العشرين والمئة، من آل عمران، وأخف القراءة، ولا تثقل، فقرأت عليه، فلما أردت القيام، قال: لا تغفل عنى، فإنى مكروب، قال يونس: عنى الشافعى ﷺ، بقراءتى بعد العشرين والمئة، ما لقى النبى ﷺ ، وأصحابه أو نحوه.(٣)

وعن الربيع، قال: دخل المزنى على الشافعى، فى مرضــه الذى مات فيه، فقال له: كـيف أصبحت يا أستاذ؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخوانى مفارقاً،

(١) المناقب البيهقي (٢/ ٢٨٩، ٢٩٠). (٢) السابق (٢/ ٢٩١).
(٣) السابق (٢/ ٢٩٣).

ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا، ولسوء أعمالي ملاقياً، ثم رمى بطرفه نحو السماء، واستعبر، ثم أنشأ يقول:

إِلَيْكَ إِلَهَ الخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي ... وإنْ كُنْتُ يَا ذَا المنّ وَالجودِ مُجْرِمَا

وَلَمَّا قَسَى قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِك سُلَّمَا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا

وَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا

وَلَوْلاكَ لا يَقْوَى بِإِبْلِيسَ عَابِدٌ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا

فَإِنْ تَعْفُ عَنِّي تَعْفُ عَنْ مُتَمَرِّدٍ ... ظَلُومٍ غَشُومٍ مَا يَزَالُ مُؤَثَّمَا

وإنْ تَنْتَقِمْ مِنِّي فلستُ بِآيِسٍ فَجُرْمِي ... بِجُرْمِي وَلَوْ أَدْخَلْتَ نَفْسِي جَهَنَّمَا

عَظِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ ... وَعَفْوُكَ يَا ذَا العَفْوِ أَعْلَى وَأَجْسَمَا(١)

قال الربيع بن سليمان: لما كان مع المغرب، ليلة مات الشافعي، قال له ابن عمه ابن يعقوب: ننزل نصلي؟ قال: تجلسون تنتظرون خروج نفسي؟ فنزلنا ثم صعدنا، فقلنا: صلينا، أصلحك الله، قال: نعم، فاستسقى -وكان شتاء-، فقال له ابن عمه: أمزجه بالماء المسخن؟ فقال له الشافعي -رحمه الله-: لا، بل برب السفرجل، وتوفي مع العشاء الآخرة -رحمة الله عليه.(٢)

قال الربيع بن سليمان: توفي الشافعي -رَحِمَهُ اللّهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ-، ليلة الجمعة، بعد المغرب، وأنا عنده، ودفن يوم الجمعة، بعد العصر، آخر يوم من رجب، وانصرفنا من جنازته، ورأينا هلال شعبان، سنة أربع ومئتين.(٣) وهو ابن أربع وخمسين سنة.

---

(١) المناقب البيهقي (٢/٢٩٣، ٢٩٤). (٢) السابق (٢/٢٩٦).
(٣) السابق (٢/٢٩٨).

وعن أبى زكريا -يعنى الأعرج- قال: سمعت الربيع، يقول: رأيت فى المنام أن آدم مات ﷺ ، ويريدون أن يخرجوا بجنازته، فلما أصبحت، سألت بعض أهل العلم عن ذلك، فقال: هذا موت أعلم أهل الأرض، إن الله -عَزَّ وَجَلَّ- علَّم آدم الأسماء كلها، فما كان إلا يسيرًا حتى مات الشافعى -رحمه الله-.(١)

وغربت بذلك شمس حياته الدنيوية، ولكن محبة هذا الإمام، وبركة علمه، ومصنفاته، تملأ طباق الأرض، فما من صاحب محبرة، إلا وللشافعى عليه منة، فنسأل الله أن يغفر لنا، وله، وأن يمن علينا، وعليه بأعلى الدرجات، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يغفر لنا تقصيرنا فى ترجمته، ويمتعنا فى الآخرة بصحبته، ويدخلنا، وإياه فى فسيح جناته.

وهذا أوان ترك القلم فى ترجمة هذا العَلَم، والقلوب بعدُ مشتاقة إلى صحبته، والتمتع بكمال عقله، ووفور فطنته، وبركة كلماته، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمةً للعالمين، وآل بيته الطيبين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) المناقب للبيهقى (٢/ ٣٠١).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٢٨)

يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسمُهُ: يزيد بن هارون بن زاذى، ويقال ابن زاذَان بن ثـابت السلمى؛ أبو خالد الواسطى، وكان جده زاذان، مولى لأم عاصم؛ امرأة عتبة بن فرقد، فأعتقه.

قيل: إن أصله من بخارى.[١]

مَولِده: قال الذهبى: مولده سنة ثمان وعشرة ومئة.[٢]

صِفَتُهُ: كان يزيد يخضب خِضابًا، قانياً إلى الحمرة ما هو.[٣]

وعن الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى، قال: رأيت يزيد بن هارون بواسط، وهو من أحسن الناس عينين، ثم رأيته بعين واحدة، ثم رأيته، وقد ذهبت عيناه، فقلت: يا أبا خالد، ما فعلت العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بهما بكاء الأسحار.[٤]

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الذهبى: وكان رأساً فى العلم، والعمل، ثقةً، حجةً كبيرًا.[٢]

وعن ابن زياد، قال: سمعت أبا عبد اللّه، وقيل له: يزيد بن هارون له فقه؟ قال: نعم، ما كان أفطنه وأذكاه، وأفهمه، قيل له: فابن عُلَيَّة؟ فقال: كان له فقه،

---

(١) تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٨).

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣٨).

(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٢).

إلا أني لم أُخْبِـرْه خبر يزيد بن هارون، مـا كان أجمع أمر يزيد، صـاحب صلاة حافظ، متقن للحديث، صرامة، وحسن مذهب.[١]

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن يزيد بن هارون، فـقال: ثقة إِمام، صدوق في الحديث، لا يسأل عن مثله.[٢]

وعن هشيم، قال: ما بالِمصْرَيْنِ مثل يزيد بن هارون.[٣]

وقال يحيى بن أبي طالب: سمعت من يزيد ببغداد، وكان يقال: إِن في مجلسه سبعين ألف.

قال الذهبـي: احتفل مـحدثو بغـداد، وأهلها لقـدوم يزيد، وازدحمـوا عليه؛ لجلالته وَعُلو إِسناده.[٤]

وقال علي ابن المديني: هو من الثقات.[٥]

وقال يحيى بن يحيى النيـسابوري: كان بالعراق من الحفاظ شيـخان، وكهلان؛ فأما الشيخان؛ فهشيم، ويزيد بن زريع، وأما الكهلان؛ فوكيع، ويزيد بن هارون، ويزيد أحفظ الكهلين.[٦]

وقال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، ولد سنة ثمان عشرة ومئة.[٧]

وامتدح بعضهم يزيد بن هارون؛ فأنشأ يقول:

شَـفَى الْعَلِيلَ إِذَا مَـا قَـالَ حَـدَّثَنَا ... يَحْـيَى فَـيَـا لَكَ مِنْ ذي مَنْطِقٍ حَـسَنِ

أَوْ قَـالَ أَخْـبَـرَنَا دَاوُدُ مُـبْـتَـدِئاً ... وَالْعِلْمُ وَالدُّرُّ مَنْظُومَـانِ فِي قَـرَنِ

يعني يحيى بن سعيد الأنصاري، وداود بن أبي هند -رحمهما الله-.[٨]

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٠).
(٢) الجرح والتعديل (٩/ ٢٩٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦١).
(٥) تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦٧).
(٦) تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦٨).
(٧) طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٤).
(٨) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٣).

٣ - حفظه - رحمه الله -

قال على ابن المدينى: ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون.[١]

وقال يحيى بن يحيى التميمى: هو أحفظ من وكيع.[٢]

وقال أحمد بن حنبل: كان يزيد حافظًا متقنًا.[٢]

وقال زياد بن أيوب: ما رأيت ليزيد كتابًا قط، ولا حدثنا إلا حفظًا.[٢]

قال على بن شعيب: سمعت يزيد بن هارون، يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد، ولا فخر، وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث، لا أسأل عنها.

قال الذهبى: لأنه أكثر إلى الغاية عن محدثى الشام: ابن عياش، وبقية؛ وإنما حَسُنَ سماع ذلك من أصحابهما، فى أيام أحمد بن حنبل، ونحوه.[٣]

وقال أحمد بن زهير: سمعت أبى يقول: كان يعاب على يزيد بن هارون؛ حيث ذهب بصره: أنه ربما سأل عن الحديث لا يعرفه، فيأمر جارية له، فتحفظه من كتابه.

قال الخطيب البغدادى: قد وصف غير واحد من الأئمة، حفظ يزيد بن هارون لحديثه، وضبطه له، ولعله ساء حفظه، لما كَفَّ بصره، وعلت سنه، فكان يستثبت جاريته، فيما شك فيه، ويأمرها بمطالعة كتابه لذلك.[٤]

وقال الذهبى: ما بهذا الفعل بأس، مع أمانة من يلقنه، ويزيد حُجةٌ بلا مَثْنَوِيَّة.[٥]

وقال محمد بن قدامة الجوهرىّ: سمعت يزيد بن هارون يقول: أحفظ خمسة وعشرين ألف إسناد، ولا فخر، وأنا سيد من روى عن حماد بن سلمة، ولا فخر.[٦]

وروى أبو طالب عن أحمد، قال: كان يزيد حافظًا متقنًا للحديث، صحيح الحديث، عن حجاج بن أرطأة، قاهرًا لها حافظاً.[٧]

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣٩). (٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٩، ٣٦٠). (٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣٨، ٣٣٩).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦٣)، وقوله: «بلا مثنوية» أي بلا استثناء.
(٦) تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦٨). (٧) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧٠).

وقال أبو زرعة: سمعت أبا بكر ابن أبي شيبة، يقول: ما رأيت أتقن حفظًا من يزيد بن هارون، قال أبو رزمة: والإتقان أتقن من حفظ السرد.(١)

٤ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن أحمد بن سنان، قال: ما رأيت عالمًا، أحسن صلاة من يزيد بن هارون؛ يقوم كأنه إسطوانة، يصلي بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار، هو وهُشَيم معروفان بطول صلاة الليل والنهار.(٢)

وعن عاصم بن علي، قال: كنت أنا، ويزيد بن هارون عند قيس -يعني ابن الربيع- سنة إحدى وستين، فأما يزيد؛ فكان إذا صلى العتمة، لا يزال قائمًا، حتى يصلي الغداة، بذلك الوضوء نيفًا وأربعين سنة، وأما قيس؛ فكان يقوم ويصلي، وينام، ويقوم، وينام، وأما أنا؛ فكنت أصلي أربع ركعات، وأقعد أسبح.(٣)

وقال أحمد بن سنان: كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل.(٤)

وقال يعقوب بن أبي شيبة: كان يزيد يعَدُّ من الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر.(٤)

٥ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن يحيى بن أكثم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون؛ لأظهرت القرآن مخلوق، فقيل: ومن يزيد حتى يتقى؟ فقال: ويحك، إني لأرتضيه، لا أن له سَلْطَنَةً، ولكن أخاف إن أظهرته، فيرد عليَّ، فيختلف الناس، وتكون فتنة.(٥)

وعن شاذ بن يحيى، سمع يزيد بن هارون، يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو زنديق.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧٠).
(٢) تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦٨).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦٢).

قال الذهبي: وقد كان يزيد رأسًا في السنة، معاديًا للجهمية، منكرًا تأويلهم في مسألة الاستواء.(١)

وعن عبد الوهاب بن الحكم، قال: كان المأمون يسأل عن يزيد بن هارون، يقول: ما مات، وما امتحن، حتى مات يزيد.(١)

٦ – نُتَفٌ مِنْ أَخْبَارِهِ –رَحِمَهُ اللَّهُ–

عن خلف بن سالم قال: كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل، فضرب يزيد على جبينه، وقال: ألا أعلَمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح.(٢)

وعن يحيى بن أبي طالب، قال: كنا في مجلس يزيد –يعني ابن هارون– فألحوا عليه من كل جانب؛ يسألونه عن شيء، وهو ساكت لا يجيب، حتى إذا سكتوا، قال يزيد: إنَّا واسطيون – يعني ما قيل: «تغافل كأنك واسطي».(٣)

وعن يزيد بن هارون، قال: لا ينبل أحدٌ من أهل واسط بواسط، لأنهم حساء، وقيل: ولا أنت يا أبا خالد؟ فقال: ما عُرِفت حتى خرجت من واسط.(٤)

وعن الحارث بن أبي أسامة، قال: كان يزيد بن هارون إذا جاءه من فاته المجلس، قال: يا غلام، ناوله المنديل.(٢)

٧– شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الخطيب: سمع يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان التيمي، وعاصمًا الأحول، وحميدًا الطويل، وداود بن أبي هند، وعبد الله بن عون، وحسيناً المعلم، وحجاج بن أبي زينب، وعوام بن حوشب، وحجاج بن أرطاة، وبهز بن حكيم، وهشام بن كيسان، وأبا غسان محمد بن مطرف، وشعبة بن الحجاج، ومحمد بن عمرو الليثي، والحمادين، وخلق سواهم.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧١).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٥).
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٥، ٣٤٦).
(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٤).

تلامذته: قالَ الخطيب: روى عنه أحمد بن حنبل، وعلى ابن المدينى، وأبو خيثمة، وأبو بكر ابن أبى شيبة، وخلف بن مسلم، وأحمد بن منيع، ومحمد ابن عبد الرحيم صاعقة، ويعقوب الدورقى، ومحمد بن حسان الأزرق، والحسن ابن الصباح، والبزار، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى، والحسن بن عرفة، وسعدان بن نصر، والحسن بن مكرم، والحارث بن أبى أسامة، فى آخرين.(١)

فائدة: قال الخطيب: حدَّث عنه بقية بن الوليد، وأحمد بن عبد الرحمن السَّقَطِىّ، وبين وفاتيهما، ثمان وتسعون سنة أو أكثر.(٢)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال محمد بن سعد: توفى فى خلافة المأمون، وهو ابن تسع، أو ثمان وثمانين سنة، وأشهر، يعنى سنة ست ومئتين.(٣)

وقال يعقوب بن شيبة: توفى يزيد بواسط، فى شهر ربيع الآخر، سنة ست ومئتين.(٤)

وعن أبى رافع ابن بنت يزيد بن هارون، قال: كنت عند أحمد بن حنبل، وعنده رجلان وأحسبه قال شيخان قال: فقال أحدهما: يا أبا عبد اللّه، رأيت يزيد ابن هارون فى المنام، فقلت له: يا أبا خالد، ما فعل اللّه بك؟ قال: غفر لى، وشفعنى، وعاتبنى، قال: قالت: غفر لك، وشفعك، قد عرفت، ففيم عاتبك؟ قال: قال لى: يا يزيد، أتحدث عن جرير بن عثمان؟ قال: قلت: يا رب، ما علمت إلا خيرًا، قال: يا يزيد، إنه كان يبغض الحسن بن علىّ بن أبى طالب.

قال: وقال الآخر: أنا رأيت يزيد بن هارون فى المنام، فقلت له: هل أتاك منكر ونكير؟ قال: إِى واللّه، وسألانى: من ربك، وما دينك؟ قال: فقلت: ألمثلى هذا؟ وأنا كنت أُعَلِّم الناس فى هذا، فى دار الدنيا؟ فقالا لى: صدقت، فنم نومة العروس.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٧).

(٢) السابق، واللاحق، (٣٧٤)، نقلاً عن تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦٩).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٤، ٣١٥). (٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦٩).

(٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٧).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٢٩)

أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: القاسم بن سَلَّام بن عبد الله أبو عبيد، الأديب، الفقيه المحدث، صاحب التصانيف الكثيرة، فى القراءات، والفقه، واللغة، والشعر.

مولده: قال الذهبى: مولد أبى عبيد سنة سبع وخمسين ومئة.(١)

وقال على بن عبد العزيز: ولد بِهَرَاة، وكان أبوه عبدًا لبعض أهلها، وكان يتولى الأزد.(٢)

صِفَتُهُ: قال الذهبى: قيل: كان أبو عبيد أحمر الرأس، واللحية بالخضاب، وكان مَهيبًا وقورًا.(٣)

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِى النيسابورى: سألتَ أبا الحسن الدارقطنى عن أبى عبيد، فقال: إِمام ثقة جبل، وسَلَّام والده رومى.(٤)

وقال أحمد بن كامل بن خلف القاضى: كان أبو عبيد فاضلاً فى دينه، وفى علمه، ربانياً مُتَفَنِناً فى أصنافٍ من علوم الإِسلام، من القرآن، والفقه، والأخبار، والعربية، حسن الرواية، صحيح النقل، لا أعلم من الناس طعن عليه فى شىء، من أمره ودينه.(٥)

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩١).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٤).
(٤) تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٥٨).
(٥) تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٥٩).

وقال ابن سعد: وكان مؤدِّبًا صاحب نَحْوٍ، وعربية، وطلب الحديث والفقه، وولى قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك، ولم يزل معه، ومع ولده، وقدم بغداد، ففسر غريب الحديث، وصنف كتبًا، وسمع الناس منه، وحج، فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومئتين.(١)

وقال عبدالله بن جعفر -يعنى ابن درستويه الفارسى النحوى: من علماء بغداد النحويين، على مذهب الكوفيين، ورواة اللغة، والغريب عن البصريين والكوفيين، والعلماء بالقراءات، ومن جمع صنوفًا من العلم، وصنف الكتب فى كل فن من العلوم، والأدب، فأكثر وشهر أبو عبيد القاسم بن سلام، وكان مؤدبًا لآل هرثمة، وصار فى ناحية عبد الله بن طاهر، وكان ذا فضل، ودين، وستر، ومذهب حسن.(٢)

وعن أحمد بن سلمة النيسابورى، قال: سمعت إسحاق بن راهويه، يقول: الحقّ يحبه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أبو عبيد أفقه منى، وأعلم منى.(٣)

وعن أحمد بن نصر المقرى، قال. سمعت إسحاق بن إبراهيم، يقول: إن الله لا يستحيى من الحق، أبو عبيد، أعلم منى، ومن أحمد بن حنبل، والشافعى.(٣)

وعن أبى عمرو، محمد بن عبد الواحد، اللغوى، قال: سمعت أبا العباس ثعلبًا، يقول: لو كان أبو عبيد فى بنى إسرائيل، لكان عجبًا.(٣)

وعن إبراهيم الحربى، قال: أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبدًا، فتعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، ما مثلته إلا بجبل نفخ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث، فما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل، فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين، من كل صنف، يقول ما شاء الله، ويمسك ما شاء الله.(٣)

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٥). (٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٤).
(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١١).

وعن الهلال بن العلاء الرَّقيِّ، قال: منَّ اللّهُ على هذه الأمة بأربعة فى زمانهم بالشافعى، تفقه بحديث رسول اللّه ﷺ، وبأحمد، ثبت فى المحنة، لولا ذلك كَفَرَ الناس، وبيحيى بن معين، نفى الكذب عن الحديث، وبأبى عبيد، فسر الغريب من الحديث، ولولا ذلك لاقتحم الناس فى الخطأ.(١)

وعن حمدان بن سهل، قال: سألت يحيى بن معين عن الكتابة عن أبى عبيد؟ فقال -وتبسم-: مثلى يُسأل عن أبى عبيد؟ أبو عبيد يُسأل عن الناس، لقد كنت عند الأصمعى يومًا، إذ أقبل أبو عبيد، فشقَّ إليه بصره، حتى اقترب منه، فقال: أترون هذا المقبل؟ قالوا: نعم، قال: لن تضيع الدنيا أو الناس ما حيى هذا.(٢)

وروى عبد الخالق بن منصور، عن ابن معين، قال: أبو عبيد ثقة.(٢)

وقال عباس بن محمد، عن أحمد بن حنبل: أبو عبيد ممن يزداد عندنا كُلَّ يومٍ خيرًا.(٢)

وقال أبو داود: أبو عبيد ثقة مأمون.(٢)

وقال أبو قدامة: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: أبو عبيد أستاذ.(٢)

وقال الحاكم: كان ابن قتيبة يتعاطى التقدم فى علوم كثيرة، ولم يرضه أهل علم منها، وإنما الإمام المقبول عند الكل أبو عبيد.(٢)

٣ - قِصَّتُهُ مَعَ أَمِيرِ خُرَاسَانَ

نقل الخطيب فى «تاريخه»، وغيره أن طاهر بن الحسين، حين سار إلى خراسان، نزل بمرو، فطلب رجلاً يحدثه ليلة، فقيل: ما هاهنا إلا رجل مؤدب، فأدخلوا عليه أبا عبيد، فوجده أعلم الناس بأيام الناس، والنحو، واللغة، والفقه، فقال له: من المظالم تركك أنت بهذه البلدة، فأعطاه ألف دينار، وقال له: أنا متوجه إلى حرب، وليس أحب اصطحابك، شفقاً عليك، فأنفق هذه إلى أن أعود إليك،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٩).　　(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٤).

فألَّفَ أبو عبيد «غريب المصنف»، وعاد طاهر بن الحسين، من ثغر خراسان، فحمل معه أبا عبيد، إلى سُرَّ من رأى، وكان أبو عبيد ثقة، ديناً، ورعًا، كبير الشأن.(١)

قال ابن درستويه: ولأبى عبيد كتب لم يَروها، قد رأيتها فى ميراث بعض الطاهرية، تباع كثيرة فى أصناف الفقه كُلِّه، وبلغنا أنه كان إذا ألَّف كتابًا، أهداه إلى ابن طاهر، فيحمل إليه مالاً خطيرًا.(٢)

وقال عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى: قال أحمد بن يوسف -أنا سمعته منه، أو حدثت به عنه- قال: لما عمل أبو عبيد كتاب «غريب الحديث»، عرض على عبد الله ابن طاهر، فاستحسنه، وقال: إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب، لحقيقٌ أن لا يحوج إلى طلب المعاش، فأجرى له عشرة آلاف درهم فى الشهر.(٣)

وعن الفسطاطى، قال: كان أبو عبيد مع ابن طاهر، فوجَّه إليه أبو دُلَف بثلاثين ألف درهم، فلم يقبلها، وقال: أنا فى جنبة رجل، ما يحوجنى إلى صلة غيره، ولا آخذ ما علىَّ فيه نقص، فلما عاد ابن طاهر، وصله بثلاثين ألف دينار، فقال له: أيها الأمير، قد قبلتها، ولكن قد أغنيتنى بمعروفك وبرِّك عنها، وقد رأيت أن أشترى بها سلاحًا، وخيلاً، وأوجه بها إلى الثغر، ليكون الثواب متوفرًا على الأمير، ففعل.(٤)

٤ - عِبَادَتُهُ وَاتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال أبو بكر ابن الأنبارى: كان أبو عبيد -رحمه اللَّه- يقسم الليل ثلاثًا؛ فيصلى ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف الكتب ثلثه.(٥)

وقال أبو حامد الصاغانى: سمعت أبا عبيد، القاسم بن سلَّام، يقول: فعلت بالبصرة فعلتين، أرجو بهما الجَنَّةَ: أتيت يحيى القطان، وهو يقول: أبو بكر،

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٦).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٣).
(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٥).
(٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٨)، وطبقات الشافعية (٢/ ١٥٤).

وعمر، فقلت: معي شاهدان من أهل بدر يشهدان أن عثمان أفضل من عليّ، قال: مَنْ ؟ قلت: أنت حدثتنا عن شعبة بن عبد الملك بن ميسرة، عن النزال بن سبرة، قال: خطبنا ابن مسعود، فقال: أَمَّرْنَا خير من بقى، ولم نألُ، قال: ومن الآخر؟ قلت: الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، يقول: شاورت المهاجرين الأولين، وأمراء الأمصار، وأصحاب رسول الله ﷺ فلم أرَ أحدًا يعدل بعثمان، قال: فترك يحيى قوله، وقال: أبو بكر وعمر وعثمان، قال: وأتيت عبد الله الخريبى، فإذا بيته بيتٌ خمَّار[1]، فقلت: ما هذا؟ قال: ما اختلف عليه أولنا، ولا آخرنا، قلت: اختلف فيه أولكم، وآخركم، قال: من؟ قلت: أيوب السختيانى عن محمد عن عبيدة، قال: اخْتُلِفَ عَلَيَّ فى الأشربة، فما لى شراب منذ عشرين سنة، إلا عسلٌ، أو لبنٌ، أو ماء، قال: ومن آخرنا؟ قلت: عبد الله ابن إدريس، قال: فأخرج كل ما فى منزله، فأهراقه.[2]

وعن العباس الدورى، قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سَلاَّم، وذكر الباب، الذى يروى فيه الرؤية، والكرسى موضع القدمين، وضحك ربنا، وأين كان ربنا، فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث، والفقهاء، بعضهم عن بعض، وهى عندنا حقّ، لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف يضحك، وكيف وضع قدمه؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسِّرُهُ.[3]

قال الذهبى: قد فسر علماء السلف المهم من الألفاظ، وغير المهم، وما أبقوا ممكنًا، وآيات الصفات، وأحاديثها، لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً، وهى أهم الدين، فلو كان تأويلها سائغًا، أو حتماً لبادروا إليه، فعلم قطعًا أن قراءتها، وإمرارها على ما جاءت هو الحق، لا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك اقتداء بالسلف، معتقدين أنها صفات للّه تَعَالَى، استأثر اللّه بعلم حقائقها، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن

---

(١) لعله -رحمه الله- كان ممن يقول بإباحة النبيذ، كما كان يذهب إليه بعض العلماء، مما لا يسكر إلا كثيره، ولذلك قال: «فإذا بيته بيت خمار».

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤٠٩)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٥)، وقد نبه المحقق على عدم صحة الكرسي موضع القدمين، مرفوعاً، وكذا: «أين كان ربنا».

ذاته المقدسة، لا تماثل ذوات المخلوقين، فالكتاب والسنة نطق بها، والرسول ﷺ بلغ، وما تعرض لتأويل، مع كون البارى قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤)، فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.[(١)]

٥ – كُتُبُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال ابن درستويه: و«الغريب» المصنف من أجلّ كتبه فى اللغة، احتذى فيه كتاب، النَّضر بن شميل، المسمى بكتاب «الصفات» بدأ فيه بِخَلْقِ الإنسان، ثم بخلق الفرس، ثم بالإبل، وهو أكبر من كتاب أبى عبيد، وأجود.

قال: ومنها كتابه فى الأمثال أحسن تأليفه، وكتاب «غريب الحديث» ذكره بأسانيده، فرغب فيه أهل الحديث، وكذلك كتابه فى «معانى القرآن»، حدث بنصفه ومات.

وله كتب فى الفقه، فإنه عمد إلى مالك والشافعى، فتقلد أكثر ذلك، وأتى بشواهده، وجمعه من رواياته وَحَسَّنَهَا باللغة، والنحو.

وله فى القراءات كتاب جيد، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله، وكتابه فى الأموال من أحسن ما صنف، فى الفقه وأجوده.[(٢)]

وقال الذهبى: وصنف التصانيف المونقة، التى سارت بها الركبان، وله مصنف فى القراءات، لم أره، وهو من أئمة الاجتهاد، وله مجلد كبير، سمعناه بالاتصال، وكتاب «الغريب» مروىّ أيضًا، وكتاب «فضائل القرآن» وقع لنا، وكتاب «الطهور»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ»، وكتاب «المواعظ»، وكتاب «الغريب» المصنف فى علم اللسان، وغير ذلك، وله بضعة وعشرون كتاباً.[(٣)]

٦ – تَوْقِيرُهُ لأَهْلِ الْعِلْمِ

عن ابن عرعرة، قال: كان طاهر بن عبد الله ببغداد، فطمع فى أن يسمع من أبى عبيد، وطمع أن يأتيه فى منزله، فلم يفعل أبو عبيد، حتى كان هو يأتيه،

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٦).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٥)، وعن سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٣، ٤٩٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩١، ٤٩٢).

فقدم على ابن المدينى، وعباس العنبرى، فـأرادا أن يسمعا «غريب الحديث»، فكان يحمل كل يوم كتابه، ويأتيهما فى منزلهما، فيحدثهما فيه.(١)

وعن جعفر بن مـحمد بن على المدينى: سمعت أبى يقـول: خرج أبى إلى أحمد ابن حنبل يعوده، وأنا معه، فدخل إليه، وعنده يحيى بن معين، وجماعة، فدخل أبو عبيـد، فقال له يحيى: اقرأ علينا كـتابك الذى عملته للمأمـون، «غريب الحديث». فـقال: هاتوه فجـاءوا بالكتاب، فأخذه أبو عبـيد، فجعل يبدأ يقـرأ الأسانيد، ويدع تفسير الـغريب، فقال أبى: دعنا من الإسناد، نحن أحذق بها منك، فـقال يحيى بن معين لأبى: دعـه يقرأ على الوجه، فإن ابنـك معك، ونحن نحتاج أن نسـمعه على الوجه، فقـال أبو عبيد: ما قرأته إلا علـى المأمون فإن أحببتم أن تقـرؤوه، فاقرؤوه، فقال له ابن المدينى: إن قرأته علينا، وإلا لا حاجة لنا فـيه، ولم يعرف أبو عبيد علىّ ابن المدينى، فقـال ليحـيى: من هذا؟ فقال: هذا علىّ ابن المـدينى، فالتزمـه، وقرأه علينا، فمن حضر ذلك المجلس، جاز أن يقول: حدثنا وغير ذلك، فلا يقول.(١)

٧ - مِـنْ أقْـوَالِـهِ - رَحِمَـهُ اللَّـهُ -

عن علىّ بن عبد العزيز، قال: سمعت أبا عبيد، يقول: المتبع للسنة، كالقابض على الجمر، هو اليوم عندى أفضل من ضرب السيف، فى سبيل الله.(٢)

وعنه قال: مـثل الألفاظ الشريفة، والمعـانى الظريفة، مثل القـلائد اللائحة فى الترائب الواضحة.(٢)

وقال عباس الـدورى: سمعت أبا عبيد، يقـول: إنى لأتبين فى عقل الرجل أن يدع الشمس، ويمشى فى الظل.(٢)

٨- شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ

شُيُوخُهُ: قال الخطيب: سـمع إسماعـيل بن جعفـر، وشريكًا، وإسمـاعيل بن عيـاش، وهشيم بن بشيـر، وسفيـان بن عيينة، وإسـماعيل بـن علية، ويزيد بن

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٧). (٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٠).

هارون، ويحيى بن سعيد القطان، وحجاج بن محمد، وأبا معاوية الضرير، وصفوان بن عيسى، وعبد الرحمن بن مهدى، وحماد بن مسعدة، ومروان بن معاوية، وأبا بكر ابن عياش، وعمر بن يونس، وإسحاق الأزرق وغيرهم.[1]

تَلامِذَتُهُ: قال الخطيب: روى عنه نصر بن داود بن طوق، ومحمد بن إسحاق الصاغانى، والحسن بن مكرم، وأحمد بن يوسف التغلبى، وأبو بكر ابن أبى الدنيا، والحارث بن أبى أسامة، ومحمد بن يحيى المروزى، وعلى بن عبد العزيز البغوى، فى آخرين.[1]

وزاد الذهبى فى «سيره»: عبد الله بن عبد الرحمن البغوى، وعباس الدورى، وأحمد بن يحيى البلاذرى.[2]

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال البخارى وغيره: مات سنة أربع وعشرين ومئتين، بمكة.[4]

وقال الخطيب: وبلغنى أنه بلغ سبعًا وستين سنة -رحمه الله-.[1]

قال عَبْدان بن محمد المروزى: حدثنا أبو سعيد الضرير، قال: كنت عند عبد الله ابن طاهر، فورد عليه نَعْيُ أبى عبيد، فأنشأ يقول:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ قَدْ مَاتَ ابْنُ سَلاَّمِ ... وَكَانَ فَارِسَ عِلْمٍ غَيْرَ مِحْجَامِ
مَاتَ الَّذِى كَانَ فِينَا رُبْعَ أَرْبَعَةٍ ... لَمْ يُلْقَ مِثْلُهُمُ إِسْتَارَ أَحْكَامِ
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ عَبْدُ اللَّهِ أَوَّلُهُمْ ... وَعَامِرٌ وَلَنِعْمَ التِّلْوُ يَا عَامِ
هُمَا اللَّذَانِ أَنَافَا فَوْقَ غَيْرِهِمَا ... وَالْقَاسِمَانِ ابْنُ مَعْنٍ وَابْنُ سَلاَّمِ[4]

وكان عبد الله بن طاهر، يقول: الأئمة أربعة، ابن عباس فى زمانه، والشعبى فى زمانه، والقاسم بن معن فى زمانه، وأبو عبيد فى زمانه.[4]

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٢).
(٣) التاريخ الكبير (٧/ ١٧٢).
(٤) طبقات الشافعية (٢/ ١٥٦).

مِنْ أَعْلامِ السَّلَفِ

(٣٠)

يَحْيَى بْنُ مَعِين

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: يحيى بن معين بن عَون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل اسم جده غياث بن زياد بن عون بن بسطام الغطفانى، ثم المرىُّ، مولاهم البغدادى.

مَوْلِدُهُ: قال أحمد بن زهير: ولد يحيى، فى سنة ثمان وخمسين ومئة، قال الذهبى: وكتب العلم، وهو ابن عشرين.(١)

وقال الحسين بن فهم: سمعت يحيى بن معين، يقول: ولدت فى خلافة أبى جعفر، سنة ثمان وخمسين ومئة، فى آخرها.(٢)

صِفَتُهُ: قال الذهبى: قيل: أصل ابن معين من الأنبار، ونشأ ببغداد، وهو أسن الجماعة الكبار، الذين هم: على ابن المدينى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو بكر ابن أبى شيبة، وأبو خيثمة، فكانوا يتأدبون معه، ويعترفون له، وكان له هيبة وجلال، يركب على البغلة، ويتجمل فى ثيابه -رحمه الله-.(٣)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال عبد الخالق بن منصور: قلت لابن الرومى: سمعت بعض أصحاب الحديث، يحدث بأحاديث يحيى، ويقول: حدثنى من لم تطلع الشمس على أكبر منه، فقال: ما تعجب، سمعت على ابن المدينى، يقول: ما رأيت فى الناس مثله.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٧٦، ٧٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٩٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٧٨).
(٤) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٥٣).

وقال أيضًا: قلت لابن الرومى: سمعت أبا سعيد الحداد، يقول: الناس كلهم عيالٌ على يحيى بن معين، فقال: صدق ما فى الدنيا أحد مثله، سبق الناس إلى هذا الباب، الذى هو فيه، لم يسبقه إليه أحدٌ، وأما من يجيء بعده، لا ندرى كيف يكون.(١)

قال الحافظ الخطيب البغدادى: وكان إمامًا ربانياً، عالمًا، حافظًا، ثبتاً، متقناً.(٢)

وعن العباس الدورى، قال: رأيت أحمد بن حنبل، فى مجلس روح بن عبادة، سنة خمس ومئتين، يسأل يحيى بن معين عن أشياء، يقول له: يا أبا زكريا، كيف حديث كذا، وكيف حديث كذا؟ يريد أن يستثبته فى أحاديث قد سمعوها، فما قال يحيى كتبه أحمد، وقلما سمعت أحمد بن حنبل يسمِّى يحيى بن معين باسمه، إنما كان يقول أبو زكريا، قاله أبو زكريا.(٣)

وقال ابن المدينى: انتهى علم الناس إلى يحيى بن معين.(٤)

وقال يحيى القطان: ما قدم علينا مثل هذين، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين.

وقال أحمد بن حنبل: يحيى بن معين أعلمنا بالرجال.

ثم قال الذهبى: يحيى أشهر من أن نطول الشرح بمناقبه.(٤)

وعن جعفر الطيالسى، قال: سمعت ابن معين يقول: لما قدم عبد الوهاب بن عطاء، أتيته، فكتبت عنه، فبينا أنا عنده، إذ أتاه كتاب من أهله، فقرأه، وأجابهم، فرأيته، وقد كتب على ظهره: قدمت بغداد، وقبلنى يحيى بن معين، والحمد لله رب العالمين.(٥)

وقال عبيد الله القواريرى: قال لى يحيى القطان: ما قدم علينا من البصرة مثل أحمد، ويحيى بن معين.(٦)

---

(١) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٥٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٧٧).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨٠).
(٤) تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٥).

وعن عبد الخالق بن منصور، قال: سمعت ابن الرومى، يقول: ما رأيت أحدًا قط، يقول الحقَّ فى المشايخ، غير يحيى، وغيره كان يتحامل بالقول.

قلت (الذهبى): هذا القول من عبد الله بن الرومى غير مقبول، وإنما قاله باجتهاده، ونحن لا ندعى العصمة، فى أئمة الجرح والتعديل، لكن هم أكثر الناس صوابًا، وأندرهم خطأ، وأشدهم إنصافًا، وأبعدهم عن التحامل، وإذا اتفقوا على تعديل، أو جرح، فتمسك به، واعضض عليه بناجذيك، ولا تتجاوزه فتندم، ومن شذ منهم، فلا عبرة به، فخلِّ عنك العناء، وأعط القوس باريها، فوالله، لولا الحفاظ الأكابر، لخطبت الزنادقة على المنابر، ولئن خطب خاطب من أهل البدع، فإنما هو بسيف الإسلام، وبلسان الشريعة، وبجاه السنة، وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ، فنعوذ بالله من الخذلان.[١]

وروى عبد الله بن أبى زياد القطوانى، عن أبى عبيد، قال: انتهى الحديث إلى أربعة: أحمد بن حنبل، وهو أفقههم فيه، وإلى يحيى بن معين، وهو أكتبهم له، وإلى على ابن المدينى، وهو أعلمهم به، وإلى أبى بكر ابن أبى شيبة، وهو أحفظهم له.

وفى رواية عن أبى عبيد: وإلى ابن معين، وهو أعلمهم بصحيحه، وسقيمه.[٢]

قال أحمد بن يحيى بن الجارود: قال ابن المدينى: ما أعلم أحدًا، كتب ما كتب يحيى بن معين.[٣]

وقال البراء، سمعت عليـاً، يقول: لا نعلم أحدًا من لدن آدم، كتب من الحديث، ما كتب ابن معين.[٣]

٣ - مَهَارَتُهُ فِي مَعْرِفَةِ خَطَأ الْحَدِيث

قال عباس الدورى: حدثنا يحيى بن معين، قال: حضرت نعيم بن حماد، بمصر، فجعل يقرأ كتابًا، صنفه، فقال: حدثنا ابن المبارك، عن ابن عون، وذكر

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٨٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٩١).

أحاديث، فقلت: ليس ذا عن ابن المبارك، فغضب، وقال: تَرُدُّ عَلَيَّ ؟ قلت: إي والله، أريد زينك، فأبى أن يرجع، فلما رأيته لا يرجع، قلت: لا والله، ما سمعت هذه من ابن المبارك، فغضب، وغضب من كان عنده، وقام فدخل، فأخرج صحائف، فجعل يقول، وهي بيده: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين، ليس بأمير المؤمنين في الحديث، نعم يا أبا زكريا، غَلِطْتُ، وإنما روى هذه الأحاديث غير ابن المبارك، عن ابن عون.(١)

عن ابن الرومي، قال: كنت عند أحمد، فجاءه رجلٌ، فقال: يا أبا عبد الله، انظر في هذه الأحاديث، فإن فيها خطأ، قال: عليك بأبي زكريا، فإنه يعرف الخطأ.(٢)

وقال عبد الخالق لابن الرومي: حدثني أبو عمرو، أنه سمع أحمد بن حنبل، يقول: السماع مع يحيى بن معين شفاء لما في الصدور، فقال لي: وما تعجب من هذا، كنت أختلف أنا، وأحمد إلى يعقوب بن إبراهيم في المغازي، ويحيى بالبصرة، فقال أحمد: ليت أن يحيى ههنا، قلت له: وما تصنع به؟ قال: يعرف الخطأ؟(٣)

وعن أبي مقاتل سليمان بن عبد الله، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ههنا رجلٌ خلقه الله لهذا الشأن، يظهر كذب الكذابين -يعني يحيى بن معين.(٣)

٤- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبي: سمع من ابن المبارك، وهشيم، وإسماعيل بن عياش، وعباد بن عباد، وإسماعيل بن مجالد بن سعيد، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، ومعتمر بن سليمان، وسفيان بن عيينة، وغُندر، وأبي معاوية، وحاتم بن إسماعيل، وحفص بن غياث، وجرير بن عبد الحميد، وعبد الرزاق، ومروان بن معاوية، وهشام بن يوسف، وعيسى بن يونس، ووكيع أو معن، وأبي حفص الأبار، وعمر بن عبيد، وعلي بن هاشم، ويحيى القطان، وابن مهدي، وعفان، وخلقٍ كثير بالعراق، والحجاز، والجزيرة، والشام، ومصر.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٩، ٩٠).
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٧٩).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٧٢).

تلامذته: قالَ الحافظ: وعنه البخارى، ومسلم، وأبو داود، ورووا هم أيضًا، والباقون له، بواسطة عبد الله بن محمد المسندى، وهناد بن السرى، وهما من أقرانه، والفضل بن سهل الأعرج، ومحمد بن عبد الله بن المبارك المخزومى، ومحمد بن إسحاق الصفانى، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجانى، ومعاوية بن صالح الأشعرى، وأبو بكر ابن على المروزى، وروى عنه أيضًا. أحمد بن حنبل، وأحمد ابن أبى الحوارى، وابن سعد، وداود بن رشيد، وأبو خيثمة، وهم من أقرانه، وأحمد ويعقوب، ابنا إبراهيم الدورقى، وتلامذة إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلى، وأبو بكر ابن أبى خيثمة.(١)

٥ - دُرَرٌ مِنْ أقْوَالِه

عن يزيد بن مجالد المعبّر، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: إذا كتبت، فقمش، وإذا حدثت، ففتش.(٢)

وعن أحمد بن علىّ الأبار، قال: قال يحيى بن معين: كتبنا عن الكذابين، وسجرنا به التنور، وأخرجنا به خبزًا نضيجًا.(٣)

قال يحيى: ما رأيت على رجل خطأ، إلا سترته، وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلاً فى وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه، فيما بينى وبينه، فإن قبل ذلك، وإلا تركته.(٤)

عن أبى بكر ابن محمد بن مهرويه، قال: سمعت على بن الحسين بن الجنيد، سمعت يحيى بن معين، يقول: إنا لنطعن على أقوام، لعلهم قد حَطوا رحالهم فى الجنة، من أكثر من مئتى سنة، قال ابن مهرويه: فدخلت على ابن أبى حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدثته بهذه الحكاية، فبكى،

---

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ٢٤٦، ٢٤٧)، وانظر بقية تلامذته.

(٢) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٤٩). (٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٣).

وارتعدت يداه، حتى سقط الكتاب من يده، وجعل يبكى، ويستعيدنى الحكاية، أو كما قال.[1]

وعن داود بن رشيد، قال: أنشدني يحيى بن معين:

المالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ	يَوْماً وَتَبْقَى فِي غَدٍ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لإِلَهِهِ	حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ
وَيَطِيبَ مَا يَحْوِى وَتَكْسِبُ كَفُّهُ	وَيَكُونَ فِي حُسْنِ الحَدِيثِ كَلامُهُ
نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ	فَعَلَى النَّبِيِّ صَلاَتُهُ وَسَلاَمُهُ[2]

وعن جعفر بن أبى عثمان الطيالسى، قال: أنشدنا يحيى بن معين:

أَخِلاَّءُ الرِّجَالِ هُمُ كَثِيرٌ	وَلَكِنْ فِي البَلاَءِ هُمُ قَلِيلُ
فَلاَ يَغْرُرْكَ خِلَّةَ مَنْ تُؤَاخِي	فَمَا لَكَ عِنْدَ نَائِبَةٍ خَلِيلُ
سِوَى رَجُلٍ لَهُ حَسَبٌ وَدِينٌ	لِمَا قَدْ قَالَهُ يَوْماً فَعُولُ[3]

٦ – وَفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال محمد بن جرير الطبرى: خرج ابن معين، حاجاً، وكان أكولاً، فحدثنى أبو العباس، أحمد بن شاه، أنه كان فى رفقته، فلما قدموا فيد، أهدى إلى يحيى فالوذج، لم ينضج، فقلنا له: يا أبا زكريا، لا تأكله، فإنا نخاف عليك، فلم يعبأ بكلامنا، وأكله، فما استقر فى معدته، حتى شكا وجع بطنه، وأسهل إلى أن وصلنا المدينة، ولا نهوض له، فتفاوضنا فى أمره، ولم يكن لنا سبيل إلى المقام، لأجل الحج، ولم ندر ما نعمل فى أمره، فعزم بعضنا على القيام عليه، وترك الحج، وبتنا، فلم يصبح حتى وصَّى، ومات، فغسلناه، ودفناه.[4]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٩٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٩٤).
(٣) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٦٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٩٠).

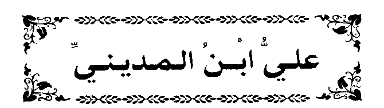
وقال أبو حسان ابن مهيب بن سليم البخارى: سمعت محمد بن يوسف البخارى، والد أبى ذر، يقول: كنت فى الصحبة فى طريق الحج، مع يحيى بن معين، فدخلنا المدينة ليلة الجمعة، ومات من ليلته، فلما أصبحنا تسامع الناس بقدوم يحيى، وبموته، فاجتمع العامة، وجاءت بنو هاشم، فقالوا: نخرج له الأعواد، التى غسل عليها النبى ﷺ ، فكره العامة ذلك، وكثر الكلام، فقالت بنو هاشم: نحن أولى بالنبى ﷺ منكم، وهو أهلٌ أن يغسل عليها، فأخرج الأعواد، وغسل عليها، ودفن يوم الجمعة، فى شهر ذى القعدة، سنة ثلاث وثلاثين ومئتين، قال أبو حسان: وهى السنة التى ولدت فيها.[١]

وقال جعفر بن محمد بن كزال: كنت مع يحيى بن معين بالمدينة، فمرض مرضه الذى مات فيه، وتوفى بالمدينة، فحمل على سرير رسول الله ﷺ ، ورجل ينادى بين يديه: هذا الذى كان ينفى الكذب، عن حديث رسول الله ﷺ .[٢]

انتهى الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى

وأوله

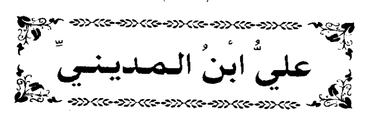


(١) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٦٦).

(٢) تهذيب الكمال (٣١/ ٥٦٧).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣١)



عليُّ ابْنُ المدينيِّ

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ

اسْمُهُ: على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدى، مولاهم البصرى، مولى عروة بن عطية السعدى، وكنيته أبو الحسن، وأبوه كان محدثاً مشهوراً، لين الحديث.

مَوْلِدُهُ: سنة إحدى وستين ومئة بالبصرة.(١)

٢ – مَنْزِلَتُهُ وثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال شيخه، يحيى بن سعيد القطان: الناس يلومونى فى قعودى مع علىّ، وأنا أتعلم من علىّ أكثر مما يتعلم علىّ منى.(٢)

وقال شيخه، سفيان بن عيينة: إنى لأرغب بنفسى عن مجالستكم منذ ستين سنة، ولولا على ابن المدينى ما جلست.(٣)

وعن أبى قدامة، قال: سمعت على بن المدينى، يقول: رأيت فيما يرى النائم كأن الثريا تدلت حتى تناولتها، قال أبو قدامة: فصدَّق الله رؤياه، بلغ فى الحديث مبلغاً، لم يبلغه أحد، أو لم يبلغه كبير أحد.(٤)

وقال أبو عبد الرحمن النسوى: كأن الله خلق على ابن المدينى لهذا الشأن.(٥)

(١) باختصار من سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٢، ٤٣).
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٠).
(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٩).
(٤) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١).
(٥) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٢).

وعن محمد بن إسحاق السراج، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخارى، وقلت له: ما تشتهى؟ قال: أشتهى أن أقدم العراق، وعلى ابن المدينى حى، فأجالسه.[(١)]

وقال البخارى كذلك: ما استصغرت نفسى عند أحد، إلا عند على ابن المدينى.[(١)]

وسئل يحيى بن معين عن على ابن المدينى والحميدى، فقال: ينبغى للحميدى أن يكتب عن آخر عن على ابن المدينى.[(٢)]

وعن الأعين، قال: رأيت على ابن المدينى مستلقياً، وأحمد عن يمينه، وابن معين عن يساره، وهو يملى عليهما.[(٢)]

وقال أبو يحيى، محمد بن عبد الرحيم: كان علىّ إذا قدم بغداد، تصدر فى الحلقة، وجاء ابن معين، وأحمد بن حنبل، والمعيطى، والناس يتناظرون، فإذا اختلفوا فى شىء تكلم فيه على.[(٣)]

وقال عبد الله بن أبى زياد القطوانى: سمعت أبا عبيد، يقول: انتهى العلم إلى أربعة: أبو بكر ابن أبى شيبة، أسردهم له، وأحمد بن حنبل، أفقههم فيه، وعلى ابن المدينى، أعلمهم به، ويحيى بن معين، أكتبهم له.[(٤)]

وقال النووى فى ترجمته: أجمعوا على جلالته، وإمامته، وبراعته فى هذا الشأن، وتقدمه على غيره.[(٥)]

وقال تاج الدين السبكى: على ابن المدينى الحافظ، أحد أئمة الحديث، ورفعائهم، ومن انعقد الإجماع على جلالته، وإمامته.[(٦)]

وقال أبو داود: ابن المدينى أعلم من أحمد، باختلاف الحديث.[(٧)]

وقال أحمد بن سنان: كان ابن عيينة يسمى علياً حية الوادى.[(٧)]

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠).
(٦) طبقات الشافعية (٢/ ١٤٥).
(٧) تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٨).

قال الذهبى: مناقب هذا الإمام جمة: لولا ما كدرها بتعلقه بشىء من مسألة خلق القرآن، وتردده إلى أحمد بن أبى دواد، إلا أنه تنصل وندم، وكفر من يقول بخلق القرآن، فالله يرحمه، ويغفر له.(١)

قال أزهر بن جميل: كنا عند يحيى بن سعيد، أنا وعبد الرحمن، وسفيان الرؤاسى، وعلى ابن المدينى، وغيرهم، إذ جاء عبد الرحمن بن مهدى، منتقح الدون، أشعث، فقال له يحيى: ما حالك يا أبا سعيد؟ قال: خير، رأيت البارحة فى المنام، كأن قوماً من أصحابنا قد نكسوا، قال على ابن المدينى: يا أبا سعيد، هو خير، قال الله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٨). ، قال: اسكت، فوالله، إنك لفى القوم.(٢)

٣ - بَرَاعَتُهُ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي مَعْرِفَةِ الْعِلَلِ

والعلة هى سبب غامض خفى، يقدح فى صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منها.

ومعرفة علة الحديث من أشرف معارف المحدثين، وأجلها، وأعلاها، وأدقها، لا يضطلع بها إلا أهل الحفظ، والخبرة، والفهم الثاقب.

قال الحاكم، أبو عبد الله النيسابورى: معرفة علل الحديث، وهو علم برأسه، غير الصحيح، والسقيم، والجرح، والتعديل.

وقال أيضاً: إن معرفة علل الحديث من أجل هذه العلوم، والإمام على ابن المدينى إمام حملة راية السنة المشرقة، كان أعلم أقرانه بعلل الحديث، وهى أدق شىء فى علم الدراية، وكلما ذكر الأئمة البارزون فى علل الحديث، ذكر ابن المدينى فى مقدمتهم.(٣)

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٤٢٨). (٢) سير أعلام النبلاء (١١/٥١).

(٣) باختصار من «الإمام علي ابن المديني، ومنهجه في نقد الرجال» (١٧٤، ١٧٥)، تأليف/ إكرام الله إمداد الحق، ط. دار البشائر.

قال الإمام أحمد: أعلمنا بالعلل على ابن المدينى.[١]

وقـال أبو حاتم الرازى: كـان على ابن المدينى علمـاً فى الناس[٢] فى معـرفة الحديث، والعلل، وكان أحمد بن حنبل، لا يسميه، إنما يكنيه، تبجيلاً له.

وقال صالح بن محمـد جزرة: أعلم من أدركت بالحديث، وعلله على ابن المدينى، وأحفظهم عند المذاكرة، أبو بكر ابن أبى شيبة.[٣]

وقال الحافظ: لا ريب فى تقـدم البخارى، ثم مسلم على أهل عـصرهما ومن بعده من أئمـة هذا الفن، فى معرفة الصـحيح والمعلل، فإنهم لا يخـتلفون فى أن على ابن المدينى، كان أعلم أقرانه بعلل الحديث، وعنه أخذ البخارى ذلك.[٤]

وقال أحمد شاكر -رحمه الله-: هذا الفن من أدق فنون الحديث وأعوصها، بل هو رأس علومـه وأشرفـهـا، ولا يتمكن منه إلا أهل الحـفظ، والخـبرة، والفـهـم الثاقب، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل، كابن المدينى، وأحمد والبخارى، ويعقوب ابن شيبة، وأبى حاتم، وأبى زرعة والدارقطنى.[٥]

٤ - حِفْظُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

عن عبد الرحمن بن أبى حاتم، قال: سألت أبى عن أحمد بن حنبل، وعلى ابن المدينى، أيهما كان أحفظ، قال: كانا فى الحفظ متقاربين، وكان أحمد أفقه.[٦]

وعن عبد الرحـمن، قال: سمعت محمـد بن مسلم بن وارة، وسئل عن على ابن المدينى، ويحيى بن مـعين، أيهمـا كان أحفظ؟ قال: كـان علىّ أسرد وأتقن، وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه[٧]، وقال الإمام أحمد: وكان علىّ أحفظنا للطوال.[٨]

---

(١) المجروحين (١/ ٥٥).
(٢) الجرح والتعديل (المقدمة ٣١٩).
(٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٣٣).
(٤) هدي الساري (٣٤٦، ٣٤٧).
(٥) الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث (٦٥).
(٦) مقدمة الجرح والتعديل (٢٩٤).
(٧) مقدمة الجرح والتعديل (٣١٤).
(٨) تاريخ بغداد (٩/ ٤١).

ولما أراد الذهبى مدح أحمد بن حنبل، قال: والله، لقـد بلغ فى الفقه خاصة، رتبة الليث، ومالك، والشافـعى، وأبى يوسف، وفى الزهد والورع رتبة الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، وفى الحفظ رتبة شعبة، ويحيى القطان، وابن المدينى.(١)

فقرن ابن المدينى فى الحفظ، بشعبـة، ويحيى القطان، وهما جبلان فى الحفظ، ثم شبه أحمد بن حنبل بهم فى الحفظ.

وقال عـبد المؤمن النسـفى: سألت صالح بن مـحمد: هل كـان يحيى بن مـعين يحفظ؟ فقال: لا، إنما كان عنده معرفة، قلت: فعلىٌّ؟ قال: كان يحفظ ويعرف.(٢)

٥ – مَوْقِفُـهُ – رَحِمَهُ اللهُ – مِنَ المِحْنَـةِ

كـان الإمام على ابن المدينـى –رحمـه الله–، ضمن الجـمـاعة التى تعـرضت للامتحان، فى مسألة خلق القرآن الكريم، فقد تعرض للتخويف والإرهاب الشديد من قبل السلـطة، فى دولة بنى العباس آنئـذٍ، ويبدو أن مـوقفه –رحـمه الله– فى المحنة ظل صلباً قـوياً، كغيـره من الأئمة، إلا أنه لما اشتـد عليه البلاء، والوعـيد الشديد، وزُجّ فى السجن، اضـطر إلى أن يقول بعض الشىء للسلطة، التى ولدت فتنة العلماء، مما يوهم أنه أجـاب فى المحنة، ولكن فى واقع الأمر، فعل ذلك فى الظاهر، وهو غير مطمئن الجنان لذلك، فقد ندم، وتاب، وصرح بقول أهل السنة والجماعة، وكفر القائلين بخلق القرآن.(٣)

وقـد أشـار إلى ذلك ابن المديـنى، قـال أبو يوسف القلوسى: قلـت لعلىّ ابن المدينى: مـثلك فى علمك، تجيب إلى مـا أجبت إليـه؟ فقال: يا أبـا يوسف، ما أهون عليك السيف.(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢). (٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨).
(٣) الإمام علي ابن المديني، ومنهجه في نقد الرجال (١٠٠).
(٤) الكامل (١/ ٣٠)، والميزان (٣/ ١٤١).

وقال العباس بن عبد العظيم العنبرى: قال على ابن المدينى، وذكر رجلاً فتكلم فيه، فقلت له: لا يقبلون منك، إنما يقبلون من أحمد بن حنبل، قال: قوى أحمد على السوط، وأنا لا أقوى.(١)

وقال السبكى: والصحيح عندنا أنه إنما أجاب خشية السيف.(٢)

وقال محمد بن عثمان بن أبى شيبة: سمعت على ابن المدينى، يقول قبل أن يموت بشهرين: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق، فهو كافر.(٣)

قال ابن أبى حاتم: ترك أبو زرعة الرواية عنه، من أجل ما كان منه فى المحنة، وكان أبى يروى عنه، لنزوعه عما كان منه.(٤)

قال الحافظ: تكلم فيه أحمد، ومن تابعه، لأجل ما تقدم من إجابته فى المحنة، وقد اعتذر الرجل عن ذلك، وتاب، وأناب.(٥)

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: سمع علىٌّ أباه، وحماد بن زيد، وجعفر بن سليمان، ويزيد بن زريع، وعبد الوارث، وهشيم بن بشير، وعبد العزيز الدراوردى، ومعتمر بن سليمان، وسفيان بن عيينة، وجرير بن عبد الحميد، والوليد بن مسلم، وبشر بن المفضل، وغندراً، ويحيى بن سعيد، وخالد بن الحارث، ومعاذ بن معاذ، وحاتم بن وردان، وابن وهب، وعبد الأعلى السامى، وعبد العزيز بن أبى حازم، وعبد العزيز العمى، وعمر بن طلحة بن علقمة بن وقاص الليثى، وفضيل بن سليمان النميرى، ومحمد بن طلحة التيمى، ومرحوم بن عبد العزيز، ومعاوية بن عبد الكريم، ويوسف بن الماجشون، وعبد الوهاب الثقفى، وهشام بن يوسف، وخلقاً كثيراً.(٦)

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٩).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٤٧).
(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢).
(٤) الجرح والتعديل (٦/ ١٩٤).
(٥) التهذيب (٧/ ٣٥٦).
(٦) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٢).

تَلامِذَتُهُ: قال الذهبى: حدث عنه أحمد بن حنبل، وأبو يحيى صاعقة، والزعفرانى، وأبو بكر الصاغانى، وأبو عبد الله البخارى، وأبو حاتم، وحنبل ابن إسحاق، ومحمد بن يحيى، وعلى بن أحمد بن النضر، ومحمد بن أحمد ابن البراء، والحسن بن شبيب المعمرى، وولده عبد الله بن على، وحميد بن زنجويه، وصالح بن محمد جزرة، وعبيد الله بن عثمان العثمانى، وهلال بن العلاء، والحسن البزار، وأبو دواد الحرانى، وإسماعيل القاضى، وأبو مسلم الكجى، وعلىّ بن غالب البتلهى، وأبو خليفة الفضل بن الحباب، ومحمد بن جعفر ابن الإمام بدمياط، وأبو يعلى الموصلى، ومحمد بن محمد الباغندى، وأبو القاسم البغوى، وعبد الله بن محمد بن أيوب الكاتب، خاتمة من روى عنه.[1]

٧- مُصَنَّفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال إكرام الله: يتبين أن معظم مؤلفات على ابن المدينى: لا تزال فى عداد المفقودات، كما هو الشأن فى كثير من تراثنا العلمى القديم، والموجود من مؤلفاته قليل جداً بالنسبة للمفقود.[2]

فَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ:

١- علل الحديث، ومعرفة الرجال.

٢- تسمية من روى عنه، من أولاد العشرة، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ

٣- سؤالات ابن المدينى ليحيى بن سعيد القطان.

٤- أبواب السجدة.

٥- اختلاف الحديث.

٦- الأخوة والأخوات.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٤٣).

(٢) الإمام علي ابن المديني، ومنهجه في نقد الرجال (٢٦٤).

٧- أسباب النزول.

٨- الأسماء والكنى.

٩- الأسامى الشاذة.

١٠- التاريخ.

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

اختلف المترجمون للإمام على ابن المدينى -رحمه الله- فى تاريخ وفاته، والراجح فيه قول البخارى -رحمه الله-: إنه يوم الاثنين ليومين، بقيا من شهر ذى القعدة، سنة أربع وثلاثين بعد المئتين، وكذا فى «الطبقات الكبرى»، لابن سعد.

وهو الذى يتفق مع ما ذكروا فى مبلغ سنه، فقد قالوا إنه توفى، وله ثلاث وسبعون سنة. وكانت وفاته -رحمه الله- بالعسكر، بمدينة «سرَّ من رأى».

رحم الله أبا الحسن رحمة واسعة، وأنزله منازل المقربين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٣٢)

إسْحَاقُ بْنُ رَاهْـوَيْـه

إسْحَاقُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ -رَحِمَهُ اللّهُ-

١ – اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَدَ بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب بن وارث بن عبيد الله بن عطية بن مُرَّةَ بن كعب بن همام ابن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمى، ثم الحنظلى المروزى. (١)

قال ابن خلكان: «وَرَاهْوَيْه: لقب أبيه، أبى الحسن إبراهيم، وإنما لُقِّبَ بذلك لأنه وُلِدَ فى طريق مكة، والطريق بالفارسية «راه»، و«ويه» معناه وُجِدَ، فكأنه وجد فى الطريق، وقيل فيه أيضاً: «راهُويه».

وقال إسحاق المذكور: قال لى عبد الله بن طاهر، أمير خراسان: لم قيل لك ابن راهويه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يقال هذا؟ قلت: اعلم أيها الأمير، أن أبى ولد فى الطريق، فقالت المراوزة: «راهويه» لأنه ولد فى الطريق، وكان أبى يكره هذا، وأما أنا فلست أكره هذا. (٢)

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: مولده فى سنة إحدى وستين ومئة. (٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٣٥٨، ٣٥٩).
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٢٠٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٩).

صِفَتُهُ: قال على بن إسحاق بن راهويه: ولد أبى من بطن أمه مثقوب الأذنين، فمضى جدى راهويه، إلى الفضل بن موسى، فسأله عن ذلك، فقال: يكون ابنك رأساً، إما فى الخير، وإما فى الشر.(١)

وقال أبو يحيى الشعرانى: إن إسحاق كان يخضب بالحناء.(٢)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال المزِّىُّ: أحد أئمة المسلمين، وعلماء الدين، اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد، ورحل إلى العراق، والحجاز، واليمن، والشام، وعاد إلى خراسان، فاستوطن نيسابور، إلى أن مات بها، وانتشر علمه عند أهلها.(٣)

وعن أبى داود الخفاف، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: لم يعبر الجسر مثل إسحاق.(٤)

وقال نعيم بن حماد: إذا رأيت الخراسانى يتكلم فى إسحاق بن راهويه، فاتهمه فى دينه.

قال السبكى: إنما قيَّدَ الكلام بالخراسانى، لأنه أهل إقليم المرء؛ هم الذين بحيث لو كان فيه كلام، لتكلموا فيه؛ فكأنه يقول: من تكلم فيه من أهل إقليمه، فهو متهم بالكذب؛ لأنه لا يتكلم بحق؛ لبراءته مما يشينه فى دينه.(٥)

وقال أبو بكر محمد بن النضر الجارودى: حدثنا شيخنا وكبيرنا، ومن تعلمنا منه، وتجملنا به؛ أبو يعقوب؛ إسحاق بن إبراهيم رضي الله عنه.(٦)

وقال الحاكم: هو إمام عصره فى الحفظ والفتوى.(٦)

وقال أبو إسحاق الشيرازى: جمع بين الحديث، والفقه، والورع.(٦)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٨٤).
(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٨٨).
(٣) تهذيب الكمال (٢/ ٣٧٣).
(٤) تاريخ بغداد (٦/ ٣٥٠).
(٥) طبقات الشافعية (٢/ ٨٥).
(٦) طبقات الشافعية (٢/ ٨٧).

وعن عبد اللّه بن محمد الفراء، قال: دخلت على يحيى بن يحيى، فسألته عن إسحاق، فقال: ليوم من إسحاق، أحب إلىَّ من عمرى.(١)

وقال أحمد بن سعيد الرياطى: لو كان الثورى، والحمادان فى الحياة، لاحتاجوا إلى إسحاق فى أشياء كثيرة. (٢)

وقال أبو محمد الدارمى: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه.(٢)

وقال أبو نعيم الحافظ: كان إسحاق قرينَ أحمد، وكان للآثار مثيرًا، ولأهل الزيغ مبيرًا.(٣)

قال حنبل: سمعت أبا عبد اللّه، وسئل عن إسحاق بن راهويه، فقال: مثل إسحاق يُسْأَل عنه؟! إسحاق عندنا إمام.(٣)

وعن الإمام أحمد أيضًا، قال: لا أعرف لإسحاق فى الدنيا نظيرًا.(٣)

قال الشافعى: ابن راهويه أحد الأئمة، ثقة مأمون، سمعت سعيد بن ذؤيب، يقول: لا أعلم على وجه الأرض مثل إسحاق.(٣)

وقال أبو عبد اللّه الأخرم: سمعت محمد بن إسحاق بن راهويه، يقول: دخلت على أحمد بن حنبل، فقال: أنت ابنُ أبى يعقوب، قلت: بلى، قال: أما إنك لو لزمته، كان أكثر لفائدتك؛ فإنك لم تر مثله.(٤)

وقال قتيبة بن سعيد: الحفاظ بخراسان: إسحاق بن راهويه، ثم عبد اللّه الدارمى، ثم محمد بن إسماعيل. (٤)

٣ – عِلْمُهُ وَحِفْظُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال محمد بن عبدالوهاب: كنت مع يحيى بن يحيى، وإسحاق نعود مريضًا، فلما حاذينا الباب، تأخَّر إسحاق، وقال ليحيى تقدم، فقال يحيى لإسحاق: بل أنت تقدم، فقال: يا أبا زكريا، أنت أكبر منى، قال: نعم، أنا أكبر منك، ولكنك

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٦٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٤).

أعلم مني، قال: فتقدم إسحاق.[١]

قال ابن عدى: ركب إسحاق بن راهويه دَيْن؛ فخرج من مرو، فكلم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحاق، فقال: ما تريدون؟ قالوا: تكتب إلى عبد الله ابن طاهر رقعةً، وكان عبد الله بن طاهر أمير خراسان، وكان بنيسابور، فقال يحيى: ما كتبت إليه قط، فألحُّوا عليه، فكتب فى رقعة إلى عبد الله بن طاهر: أبو يعقوب؛ إسحاق بن إبراهيم، رجل من أهل العلم والصلاح، فحمل إسحاق الرقعة إلى عبد الله ابن طاهر، فلما جاء إلى الباب، قال للحاجب: معى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير، فدخل الحاجب، فقال له: رجل بالباب، زعم أنَّ معه رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير، فقال: يحيى بن يحيى؟ قال: أدخله، فدخل إسحاق، وناوله الرقعة، فأخذها عبد الله وقبلها، وأقعد إسحاق بجنبه، وقضى دَيْنَهُ ثلاثين ألف درهم، وصيَّرهُ من ندمائه.

قال السبكى: انظر ما كان أعظم أهل العلم عند الأمراء، وانظر ما أدنى هذه الكلمة، وأقصر هذه الرقعة، وما ترتب عليها من الخير، وما ذلك إلا لحسن اعتقاد ذلك الأمير، وصيانة أهل العلم أيضًا، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.[٢]

وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء: رحم الله إسحاق؛ ما كان أفقهه وأعلمه.[٣]

وقال على بن حجر: لم يخلف إسحاق، يوم فارق الدنيا، مثله بخراسان، علماً وفقهًا:

بَيَّضَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَوَقَاهُ ... فَزَعاً يَوْمَ قَمْطَرِيرٍ وَهَوْلَهْ

وَأَثَابَ الْفِرْدَوْسَ مَنْ قَالَ آمِينَ ... وَأَعْطَاهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ سُؤْلَهْ[٤]

وعن محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: والله، لو أن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى، كان من التابعين، لأقروا له بحفظه، وفقهه.[٥]

وعن على بن خُشْرُم: حدثنا ابن الفضل عن ابن شُبْرمة، عن الشعبى، قال: ما كتبت

---

(١) طبقات الشافعية (٢/ ٨٧).
(٢) طبقات الشافعية (٢/ ٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٦٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٢).
(٥) تاريخ بغداد (٦/ ٣٥٠).

سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا، ولا حدثنى رجـلٌ بحديث قط، إلا حفظته، قال عليّ: فحدثت بهذا إسحاق بن راهويه، فقال: تعجب من هذا؟ قلت: نعم، قال: ما كنت أسمع شيئًا إلا حفظته؛ وكأنى أنظر إلى سبعين ألف حديث، أو قال: أكثر فى كتبى.(١)

وقال أحمد بنَ سلمة: سمعت أبا حاتم الرازى، يقول: ذكرت لأبى زرعة حفظ إسحاق بن راهويه، فقال: أبو زرعة ما رئىَ أحفظ من إسحاق.

ثم قـال أبو حاتم: والعـجب من إتقـانه، وسـلامتـه من الغلط، مع مـا رُزقَ الحفظ، فقلت لأبى حـاتم: إنه أملى التفسير عن ظهر قلبـه، قال: وهذا أعجب؛ فإن ضبط الأحاديث المسندة أيسر وأهون، من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها. (١)

٤ - خَشْيَتُهُ وَصِدْقُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن محمد بن داود الضبِّى، قال: سمعت محمد بن أسلم الطوسى، يقول حين مات إسـحاق الحنظلى: مـا أعلم أحدًا كان أخـشى لله مـن إسحـــاق؛ يقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨)؛ وكـان أعلم الناس، ولو كان سفيان الثورى فى الحيَاة، لاحَتاجَ إلى إسحاق.

قال محـمد بن عبد السـلام: أخبرت بذلك أحمـد بن سعيد الرباطـى، فقال: والله، لو كـان الثـورى، وابن عـيينة، والحـمـادان فى الحـياة، لاحـتـاجـوا إلى إسحـاق، قال محمد: فأخبرت بذلك مـحمد بن يحيى الصَّفَّار، فقال: والله، لو كان الحسن البصرى فى الحياة، لاحتاج إلى إسحاق فى أشياء كثيرة.

حدثنى على بن أحمد الهاشمى، قال: هذا كـتـاب جدى، فقرأت فيه: حدثنى محـمد بن داود النيـسابورى، قـال: سـمعت أبا بكر ابن نعـيم، يقول: سـمعت الدارمى، يقول: ساد إسحاق بن إبراهيم أهل المشرق والمغرب بصدقه.(٢)

٥ - مُنَاظَرَةُ إسْحَاقَ للشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ-

تناظر إسحاق، والشافـعى -رحمهما الله- فى كراء دور مكة؛ فـقال الشافعى: قال الله تَعَـالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ (الحشر:٨)؛ فنسب الديار

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٣).

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٩).

إلى مالكها، أو إلى غير مالكها؟ وقال النبى ﷺ يوم فتح مكة: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ، فَهُوَ آمنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيَانَ، فَهو آمن» فنسب الديار إلى أربابها، أم إلى غير أربابها؟ واشترى عمر بن الخطاب دارًا للسجن من مالك، أو من غير مالك؟ وقال النبى ﷺ: «وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عقَيْلٌ مِنْ دَارٍ».

قال إسحاق: فقلت: الدليل على صحة قولى أن بعض التابعين قال به، فقال الشافعى لبعض الحاضرين: من هذا؟ فقيل: إسحاق بن إبراهيم الحنظلى، فقال الشافعى: أنت الذى يزعم أهل خراسان أنك فقيههم، قال إسحاق: هكذا يزعمون، فقال الشافعى: ما أحوجنى أن يكون غيرك فى موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه.

أقول: قال رسول الله ﷺ، وأنت تقول: قال عطاء، وطاووس، والحسن، وإبراهيم، وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة.

فقال إسحاق: اقرأ: ﴿سَوَاءً الْعَاكفُ فيه والْبَاد﴾(الحج: ٢٥)، فقال الشافعى: هذا فى المسجد خاصة، فى رواية: قال إسحاق: لما عرفت أنى أُفْحِمْتُ قمت.[(١)]

وعن زكريا الساجى، قال: حدثنى جماعة من أصحابنا؛ أن إسحاق بن راهويه ناظر الشافعى، وأحمد بن حنبل حاضر، فى جلود الميتة إذا دُبِغَتْ، فقال الشافعى: دباغها طهورها، فقال إسحاق: ما الدليل؟ فقال الشافعى: حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، عن ميمونة، أن النبىَّ مَرَّ بشاة ميتة، فقال: «هَلاَّ انْتَفَعْتُمْ بِجِلْدِهَا».

فقال إسحاق: حديث ابن عُكيم، كتب إلينا رسول الله ﷺ قبل موته بشهر: «لا تَنْتَفِعُوا منَ الْمَيْتَة بإهَاب وَلا عَصَب»، أشبه أن يكون ناسخًا لحديث ميمونة؛ لأنه قبل موته بشهر، فقال الشافعى: هذا كتاب، وذاك سماع، فقال إسحاق: إن النبى ﷺ كتب إلى كسرى، وقيصر، وكان حُجَّة عليهم عند الله، فسكت الشافعى، فلما سمع ذلك أحمد بن حنبل، ذهب إلى حديث ابن عكيم، وأفتى به، ورجع إسحاق إلى حديث الشافعى، فأفتى بحديث ميمونة.[(٢)]

---

(١) باختصار من طبقات الشافعية (٢/ ٨٩-٩٠).

(٢) طبقات الشافعية باختصار (٢/ ٩١-٩٢).

٦ - اتِّبَـاعُـهُ لِلسُّـنَّـةِ

عن وهيب بن جـرير، قـال: جزى الـله إسـحَـاق بن راهويه، وصـدقـة بن الفضل، ومَعْمَر عن الإسلام خيرًا؛ أحيوا السُّنَّة بالمشرق.(١)

قال حرب الكرماني: قلت لإسحاق ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (المجادلة: ٧)، كيف تقول فيـه؟ قال: حيثما كنت، فهـو أقرب إليك من حَبل الوريد، وهو بائنٌ من خلقه، وأبين شيء في ذلك قـوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طه: ٥).(٢)

وقال سليمان بن داود الخفاف، قـال إسحاق بن راهويه: إجماع أهل العلم، أنه تَعَالَى، على العرش استوى، ويعلم كُلَّ شيء في أسفل الأرض السابعة.(٢)

وقال أحـمد بن سلمـة: سمع إسـحاق الحنظلي، يقـول: ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وكيف يكون شيءٌ خرج من الرب -عَزَّ وَجَلَّ- مخلوقًا.(٣)

وورد عن إسحاق أن بعض المتكلمين، قال له: كفرت برب، يـنزل من السماء إلى سماء، فقال: آمنت بربٍّ يفعل ما يشاء.(٣)

٧- شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الخطيب: سمع جرير بن عبد الحميد الرازي، وإسماعيل بن علية، وسفيان بن عيينة، ووكـيع بن الجـراح، وأبا معاوية، وأبا أسامة، ويحيى بن آدم، وبقـية بن الوليـد، وعبـد الرزاق بن همـام، والنضر بن شُـمَيل، وعـبد العـزيز الدراوردي، وعيـسى بن يونس، وعبدة بن سليـمان، وأبا بكر بن عياش، وعـبد الوهاب الثقفي، ومـعتمر بن سليمـان، ومحـمد بن بكر البرسـاني، وعبدالله بن وهب، ومحـمد بن سلمـة الحراني، وسويـد بن عبد العـزيز، ومعـاذ بن هشام، والوليد بن مسلم، وورد بغداد غير مرة، وجالس حفاظ أهلها وذاكرهم، وعاد إلى

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٦٤). (٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٦).

خراسان، فاستوطن نيسابور، إلى أن توفى بها، وانتشر علمه عند الخراسانيين.(١)

تَلامَذَتُهُ: قال الذهبي: قال الحاكم: أصحاب إسحاق عندنا، على ثلاث طبقات؛ فالأولى: محمد بن يحيى، وإبراهيم بن عبدالله السعدى، ومحمد بن عبد الوهاب العبدى، وأحمد بن يوسف السلمى، وإسحاق بن إبراهيم العفْصى، وعلى بن الحسن الدّاربجردى، وحامد بن أبى حامد المقرئ، وخشنام بن الصديق، وعبد الله بن محمد الفراء، ويحيى بن الذهلى.

الطبقة الثانية: مسلم بن الحجاج، وسرد جماعة.

الطبقة الثالثة: خاتمتهم؛ أبو العباس السَّرَّاج.(٢)

وقال الخطيب: وروى عنه محمد بن إسماعيل البخارى، وإسحاق بن منصور الكوسج، ومسلم بن الحجاج النيسابورى، ومحمد بن نصر المروزى، وأبو عيسى الترمذى، وأحمد بن سلمة، وخلقٌ يطول ذكرهم، وروى عنه من قدماء شيوخه؛ يحيى بن آدم، وبقية بن الوليد، ومن أقرانه: أحمد بن حنبل، ولم أر فى أحاديث البغداديين شيئًا، استدل به على أنه حدث ببغداد، إلا أن يكون على سبيل المذاكرة، والله أعلم.(٣)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الدولابى: قال محمد بن إسحاق بن رَاهويه: وُلِدَ أبى فى سنة ثلاث وستين ومئة، وتوفى ليلة نصف شعبان، سنة ثمان وثلاثين ومئتين، قال: وفيه يقول الشاعر:

يَا هَدَّةً مَا هُدِدْنَا لَيْلَةَ الأَحَدِ فِي نِصْفِ شَعْبَانَ لاَ تُنْسَى أبدَ الأبَدِ(٤)

وقال أبو عبد الله البخارى: توفى ليلة نصف شعبان، وله سبع وسبعون سنة، ثم قال الخطيب عقيب هذا: فهذا يدل على أن مولده فى سنة إحدى وستين ومئة.(٤)

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥، ٣٤٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٠).
(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٦).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣٣)

إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ

هذه السلسة المباركة «من أعلام السلف»، المقصود بها تربية جيل الصحوة المباركة، على أخلاق العلماء الأعلام، والأئمة الكرام؛ حيث يصحب القارئ الكريم، فى كل ترجمة عَلَماً من هؤلاء الأعلام، يرى زهده، وورعه، وأخلاقه، ونزاهته، وصبره على دين الله، وبذله لإعزازه، فصارت لهم بذلك اليد البيضاء على الأمة، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، وتاريخ الإسلام غنىٌ زاخرٌ بهذه الأمثلة الرائعة، والقمم الشامخة، نسأل الله أن يميتنا على حبهم، وأن يحشرنا فى جمعهم.

والعَلَم الذى نرفعه اليوم، والإمام الذى نتشرف بترجمته؛ كما قال بعض العلماء: كاد أن يكون إمامًا فى بطن أمه؛ إنه الذى أخبر عنه الشافعى -رحمه الله-، فقال: رأيت شاباً ببغداد، إذا قال حدثنا، قال الناس: صدق، إنه الإمام الذى دخل الكير، فخرج ذهبًا أحمر، وعرضت عليه الدنيا فأباها، والبدعة فنفاها.

قال بعضهم: لولا أحمد بن حنبل، لصار الناس كلهم معتزلة. قيل لبشر الحافى: لماذا لا تخرج؛ فتقول كما قال أحمد بن حنبل؟ فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء. إنه العالم، العابد، الفقيه، الزاهد، الصابر فى المحنة، إمام أهل السنة، أحمد بن حنبل، وما أحوج الطلاب، والعلماء، والدعاة إلى معرفة أخباره، فى أزمنة أطلت فيها رءوس الفتن، وكثرت فيها الإحن والمحن، وظهر فيها العلمانيون، والمنافقون يريدون أن ينالوا من **الإسلام وأهله**، فلا يكفى من

يرجو الله، واليوم الآخر، أن يجتهد فى العبادة، وطلب العلم النافع، حتى يضم إلى ذلك البذل لإعزاز الدين، والجهر بكلمة الحق؛ حتى تعلو راية المسلمين.

فقد تعرض الإمام للفتنة من أربعة من الخلفاء؛ وهم: المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، وقد كانت الأمة قبل ذلك ترتفع فيها راية أهل السنة، إلى عهد الخليفة هارون الرشيد -رحمه الله-، فكان أهل البدع يستخفون ببدعتهم، ولا يجهرون بباطلهم، حتى مال المأمون بن هارون الرشيد إلى مقالة المعتزلة، وحاول أن يجبر العلماء، والقضاة على القول بمذهبه الردىء، فأجابه أكثرهم تقية، وقتل من قتل فى المحنة، ووقف الإمام أحمد موقفًا لا يستطيعه إلا نبى؛ وقف كأنه جبل شامخ، تكسرت عليه المحن، وانهزمت على قدميه الفتن، ولما هلك المأمون، تبعه المعتصم؛ فجلد الإمام، وحبسه ثمانية وعشرين شهراً على أن يلين، وكانت له المنزلة، والمكانة فى قلوب المسلمين، ما إن مال عن الحق، زل بزلته عالم لا يحصون من كثرة، وهيأ الله -عَزَّ وَجَلَّ- له أسباب الثبات، فقال له بعضهم: ما عليك أن تموت ههنا، فتدخل الجنة، وقال بعضهم: إن عِشْتَ عشتَ حميداً، وإن متَّ مت شهيداً، فثبت على الحق، حتى هلك المعتصم، ومن بعده الواثق، ثم أشرقت عليه خلافة المتوكل، وكان من أهل السنة؛ فرفعت أعلام السنة، ونكِّسَتْ أعلام البدعة، وأهلك الله -عَزَّ وَجَلَّ- كل من شارك فى المحنة، ولكن الإمام لم يسلم فى زمن المتوكل من الفتنة، ولكنها فتنة من نوع جديد؛ إنها فتنة الدنيا، فتنة المال، والجاه، والدخول على السلطان؛ فقد حاول المتوكل أن يغدق على الإمام الأموال، ولكن إمامنا وعالمنا، لم ترهبه السياط والتعذيب، ولم يجذبه بريق المال والسلطان، فقال: أسلم من هؤلاء ستين سنة، ثم أُبْتَلَى بهم، فما قبل من ذلك شيئًا، وعاش بقية عمره زاهداً فى الدنيا، راغبًا فى الآخرة، فازداد ارتفاعًا فى قلوب الخلق، وكان له أكبر الأثر فى علماء عصره، ومن بعد عصره، فنشأت مدرسةٌ؛ هى مدرسة الحنابلة؛ إمامها أحمد بن حنبل، فلله دره! على الله تَعَالَى أجره، ونحن فى ذيل الزمان نسمع أخباره، فتمتلأ قلوبنا روعة ومحبة له؛ فكيف

بمن عاصره، وشاهد علمه، وزهده، وصبره، ولـيس الخبر كالعيان، وقبل أن نضع القلم في التقديم، لهذا العلَم، نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أن ينفع بهذه الكلمات من قرأها، وأن يقربنا بـها من هؤلاء الأعلام، وأن يفتح علينا، وعلى المسلمـين؛ كما فتح عليهم في الدين، وأن يرزقنا برهـا، وذخرها يوم العرض على رب العـالمين، وصلى اللّه وسلم وبارك على مـحمـد، وآله الطيبـين، وأصحـابه الغُرِّ الميـامين، والحمد لله رب العالمين.

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: هو الإمام أبو عبد الله؛ أحمـد بن محمد بن حنَبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبـة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن قصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

وهذا النسب فيه منقبة عظيمة، ورتبة جليلة من وجهين:

أحدهما: حيث يـلاقى فيه نسب رسـول اللّه ﷺ، فى نزار؛ لأن نزاراً كان له أربعة أولاد؛ منهم مضر، ونبيُّنا ﷺ من ولده، ومنهم ربيعة، وإمـامنا أبو عبد الله؛ أحمد من ولده.

والوجه الثانى: أنه عربىّ، صحيح النسب.

مَوْلِدُهُ: حملت به أمه بمرو، وقدمت بغداد، وهى حامل به، فولدته فى شهر ربيع الأول سنة أربع وسـتين ومـئة، وكان أبوه مـحمـد؛ والى سرخس، وكـان من أبناء الدعوة العباسية، توفى وله ثلاثون سنة، وكانت وفاته فى سنة تسع وسبعين ومئة.(١)

صفَتُهُ -رَحِمَهُ الله-: قال ابن ذريح العكبرى: طلبت أحـمد بن حنبل، فسلمت عليه، وكان شيخنا مخضوبًا، طوالاً، أسمر شديد السمرة.

(١) باختصار من المنهج الأحمـد، في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لأبى اليمن مجـيد الدين محمد بن عبد الرحمن العليمي (١/ ٧)، تحقيق/ محيي الدين عبد الحميد.

وعن محمد بن عباس النحوى، قال: رأيت أحمد بن حنبل؛ حسن الوجه، ربعة، يخضب بالحناء خضابًا، ليس بالقانى، فى لحيته شعرات سود، ورأيت ثيابه غلاظًا بيضاً، ورأيته معتمًا، وعليه إزار. (١)

وقال الميمونى: ما أعلم أنى رأيت أحداً أنظف ثوبًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه فى شاربه، وشعر رأسه، وبدنه، ولا أنقى ثوباً، من أحمد بن حنبل. (٢)

٢- ابتدَاءُ طَلَبِهِ للْعِلْمِ وَرِحْلاَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال أبو نعيم: قال أبوَ الفضل: قال أبى: طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة، ومات هشيم، وأنا ابن عشرين سنة، وأول سماعى من هشيم سنة تسع وسبعين، وكان ابن المبارك، قدم فى هذه السنة، وهى آخر قدمة قدمها، فذهبت إلى مجلسه، فقالوا: خرج إلى طرطوس، وتوفى سنة إحدى وثمانين. (٣)

وقال العليمى ما ملخصه: وكانت لوائح النجابة تظهر منه زمن الصبا، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيرًا، وعلمه به متوافراً، وربما كان يريد البكور فى الحديث، فتأخذ أمه بثيابه، فتقول: حتى يؤذن الناس، أو حتى يصبحوا، وسافر فى طلب العلم أسفاراً كثيرة إلى البلاد، والكوفة والبصرة، والحجاز، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والثغور، والسواحل، والمغرب، والجزائر، والفراتين جميعًا، وأرض فارس، وبلد خراسان، والجبال، والأطراف، وغير ذلك.

ثم رجع إلى بغداد، وساد أهل عصره، ونصر الله به دينه، وصار آحد الأعلام من أئمة الإسلام. طلب الحديث، وهو ابن ست عشرة سنة، وخرج إلى الكوفة سنة مات هشيم؛ سنة ثلاث وثمانين ومئة، وهو أول سفر، وخرج إلى البصرة سنة ست وثمانين، وخرج إلى سفيان بن عيينة، إلى مكة، سنة سبع وثمانين،

(١) تهذيب الكمال للحافظ المزي (١/ ٤٤٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٨٤) مؤسسة الرسالة.
(٢) المنهج الأحمد (١/ ٢٤).
(٣) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهانى (٩/ ١٦٣) مطبعة السعادة.

وقد مات الفضيل بن عياض، وهى أول سنة حج فيها، وخرج إلى عبد الرزاق بصنعاء اليمن، سنة سبع وتسعين، ورافق يحيى بن معين.

قال يحيى: فلما خرجنا إلى عبد الرزاق، إلى اليمن، حججنا، فبينا أنا بالطواف؛ إذا بعبد الرزاق فى الطواف، فسلمت عليه، وقلت له: هذا أحمد بن حنبل، فقال: حياه الله! وثبته؛ فإنه بلغنى عنه كل جميل.

فقلت لأحمد: قد قرب الله خطانا، ووفَّر علينا النفقة، وأراحنا من مسيرة شهر. فقال: إنى نويت ببغداد، أن أسمع عنه بصنعاء، والله لا غيرت نيتى، فخرجنا إلى صنعاء، فنفدت نفقته، فعرض علينا عبدالرزاق دراهم كثيرة، فلم يقبلها، فقال: على وجه القرض، فأبى، وعرضنا عليه نفقاتنا، فلم يقبل، فاطلعنا عليه، وإذا هو به يعمل التك[1]، ويفطر على ثمنها، واحتاج مرة، فأكرى نفسه للجمالين، وحجَّ خمس حجَّات؛ ثلاث حجج ماشيًا، واثنتين راكبًا، وأنفق فى بعض حجاته عشرين درهماً.

وكان من أصحاب الإمام الشافعى وخواصه، ولم يزل بصاحبه إلى أن ارتحل الشافعى إلى مصر، وكان الشافعى يجله، ويثنى عليه ثناءً حسنًا.

قال حرملة: سمعت الشافعى رضي الله عنه [2] يقول عند قدومه إلى مصر من العراق: ما خلفت بالعراق أحداً، يشبه أحمد بن حنبل. [3]

وقال أحمد الدورقى: لما قدم أحمد بن حنبل، من عند عبد الرزاق، رأيت به شحوبًا بمكة، وقد تبين عليه النصب والتعب، فكلمته، فقال: هين فيما استفدناه من عبد الرزاق. [4]

---

(١) كذا، ولم يصرح بمعناه.

(٢) الأولى تخصيص الترضي بالصحابة الكرام، والترحم على العلماء.

(٣) باختصار من المنهج الأحمد (١/ ٧، ٨، ٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٥).

٣ – ثناءُ العُلَماءِ عَلَيْهِ – رَحِمَهُ اللّٰهُ–

وهذا بحرٌ لا يُدرَكُ قعره؛ فلو تتبعنا أقوال العلماء، فى المدح والثناء، لطال الفصل جداً، فنكتفى بإشارات، والله يغفر لنا تقصيرنا، فى حقه.

روى الخطيب بسنده عن على ابن المدينى، قال: إنَّ الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث؛ أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة.(١)

وقال الحسين بن محمد بن حاتم؛ المعروف بعبيد العجل، عن مهنا بن يحيى الشامى: ما رأيت أحداً أجمع لكل خير، من أحمد بن حنبل، ولقد رأيت سفيان ابن عيينة، ووكيع، وعبدالرزاق، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، وكثيراً من العلماء؛ فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، فى علمه، وفقهه، وزهده، وورعه.(٢)

وقال أبو يَعْلَى الموصلى: سمعت أحمد بن إبراهيم الدورقى، يقول: من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء، فاتهموه على الإسلام.(٣)

وقال أبو جعفر؛ محمد بن بدينا الموصلى: أنشدَنى ابن أعين، فى أحمد بن حنبل:

أَضْحَى ابْنُ حَنْبَلٍ مِحْنَةً مَأْمُونَةً ... وَبِحُبِّ أَحْمَدَ يُعْرَفُ الْمُتَنَسِّكُ

وإذَا رَأَيْتَ لأَحْمَدٍ مُتَنَقِّصاً ... فَاعْلَمْ بِأَنَّ سُتُورَهُ سَتُهَتَّكُ

وروى أبو نعيم، بسنده عن سعيد بن الخليل الخزاز: لو كان أحمد بن حنبل فى بنى إسرائيل، لكان آية.(٤)

وقال المزنى: قال لى الشافعى: رأيت ببغداد شاباً، إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صَدَقَ، قلت: ومن هو؟ قال: أحمد بن حنبل.(٥)

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٥٠٨).

(٢) أبو نعيم في الحلية (٩/ ١٦٥)، والمزي في تهذيب الكمال (١/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٤٢٠)، وذكره المزي في تهذيب الكمال (١/ ٤٥٧).

(٤) حلية الأولياء (٩/ ١٦٦).

(٥) سير أعلام (١١/ ١٩٥).

وقال عبد الله بن أحمد: قال أصحاب بشر الحافى له، حين ضُرب أبى: لو أنك خرجت، فقلت: إنى على قول أحمد، فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء. (١)

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: سمعت محمد بن سحتويه، سمعت أبا عمير ابن النحاس الرملى، وذكر أحمد بن حنبل، فقال -رحمه الله-: «عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها». (٢)

وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شىءٌ من أمر الدنيا. (٣)

وروى الخطيب بسنده عن أحمد بن سعيد الدارمى؛ قال: ما رأيت أسود الرأس، أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أعلم بفقه، ومعانيه من أبى عبد الله؛ أحمد بن حنبل. (٤)

وروى بسنده أيضًا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبا زرعة الرازى، يقول: كان أحمد بن حنبل، يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب. (٥)

وروى أبو نعيم، بسنده عن خلف بن سالم، قال: كنا فى مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل، فضرب بيده على جبينه، وقال: ألا أعلمتمونى أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح. (٦)

وروى الخطيب، بسنده عن محمد بن الحسين الأنماطى، قال: كنا فى مجلس؛ فيه يحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وجماعة من كبار العلماء،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/١٩٧).
(٢) السابق (١١/١٩٨).
(٣) السابق (١١/١٩٩).
(٤) تاريخ بغداد (٤/٤١٩).
(٥) السابق (٤/٤١٩، ٤٢٠).
(٦) حلية الأولياء (٩/١٦٩).

فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل، ويذكرون فضائله، فقال رجل: لا تكثروا بعض هذا القول، فقال يحيى بن معين: وكثرة الثناء على أحمد بن حنبل يستنكر؟ لو جلسنا بالثناء عليه، ما ذكرنا فضائله بكمالها.[١]

٤ - زُهْدُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال صالح بن أحمد بن حنبل: كان كثيرًا ما يأتدم بالخل، وربما رأيته يأكل الكسر، فينفض الغبار عنها، ثم يصيرها فى قصعة، ويصب عليها الماء، حتى تلين، ثم يأكله بالملح، وما رأيته قط اشترى رمّاناً، ولا سفرجلاً، ولا شيئًا من الفاكهة، إلا أن يشترى بطيخة، فيأكلها بالخبز، أو عنبًا، أو تمراً، فأما غير ذلك فما رأيته، وما اشتراه، وكان ربما اشترينا الشيء فنستره عنه؛ حتى لا يرانا؛ فيوبِّخنا على ذلك.[٢]

قال صالح: ودخل يومًا إلى منزلى، وقد غيرنا سقفاً لنا، فدعانى، ثم أملى عَلَيَّ حديث الأحنف بن قيس، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد ابن سلمة، عن يونس، عن الحسن، قال: قدم الأحنف بن قيس من سفر، وقد غُيِّرَ أسقف بيته حمر وشقائق وخضروها، فقالوا له: أما ترى إلى سقف بيتك؟ فقال: معذرة إليكم، إنى لم أره، لا أدخله حتى تغيِّروه.[٣]

وعن موسى بن حماد البربرى، قال: حمل إلىَّ الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر؛ مئة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس؛ فى كل كيس ألف دينار، وقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراثٍ حلال، فخذها فاستعن بها على عانتك، قال: لا حاجة لى فيها، أنا فى كفايةٍ، فردَّها ولم يقبل منه شيئًا.[٤]

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٤٢١).

(٢) سيرة الإمام أحمد، لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل (٤١)، تحقيق/ فؤاد عبد المنعم، ط. دار الدعوة، وذكره العليمي في المنهج الأحمد (١/ ١١).

(٣) السابق (٤٢).

(٤) المنهج الأحمد (١/ ١١)، وذكره أبو نعيم مسنداً (٩/ ١٧٥).

وقال إسحاق بن هانئ: بكرت يومًا؛ لأعارض أحمد بالزهد، فبسطت له حصيراً، ومخدة، فنظر إلى الحصير، والمخدة، فقال: ما هذا؟ قلت: لتجلس عليه، قال: ارفعه، الزهد لا يحسن إلا بالزهد، فرفعته وجلس على التراب.(١)

وروى أبو نعيم بسنده عن صالح بن أحمد، قال: دخلت على أبى فى أيام الواثق -والله يعلم فى أى حالة نحن-، وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان له لبد، يجلس عليها، قد أتت عليه سنون كثيرة، حتى قد بلى، فإذا تحته كتاب كاغد، وإذا فيه: بُلغت يا أبا عبد الله، ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدَّين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم، على يدى فلان؛ لتقضى دينك، وتوسع بها على عيالك، وما هى من صدقة، ولا زكاة؛ وإنما هو شىءٌ ورثته من أبى، فقرأت الكتاب، ووضعته، فلما دخل، قلت: يا أبت، ما هذا الكتاب؟ فاحمر وجهه، وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إلىَّ، ونحن فى عافية، فأما الدَّيْن؛ فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا؛ فَهمْ فى نعمة، والحمد لله، فذهب بالكتاب إلى الرجل، الذى كان أوصل كتاب الرجل، فقال: ويحك، لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشىءَ، ورمى به فى شبكة مثلاً فى الدجلة، كان مأجورًا؛ لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف، فلما كان بعد حين، ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فرَدَّ عليه الجواب بمثل ما رَدَّ، فلما مضت سنة، أو أقل، أو أكثر، ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها، كانت قد ذهبت.(٢)

وعن عبد الله بن أحمد بن حفص، قال: نزلنا بمكة دارًا، وكان فيها شيخٌ يُكْنَى بأبى بكر ابن سماعة، وكان من أهل مكة، قال: نزل علينا أبو عبد الله فى هذه الدار، وأنا غلام، فقال: فقالت لى أمى: الزم هذا الرجل فاخدمه؛ فإنه رجلٌ صالح، فكنت أخدمه، وكان يخرج يطلب الحديث، فَسُرِقَ متاعه، وقماشه، فجاء، فقالت لى أمى: دخل عليك السُّراق، فسرقوا قماشك، فقال: ما فعلت بالألواح؟ فقالت له أمى: فى الطاق، وما سأل عن شىءٍ غيرها.(٣)

---

(١) المنهج (١/ ١٢)، وقوله: «لأعارض أحمد بالزهد» أي يقرأ عليه كتابه «الزهد».

(٢) أبو نعيم في الحلية (٩/ ١٧٨). (٣) أبو نعيم في الحلية (٩/ ١٧٩، ١٨٠).

وعن الرمادى، قال: سمعت عبد الرزاق، وذكر أحمد، فدمعت عينه، وقال: قدم، وبلغنى أن نفقته نفدت، فأخذت عشرة دنانير، وعرضناها عليه، فتبسَّمَ وقال: يا أبا بكر، لو قبلت شيئًا من الناس، قبلت منك، ولم يقبل منى شيئاً.(١)

ونختم بقول العليمى: أتته الدنيا فأباها، والرياسة، فنفاها، وعرضت عليه الأموال، وفوضت إليه الأحوال، وهو يرد ذلك بتعفف، وتعلل، وتقلل، ويقول: قليل الدنيا يجزى، وكثيرها لا يجزى، ويقول: أنا أفرح، إذا لم يكن عندى شىءٌ، ويقول: إنما هو طعامٌ دون طعام، ولباسٌ دون لباس، وأيامٌ قلائل.(٢)

٥ - وَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال قتيبة بن سعيد: لولا أحمد لمات الورع.(٣)

قال العليمى: فمن بعض ورعه أنه كان لأم ولده عبد الله دارًا، يأخذ منها أحمد درهمًا بحق ميراثه، فاحتاجت إلى نفقة، تصلح بها، فأصلحها ابنه عبد الله، فترك الإمام أحمد ﷺ، أخذ الدرهم الذى كان يأخذه، وقال: قد أفسده علىَّ، تورع عن أخذ حقه من الأجرة؛ خشية أن يكون ابنه أنفق على الدار مما يصل إليه من الخليفة، ونهى ولديه وعمه عن أخذ العطاء من مال الخليفة، فاعتذروا بالحاجة فهجرهم شهرًا لأخذ العطاء، ووصف له فى علته قرعة تشوى، ويؤخذ ماؤها، فلما جاءوا بالقرعة، قال بعض من حضر: اجعلوها فى تنور صالح؛ فإنهم قد خبزوا، فقال بيده: لا، وأبى أن يوجه بها إلى منزل صالح، ومثل هذا كثير.

وأجرى عليه المتوكل، وعلى ولده، وأهله أربعة آلاف درهم، فى كل شهر، فبعث إليه أبو عبد الله، أنهم عن كفاية، فبعث إليه المتوكل؛ إنما هذا لولدك ما لك؛ ولهذا، فقال أحمد: يا عم، ما بقى من أعمارنا؟ كأنك بالأمر، وقد نزل بنا، فالله الله؛ فإن أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا، وإنما هى أيام قلائل، ولو

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٩).　(٢) المنهج الأحمد (١/ ١١).

(٣) أبو نعيم (٩/ ١٦٨).

كشف للعبد عما قد حجب عنه، لعرف ما هو عليه من خير، أو شر، صبر قليل، وثواب طويل، إنما هذه فتنة.[١]

وقال صالح: كان أبى إذا دعا له رجل، قال: ليس يحرز الرجل المؤمن إلا حفرته، الأعمال بخواتيمها، قال أبى فى مرضه: أخرج كتاب عبد الله بن إدريس، فقال: اقرأ عليَّ، حديث ليث: إن طاووسًا كان يكره الأنين فى المرض، فما سمعت لأبى أنينًا حتى مات.

وعن أحمد بن محمد التسترى، قال: ذكروا أن أحمد بن حنبل، أتى عليه ثلاثة أيام، ما طعم فيها، فبعث إلى صديق له، فاقترض منه دقيقًا، فجهزوه بسرعة، فقال: كيف ذا؟ قالوا: تنور صالح مُسجَر، فخبزنا فيه، فقال: ارفعوا، وأمر بسد باب بينه، وبين صالح، قال الذهبى: لكونه أخذ جائزة المتوكل.[٢]

٦ – آدابه وأخلاقه

قال الخلال: حدثنا محمد بن الحسين، أن أبا بكر المروزى، حدثهم عن آداب أبى عبد الله، قال: كان أبو عبد الله لا يجهل، وإن جهل عليه حلم، واحتمل، ويقول: يكفى الله، ولم يكن بالحقود، ولا العجول، كثير التواضع، حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ، يحب فى الله، ويبغض فى الله، وإذا كان فى أمر من الدين، اشتد له غضبه، وكان يحتمل الأذى من الجيران.[٣]

وعن أبى داود السجستانى، قال: لم يكن أحمد بن حنبل، يخوض فى شىء، مما يخوض فيه الناس، من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.

وقال: مجالسة أحمد بن حنبل، مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شىءٌ من أمر الدنيا، ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.[٤]

---

(١) باختصار من المنهج الأحمد (١/ ١٢، ١٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢١).
(٤) المنهج الأحمد (١/ ٢٧).

وعن أبى الحسين ابن المنادى، قال: سمعت جدى، يقول: كان أحمد من خيار الناس، وأكرمهم نفسًا، وأحسنهم عشرة وأدبًا، كثير الإطراق والغض، معرضًا عن القبيح، واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث، وذكر الصالحين والزهاد، عن وقار وسكون، ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بَشَّ به، وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ تواضعًا شديدًا، وكانوا يكرمونه ويعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين، ما لم يفعله بغيره من التواضع والتبجيل، وكان يحيى أكبر منه بنحو من سبع سنين، وكان إذا دخل من المسجد، إلى البيت، يضرب برجله قبل أن يدخل الدار، حتى يسمع ضرب نعله لدخوله الدار، وربما تنحنح؛ ليعلم من فى الدار بدخوله. (١)

وروى أبو نعيم، بسنده عن العباس بن محمد الدورى، قال: حدثنى على بن أبى مرارة -جار لنا-، قال: كانت أمى مقعدة، نحو عشرين سنة، فقالت لى يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فاسأله أن يدعو الله لى، فسرت إليه، فدققت عليه الباب، وهو فى دهليزه، فلم يفتح لى، وقال: من هذا؟ فقلت: أنا من أهل ذاك الجانب، سألتنى أمى وهى زمنة مقعدة، أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا، فخرجت امرأة عجوز من داره، فقالت: أنت الذى كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قال: قد تركته يدعو الله لها، قال: فجئت من فورى إلى البيت، فدققت الباب، فخرجت أمى على رجليها تمشى، حتى فتحت الباب، فقالت: قد وهب الله لى العافية. (٢)

وعن الحسين بن إسماعيل، قال: سمعت أبى، يقول: كان يجتمع فى مجلس أحمد؛ زهاء على خمسة آلاف، أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب، وحسن السمت. (٣)

---

(١) المنهج الأحمد (١/ ٢٧)، وذكره الذهبي في السير (١١/ ٣١٨)، بنحوه.
(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٨٦، ١٨٧).
(٣) المنهج الأحمد (١/ ٢٦).

وعن أبى بكر المطوعى، قال: اختلفتُ إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل، اثنتى عشرة سنة، وهو يقرأ «المسند» على أولاده، فما كتبت منه حديثًا واحدًا، وإنما كنت أنظر إلى هديه، وأخلاقه، وآدابه.[1]

٧ – تَمَسُّكُهُ بِالسُّنَنِ

قال أبو نعيم: وكان الإمام أحمد بن حنبل، موضعه من الإمامة موضع الدعامة؛ لقدوته بالآثار، وملازمته للأخيار، لا يرى له عن الآثار معدلاً، ولا يرى للرأى معقلاً، كان فى حفظ الآثار الجبل العظيم، وفى العلل، والتعليل البحر العميم.[2]

وعن عبد الملك الميمونى، قال: ما رأت عينى أفضل من أحمد بن حنبل، وما رأيت أحدًا من المحدثين، أشد تعظيمًا لحرمات الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وسنة نبيه ﷺ، إذا صحت عنه، ولا أشد اتباعًا منه.

وقال الإمام أحمد: ما كتبت حديثًا عن النبى ﷺ، إلا وقد عملت به، حتى مرَّ بى فى الحديث: **«أن النبى ﷺ، احتجم، وأعطى أبا طيبة دينارًا»** فأعطيت الحجام ديناراً، وتسرى واختفى ثلاثاً.[3]

وقال عبد الله بن أحمد: ما رأيت أبى حدَّث من غير كتاب، إلا بأقل من مئة حديث، وسمعت أبى يقول: قال الشافعى: يا أبا عبد الله، إذا صح عندكم الحديث، فأخبرونى حتى نرجع إليه، أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح، فأعلمنى حتى أذهب إليه، كوفياً كان، أو بصريًا، أو شامياً.

---

(١) المنهج الأحمد (١/٢٧). (٢) حلية الأولياء (٩/٢٢١).

(٣) المنهج الأحمد (١/٢٤)، والحديث رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٤، الاستئذان، والبخارى (٤/ ٣٨٠)، البيوع، ومسلم (١٠/ ٢٤٢) المساقاة، والدارمي (٢/ ٢٧٢)، وأحمد (٣/ ١٠٠، ١٧٤، ١٨٢)، وليس في هذه المواضع أنه أعطاه ديناراً، وفي بعضها أنه أعطاه صاعاً من تمر، وفي بعضها من شعير، فلعل للحديث روايات أخرى لم أقف عليها.

قال الذهبى: لم يَحْتَجْ إلى أن يقول حجازياً؛ فـإنه كان بصيراً بحديث الحجاز، ولا قال مصرياً؛ فإن غيرهما كان أقعد بحديث مصر منهما.[1]

٨ – محنـته – رحمـه اللـه –

مضت سُنَّةُ الله -عَـزَّ وَجَلَّ- فى عبَاده، أنه يمتـحنهم حتى يظهر بالامـتحان، صدق الصـادقين، وكذب الكذابين، قـال الله تَعَالَى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢، ٣) وسئل النبى ﷺ عن أشد الناس بلاءً، فـقال: «**الأَنْبياء ثُمَّ الأَمْثَل فَـالأَمْثَلُ**»[2]. وقد سئل الإمـام الشافعى: هل الأفضل أن يمـكن العبد، أو يبتَلى، فقال: لا يمكّن حتى يبتَلى، ومـا تعرض له إمامنا، وإمام الدنيا؛ أحمد ابن حنبل -رحـمه اللّه-، يـدل على مكانته فى الإيمـان، وعلو شـأنه عند الملك الديان، قال تَـعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤). قالَ بعضُ السلف: لما أخذوا برأس الأمر، جعلناهم رؤوساً، فبالصبر واليـقين، تُنـال الإمامـة فى الدين. وقـد أخـذ الله -عَـزَّ وَجَلَّ- على أهل العلم الميثاق، على أن يبيِّنوا للناس الحق، ولا يكتمونه.

وقال النبى ﷺ : «**أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**».[3]

قال العلماء: وإنما كان ذلك أفضل الجـهاد؛ لأن الجهاد تعريض للنفس للتلف، وكلمة العدل عند السلطان الجائر، يغلب على الظن تلفها.

فالواجب على العلماء، والدعاة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، الجهر بكلمة الحق، غير هائبين، ولا وجلين.

قال الذهبى - رحمه الله-: الصدع بـالحق عظيم، يحتاج إلى قوة، وإخلاص؛

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٣، ٢١٤).

(٢) رواه الترمذي (٩/ ٢٤٣)، الزهد، وقال حسن صحيح. وابن ماجه (٤٠٢٣)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود، الفتن، والترمذى (٩/ ٢٠)، الفتن وله شاهد عند النسائى (٧/ ١٦١)، هو به حسن.

فالمخلص بلا قوة، يعجز عن القيام به، والقوى بلا إخلاص يخذل، فمن قام به كاملاً، فهو صدّيق، ومن ضعف، فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، وليس وراء ذلك إيمان؛ فلا قوة إلا بالله.[1]

وقد تداول الإمام أحمد أربعة خلفاء؛ بعضهم بالتهديد والوعيد، وبعضهم بالضرب والحبس، وبعضهم بالنفى والتشريد، وبعضهم بالترغيب فى الرياسة والمال، ولا يزداد الإمام إلا ثقة، وإيمانًا، ويقينًا، وهذا شأن الإيمان الصادق؛ قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢).

فالمؤمنون الصادقون يزدادون بالبلاء إيمانًا، وتسليمًا، والمنافقون يخافون من لا شيء؛ كما قال تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون: ٤).

قال العليمى ما ملخصه: لما ولى المأمون؛ أبو جعفر ابن هارون الرشيد، وكانت ولايته فى المحرم، وقيل فى رجب سنة ثمان وتسعين ومئة، صار إليه قوم من المعتزلة، وأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وحسّنوا له قبيح القول بخلق القرآن، فصار إلى مقالتهم، وقدر أنه فى آخر عمره، خرج من بغداد لغزو بلاد الروم، فعنَّ له أن يكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، صاحب الشرطة، أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، فاستدعى جماعة من العلماء، والقضاة، وأئمة الحديث، ودعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فهددهم فأجاب أكثرهم مكرهين، واستمر الإمام رحمه الله على الامتناع، واشتد غضبه.

فلما أصرَّ الإمام أحمد على الامتناع، حُمل على بعير، وسيّروه إلى الخليفة .

قال أبو جعفر الأنبارى: لما حُمل الإمام أحمد بن حنبل، إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس فى الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تَعَنَّيْتَ، فقلت: ليس هذا عناء، وقلت له: يا هذا، أنت اليوم رأس الناس،

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٤).

والناس يقتدون بكم، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق كثير من خلق الله تَعَالَى، وإن لم تجب؛ ليمتنعنَّ خلق من الناس كثيرٌ، ومع هذا؛ فإن الرجل إن لم يقتلك، فإنك تموت، ولابد من الموت، فاتق الله، ولا تجبهم إلى شيء، فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله!! ما شاء الله!!

ثم سار أحمد إلى المأمون، فبلغه توعد الخليفة له بالقتل، إن لم يجبه إلى القول بخلق القرآن، فتوجه الإمام أحمد بالدعاء إلى الله تَعَالَى، أن لا يجمع بينه، وبينه؛ فبينا هو فى الطريق، قبل وصوله إليه إذ جاءهم الصريخ بموت المأمون.

وكان موته فى شهر رجب، سنة ثمان عشرة ومئتين، فَرُدَّ الإمامُ إلى بغداد وَحبِسَ، ثم ولى الخلافة المعتصم؛ وهو أبو إسحاق؛ محمد بن هارون الرشيد.

وقدم من بلاد الروم، فدخل بغداد، فى مستهل شهر رمضان، سنة ثمانى عشرة ومئتين، فامتحن الإمام أحمد، وضرب بين يديه.

وكان من خبر المحنة، أن المعتصم لما قصد إحضار الإمام، ازدحم الناس على بابه؛ كيوم عيد، وبسط بمجلسه بساطًا، ونصب كرسيًا جلس عليه، ثم قال: أحضروا أحمد بن حنبل، فأحضروه، فلما وقف بين يديه، سلم عليه، فقال له: يا أحمد، تكلم ولا تخف، فقال الإمام أحمد: والله، لقد دخلت عليك، وما فى قلبى مثقال حبة من الفزع، فقال له المعتصم: ما تقول فى القرآن؟ فقال: كلام الله قديم، غير مخلوق؛ قال الله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦)، فقال له: عندك حجة غير هذا؟ فقال: نعم، قول الله تَعَالَى ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن: ١، ٢). ولم يقل: الرحمن خلق القرآن، وقوله تَعَالَى: ﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (يس: ١، ٢)، ولم يقل: يس، والقرآن المخلوق، فقال المعتصم: احبسوه، فحُبِسَ، وتفرق الناس.

فلما كان من الغد، جلس المعتصم على كرسيه، وقال: هاتوا أحمد بن حنبل، فاجتمع الناس، وسمعت لهم ضجة ببغداد، فلما جيء به، وقف بين يديه، والسيوف قد جردت، والرماح قد ركزت، والأتراس نصبت، والسياط قد

طرحت، فسأله المعتصم عما يقول فى القرآن، قال: أقول غير مخلوق، قال: ومن أين قلت؟ فقال: حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ كَلامَ اللّه الَّذى اسْتَخَصَّ به مُوسَى مئَةُ أَلْف كَلمَة، وثَلاثمائَة، وثَلاثَ عَشْرَةَ كَلمَةً، فَكَانَ الْكَلامُ منْ الله، وَالاسْتماعُ منْ مُوسَى**»، ثم قال: قال اللّه تعالى: ﴿وَلَكنْ حَقَّ الْقَوْلُ منِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ منَ الْجنَّة وَالنَّاس أَجْمَعينَ﴾ (السجدة: ١٣)، فإن يكن القول من الله تعالى؛ فإن القرآن كلام الله، وأحضر المعتصم له الفقهاء، والقضاة، فناظروا بحضرته، فى مدة ثلاثة أيام، وهو يناظرهم، ويظهر عليهم بالحجج القاطعة، ويقول: أنا رجلٌ، علمت علمًا، ولم أعلم فيه بهذا، أعطونى شيئاً من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، حتى أقول به، وكلما ناظروه وألزموه القول بخلق القرآن، يقول لهم: كيف أقول ما لم يُقَل؟ وكان من المعتصمين.(١) عليه محمد بن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم، وأحمد ابن أبى القاضى، وبشر المريسى، وكانوا معتزلة قائلين بخلق القرآن، فقال ابن أبى داود، وبشر للخليفة: اقتله حتى نستريح منه، هذا كافر مُضِلّ، فقال: إنى عاهدت الله، أن لا أقتله بسيف، ولا آمر بقتله بسيف، فقالا له: اضربه بالسياط، فقال المعتصم له: وقرابتى من رسول الله ﷺ، لأضربنَّك بالسياط، أو تقوله؛ كما أقول، فلم يرهبه ذلك، فقال المعتصم: أحضروا الجلادين، فأحضروا، فقال المعتصم لواحد منهم: بكم سوط تقلته؟ قال: بعشرة، قال: خذه إليك، فأخرج الإمام أحمد من أثوابه، وشد فى يديه حبلان جديدان، ولما جىء بالسياط، فنظر إليها المعتصم، قال: ائتونى بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فلما ضرب سوطًا، قال: بسم الله، فلما ضرب الثانى، قال: لا حول ولا قوة إلا باللّه، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع، قال: ﴿قُل لَن يُصيبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١)، وجعل الرجل يتقدم إلى الإمام أحمد،

---

(١) كذا، وهو صواب، ولعله من «المتعصبين»، كما أشار إليه في الهامش الأستاذ/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

فيضربه سوطين، فيحرضه المعتصم على التشديد فى الضرب، فلما ضرب تسعة عشر سوطًا، قام إليه المعتصم، فقال له: يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إنى والله، عليك لشفيق، قال أحمد: فجعل عجيف ينخسنى بقائمة سيفه، وقال: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول : ويلك ! الخليفة على رأسك قائم، وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، دَمُهُ فى عنقى، اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين، إنه صائم، وأنت فى الشمس قائم، فقال لى: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: أعطونى شيئًا من كتاب الله، وسنة رسوله حتى أقول به، ثم رجع الخليفة فجلس، ثم قال للجلاد: تقدم وحَرِّضَهُ على إيجاعه بالضرب، ثم قام الثانية، فجعل يقول: ويحك يا أحمد، أجبنى، قال الإمام أحمد: فجعلوا يقبلون علىَّ، ويقولون: يا أحمد؛ إمامك على رأسك قائم، وجعل بعضهم يقول: من صنع من أصحابك فى هذا الأمر ما تصنع؟ قال: وجعل المعتصم يقول: ويحك!! أجبنى إلى شىء، لك منه أدنى فرج، حتى أطلق عنك بيدى، فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطونى شيئًا من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ؛ حتى أقول به، فرجع المعتصم فجلس، وقال للجلادين: تقدموا، فجعل الجلاد يتقدم، ويضربنى سوطين، ويتنحى، وهو عند ذلك يحرِّضُهُم على التشديد فى الضرب، ويقول: شدوا، قطع الله أيديكم، قال: قال الإمام أحمد: فذهب عقلى، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أطلقت عنى، فقال رجلٌ ممن حضر: إنا كفيناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك بارية[1] ودسناك، قال: فما شعرت بشىء من ذلك، فأتونى بسويق، فقالوا لى: اشرب وتقيأ، فقلت: لست أفطر، ثم جىء بى إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر، فتقدم ابن سماعة، فصلى، فلما انفتل من الصلاة، قال لى: صليت، والدم يسيل فى ثوبك، فقلت: قد صلى عمر، وجرحه يثغب دماً. (٢)

(١) البارية: الحصير.

(٢) يثغب: أي يسيل.

وقال بعض المؤرخين: إن المحنة كانت فى سنة تسع عشرة ومئتين، ورأيت فى موضع أنها كانت فى العشر الأواخر من رمضان، سنة عشرين ومئتين، والصواب ما قدمناه عن ابتداء خبر المحنة، أن وقوعها فى شهر رمضان، سنة ثمانى عشرة ومئتين؛ بدليل أن بشرًا المريسى هو الذى تولى كبرها، ومات بشر فى ذى الحجة، فى سنة ثمانى عشرة، وقد قيل: إن موته كان سنة تسع عشرة، كما قاله بعض المؤرخين، والأول أولى؛ لأن المعتصم ولى الخلافة بعد المأمون، ودخل بغداد فى غرة رمضان، سنة ثمانى عشرة؛ كما تقدم، والإمام أحمد فى الحبس، وامتحنه عقب دخوله بغداد.

وقد رأيت فى موضع آخر أن الإمام أحمد، أُخرِجَ من السجن فى شهر رمضان، سنة عشرين ومئتين، وهذا متجه، يعضده ما قدمناه قريبًا أنه مكث فى السجن، نحو ثمانية وعشرين شهرًا؛ لأن ابتداء حبسه فى أيام المأمون قبل وفاته، وكانت وفاة المأمون فى رجب، سنة ثمانى عشرة، فمن ذلك التاريخ، إلى رمضان، سنة عشرين، نحو ثمانية وعشرين شهراً، فيظهر من ذلك صحة القول بأن المحنة فى شهر رمضان سنة ثمانى عشرة، وإخراجه من السجن فى شهر رمضان، سنة ثمانى وعشرين ومئتين، والله أعلم.

ولما ولى الواثق بعد المعتصم؛ وهو أبو جعفر؛ هارون بن المعتصم، وكانت ولايته فى ربيع الأول، سنة سبع وعشرين ومئتين، لم يتعرض للإمام أحمد فى شىء، إلا أنه بعث إليه يقول: لا تساكنى بأرض، وقيل: أمره ألا يخرج من بيته، فصار الإمام أحمد، يختفى فى الأماكن، ثم صار إلى منزله، فاختفى فيه عدة أشهر، إلى أن مات الواثق.[1]

ولما ولى المتوكل بعد الواثق؛ وهو أبو الفضل؛ جعفر بن المعتصم، وكانت ولايته، فى ذى الحجة، سنة اثنتين ومئتين، خالف ما كان عليه، المأمون،

---

(١) قال الذهبي: قال إبراهيم نفطويه، حدثنى حامد بن العباس عن رجل عن المهتدى: أن الواثق مات، وقد تاب عن القول بخلق القرآن (١١/ ٣١٦)، سير أعلام النبلاء.

والمعتصم، والواثق من الاعتقاد، وطعن عليهم فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن، ونهى عن الجدال والمناظرة عن الأداء، وعاقب عليه، وأمر بإظهار الرواية للحديث، فأظهر الله به السنة، وأمات به البدعة، وكشف عن الخلق تلك الغمة، وأنار به تلك الظلمة، وأطلق من كان اعتُقِلَ بسبب القول بخلق القرآن، ورفع المحنة عن الناس، فاستبشر الناس بولايته، وأمر بالقبض على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير، ووضعه فى تنور إلى أن مات، وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومئتين، وابتلى الله أحمد بن أبى داود بالفالج، بعد موت الوزير بسبعة وأربعين يوماً، فولى القضاء مكانه ولده؛ أبو الوليد؛ محمد، فلم تكن طريقته مرضية، وكثر ذاموه، وقل شاكروه، ثم سخط المتوكل على أحمد بن أبى داود، وولده محمد فى سنة تسع وثلاثين ومئتين وأخذ جميع ضياع الأب وأمواله من الولد، مئة وعشرين ألف دينار، وجواهر بأربعين ألف دينار، وسيّره إلى بغداد من «سُرَّ من رأى»[١] وولى القاضى يحيى بن أكثم قاضى القضاة[٢]؛ فإنه كان من أئمة الدين، وعلماء السنة، ثم مات أحمد بن أبى داود، بمرض الفالج، فى المحرم، سنة أربعين ومئتين، ومات ولده محمد، قبله بعشرين يومًا، وكان بشر المريسى قد أهلكه الله، ومات فى ذى الحجة، سنة ثمانى عشرة، وقيل: تسع عشرة ومئتين.

وعن عمران بن موسى، قال: دخلت على أبى العروق الجلاد، الذى ضرب أحمد، لأنظر إليه؛ فمكث خمسة وأربعين يومًا ينبح؛ كما ينبح الكلب.

وقد انتقم الله من كل خصومه، المبتدعين الذين سعوا فى أمره، وخذلهم، ونصره عليهم بحول الله وقوته، وبركة كتابه العزيز، وسنة نبيه محمد ﷺ .

وشرع المتوكل فى الإحسان إلى الإمام أحمد، وتعظيمه، وإكرامه، وكتب إلى نائبه ببغداد؛ إسحاق بن إبراهيم، أن يبعث إليه بالإمام أحمد، فجهزه معظمًا

(١) اسم الموضع الذي به الخليفة.
(٢) ورد النهى عن التسمى بقاضى القضاة، وملك الملوك، وشاه شاه.

مكرمًا إلى الخليفة المتوكل على الله، بسُرَّ من رأى، قال عبد الله بن أحمد: وبعث المتوكل إليه يقول: قد أحببت أن أراك، وأتبرك بدعائك، فخرجنا من بغداد، فأنزلنا داراً، والمتوكل يرانا من وراء الستر، وأخبر بعض الخدم أن المتوكل لما كان قاعدًا، وراء الستر، ودخل الإمام الدار، قال لأمه: يا أماه، قد أنارت الدار، قال عبدالله: فأمر لأبى بثياب، ودراهم، وخلعة، فبكى، وقال: أسلم من هؤلاء منذ ستين سنة، فلما كان آخر العمر، ابتليت بهم، ولما جاءوا بالخلعة لم يمسها، ولا غيرها، فجعلها على كتفيه، فما زال يتحرك حتى رمى بها، وأرسل إليه المتوكل مالاً جزيلاً، فأبى أن يقبله، فقيل له: إن رددته، وجد عليك فى نفسه، ففرقه على مستحقيه، ولم يأخذ منه شيئًا، وكان كل يوم يُرسِل إليه من طعامه الخاص، فلا يأكل منه لقمة.

قال صالح: وأمر المتوكل أن يُشْتَرى له دارًا، فقال: يا صالح، لئن أقررت لهم بشراء دار، ليكوننَّ القطيعة بينى، وبينك، فلم يزل يدفع شراء الدار، حتى اندفع ثم عاد إلى بغداد، وكان المتوكل لا يولى أحدًا، إلا بمشورة الإمام أحمد، ومكث الإمام إلى حين وفاته، قلَّ أن يأتى يومٌ إلا ورسالة الخليفة تنفذ إليه، فى أمور يشاوره فيها، ويستشيره - رحمهما الله، ورضى عنهما-. (١)

٩- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ -رَحِمَهُمُ الله: قال الخطيب(٢): سمع من إسماعيل بن علية، وهشيم بن بشير، وحماد بن خالد الخياط، ومنصور بن سلمة الخزاعى، والمظفر بن مدرك، وعثمان بن عمر بن فارس، وأبى النضر هاشم بن القاسم، وأبى سعيد مولى بنى هاشم، ومحمد بن يزيد، ويزيد بن هارون الواسطيين، ومحمد بن أبى عدى، ومحمد بن جعفر غندر، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدى، وبشر ابن المفضل، ومحمد بن بكر البرسانى، وأبى داود الطيالسى، وروح ابن عبادة،

(١) باختصار من المنهج الأحمد (١/ ٣١-٤١).

(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢، ٤١٣).

ووكيع بن الجراح، وأبى معاوية الضرير، وعبد الله بن نمير، وأبى أسامة، وسفيان ابن عيينة، ويحيى بن سليم الطائفى، ومحمد بن إدريس الشافعى، وإبراهيم بن سعد الزهرى، وعبد الرزاق بن همام، وأبى قرة موسى بن طارق، والوليد بن مسلم، وأبى مسهر الدمشقى، وأبى اليمان، وعلى بن عياش، وبشر بن شعيب ابن أبى حمزة الحمصيين، وخلق سوى هؤلاء، يطول ذكرهم، ويشق إحصاء أسمائهم، وذكر المزى فى تهذيبه مئة وأربعة من شيوخه، وليس ذلك كذلك على سبيل الاستقصاء، والله أعلم.(١)

تلامذته -رحمهم الله:

قالَ الخطيب: وروى عنه غير واحد من شيوخه، الذين سميناهم، وحدث أيضًا عنه ابناه؛ صالح، وعبد اللّه، وابن عمه حنبل بن إسحاق، والحسن بن الصباح البزار، ومحمد بن إسحاق الصاغانى، وعباس بن محمد الدورى، ومحمد بن عبيد الله المنادى، ومحمد بن إسماعيل البخارى، ومسلم بن الحجاج النيسابورى، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وأبو داود السجستانى، وأبو بكر الأثرم، وأبو بكر المروزى، ويعقوب بن أبى شيبة، وأحمد بن أبى خيثمة، وأبو زرعة الدمشقى، وإبراهيم الحربى، وموسى بن هارون، وعبدالله بن محمد البغوى، وغيرهم.

وقد ذكر المزى أيضًا فى «تهذيبه» ثمانية وثمانين من تلامذته، وفيهم جملة من شيوخه؛ منهم محمد بن إدريس الشافعى، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن آدم، ويزيد بن هارون، ومن أقرانه: على ابن المدينى، ويحيى بن معين، ودحيم الشامى، وأحمد بن أبى الحوارى، وأحمد بن صالح المصرى.(٢)

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (١/ ٤٣٧-٤٤٠).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (١/ ٤٤٠-٤٤٤)، وانظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، حوادث ووفيات (٢٤١-٢٥٠)، صفحة (٦٤، ٦٥)، بتحقيق/ د. عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي.

١٠- مُؤَلَّفَاتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قَالَ الذَّهَبِيُّ مَا ملَخَّصُهُ:

قال ابن الجوزى: كان الإمام لا يرى وضع الكتب، وينهى عن كتابة كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك؛ لكانت له تصانيف كثيرة، وصنف «المسند»؛ وهو ثلاثون ألف حديث، وكان يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند؛ فإنه سيكون للناس إمامًا، و«التفسير»، وهو مئة وعشرون ألفاً، و«الناسخ والمنسوخ»، و«التاريخ»، و«حديث شعبة»، و«المقدم والمؤخر فى القرآن»، و«جوابات القرآن»، و«المناسك»، و«الكبير والصغير»، وأشياء أخر.

قال الذهبى: وكتاب «الإيمان»، وكتاب «الأشربة»، ورأيت له ورقة من كتاب «الفرائض»، فتفسيره المذكور شىء لا وجود له، ولو وجد، لاجتهد الفضلاء فى تحصيله، ثم لو ألف تفسيرًا؛ لما كان يكون أزيد من عشرة آلاف أثر، ولاقتضى أن يكون فى خمس مجلدات، فهذا تفسير ابن جرير، الذى جمع فيه فأوعى، لا يبلغ عشرين ألفًا، وما ذكر تفسير أحمد أحد سوى أبى الحسن ابن المنادى؛ فقال فى «تاريخه»: لم يكن أحد أروى فى الدنيا عن أبيه من عبد الله بن أحمد؛ لأنه سمع من (المسند)، وهو ثلاثون ألفًا، و(التفسير)؛ وهو مئة وعشرون ألفًا، سمع ثلثيه، والباقى وجادة.

قال ابن السماك: حدثنا حنبل، قال: جمعنا أحمد بن حنبل؛ أنا، وصالح، وعبدالله، وقرأ علينا (المسند)، ما سمعه غيرنا، وقال: هذا الكتاب جمعته، وانتقيته من أكثر من مئة ألف وخمسين ألفاً؛ فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله، فارجعوا إليه؛ فإن وجدتموه فيه، وإلا فليس بحجة.

قال الذهبى: قلت فى (الصحيحين) أحاديث قليلة ليست فى (المسند)، لكن قد يقال: لا ترد على قوله؛ فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزم من هذا القول، أن ما وجد فيه، أن يكون حجة؛ ففيه جملة من الأحاديث الضعيفة، مما يسوغ

نقلها، ولا يجب الاحتجاج بها، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة، ولكنها قطرة في بحر، وفي غضون المسند زيادات جمة لعبد الله بن أحمد.[1]

قال ابن الجوزي: وله -يعني أبا عبد الله- من المصنفات، كتاب «نفي التشبيه» مجلدة، وكتاب «الإمامة» مجلدة صغيرة، وكتاب «الرد على الزنادقة» ثلاثة أجزاء، وكتاب «الزهد»[2] مجلد كبير، وكتاب «الرسالة» في الصلاة، قال الذهبي: وهو موضوع على الإمام.

قال: وكتابَ «الصحابة»[3]، قال الذهبي: فيه زيادات لعبد الله ابنه، ولأبي بكر القطيعي صاحبه. وقد دَوَّن عنه كبار تلامذته مسائل وافرة، في عدة مجلدات؛ المروزي، والأثرم، وحرب، وابن هانئ، والكوسج، وأبي طالب، وجمع أبو بكر الخلال سائر ما عند هؤلاء، من أقوال أحمد وفتاويه، وكلامه في العلل، والرجال، والسنة، والفروع، حتى حصل عنده من ذلك، ما لا يوصف كثرة، ورحل إلى النواحي في تحصيله، وكتب عن نحو من مئة نفس من أصحاب الإمام، ثم كتب كثيرًا من ذلك عن أصحاب أصحابه، وبعضه عن آخر عن الإمام أحمد، ثم أخذ في ترتيب ذلك، وتهذيبه وتبويبه، وحمل كتاب «العلم» وكتاب «العلل»، وكتاب «السنة» كل واحد من الثلاثة في ثلاث مجلدات.[4]

١١ - نُتَفٌ مِنْ أَقْوَالِهِ وَدُرَرٌ مِنْ أَشْعَارِهِ

سئل الإمام أحمد -رحمه الله -عن الفتوة، فقال: ترك ما تهوى لما تخشى.

وقال: كل شيءٍ من الخير، تهتم به، فبادِرْ به قبل أن يُحَالَ بينك وبينه.

---

(١) صنف الحافظ ابن حجر القول المسدد، في الذب عن المسند، في دفع القول بوجود أحاديث موضوعة بالمسند، فرحمه الله، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

(٢) وهو مطبوع طبعة غير محققة، وتحتاج إلى تحقيق وترتيب، والطبعة الموجودة، بتحقيق/ عبد الرحمن ابن قاسم. ولكنه تحقيق للنص فحسب.

(٣) وهو مطبوع في مجلدين بتحقيق/ وصي الله بن محمد عباس، وطبع جامعة أم القرى بمكة.

(٤) باختصار من سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢٧- ٣٣١).

وعن على ابن المدينى، قال: ودعت الإمام أحمد بن حنبل، فقلت له: توصينى بشىء؟ قال: نعم، اجعل التقوى زادك، وانصب الآخرة أمامك.

- وكان يقول: عزيز علىَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن.

- وكان يقول: ما قل من الدنيا، كان أقل للحساب .

- وعن عبـد الصمـد بن سليمان بـن مطر، قال: بت عند أحمـد بن حنبل، فوضع لى ماء، فلما أصبح وجدنى لم أستعمله، فقال: صاحب الحديث لا يكون له ورد فى الليل، قال: قلت، أنا مـسافر، قال: وإن كنت مسافـرًا، حج مسروق فما نام إلا ساجداً.

- وعن حنبل بن إسحاق قال: رآنى أحمد بن حنبل أكـتب خطًا دقيقًا، فقال: لا تفعل؛ أحوج ما تكون إليه يخونك .

- وقال: كـلِ الطعام مع الإخـوان بالسرور، ومع الفـقراء بالإيثـار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.

-ودخل ثعلب على أحمد بن حنبل، ومجلسه غاصّ، فجلس إلى جانبه، وقال: أخاف أن أكون ضـيقت عليك، على أنه لا يضيق مجلس بمتـحابين، ولا تسع الدنيا متباغضين، قال الإمام أحمد: الصديق لا يحاسب، والعدو لا يحتسب له.[1]

وعن أحمد بن يحيى قال: كنت أُحِبُّ أن أرى أحـمد بن حنبل، فصرت إليه، فلما دخلت عليه، قال لى: فيم جئت ؟ قلت: فى النحو، والعربية، فأنشد:

إذا مـا خلوتَ الدهْرَ يومـاً فـلا تقلْ ... خلـوْتُ ولكنْ قلْ علـىَّ رقـيـبُ

ولاَ تحْـسَبنَّ اللهَ يغْـفلُ سـاعـةً ... ولا أنّ مـا يَخْـفَى عَلَيْـه يَغـيبُ

لَهَـوْنا عَنِ الأعْـمَـالِ حَـتَّى تَتَـابَعَتْ ... ذُنُـوبٌ عـلـى آثـارهـنَّ ذُنُـوبُ

فَـيـا لَيْتَ أنَّ الله يَغْـفِـرُ مـا مَـضَى ... وَيَـأذَنُ في تَـوْبَـاتِـنَا فـنَـتُـوبُ

إذا مـات الْقَـرْنُ الَّذى أنْتَ فِـيـهِمْ ... وَخُلِّفْتَ في قَـرْنٍ فَـأنْتَ غَـريبُ

---

(١) بتصرف، واختصار من المنهج الأحمد (١/ ١٩، ٢٠).

وعن على بن خشرم، أنه سمع أحمد بن حنبل يقول :

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا ... مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقَى الإِثْمُ وَالعَارُ

تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ مِنْ مَغَبَّتِهَا ... لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

وروى من قوله على ابن المدينى، لما أجاب إلى القول بخلق القرآن:

يَا بْنَ المَدِينِيِّ الَّذِى عُرِضَتْ لَهُ ... دُنْيَا فَجَادَ بِدِينِهِ لِينَالَهَا

مَاذَا دَعَاكَ إلي انْتِحَالِ مَقَالَةٍ ... قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ كَافِراً مَنْ قَالَهَا

أَمْرٌ بَدَا لَكَ رُشْدُهُ فَتَبِعْتَهُ ... أَمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا أَرَدْتَ نَوَالَهَا

وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ مَرَّةً مُتَشَدِّداً ... صَعْبَ المَقَادَةِ للَّتى تُدْعَى لَهَا

إِنَّ المُرَزَّأَ مَنْ يُصَابُ بِدِينِهِ ... لاَ مَنْ يُرَزَّأُ نَاقَةً وَفِصَالَهَا[1]

١٢ - مَرَضُهُ ووَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ

قال ابنه عبد الله: سمعت أبى يقول: استكملتَ سبعًا وسبعين، فحم من ليلته، ومات يوم العاشر.

وقال صالح: لما كان فى أول يوم من ربيع الأول، من سنة إحدى وأربعين ومئتين، حُمَّ أبى ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم يتنفس نفسًا شديداً، وكنت قد عرفت علته، وكنت أمرضه إذا اعتل، فقلت له: يا أبت، علام أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقلاء، ثم أراد القيام، فقال: خذ بيدى، فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء، ضعفت رجلاه، حتى توكأ علىَّ، وكان يختلف إليه غير مُتَطبب، كلهم مسلمون، فوصف له متطبب قرعة، تشوى ويسقى ماؤها، وهذا يوم الثلاثاء، وتوفى يوم الجُمَعَة، فقال: يا صالح، فقلت: لبيك، قال: لا تشوى فى منزلك، ولا فى منزل أخيك، وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبه، وأتى على بن على بن

(١) المنهج الأحمد بتصرف (٢٥).

الجعد، فحجبه، وكثر الناس، فقال: أى شيء ترى؟ قلت: تأذن لهم، فيدعون لك، قال: أستخير الله تَعَالَى، فجعلوا يدخلون عليه أفواجًا، حتى تمتلئ الدار، فيسألونه، ويدعون له، ثم يخرجون، ويدخل فوجٌ آخر، وكثر الناس، فامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق، وجاء رجل من جيراننا قد خضب، فقال أبى: إنى لأرى الرجل، يحيى شيئًا من السنة، فأفرح به، وجعل يحرك لسانه، ولم يئن إلا فى الليلة التى توفى فيها، ولم يزل يصلى قائمًا، أمسكه، فيركع، ويسجد، وأرفعه فى ركوعه. واجتمعت عليه أوجاع الحصر وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتًا، فلما كان يوم الجمعَة، لاثنتى عشرة ليلة، خلت من ربيع الأول، لساعتين من النهار توفى.

وقال المروزى: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء، لليلتين خلتا من ربيع الأول، مرض تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس، فيدخلون أفواجًا، يسلمون عليه، ويرد عليهم بيده، واشتدت علته يوم الخميس، ووضأته فقال: خلال[1] الأصابع، فلما كانت ليلة الجمعة، وثقل، قبض صدراً، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء؛ كأن الدنيا قد ارتجت، وامتلأت السكك والشوارع.

وقال حنبل: توفى يوم الجمعة، فى ربيع الأول.

وقال مطين: فى ثانى عشر ربيع الأول. وكذا قال عبد اللّه بن أحمد، وعباس الدورى.

وقال البخارى: مرض أحمد بن حنبل لليلتين، خلتا من ربيع الأول، ومات يوم الجمعة، لاثنتى عشرة، خلت من ربيع الأول.

وقال الخلال: ثنا المروزى قال: أخرجت الجنازة، بعد منصرف الناس من الجمعة.

قال الذهبى: وقد روى الإمام أحمد فى مسنده: ثنا أبو عامر، ثنا هشام بن سعد، عن سعيد بن أبى هلال، عن ربيعة بن سيف، عن عبد اللّه بن عمرو عن

---

(١) فى سير أعلام النبلاء: خلل.

النبى ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يوْمَ الجُمُعَةِ، إلاَّ وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ القَبْرِ». (١)

وقال صالح: وجه ابن طاهر، نائب بغداد، بحاجبه مظفر، ومعه غلامان، معهما مناديل، فيها ثياب، وطيب، فقالوا: الأمير يقرئك السلام، ويقول: قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره، كان يفعل.

فقلت: أقرئ أمير المؤمنين السلام، وقل له: إن أمير المؤمنين، قد أعفاه فى حياته، مما كان يكره، ولا أحب أن أتبعه بعد موته، بما كان يكره فى حياته، فعاد، وقال: يكون شعاره، فأعدت عليه مثل ذلك .

وقد كان غزلت له جارية، ثوبًا عشاريًا، قُوِّمَ بثمانية وعشرين درهمًا، ليقطع منه قميصين، فقطعنا له لفافتين، وأخذ منه فوران لفافة أخرى، فأدرجناه فى ثلاث لفائف، واشترينا له حنوطًا، وفرغ من غسله، وكفناه، وحضر نحو مئة من بنى هاشم، ونحن، وجعلوا يقبلون جبهته، حتى رفعناه على السرير، وقال عبدالله بن أحمد: صلى على أبى محمدُ بن عبد الله بن طاهر، غلبنا على الصلاة عليه، وقد كنا صلينا عليه نحن، والهاشميون فى الدار.

وقال عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان: سمعت المتوكل، يقول لمحمد بن عبد اللّه: طوبى لك يا محمد، صليت على أحمد بن حنبل -رحمة اللّه عليه .

وقال أبو بكر الخلال: سمعت عبدالوهاب الوراق، يقول: ما بلغنا أن جمعًا فى الجاهلية، والإسلام مثله، حتى بلغنا أن الموضع مسح، وحُزِرَ على الصحيح؛ فإذا هو نحو من ألف ألف، وحزرنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة .

وفتح الناس أبواب المنازل فى الشوارع، والدروب، ينادون من أراد الوضوء. (٢)

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٩)، والترمذي (٩/ ٢٩٥)، الجنائز، وقال هذا حديث غريب، وقال هذا حديث ليس إسناده بمتصل، ربيعة بن سيف إنما يروي عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو، والحديث له طرق ذكرها السخاوي في المقاصد الحسنة، وهو بها حسن.

(٢) باختصار من تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي جزء حوادث، ووفيات (٢٤١-٢٥٠)، صفحة (١٣٧ إلى ١٤١)، بتحقيق / د. عبد الرحمن تدمري - دار الكتاب العربي.

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٣٤)

شَـيْـخُ الْمُحَـدِّثِيـنَ
مُحَـمَّدُ بْنُ إسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ

١ - اسْمُـهُ ونَسَبُـه وَصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرةَ بن بَرْدِزْبَهَ، وقيل: بَذْدُزْبَهَ، وهى لفظة بخارية، تعنى الزرَّاع، وكنيته أبو عبد الله.

قال النووى:

رُوِّينا عن الخطيب الحافظ؛ أبى بكر؛ أحمد بن على بن ثابت البغدادى، قال: بردزبة، مجوسىٌّ مات عليها، قال: وابنه المغيرة، أسلم على يد اليمان البخارى الجعفى والى بخارى، ويمان هذا هو: أبو عبد الله؛ جعفر بن يمان المسندى شيخ البخارى، وإنما قيل للبخارى جعفى؛ لأنه مولى يمان الجعفى، ولاء إسلام.

أما والده، فهو إسماعيل بن إبراهيم، وكنيته أبو الحسن، فقد كان من كبار المحدثين، ذكره البخارى فى «التاريخ الكبير»[١]، وكذا ابن حبان فى الثقات، ونصه: «إسماعيل بن إبراهيم؛ والد البخارى، يروى عن حماد بن زيد، ومالك، وروى عنه العراقيون».[٢]

(١) التاريخ الكبير (١/ ٣٤٢- ٣٤٣).
(٢) الثقات، لابن حبان (٨/ ٩٨).

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف البخارى: سمعت محمد بن إسماعيل البخارى، يقول: سمع أبى مالكَ بن أنس، ورأى حماد بن زيد، قد صافح ابن المبارك بكلتا يديه.[(١)]

قال الحافظ: ومات إسماعيل، ومحمد صغير؛ فنشأ فى حجر أمه.[(٢)]

وكانت والدته عابدة، صاحبة كرامات، روى غُنْجَار فى «تاريخ بخارى»، واللالكائى فى «شرح السنة»، فى باب كرامات الأولياء، منه أن محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه فى صغره، فرأت والدته، الخليل إبراهيم فى المنام، فقال لها: يا هذه، قد ردَّ الله على ابنك بصره، بكثرة دعائك، قال: فأصبح، وقد رد الله عليه بصره.[(٢)]

أما صِفَتُهُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

فقد روى الخطيب فى «تاريخ بغداد»، قال: أخبرنا أبو سعد المالينى، قال: أنبانا عبد الله بن عدى، قال: سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى، يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، شيخًا نحيف الجسم، ليس بالطويل، ولا بالقصير.[(٣)]

٢ - مَوْلِدُهُ وَمَوْطِنُهُ

ولد الإمام البخارى-رحمه الله- فى «بخارى»؛ المدينة المعروفة فى خراسان، وهى مدينة قديمة، رائعة، من بلدان ما وراء النهر، وكانت عاصمة السامانيين، قبل الفتح الإسلامى، واتفق المؤرِّخون على أن المسلمين فتحوها، فى خلافة بنى أمية.

---

(١) تغليق التعليق (٥/ ٣٨٥)، للحافظ ابن حجر، المكتب الإسلامى، دار عمار.

(٢) هدى السارى، «مقدمة فتح البارى»، لابن حجر العسقلانى (٥٠٢).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٦).

قال الحافظ: وُلِدَ يوم الجمعة، بعد الصلاة، لثلاث عشرة ليلة، خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومئة ببخارى، قال المستنير بن عتيق: أخرج إِلَيَّ ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه.[١]

٣ – ابْتِدَاءُ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ، وَعُلُوُّ هِمَّتِهِ فِى الطَّلَبِ

لا شك فى أن طيب أصل البخارى، وأصالة معدنه بعد توفيق الله -عَزَّ وَجَلَّ- وحفظه، ورعايته، كان من أعظم أسباب تبكير البخارى فى طلب العلم؛ فقد كان أبوه من كبار المحدثين، وأمه من العابدات الصالحات، قال بعضهم: «فقد ربا فى حجر العلم، حتى ربا، وارتضع ثدى الفضل، فكان فطامه على هذا اللبا».[٢]

روى الخطيب البغدادى، عن أبى جعفر؛ محمد بن أبى حاتم الوراق النحوى، قال: قلت لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى؛ كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث؛ قال: أُلْهِمْتُ حفظ الحديث، وأنا فى الكُتَّاب، قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين، أو أقل، ثم تخرجت من الكُتَّاب بعد العصر، فجعلت أختلف إلى الداخلى وغيره، وقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبى الزبير عن إبراهيم، فقلت: يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرنى، فقلت له: ارجع إلى الأصل، إن كان عندك، فدخل، ونظر فيه، ثم خرج، فقال لى: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدى عن إبراهيم، فأخذ القلم منى، وأحكم كتابه، فقال: صدقت، فقال بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه ؟ فقال: ابن إحدى عشرة، فلما طعنت فى ست عشرة سنة، حفظت كتاب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء.[٣]

ثم خرجت مع أمى، وأخى أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخى بها، وتخلفت فى طلب الحديث، فلما طعنت فى ثمان عشرة سنة، جعلت أصنف

---

(١) هدى السارى (٥٠١).

(٢) من مقدمة القسطلانى (١٢٥)، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٣) يعنى أهل الرأى.

قضايا الصحابة والتابعين، وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنَّفت كتاب «التاريخ»، إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ، فى الليالى المقمرة، وقال: قَلَّ اسمٌ فى التاريخ، إلا وله عندى قصة، إلا أنى كرهت تطويل الكتاب.(١)

روى الذهبى عن محمد بن أبى حاتم قال: سمعت أبا عبد الله؛ محمد بن إسماعيل، يقول: وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو، وأنا صبى؛ فإذا جئت أستحى أن أسلم عليهم، فقال لى مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت: اثنين، وأردت بذلك حديثين، فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا؛ فلعله يضحك منكم يوماً.

وسمعته يقول: دخلت على الحميدى، وأنا ابن ثمان عشرة سنة، وبينه وبين آخر اختلاف فى حديث، فلما بصرنى الحميدى، قال: قد جاء من يفصل بيننا، فعرضا علىَّ، فقضيت للحميدى على من يخالفه، ولو أن مخالفه أصَرَّ على خلافه، ثم مات على دعواه، لمات كافرًا.

ثم روى بسنده عن بكر الأعين، قال: كتبنا عن البخارى على باب محمد بن يوسف الفريابى، وما فى وجهه شعرة، فقلنا: ابن كم أنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة(٢)، وقال أبو بكر ابن المنير: سمعت البخارى يقول: كنت عند أبى حفص أحمد بن حفص، أسمع كتاب (الجامع)؛ لسفيان الثورى، ومن كتاب والدى، فمر أبو حفص على حرف، ولم يكن عندى ما ذكر، فراجعته فقال الثانية، والثالثة، فراجعته فسكت، ثم قال: من هذا؟ قالوا: ابن إسماعيل، فقال: هو كما قال، واحفظوا؛ إن هذا يصير يومًا رجلاً.(٣)

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٦، ٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٠، ٤٠١)، بتصرف.

(٣) تغليق التعليق (٥/ ٣٨٧)، وانظر: القصة المسندة، فى تاريخ بغداد (٢/ ١١).

٤ – رِحْلاَتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ – للأَمْصَارِ، لحِفْظِ سُنَّة الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ ﷺ

والرحلة فى اصطلاح المحدثين: هى السفر الذى يخرج فيه الطالب؛ لطلب حديثٍ، أو علو إسنادٍ، وكان الصحابة ﷺ، هم القدوة فى ذلك؛ فقد سافر جابر ابن عبد الله شهرًا؛ لطلب علو إسناد حديث، من عبد الله بن أنيس، وعلى هذا الهدى سار التابعون.

قال أبو العالية: كُنا نسمع الرواية فى البصرة، عن أصحاب رسول الله ﷺ، فما نرضى، حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم[1]، ومن آداب الرحلة أن يبدأ طالب العلم بشيوخ بلده، فيكتب عنهم، حتى يحكم حديثهم، ثم يرحل إلى الأمصار، يشافه الشيوخ، وقد بدأ الإمام البخارى، بشيوخ بخارى، وكبار المحدثين فيها؛ فسمع محمد بن سلام البيكندى، وعبد الله بن محمد المسندى، وإبراهيم بن الأشعب.

وكانت أول رحلاته، سنة عشرة ومئتين، وله ست عشرة سنة، عندما خرج إلى الحج مع أمه وأخيه، وعاد أخوه بأمه، وبقى طالباً للعلم، فسمع بمكة أئمة هذا الشأن، ومرجع الناس: الإمام أبو الوليد أحمد بن الأزرقى، وعبد الله بن يزيد، وإسماعيل بن سالم الصائغ، وأبو بكر ابن عبد الله بن الزبير، والعلامة الحميدى، ثم توجه إلى المدينة، ووصلها سنة ٢١٢هجرية، وكان إذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمره، وسمع من إبراهيم بن المنذر، ومطرف بن عبد الله، وإبراهيم بن حمزة، وأبو ثابت محمد بن عبيد الله، وعبد العزيز بن عبدالله الأويسى، وأقرانهم.

ثم توجه -رحمه الله- إلى البصرة، وتكررت رحلته للبصرة أربع مرات، واستفاد فى البصرة من الإمام أبى عاصم النبيل، وصفوان بن عيسى، وبديل بن ثابت المحبر، وحرمى بن عمارة، وعفان بن مسلم، ومحمد بن سنان، وأقرانهم، ومن فى طبقتهم.

---

(١) سنن الدارمى (١/ ١٤٠).

ورحل إلى الكوفة عدة مرات، ومن مشاهير أساتذته فى الكوفة: عبد الله بن موسى، وأبو نعيم ابن يعقوب، وإسماعيل بن أبان، والحسن بن الربيع، وخالد بن مجالد، وسعيد بن حفص، وتردد كذلك على بغداد؛ عاصمة الخلافة، ومن شيوخه ببغداد الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن عيسى الصباغ، ومحمد بن سائق، وشريح بن النعمان، ولما ودع بغداد فى المرة الأخيرة، وكان ذلك فى رحلته الثانية، وذهب ليودع الإمام أحمد، قال له الإمام فى حسرة وألم: «تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان».

ومن رحلاته أيضًا رحلته إلى الشام، وأخذ هناك عن يوسف الفريابى، وأبى إسحاق ابن إبراهيم، وآدم بن أبى إياس، وأبى اليمان الحكم بن نافع، وحيوة بن شريح.

ورحل إلى مصر، ودرس على عثمان بن الصائغ، وسعيد بن أبى مريم، وعبد الله بن صالح، وأحمد بن صالح، وأحمد بن شبيب.

ورحل كذلك إلى الجزيرة، وخراسان، ونواحيها، من مرو، وبلخ، وهراه، أما بخارى، وسمرقند وطشقند، وغيرها؛ فهى موطنه.[١]

قال الخطيب البغدادى: «رحل البخارى إلى محدثى الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، والحجاز، والشام، ومصر، وورد بغداد دفعات».[٢]

لقد يسرت عناية الله للبخارى سُبُلَ النجاح، وذللت أمامه الصعاب، فاستطاع برحلاته المتتابعة، أن يضاعف عدد شيوخه، حتى بلغوا الألف، وأن ينمى ثروته العلمية على النحو الذى رأيناه، فأقرَّ الناس له بالإمامة، وتبوأ بينهم مركز الصدارة عن جدارة، وقد أدرك عظيم فضل الله عليه؛ فقابل نعمته بشكر يديمها، ولم يكن هذا إلا بالعمل الذى خلَّدها، واستبقى آثارها متعاقبة بعده.[٣]

---

(١) انظر: تهذيب الأسماء، واللغات، للنووى (١/ ٧١، ٧٢)، وسيرة الإمام البخارى للمباركفورى (٥٩، ٦٠).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤).

(٣) تصدير لجنة إحياء كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، برئاسة الأستاذ/ محمد محيى الدين عبد الحميد، لصحيح البخارى (١/ ٦٢)، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٥- شُيُوخُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَطَبَقَاتُهُمْ

قال جعفر بن محمد القطان:

سمعت الإمام البخارى، يقول: «كتبت عن ألف شيخ من العلماء، وزيادة، وليس عندى حديث إلا أذكر إسناده». (١)

وروى محمد بن أبى حاتم عن البخارى، أنه قال: كتبت عن ألف وثمانين نفسًا، ليس فيهم إلا صاحب حديث.

وقال أيضًا: لم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل. (٢)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٢٢)، ط. عيسى البابى الحلبى، لتاج الدين السبكى، وتاريخ بغداد (٢/ ١٠).

(٢) هدى السارى (٥٠٣)، غمز أبو غدة شيخ المحدثين فى تعليقه على كتاب «الرفع والتكميل»، للكنوى، فنقل عن شيخه الكوثرى قوله: «من الغريب أن بعض من يعدونه أمراء المؤمنين فى الحديث يتبجح قائلاً: إنى لم أخرج فى كتابى عمن لا يرى أن الإيمان قول، وعمل يزيد وينقص، مع أنه أخرج عن غلاة الخوارج وغيرهم فى كتابه، وهو يدرى أن الحديث القائل بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص غير ثابت عند النقاد، ولا التفات إلى المتساهلين، ممن لا يفرقون بين الشمال واليمين، فماذا بعد ظهور الحجة، ووضوح المسألة على من يرى إرجاء العمل من أن يكون ركناً أصيلاً للإيمان، وعليه الكتاب والسنة، وجمهور الصحابة، وجميع علماء أهل السنة الذين يستنكرون قول الفريقين، الخوارج والمعتزلة، فإرجاء العمل من أن يكون من أركانه الأصلية هو السنة». إلى آخر كلامه الذى فساده يغنى عن إتمامه، وانتصاراً لأمير المؤمنين، وشيخ المحدثين الذى نصر عقيدة أهل السنة والجماعة فى كتابه أيما انتصار، وبوب أكثر أبواب كتاب الإيمان فى بيان دخول العمل فى مسمى الإيمان، وأبو غدة والكوثرى لا يجهلان هذه الأحاديث المترجم لها، ولا يجهلان قول الله عز وجل: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، إلى غير ذلك من الدلائل الواضحات، والآيات البينات، التى تدل على أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، وإن كان ذلك لم يثبت حديثاً مسنداً، ومثل ذلك: «**والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**» فلم يصح ذلك سنداً، إلا أنه الواقع فى نفس الأمر، كما قال الطحاوى الحنفى: والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وإن دل كلام أبى غدة على شىء، فإنه يدل على بدعته، فلا يبغض أهل الحديث إلا أهل البدع، على أن كلام أبى غدة عن البخارى لا ينقص من قدر الإمام، وإنما يهلك هو نفسه، ونسأل الله العافية، وإنما ذكرت ما ذكرت رداً لغيبته.

قال الحافظ: وينحصرون في خمسِ طبقات:

الطبقَةُ الأولَى:

من حدثه عن التابعين؛ مثل محمد بن عبد الله الأنصارى؛ حدثه عن حميد، ومثل مكى بن إبراهيم، حدثه عن يزيد بن أبى عبيد، ومثل أبى عاصم النبيل؛ حدثه عن يزيد بن أبى عبيد أيضًا، ومثل عبيد الله بن موسى؛ حدَّثه عن إسماعيل ابن أبى خالد، ومثل أبى نعيم؛ حدثه عن الأعمش، ومثل خلاد بن يحيى؛ حدثه عن عيسى بن طهمان، ومثل عياش، وعصام بن خالد؛ حدثاه عن حريز بن عثمان، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين.

الطبقَةُ الثَّانيَةُ:

من كان فى عصر هؤلاء، لكن لم يسمع من ثقات التابعين؛ كآدم بن أبى إياس، وأبى مسهر عبد الأعلى بن مسهر، وسعيد بن أبى مريم، وأيوب بن سليمان بن بلال، وأمثالهم.

الطبقَةُ الثالثَةُ:

هى الوسطَى بين مشايخه؛ وهم ممن لم يلق التابعين، بل أخذ عن كبار تبع التابعين؛ كسليمان بن حرب، وقتيبة بن سعيد، ونعيم بن حماد، وعلى ابن المدينى، ويحيى بنَ معين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبى بكر وعثمان ابنى أبى شيبة، وأمثال هؤلاء، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم فى الأخذ عنهم.

الطبقَةُ الرَّابِعَةُ:

رفقاؤه فى الطلب، ومن سمع قبله قليلاً؛ كمحمد بن يحيى الذهلى، وأبى حاتم الرازى، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وعبد بن حميد، وأحمد بن النضر، وجماعة من نظرائهم، وإنما يُخرِّج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه، أو ما لم يجده عند غيرهم.

قومٌ في عداد طلبته، في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة؛ كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني وغيرهم، وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعمل في الرواية عنهم، كما روى عثمان ابن أبي شيبة، عن وكيع، قال: لا يكون الرجل عالمًا؛ حتى يحدِّث عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. وعن البخاري أنهُ قال: لا يكون المحدِّثُ كاملاً، حتى يكتب عمن فوقه، وعمن مثله، وعمن هو دونه.(١)

٦- زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللّهُ-

عن محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت سليمًا -يعني ابن مجاهد-، يقول: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه، ولا أورع، ولا أزهد في الدنيا من محمد ابن إسماعيل.(٢)

وقال محمد بن أبي حاتم أيضًا: وكان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار، فلا يأكل فيه رقاقه؛ إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثًا، وكان يجتنب توابل القدور؛ مثل الحمص وغيره.(٣)

وقال الحافظ: قال وراقه: سمعت محمد بن خراس، يقول: سمعت أحمد بن حفص، يقول: دخلت على إسماعيل؛ والد أبي عبد الله عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهماً من حرام، ولا درهمًا من شبهة، قلت: وحكى وراقه أنه ورث من أبيه مالاً جليلاً، وكان يعطيه مضاربه، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألف، فقيل له: استعن بكتاب الوالي، فقال: إن أخذت منهم كتاباً طمعواً، ولن أبيع ديني بدنياي، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم، وذهب المال كله، وقال: سمعته يقول: ما توليت شراء شيء قط ولا بيعه، كنت آمر

(١) هدى الساري (٥٠٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٤٤٩).
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٤٥٠).

إنساناً، فيشترى لى: قيل له: ولِمَ؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط.

وقال غُنْجَار فى «تاريخه»: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر المقرى، حدثنا أبو سعيد؛ بكر بن منى، قال: كان حُمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة، أنفذها إليه أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه البضاعة، بربح عشرة آلاف درهم، فردهم، قال: إنى نويت البارحة، أن أدفعها إلى الأولين، فدفعها إليهم، وقال: لا أحب أن أنقض نيتى.(١)

وروى الخطيب البغدادى، عن عمر بن حفص الأشقر، قال: كنا مع محمد بن إسماعيل بالبصرة، نكتب الحديث، ففقدناه أيامًا، فطلبناه فوجدناه، فى بيت، وهو عريان، وقد نفذ ما عنده، ولم يبق معه شىءٌ، فاجتمعنا، وجمعنا له الدراهم، حتى اشترينا له ثوبًا، وكسوناه، ثم اندفع معنا فى كتابة الحديث.(٢)

٧- عِبَادَتُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

روى الخطيب فى «تاريخه»، عن محمد بن أبى حاتم الوراق، قال: دُعِىَ محمد ابن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر، صلى بالقوم، ثم قام للتطوع، فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه، وقال لبعض من معه: انظر، هل ترى تحت قميصى شيئًا؟ فإذا زنبور قد أَبَّرَه فى ستة عشر، أو سبعة عشر موضعًا، وقد تورم من ذلك جسده، وكانت آثار الزنبور فى جسده ظاهرة، فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة فى أول ما أَبَّرَكَ، فقال: كنت فى سورة، فأحببت أن أتمها.(٣)

وقال كذلك: وكان يصلى فى وقت السحر، ثلاث عشرة ركعة، يوتر منها

---

(١) هدى السارى (٥٠٣، ٥٠٤)، وتاريخ بغداد (٢/ ١١، ١٢).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٣).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٢، ١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٤).

بواحدة، وكان لا يوقظنى فى كل ما يقوم، فقلت له: إنك تُحَمِّلُ على نفسك كل هذا، ولا توقظنى ؟ قال: أنت شاب؛ فلا أحب أن أفسد عليك نومك، ورأيته استلقى على قفاه يوماً، ونحن بفربر، فى تصنيف كتاب (التفسير)، وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم؛ فى كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله، سمعتك تقول يومًا: إنى ما أتيت شيئًا بغير علم قط، منذ عقلت، فأى علم هذا الاستلقاء، فقال: أتعبنا أنفسنا هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح، وآخذ أهبة ذلك؛ فإن غافصنا العدو، كان بنا حراك.(١)

قال الذهبى: قال عمر بن أبى حاتم: سمعت أبا عبد الله يقول: ما ينبغى للمسلم أن يكون بحالة، إذا دعا لم يستجب له، فقالت له امرأة أخيه بحضرتى: فهل تبيَّنْتَ ذلك أيها الشيخُ من نفسك، أو جربت، قال: نعم، دعوت ربى -عَزَّ وَجَلَّ- مرتين، فاستجاب لى، فلن أحب أن أدعو بعد ذلك؛ فلعله ينقص من حسناتى، أو يعجل لى فى الدنيا، ثم قال: ما حاجة المسلم إلى الكذب والبخل.(٢)

وقال الحافظ: وقال الحاكم؛ أبو عبد الله الحافظ: أخبرنى محمد بن خالد، حدثنا مقسم بن سعد، قال: كان محمد بن إسماعيل، إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، يجتمع إليه أصحابه، فيصلى بهم، ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ فى السحر، ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر، فى كل ثلاث ليالٍ، وكذلك يختم بالنهار فى كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول عند كل ختمة: دعوة مستجابة.(٣)

٨ - كَرَمُهُ وَسَمَاحَةُ نَفْسِهِ، وَحُسْنُ خُلُقِهِ

قال الحافظ: وقال عبد الله بن الصيارفى: كنت عند أبى عبد الله؛ محمد بن إسماعيل فى منزله، فجاءته جاريته، وأرادت دخول المنزل، فعثرت على محبرة بين

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٣، ١٤)   (٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٨).

(٣) هدى السارى (٥٠٥).

يديه، فقال لها: كيف تمشين؟ قالت: إذا لم يكن طريق، كيف أمشى؟ فبسط يديه، وقال: اذهبى، فقد أَعْتَقْتك، (فقيل) له: يا أبا عبد الله، أغضبتك الجارية؟ قال: إن كانت أغضبتنى، فقد أرضيت نفسى بما فعلت. (١)

وقال أيضًا: قال ورّاق البخارى: وسمعته يقول لأبى معشر الضرير: اجعلنى فى حل يا أبا معشر، فقال: من أى شىء؟ فقال: رويت حديثًا، فنظرت إليك، وقد أعجبت به، وأنت تحرك رأسك ويديك، فتبسمت من ذلك، فقال: أنت فى حل، يرحمك الله يا أبا عبد الله. (٢) وقال الذهبى: قال محمد بن أبى حاتم: كانت له قطعة أرض، يكريها كل سنة بسبع مئة درهم، فكان ذلك المكترى ربما حمل منها إلى أبى عبد الله قثاة أو قثاتين؛ لأن أبا عبد الله كان معجبًا بالقثاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحيانًا، فكان يهب الرجل مئة درهم، كلّ سنة؛ لحمله القثاء إليه أحيانًا. (٣)

وقال الذهبى أيضاً، حاكيًا عن وراقه، قال: وكنت إشتريت منزلاً بتسعمائة وعشرين درهمًا، فقال: لى إليك حاجة تقضيها؟ قلت: نعم، ونعمى عين، قال: ينبغى أن تصير إلى نوح بن شداد الصيرفى، وتأخذ منه ألف درهم، وتحمله إلىّ، ففعلت، فقال لى: خذه إليك، فاصرفه فى ثمن المنزل، فقلت: قد قبلته منك، وشكرته، وأقبلنا على الكتابة، وكنا فى تصنيف (الجامع)، فلما كان بعد ساعة، قلت: عرضت لى حاجة، لا أجترى رفعها إليك، فظن أنى طمعت فى الزيادة، فقال: لا تحتشمنى، وأخبرنى بما تحتاج؛ فإنى أخاف أن أكون مأخوذًا بسببك، قلت: كيف؟ قال: لأن النبى ﷺ آخى بين أصحابه، فذكر حديث سعد وعبدالرحمن، فقلت له: قد جعلتك فى حل من جميع ما تقول، ووهبت لك المال الذى عرضته علىّ، عنيتُ المناصفة؛ وذلك أنه قال: لى جوارٍ، وامرأة، وأنت عَزَبٌ، فالذى يجب علىّ أن أناصفك؛ لنستوى فى المال وغيره، وأربح عليك فى ذلك، فقلت له: قد فعلت -رحمك الله-، أكثر من ذلك؛ إذ أنزلتنى من نفسك، ما لم تنزل أحدًا، وحللت منك محل الولد، ثم حفظ عنى حديثى الأول،

(١) تغليق التعليق (٥/ ٣٩٥). (٢) هدى السارى (٥٠٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٩).

وقال: ما حاجتك؟ قلت: تقضيها؟ قال: نعم، وأُسَرّ بذلك، قلت: هذا الألف تأمر بقبوله، واصرفه فى بعض ما تحتاج إليه، فقبل، وذلك أنه ضمن لى قضاء حاجتى، ثم جلسنا بعد ذلك بيومين لتصنيف (الجامع)، وكتبنا منه ذلك اليوم شيئًا كثيرًا إلى الظهر، ثم صلينا الظهر، وأقبلنا على الكتابة، من غير أن نكون أكلنا شيئا، فرآنى لما كان قرب العصر، شبه القلق المستوحش، فتوهم فىَّ ملالاً، وإنما كان بى الحصر، غير أنى لم أكن أقدر على القيام، وكنت أَتَلَوَّى اهتمامًا بالحصر، فدخل أبو عبد الله المنزل، وأخرج إلىَّ كاغدة؛ فيها ثلاثمائة درهم، وقال: أما إذا لم تقبل ثمن المنزل، فينبغى أن تصرف هذا فى بعض حوائجك، فجهدنى فلم أقبل، ثم كان بعد أيام، كتبنا إلى الظهر أيضًا، فناولنى عشرين درهمًا، فقال: ينبغى أن تصرف هذا فى شراء الخضر، ونحو ذلك، فاشتريت بها ما كنت أعلم أنه يلائمه وبعثت به إليه، وأتيت، فقال لى: بَيَّضَ الله وجهك، ليس فيك حيلة، فلا ينبغى لنا أن نعنى أنفسنا، فقلت له: إنك قد جمعت خير الدنيا، والآخرة، فأى رجل يَبَرُّ خادمه، بمثل ما تبرنى، لئن كنت لا أعرف هذا، فلست أعرف أكثر منه.[1]

٩ - قُوَّةُ حِفْظِهِ، وَنَبَاهَةُ خَاطِرِهِ، وَسَيَلَانُ ذِهْنِهِ

قال الحافظ: قال وراقه؛ محمد بن أبى حاتم، سمعت حاشد بن إسماعيل، وآخر يقولان: كان البخارى يختلف معنا إلى السماع، وهو غلام لا يكتب، حتى أتى على ذلك أيامًا، فكنا نقوله له، فقال: إنكما قد أكثرتما عَلَىَّ، فأعرضا علىَّ ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أنى أختلف هدرًا، وأضيع أيامى؛ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحدٌ.

وقال محمد بن خميرويه: سمعت البخارى، يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتى ألف حديث غير صحيح.

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥١، ٤٥٢).

وقال ابن خزيمة: ما تحت أديم السماء، أعلم بالحديث من البخارى. (١)

وروى الحافظ بسنده إلى أبى أحمد ابن عدى، قال: سمعت عدة مشايخ يقولون: إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها، وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا لمتن الآخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضر المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرها، ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخارى: لا أعرفه، فما زال يلقى عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغ من عشرته، والبخارى يقول: لا أعرفه، فكان الفقهاء ممن حضر إلى المجلس، يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومن كان منهم غير ذلك، يقضى على البخارى بالعجز والتقصير، وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخارى: لا أعرفه، فسأل عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقى عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغ من عشرته، والبخارى يقول: لا أعرفه، ثم انتدب له الثالث والرابع، إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخارى لا يزيدهم على لا أعرفه، فلما علم البخارى أنهم فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول: فهو كذا، وصوابه كذا، وحديثك الثانى فهو كذا، والثالث، والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

قلت: هنا تخضع للبخارى، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب، بل العجب من حفظه للخطأ، على ترتيب ما ألقوه عليه مرة واحدة.

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٦).

وقد روينا عن أبى بكر الكوذانى، قال: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلم، فيطلع إليه اطلاعة، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث من مرة واحدة.

وقال أبو الأزهر: كان بسمرقند أربعمائة محدث، فتجمعوا، وأحبوا أن يغالطوا محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام فى إسناد العراق، وإسناد اليمن فى إسناد الحرم، فما تعلقوا منه بسقطة.(١)

وروى الذهبى عن أَحْيَدَ بن أبى جعفر، والى بخارى قال: قال محمد بن إسماعيل يومًا: ربَّ حديث سمعته بالبصرة، كتبته بالشام، ورُبَّ حديث سمعته بالشام، كتبته بمصر، قلت له: يا أبا عبد الله بكماله؟ قال: فسكت.(٢)

قال الخطيب: وسئل العباس بن الفضل الرازى الصائغ: أيهما أفضل، أبو زرعة، أو محمد بن إسماعيل؟ فقال: التقيت مع محمد بن إسماعيل بين حلوان، وبغداد، فرجعت معه مرحلة، وجهدت أن أجىء بحديث لا يعرفه، فما أمكننى، وأنا أغرب على أبى زرعة عدد شعره.(٣)

١٠ - تَمَسُّكُهُ بِالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ

قال الشيخ عبد السلام المباركفورى: مصدر السنة هو الرسول الكريم ﷺ، وكان أصحابه -رضْوَانُ اللّه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، إليهم المنتهى فى حبهم له ﷺ، واتباعهم لسنته ما لا يمكنَ أن يقاس أو يقدر، وصحبهم التابعون -رحمهم اللّه-، فاصطبغوا بصبغتهم، وتخلقوا بأخلاقهم، فكانوا يتفانون فى اتباع سنة رسول اللّه ﷺ،

---

(١) بتصرف من تغليق التعليق (٥/ ٤١٤، ٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٨-٤٠٩)، وذكر قصة الامتحان ببغداد الخطيب (٢/ ٢٠، ٢١)، تاريخ بغداد.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١١)، وتاريخ بغداد (٢/ ١١).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٤)، وحلوان مدينة من مدن العراق، وليست حلوان التى بمصر كما هو ظاهر.

قريبًا مما وجدوه لدى الصحابة ﷺ، واستمر الحال على ذلك حتى آل الأمر إلى المحدثين، ولا نستطيع أن ندعى أن جذوة الحب، والحماس التى كانت تتوقد فى الصحابة، بقيت فى جميع التابعين، أو انتقلت إلى كل المحدثين، ولكن مع ذلك، فالحماس الذى كان يوجد لدى المحدثين، للتمسك بالسنن، والعمل بها يعتبر من الغرائب فى يومنا هذا.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ما كتبت حديثًا إلا قد عملت به، حتى مر بى أن النبى ﷺ، احتجم، وأعطى أبا طيبة ديناراً، فاحتجمت، وأعطيت الحجام ديناراً.

وقال وكيع بن الجراح -أحد كبار المحدثين-: إذا أردت أن تحفظ حديثًا، فاعمل به.

وكان الإمام المحدث إبراهيم بن إسماعيل، يقول: كنا نستعين على حفظ الحديث، بالعمل به. فالرمى مع أنه ليس من اختصاص العلماء، ولكن لما كانت السنة، قد وردت به، كان الإمام البخارى، يركب إلى الميدان، للتدرب على الرمى، وكان من شدة مهارته لا يخطئ الهدف.(١)

قال الوراق: وكان يركب إلى الرمى كثيرًا، فما أعلم أنى رأيته، فى طول ما صحبته، أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، بل كان يصيب فى كل ذلك، ولا يسبق. قال: وركبنا يومًا إلى الرمى، ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذى يؤدى إلى الفرضة، فجعلنا نرمى، فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة، التى على النهر، فانشق الوتد، فلما رأى ذلك، نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمى، وقال لنا: ارجعوا، فرجعنا، فقال لى: يا أبا جعفر، لى إليك حاجة -وهو يتنفس الصعداء- فقلت: نعم، قال: تذهب إلى صاحب القنطرة، فتقول: إنا أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا، فى إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه، وتجعلنا فى حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لى: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت فى حل مما كان منك، فإن جميع ملكى لك الفداء، فأبلغته الرسالة،

(١) سيرة الإمام البخارى (٧٧).

فتهلل وجهه، وأظهر سرورًا كثيرًا، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث، وتصدق بثلاثمائة درهم[١]، وكان قد بنى رباطًا خارج مدينة بخارى، فكان الإمام البخارى، يشترك مع العمال، ينقل اللبن فيحمله على رأسه، ويرفعه، ويقدمه للبنائين.

قال وراقه: كنا بفربر، وكان أبو عبد الله يبنى رباطًا، مما يلى بخارى، فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك، وكان ينقل اللبن، فكنت أقول له: يا أبا عبد الله، إنك تكفى ذلك، فيقول: هذا الذى ينفعنى.[٢]

ولا شك فى أنه كان يتأسى فى ذلك برسول الله ﷺ، الذى شارك الصحابة الكرام، فى حفر الخندق، وكذلك بناء المسجد النبوى، وتقدم أنه كان يصلى فى السحر إحدى عشرة ركعة، وكان يؤم أصحابه فى صلاة التراويح، فى رمضان، وما تقدم كذلك من زهده، وورعه، وكرم أخلاقه، وسماحة نفسه، لا شك أنه كان يقتدى فى ذلك كله بخاتم الأنبياء، وإمام المرسلين ﷺ.

١١- بَرَاعَتُهُ فِى مَعْرِفَةِ الْعِلَلِ(*)

روى الخطيب البغدادى، بسنده عن أبى عيسى الترمذى، قال: ولم أرَ أحدًا بالعراق، ولا بخراسان فى معرفه العلل، والتاريخ، ومعرفة الأسانيد، أعلم من محمد بن إسماعيل.[٣]

قال الذهبى: قال محمد بن أبى حاتم: وسمعته يقول -يعنى البخارى- كنت فى مجلس الفريابى، فقال: حدثنا سفيان، عن أبى عروة، عن أبى الخطاب، عن أنس، أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه، فى غسل واحد، فلم يعرف أحدٌ فى المجلس أبا عروة، وأبا الخطاب، فقلت: أما أبو عروة فَمَعْمَر، وأبو الخطاب قتادة، قال: وكان الثورى فعولاً لهذا يكنى المشهورين.[٤]

(١) هدى السارى (٥٠٤)، وذكره الذهبى أيضاً فى سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٣، ٤٤٤).

(٢) هدى السارى (٥٠٥).

(*) والعلة اصطلاحاً: هى سبب غامض خفى يقدح فى صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منها.

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣)، وهو نوع من التدليس.

وقال الحافظ: وقال أحمد بن حمدون الحافظ: رأيت البخارى فى جنازة، ومحمد بن يحيى الذهلى، يسأله عن الإسناد، والعلل، والبخارى يمر فيه مثل السهم؛ كأنه يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.(١)

ولا شك فى أن معرفة العلل، من أشرف علوم الحديث، ولا يقدر عليها، إلا الجهابذة، قال عبد الرحمن بن مهدى: لأن أعرف علة حديث هو عندى، أحبَّ إلىَّ من أن أكتب عشرين حديثًا ليس عندى.(٢) ومما يشهد لبراعة البخارى، ومهارته فى هذا الفن الغامض ما قال الترمذى فى كتابه «العلل»، وهو مطبوع مع جامعه: (وما كان فيه من ذكر العلل فى الأحاديث، والرجال، والتاريخ؛ فهو مما استخرجته من كتاب التاريخ، وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل، ومنه ما ناظرت به عبدالله بن عبدالرحمن، وأبا زرعة، وأكثر ذلك عن محمد، وأقل شىء فيه عن عبد الله، وأبى زرعة).(٣)

وقال الذهبى: قال محمد بن حمدون بن رستم: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إليه البخارى، فقال: دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث فى علله.(٤)

١٢- فِقْهُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

لا شك فى أن تراجم كتاب الصحيح، خير دليل على فقهه، وقد اشتهر من قول العلماء: (فقه البخارى فى تراجمه).

فقال الحافظ: قال يعقوب الدورقى: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. وقال بندار: هو أفقه خلق الله فى زماننا.

---

(١) تغليق التعليق (٥/ ٤١٩)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢)، وتهذيب الأسماء، واللغات (١/ ٦٩).

(٢) كتاب معرفة علوم الحديث، للإمام الحاكم أبى عبد الله (١٢٢)، مكتبة المتنبى.

(٣) جامع الترمذى (١/ ٣٠٣) عارضة.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢).

وقال عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن جعفر: لما مات أحمد بن حرب النيسابورى، ركب محمد بن إسماعيل، وإسحاق يشيعان جنازته، فكنت أسمع أهل المعرفة بنيسابور، ينظرون، ويقولون: محمد أفقه من إسحاق.

وقال أحمد بن إسحاق الرسمارى: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه؛ فلينظر إلى محمد بن إسماعيل. (١)

وقال الذهبى: قال محمد بن أبى حاتم: سمعت حاشد بن عبدالله، يقول: قال لى أبو مصعب الزهرى: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا، وأبصر، من أحمد بن حنبل، فقيل له: جاوزت الحد، فقال الرجل: لو أدرك مالكًا، ونظرت إلى وجهه، ووجه محمد بن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحدٌ فى الفقه والحديث. (٢)

قال البخارى: سئل إسحاق بن إبراهيم عمن طلق ناسيًا، فسكت طويلاً متفكرًا، فقلت أنا: قال النبى ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِى مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تُكَلِّمْ**»(٣). وإنما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث: العمل، والقلب، أو الكلام والقلب، وهذا لم يعتقد بقلبه، فقال إسحاق: قويتنى، وأفتى به. (٤)

وقال الحافظ: وسئل قتيبة عن طلاق السكران، فدخل محمد بن إسماعيل، فقال قتيبة للسائل: هذا أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلى ابن المدينى، قد ساقهم الله إليك، وأشار إلى البخارى. (٥)

١٣- احْتِيَاطُهُ فِى جَرْحِ الرُّوَاة

قال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخارى يقول: أرجو أن ألقى الله، ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدًا. (٦)

---

(١) باختصار من تغليق التعليق (٥/ ٤٠٤-٤٠٩).   (٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٠).

(٣) رواه البخارى (٩/ ٣٠٠)، الطلاق، ومسلم (٢/ ١٤٧)، الإيمان.

(٤) تغليق التعليق (٥/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٤).

(٥) هدى السارى (٥٠٦).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٩)، وتاريخ بغداد (٢/ ١٣)، وطبقات الشافعية (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

قال الحافظ الذهبى: صدق -رحمه الله-، ومن نظر فى كلامه فى الجرح والتعديل، علم ورعه فى الكلام فى الناس، وإنصافه فيمن يضعفه؛ فإنه أكثر ما يقول منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقل أن يقول: كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى أنه قال: إذا قلت فلان فى حديثه نظر، فهو متهم واهٍ، وهذا معنى قوله: لا يحاسبنى الله أنى اغتبت أحدًا، وهذا هو والله غاية الورع.

قال محمد بن أبى حاتم الوراق: سمعته -يعنى البخارى- يقول: لا يكون لى خصم فى الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك فى كتاب (التاريخ)، ويقولون: فيه اغتياب الناس، فقال: إنما روينا ذلك رواية لم نَقلْهُ من أنفسنا، قال النبى ﷺ: «**بِئس مَولى الْعَشِيرَة**» يعنى حديث عائشة.[1] وسمعته يقول: ما اغتبت أحدًا منذ علمى أن الغيبة تضر أهلها.[2]

قال الشيخُ عبد السلام المباركفورى: وخلاصة القول أن الجرح أمر صعب، ويحتاج فيه إلى أقصى درجة من التدين، والورع، والتقوى، والاحتياط، قال ابن خلاد للإمام يحيى بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم، خصماءك عند الله يوم القيامة، فقال: لأن يكونوا خصمائى، أحبُّ إلىَّ من أن يكون خصمى رسول الله ﷺ، يقول لى: «لِمَ لَمْ تَذبَّ الكَذِبَ عَنْ حَدِيثِى».

ومسلك الاحتياط الذى سلكه الإمام البخارى، يدل على منزلته العليا من التدين، والإخلاص، والورع، فطريقته فى الجرح أنه يختار كلمات لا يمكن أى شخص، أن يؤاخذ بها المجروح، ومن كلماته فى الجرح :

«تركوه، أنكره الناس، المتروك، الساقط، فيه نظر، سكتوا عنه» وغيرها.

---

(١) رواه مالك (٢/ ٩٠٣، ٩٠٤)، والبخارى (١٠/ ٤٦٧)، الأدب: لم يكن النبى ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً، ومسلم (١٦/ ١٤٤)، البر والصلة: باب مداراة من يتقى فحشه.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤١)، وقال النووى فى الأعذار المبيحة للغيبة: الرابع تحذير المسلمين من الشر، وذلك من وجوه، منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع، بل واجب صوناً للشريعة - شرح النووى على صحيح مسلم (١٦/ ١٤٢).

ومن النادر أن يثبت البخـارى، أنه قال عن رجل بأنه وضَّاعٌ، أو كَـذَّابٌ، ومن أشد كلمات الجرح عند البخارى أن يقول: منكر الحديث.(١)

١٤- مَكَانَةُ الإمَامِ الْبُخَارِيِّ، وَمَحَبَّتُهُ فى قُلُوبِ الْـمُسْلِمِيـنَ

وكما رزق الإمام البخارى هذه الملكة العظيمة فى الحفظ، ورزق مع ذلك الفقه، والزهد، والورع، والعبادة، رزق كذلك المحبة، والقبول فى قلوب الخلق، فَـمالكُ قُلُوبهم ومـصرفـها، كيف يشـاء، هو الذى وهبـه هذه الموهوبات الجليلة، والنعم الجزيلة، وقد وعد الله -عَزَّ وَجَلَّ- أهل الإيمـان، والعمل الصالح بالمودة، والمحبة، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦).

قـال بعض السلف: إذا أقبل العبـد، بقلبه على الله، أقـبل الله عليـه بقلوب أوليائه، حتى يرزقهم مودته.

قال الشيخ عبـد السلام المباركفورى: كان الإمام البـخارى كلما حل مدينة، أو ترك أرضاً، كان المسلمون يزدحمون حوله؛ حيث يفوق الوصف والبيان.

وكان الناس بعد ما سمعوا تلك الأوصـاف الخارقة، التى وهبها الله هذا الإمام الجليل، من فقه عديم النظر، وذاكرة خارقة، وتبحر فى العلم، يتمنون رؤيته، فإذا نزل مكانًا، تجمعوا حوله؛ بحيث لا يكاد يوجد موضع قدم.

ولما رجع إلى بخارى عـائدًا من رحلته الدراسـية، نصبت له القـباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد، حـتى لم يبق مذكـور، ونثر عليه الدراهم والدنانير.

وجرى له مثل هذا فى نيسابور، قال الإمام مـسلم: لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور، ما رأيت واليًا، ولا عالمًا فعل به أهل نيسابور، ما فعلوا به؛ استقبلوه من مرحلتين من البلاد، أو ثلاث.

(١) سيرة البخارى (٦٨، ٦٩).

ولما عقد الإمام البخارى مجلس الإملاء، فى عاصمة العلم بغداد، كان صالح ابن محمد جزرة، يستملى له فقال: «بلغ من حضر المجلس عشرين ألفًا».

وقال محمد بن عبد الرحمن الدغلوى:

كتب أهل بغداد إلى محمد بن إسماعيل البخارى، كتاباً فيه:

الْمُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا بَقِيتَ لَهُمْ ... وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تُفْتَقَدُ[1]

١٥- ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

وهذا الفصل يتضمن ثناء شيوخه عليه، وثناء معاصريه، وثناء من بعدهم، من علماء الأمة، ونبدأ بثناء شيوخه عليه؛ لأن رأى الشيخ فى تلميذه، يكون أصح من غيره؛ فهو كثيرًا ما يجد فرصًا، لاختبار ذكائه، وفهمه، وحفظه.

أ- ثَنَاءُ شُيُوخِهِ عَلَيهِ:

قال قتيبة بن سعيد: جالست الفقهاء، والزهاد، والعباد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل، وهو فى زمانه؛ كعمر فى الصحابة «أى فى العقل والمعرفة والجهر بالحق».

وقال أيضًا: لو كان محمد بن إسماعيل فى الصحابة، لكان آية.[2]

وكان سليمان بن حرب؛ وهو من شيوخ البخارى، يقول له: «بيّن لنا غلط شعبة».[3]

ومن شيوخه أيضًا إسماعيل بن أبى أويس، وكان البخارى ينتخب الأحاديث الصحيحة من كتابه، فكان ينسخ هذه الأحاديث لنفسه، وكان يقول باعتزاز: «هذه الأحاديث، انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثى».[4]

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢). (٢) هدى السارى (٥٠٦).
(٣) المصدر السابق (٥٠٦)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٩).
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٩)، وهدى السارى (٥٠٦).

واجتمع أهل الحديث يومًا، فسألوا الإمام البخارى أن يكلم لهم إسماعيل بن أبى أويس «وذلك لأن ابن أبى أويس، كان يحترم الإمام البخارى، أشد احترام»، فحقق الإمام ما أرادوا، وتقديرًا لهذه الشفاعة، دعا الشيخ الجارية فأمرها أن تخرج صرة دنانير، وقال: يا أبا عبد الله فَرِّقْهَا عليهم، قال: فقلت: إنما أرادوا الحديث، قال: أجبتك إلى ما طلبوا من الزيادة، غير أنى أحب أن يضم هذا إلى ذاك.(1)

وقال الذهبى: قال أبو جعفر؛ محمد بن أبى حاتم: سمعت بعض أصحابى يقول: كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه ابن إسماعيل، فلما خرج، قال محمد بن سلام: كلما دخل عَلَيَّ هذا الصبى، تحيَّرت، وألبس عَلَيَّ هذا الحديث وغيره، ولا أزال خائفًا ما لم يخرج. (2)

وقال محمد: وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: لما دخلت البصرة، صرت إلى مجلس بندار، فلما وقع بصره عليَّ، قال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى، فقال له: كيف تركت أبا عبد الله؟ فأمسكت فقالوا له: يرحمك الله، هو أبو عبد الله، فقام، وأخذ بيدى، وعانقنى، وقال: «مرحبًا بمن افتخر به منذ سنين»(3). وقال الفربرى: رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخارى، وسمعته يقول: «أنا من تلامذته».

ومع أنه من شيوخ البخارى، قد حدث عنه فى الجامع الصحيح، وقال: لم أر مثله، وكانت وفاته سنة مات أحمد بن حنبل.(4)

ب - ثَنَاءُ أقْرَانه وَمُعَاصِرِيه عَلَيْه:

وقد جاء فى المثل: «المعاصرة سبب المنافرة»، هذا ظاهر بالاستقراء؛ كما حدث بين شيخ الإسلام؛ أحمد بن تيمية، وابن حجر الهيتمى، وابن حجر العسقلانى،

(1) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٩)، وهدى السارى (٥٠٦).
(2) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٦، ٤١٧)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٢٢).
(3) تاريخ بغداد (٢/ ١٧)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٣).
(4) هدى السارى (٥٠٨)، وذكر الذهبى فى السير قوله: «أنا من تلامذة محمد بن إسماعيل» (١٢/ ٤٢٤).

والعينى، والسخاوى، والسيوطى. ونبوغ البخارى وتقدُّمه أقر له به شيوخه، واعترفوا بفضله وعلمه، وقدموه حتى على أنفسهم؛ فلا عجب أن يُقرَّ له أقرانه بذلك، مع أنه -رحمه الله-، لم يسلم من حسد الحاسدين.

قال أبو حاتم الرازى: لم تخرج خراسان قط، أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه.(١)

وقال الحسين بن محمد بن عبيد؛ المعروف بالعجلى: «ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، ومسلم حافظ، ولكنه لم يبلغ محمد بن إسماعيل، وقال: رأيت أبا زرعة، وأبا حاتم يستمعان إليه، وكان أمَّة من الأمم، دَيناً فاضلاً يحسن كل شيء، وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا، وكذا.(٢)

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، صاحب «السنن»: قد رأيت العلماء بالحرمين، والحجاز، والشام، والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل، وقال أيضًا: هو أعلمنا، وأفقهنا، وأكثرنا طلبًا.(٣)

ولما نُعِيَ الدارمى إلى الإمام البخارى، أنشد هذا البيت، وأطرق مَلياً:

إنْ عِشْتَ تُفْجَعُ فى الأحِبَّةِ كُلِّهِمْ   وَبَقَاءُ نَفْسِكَ لا أبَالَكَ أفْجَعُ

وقال الإمام أبو بكر؛ محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل.(٤)

وقال أبو عمر الخفاف: هو أعلم بالحديث من أحمد، وإسحاق، وغيرهما بعشرين درجة، ومن قال فيه شيئاً، فعليه منى ألف لعنة.

وقال أيضًا: لو دخل من هذا الباب، وهو يحدث لملئت رُعْباً.(٥)

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٣)، ومقدمة الفتح (٥٠٩). (٢) تاريخ بغداد (٢/ ٣٠)، وهدى السارى (٥٠٩).
(٣) مقدمة الفتح، (هدى السارى)، (٥٠٩). (٤) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧)، ومقدمة الفتح (٥٠٩).
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧، ٢٨)، ومقدمة الفتح (٥٠٩)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٥، ٤٣٦).

وهذا غيضٌ من فيض، وقليل من كثير، ولو تتبعنا أقوال أقرانه، ومعاصريه؛ لطال الفصل، وفيما نقلناه كفاية للدلالة على تقدمه على أقرانه، ومعاصريه، ونسأل الله أن لا يحرمنا من رؤية هؤلاء الأعلام، وأن يجمعنا بهم فى دار السلام، والله المستعان.

جـ - ثَنَاءُ المُتَاخِّرِينَ عَلَيهِ:

قال الحافظ: (ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه، ممن تأخر عن عصره، لفنى القرطاس، ونفدت الأنفاس، فذاك بحر لا ساحل له، وإنما ذكرت كلام ابن عقدة، وأبى أحمد عنوانًا لذلك، وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه، لا يحتاج إلى حكاية من تأخر؛ لأن أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا، ووصفوا ما علموا، بخلاف من بعدهم؛ فإن ثناءهم، ووصفهم مبنىّ على الاعتماد على ما نقل إليهم، وبين المقامين فرق ظاهر، وليس العيان كالخبر).(١)

وقال العلامة العينى الحنفى: الحافظ الحفيظ الشهير، المميز، النافذ، البصير، الذى شهدت بحفظه العلماء الثقات، واعترف بضبطه المشايخ الأثبات، ولم ينكر فضله علماء هذا الشأن، ولا تنازع فى صحة تنقيده اثنان، الإمام الهمام، حجة الإسلام؛ أبو عبد الله؛ محمد بن إسماعيل البخارى.(٢)

وقال الشيخ نور الحق بن عبد الحى المحدث الدهلوى: هو (الإمام البخارى) ما كان له مثيل فى عصره، فى حفظ الأحاديث وإتقانها، وفهم معانى الكتاب؛ والسنة، وحدة الذهن، وجودة القريحة، ووفور العفة، وكمال الزهد، وغاية الورع، وكثرة الاطلاع على طرق الحديث وعللها، ودقة النظر، ودقة الاجتهاد، واستنباط الفروع من الأصول. (٣)

(١) هدى السارى (٥١٠).
(٢) عمدة القارى (١/ ٥)، نقلاً عن سيرة الإمام البخارى (١٢٠، ١٢١).
(٣) سيرة الإمام البخارى (١٢١، ١٢٢).

وقال النووي -رحمه الله- في خاتمة ترجمته:

فهذه أحرف من عيون مناقبه وصفاته، ودرر شمائله وحلاته، أشرت إليها إشارات؛ لكونها من المعروفات الواضحات، ومناقبه لا تستقصى؛ لخروجها على أن تحصى، وهي منقسمة إلى حفظ ودراية، واجتهاد في التحصيل ورواية، ونسك وإفادة، وورع وزهادة، وتحقيق وإتقان، وتمكن وعرفان، وأحوال وكرامات، وغيرها من أنواع الكرامات، ويوضح ذلك ما أشرت إليه من أقوال أعلام المسلمين، أولي الفضل، والورع، والدين، والحفاظ، والنقاد المتفننين، الذين لا يجازفون في العبارات، بل يتأملونها، ويحررونها، ويحافظون على صيانتها، أشد المحافظات، وأقاويلهم بنحو ما ذكرته غير منحصرة، وفيما أشرت إليه أبلغ كفاية للمستبصر، رضي الله عنه وأرضاه، وجمع بيني وبينه وجميع أحبابنا في دار كرامته، مع من اصطفاه، وجزاه عني وعن سائر المسلمين أكمل الجزاء، وحباه من فضله أبلغ الحباء.[(١)]

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمته: «البخاري الحافظ، إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يُستقى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله، وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإسلام».[(٢)]

وقال كذلك: ولو استقصينا ثناء العلماء عليه في حفظه، وإتقانه، وعلمه، وفقهه، وورعه، وزهده، وعبادته؛ لطال علينا، ونحن على عجل من أجل الحوادث، والله -سُبْحَانَهُ- المستعان، وقد كان البخاري -رحمه الله- في غاية الحياء والشجاعة، والسخاء، والورع، والزهد في الدنيا، دار الفناء، والرغبة في الآخرة، دار البقاء.[(٣)]

وقال القسطلاني: هو الإمام، حافظ الإسلام، خاتمة الجهابذة، النقاد الأعلام، شيخ الحديث، وطبيب علله في القديم والحديث، وإمام الأمة عجمًا وعربًا،

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٦). (٢) البداية والنهاية (١٢/ ٢٥).
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٦).

ذو الفضائل التى سارت السراة بها شرقًا وغربًا، الحافظ الذى لا تغيب عنه شاردة، والضابط الذى استوى لديه الطارفة والتالدة.[(١)]

وقال الشيخ عبد السلام المباركفورى: والحق إن الاستدلال على تبحر إمام المحدثين فى العلم، وذكائه، وقوة اجتهاده، وسيلان ذهنه، بأقوال المتأخرين. كرفع السراج أمام الشمس:

قال السبكى:

عَلاَ عَنِ الْمَدْحِ حَتَّى مَا يُزَانُ بِهِ   كَأنَّمَا الْمَدْحُ مِنْ مِقْدَارِهِ يَضَعُ[(٢)]

١٦ - تَلاَمِذَةُ إمَامِ الْمُحَدِّثِينَ

وقد مضى فى ذكر شيوخ البخارى -رحمه الله-، إنه روى عن ألف وثمانين شيخًا، ولا شك أن هذا من مناقبه؛ لكثرة المنابع التى استقى منها، وكلهم من أهل السنة والجماعة، الذين يعتقدون بأن الإيمان قول وعمل؛ فإذا نظر إلى تلامذته الذين تربوا فى مجالسه، واستفادوا منه، ونهلوا من فيض علومه الزاخرة، تبين لنا شرف هذا العالم الجليل، وبركة حياته على الأمة، كان الإمام الفربرى من أخص تلاميذ الإمام، وكان يقول: (إن تسعين ألفًا من التلاميذ، رووا عنه صحيح البخارى، ولا شك كذلك فى أن علو شأن التلاميذ، مفخرة لأستاذهم؛ فهذا شيخ المحدثين، تلامذته هم أئمة الحديث، الذين دونت كتبهم، وبقى على مر الأزمنة ذكرهم، وانتفع الناس فى كل زمان بعد زمانهم بجهدهم وعلومهم، وتصدى الأئمة الأعلام، وأرباب القلوب والأفهام، لشرح مصنفاتهم، وتقريب علومهم؛ فمن تلامذة الإمام البخارى، مسلم بن الحجاج، والترمذى، والنسائى، والدارمى، وكلهم من الفضل بمكان؛ بحيث يصل فضلهم، وفيضهم إلى كل مكان، وصل إليه الإسلام.

(١) مقدمة إرشاد السارى (١٢٣) والطارفة: المستحدثة، والتالدة: القديمة.

(٢) بتصرف من سيرة الإمام البخارى (١٢٢).

وهذه تراجم مُخْتَصَرَةٌ لبعض تلامذته - رحمهم الله:

١- مُسْلمُ بْنُ الحَجَّاج: ولد سنة ٢٠٢ هجرية، وهو نيسابورى الأصل، ارتحل إلى العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وهو صاحب الصحيح ،وله مصنفات أخرى، يضيق المجال عن ذكرها، توفى -رحمه الله- فى ٢٥ رجب، سنة ٢٦١ هجرية، فى بلدة نصر أباد، من منطقة نيسابور.(١)

٢- الإمَامُ أبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ: ولد سنة ٢٠٦ هجرية، واسمه محمد بن عيسى ابن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى، ومن مؤلفاته (جامع الترمذى)، وكتاب (العلل والشمائل)، توفى-رحمه الله- سنة ٢٧٩هجرية.(٢)

٣- الإمَامُ النَّسَائِى: واسمه أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن دينار، ولد فى مدينة نساء، من أرض خراسان، سنة ٢١٥، وكان قد صنف كتابه (السنن الكبرى)، فأهداه إلى أمير الرملة، فقال له الأمير: أكل ما فى هذا صحيح؟ قال: لا، فقال له الأمير: فجرد منه الأحاديث الصحيحة، فاختار (المجتبى)؛ وهو المعروف بـ (سنن النسائى)، توفى- رحمه الله - سنة ٣٠٤ هـ .(٣)

٤- الإمامُ الدَّارِمِىُّ: ولد -رحمه الله- سنة ١٨١ هـ، واسمه عبد الله بن عبد الرحمن ابن القفل بن بهرام بن عبد الصمد التيمى، الدارمى، وكنيته أبو محمد، ومن أهم مصنفاته (السنن)، وقد اعتبره بعض المحققين من الكتب الستة، بدلاً من ابن ماجه، توفى-رحمه الله -يوم عرفة، سنة ٢٥٥هـ، ودفن فى مرو.(٤)

---

(١) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠-١٠٤)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٨٩-٩٢)، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤-١٩٦)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٣-٣٥)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٨)، وشذرات الذهب (٢/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧-٣٨٩)، وميزان الاعتدال (٥/ ١٢٤)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨)، وشذرات الذهب (٢/ ١٧٤-١٧٥) والكامل فى التاريخ لابن الأثير (٦/ ٧٥).

(٣) الكامل فى التاريخ، ووفيات الأعيان (١/ ٧٧-٧٨)، والعبر (٢/ ١٢٣-١٢٤)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٦-٣٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٣٩-٢٤١)، وتهذيب الكمال (١/ ٢٣-٢٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٩٨-٧٠١).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩-٣٢)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٩٤-٢٩٦)، وطبقات المفسرين (١/ ٢٣٥)، وشذرات الذهب (٢/ ١٣٠)، والعبر (٢/ ٨).

٥- مُحَمَّدُ بنُ نصْرٍ المَروَزِيُّ: ولد سنة٢٠٢هـ، وله قصة ذكرها الذهبى فى (تذكرة الحفاظ): عن أبى العباس البكرى، قال: «جمعت الرحلة بمصر بين ابن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر، والرويانى، فأرملوا، ولم يبق عندهم، ما يقوتهم، وجاعوا، فاجتمعوا فى بيت، واقترعوا على من خرجت عليه القرعة، يسأل. قال: فخرجت على ابن خزيمة، فقال: أمهلونى حتى أصلى، وقام، قال: فإذا هم بشمعة، وخصى من قبل أمير مصر، ففتحوا، فقال: أيكم محمد بن نصر، فقيل: هذا، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه، ثم قال: أيكم ابن جرير؟ فأعطاه مثلها، ثم كذلك بابن خزيمة، وبالرويانى، ثم حدثهم، قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس، فرأى فى النوم: إن المحامد جياع، قد طووا، فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفدت فعرِّفونى».[(١)]

٦- الإمَامُ أبُو حَاتم الرَّازِيُّ: ولد سنة ١٩٥هـ، وهو إمام فى الجرح والتعديل، وتوفى سنة ٢٧٧، وله اثنتان وثمانون سنة.[(٢)]

٧- الإمَامُ ابْنُ خُزيمَةَ: لقبه الحافظ الذهبى بـ (إمام الأئمة)، و(شيخ الإسلام)، ولد سنة ٢٢٩ هـ، وتوفى سنة ٣١١هـ ؛ واسمه أبو بكر؛ محمد بن إسحاق ابن خزيمة.[(٣)]

٨- الإمَامُ أبُو عَبْد الله؛ حُسَيْنُ بْنُ إسْمَاعيلَ المُحَاملىُّ: كان فاضلاً، صادقًا، دينًا، ثقة. ولد سنة ٢٣٦هـ، وتوفى ٣٣٠ هـ.[(٤)]

---

(١) الترجمة فى تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥-٣١٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٢-٩٤)، وطبقات الشافعية (٢/ ٢٤٦-٢٥٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٢١٦-٢١٧)، وانظر قصة المحمدين، فى تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٥٣)، وانظر: البداية والنهاية (١١/ ١٤٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٧-٢٦٣)، وتاريخ بغداد (٢/ ٧٣-٧٧)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧-٥٦٩)، وطبقات الشافعية (٢/ ٢٠٧-٢١١)، وشذرات الذهب (٢/ ١٧١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٨- ٣٠).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٨)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠- ٧٣٠)، والبداية والنهاية (١١/ ١٤٩)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٦٢-٢٦٣).

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ١٩-٢٣)، والعبر (٢/ ٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٨- ٢٦٣).

٩- **الإمَامُ إبْرَاهِيمُ الحَرْبِىُّ**: من أئمة الفقه، واللغة، والأدب . ولد سنة ١٩٨هـ، وتوفى سنة ٢٨٥ هـ .(١)

١٠- **الحَافِظُ أبُو بَكْرِ ابْنُ أبِى عَاصِمٍ**: كان ظاهرى المذهب، ولد سنة ٢٣٠ هـ، وتوفى سنة ٢٨٧ هـ، قاضى أصبهان، وصاحب المصنفات .(٢)

١١- **الإمَامُ الفَرَبْرِىّ**: وهو آخر من روى الصحيح عن إمام المحدثين، ولد سنة ٢٣١ هـ، وكان الناس يرتحلون إليه من أنحاء الدنيا؛ لأخذ صحيح البخارى عنه، توفى سنة ٣٣٠ هـ .(٣)

١٢- **الإمَامُ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَة**: كان قوى الحافظة، ومن شيوخه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وسعيد بن سليمان، وأبو نضر التمار، وغيرهم . توفى سنة ٢٩٢ هـ .(٤)

١٣- **الإمَامُ أبُو إسْحَاقَ بْنُ مَعْقِلٍ النَّسَفِىُّ**: كان يروى صحيح البخارى بسنده، فى بلاد المغرب، توفى سنة ٢٩٥ هـ .(٥)

ومن تلامذة إمام المحدثين أيضًا: أبو بكر ابن أبى الدنيا (ت ٣٠٥هـ)؛ صاحب التصانيف، وأبو بكر البزار (ت٢٩٢هـ)، صاحب التصانيف، وموسى ابن هارون الجمال، (ت ٢٩٤هـ)، ومحمد بن عبد الله المطين، (ت ٢٩٧هـ)، وأبو بشر الدولابى، (ت ٣١٠ هـ)، وغيرهم كثير من أئمة الحديث، وعلماء المسلمين -رحمهم الله أجمعين-، وجمعنا بهم فى عليين، مع الأنبياء، والشهداء، والصالحين.

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٤، ٥٨٦)، وطبقات السبكى (٢/ ٢٥٦-٢٥٧)، وشذرات الذهب (٢/ ١٩٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧)، والبداية والنهاية (١١/ ٧٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٠٢، ٢٠٣)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٩٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠، ١١)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٩٠)، وشذرات الذهب (٨٢٦).

(٤) تاريخ بغداد (٩/ ٣٢٢-٣٢٨)، والبداية والنهاية (١١/ ١٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣-٢٤).

(٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٨٦-٦٨٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٢١٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٣).

١٧- مُؤَلَّفَاتُ شَيْخِ الْمُحَدِّثِينَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ

١- «الجَامِعُ الصَّحِيحُ»:

المسمى «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ ، وسننه، وأيامه».

٢- «التَّارِيخُ الكبير»:

وهو التاريخ الذى ألفه الإمام البخارى، حينما كان فى الثامنة عشرة من عمره، وذلك فى الليالى المقمرة فى المسجد النبوى، ولما رآه إسحاق بن راهويه، فرح به، وقدمه إلى الأمير عبد الله بن طاهر الخراسانى، وقال له: «ألا أريك سحرًا». (١)

٣- «التَّارِيخُ الأَوْسَطُ»:

ولم يطبع هذا الكتاب، وانظر: «تاريخ التراث»، (١/ ٢٠٤)، لفؤاد سزكين، و(تاريخ الأدب)، لبروكلمان، (٣/ ١٧٨).

٤- «التَّارِيخُ الصَّغِيرُ»:

وهو مطبوع من رواية أبى محمد؛ زنجويه بن محمد النيسابورى، وقد ذكر فيه الإمام البخارى، مشاهير الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، وسنى وفاتهم، ونسبهم ولقاءَهم، ويذكر فى الغالب الجرح والتعديل، ورتب تأليفه على السنوات؛ فإذا انتهى من سنة، وذكر وفيات مشاهيرها، بدأ لسنة أخرى. (٢)

٥- «خَلْقُ أَفْعَالِ العباد»:

ورواه عن البخارى يوسف بن ريحان بن عبد الصمد، والعلامة الفربرى، وفيه رد على الجهمية، والمعطلة بالآيات، والأحاديث، وآثار الصحابة، والتابعين، وهو مطبوع.

٦-كِتَابُ «الضُّعَفَاءُ الصَّغِيرُ»:

وقد ذكر فيه أسماء الرواة الضعفاء، مرتبة على حروف الهجاء، ويبين غالب الأحيان أسباب الضعف، مع ذكر شيوخ الراوى، وقد روى هذا الكتاب عن البخارى

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٧).

(٢) سيرة البخارى (١٤٨، ١٤٩).

أبو بشر؛ محمد بن أحمد بن حماد الدولابى، وأبو جعفر؛ شيخ ابن سعيد، وآدم ابن موسى الخوارى، وغيرهم .

٧- «الأَدَبُ المُفْرَدُ»:

وهو يعلم أخلاق النبى ﷺ ، وآدابه، وهو مطبوع مع شرح فضل الله الجيلانى؛ باسم (فضل اللّه الصمد فى توضيح الأدب المفرد)، ط: المطبعة السلفية، ومكتبتها.

٨- «جزء رَفع اليَدَين»:

وهو من رواية محمود بن إسحاق الخزاعى، وهو مطبوع بتحقيق العلامة: أبى محمد؛ بديع الدين شاه الراشدى السندى؛ باسم (جلاء العينين بتخريج روايات البخارى، فى جزء رفع اليدين)، وفى الهامش تعليقات للشيخ: فيض الرحمن النورى، وكذلك إرشاد الحق الأثرى.

٩- «جزء القِرَاءَة خَلفَ الإمَام»:

وهى رسالة مشهورة للإمام البخارى؛ أثبت فيها القراءة خلف الإمام، ورد على أدلة المخالفين.

١٠- «كِتَابُ الكُنَى»:

ذكره أبو أحمد، وهو ينقل منه فى تصانيفه، وقد طبع فى حيدرأباد.

وله -رحمه الله- كتب أخرى، فى عداد المخطوطات، والمفقودات؛ فمن ذلك كتاب (المبسوط)، وكتاب (بر الوالدين)، وكتاب (الأشربة)، وكتاب (الوحدان)، وكتاب (الجامع الصغير فى الحديث)، وكتاب (قضايا الصحابة والتابعين)، وكتاب (الرقاق)، وكتاب (الفوائد)، و(المسند الكبير)، و(التفسيرالكبير)، وكتاب (الهبة)، وكتاب (أسامى الصحابة)، وانظر: (تاريخ التراث)، لفؤاد سزكين، و(تاريخ الأدب العربى)، لبروكلمان.

١٨- فِتْنَةُ الْبُخَارِيِّ، وَوَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الخطيب البغدادى:

أخبرنى الحسن بن محمد الأشقر، قال: أنبأنا محمد بن أبى بكر الحافظ، قال: سمعت أبا عمرو؛ أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، يقول: سمعت أبا سعيد؛ بكر ابن منير بن خليد بن عسكر، يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى، والى بخارى إلى محمد بن إسماعيل، أن احمل إلىَّ كتاب (الجامع) و(التاريخ)، وغيرهما؛ لأسمع منك، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شىء منه حاجة، فاحضرنى فى مسجدى، أو فى دارى، لم إن لم يعجبك هذا، فأنت سلطان، فامنعنى من الجلوس؛ ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة؛ لأنى لا أكتم العلم؛ لقول النبى ﷺ : «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَه، أُلجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**»[١]، قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا.[٢]

وقال الحاكم: سمعت محمد بن العباسى الضبى يقول: سمعت أبا بكر بن أبى عمرو، يقول: كان سبب مفارقة أبى عبد الله البخارى البلد؛ أن خالد بن أحمد، خليفة ابن طاهر، سأله أن يحضر منزله، فيقرأ (التاريخ)، و(الجامع) على أولاده، فامتنع من ذلك، وقال: لا يسعنى أن أخص بالسماع قومًا، دون قوم آخرين، فاستعان خالد بحريث بن أبى الورقاء، وغيره من أهل بخارى؛ حتى تكلموا فى مذهبه، فنفاه عن البلد، قال: فأما خالد؛ فلم يأت عليه أقل من شهر، حتى ورد أمر الظاهرية، بأن ينادى عليه، فنودى عليه، وهو على أتان، وأشخص على أكاف، ثم صار عاقبة أمره إلى الذل والحبس، وأما حريث بن أبى الورقاء ؛ فإنه ابتلى فى أهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان؛ فإنه ابتلى فى أولاده، فأراه الله فيهم البلايا.[٣]

---

(١) رواه الترمذى (١٠/١١٨)، العلم، وأبو داود (٣٦٤١)، العلم، وابن ماجه (٢٦٦)، المقدمة، وحسنه الترمذى، وصححه الألبانى، وقال عبد القادر الأرناؤوط، وله شاهد عند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٣٣)، وذكره الذهبى فى «سيره» (١٢/ ٤٦٤)، والحافظ فى «هدى السارى» (٥١٨).

(٣) هدى السارى (٥١٨)، وتاريخ بغداد (٢/ ٣٣، ٣٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٤-٤٦٥).

وقال ابن عدى: سمعت عبد القدوس بن عبدالجبار، يقول: خرج البخارى إلى بخرتنك؛ قرية من قرى سمرقند، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، قال: فسمعته ليلة من الليالى، وقد فرغ من صلاة الليل، يقول فى دعائه: اللهم، قد ضاقت علىَّ الأرض بما رحبت، فاقبضنى إليك، قال: فما تم الشهر، حتى قبضه الله.(١)

وقال محمد بن أبى حاتم الوراق: سمعت غالب بن جبريل -وهو الذى نزل عليه البخارى بخرتنك-، يقول: إنه أقام، فمرض، حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند، يلتمسون منه الخروج إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب، ولبس خفيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة، أو نحوها إلى الدابة؛ ليركبها، وأنا آخذٌ بعضده، قال: أرسلونى؛ فقد ضعفت، فأرسلناه، فدعا دعوات، ثم اضطجع فقضى، ثم سال منه عَرَقٌ كثير، وكان قد قال لنا: كفنونى من ثلاثة أثواب؛ ليس فيها قميص، ولا عمامة، قال: ففعلنا؛ أدرجناه فى أكفانه، وصلينا عليه، ووضعناه فى حفرته، وفاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أيامًا، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أيامًا، يأخذون من ترابه، إلى أن جعلنا عليه مشبكًا.(٢)

وروى الخطيب البغدادى: عن عبدالواحد بن آدم الطواويسى، قال: رأيت النبى ﷺ، فى النوم، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وهو واقفٌ فى موضع -ذكره- فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد ابن إسماعيل البخارى، فلما كان بعد أيام، بلغنى موته، فنظرنا؛ فإذا هو قد مات فى الساعة التى رأيت النبى ﷺ فيها.(٣)

---

(١) هدى السارى (٥١٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٦)، وتاريخ بغداد (٢/ ٣٤).

(٢) هدى السارى (٥١٨)، وذكره الذهبى فى السير مع زيادات، ولاشك أن أخذ التراب تبركاً لا يجوز فلا يتبرك بأحد بعد رسول الله ﷺ.

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٣٤)، وذكره الحافظ فى هدى السارى (٥١٨)، والذهبى فى سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٨).

قال الحافظ الذهبى: قال ابن عدى: سمعت الحسن بن الحسين البزاز البخارى، يقول: توفى البخارى ليلة السبت، ليلة الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر، بعد صلاة الظهر، سنة ست وخمسين ومئتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يومًا.(1)

قال الشيخ عبدالسلام المباركفورى:

وهكذا غربت تلك الشمس، التى أنارت الدنيا بضيائها الباهر، وورى التراب حامل العلوم النبوية، وخادم أحاديث الرسول ﷺ، الذى أثقل كواهل أهل الدنيا، بإحسانه العظيم إليهم، نعم، قد واره التراب؛ وكأن الدنيا قد أظلمت، وما أحسن ما نظمه بعض الشعراء، مبيناً تاريخ ميلاده، ووفاته، ومدة حياته؛ فقال:

كَانَ الْبُخَارِى حَافِظاً وَمُحَدِّثاً ... جَمَعَ الصَّحِيحَ مُكَمِّلَ التَّحْرِير

مِيلَادُهُ صِدْقٌ وَمُدَّةُ عُمْرِه ... فِيهَا حَمِيدٌ وَانْقَضَى فِي نُور(2)

١٩٤ ٦٢ ٢٥٦

انتهى بحمد اللّه تَعَالَى، ما تيسر لنا جمعه، فى ترجمة هذا الإمام الهمام، والله أسال أن يعم نفعه، وصلى اللّه وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

---

(1) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٨)، وانظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٨)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٩٠).

(2) سيرة الإمام البخارى (١٠٤).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣٥)

مُسْلِمُ بْنُ حَجَّاجٍ النَّيْسَابُورِيّ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرْدِ بن كَوشاذ القشيرى النيسابورى، وكنيته أبو الحسين، الإمام الكبير الحافظ المجوِّدُ الحجة الصادق.

مَولدُهُ: قال الذهبى: ولد سنة أربع ومئتين، وما أظنهُ إلا ولد قبل ذلك.(١)

صِفَتهُ: قال الحاكم: سمعت أبا عبد الرحمن السلَمِىُ يقول: رأيت شيخاً حسن الوجه والثياب، وعليه رداء حسن، وعمامة قد أرخاها بين كتفيه، فقيل: هذا مسلم، فتقدم أصحاب السلطان، فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين، أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين فقدموه فى الجامع، فكبر وصلى بالناس.(٢)

وقال الحاكم كذلك: وسمعت أبى يقول: رأيت مسلم بن الحجاج يحدث فى خان محمش، فكان تام القامة، أبيض الرأس واللحية، يرخى طرف عمامته بين كتفيه.(٣)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن أحمد بن سلمة، قال: رأيت أبا زرعة، وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج، فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما.(٤)

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٠/١٨٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٦٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٠).
(٤) تاريخ بغداد (١٣/١٠١).

وعن الحسين بن منصور، قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلى، وذكر مسلم ابن الحجاج، فقال: مراد كابن بوذ. قال المنكدرى: وتفسيره: أى رجلٍ كان هذا.[1]

وقال أبو عمرو؛ أحمد بن المبارك: سمعت إسحاق بن منصور، يقول لمسلم بن الحجاج: لن نعدم الخير، ما أبقاك الله للمسلمين.[2]

وقال عبدالرحمن بن أبى حاتم: كان ثقة من الحفاظ، كتبت عنه بالرى، وسئل أبى عنه، فقال: صدوق.[3]

وقال أبو قريش الحافظ: سمعت محمد بن بشار، يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالرَّىِّ، ومسلم بنيسابور، وعبد الله الدارمى بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

وقال أبو عمرو ابن حمدان: سألت ابن عقدة الحافظ، عن البخارى ومسلم؛ أيهما أعلم؟ فقال: كان محمد عالماً، ومسلم عالمًا. فكررت عليه مرارًا، ثم قال: يا أبا عمرو، قد يقع لمحمد بن إسماعيل الغلط، فى أهل الشام؛ وذلك أنه أخذ كتبهم، فنظر فيها، فربما ذكر الواحد منهم بكنيته، ويذكره فى موضع آخر باسمه، ويتوهم أنهما اثنان، وأما مسلم؛ فَقَلَّ ما يقع له من الغلط فى العلل؛ لأنه كتب المسانيد، ولم يكتب المقاطيع، ولا المراسيل.

وقوله (المسانيد)؛ أى الأحاديث المسندة؛ وذلك لأن البخارى -رحمه الله- أكثر فى صحيحه من المقاطيعَ، والموقوفات، والأحاديث المعلقة؛ وذلك لأن البخارى -رحمه الله- قصد مع تجريد الصحيح استنباط الأحكام الفقهية، والنكت الحُكمية، أما مسلم -رحمه الله-؛ فقصد جمع جملة أحاديث صحيحة؛ لتكون مرجع الناس، فقسم كتابه إلى كتب، ولم يقسم كل كتاب إلى أبواب؛ فالبخارى -رحمه الله-، كان يستأنس بالموقوفات، والمقطوعات، والمعلقات لما يذهب إليه من آراء فقهية - فرحم الله الجميع.

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢).
(٢) تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٨٤).
(٣) تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٨٥).

وقال أبو عبد الله؛ محمد بن يعقوب بن الأخرم: إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال: محمد بن يحيى الذهلى، ومسلم بن الحجاج، وإبراهيم بن أبى طالب.[1]

وقال النووى - رحمه الله -: وأجمعوا على جلالته، وإمامته، وعلو مرتبته فى هذه الصنعة، وتقدمه فيها، وتضلعه منها، ومن أكبر الدلائل على جلالته، وإمامته، وورعه، وحذقه، وقعوده فى علوم الحديث، واضطلاعه منها، وتفننه فيها؛ كتابه (الصحيح)، الذى لم يوجد فى كتاب قبله، ولا بعده من حسن الترتيب، وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة، ولا نقصان، إلى أن قال -رحمه الله:

واعلم أن مسلمًا -رحمه الله-، أحد أعلام أئمة هذا الشأن، وكبار المبرزين فيه، وأهل الحفظ والإتقان، والرحالين فى طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف، عند أهل الحذق والعرفان، والمرجوع إلى كتابه، والمعتمد عليه فى كل الأزمان.[2]

ونقل أبو عبد الله الحاكم أن محمد بن عبدالوهاب الفرَّاء، قال: كان مسلم بن الحجاج، من علماء الناس، ومن أوعية العلم.[3]

وقال الحافظ: ثقة، حافظ، إمام، مصنف.[4]

٣- أهمِّيَّةُ صَحِيحِهِ الْجَامِع

قَالَ النَّوَوِى -رَحِمَهُ الله-: ومن حقق نظرَه فى صحيح مسلم -رحمه الله-، واطلع على ما أودعه فى إسناده، وترتيبه، وحسن سياقه، وبديع طريقه: من نفائس التحقيق، وجواهر التدقيق، وأنواع الورع، والاحتياط، والتحرى فى الروايات، وتلخيص الطرق واختصارها، وضبط متفرقها وانتشارها، وكثرة

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٥)، وتاريخ الذهبي (٢٠/ ١٩٥).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٩٠، ٩١)، ونقله أيضاً في مقدمة شرح صحيح مسلم (١/ ١٠)، باختصار.
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٩).
(٤) تقريب التهذيب (٥٢٩)، ترجمة رقم (٦٦٢٣)، ط. دار الرشيد بتحقيق/ عوامة.

اطلاعه، واتساع روايته، وغير ذلك مما فيه من المحاسن، والأعجوبات، واللطائف الظاهرات، والخفيات، علم أنه إمامٌ لا يلحقه مَنْ بعد عصره، وقلَّ من يساويه، بل يدانيه من أهل دَهْرِهِ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.(١)

وَقَالَ الحافظ -رَحِمَهُ الله-: حصل لمسلم فى كتابه حظٌّ، عظيمٌ، مفرط، لم يحصل لأحد مثله؛ بحيث إن بعض الناس، كان يفضله على صحيح محمد بن إسماعيل، وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هى، من غير تقطيع، ولا رواية بمعنى، وقد نسج على منواله خلق من النيسابوريين، فلم يبلغوا شأوه، فسبحان المعطى الوهَّاب!!(٢)

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ الله- فِي تَرْجَمَةِ الإِمَامِ مُسْلِم: صاحب الصحيح، الذى هو تلو صحيح البخارى، عند أكثر العلماء، وذهبت المغاربة، وأبو على النيسابورى، إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخارى، فإن أرادوا تقديمه عليه، فى كونه ليس فيه شىءٌ من التعليقات إلا القليل، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد، ولا يقطعها كتقطيع البخارى لها فى الأبواب، فهذا القدر لا يوازى قوة أسانيد البخارى، واختياره فى (الصحيح)، لها على ما أورده فى (جامعه) معاصرة الراوى لشيخه، وسماعه منه.(٣)

وقال الذهبى -رحمه الله-: ليس فى (صحيح) مسلم من العوالى، إلا ما قَلَّ؛ كالقعنبى عن أفلح بن حميد، ثم حديث حماد بن سلمة، وهمام، ومالك، والليث، وليس فى الكتاب حديث عالٍ لشعبة، ولا للثورى، ولا لإسرائيل، وهو كتاب نفيس، كامل فى معناه، فلما رآه الحفاظ، أعجبوا به، ولم يسمعوه؛ لنزوله، فعمدوا إلى أحاديث الكتاب، فساقوها من مروياتهم، عالية بدرجة أو درجتين ونحو ذلك، حتى أتوا على الجميع هكذا، وسموه (المستخرج على صحيح مسلم)، فعل ذلك

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٩١، ٩٢)، ومقدمة صحيح مسلم (٨/ ١١).
(٢) تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٤). (٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٣).

عِدَّة من فرسان الحديث؛ منهم أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء، وأبو عوانة؛ يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، وزاد في كتابه متونًا معروفة، بعضها لين، والزاهد أبو جعفر؛ أحمد بن حمدان الحيرى، وأبو الوليد؛ حسان بن محمد الفقيه، وأبو حامد؛ أحمد بن محمد الشاركى الهروى، وأبو بكر؛ محمد بن عبدالله بن زكريا الجوزقى، والإمام أبو على الماسرجسى، وآخرون لا يحضرنى ذكرهم الآن.(١)

وقال الحافظ؛ أبو القاسم ابن عساكر، فى أول (الأطراف)، له بعد أن ذكر (صحيح البخارى)، ثم سلك سبيله مسلم بن الحجاج، فأخذ فى تخريج كتابه وتأليفه، وترتيبه على قسمين، وتصنيفه، وقصد أن يذكر فى القسم الأول أحاديث أهل الإتقان، وفى القسم الثانى أحاديث أهل الترو والصدق؛ الذين لم يبلغوا درجة المتثبتين، فحالت المنية بَيْنَهُ، وبين هذه الأمنية، فمات قبل استتمام كتابه، غير أن كتابه مع إعوازه اشتهر، وانتشر.(٢)

وقال الحاكم: أراد مسلم أن يخرج الصحيح، على ثلاثة أقسام، وعلى ثلاث طبقات من الرواة، وقد ذكر هذا فى صدر خُطْبَته، فلم يُقدَّر له إلا الفراغ من الطبقة الأولى، ومات، ثم ذكر الحاكم مقالة، هى مجرد دعوى، فقال: إنه لا يذكر من الأحاديث إلا ما رواه صحابى مشهور، له راويان ثقتان فأكثر، ثم يرويه عنه أيضًا، راويان ثقتان فأكثر، ثم كذلك من بعدهم، فقال أبو على الجيانى: المرادُ بهذا أن هذا الصحابى، أو هذا التابعى، قد روى عنه رجلان خرج بهما عن حَدِّ الجهالة.

قَالَ الْقَاضِى عياض: والذى تأوله الحاكم على مسلم من اخترام المنية له قبل استيفاء غرضه، إلا فى الطبقة الأولى؛ فأنا أقول: إنك إذا نظرت فى تقسيم مسلم فى كتابه الحديث على ثلاث طبقات من الناس، على غير تكرار؛ فذكر أن القسم الأول حديث الحفاظ، ثم قال: انقضى هذا، أتبعه بأحاديث من لم يوصف بالحذق والإتقان، وذكر أنهم لاحقون بالطبقة الأولى؛ فهؤلاء مذكورون فى كتابه لمن تدبر

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٦٩، ٥٧٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٧٣، ٥٧٤).

الأبواب، والطبقة الثالثة: قوم تكلم فيهم قومٌ، وزكاهم آخرون؛ فخرج حديثهم عمن ضُعِّفَ، أو اتُّهِمَ ببدعة، وكذلك فعل البخارى.

ثم قال القاضى عياض: فعندى أنه أتى بطبقاته الثلاث فى كتابه، وطرح الطبقة الرابعة.

قال الذهبى: بل خرج أحاديث الطبقة الأولى، وحديث الثانية، إلا النَّزْرَ القليل، مما يستنكره لأهل الطبقة الثانية، ثم خرج لأهل الطبقة الثالثة أحاديث، ليست بالكثيرة فى الشواهد والاعتبارات، والمتابعات، وَقَلَّ أن خَرَّجَ لهم فى الأصول شيئًا، ولو استوعبت أحاديث أهل هذه الطبقة فى (الصحيح)؛ لجاء الكتاب فى حجم ما هو مرة أخرى، ولنزل كتابه بذلك الاستيعاب عن رتبة الصحة؛ وهم كعطاء بن السائب، وليث، ويزيد بن أبى زياد، وأبان بن صمعة، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن عمرو ابن علقمة، وطائفة أمثالهم، فلم يخرج لهم إلا الحديث بعد الحديث، إذا كان له أصل، وإنما يسوق أحاديث هؤلاء، ويكثر منها أحمد فى مسنده، وأبو داود، والنسائى، وغيرهم ؛ فإذا انحطوا إلى إخراج أحاديث الضعفاء، الذين هم أهل الطبقة الرابعة، اختاروا منها، ولم يستوعبوها على حسب آرائهم، واجتهاداتهم فى ذلك.

وأما أهل الطبقة الخامسة؛ كمن أجمع على اطّراحه، وتركه؛ لعدم فهمه وضبطه، أو لكونه متهمًا؛ فيندر أن يخرج لهم أحمد والنسائى، ويورد لهم أبو عيسى، فيبينه بحسب اجتهاده، لكنه قليل، ويورد لهم ابن ماجه أحاديث قليلة، ولا يبين، والله أعلم، وقَلَّ ما يورد منها أبو داود؛ فإن أورد بَيَّنَهُ فى غالب الأوقات.

وأما أهل الطبقة السادسة؛ كغلاة الرافضة، والجهمية الدعاة، وكالكذابين والوضاعين، وكالمتروكين المتهوكين؛ كعمر بن الصباح، ومحمد المصلوب، ونوح ابن أبى مريم، وأحمد الجويبارى، وأبى حذيفة البخارى، فما لهم فى الكتب حرف، ما عدا عمر؛ فإن ابن ماجه خَرَّجَ له حديثًا واحدًا، فلم يصب، وكذا خَرَّجَ ابن ماجه للواقدى حديثًا واحدًا، فدَلَّسَ اسمه وأبهمه.(١)

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٤-٥٧٦).

وقال النووى: ومما جاء فى فضل صحيح مسلم، ما بلغنا عن مكى بن عبدان؛ حافظ نيسابور، أن قال: سمعت مسلم بن الحجاج -رحمه اللّه-، يقول: لو أن أهل الحديث يكتبون مئتى سنة الحديث، فمدارهم على هذا المسند؛ يعنى صحيحه.

قال: وسمعت مسلمًا يقول: عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى، فكل ما أشار أن له علة تركته، وكل ما قال إنه صحيح، وليس له علة خرجته.

وذكر غيره ما رواه الحافظ؛ أبو بكر الخطيب البغدادى، بإسناده عن مسلم -رحمه اللّه- قال: «صنفت هذا المسند الصحيح عن ثلاثمائة ألف حديث، مسموعة».[١]

٤ - دِقَّتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَشِدَّةُ تَحَرِّيهِ فِي الصَّحِيحِ الْجَامِعِ

قال النووى -رحمه الله- ما ملخصه: سلك مسلم -رحمه الله- فى صحيحه طُرُقًا بالغة فى الاحتياط، والإتقان، والورع، والمعرفة، وذلك مصرح بكمال ورعه، وتمام معرفته، وغزارة علومه، وشدة تحقيقه بحفظه، وتعقده فى هذا الشأن، وتمكنه من أنواع معارفه، وتبريزه فى صناعته، وعلو محله فى التمييز بين دقائق علومه، لا يهتدى إليها إلا أفراد فى الأعصار، فرحمه الله، ورضى عنه، وأنا أذكر أحرفًا من أمثلة ذلك؛ تنبيهًا بها على ما سواها، إذًا لا يعرف حقيقة حاله، إلا من أحسن النظر فى كتابه، مع كمال أهليته، ومعرفته بأنواع العلوم، التى يفتقر إليها صاحب هذه الصناعة؛ كالفقه، والأصوليين والعربية، وأسماء الرجال، ودقائق علم الأسانيد، والتاريخ، ومعاشرة أهل هذه الصنعة، ومباحثتهم، ومع حسن الفكر، ونباهة الذهن، ومداومة الاشتغال به، وغير ذلك من الأدوات التى يفتقر إليها.

فمن تحرى مسلم -رحمه اللّه- اعتناؤه بالتمييز بين (حدثنا) و (أخبرنا)، وتقييده ذلك على مشايخه، وفى روايته، وكان من مذهبه -رحمه الله- الفرق

(١) مقدمة شرح النووى لصحيح مسلم (١/ ٣٤)، ط. قرطبة.

بينهما، وأن (حدثنا) لا يجوز إطلاقه، إلا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة، وأخبرنا لما قُرِئَ على الشيخ، وهذا الفرق هو مذهب الشافعى، وجمهور أهل العلم بالمشرق .

ومن ذلك اعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة؛ كقوله: حدثنا فلان، وفلان، واللفظ لفلان، قال: أو قالا: حدثنا فلان، وكما إذا بينهما اختلاف فى حرف من متن الحديث، أو صفة الراوى، أو نَسَبِهِ، أو نحو ذلك؛ فإنه يبينه، وربما كان بَعضُهُ لا يتغير به معنى، وربما كان فى بعضه اختلاف فى المعنى، ولكن كان خفيًا، لا يتفطن له إلا ماهر فى العلوم، التى ذكرتها فى أول الفصْلِ، مع اطلاع على دقائق الفقه، ومذاهب الفقهاء.

ومن ذلك تحريه فى رواية صحيفة همام بن منبه، عن أبى هريرة؛ كقوله: حدثنا محمد بن رافع، قال: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة، عن محمد رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث منها، وقال رسول اللّه ﷺ : «**إِذَا توضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنْشِقْ**» الحديث.

ومن ذلك تحريه فى قوله: حدثنا عبدالله؛ مسلمة، حدثنا سليمان -يعنى ابن بلال عن يحيى، وهو ابن سعيد، فلم يستجز ﷺ:[1] سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد؛ لكونه لم يقع فى روايته منسوبًا، فلو قاله منسوبًا، لكان مخبرًا عن شيخه أنه أخبره بنسبه.

من ذلك احتياطه فى تلخيص الطرق، وتحول الأسانيد، مع إيجاز العبارة، وكمال حسنها،ومن ذلك حسن ترتيبه ،وترصيفه الأحاديث على نسقٍ يقتضيه تحقيقه، وكمال معرفته بمواقع الخطاب، ودقائق العلم، وأصول القواعد، وخفيات علم الأسانيد، ومراتب الرواة، وغير ذلك.[2]

---

(١) الأولى أن يقول -رحمه الله-، ويقتصر الترضي على الصحابة.

(٢) باختصار من مقدمة الإمام النووى، لشرح صحيح مسلم (١/ ٤٣، ٤٤).

٥ - الجَوَابُ عَلَى مَنْ عَابَ عَلَى مُسْلِمٍ إِخْرَاجَهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِيهِمْ بِالضَّعْفِ

قال النووى -رحمه الله- ما ملخصه: أعاب عائبون مسلمًا بروايته فى صحيحه، عن جماعة من الضعفاء، والمتوسطين، الواقعين فى الطبقة الثانية، الذين ليسوا من شرط الصحيح؛ ولا عيب عليه فى ذلك، بل جوابه من أوجه؛ ذكرها الشيخ الإمام أبو عمرو ابن الصلاح . . رحمه الله:

إحداها: أن يكون ذلك فيمن هو ضعيف عند غيره، ثقة عنده، ولا يقال الجرح مقدم على التعديل؛ لأن ذلك فِيمَا إِذا كان الجرح ثابتًا، مفسر السبب، وإلا فلا يقبل الجرح، إذا لم يكن كذا.

وقد قال الإِمَام الحافظ أبو بكر؛ أحمد بن على بن ثابت، الخطيب البغدادى وغيره: ما احتج البخارى، ومسلم، وأبو داود، به من جماعة، عُلِمَ الطعن فيهم من غيرهم، محمول على أنه لم يثبت الطعن المؤثر مُفَسَّرَ السبب .

الثَّانى: أن يكون ذلك واقعاً فى المتابعات، والشواهد لا فى الأصول؛ وذلك بأن يذكر الحديث أولاً، بإسناد نظيف رجاله ثقات، ويجعله أصلاً، ثم يتبعه بإسناد آخر، أو أسانيد فيها بعض الضعفاء، على وجه التأكيد بالمتابعة، أو لزيادة فيه، تنبه على فائدة فيما قدمه .

الثَّالثُ: أن يكون ضعف الضعيف الذى احتج به، طرأ بعد أخذه عنه باختلاط حدث عليه، فهو غير قادح، فيما رواه من قبل فى زمن استقامته؛ كما فى أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب؛ ابن أخى عبد الله بن وهب؛ فذكر الحاكم أبو عبد الله أنه اختلط بعد الخمسين ومئتين، بعد خروج مسلم من مصر، فهو فى ذلك؛ كسعيد بن أبى عروبة، وعبد الرزاق وغيرهما، ممن اختلط آخراً، ولم يمنع ذلك من صحة الاحتجاج بما أخذ عنهم قبل ذلك .

الرَّابِعُ: أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده، وهو عنده من رواية الثقات نازل، فيقتصر على العالى، ولا يطول بإضافة النازل إليه، مكتفيًا بمعرفة أهل الشأن فى ذلك.[1]

٦ - بَيْنَ صَحِيحِ الـبُخَارِيِّ، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ

قال النووى-رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: اتفق العلماء -رحمهم الله- على أن أصح الكتب، بعد القرآن العزيز (الصحيحان)، البخارى ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخارى أصحهما، وأكثرهما فوائد، ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلمًا كان ممن يستفيد من البخارى، ويعترف بأنه ليس له نظير فى علم الحديث، وهذا الذى ذكرناه من ترجيح كتاب البخارى، هو المذهب المختار، الذى قاله الجماهير، وأهل الإتقان والحذق، والغوص على أسرار الحديث، وقال أبو على الحسين بن على النيسابورى، الحافظ، شيخ الحاكم أبى عبد الله ابن الربيع: كتاب مسلم أصح، ووافقه بعض شيوخ المغرب، والصحيح الأول، وقد قرر الإمام الحافظ الفقيه النَّظَّار؛ أبو بكر الإسماعيلى-رحمه الله- فى كتابه (المدخل)، ترجيح كتاب البخارى، وروينا عن الإمام أبى عبد الرحمن النسائى -رحمه الله- أنه قال: ما فى هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخارى.

قال النووى: ومن أخصر ما ترجح به اتفاق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم، وأعلم بصناعة الحديث منه، وقد انتخب علمه عليه، ولخَّص ما ارتَضَاهُ فى هذا الكتاب، وبقى فى تهذيبه، وانتقائه ست عشرة سنة، وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة.

وممَّا ترجح به كتاب البخارى؛ أن مسلمًا -رحمه الله- كان مذهبه، بل نقل الإجماع فى أول «صحيحه» أن الإسناد المعَنْعَن له حكم الموصول بـ: سمعت بمجرد كون المعَنْعَن عنه كانا فى عصر واحد، وإن لم يثبت اجتماعهما، والبخارى لا يحمله على الاتصال، حتى يثبت اجتماعهما، وهذا المذهب يرجح كتاب البخارى.

---

(١) مقدمة الإمام النووى لشرح صحيح مسلم (١/ ٤٧، ٤٨).

وقد انفــرد مسلم بفائدة حــسنة؛ وهي كونه أسهل تناولاً؛ من حــيث إنه جعل لكل حديثٍ موضعاً واحدًا يليق به، جمع فيه طرقه التي ارتضاها، واختار ذكرها، وأورد فيــه أسانيــده المتعــددة، وألفاظه المخــتلفة، فــيســهل على الطالب النظر في وجوهه، واستثمارها، ويحصل له الثقة، بجميع ما أورده مسلم من طرقه، بخلاف البخاري؛ فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة، في أبواب متفــرقة متباعدة، وكثير منها يذكره في غــير بابه، الذي يسـبق إلى الفهم أنه أولى به، وذلك لدقــيقة يــفهمــها البخاري منه، فيــصعب على الطالب جمع طرقه، وحصول الثقة بجــميع ما ذكره البخاري من طرق هذا الحديث.(١)

وقال السيوطي -رحمه الله- في تفسير قول النووي -رحمه الله-، في «التقريب»: والبخــاري أصحهمــا، وأكثرهمــا فوائد، وقيل: مــسلم أصح؛ والصواب الأول، وعليه الجمهور؛ لأنه أشد اتصالاً، وأتقن رجالاً، وبيان ذلك من وجوه:

أَحَدُهَا: أن الذين انفرد البخاري بالإخراج، دون مــسلم، أربعمائة وبضعة وثلاثون رجلاً، المتكلم فيهم بالضعف منهم، ثمــانون رجلاً، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمئة وعشرين؛ المتكلم فيهم بالضعف منهم مئة وستون.

ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيــه أصلاً، أولى من التخريج عمن تكلم فيه، وإن لم يكن ذلك الكلام قادحاً.

ثَانِيهَا: أن الذين انفــرد بهم البــخاري، ممن تكلم فــيه، لــم يكثر من تخــريج أحاديثهم، وليس لواحدٍ منهم نسخة كثيــرة، أخرجها كلها، أو أكثرها، إلا ترجمة عكرمة عن ابن عباس، بخلاف مسلم؛ فإنه أخرج، أو أكثر تلك؛ كأبي الزبير عن جابر، وسهيل عن أبــيه، والعلاء بن عبدالرحمن عن أبيه، وحــماد بن سلمة عن ثابت، وغير ذلك.

ثَالِثهَا: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيهم، أكثرهم من شيوخه، الذين

---

(١) تدريب الراوي (١/ ٩١-٩٣).

لقيهم، وجالسهم، وعرف أحوالهم، واطلع على أحاديثهم، وعرف جيدها من غيره، بخلاف مسلم؛ فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه، ممن تكلم فيه، ممن تقدم عن عصره من التابعين، فمن بعدهم، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه، ممن تقدم عنهم.

رَابِعُهَا: أن البخارى يخرج من الطبقة الأولى البالغة فى الحفظ والإتقان، ويخرج عن طَبقة تليها فى التثبت، وطوال الملازمة اتصالاً وتعليقًا، ومسلم يخرج عن هذه الطبقة أصولاً؛ كما قرره الحازمى.

خَامِسُهَا: أن مسلماً يرى أن للمعنعن حكم الاتصال، إذا تعاصرا، وإن لم يثبت اللقى، والبخارى لا يرى ذلك، حتى يثبت؛ كما سيأتى، وربما أخرج الحديث، الذى لا تعلق له بالباب أصلاً؛ إلا ليبين سماع راوٍ من شيخه لكونه أخرج له قبل ذلك معنعنًا.

سَادِسُهَا: أن الأحاديث التى انتقدت عليهما نحو مئتى حديث، وعشرة أحاديث؛ كما سيأتى أيضًا، اختص البخارى منها بأقل من ثمانين، ولا شك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر.

وقال المصنف فى شرح البخارى: من أخص ما يرجح به كتاب البخارى، اتفاق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم، وأصدق بمعرفة الحديث، ودقائقه، وقد انتخب علمه، ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب.

وقال شيخ الإسلام: اتفق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم فى العلوم، وأعرف بصناعة الحديث، وأن مسلمًا تلميذه وخريجه، ولم يزل يستفيد منه، ويتبع آثاره، حتى قال الدارقطنى: لولا البخارى ما راح مسلم، ولا جاء.[1] ونختم هذا الفصل بقول بعضهم:

---

(١) نقلاً عن مقدمة خلاصة القول المفهم على تراجم رجال جامع الإمام مسلم (١/ ١٤)، لمحمد الأثيوبي.

تَشَاجَرَ قَوْمٌ فى البُخَارِي وَمُسْلِمٍ لأيِّهِمَا في الفَضْلِ كَانَ التَّقَدُّمُ
فَقُلْتُ لَقَدْ فَاقَ البُخَارِيُّ صِحَّةً كَمَا فَاقَ في حُسْنِ الصِّنَاعَةِ مُسْلِمُ(١)

٧- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الخطيب البغدادى-رحمه الله-: رحل إلى العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وسمع يحيى بن يحيى النيسابورى، وقتيبة بن سعيد، وإسحاق ابن راهويه، ومحمد بن عمرو زنيجًا، ومحمد بن مهران الجمال، وإبراهيم بن موسى الفراء، وعلى بن الجعد، وأحمد بن حنبل، وعبيد الله القواريرى، وخلف ابن هشام، وسريج بن يونس، وعبد الله بن مسلمة القعنبى، وأبا الربيع الزهرانى، وعبيد الله بن معاذ، وعمر بن حفص بن غياث، وعمرو بن طلحة القنادة، ومالك ابن إسماعيل النهدى، وأحمد بن يونس، وأحمد بن جواس، وإسماعيل بن أبى أويس، وإبراهيم بن المنذر، وأبا مصعب الزهرى، وسعيد بن منصور، ومحمد ابن رمح، وحرملة بن يحيى، وعمرو بن سواد، وغيرهم.(٢)

وذكر المزى في تهذيب الكمال، مئتين وأربعة وعشرين شيخًا؛ (تهذيب الكمال)، (٢٧/ ٤٩٩-٥٠٤).

تَلامذَتُهُ: قالَ الذهبى-رحمه الله-: روى عنه الترمذى حديثًا واحدًا فى جامعه، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء، وعلى بن الحسن بن أبى عيسى الهلالى، وهما أكبر منه، وصالح بن محمد جزرة، وأحمد بن مسلمة، وأحمد بن المبارك المستملى؛ وهم من أقرانه، وإبراهيم بن أبى طالب، والحسين بن محمد القبانى، وعلى بن الحسين بن الجنيد الرازى، وابن خزيمة، وأبو العباس السراج، وابن صاعد، وأبو حامد ابن الشرقى، وأبو عوانة الإسفرائينى، وأبو حامد؛ أحمد بن حمدون الأعمش، وسعيد بن عمرو البرذعى، وعبد الرحمن بن أبى حاتم، ونصرك بن أحمد بن نصر الحافظ، وأحمد بن على بن الحسين القلانسى، وإبراهيم

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠، ١٠١).
(٢) تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٨٣، ١٨٤).

ابن محمد، وسفيان الفقيه، وأبو بكر محمد بن النضر الجارودى، ومكى بن عبدان، ومحمد بن مخلد العطار، وخلق آخرهم وفاة أبو حامد؛ أحمد بن على بن حسنويه المقرئ، أحد الضعفاء[1]. وانظر: (تهذيب الكمال)، (٢٧/ ٥٠٤-٥٠٥).

٨ - آثَارُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال النووى -رحمه الله-: صنف مسلم -رحمه الله- فى علم الحديث كتبًا كثيرة، منها هذا الكتاب الصحيح، الذى منَّ الله الكريم، وله الحمد والنعمة، والفضل، والمنة به على المسلمين، أبقى لمسلم به ذكرًا جميلاً، وثناءً حسنًا، إلى يوم الدين، مع ما أعد له من الأجر الجزيل فى دار القرار، وعم نفعه المسلمين قاطبة، ومنها الكتاب المسند الكبير على أسماء الرجال، وكتاب «الجامع الكبير على الأبواب»، وكتاب «العلل»، وكتاب «أوهام المحدثين»، وكتاب «التمييز»، وكتاب «من ليس له إلا راوٍ واحد»، وكتاب «طبقات التابعين»، وكتاب «المخضرمين»، وغير ذلك.[2]

وذكر فؤاد سزكين له -رحمه الله-، فى «تاريخ التراث»؛ كتاب «الكنى والأسماء»، وكتاب «المنفردات والوحدات»، ولعله الذى أشار إليه النووى بـ «كتاب من ليس له إلا راوٍ واحد».

وكتاب (الطبقات) يتناول فيه معاصرى الرسول ﷺ، الذين رأوه ورووا عنه، والذين شاهدوه فقط، ولم يرووا عنه.

ورجال عروة بن الزبير، وكتاب «التمييز»[3]، وقد تقدم فى كلام النووى -رحمه الله-.

وزاد الذهبى فى «السير» على ما ذكر: كتاب «الأقران»، وكتاب «سؤالات أحمد بن حنبل»، وكتاب «عمرو بن شعيب»، وكتاب «الانتفاع بأهب السباع»،

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٨٣، ١٨٤). (٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٩١).
(٣) تاريخ التراث (٢/ ٢٢٢).

وكتاب «مشايخ مالك»، وكتاب «مشايخ الثورى»، وكتاب «مشايخ شعبة»، وكتاب «أفراد الشاميين». [(١)]

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الذهبى -رحمه الله-:

توفى مسلم فى شهر رجب، سنة إحدى وستين ومئتين، بنيسابور، عن بضع وخمسين سنة.

وقد ورد فى سبب وفاته قصة، ذكرها الخطيب فى «تاريخه»، عن أحمد بن سلمة، قال: وعقد لمسلم مجلس المذاكرة، فذكر له حديث لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقد السراج، وقال لمن فى الدار: لا يدخل أحد منكم، فقيل له: أهْدِيَت لنا سَلَّةُ تمر، فقال: قدموها، فقدموها إليه، فكان يطلب الحديث، ويأخذ تمرة تمرة، فأصبح، وقد فنى التمر، ووجد الحديث.

رواها أبو عبد اللّه الحاكم، ثم قال: زادنى الثقة من أصحابنا، أنه منها مات. [(٢)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٧٩).

(٢) الجرح والتعديل (٤/١٠٢).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣٦)

أَبُو دَاودَ السِّجِسْتَانِيُّ
سُلَيْمَانُ بْنُ الأَشْعَث، صَاحِبُ السُّنَن

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر، كذا قال عبد الرحمن ابن أبى حاتم.(١) وقال الخطيب: ابن عمرو بن عمران، وقيل إن جده عمران ممن قتل مع علىّ بصفين.

مَولِدُهُ: قال الذهبى: ولد سنة اثنتين ومئتين، ورحل وجمع وصنَّفَ وبرع فى هذا الشأن.

وقال أبو عبيد الآجرى: سمعته يقول: ولدت سنة اثنتين، وصليت على عفَّان سنة عشرين، ودخلت البصرة، وهم يقولون: أمس مات عثمان بن الهيثم المؤذن، فسمعت من أبى عمر الضرير مجلسًا واحدًا.(٢)

صِفَتُهُ: عن إبراهيم بن علقمة، قال: كان عبد الله يشَبَّهُ بالنبى ﷺ، فى هديه، ودَله، وكان علقمة يشبه بعبد الله، وقال جرير بن عبد الحميد: كان إبراهيم يشبه بعلقمة، وكان منصور يشبه بإبراهيم، وقال غير جرير: كان سفيان يشبه بمنصور، وقال عمر بن أحمد، وقال أبو على القوهستانى: كان وكيع يشبه بسفيان، وكان أحمد بن حنبل يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل.(٣)

---

(١) الجرح والتعديل (٤/ ١٠٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٤).
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٥٨).

وعن محمد بن بكر بن عبد الرازق -فى كتابه-، قال: كان لأبى داود السجستانى كمٌّ واسعٌ، وكمٌّ ضيِّقٌ، فقيل له: يرحمك الله، ما هذا؟ قال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه.(١)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال أبو بكر الخلال: أبو داود الإمام المقدم فى زمانه، رجلٌ لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعه أحدٌ فى زمانه، رجلٌ ورِعٌ مقدَّمٌ، وسمع أحمد بن حنبل منه حديثاً واحدًا، كان أبو داود يذاكره، وكان إبراهيم الأصبهانى، وأبو بكر ابن صدقة، يرفعون من قدره، ويذكرونه بما لا يذكرون أحدًا فى زمانه مثله.(٢)

وقال أحمد بن محمد بن ياسين الهروى: كان أحد حفاظ الإسلام، لحديث رسول الله ﷺ، وعلمه، وعلله، وسنده، فى أعلى درجة النسك، والعفاف، والصلاة، والورع، من فرسان الحديث. (٣)

وقال الحافظ موسى بن هارون: خُلِقَ أبو داود فى الدنيا للحديث، وفى الآخرة للجنة.(٤)

وقال علان بن عبد الصمد: سمعت أبا داود، وكان من فرسان الحديث(٤)، وقال الحافظ أبو عبد الله ابن منده: الذين خَرَّجوا، وميزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصواب أربعة: البخارى، ومسلم، ثم أبو داود، والنسائى.(٥)

وقال أبو حاتم ابن حبان: أبو داود أحدُ أئمة الدنيا فقهاً، وعلمًا، وحفظًا، ونسكًا، وورعاً، وإتقانًا، جمع وصنف، وذبَّ عن السنن.(٦)

وقال الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة. (٦)

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٥٨).

(٢) تهذيب الكمال (١١/ ٣٦٤)، وهو بسنده في تاريخ بغداد (٩/ ٥٧).

(٣) تهذيب الكمال (١١/ ٣٦٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٧).

(٦) تهذيب التهذيب (٤/ ١٥١).

وقال القاضى، أبو سعيد؛ الخليل بن أحمد السجزى: سمعت أبا محمد؛ أحمد ابن محمد بن الليث، قاضى بلدنا، يقول: جاء سهل بن عبد الله التسترى، إلى أبى داود، فقيل: يا أبا داود، هذا سهل جاءك زائرًا، فرحب به، فقال له سهل: أخرج إلىَّ لسانك، الذى تحدث به أحاديث رسول الله ﷺ ؛ حتى أقبله، فأخرج إليه لسانه فقبَّلهُ.

وقال الذهبى -رحمه الله-: كان أبو داود مع إمامته فى الحديث، وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقائق المسائل فى الفروع والأصول.

وكان على مذهب السلف؛ فى اتباع السُّنَّة، والتسليم لها، وترك الخوض فى مضايق الكلام.(١)

وقال أبو عبد الله الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره، بلا مدافعة، سمع بمصر، والحجاز، والشام، والعراقين، وخُرَاسان، وقد كتب بخراسان قبل خروجه إلى العراق فى بلده، وهراة، وكتب ببغلان عن قتيبة، وبالرَّى عن إبراهيم ابن موسى، إلا أنه أعلى إسناده القعنبى، ومسلم بن إبراهيم، وسمع جماعة، قال: وكان قد كتب قديماً بنيسابور، ثم رحل بابنه أبى بكر إلى خراسان.(٢)

وقال موسى بن هارون: ما رأيت أفضل من أبى داود.(٣)

٣ - فَضَائِلُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ

قال الخطيب: وكان أبو داود قد سكن البصرة، وَقَدِمَ بغداد غير مرة، وروى كتابه «المصنف فى السنن» بها، ونقله عنه أهلها، ويقال إنه صنفه قديمًا، وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسنه.(٤)

وروى الخطيب، بسنده عن أبى بكر ابن داسة، قال: سمعت أبا داود،

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٥، ٢١٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢، ٢١٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٣).
(٤) تاريخ بغداد (٩/ ٥٦).

يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب -يعني كتاب السنن-؛ جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث؛ ذكرت الصحيح، وما يشبه، ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث. أحدها: قوله عليه السلام: «**الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، والثاني قوله: «**مِنْ حسْنِ إِسْلَامِ المرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**»، والثالث قوله: «**لا يَكُونُ المُؤْمِنُ مُؤْمِنًا؛ حَتَّى يَرْضَى لأخِيهِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ**»، والرابع قوله: «**الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَام بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذلكَ أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ**».[(١)]

وذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وعقب بقوله: (يكفي الإنسان لدينه) ممنوع، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن.[(٢)]

وقال أبو بكر؛ محمد بن إسحاق الصاغاني، وإبراهيم الحربي: لما صنَّفَ أبو داود كتاب «السنة»، أُلين لأبي داود الحديث؛ كما ألين لداود عليه السلام الحديد.[(٣)]

وقال الحاكم: سمعت الزبير بن عبد الله بن موسى، سمعت محمد بن مخلد، يقول: كان أبو داود يفي بمذاكرة مئة ألف حديث، ولما صنَّفَ كتاب السنن، وقرأه على الناس، صار كتابه لأصحاب الحديث؛ كالمصحف يتبعونه، ولا يخالفونه، وأقرَّ له أهل زمانه بالحفظ، والتقدم فيه.[(٤)]

٤ - شَرْطُ أَبِي دَاوُدَ فِي السُّنَنِ

قال ابن داسة: سمعت أبا داود، يقول: ذكرت في السنن الصحيح، وما يقاربه؛ فإن كان فيه وهنٌ شديد بيَّنتُهُ.

قال الذهبي: فقد وَفَّى -رحمه الله- بذلك بحسب اجتهاده، وبيَّن ما ضعفه شديد، ووهنه غير محتمل، وكاسر[(٥)] عن ما ضعفه خفيف محتمل؛ فلا يلزم من

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٥٦). (٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٠).

(٣) تهذيب التهذيب (٤/ ١٧٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢)، وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ١٧٢).

(٥) أي كسر طرفه، وغض بصره.

سكوته -والحالة هذه- عن الحديث، أن يكون حسنًا عنده، ولا سيما إذا حكمنا على حد الحسن، باصطلاحنا المولد الحادث؛ الذى هو فى عرف السلف، يعود إلى قسم من أقسام الصحيح، الذى يجب العمل به، عند جمهور العلماء، أو الذى يرغب عَنْه، أبو عبد الله البخارى، ويمشيه مسلم، وبالعكس؛ فهو داخل فى أدنى مراتب الصحة، فإنه لو انحط عن ذلك؛ لخرج عن الاحتجاج، ولبقى متجاذباً بين الضَّعف، والحسن؛ فكتاب أبى داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلك نحو من شطر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين، ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رغبا عنه، وكان إسناده جيداً، وسلم من علة الشذوذ، ثم يليه ما كان إسناده صالحاً، وقبله العلماء؛ لمجيئه من وجهين ليِّنَيْن فصاعدًا، يعضد كل إسناد منهما الآخر، ثم يليه ما ضُعِّفَ إسناده؛ لنقص حفظ راويه؛ فمثل هذا يمشيه أبو داود، ويسكت عنه غالباً، ثم يليه ما كان بيِّن الضعف من جهة راويه؛ فهذا لا يسكت عنه، بل يوهنه غالبًا، وقد يسكت عنه بحسب شهرته، ونكارته، والله أعلم.[1]

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: إن قول أبى داود: فإن كان فيه وهن شديد بينته. يفهم أن الذى يكون فيه وهن غير شديد، أنه لا يبينه، ومن هنا يتبين أن جميع ما سكت عنه أبو داود، لا يكون من قبيل الحسن إذا اعتضد؛ وهذان القسمان كثير فى كتابه جداً، ومنه ما هو ضعيف، لكن من رواية من لم يجمع على تركه غالباً، وكل من هذه الأقسام عنده، تصلح للاحتجاج بها؛ كما نقل ابن منده عنه، أنه يخرج الحديث الضعيف، إذا لم يجد فى الباب غيره.

وقال النووى -رحمه الله-: فى سنن أبى داود -رحمه الله- أحاديث ظاهرة الضعف، لم يبيِّنها، مع أنه متفق على ضعفها، والحق أن ما وجدناه فى سننه، مما لم يبينه، ولم ينص على صحته، أو حسنه، أحدٌ ممن يعتمد، فهو حسن، وإن نَصَّ على ضعفه من يعتمد، أو رأى العارف فى سنده، ما يقتضى الضعف، ولا جابر له حكم بضعفه، ولا يلتفت إلى سكوت أبى داود.[2]

---

(1) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٤، ٢١٥). (2) سير أعلام النبلاء هامش (١٣/ ٢١٣، ٢١٤).

وعقب محقق السِّير بقوله: أبو داود يخرج أحاديث جماعة من الضُّعَفَاء، ويسكت عنها؛ مثل ابن لُهَيْعَةَ، وصالح مولى التوأمة، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وموسى بن وردان، وسلمة بن الفضل، وغيرهم، فلا ينبغي للناقد أن يقلده في السكوت على أحاديثهم، ويتابعه في الاحتجاج بهم، بل طريقه أن ينظر: هل لذلك الحديث متابعٌ يعتضد به، أو هو غريب، فيتوقف فيه، لا سيما إن كان مخالفاً لراويه من هو أوثق منه؛ فإنه ينحط إلى قبيل المنكر، وقد يخرج لمن هو أضعف من هؤلاء بكثير؛ كالحارث بن حية، وصدقة الدقيقي، وعمرو بن واقد العمري، ومحمد بن عبد الرحمن البيلماني، وأبي حيان الكلبي، وسليمان بن أرقم، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وأمثالهم، من المتروكين، وكذلك ما فيه من الأسانيد المنقطعة، وأحاديث المدَلِّسين بالعنعنة، والأسانيد التي فيها من أبهمت أسماؤهم؛ فلا يتجه الحكم لأحاديث هؤلاء بالحسن؛ من أجل سكوت أبي داود؛ لأن سكوته تارةً يكون اكتفاء بما تقدم من الكلام في ذلك الراوي في نفس كتابه، وتارةً يكون لذهول منه، وتارةً يكون لظهور شدة ضعف ذلك الراوي، واتفاق الأئمة على طرح روايته؛ كأبي الحويرث، ويحيى بن العلاء، وغيرهما، وتارةً يكون من اختلاف الرواة عنه، وهو الأكثر؛ فإن في رواية أبي الحسن ابن العبد عنه، من الكلام على جماعة من الرواة، والأسانيد، ما ليس في رواية اللؤلؤي.[(١)]

٥- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن أبي سلمة التبوذكي، وأبي الوليد الطيالسي، ومحمد بن كثير العبدي، ومسلم بن إبراهيم، وأبي عمر الحوضي، وأبي توبة الحلبي، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، وسعيد بن سليمان الواسطي، وصفوان بن صالح الدمشقي، وأبي جعفر النفيلي، وأحمد، وعلي، ويحيى، وإسحاق، وقطن بن نسير، وخلائق من العراقيين، والخراسانيين، والشاميين، والمصريين، والجزريين.[(٢)]

---

(١) هامش سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٥). (٢) تهذيب التهذيب (٤/ ١٤٩).

تلامذته: قال الحافظ: وروى عنه أبو على؛ محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى، وأبو الطيب؛ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الآشنانى، وأبو عمرو؛ أحمد بن على بن الحسن البصرى، وأبو سعيد؛ أحمد بن محمد بن زياد الأعرابى، وأبو بكر؛ محمد بن عبد الرازق بن داسة، وأبو الحسن؛ على بن الحسن بن العبد الأنصارى، وأبو عيسى؛ إسحاق بن موسى بن سعيد الرملى وراقة، وأبو أسامة؛ محمد بن عبد الملك بن يزيد الرواس، وهؤلاء رواة السنن عنه، وأبو عبد الله؛ محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثى البصرى، راوى كتاب «الرد على أهل القدر عنه»، وأبو بكر؛ أحمد بن سليمان النجار؛ راوى كتاب «الناسخ والمنسوخ» عنه، وأبو عبيد؛ محمد بن على بن عثمان الآجرى الحافظ؛ راوى «المسائل» عنه، وإسماعيل بن محمد المطفار؛ راوى مسند مالك عنه، وأبو عبدالرحمن النسائى، وأبو عيسى الترمذى، وحرب بن إسماعيل الكرمانى، وزكريا الساجى، وأبو بكر؛ أحمد بن محمد بن هارون الخلال الحنبلى، وعبد الله بن أحمد بن موسى عبدان الأهوازى، وأبو بشر؛ محمد بن أحمد الدولابى، وأبو عوانة ؛ يعقوب بن إسحاق الإسفرائينى، وابنه؛ أبو بكر ابن أبى داود، وأبو بكر؛ عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا، وإبراهيم بن حميد بن إبراهيم بن يونس العاقولى، وأبو حامد؛ أحمد ابن جعفر الأصبهانى، وأحمد بن المعلى بن يزيد الدمشقى، وأحمد بن محمد بن ياسين الهروى، والحسن بن صاحب الشاشى، والحسين بن إدريس الأنصارى، وعبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازى، وعلى بن عبد الصمد ناعمة، ومحمد ابن مخلد الدورى، ومحمد بن جعفر بن المستفاض الفريابى، وأبو بكر؛ محمد ابن يحيى الصولى، وجماعة.[1]

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ١٥٠).

٦ - آثَــارُهُ - رَحِمَــهُ اللّــهُ-

١ - كتاب (السنن): وقد تـقدم بيان فضائله، وشرط مصنـفه -رحمه اللّه-، وقد شرحه الإمام الخطابى، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ؛ وأسماه (معالم السنن)، وله شروح أخرى؛ أشهرها، وأكثـرها تداولاً، (عون المعبود، شرح سنن أبى داود)، لأبى الطيب؛ محـمد شمس الحق العظيم آبادى، ومـعه شرح للحـافظ ابن قيم الجوزية -رحـمه الله-.

٢- كتاب (الزهد): وهو مطبوع بتحقـيق / ياسر بن إبراهيم بن محمد، وغنيم ابن عـبـاس بن غنيم، ونشـر دار المنشـأة، للنشـر والتـوزيع، وهو من رواية ابن الأعرابى، عن أبى داود السجـستانى، وقد صنَّفَهُ أبو داود على مسـانيد الصحابة، والتابعـين؛ فابتدأ كتـابه بذكر بعض الأخبار عن بنى إسـماعيل، ثم بذكـر أخبار العشرة، سوى سعيد بن زيد، ومـعظمهم من كبار التابعين، وبلغ عدد الآثار التى ساقها المصنف فى كتابه ٥٢١.

٣- رسـالة فى وصف تأليـفـه لكتـاب السنن: طبع بتـحـقيق/ مـحـمـد زاهد الكوثرى، القاهرة، ١٣٦٩هـ .

٤-كتاب «المراسيل»: وهو مطبوع كذلك؛ طبع فى القاهرة، ١٣١٠هـ، وله كتب أخرى مخطوطات؛ فيها كتاب فى الرجال، وكتاب فى القدر، والمسائل التى خالف عليها الإمام أحمد بن حنبل، وكتـاب فى تسمية أخوة الذين روى عنهم الحديث، وانظر مواضع المخطوطات فى «تاريخ التـراث»، لفؤاد سـزكين (١/ ٢٣٨).

٧ - نُتَـفٌ مِنْ أَخْبَـارِهِ، وَدُرَرٌ مِـنْ أَقْـوَالِـهِ

قال الخطابى: حدثنى عبد اللّه بن مـحَمد المسكَى، حدثنى أبوبكر ابن جابر؛ خادم أبى داود، قال: كنت مع أبى داود ببغداد، فـصليت المغرب، فجاء الأمير أبو أحمد الموفَّق، فدخل، فأقبل عليـه أبو داود، وقال: ما جاء بالأمير فى مثل هذا الوقت ؟ فـقال: خلال ثلاث، قـال: وما هى؟ قـال: تنتقل إلى البـصرة،

فتتخذها وطنًا؛ لترحل إليك طلبة العلم، فتعمر بك؛ فإنها قد خربت، وانقطع عنها الناس، لما جرى عليها من محنة الزنج، قال: هذه واحدة، قال: وتروى لأولادى «السنن»، فقال: نعم، هات الثالثة، قال: تفرد لهم مجلسًا؛ فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة، قال: أما هذه، فلا سبيل إليها؛ لأن الناس فى العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون ويقعدون، وبينهم وبين العامة ستر.(١)

روى الخطيب بسنده عن أبى بكر ابن أبى داود، قال: سمعت أبى يقول: الشهوة الخفية حب الرياسة.(٢)

قال أبو بكر ابن أبى داود: سمعت أبى يقول: خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن.(٣)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو عبيد الآجرى: توفى أبو داود فى سادس عشر شوال، سنة خمسٍ وسبعينَ ومئتين.(٤)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢١).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣٧)

أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيُّ
مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْمُنْذِرِ الْحَنْظَلِيُّ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ ومَوْطِنُهُ

اسْمُهُ: محمد بن إِدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلى؛ أبو حاتم الرازى الحافظ.

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: مولده سنة خمس وتسعين ومئة.

وأوَل كتاب كتبه سنة تسع ومئتين، وهو من نظراء البخارى، ومن طبقته، ولكنه عَمَّرَ بعده، أزيد من عشرين عامًا. (١)

مَوْطِنُهُ: قال المزى: قيل كان سكن درب حنظلة بالرَّى؛ فنسِبَ إِليه. (٢) وعن عبد اللّهَ بن محمد بن يعقوب. سمعت أبا حاتم يقول: نحن من أهل أصبهان من قرية جروكان، وأهلنا كانوا يقدمون علينا من حياة أبى، ثم انقطعوا عنَّا. (٣)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الحافظ البغدادى: كان أحد الأئمة الحفاظَ الأثبات، ومشهورًا بالعلم، مذكوراً بالفضل. (٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧).

(٢) تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٨١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٥٠).

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٧٣).

وعن عبد الرحمن بن أبى حاتم، قال: سـمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: أبو زرعة، وأبو حاتم، إماما خراسان، وقال: بقاؤهما صلاحٌ للمسلمين(١)، وقال أبو القاسم: هبة اللّه بن الحسن اللالكائى: كان إِمـامًا، عالمًا بالحديث، حافظًا له، متقنا متثبتاً.(٢)

وقال ابن خراش: كان من أهل الأمانة والمعرفة.(٢)

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى: إِمامٌ فى الحفظ.(٢)

وقال الذهـبى: كان من بحور الـعلم، طَوَّفَ البـلاد، وبرع فى المتن والإِسناد، وجمع وصنف، وجَرَحَ وَعدَّل، وصحَّحَ وعلَّلَ، وقـال عبد الرحـمن بن أبى حاتم. سمعت موسى بن إِسحاق القـاضى، يقول. ما رأيت أحفظ من والدك، وكـان قد لقى أبا بكر ابن أبى شيبة، وابن نمير، وابن معين، ويحيى الحِمَّانى.(٣)

قال الخليلـى: كان أبو حاتم عـالمًا باختـلاف الصحابة، وفـقه التـابعين، ومن بعدهم، سمعت جَدِّى، وجماعة سمعوا على بن إِبراهيم القطان، لقول. ما رأيت مثل أبى حاتم، ولا أفضل منه.(٣)

وعن الحسن بن الحسين الدارستينى، قـال: سمعت أبا حاتم، يقول: قال لى أبو زرعة: ما رأيت أحرص على طلب الحديث مـنك، فقلت له: إِن عبد الرحمن ابنى لحريصٌ، فقال: «منْ أَشْبَهَ أَبَاه فَمَا ظَلَمَ».

قال الرَّقَّام: فسـألت عبد الرحمن عن إِتفاق كثرة السـماع له، وسؤالاته لأبيه، فقال: ربما كـان يأكل، وأقـرأ عليه، ويمشى، وأقرأ عليـه، ويدخل الخلأ، وأقرأ، ويدخل البيت فى طلب شىء، وأقرأ عليه.(٤)

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٧٤).
(٢) تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٥٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٠-٢٥١).

٣ - اتِّبَاعُهُ للسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الذهبى: وقال الحافظ: أبو القاسم اللالكائى: وجدت فى كتاب أبى حاتم ابن محمد بن إدريس الحنظلى، مما سمع منه، يقول: مذهبنا، واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذاهب أهل الأثر؛ مثل الشافعي، وأحمد، وإسحاق، ،وأبى عبيد، ولزوم الكتاب والسنة، ونعتقد أن اللّه -عَزَّ وَجَلَّ- على عرشه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشوري: ١١)، وأن الإيمان يزيد وينقص، ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وبالمساءلة فى القبر، وبالشفاعة، ونترحم على جميع الصحابة.[١]

وقال أبو الحسن: محمد بن إبراهيم بن شعيب الغازى الطَبَرىُّ: إذا رأيت رازيًا خراسانيًا، يحبُّ أبا حاتم، وأبا زرعة، فاعلم أنَّه صاحب سُنَّة.[٢]

٤ - سِعَةُ عِلْمِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم: قلتَ عَلَى باب أبى الوليد الطيالسى: من أغْرَبَ علىَّ حديثا غريبًا مسندًا صحيحًا، لم أسمع به، فله علىَّ درهم، يتصدق به، وقد حضر على باب أبى الوليد خلق؛ من الخلق أبو زرعة فمن دونه، وإنما كان مرادى أن يلقى عَلىَّ، ما لم أسمع به، فيقولون: هو عند فلان، فأذهب، فأسمع، وكان مرادى أن أستخرج منهم ما ليس عندى، فما تهيأ لأحدٍ منهم أن يُغْرِبَ عَلَىَّ حديثًا.[٣]

وعن عبد الرحمن، قال. سمعت أبى يقول. قدم محمد بن يحيى النيسابورى الرى، فألقيت عليه ثلاثة عشر حديثًا، من حديث الزهرى، فلم يعرف منها إلا ثلاثة أحاديث، وسائر ذلك لم يكن عنده، ولم يعرفها.[٤]

ومحمد بن يحيى الذهلى شهد له مشايخه، وأهل عصره، فى معرفة حديث الزهرى، ومع ذلك، فأغرب عليه أبو حاتم.[٥]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٠). (٢) تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٨٩).
(٣) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (١/ ٣٥٥). (٤) الجرح والتعديل (١/ ٣٥٨).
(٥) انظر هامش التهذيب (٢٤/ ٣٩١).

وقال عبد الرحمن: سمعت أبى، يقول. جرى بينى، وبين أبى زرعة يومًا تمييز الحديث ومعرفته، فجعل يذكر أحاديث، ويذكر عللها، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ، وعللها، وخطأ الشيخ، فقال لى: يا أبا حاتم، قَلَّ من يفهم هذا، ما أعز هذا! إذا رفعت هذا من واحد واثنين، فما أقل من تجد من يحسن هذا، وربما أشك فى شىء، أو يتخالجنى شك فى حديث، فإلى أن ألتقى معك، لا أجد من يشفينى منه، قال أبى: وكذلك كان أمرى.(١)

وقال أحمد بن سلمة النيسابورى: ما رأيت بعد إسحاق، ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث، من أبى حاتم الرازى، ولا أعلم بمعانيه.(٢)

وقال ابن عدى: سمعت القاسم بن صفوان، سمعت أبا حاتم، يقول: أورع من رأيت أربعة: آدم، وأحمد بن حنبل، وثابت بن محمد الزاهد، وأبو زرعة الرازى.

قال القاسم: فذكرته لعثمان بن خُرَّذاذ، فقال: أنا أقول: أحفظ من رأيت أربعة: محمد بن المنهال الضرير، وإبراهيم بن عَرعرة، وأبو زرعة، وأبو حاتم.(٢)

وعن عبد الرحمن، قال: سمعت أبى يقول: كان محمد بن يزيد الأسفاطى قد ولع بالتفسير، وتحفظه، فقال يومًا. ما تحفظون فى قوله تَعَالَى: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (ق:٣٦) فبقى أصحاب الحديث ينظر بعضهم إلى بعض، فقلت: حدثنا أبو صالح، عن معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس، قال: ضربوا فى البلاد «فاستحسن».(٣)

٥ - رِحْلاَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَهِمَّتُهُ فِى الطَّلَبِ

قال عبد الرحمن: سمعت أبى يقول: أول سنة خرجت فى طلب الحديث، أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصى، حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته، ما كنت سرت أنا من

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٧٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٥١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٥٥).

الكوفة، إلى بغداد، فما لا أحصى كم مرة، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحرين، من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشياً، ومن مصر إلى الرملة ماشيًا، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبرية، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص، ومن حمص إلى أنطاكية، ومن أنطاكية إلى طرسوس، ثم رجعت من طرسوس إلى حمص، وكان بقى علىَّ شىءٌ من حديث أبى اليمان، فسمعت، ثم خرجت من حمص إلى بيسان، ومن بيسان إلى الرقة، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجى إلى الشام من واسط إلى النيل، ومن النيل إلى الكوفة، كل ذلك ماشياً، هذا فى سفرى الأول؛ وأنا ابن عشرين سنة، أجول سبع سنين، خرجت من الرى سنة ثلاث عشرة ومئتين، قدمنا الكوفة فى شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة، والمقرئ حى بمكة، وجاءنا نعيه، ونحن بالكوفة، ورجعت سنة إحدى وعشرين ومئتين، وخرجت المرة الثانية سنة اثنتين وأربعين، ورجعت سنة خمس وأربعين، أقمت ثلاث سنين.(١)

وقال عبد الرحمن: سمعت أبى يقول: بقيت فى سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة، وكان فى نفسى أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتى، وبقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لى إلى المشيخة، وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقى، ورجعت إلى بيتى، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت، فغدا علىَّ رفيقى، فجعلت أطوف معه فى سماع الحديث، على جوع شديد، وانصرفت جائعًا، فلما كان الغد، غدا علىَّ، فقال: مُر بنا إلى المشايخ، قلت: أنا ضعيف لا يمكننى، قال: ما ضعفك ؟ قلت: لا أكتمك أمرى؛ قد مضى يومان، ما طعمت فيهما شيئًا، فقال: قد بقى معى دينار، فنصفه لك، ونجعل النصف الآخر فى الكراء، فخرجنا من البصرة، وأخذت منه النصف دينار.(٢)

(١) الجرح والتعديل (١/٣٥٩، ٣٦٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٥٦، ٢٥٧).

٦ – تَشَدُّدُهُ – رَحِمَـهُ اللَّـهُ – فِي تَوْثِيقِ الرِّجَالِ

قال الذهبى -رحـمه الله-: إذا وثَّقَ أبو حاتم رجـلاً، فتمسَّك بقـوله؛ فإنه لا يوثق إلا رجلاً صحيح الحديث، وإذا ليَّن رجلاً، أو قال فيه: لا يحتج به، فتوقف حتى ترى ما قـال غيره فيه؛ فـإن وثقه أحد، فلا تبن على تجـريح أبى حاتم؛ فإنه متـعنت فى الرجال، قد قـال فى طائفة من رجـال (الصحاح) ليس بحـجة، ليس بقوى، أو نحـو ذلك، وآخر من حدث عنـه هو محمـد بن إسماعـيل بن موسى الرازى، عاش إلى بعد سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة.(١)

وقال الحافظ ابن حجـر فى مقدمة «الفتح»: محمـد بن أبى عدى البصرى، من شيـوخ أحمد، قال عـمرو بن على: أحسن عبـد الرحمن بن مهـدى الثناء عليه، وقال أبو حـاتم، والنسائى، وابن سـعد: ثقـة، وفى الميزان أن أبا حـاتم قال: لا يحتج به، فينظر فى ذلك، وأبو حاتم عنده عنت.(٢)

٧– شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ – رَحِمَهُمُ اللَّهُ–

شُيُوخُهُ: قال الحافظ: روى عن محمد بن عبد الله الأنصارى، وعثمان بن الهيثم، وعفان بن مسلم، وأبى نعيم، وعبيـد الله بن موسى، وعبد الله بن صالح؛ كاتب الليث، وعبد الله بن صـالح العجلى، وأبى توبة؛ الربيع بن نافع، وآدم بن أبى إياس، وأبى اليمان، وسعيد بن أبى مريم، وأبى مُـسْهِر، والأصمعى، وأبى غسان النهدى، ومحمد بن يزيد بن سنان، وهوذة بن خالد، ويحـيى بن صالح الوحاظى، وعمرو ابن الربيع بن طارق، وعمر بن حفص بن غياث، وطبقتهم، وخلق ممن بعدهم.(٣)

قال الحافظ: ويتعذَّر استقصاء مـشايخه؛ فقد قال الخليلى: قال لى أبو حاتم اللبان الحافظ: قد جمعت من روى عنه أبو حاتم الرازى، فبلغوا قريبًا من ثلاثة آلاف.(٤)

تَلامِذَتُهُ: قالَ الذهبى: حدث عنه ولده الحافظ الإمام أبو محمد؛ عبد الرحـمن ابن أبى حاتم، ويونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان؛ المؤذن شيخاه، وأبو زرعة

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٠).
(٢) هدي الساري (٤٤١).
(٣) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٨).

الرازى، رفيقه وقرابته، وأبوزرعة الدمشقى، وإبراهيم الحربى، وأحمد الرمادى، وموسى ابن إسحاق الأنصارى، وأبو بكر ابن أبى الدنيا، وأبو عبد الله البخارى -فيما قيل- وأبو داود، وأبو عبد الرحمن النسائى فى (سننيهما)، وابن صاعد، وأبو عوانة الإسفرائينى، وحاجب بن أركين، ومحمد بن إبراهيم الكنانى، وزكريا بن أحمد البلخى، والقاضى المحاملى، ومحمد بن مخلد العطار، وأبو الحسن؛ على بن إبراهيم القطان، وأبوعمرو؛ محمد بن أحمد بن حكيم، وسليمان بن يزيد الفامى، القاسم بن صفوان، وأبو بشر الدولابى، وأبو حامد ابن حَسنوَيه، وخلقَ كثير.[(١)]

٨ - مِنْ أقْوَالِهِ وَأشْعَارِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

عن أبى عبد الله؛ أحمد بن القاسم، القاضى، قال: حاتم بن أبى حاتم الرازى: قال: سمعت أبى يقول: اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وذاكر بأحسن ما تحفظ.[(٢)]

وعن محمد بن هارون الرازى، قال: أنشدنا أبو حاتم الرازى:

تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا فَأبْصَرْتُ رُشْدَهَا ... وَذَلَّلْتُ بِالتَّقْوَى مِنَ الله خَدَّهَا

أَسَأْتُ بِهَا ظنًا فَأخْلَفْتُ وَعْدَهَا ... وَأَصْبَحْتُ مَوْلاهَا وَقَدْ كُنْتُ عَبْدَهَا[(٢)]

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال أبو سعيد ابن يونس: قدم مصر قديمًا، وكتب بها، وكتب عنه، وكانت وفاته بالرَّى، سنة خمس وسبعين ومئتين.

وقال أحمد بن محمود بن صبيح، وأبو الحسن ابن المنادى، وأبو حاتم ابن حبَّان، وأبو نعيم الحافظ: مات سنة سبع وسبعين ومئتين.

زاد ابن صبيح: بالرَّى. وزاد ابن المنادى: فى شعبان.[(٣)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٤٨). (٢) تاريخ بغداد (٢/٧٧).
(٣) تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٩٠).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣٨)

أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وصِفَتُهُ

اسْمُهُ: محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بَن الضحاك السُّلَمِيُّ، الترمذى، الإمام العالم البارع، مصنف (الجامع).

والترمذى نسبة إلى ترمذ، مدينته التى نشأ بها، شمال إيران.

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: ولد فى حدود سنة عشر ومئتين.(١)

صِفَتُهُ: اختلف فيه؛ فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر فى كبره، بعد رحلتهَ، وكتابته العلم.(٢)

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الحاكم: سمعت عمر بن علك، يقول: ماتَ البخارى، فلم يخلّف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم، والحفظ، والورع، والزهد، بكى حتى عمى، وبقى ضريرًا سنين.(٣)

وذكره ابن حبان فى (الثقات)، وقال: كان ممن جمع، وصنف، وحفظ، وذاكر.(٤) وقال الذهبى: جامعه قاضٍ له بإمامته، وحفظه، وفقهه؛ ولكن يترخص فى قبول الأحاديث، ولا يشدد، ونَفَسه فى التضعيف رِخو.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠).

(٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٤).

(٤) الثقات (٩/ ١٥٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٦).

وقال الحافظ العالم؛ أبو سعيد الإدريسي: أحد الأئمة الذين يقتدى بهم، فى علم الحديث، صنَّف «الجامع»، و«التواريخ»، و«العلل»، تصنيف رجل عالم متقن، وكان يضرب به المثل فى الحفظ.[1]

وقال المزى: أبو عيسى الترمذى الضرير الحافظ، صاحب «الجامع» وغيره من المصنفات، أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، ومن نفع الله به المسلمين.[2]

وقال الذهبى فى الميزان: الحافظ العلم صاحب «الجامع»، ثقة، مجمعٌ عليه، ولا التفات إلى قول أبى محمد ابن حزم فيه، فى الفرائض، من كتاب «الإيصال»: إنه مجهول؛ فإنه ما عرفه، ولا درى بوجود «الجامع»، ولا «العلل»، له.[3]

وقال الحافظ ابن حجر، فى «تهذيب التهذيب»: «وأما أبو محمد ابن حزم؛ فإنه نادى على نفسه بعدم الاطلاع ؛ فقال فى كتاب الفرائض من الإيصال: محمد بن عيسى بن سَوْرَة مجهول، ولا يقولنَّ قائل: «لعله ما عرف الترمذى، ولا اطلع على حفظه، ولا تصانيفه؛ فإن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة، فى خلق من المشهورين، من الثقات الحفاظ؛ كأبى القاسم البغوى، وإسماعيل بن محمد الصفار، وأبى العباس الأصم، وغيرهم، والعجب أن الحافظ ابن الفرضى ذكره فى كتابه «المؤتلف والمختلف»، ونبه على قدره، فكيف فات ابن حزم الوقوف عليه فيه.[4]

قال العلامة أحمد شاكر: وأنا أظن أن هذا تحامل من الحافظ ابن حجر على ابن حزم، ولعله لم يعرف الترمذى، ولا كتابه، بل لعل الحافظ الذهبى أخطأ نظره، حين نقل ما نقل من كتاب «الإيصال»، وما أظنُّ ابن حجر رأى كتاب «الإيصال»، ونقل منه، وإنما. أرجِّحُ أنه نقل من الذهبى، والله أعلم.[5]

وقال أبو الفضل البيْلَمانى: سمعت نصر بن محمد الشيركوهى، يقول: سمعت محمد بن عيسى الترمذى، يقول: قال لى محمد بن إسماعيل -يعنى البخارى- ما انتفعت بك، أكثر مما انتفعت بى.[6]

---

(١) شروط الأئمة الستة ص (٢٠).
(٢) تهذيب الكمال (٢٦/ ٢٥٠).
(٣) ميزان الاعتدال (٥/ ١٢٤).
(٤) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٤).
(٥) مقدمة أحمد شاكر، لجامع الترمذى (١/ ٨٦).
(٦) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٥).

قال العلامة أحمد شاكر: وهذه شهادة عظيمة من شيخه إمام المسلمين، وأمير المؤمنين فى الحديث فى عصره.(١)

قال الشيخ نور الدين عتر: ومما أفاد الترمذى، الرسوخ فى علم الحديث، عنايته بلقى الأئمة الكبار، الذين إليهم المنتهى فى حفظ الحديث ودرايته، وأخذه عنهم، فأكمل تحصيله، وتعمقه، وبرز نبوغه؛ فتقدم إلى محراب الإمامة فى الحديث، غير منازع، ولا ممانع.

لقى الإمام مسلم بن الحجاج، وأخذ عنه، لكنه لم يخرج عنه إلا حديثًا واحدًا؛ وهو حديث أبى هريرة، «**احْصُوا هِلاَلَ شَعَبْانَ لِرَمَضَانَ**».

ولقى أيضًا الإمام أبا داود؛ سليمان بن الأشعث السجستانى، وروى له فى جامعه، وأفاد فى علل الحديث، والرجال، وفنون الحديث، من الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، وأبى زرعة الرازى، كما ذكر فى آخر جامعه، ولكن التأثير الكبير، والإفادة العظيمة، تمت للترمذى على الإمام، أمير المؤمنين فى الحديث؛ محمد بن إسماعيل البخارى؛ فقد لازمه الترمذى طويلاً، وأخذ عنه العلم الكثير، حتى تخرَّج على يديه، واعترف به.

ولم تقتصر إفادته على الحديث، وعلومه، بل إنه أفاد منه فقه الحديث؛ كما قال الذهبى: (وتفقه فى الحديث بالبخارى) وحسبك بالبخارى فقيهًا فى الحديث، غَوَّاصاً على خفايا فقهه، والاستنباط منه.(٢)

٣ - فَضَائِلُ جَامِعِهِ

عن أبى على منصور بن عبد الله الخالدى، قال: قال أبو عيسى: صنفت هذا الكتاب، وعرضته على علماء الحجاز، والعراق، وخراسان، فرضوا به، ومن كان هذا الكتاب -يعنى (الجامع)- فى بيته؛ فكأنما فى بيته نبىّ يتكلم.

(١) مقدمة أحمد شاكر لجامع الترمذى (١/ ٨٧).

(٢) الإمام الترمذى والموازنة بين جامعه، وبين الصحيحين (١٦/ ١٧).

قال الذهبي: في (الجامع) علم نافع، وفوائد غزيرة، ورءُوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام، لولا ما كَدَّره بأحاديث واهية بعضها موضوع، وكثير منها في الفضائل.[1]

قال الحافظ أبو الفضل؛ محمد بن طاهر المقدسي (المتوفى سنة ١٠٧ هـ)، في شروط الأئمة الستة: سمعت الإمام أبا إسماعيل؛ عبد الله بن محمد الأنصاري بهراة، وجرى بين يديه ذكر أبي عيسى الترمذي، وكتابه، فقال: (كتابه عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم؛ لأن كتابي البخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر العالم، وكتاب أبي عيسى قد شرح أحاديثه، وبَيَّنَهَا، يصل إلى فائدته كلُّ أحد من النَّاسِ).[2]

وقال ابن الأثير: «كتابه الصحيح أحسن الكتب، وأكثرها فائدة، وأقلها تكرارًا، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب، ووجوه الاستدلال، وتبيين أنواع الحديث من الصحيح، والحسن، والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفي آخره كتاب العلل، قد جمع فيه فوائد حسنة، لا يخفى قدرها على من وقف عليها».

وقال الشيخ إبراهيم الباجوري، في شرحه على الشمائل: «وناهيك بجامع الصحيح، الجامع للفوائد الحديثية والفقهية، والمذاهب السلفية، والخلفية، فهو كافٍ للمجتهد، مغن للمقلد».[3]

وقال العلامة أحمد شاكر- رحمه الله-: وللقاضي أبي بكر ابن العربي، في أول شرحه على الترمذي؛ الذي سَمَّاه «عارضة الأحوذي»، فصلٌ نفيسٌ في مدح كتاب الترمذي، ووصفه، ولكن طابعيه حرفوه، حتى لا يكاد يُفْهَمُ، وسأنقله هنا بشيء من الاختصار، والتصرف؛ لنصل المراد منه، قال: «اعلموا -أنار الله أفئدتكم- أن كتاب الجعفي[4]، هو الأصل الثاني في هذا الباب، والموطأ هوَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٣). (٢) شروط الأئمة الستة (١٩).

(٣) نقلاً عن «الإمام الترمذي وجامعه» لنور الدين عتر، (٥٤).

(٤) وهو صحيح البخاري.

الأول، واللباب، وعليهما بناء الجميع؛ كالقشيرى[1]، والترمذى، فمن دونهما، وليس فيهم مثل كتاب أبى عيسى حلاوة مقطع، ونفاسة منزع، وعذوبة مَشْرَع، وفيه أربعة عشر علماً، وذلك أقرب إلى العمل، وأسلم؛ أسند، وصحَّح، وضَعَّفَ، وَعَدَّدَ الطرق، وجرَّح، وعدَّل، وأسمى، وأكنى، ووصل وقطع، وأوضح المعمول به، والمتروك، وبَيَّنَ اختلاف العلماء فى الرد والقبول لآثاره، وذكر اختلافهم فى تأويله، وكلُّ علم من هذه العلوم أصلٌ فى بابه، وفرد فى نصابه، فالقارئ له لا يزال فى رياض مونقة، وعلوم متفقة ومتسقة، وهذا شىءٌ لا يعمه إلا العلم الغزير، والتوفيق الكثير، والفراغ، والتدبير».[2]

٤ – مَا قِيلَ فِي تَسْمِيَةِ الْكِتَابِ، وَطَرِيقَةِ التِّرْمِذِيِّ فِي تَصْنِيفِهِ

قال العلامة نور الدين عتر:

قد وجدنا له عدة أسماء، أطلقت عليه، وهى:

١- صحيح الترمذى؛ وهو إطلاق الخطيب؛ كما ذكر السيوطى.

٢- الجامع الصحيح؛ وهو إطلاق الحاكم، ونحن نجد بعض حديثه صحيحًا، وبعضه حسنًا، ومنه دون ذلك، وهو يَنُص على هذه الدرجات صراحة، إذاً ففى كل من هاتين التسميتين ضرب من التجوز.

٣- الجامع الكبير؛ ذكره الكتانى فى الرسالة المستطرفة، وهو قليل الاستعمال.

٤- السنن: وهو اسم مشهور للكتاب، ويكثر نسبته إلى مؤلفه؛ تمييزًا له من بقية السنن؛ ووجه هذه التسمية اشتماله على أحاديث الأحكام، مرتبة على ترتيب أبواب الفقه، وما كان كذلك سُمى سننًا، ولكن الكتاب فى الأحكام وغيرها، ففى هذه التسمية تجوز؛ بتسمية الكل ببعض أجزائه.

---

(١) أى الإمام مسلم.

(٢) مقدمة أحمد شاكر، لتحقيق جامع الترمذى (١/ ٨٩، ٩٠).

٥- الجامع: وهو أشهر، وأكثر استعمالاً، واشتهر إطلاقه منسوبًا إلى مؤلفه؛ فيقال: جامع الترمذي؛ ووجه تسميته بذلك أن الجامع عند المحدثين ما كان مستوعبًا لنماذج فنون الحديث الثمانية؛ السير، والآداب، والتفسير، والعقائد، والفتن، والأحكام، والأشراط، والمناقب.

فسُمي الكتاب جامعًا؛ لوجود هذه الأبواب فيه.

ثم بيَّن منهجه في التصنيف، فقال:

فأبو عيسى يترجم للمسألة، يورد فيها حديثًا أو أكثر، ثم يتبع ذلك بآراء الفقهاء في المسألة، وعملهم بحديثه، ويتكلم على درجة الأحاديث؛ تصحيحاً، وتحسينًا، وتضعيفًا، ويأتي بذلك واضحًا مبينًا، ويتكلم في الرجال والأسانيد، وما تشتمل عليه الأسانيد من علل، ويذكر ما للحديث من طرق، ثم إن كانت هناك أحاديث آخرى، تناسب الترجمة؛ فإنه يشير إليها بقوله: (وفي الباب عن فلان، وفلان من الصحابة)، ونمثل لك من كتابه بما يوضح وصفنا هذا:

قال الترمذي في الطهارة: (باب المسح على الخفين للمسافر والمقيم):

حدثنا قتيبة، ثنا أبو عوانة، عن سعيد بن مسروق، عن إبراهيم التيمي، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله الجدلي، عن خزيمة بن ثابت، عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن المسح على الخفين، فقال: «**لِلْمُسَافِرِ ثَلاَثَة، وَلِلْمُقِيم يَوْمٌ**».

وذُكِرَ عن يحيى بن معين، أنه صحح حديث خزيمة في المسح، وأبو عبد الله الجدلي؛ اسمه عبد بن عبد، ويقال عبدالرحمن بن عبد.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن عليّ، وأبي بكرة، وأبي هريرة، وصفوان بن عسال.

ثم ساق الترمذي، بسنده حديث صفوان بن عسال.

ثم قال: قال محمد بن إسماعيل: أحسن شيء في هذا الباب، حديث صفوان ابن عسال.

ثم قال أبو عيسى: وهو قول أكثر العلماء، من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين، ومن بعدهم من الفقهاء؛ مثل سفيان الثورى، وابن المبارك، والشافعى، وأحمد، وإسحاق، قالوا: يمسح المقيم يوماً وليلة، والمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وقد رُوِيَ عن بعض أهل العلم، أنهم لم يوقتوا فى المسح على الخفين، وهو قول مالك بن أنس.(١)

٥ - تَسَاهُلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فى التَّصْحِيحِ

تقدم قول الذهبى -رحمه الله-: ولكنه يترخص فى قبول الأحاديث، ولا يشدد، ونَفَسُهُ فى التضعيف رخو.(٢)

وانتقد الذهبى-رحمه الله- فى أكثر من ترجمة فى كتابه (ميزان الاعتدال) تصحيح الترمذى، أو تحسينه، وبين أنه لا يعتمد قوله فى ذلك، إذا انفرد، وفى الحديث علة تمنع من القول بصحته. (٣)

وقال الحافظ ابن رجب فى (شرح المعلل): واعلم أن الترمذى -رحمه الله- خرج فى كتابه الحديث الصحيح، والحديث الحسن، وهو ما نزل عن درجة، وكان فيه بعض ضعف، والحديث الغريب، والغرائب التى خرجها، فيها بعض الكبائر، ولاسيما فى كتاب (الفضائل)، ولكنه يبين ذلك غالبًا، ولا يسكت عنه، ولا أعلمه خرج عن متهم بالكذب، متفق على اتهامه حديثًا، بإسناد مفرد، إلا أنه قد يخرج حديثًا مرويًا من طرق، أو مختلفاً فى إسناده، وفى بعض طرقه متهم، وعلى هذا الوجه خرج حديث محمد بن سعيد المصلوب، ومحمد بن السائب الكلبى، نعم، قد يخرج عن سيِّئ الحفظ، وعمن غلب على حديثه الوهم، ويبين ذلك غالبًا، ولا يسكت عنه.

(١) باختصار وتصرف، من «الإمام الترمذى، والموازنة بين جامعه، وبين الصحيحين» (٢٤، ٥٤، ٦٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٦).
(٣) انظر هامش سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٦).

ويخرّج حـديث الثقة الضـابط، ومن يهم قليلاً، ومن يهم كثـيرًا، ومن يغلب عليه الوهم، يخرّج حديثه نادرًا، ويبين ذلك، ولا يسكت عنه.(١)

٦ – شَرْطُ التِّرْمِذِيِّ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي جَامِعِهِ

لم يصرح أحد من أصحاب الكتب الستة بشـرط فى كتابه، وقد توجد لبعضهم عبـارات، يفهم منهـا شىء من شروطهم فى كتـبهم؛ فـالأصل فى معرفـة شرط الكتاب دراسته، ومطالعة أصوله، واستقرائها.

قال الدكـتور عتـر: أما شرط أبى عيـسى الترمذى؛ فـقد تحدث التـرمذى عن أحاديث فى كتابه، بما يستأنس به؛ لمعـرفة شرطه، قال فى «علل الجامع»: «جميع ما فى هذا الكتاب من الحديث، فهو معمول به، وقد أخذ به بعض أهل العلم، ما خلا حديثين . . . إلخ».

فأفـاد أنه بنى اختيار حـديث الكتاب، على عمل العلمـاء به فى الجملة؛ فكل حديث استـدل به مستدل، أو احتج به عـالم، فهو من شرطه، وهو شـرط فسيح جـداً، لكن الترمـذى لا ينزل إلى الواهى أو الموضـوع؛ لأن الأئمة لا يَحْـتَجُّـونَ بالواهى ولا بالموضوع، وقـد دل الاستقراء على أنه شرطه هـو أن يُخَرِّجَ أحاديث الطبقة الرابعة، من الرواة فمن فوقهم، ورجال الطبقة الرابعة قومٌ لم تكثر ممارستهم لحديث شيوخهم، ولم يسلموا أيضًا من غائلة الجرح.(٢)

قال الحازمى فى شروط الأئمة الخمسة:

«ثم اعلم أن لهؤلاء الأئمة مذهبًا فى كيفية استنباط مخارج الحديث، نشير إليها على سبـيل الإيجاز؛ وذلك أن مذهب من يخرج الصـحيح أن يعتبـر حال الراوى العدل فى مشـايخه، وفيمن روى عنهم، وهـم ثقات أيضًا، وحديثه عـن بعضهم

---

(١) شرح علل الترمذى (٢٢٩، ٢٣٠)، ط/ عالم الكتب، بتحقيق/ صبحى السامرائى.
(٢) الإمام الترمذى، والموازنة بين جامعه، وبين الصحيحين (٥٥، ٥٦).

صحيحٌ ثابت، يلزمـه إخراجه، وعن بعضهم مدخـولٌ، لا يصلح إخراجه إلا فى الشواهد، والمتـابعات، وهذا بابٌ فـيه غمـوض، وطريقة معـرفة الرواة عن راوى الأصل، ومراتب مداركهم، ولنوضح ذلك بمثـال؛ وهو أن نعلم مثلاً أن أصحاب الزهرى على طبقات خمسٍ، لكل طبقة منها مزية على التى تليها:-

الطَّبَقَةُ الأولَى: قوم جـمعـوا بين العدالة التـامة، والإتقـان، والحفظ، وطول الملازمة لشـيخـهم الزهرى، حتى كـان فيهم مـن يزامله فى السفـر، ويلازمه فى الحضر، وهم الغاية فى الصحة، وهم غاية مقصد البخارى.

الطَّبَقَةُ الثَّانيَةُ: شاركت الأولى فى العدالة، غـير أنها لم تلازم الزهرى إلا مدة يسيـرة، فلم تمارس حديثه، وكانوا فى الإتقـان، دون الطبقة الأولى، وهم شرط مسلم.

الطبقَةُ الثَّالِثَةُ: جماعة لزموا الزهرى؛ مـثل أهل الطبقة الأولى، غير أنهم لم يَسْلَموا من غوائل الجرح، فهم بين الرد والقبول؛ وهم شرط أبى داود والنسائى.

والطبقَةُ الرَّابِعَةُ: قومٌ شاركـوا أهل الطبقة الثالثة فى الجرح والتـعديل، وتفردوا بقلة ممارستهم لحـديث الزهرى؛ لأنهم لم يصحبوا الزهرى كثـيراً، وهم شرط أبى عيسى، وفى الحقيقة شرط الترمذى، أبلغ من شرط أبى داود؛ لأن الحديث إذا كان ضعيفًا، فإنه يبين ضعفه، وينبه عليه، ويصير الحديث عنده، من باب الشواهد والمتابعـات، ويكون اعتـماده على مـا صحَّ عند الجمـاعة، وعلى الجملة؛ فـكتابه مشتمل على هذا الفن؛ فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبى داود.

والطبقَةُ الخَامسةُ: نفر من الضعفاء، والمجهولين، لا يجوز لمن يخرج الحديث، على الأبواب، أنَ يخرج حديثهم إلا على سبيل الاعـتبار، والاستشهاد، عند أبى داود، فأما عند الشيخين فلا.[1] انتهى.

---

(١) شروط الأئمة الخمسة (٥٦-٦٠).

٧- رُتْبَةُ جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ

قال الدكتور عتر ما ملخصه: وبمعرفة شروط الأئمة الثلاثة، نجد الترمذى:

أ- يشترك فى شرطه مع الشيخين؛ فيخرج فى كتابه حديث الطبقة الأولى، والثانية، وهما شرط البخارى، ومن شرط مسلم أيضًا، ومن حديث الطبقة الثالثة التى يخرج مسلم عن بعض رجالها.

ب- ويفترق كتاب الترمذى عن كتاب البخارى ومسلم؛ حيث ينزل، فيكثر من حديث الطبقة الثالثة، ويروى لرجالها على اختلاف أحوالهم، ويروى أيضًا حديث الطبقة الرابعة، وينزل عنهما درجة أخرى، إذن، فكتاب الترمذى دون الصحيحين، وفوقه كتاب مسلم، وفوقهما كتاب البخارى. ولكن هل يأتى كتاب الترمذى، عقب الصحيحين فى المرتبة، فيكون ثالثهما؟

أو أن كتاب أبى داود هو الثالث، والترمذى رابعهما؟

الذى نراه أن كتاب أبى عيسى ثالث الكتب الستة، تالى الصحيحين فى الرتبة؛ من حيث الصحة؛ وذلك لأن شرطه أقوى من شرط أبى داود، كما نص الإمام الحازمى على ذلك، فى كلمته التى نقلناها فى طبقات الرواة.

ولكن الحازمى قدم سنن أبى داود إلى الرتبة الثالثة، وأخَّرَ جامع الترمذى إلى الرابعة، وعلل ذلك باشتماله على حديث الطبقة الرابعة، فقال: وعلى الجملة، فكتابه مشتمل على هذا الفن؛ فلهذا جعلنا شرطه دون شرط أبى داود.

وقال الذهبى فيما نقله عنه السيوطى: انحطت رتبة جامع الترمذى عن سنن أبى داود، والنسائى؛ لإخراجه حديث المصلوب، والكلبى، وأمثالهما. اهـ؛ يعنى من الكذابين، أو من اتُّهِمَ بالكذب.

وهذا الذى اعتذر به الحازمى، والذهبى موجود فى كتاب أبى داود؛ فإنه يخرج أحاديث الطبقة الرابعة، وأخرج عن جماعة من أمثال المصلوب، والكلبى أيضًا، بل إنه فوق ذلك، قد سكت عن حديثهم، ولم ينبه عليه.

قال الحافظ ابن رجب، فى «شرح علل جامع الترمذى»: وقد شاركه أبو داود فى التخريج، عن كثير من هذه الطبقة، مع السكوت على حديثهم؛ كإِسحاق بن أبى فروة وغيره.

وإسحاق الذى ذكره ابن رجب، قال فيه البخارى فى «التاريخ الكبير»: تركوه، وروى ابن أبى حاتم عن أحمد بن حنبل، أنه قال: لا تحل الرواية عندى عن إسحاق بن أبى فروة. وعن يحيى بن معين، أنه قال فيه: كذاب، وعن أبى حاتم: متروك. اهـ.

وقال ابن حجر: متروك من الرابعة.

فقد تساوى الكتابان؛ من حيث التخريج عن الرجال، وبقى امتياز الترمذى بما ذكره الحازمى من أبلغية الشرط، وتقدمه على أبى داود؛ لأنه ينبه على هؤلاء الضعفاء، ولا يسكت عنهم، فوق أنه يروى عنهم، ما رواه عن غيرهم، ممن فوقهم؛ كما سيأتى بيانه فى بحث الرجال، وقد سكت أبو داود عن حديث جماعة منهم، فمن الإِنصاف إِذًا أن لا تنزل رتبة الترمذى عن الثالثة.(١)

٨ - شُيُوخُهُ وَتَلَامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: حدث عن قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهَوَيه، ومحمد ابن عمرو السَّوَّاق البَلْخى، ومحمود بن غيلان، وإسماعيل بن موسى الفزارى، وأحمد بن منيع، وأبى مصعب الزهرى، وبشر بن معاذ العقدى، والحسن بن أحمد بن أبى شعيب، وأبى عمار الحُسين بن حريث، والمعَمَّر؛ عبد الله بن معاوية الجمحى، وعبدالجبار بن العلاء، وأبى كريب، وعلى بن حجر، وعلى بن سعيد ابن مسروق الكندى، وعمرو بن الفلاس، وعمران بن موسى القزاز، ومحمد بن أبان المستملى، ومحمد بن حميد الرازى، ومحمد بن عبد الأعلى، ومحمد بن رافع، ومحمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة، ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب،

(١) الإمام الترمذى، وموازنته بين جامعه، والصحيحين (٦١، ٦٢، ٦٣).

ومحمد بن يحيى العدنى، ونصر بن على، وهارون الحَمَّال، وهناد بن السَّرى، وأبى همام؛ الوليد بن شجاع، ويحيى بن حبيب بن عربى، ويحيى بن دُرُست البصرى، ويحيى بن طلحة اليربوعى، ويوسف بن حماد المعنى، وإسحاق بن موسى الخطمى، وإبراهيم بن عبد الله الهروى، وسويد بن نصر المروزى.

فأقدم ما عنده حديث مالك، والحمادين، والليث، وقيس بن الربيع، وينزل حتى إنه أكثر عن البخارى، وأصحاب هشام بن عمار ونحوه.(١)

تَلاَمِذَتُهُ: قال الذهبى: حدث عنه أبو بكر؛ أحمد بن إسماعيل السمرقندى، وأبو حامد؛ أحمد بن عبد الله بن داود المروزى، وأحمد بن على بن حَسْنَويه المقرئ، وأحمد بن يوسف النسفى، وأسد بن حمدويه النسفى، والحسين بن يوسف الفربرى، وحماد بن شاكر الوراق، وداود بن نصر بن سهيل البزدوى، والربيع بن حيان الباهلى، وعبد الله بن نصر أخو البزدوى، وعبد بن محمد بن محمود النسفى، وعلى بن عمر بن كلثوم السمرقندى، والفضل بن عمار الصَّرَّام، وأبو العباس؛ محمد بن أحمد بن محبوب، روى (الجامع)، وأبو جعفر، محمد ابن سفيان بن نصر الأمين، ومحمد بن محمد بن يحيى الهروى القرَّاب، ومحمد ابن محمود بن عنبر النسفى، ومحمد بن مكى بن نوح النسفى، ومُسبح بن أبى موسى الكاجرى، ومكحول بن الفضل النسفى، ومكى بن نوح، ونصر بن محمد بن سَبْرَة، والهيثم بن كليب الشاشى الحافظ، راوى «الشمائل» عنه. وآخرون.

وقد كتب عنه شيخه؛ أبو عبد الله البخارى، فقال الترمذى فى حديث عطية عن أبى سعيد: «**يا علىّ، لا يحل لأحدٍ أن يجنب فى المسجد غيرى، وغيرك**»، سمع منى محمد بن إسماعيل هذا الحديث.(٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧١، ٢٧٢)، والحديث فى سنن الترمذى (٣٧٢٧)، من حديث عطية بن سعد العوفى، وهو ضعيف، ومع ذلك قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال النووى: إنما حسنه الترمذى، بشواهده، وانظر هامش السير (١٣/ ٢٧٢).

٩ - مُؤَلَّفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال العلامة أحمد شاكر:

وصفه العلماء فيما مضى بأنه (صاحب التصانيف)، وسمُّوا كتبًا من مؤلفاته، ولكنَّا لم نر منها إلا كتابين (الجامع الصحيح)، وكتاب (الشمائل)؛ وهو كتاب نفيس معروف مشهور، ولعل باقي كتبه فُقِدَ فيما فقد من نفائس المؤلفات، وكنوز الأئمة العلماء. وفي التهذيب: ولأبي عيسى كتاب (الزهد) مفرد لم يقع لنا، وكتاب (الأسماء والكنى). وهذا بيان مؤلفاته؛ كما ظهر لنا من أقوال العلماء:

١ - «الجامع الصحيح».

٢ - «الشمائل».

٣ - «العلل».[١]

٤ - «التاريخ».

٥ - «الزهد».

٦ - «الأسماء والكنى».

ولعل له كتباً أخرى لم يصل إليَّ خبرها حين أكتب هذا.[٢]

١٠ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال المزي: قال الحافظ أبو العباس؛ جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري: مات أبو عيسى الترمذي الحافظ، بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب، سنة تسع وسبعين ومئتين.[٣]

---

(١) وهو خلاف العلل الذي في آخر جامع الصحيح.

(٢) مقدمة أحمد شاكر للجامع (١/ ٩٠، ٩١).

(٣) تهذيب الكمال (٢٦/ ٢٥٢).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٣٩)

إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ (إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ)

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ

اسْمُهُ: إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم، أبو إسحاق الحربى.

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: مولده فى سنة ثمان وتسعين ومئة.

عن أبى إسحاق، إبراهيم بن حبشى، قال: سمعت أبا إسحاق؛ إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم المروزى، قال: أمى تغلبية، وكان أخوالى نصارى أكثرهم، فقلت له: لم سُمِّيتَ إبراهيم الحربى، فقال: صحبت قومًا من الكرخ على الحديث، وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة من الحربية؛ فسمونى الحربى بذلك.[١]

وقال ياقوت: وقيل لم سُمِّيتَ إبراهيم الحربى؟ فقال: صحبت قوماً من الحربية؛ فسمونى الحربى بذلك.[٢]

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الخطيب البغدادى: كان إمامًا فى العَلم، رأسًا فى الزهد، عارفًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، حافظًا للحديث، مميزًا لعلله، قيمًا بالأدب، جمّاعة للغة.[١]

---

(١) تاريخ بغداد (٦/٢٨). (٢) معجم الأدباء (١/١١٣).

وعن أبى الحسن الـدارقطنى، قال: أبو إسحـاق؛ إبراهيم بن إسحـاق الحربى، إمامٌ ، مصنف ، عالمٌ بكل شىء، بارع فى كل علم، صدوق.(١)

وقال أبو علىّ الحسين بن فهم -وذكـر إبراهيم الحربى-: والله يا أبا محمد، لا ترى عيناك مثل أبى إسحـاق أيام الدنيا، ولقد رأيت، وجالست الناس من صنوف أهل العلم، والحذق بكل فـن منه، فما رأيت رجـلاً أكمل فى ذلك كله من أبى إسحاق -رحمه الله-. (٢)

وروى المخَلِّصُ عن أبيه، قال: كان إسمـاعيل القاضى يشتهى أن يلقى إبراهيم، فالتقيا يومـاً، وتذاكرا، فلما افترق، سئل إبراهيم عن إسماعيل، فـقال: إسماعيل جبلُ، نفخ فيه الروح، وقال إسماعيل: ما رأيت مثل إبراهيم.

قال الذهبى: إسماعيل هو ابن إسحاق القاضى، عالم العراق.(٣)

ويروى أن إبراهيم لما صنَّف غـريب الحـديث؛ وهو كـتاب نفـيس كـامل فى معـناه، قال ثعلب: مـا لإبراهيم وغريب الحـديث؛ رجل محـدث، ثم حـضر مجلسـه، فلما حـضر المجلس، سجـد ثعلب، وقال: مـا ظننت أن على وجـه الأرض مثل هذا الرجل.(٤)

قال ابن بشكوال، فى أخبـار إبراهيم الحربى: نقلت من كتاب ابن عَـتَّاب: كان إبراهيم الحربى رجلاً صالحًا من أهل العلم، بلغه أن قومًا من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على أحمد بن حـنبل، فوقفهم على ذلك، فأقروا به، فقـال: ظلمتمونى بتفضيلكم لى على رجلٍ لا أشبهـه، ولا ألحق به فى حالٍ من أحواله، فأقسم بالله لا أسمعكم شيئًا من العلم أبدًا، فلا تأتونى بعد يومكـم.(٥)

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٤٠).
(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٣٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦١).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٦٤).

وقال المسعودى: كانت وفاة الحربى المحدِّث الفقيه، فى الجانب الغربى، وله نيِّفٌ وثمانون سنة ..... وكان صدوقاً، عالمًا، فصيحًا، جوَّادًا، عفيفًا، زاهدًا، عابدًا، ناسكًا، وكان مع ذلك ضاحك السن، ظريف الطبع ... ولم يكن معه تكبر، ولا تجبر (و) ربما مزح مع أصدقائه بما يستحسن منه، ويستقبح من غيره، وكان شيخ البغداديين فى وقته، وظريفهم، وزاهدهم، وناسكهم، ومسندهم فى الحديث، وكان يتفقه لأهل العراق، وكان له مجلس فى المسجد الجامع الغربى، يوم الجمعة.(١)

وقال القِفْطِى فى (تاريخ النحاة) له: كان إبراهيم الحربى رأسًا فى الزهد، عارفًا بالمناقب، بصيرًا بالحديث، حافظاً له... له فى اللغة كتاب: «غريب الحديث»، وهو من أنفس الكتب، وأكبرها فى هذا النَّوع. (١)

وقال الحاكم: سمعت محمد بن صالح القاضى، يقول: لا نعلم بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربى فى الأدب والفقه، والحديث، والزهد، قال الذهبى: يريد من اجتمع فيه هذه الأمور الأربعة.(٢)

وحدَّث عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كان أبى يقول لى: امض إلى إبراهيم الحربى، يُلْقِ عليك الفرائض، قال: ولما مات سعد بن أحمد بن حنبل، جاء إبراهيم الحربى إلى عبد الله، فقام إليه عبد الله، فقال: تقومُ إلىَّ؟ فقال: لِمَ لا أقوم إليك، والله، لو رآك أبى، لقام إليك، قال: والله، لو رأى ابن عيينة أباك، لقام إليه.(٣)

وقال أبو عمر الزاهد، وابن المنادى: سمعت ثعلبًا، يقول: ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس لغة، أو نحو خمسين سنة.(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٨).
(٣) معجم الأدباء (١/ ١٢٠).
(٤) معجم الأدباء (٢/ ١١٨).

٣- زُهْــدُهُ - رَحِمَــهُ اللَّهُ-

قال أبو عـبد الرحمن السُّلَمى: سـألت الدارقطنى عن إبراهيم الحربى، فـقال: كان يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده، وعلمه، وورعه.(١)

وعن أحمد بن عـبد الله بن خالد بن ماهان -ويعرف بابن أسد-، قـال: سمعت إبراهيم بن إسحاق، يقول: أجمع عقــلاء كُلِّ أمَّةٍ أنه من لم يجر مع القدر، لم يتهنأ بعيـشه، وكان يقـول: كان يكون قمـيصى أنظفَ قمـيص، وإزارى أوسخ إزار، ما حدثت نفسى أنهمـا يستويان قط، وفرد عقبى مقطوع، وفرد عـقبى الآخر صحيح، أمشى بهـما، وأدور بغداد، كلهـا هذا الجانب، وذلك الجانب، لا أحـدِّثُ نفسى أن أصلحهـا، وما شكوت إلى أمى، ولا إلى إخوتى، ولا إلـى امرأتى، ولا إلى بناتى قط، حمَّى وجدتهـا، الرجل هو الذى يدخل غَمَّهُ على نفسه، ولا يغم عـياله. كان بى شقيقة خمسًا وأربعين سنة، مـا أخبرت بها أحدًا قط، ولى عشر سنين أبصر بفرد عين، ما أخبرت به أحدًا، وأفنيت ثلاثين سنة من عمرى، برغيف فى اليوم والليلة، وإن جاءتنى امرأتى، أو إحدى بناتى به أكلته، وإلا بـقيت جائعًا، عطشان إلى الليلة الآخرى. والآن آكل نصف رغيف، وأربع عشرة تمرة، إن كان برنياً، أو نَيِّفًا وعشرين إن دقلا، ومرضت ابنتى، فـمضت امرأتى، فأقامت عندها شهـرًا، فقام إفطارى فى هذا الشهـر بدرهم، ودانقين ونصف، ودخلت إلى الحـمام، واشتـريت لهم صابوناً بدانقين، فقام نفقة شهر رمضان كله، بدرهم وأربعة دوانق ونصف.(٢)

وعن أبى القاسم ابن بكير، قال: سمـعت إبراهيم الحربى، يقول: ما كنا نعرف من هذه الأطبـخة شيـئًا، وكنت أجيء من عـشى إلى عشى، وقد هـيأت لى أمى باذنجانة مشوية، أو لعقة بن؛ أى شحم وسمن، أو باقة فجل، وقال عمر: سمعت أبا على الخياط؛ المعروف بالميت، يقـول: كنت جالسًا مع إبراهيم على باب داره، فلما أن أصبحنا، قال لى: يا أبا على، قم إلى شغلك؛ فإن عندى فجلة قد أكلت البارحة خضرها، أقوم أتغدى بجزرتها.(٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٠).

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ١٠، ٣١).

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٣٠، ٣١).

٤- وَرَعُـهُ وَعِفَّتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّهُ-

حدث أبو عـثمان الرازى، قال: جـاء رجل من أصحاب المعتـضد إلى إبراهيم الحربى، بعشـرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمـير المؤمنين، أن يُفَرِّق ذلك فرده، وانصرف الرسـول، ثم عاد، فقال: إن أمير المؤمنين يسـألك أن تفرقه فى جيرانك، فقال له: عافاك الله، هذا مال لم نشـغل أنفسنا بجمعه، فلا تشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين إن تركتنا، وإلا تحولنا من جوارك.(١)

وحدَّثَ أبو القاسم الجِـيلىُ، قال: اعْتَلَّ إبراهيم بن إسحاق الحـربى، حتى أشرف على الموت، فدخلت عليه يوماً، فـقال: يا أبا القاسم، إنى فى أمر عظيم مع ابنتى، ثم قال لها: قـومى، واخرجى إلى عمِّك كلِّميه، فـقالت لى: يا عم، نحن فى أمر عظيم، لا فى الدنيا، ولا فى الآخرة، والشهرَ والـدهرَ ما لنا طعام إلى كِسَر وملح، وربما عدمنا الملح، وبالأمس قـد وجه إلينا المعتضـد، مع بدر بألف دينار، فلم يأخذ منها شيئـًا، وهو عليل، فالتفت الحربى إليها، وتبسم، وقال: يا بُنَيَّـةَ، خفتِ الفقر؟ فقـالت: نعم، فقال لها: انظرى إلى تلـك الزاوية، فنظرت، فاذا كتب، فقـال لها: هناك اثنا عشر ألف جزء لغةٌ، وغريبٌ كتبته بخطى، فإذا متُ، فوجهى فى كل يومٍ بجزءٍ، تبيعينه بدرهم، فما كان عنده اثنا عشر ألف درهم، فليس هو فقيرًا.(٢)

وحدَّث أبو بكر الشافعى، قـال: قـال إبراهيم الحربى: ما أخذت على علم قط أجرًا، إلا مرة واحدة؛ فإنى وقفت على بقال، فوزنت له قيراطًا إلا فلسًا، فسألنى عن مسألة، فأجبته، فقال للغلام: أعطِ بقيراط، ولا تنقصه شيئًا، فزادنى فلسًا.(٣)

وروى المخلِّص عن أبيه أن المـعتضـد بعث إلى إبراهيم الحربى بمال، فـرده عليه أوحش رد، وقال: ردها إلى مـن أخذتها منه، وهو مـحتـاج إلى فلس، وكان لا يغسل ثوبه، إلا فى كلِّ أربعة أشهر مَرَّةً، وقد زلق مرَّةً فى الطين، فلقد كنت أرى عليه أثر الطين فى ثوبه إلى أن غسله.(٤)

---

(١) معجم الأدباء (١/ ١١٧).

(٢) معجم الأدباء (١/ ١١٧، ١١٨).

(٣) معجم الأدباء (١/ ١٩٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٢).

٥- طُـرَفٌ مِنْ أَخْبَـارِهِ وَدُرَرٌ مِـنْ أَقْـوَالِـهِ

قال أحمد بن سليـمان القطيعى: ضقت إضاقة، فمـضيت إلى إبراهيم الحربى؛ لأبثه مـا أنا فيـه، فقـال لى: لا يضيق صـدرك؛ فإن الله من وراء المعـونة، وإنى ضقت مرة، حتى انتهى أمرى إلى الإضاقة، إلى أن عدم عيالى قوتهم، فقالت لى الزوجة: هب إنى وإياك نصـبر، فكيف نصنع بهاتين الصـبيتـين؟ فهات شيـئًا من كتبك نبيعه، أو نرهنه، فضننت بذاك، وقلت: أقتـرض لهما شيئاً، وأنظرينى بقية اليوم والليلة، وكان لى بيـت فى دهليز دارى، فيه كتبى، كـنت أجلس فيه للنسخ وللنظر، فلما كـان فى تلك الليلة، إذا داق يدق الباب، فقلت: من هذا؟ فـقال: رجل من الجيران، فقلت: ادخل، فقـال: أطفئ السراج حتى أدخل، فكببت على السراج، وقلت: ادخل، فدخل، وترك إلى جانبى شـيئًا، وانصرف، فكشفت عن السـراج، ونظرت، فإذا منديل له قـيـمة، وفـيه أنواع من الطعـام، وكاغـد فيـه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجـة، وقلت: أنبهى الصبيان؛ حتى يأكلوا، ولما كان من الغد، قضـينا دينًا كان علينا، من تلك الدراهم، وكان وقت مـجىء الحاج من خراسان، فجلست على بابى من غد تلك الليلة، وإذا جَمَّالٌ يقود جملين، عليهما حمـلان، ورقًا، وهو يسـأل عن منزل إبراهيم الحربى، فـانتهى إلىَّ، فـقلت: أنا إبراهيم الحربى، فحط الجملين، وقـال: هذان الحملان أنفذهما لك رجلٌ من أهل خراسان، فقلت: من هو؟ فقال: قد استحلفنى أنَ لا أقول من هو.(١)

وعن أبى عمران الأشيب، قال: قـال رجل لإبراهيم الحربى: كيف قويت على جميع هذه الكتب ؟ قال: فغضبت، وقلت: بحلمى ودمى.(٢)

قال محمـد بن مَخْلد العطار: سمعت إبراهيم الحربى، يقـول: لا أعلم عصابة خيرًا من أصـحاب الحديث، وإنما يغدو أحدهم، ومـعه محبرة، فيـقول: كيف فعل النبى ﷺ ، وكيف صلى، إياكم، أن تجلسـوا إلى أهل البدع؛ فإن الرجل إذا أقبل ببدعة، ليس يُفلِح.(٣)

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٣٢).
(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٣٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٨).

وعن أبي الحسن ابن قريش، قال: حضرت إبراهيم الحربي -وجاءه يوسف القاضي، ومعه ابنه عمر-، فقال له: يا أبا إسحاق، لو جئناك على مقدار واجب، لكانت أوقاتنا كلها عندك، فقال: ليس كُلُّ غيبة جَفْوَةً، ولا كل لقاء مودة، وإنما هو تقارب القلوب.(١)

قال أبو ذر الهروي: سمعت أبا طاهر المخلِّص، سمعت أبي، سمعت إبراهيم الحربي، وكان وعدنا أن يُملي علينا مسألة في الاسم والمسمى، وكان يجتمع في مجلسه ثلاثون ألف محبرة، وكان إبراهيم مُقِلاً، وكانت له غرفة يصعد، فيشرف منها على الناس، فيها كوَّة إلى الشارع، فلما اجتمع الناس أشرف عليها، فقال لهم: قد كنت وعدتكم أن أملي عليكم في الاسم والمسمَّى، ثم نظرت، فإذا لم يتقدمني في الكلام فيها إمام يقتدى به، فرأيت الكلام فيه بدعة، فقام الناس، وانصرفوا، فلما كان يوم الجمعة، أتاه رجل، وكان إبراهيم لا يقعد إلا وحده، فسأله عن هذه المسألة، فقال: ألم تحضر مجلسنا بالأمس؟ قال: بلى، فقال: أتعرف العالم كلَّهُ؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا مما لم تعرف.(٢)

قال أبو الحسن العكي: سمعت إبراهيم الحربي، يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زمانكم؟ فقال رجل: الغريب من نأى عن وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه. فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح، عاش بين قوم صالحين، إذا أمر بمعروف آزروه، وإذا نهى عن منكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدُّنيا، مانوه، ثم ماتوا وتركوه.(٣)

وقال مقاتل بن بُنَان العكي: حضرت مع أبي وأخي عند أبي إسحاق -يعني إبراهيم الحربي-، فقال إبراهيم لأبي: هؤلاء أولادك؟ قال: نعم، قال: احذر لا يرونك، حيث نهاك الله، فتسقط من أعينهم.(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦١).
(٤) تاريخ بغداد (٦/ ٣٧).

٦ – شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ

شُيُوخُهُ: قال الخطيب البغـدادى: سمع أبا نعيم؛ الفضل بن دكـين، وعفان بن مسلم، وعبد الله بن صـالح العجلى، وموسى بن إسماعيل التـبوذكى، وأبا عمر الحوضى، ومسدداً، وعبيد الله بن محمـد ابن عائشة، وعمرو بن مرزوق، وسعيد ابن سليـمان الواسطى، وعلى بن الجـعد، وخَلَف بن هشام، وعـاصم بن على، ومحـمد بن مقـاتل المروزى، وأحمـد بن يونس، ومحمـد بن بكار بن الريان، وقتيبة بن سـعيد، ويحيى بن الحمانى، وأحمد بن حنبل، وعثـمان بن أبى شيبة، وعبيد الله القواريرى، وخلقاً من أمثالهم.(١)

تَلامذَتُهُ: قال الخطيب البغدادى: روى عنه موسى بن هارون الحافظ، ويحيى بن صاعد، وأبو بكر ابن أبى داود، والحسين المحـاملى، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر ابن الأنبارى النَّـحوى، وإبراهيم بن حبـيش بن دينار، وعثـمان بن عـبدويه، وعبيد الله بن أحمد بن بكير، وأبو عمرو ابن السماك، وأحمد بن سلمان النجاد، وأبو عمـر الزاهد -صاحـب ثعلب-، وأبو سهل ابن زياد، ومـحـمد بن على بن علوان المقرئ، والقاضى أبو الحسين ابن الأشنانى، ومحـمد بن عبد الله الشافعى، وعمر ابن جعفر بن مسلم، وأبو بكر ابن مالك القطيعى، وغيرهم.(٢)

٧ – وَفَـاتُـهُ – رَحِمَـهُ الـلَّـهُ –

قال الخطيب البغدادى – رحمه الله-: مات ببغداد سنة خمس وثمانين ومئتين.

ثم روى بسنده عن إسماعيل بن على الخطبى، قال: ومات أبو إسحاق؛ إبراهيم ابن إسحـاق الحربى يوم الاثنين، لتسـع بقين من ذى الحجـة، ودفن يوم الثلاثاء، لثمان بقيـن من ذى الحجة، سنة خمس وثمانين ومئـتين، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى، فى شـارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيـراً جداً، وكان يومًا فى عقب مطر ووحل، ودفن فى بيته -رحمه اللّه-. (٣)

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٢٧، ٢٨). (٢) تاريخ بغداد (٦/ ٢٨).

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٤٠).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٤٠)

أَبُـو عَبْـدِ الرَّحْـمَنِ النَّسَائِـيُّ
أَحْمَدُ بْـنُ شُعَيْبِ الْخُـرَاسَانِيُّ

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وصِفَتُـهُ

اسْمُهُ: أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخراسانى النسائى، أبو عبد الرحمن؛ والنسائى نسبة إلى نسإ، وهى بلدة بخراسان.

ويجوز أن يقال: نَسَوِىّ.

قال فى «معجم البلدان»: كان سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خراسان، قصدوها، فبلغ ذلك أهلها فهربوا، ولم يختلف بها غير النساء، فقالوا: هؤلاء نساء، والنساء لا يُقْتَلنَ، فنساء أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن، فتركوا ومضوا، فسموا بذلك نساء، والنسبة الصحيحة إليها نسائى، وقيل: نسوى أيضًا، وكان من الواجب كسر النون.[١]

مَوْلِدُهُ: قال الذهبى: ولد بنسإ، فى سنة خمس عشرة ومئتين.[٢]

وقيل: ولد سنة ٢١٤ هـ، وأصل الخلاف هو ما نقل عن تلميذه أبى سعيد ابن يونس، صاحب تاريخ مصر، قوله: رأيت بخطى فى مسودتى أن مولده بنسإ،

---

(١) نقلاً عن مقدمة شرح سنن النسائى، المسمى: «ذخيرة العقبى فى شرح المجتبى» لمحمد بن على بن آدم الأثيوبى (١/ ١٣، ١٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٥).

سنة ٢١٥، وقيل: ٢١٤، وذكر فى الوافى بالوفيات، للصفدى، (٦/ ٤١٦) أنه ولد سنة ٢٢٥، قال الحافظ السخاوى: وهو غلط جزمًا، إما من الناسخ، أو غيره.[١]

صفتُه: قال الذهبى: وكان نضر الوجه مع كبر السن، يؤثر لباس البرود النوبية، والخضر، ويكثر الاستمتاع، له أربع زوجات، فكان يقسم لهن، ولا يخلو مع ذلك من سُرِّية وكان يكثر أكل الديوك، تشترى له، وتسمن، وتخصى.

وقال مرة بعض الطلبة: ما أظن أبا عبد الرحمن، إلا أنه يشرب النبيذ للنُّضْرَةِ التى فى وجهه.[٢]

وقال الذهبى كذلك: وكان شيخًا مهيبًا، مليح الوجه، ظاهر الدم، حسن الشيبة.[٣]

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: سمعت أبا عَلى؛ الحسين بن على الحافظ، يقول: سألت أبا عبد الرحمن النسائى، وكان من أئمة المسلمين: ما تقول فى بقية . . . فذكر كلامًا.

وقال أيضًا: أخبرنا أبو على الحافظ، أخبرنا أبو عبد الرحمن النسائى، الإمام فى الحديث، بلا مدافعة.

وقال أيضًا: سمعت أبا على الحافظ، غير مرة، يذكر أربعة من أئمة المسلمين، رآهم فيبدأ بأبى عبد الرحمن.

وقال فى موضع آخر: سمعت أبا على الحافظ، يقول: رأيت من أئمة الحديث أربعة فى وطنى، وأسفارى؛ اثنان منهم بنيسابور: محمد بن إسحاق، وإبراهيم بن أبى طالب، وأبو عبد الرحمن النسائى بمصر، وعَبْدان بالأهواز.

(١) ذخيرة العقبى (١/ ١٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٧).

وقال أيضًا: سمعت جعفر بن محمد بن الحارث، يقول: سمعت مأمون المصرى الحافظ، يقول: خرجنا مع أبى عبد الرحمن إلى طرسوس، سنة الفداء، فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام، واجتمع من الحفاظ عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إبراهيم مربَّع، وأبو الآذان، وكيلجة، وغيرهم، فتشاوروا من ينتقى لهم على الشيوخ، فأجمعوا على أبى عبد الرحمن النسائى، فكتبوا كلهم بانتخابه. (١)

وقال الدارقطنى: أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره. (٢)

وقال أيضًا: كان ابن الحداد؛ أبو بكر كثير الحديث، ولم يحدث عن غير النسائى، وقال: رضيت به حجة، فيما بينى، وبين الله. (٣)

وقال ابن السبكى: سمعت شيخنا؛ أبو عبد الله الذهبى، الحافظ، وسألته: أيهما أحفظ؛ مسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح، أو النسائى؟ فقال: النسائى، ثم ذكرت ذلك للشيخ الإمام الوالد -تغمده الله برحمته-، فوافق عليه. (٣)

وقال الذهبى: وكان من بحور العلم مع الفهم، والإتقان، والبصر، ونقد الرجال، وحسن التأليف.

جالَ فى طلب العلم فى خراسان، والحجاز، ومصر، والعراق، والجزيرة، والشام، والثغور، ثم استوطن مصر، ورحل الحفاظ إليه، ولم يبق له نظير فى هذا الشأن. (٤)

وقال الحاكم: سمعت أبا الحسين؛ محمد بن المظفر، الحافظ، يقول: سمعت مشايخنا بمصر، يعترفون لأبى عبد الرحمن النسائى بالتقدم، والإمامة، ويصفون من اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار، ومواظبته على الحج، والاجتهاد، وأنه خرج إلى الفداء مع والى مصر، فوصف من شهامته، وإقامته السنن المأثورة، فى فداء

---

(١) تهذيب الكمال (١/ ٣٣٣، ٣٣٤).
(٢) طبقات الشافعية (٣/ ١٥).
(٣) طبقات الشافعية (٣/ ١٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٧).

المسلمين، والمشركين، واحترازه عن مجالسة السلطان، الذى خرج معه، والانبساط بالمأكول، والمشروب فى رحله، وأنه لـم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد -رحمه اللّه- بدمشق، من جهة الخوارج.(١)

وقال الذهبى أيضًا: لم يكن أحدٌ فى رأس الثلاث مئة، أحفظ من النسائى، هو أحذق بالحـديث، وعلله، ورجاله من مـسلم، ومن أبى داود، ومن أبى عـيسى، وهو جار فى مضمار البخارى، وأبى زرعة، إلا أن فيه قليل تشيع، وانحراف على خصوم الإمام علىّ؛ كمعاوية، وعمرو، واللّه يسامحه.(٢)

وقال ابن الأثيـر: كان شافعيـاً، له مناسك على مذهب الشافـعى، وكان ورعاً متحرياً، قيل: إنه أتى الحارث بن مسكين فى زى، أنكره عليه قلنسوة وقباء، وكان الحارث خائفًا من أمـور تتعلق بالسلطان، فخاف أن يكون عينًا عليـه فمنعه، فكان يجىء، فيقعد خلف الباب، ويسمع؛ ولذلك ما قال: حدثنا الحارث، وإنما يقول: قال الحارث بن مسكين، قراءة عليه، وأنا أسمع.(٣)

٣- تَشَدُّدُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي نَقْدِ الرِّجَالِ

قـال الحافظ ابن طاهر: سـألت سعـد بن على الزَّنْجَـانى، عن رجل فوثَّقـه، فقلـت: قد ضعـفه النسـائى، فقـال: يا بنى، إن لأبى عبـد الرحمن شـرطًا فى الرجال، أشد من شرط البخارى ومسلم.

قال الذهبى: صدق؛ فإنه ليَّنَ جماعة من رجال صحيحى البخارى ومسلم.(٤)

وعن عبد الوهاب بن محمد بن إسـحاق، قال: قال لى أبو عبد الله ابن منده: الذين أخرجوا الصحيح، ومـيزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصواب؛ أربعة: البخارى، ومسلم، وأبو داود، وأبو عبد الرحمن النسائى.(٥)

---

(١) تهذيب الكمال (٦/ ٣٣٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣١، ١٣٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣١).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٥).

وقال أبو عبد الرحمن: محمد بن الحسين السُّلَمِيّ الصوفي: سألت أبا الحسن؛ على بن عمر الدارقطني الحافظ، فقلت: إذا حدَّثَ محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأحمد بن شعيب النسائي حديثاً؛ من تقدم منهما؟ قال: النسائي؛ لأنه أسند، على أني لا أقدم على النسائي أحداً، وإن كان ابن خزيمة إماماً، ثبتاً، معدوم النظير.(١)

قال: وقال: سمعت أبا طالب الحافظ، يقول: من يصبر على ما يصبر عليه أبو عبد الرحمن النسائي؛ كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة ترجمة، فما حدَّث بها، وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة.

وقال حمزة بن يوسف السهمي: وسئل -يعني الدارقطني- إذا حدث أبو عبد الرحمن النسائي، وابن خزيمة بحديث؛ أيما تقدمه؟ فقال: أبو عبد الرحمن؛ فإنه لم يكن مثله، ولا أقدم عليه أحدًا، ولم يكن في الورع مثله، لم يحدث بما حدَّث ابن لهيعة، وكان عنده عاليًا عن قتيبة.(٢)

٤ – شَرْطُ النَّسائِيِّ فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى وَالـمُجْتَبَى

ذكر أبو عمرو ابن الصلاح، في مقدمته عن أبي عبد الله ابن مَنْدَه، أن سمع محمد بن سعد الباوردي بمصر، يقول: كان من مذهب أبي عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه.

قال ابن منده: ومثله أبو داود، وإلى ذلك أشار العراقي، في ألفيته؛ حيث قال:

وَالنَّسَائي يُخْرِجُ مَنْ لَمْ يُجْمِعُوا عَلَيْهِ تَرْكاً مَذْهَبٌ مُتَّسِعُ

وقوله: مذهب متسع؛ أي أنه لم يُرِدْ به إجماعًا خاصاً؛ وذلك أن الحافظ ابن حجر -رحمه الله -قال: إن ذلك إجماع خاص، وذلك أن كل طبقة من نقاد الرجال، لا تخلو من متشدد، ومتوسط؛ فمن الأولى: شعبة، والثوري، وشعبة أشدهما، ومن الثانية: يحيى القطان، وابن مهدي، ويحيى أشدهما، ومن الثالثة: ابن معين، وأحمد، وابن معين أشدهما.

(١) تهذيب الكمال (١/ ٣٣٤، ٣٣٥). (٢) تهذيب الكمال (١/ ٣٣٥).

فقال النسائي: لا يترك الرجل عندي، حتى يجمع الجميع على تركه، فإذا وثقه ابن مهدي، وضعفه يحيى القطان مثلاً لا يترك؛ لما عرف من تشدد يحيى، ومن هو مثله في النقد، فإذا تقرر ذلك، ظهر أن الذي يتبادر إلى الذهن من أن مذهب النسائي في الرجال، مذهب متسع، ليس كذلك؛ فكم من رجل أخرج له أبو داود، والترمذي، تجنب النسائي إخراج حديثه، بل تجنب إخراج حديث جماعة من رجالي الصحيحين.

وقال أحمد بن محبوب الرملي: سمعت النسائي، يقول: لما عَزَمْتُ على جمع السنن، استخرت الله تَعَالَى في الرواية عن شيوخ؛ كان في القلب منهم بعض الشيء، فوقعت الخيرة على تركهم، فتركت جملة من الحديث، كنت أعلو فيها عنهم.

وقال الحسين المعافري: إذا نظرت إلى ما يخرجه أهل الحديث، فما خرجه النسائي أقرب إلى الصحة، مما خرجه غيره.

وقال الإمام أبو عبد الله ابن رشيد: كتاب النسائي أبدع الكتب المصنفة في السنن تصنيفًا، وأحسنها ترصيفًا، وكان كتابه جامعًا بين طريقي البخاري ومسلم، مع حظ كثير من بيان العلل. وقال محمد بن معاوية الأحمر: الراوي عن النسائي، قال النسائي: كتاب السنن كله صحيح، وبعضه معلول، إلا أنه لم يبين علته، والمنتخب المسمى بالمجتبى صحيح كله، وذكر بعضهم أن النسائي لما صنف السنن الكبرى، أهداه إلى أمير الرملة، فقال له الأمير: أكل ما في هذا صحيح؟ قال: لا، قال: فجرد الصحيح منه، فصنف «المجتبى».

وهو بالبَاءِ الموحدة. قال الزركشي في تخريج الرافعي: ويقال بالنون أيضاً.

وقال الزركشي في نكته على ابن الصلاح: تسمية الكتب الثلاثة صحاحًا، إما باعتبار الأغلب؛ لأن غالبها الصحاح، والحسان، وهي ملحقة بالصحاح، والضعيف منها، ربما التحق بالحسن، فإطلاق الصحة عليها من باب التغليب.

وكتب محقق «عمل اليوم والليلة»: **فبهذا يظهر أن النسائي أخرج أحاديث**

الثقـات فقط، والآخرون نَـصَّ على ضعفـهم، كما يظهـر من خلال سنتـه؛ فإذا تتبـعناها، وجدنا أنه يتوخى إِخـراج أقوى ما فى البـاب من الأحاديث، ويعتـمد العدالة والضـبط فى الأحاديث، بقطع النـظر عن المعتقـد، والاتجاه المذهبى، فـقد روى عن الجوزجـانى مثلاً، وفـيه انحراف عن علىّ، وأهل الـكوفة، وهو -يعنى النسائى- ميـال إِلى التشيع كما تقـدم، وأخرج عن عمر بن سعـيد بن أبى وقاص المدنى، وهو الذى كـان أميـرًا على الجـيش، الذى قتـل الحسـين بن على ﷺ، وكذلك وثق أسـد بن وداعة، وهو ناصبى شديد النصب، كـما روى عن الأجلح فى «اليوم والليلة» وكان مسرفًا فى التشيع، وروى عن شمر بن عطية الأسدى، فى «اليوم والليلة»، وكـان عثمـانياً، وروايته عن الشيـعة من الحفـاظ الضابطين، ولو كانوا مسـرفين فكثيرة، خـصوصًا فى مسند على، كـما يتبين لنا مـن خلال كتب الرجال؛ لأن المسند لم نره.[(١)]

٦ – شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ

شُيُوخُهُ: قال ابن السبكى: سمع قتيبـة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، وهشام ابن عمار، وعيـسى بن حـماد، والحسين بن منصور السلمى النيـسابورى، وعمرو ابن زرارة، ومحمـد بن نصر المروزى، وسويد بن نصر، وأبا كريب، ومـحمد بن رافع، وعلى بن حُجْر؛ وأبا يزيد الجرمى، ويونس بن عبد الأعلى، وخلقًا سواهم بخراسان، والعراق، والشام، ومصر، والحجاز، والجزيرة.[(٢)]

تَلامِذَتُهُ: قال الحـافظ: وعنه ابنه عبد الكريم، وأبو بكر أحـمد بن محـمد بن إِسحاق السنى، وأبو الحسن ابن الخضر الأسيوطى، والحسن بن رشيق العسكرى، وأبو القاسم، حمزة بن محمـد بن على الكنانى الحافظ، وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حـيويه، ومحمد بن معاوية بن الأحـمر، ومـحمد بن قاسم الأندلسى، وعلى بن أبى جعفر الطحاوى، وأبو بكر أحمد بن محمد بن المهندس،

(١) باختصار من ذخيرة العقبى (١/ ٢٣ – ٢٩). (٢) طبقات الشافعية (٣/ ١٥).

هؤلاء رواة كتاب «السنن» عنه، وأبو بشر الدولابى، وهو من أقرانه، وأبو عوانة فى «صحيحه»، وأبو جعفر الطحاوى، وأبو بكر ابن الحداد الفقيه، وأبو جعفر العقيلى، وأبو على ابن هارون، وأبو على النيسابورى الحافظ، وأمم لا يحصون.(١)

٦ - مُصَنَّفَاتُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

١- «الخصائص»:

قال الوزير ابن حِنْزابة: سمعت محمد بن موسى المأمونى، صاحب النسائى، قال: سمعت قومًا ينكرون على أبى عبد الرحمن النسائى كتاب، «الخصائص»، لعلى ﷺ، وتركه تصنيف فضائل الشيخين، فذكرت له ذلك، فقال: دخلت دمشق، والمنحرف بها عن علىّ كثير، فصنفت كتاب «الخصائص»، رجوت أن يهديهم اللّه تَعَالَى، ثم إنه صنف بعد ذلك «فضائل الصحابة»، فقيل له -وأنا أسمع-: ألا تخرج فضائل معاوية ﷺ؟ فقال: أى شىء أخرج ؟ حديث: **«اللهم لا تشبع بطنه»** فسكت السائل.

قال الذهبى: لعل أن يقال: هذه منقبة لمعاوية، لقوله ﷺ: **«اللَّهمَّ مَنْ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُه، فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»**.(٢)

والظاهر -واللّه أعلم- أن الإمام النسائى، لا يقصد الطعن فى معاوية ﷺ، ولكنه أنكر على أهل الشام شدة محبتهم، وإطرائهم لمعاوية ﷺ، وتنقصهم أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب ﷺ، كما أشار إلى ذلك ما رواه أبو عبد اللّه ابن منده، عن حمزة العقبى المصرى، وغيره أن النسائى خرج من مصر، فى آخر عمره، إلى دمشق، فسئل بها عن معاوية، وما جاء فى فضائله، فقال: لا يرضى رأسًا برأس حتى يفضل.

فالذى أنكره النسائى تفضيلهم لمعاوية، على عَلِي ﷺ، ولا شك فى أن عَلِي أفضل الأمة، بعد رسول اللّه ﷺ، وأبى بكر، وعمر، وعثمان، فهو رابع الأمة فى الفضل والخلافة.

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٣٢).

(٢) سير أعلام (١٤/ ١٢٩، ١٣٠).

وقال الحافظ أبو القاسم: هذه الحكاية لا تدل على سوء اعتقاد أبي عبد الرحمن في معاوية بن أبي سفيان، وإنما تدل على الكف في ذكره بكل حال.

ثم روى بإسناده عن أبي الحسن، علي بن محمد القابسي، قال: سمعت أبا علي، الحسن بن أبي هلال، يقول: سئل رسول الله ﷺ، فقال: «**إِنَّمَا الإِسْلَامُ كَدَارٍ لَهَا بَابٌ، فَبَابُ الإِسْلَامِ الصَّحَابَةُ، فَمَنْ آذَى الصَّحَابَةَ، إِنَّمَا أَرَادَ الإِسْلَامَ، كَمَنْ نَقَرَ الْبَابَ، إِنَّمَا يُرِيدُ دُخُولَ الدَّارِ**». قال: فمن أراد معاوية، فإنما أراد الصحابة.(١)

٢ - «السنن الكبرى»:

وهو مطبوع، بتحقيق دكتور/ عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، وطبع دار الكتب العلمية، قال المحقق: وهو يحتوي على بضع وعشرين كتابًا، لم يحتوها كتاب «المجتبى»، وفي الكتب المشتركة بين الكبرى، والمجتبى، يوجد سقط من المجتبى، ضمنه النسائي في السنن الكبرى، غير أن هذه القاعدة ليست مطلقة، فقد تضمن المجتبى تعليقات، وأحاديث ليست في السنن الكبرى.

٣ - «المجتبى»:

وهو المشهور بسنن النسائي، وأشهر شروحه شرح الحافظ، جلال الدين السيوطي، وحاشيته السندي، ط. دار الكتب العلمية، وهناك شروح لم تكتمل بعد، كـ «ذخيرة العقبى»، للشيخ/ محمد بن علي بن آدم، وطبع دار المعراج الدولية، وبذل الإحسان لأخينا الفاضل، الشيخ الحويني، وطبع مكتبة التربية.

٤ - «تفسير النسائي»:

وهو مطبوع بتحقيق/ صبري عبد الخالق الشافعي، وسيد عباس الحليمي، وطبع مؤسسة الكتب الثقافية.

وله كتب أخرى ذكرها فؤاد سزكين، في «تاريخ التراث»، فمن ذلك «الضعفاء والمتروكين».

---

(١) تهذيب الكمال (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

وتسمية فقهاء الأمصار، من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن بعدهم من أهل المدينة، وتسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد. وعمل اليوم والليلة، وكتاب الجمعة.[1]

وبعضها مطبوع متداول، والله أعلم.

٧ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبي -رحمه الله-: روى أبو عبد الله ابن منده، عن حمزة العقبى المصرى، وغيره أن النسائى، خرج من مصر فى آخر عمره إلى دمشق، فسئل بها عن معاوية، وما جاء فى فضائله، فقال: لا يرضى رأس برأس، حتى يفضل؟ قال: فما زالوا يدفعون فى حِضْنَيه حتى أخرج من المسجد، ثم حمل إلى مكة فتوفى بها، كذا قال: وصوابه إلى الرملة.

قال الدارقطنى: خرج حاجاً، فامتحن بدمشق، وأدرك الشهادة، فقال: احملونى إلى مكة، فحمل، فتوفى بها، وهو مدفون بين الصفا، والمروة، وكانت وفاته فى شعبان، سنة ثلاث وثلاثمائة، قال: وكان أفقه مشايخ مصر فى عصره، وأعلمهم بالحديث والرجال.

وقال أبو سعيد ابن يونس فى «تاريخه»: مات أبو عبد الرحمن النسائى سنة اثنتين وثلاثمائة، وتوفى بفلسطين فى يوم الاثنين، لثلاث عشرة خلت من صفر.

قال الذهبى: وهذا أصح، فإن ابن يونس حافظٌ يقظ، وقد أخذ عن النسائى، فهو عارف.[2]

---

(١) انظر تاريخ التراث (٢/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٢، ١٣٣).

مِنْ أَعْلامِ السَّلَفِ

(٤١)

مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وصِفَتُهُ

اسْمُهُ: محمد بن نصر بن الحجاج المروزى الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله الحافظ.

مَوْلِدُهُ: ببغداد سنة اثنتين ومئتين، وفى الطبقات لأبى إسحاق، ولد محمد بن نصر ببغداد، ونشأ بنيسابور، واستوطن سمرقند.

صِفَتُهُ: قال محمد بن يعقوب الأخرم: كان من أحسن الناس خَلْقًا، كأنما فقئ فى وجهه حبُّ الرُّمَّان، وعلى خديه، كالورد، ولحيته بيضاء.

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الحاكم: هو الفقيه العابد العالم، إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة.[١]

وقال أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضى: كان الصدر الأول من مشايخنا يقولون: رجال خراسان أربعة: ابن المبارك، ويحيى بن يحيى، وإسحاق ابن راهويه، ومحمد بن نصر المروزى.[١]

وقال ابن الأخرم: حدثنا إسماعيل بن قتيبة قال: سمعت محمد بن يحيى غير مرة إذا سئل عن مسألة يقول: سلوا أبا عبد الله المروزى.[١]

وقال أبو بكر الخطيب: حَدَّث عن عبدان بن عثمان، ثمَّ سمى جماعة وقال: كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم فى الأحكام.[٢]

---

(١) طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٧). (٢) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥).

قال الذهبى: يقال: إنه كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق.(١)

وقال أبو بكر ابن إسحاق الصِّبغىِّ: وقيل له: ألا تنظر إلى تمكن أبى علىٍّ الثقفى فى عقله؟ فقال: ذاك عقل الصحابة والتابعين من أهل المدينة. قيل: وكيف ذاك؟ قال: إنَّ مَالكًا كان من أعقل أهل زمانه، وكان يقال: صار إليه عقل الذين جالسهم من التابعين، فجالسه يحيى بن يحيى النيسابورى، فأخذ من عقله وسمته، ثم جالس يحيى بن يحيى محمد بن نصر سنين، حتى أخذ من سمته وعقله، فلم ير بعد يحيى من فقهاء خراسان أعقل من ابن نصر، ثم إن أبا علىٍّ الثقفى جالسه أربع سنين، فلم يكن بعده أعقل من أبى علىّ.(٢)

وقال عبد الله بن محمد الإسفراييني: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: كان محمد بن نصر بمصر إماماً فكيف بخراسان.(٣)

وقال الإمام النووى: هو الإمام البارع العلامة فى فنون العلم أبو عبد الله محمد ابن نصر المروزى الفقيه الشافعى.(٤)

وروى الخطيب البَغدادى، بسنده عن الأمير أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد قال: كنت بسمرقند فجلست يوماً للمظالم وجلس أخى إسحاق إلى جنبى إذ دخل أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى، فقمت له، إجلالاً لعلمه، فلما خرج عاتبنى أخى إسحاق، وقال: أنت والى خراسان يدخل عليك رجل من رعيتك فتقوم إليه؟ وبهذا ذهاب السياسة، فبتُّ تلك الليلة، وأنا مقسم القلب بذلك فرأيت النبى ﷺ فى المنام وكأنى واقف مع أخى إسحاق إذ أقبل النبى ﷺ فأخذ بعضدى فقال لى: يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بإجلالك لمحمد بن نصر، ثم التفت إلى إسحاق فقال: ذهب ملك إسحاق، وملك بنيه، باستخفافه بمحمد بن نصر.(٥)

وقال السليمانى: محمد بن نصر إمام الأئمة الموفق من السماء.(٦)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤، ٣٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٣).
(٥) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٨).
(٦) طبقات الشافعية (٢/ ٣١٨).

وقال التاج السبكى: محمد بن نصر الإمام الجليل أبو عبد الله أحد أعلام الأمة، وعقلائها وعبَّادها.(١)

وقال أبو محمد ابن حزم فى بعض تواليفه: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن، وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه.

قال: وما نعلم هذه الصفة -بعد الصحابة- أتم منها فى محمد بن نصر المروزى، فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث، ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بن نصر لما أبعد عن الصدق.

قال الذهبى: هذه السعة والإحاطة ما ادعاها ابن حزم لابن نصر إلا بعد إمعان النظر فى جماعة تصانيف لابن نصر، ويمكن ادعاء ذلك لمثل أحمد بن حنبل ونظرائه، والله أعلم.(٢)

وقال الذهبى كذلك: كتب الكثير وبرع فى علوم الإسلام، وكان إماماً مجتهداً علامة، ومن أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين، قل أن ترى العيون مثله.(٣)

٣- عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو بكر الصبغى: أدركت إمامين لم أُرزق السماع منهما أبو حاتم الرازى، ومحمد بن نصر المروزى، فأما ابن نصر فما رأيت أحسن صلاة منه، لقد بلغنى أن زنبورًا قعد على جبهته فسال الدم على وجهه ولم يتحرك.(٤)

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم: ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر، كان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يَذُبُّهُ عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته، وخشوعه وهيئته للصلاة، كان يضع ذقنه على صدره فينتصب، كأنه

(١) طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦).

خشبة منصوبة. وقال: وكان من أحسن الناس خَلْقًا، كأنما فقئَ فى وجهه حَبُّ الرمان، وعلى خديه كالورد.(١)

٤ - نُتَفٌ مِنْ أَخْبَارِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبى: روى عنه أنه قال: لم يكن لى حسن رأى فى الشافعى، فبينا أنا قاعد فى مسجد النبى ﷺ أغفيت فرأيت النبى ﷺ فى المنام، فقلت: يا رسول الله، أكتب رأى الشافعى؟ فطأطأ رأسه شبه الغضبان، وقال: تقول: رأى؟ ليس هو بالرأى، هو رد على من خالف سنتى، فخرجت فى أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعى.(٢)

وقال ابن الأخرم: انصرف محمد بن نصر من الرحلة الثانية سنة ستين ومائتين، فاستوطن نيسابور، ولم تزل تجارته بنيسابور، أقام مع شريك له مضارب، وهو يشتغل بالعلم، والعبادة ثم خرج سنة خمس وسبعين إلى سمرقند، فأقام بها وشريكه بنيسابور، وكان وقت مقامه هو المفتى، والمقدم بعد وفاة محمد بن يحيى فإن حيكان -يعنى يحيى بن محمد بن يحيى- ومن بعده أقروا له بالفضل، والتقدم.(٣)

قال الذهبى: أنبأنى أبو الغنائم القيسى، وجماعة سمعوا أبا اليمن الكندى: أخبرنا أبو منصور القَزَّاز أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا الجوهرى، أخبرنا ابن حيويه، حدثنا عثمان بن جعفر اللبان، حدثنى محمد بن نصر قال: خرجت من مصر ومعى جارية فركبت البحر أريد مكة، فغرقت، فذهب منِّى ألف جزء، وصرتُ إلى جزيرة أنا وجاريتى فما رأينا فيها أحداً، وأخذنى العطش، فلم أقدر على الماء، فوضعت رأسى على فخذ جاريتى مستسلماً للموت، فإذا رجلٌ قد جاءنى ومعه كوز، فقال لى هاه، فشربت وسقيتها ثم مضى، فلا أدرى من أين جاء ولا من أين راح.(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦، ٣٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨).
(٣) طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧، ٣٨).

وقال السبكى: قال أحمد بن إسحاق الصِّبْغى: سمعت محمد بن عبد الوهاب الثقفى يقول: كان إسماعيل بن أحمد والى خراسان يصل محمد بن نصر فى السنة بأربعة آلاف درهم، ويصله أخوه إسحاق بمثلها، ويصله أهل سمرقند بمثلها، فكان ينفقها من السنة إلى السنة من غير أن يكون له عيال، فقيل له: لو ادَّخَرتَ لنائبة فقال: -سبحان الله- أنا بقيت بمصر كذا وكذا سنة قوتى وثيابى وكاغدى وحبرى وجميع ما أنفقه على نفسى فى السنة عشرين درهماً، فترى إن ذهب ذا لا يبقى ذاك.

قال السبكى: انظر حالة من لا فرق بين القلة والكثرة عنده.

قلت: ولعل مراده -رحمه الله- أن الذى أخلفه من عشرين درهماً فى العام بمئة وعشرين ألفاً، قادرٌ لى أن يخلفه إن ذهبت المئة وعشرين ألفاً غيرها أو أكثر منها بأضعاف مضاعفة، فالجنين فى بطن أمه يأتيه رزقه من باب واحد وهو الحبل السرى، فإذا انقطع بولادته أجرى الله -عز وجل- له رزقه من بابين وهما ثديى أمه، فإذا أغلق البابان فتحت له أبواب الرزق الكثيرة فى الدنيا.

والذى يمدح به محمد بن نصر فى ذلك هو حسن ظنه بربه -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقال السبكى: وحكى أن محمد بن نصر، كان يتمنى على كبر سنه أن يولد له ابن.

قال الحاكى: فكنا عنده يوماً، وإذا برجل من أصحابه قد جاء وسارَّه فى أذنه، فرفع يديه، وقال: ﴿الْحَمْدُ للَّه الَّذي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾(إبراهيم: ٣٩)، ثم مسح وجهه بباطن كَفِّه، ورجع إلى ما كان فيه.

قال الحاكى: فرأينا أنه استمع فى تلك الكلمة الواحدة ثلاث سنن: تسمية الولد، وحمد الله على الموهبة، وتسميته إسماعيل، لأنه ولد على كبر سنه، وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(الأنعام: ٩٠).

قال السبكى: كذا أسند هذه الحكاية الحاكم أبو عبد الله، وإن كان محمد بن نصر قصد الثلاث، فنستفيد من هذا أنه يستحب لمن ولد له ابن على الكبر أن

يسميه إسماعيل، وهى مسألة حسنة، وأحسب إسماعيل هذا من خَنَّة بخاء معجمة ثم نون، وهى أخت القاضى يحيى بن أكثم، وكان محمد بن نصر قد تزوجها.[1]

٥- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: سمع بخراسَان من يحيـى بن يحيى التميمى، وأبى خالد يزيد بن صالح، وعمر بن زرارة، وصدقة بن الفضل المروزى، وإسحاق بن راهويه، وعَلِيِّ بن حُجر.

وبالرى: محمد بن مهران الجَمَّال، ومحمد بن مقاتل، ومحمد بن حميد، وطائفة.

وببغداد: محمد بن بكار بن الرَّيان، وعبيد الله بن عمر القواريرى والطبقة.

وبالبصرة: شيبان بن فَرُّوخ وهُدبَةَ بن خالد، وعبد الواحد بن غياث وعدة.

وبالكوفة: محمد بن عبد الله بن نمير، وهَنَّاد، وابن أبى شيبة، وطائفة.

وبالمدينة: أبا مصعب، وإبراهيم بن المنذر الحِزامى، وطائفة.

وبالشام: هشام بن عَمَّار، ودحيماً.

وبمصر: من يونس الصدفى، والربيع المرادى، وأبى إسماعيل المزنى، وأخذ عنه كتب الشافعى ضبطًا وتفقهًا.[2]

تَلامذَتُهُ: قال الذهبى: حدث عنه أبو العباس السَّرَّاج، ومحمد بن المنذر شكَّر، وأبو حامد ابن الشرقى، وأبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم، وأبو النضر محمد بن محمد الفقيه، وولده إسماعيل بن محمد بن نَصْر، ومحمد بن إسحاق السمرقندى، وخلق سواهم.[3]

---

(١) طبقات الشافعية (٢/ ٢٥٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣، ٣٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤).

٦ - مِنْ غَرَائِبِــهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال السبكي:

* ذهب إلى أن صلاة الصبح تقصر في الخوف إلى ركعة.

* وأنه يجزى المسح على العمامة.

* ونقل في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» عن بعض أهل العلم: أن علة النهي عن السمر بعد العشاء الآخرة؛ لأن مصلِّي العشاء قد كفرت عنه ذنوبه بصلاته فيخشى أن يكون منه الذلة فيتدنس بالذنب بعد الطهارة.

قلت: وعلله آخرون بوقوع الصلاة التي هي أفضل الأعمال خاتمة عمله وهو قريب من ذلك. وآخرون بأن الله قد جعل الليل سكناً، والحديث يخرجه عن ذلك. وآخرون بأن نومه يتأخر، فيخاف فوات الصبح عن وقتها، أو عن أوله، وآخرون بخشية من له تهجد فواته.

قال السبكي: قلت: ويمكن أن يتعلق بكل من هذه المعاني، بجواز اجتماعها، ولا يمكن أن يقتصر على واحد من التعليلين الآخرين لئلا يلزم اختصاص الكراهة بمن يخشى فوات الصبح واختصاصهما بمن له تهجد يخشى فواته.[١]

٧ - مِنْ كَلِمَاتِـهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الذهبي: ومن كلام محمد بن نصر قال: لما كانت المعاصي بعضها كفرًا وبعضها ليس بكفر، فرق تَعَالَى بينها، فجعلها ثلاثة أنواع: فنوع منها كفر، ونوع منها فسوق، ونوع منها عصيان، فليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أنه كَرَّهَهَا كُلَّهَا إلى المؤمنين، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان وليس فيها شيءٌ خارج عنه لم يفرق بينها فما قال: حبب إليكم الإيمان، والفرائض، وسائر الطاعات، بل

---

(١) طبقات الشافعية (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣).

أجمل ذلك فقال: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ﴾ (الحجرات:٧)، فدخل فيه جـميع الطاعات، لأنه حـبب إليـهم الصـلاة، والزكـاة، وسائـر الطاعـات، حب تَدَين، ويكرهون المعاصى كراهية تدين، ومنه قوله -عليه السلام- : «مَنْ سَرَّته حَسَنَتهُ وَسَاءَتْه سَيِّئَتهُ فَهُوَ مؤْمِنٌ». (١)

وقال الحافظ أبو عبد الله ابن منده فى مسـألة الإيمان: صرح محـمد بن نصر فى كتـاب «الإيمان» بأن الإيمان مخلوق، وأن الإقـرار والشهادة وقـراءة القرآن بلفظه مخلوق، ثم قال: وهجره على ذلك علماء وقته وخالفه أئمة خراسان والعراق.

قال الذهبى: الخـوض فى ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يقـال الإيمان، والإقـرار، والقـراءة، والتلفظ بالقـرآن غـيـر مـخلوق، فـإن الله خلق العـبـادَ، وأعمـالهم، والإيمان قول وعـمل، والقراءة والتلفظ من كسب القـارئ، والمقروء الملفوظ هو كـلام الله ووحيه وتنزيله، وهو غـير مخلوق، وكذلك كلمـة الإيمان وهى قول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) داخلة فى القرآن وما كان من القرآن، فليس بمخلوق، والتكلم بها من فـعلنا، وأفعالنا مخلوقـة، ولو أنا كلما أخطأ إمام فى اجتهـاده فى آحاد المسائل خطأ مـغفورًا له قمنا عليـه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا ابن نـصر ولا ابن منده، ولا من هو أكبـر منهمـا، والله هو هادى الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة. (٢)

٨ - مُصَنَّفَـاتُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو بكر الصيرفى من الشافعيـة: لو لم يصنف ابن نصر إلا كتاب «القسامة» لكان من أفقه الناس. (٣)

---

(١) سيـر أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥)، والحـديث رواه أحمد (١/ ١٨، ٢٦)، والتـرمذي (٢١٦٥)، الفتن، وصححه الحاكم (١/ ١١٤)، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٩، ٤٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤).

وقال الحافظ السليماني: محمد بن نصر إمام الأئمة، الموفق من السماء سكن سمرقند، سمع يحيى بن يحيى وعبدان وعبد الله المسندي وإسحاق، وله كتاب «تعظيم قدر الصلاة»، وكتاب «رفع اليدين»، وغيرهما من الكتب المعجزة. كذا قال السليماني ولا معجز إلا القرآن.(١)

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: صنف محمد هذا كتبًا ضمنها الآثار والفقه، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، وصنف كتاباً فيما خالف فيه أبو حنيفة علياً وعبد الله رضي الله عنهما.(٢)

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال السبكي: توفي محمد بن نصر بسمرقند في المحرم سنة أربع وتسعين ومئتين.(٣)

وقال الذهبي: مات بعد أيام قلائل من موت صالح بن محمد جَزَرة، وذلك في المحرم سنة أربع وتسعين ومئتين.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧).
(٢) طبقات الشافعية (٣/ ٢٤٧).
(٣) طبقات الشافعية (٢/ ٢٥٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٩).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٤٢)

شَيْخُ الْمُفَسِّرِينَ
مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِي - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب. وكنيته أبو جعفر.

مَولِدُهُ: كانت ولادته سنة (٢٢٤هـ)، علـى الأرجح، وقيل: سنة (٢٢٥هـ)، وذكر الطبـرى نفسه سبب هذا الشك والتـردد، عندما سأله عنه تلمـيذه أبو بكر ابن كـامل، فـقـال: كـان أهل بلادنا يـؤرخون بالأحـداث دون السنين، فـأرِّخَ مولدى بحـادث كان بالبلد، فلمـا نشأت، سـألت عن ذلك الحادث، فـاختلف المؤرخون، قال بـعضهم: كان ذلك فى آخر سـنة أربع وعشرين ومئـتين، وقال آخرون: بل كان ذلك فى أول سنة خـمس وعشرين ومئتـين، وكثيراً ما يقـتصر الكُتَّاب والمؤرخون على التاريخ الأول.[1]

وكان مولده بآمل طبرستان -وهى: قصبة طبرستان-.[2]

صِفَـتُهُ -رَحِمَـهُ اللَّهُ: كان الطبـرى أسمر إلى الأدمة مـا هو، أعين- أى: واسع العينين- نحيف الجسم، مديد القامة، فـصيح اللسان، أسود الشعر، وبقى السواد فى شعر رأسه ولحيته إلى الوفاة، وظهر فيه بعض الشيب، ولم يغيره بصبغ أو غيره.

(١) الإمام الطبري، لمحمد الزحيلي (٣٠)، ط: دار القلم، دمشق.
(٢) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، (١٨/٤٨)، ط: دار الفكر.

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الخطيب البغدادى: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، كان أحد أئمة العلماء، يُحْكَمُ بقوله، ويُرْجَعُ إلى رأيه، ومعرفته، وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعانى، فقيهاً فى أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم.(١)

وقال ابن سريج: محمد بن جرير الطبرى فقيه العالَم.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما أعلم تحت أديم السماء أعلم من محمد بن جرير.

وقال ياقوت الحموى: أبو جعفر الطبرى، المحدث الفقيه، المقرئ المؤرخ، المعروف المشهور.

وقال ابن خَلِّكان: صاحب التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان إماماً فى فنون كثيرة، وله مصنفات مليحة فى فنون عديدة، تدل على سعة علمه، وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين.

وقال القفطىُّ: العالم الكامل، الفقيه المقرئ، النحوى اللغوى، الحافظ الإخبارى، جامع العلوم، لم يُرَ فى فنه مثله، وصنف التصانيف الكبار.

وقال كذلك: الإمام العالم، واحد الدهر، وفريد كلِّ عصر، مؤلف التاريخ والتفسير، المشهورين الكبيرين، وقد كان له -رحمه الله- شِعر فوق شِعر العلماء.

وقال ابن كثير -رحمه الله-: كان أحد أئمة العلماء علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣).

وقال ابن تغـرى بردى: وهو أحد أئمة العلم، يُحْكَـم بقوله ويرجع إلى رأيه، وكان متفنناً فى علوم كثيرة، وكان واحدَ عصره.(١)

وقال الذهبى: الإمام العلم المجـتهد، عالم العصر أبو جعـفر الطبرى، صاحب التصانيف البديعة.

وقال: طَلَبَ العلمَ بعد الأربعين ومئتـين، وأكثر الترحال، ولقى نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر، عِلْمًا، وذكاء، وكثرة تصانيف، قلَّ أن ترى العيون مثله.(٢)

وقال: كان ثقـة صادقاً حافظاً، رأسًـا فى التفسيـر، إمامًا فى الفقـه والإجماع والاختلاف، علامة فى التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة، وغير ذلك.(٣)

وقال ابن السبكى: الإمام الجليل، المجتهد المطلق، أبو جـعفر الطبرى، من أهل آمل طبرستان، أحد أئمة الدنيا عِلْمًا ودِينًا.(٤)

٣ – همتهُ فِى طَلَب العِلم وَالتَّعْليم وَالتَّصْنِيفِ

قـال أبو بكر ابن كامـل: جئت إلى أبى جـعـفـر قبل المغـرب ومـعى ابنى أبو رفاعة، وهو شديد العِلَّة، فوجدت تحت مـصلاه كتاب «فردوس الحكمة» لعلى بن زين الطبرى سماعاً له فمددت يدى لأنـظره فأخذه، ودفعه إلى الجارية. وقال لى: هذا ابنك؟ قلت: نعم. قال: ما اسمـه؟ قلت: عبد الغنى. قال: أغناه الله، وبأى شىء كنيته؟ قلت: بأبى رفاعة. قال: رفـعه الله، أفلك غيره؟ قلت: نعم، أصغر منه. قال: ما اسمه؟ قلت: عبـد الوهاب أبو يَعْلَى. قال: أعلاه الله، لقد اخترتَ الكنى والأسماء. ثم قال لى: كم لهذا سنة؟ قـلت: تسع سنين. قال: لِمَ لم تُسْمِعهُ منى شيئـاً؟ قلت: كرهت صغره، وقلة أدبه. فقال لى: حـفظتُ القرآن ولى سبع سنين، وصليت وأنا ابن ثمـانى، وكتـبت الحـديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لى

(١) نقلاً عن الإمام الطبري، للدكتور محمد الزحيلي (٥، ٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧). (٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠).

(٤) طبقات الشافعية، للتاج السبكي (٣/ ١٢٠)، ط: دار إحياء الكتب العربية.

أبى فى النوم أننى بين رسول الله ﷺ وكان معى مخلاة مملوءة حجارة، وأنا أرمى بين يديه. فقال له المعبر: إنه إن كبر نصح فى دينه، وذَبَّ عن شريعته، فحرص أبى على معونتى على طلب العلم، وأنا حينئذ صبى صغير.(١)

وقال الخطيب البغدادى: سمعت على بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوى المعروف بالسمسمانى يحكى: أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة، يكتب فى كل يوم أربعين ورقة.

قال الدكتور محمد الزحيلى: والشيء الثابت أن الطبرى -رحمه الله- كان متفرغاً لطلب العلم، مُنكبّاً على تحصيله، ورحل فى سبيله، وقضى معظم شبابه فى السفر والترحال والانتقال من بلد إلى آخر، ولم يستقر فى بلده، ثم فى بغداد إلا بعد الكهولة، وثبت أيضاً أنه كان قليل المال فى هذه المرحلة، وكان يوفر ماله ليستطيع متابعة الرحلة والسفر، ونسخ الكتب وشرائها، وكان يعتمد فى ذلك على والده أولاً، ثم على ريع أملاكه التى ورثها من والده، ولما استقر فى الإقامة، وبلغ شأوه فى العلم والحياة، كان زاهدًا بالمال، لا يهتم لجمعه، وبقى منقطعاً للعلم والتأليف، والتصنيف والتدريس.

وأغلب الظن أن هذا النَّهم العلمى، والانشغال فى طلب العلم، والتفرغ له كان هو السبب الأساسى فى عزوبته، وعدم زواجه، فالعلم يشغل صاحبه، ويمنحه متعة نادرة، ولذة خاصة، لا يدركها إلا من يجربها، وإذا أُغمس فيها الإنسان فى شبابه خفَّت عنده الرغبة بالزواج، وإذا بلغ الكهولة، وتقدم به السن وألف العزوبة، ومجالس العلم، زالت عنه هذه الرغبة، وشعر بالمقابل أنها تخفف عنه تبعات الزواج، والأولاد، والذرية، ليأنس بالمعارف والعلوم، ويصاحب الكتب، والمجلدات، والمخطوطات، ويشغل وقته بالمطالعة والتصنيف، فيكثر إنتاجه، ويغزر علمه، ويزداد عطاؤه، ويعم نفعه، وهذا ما حصل مع كثير من علمائنا الأعلام،

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٤٩).

كالطبرى، والنووى، وغيرهما. ولذلك وصف مسلمة بن قاسم أبا جعفر الطبرى فقال: كان حصورًا، لا يعرف النساء، شغله طلب العلم، وهو ابن اثنتى عشرة سنة، ولم يزل طالبًا للعلم، مولعاً به إلى أن مات.(١)

وحدث الخطيب عن القاضى أبى عمر عبيد الله بن أحمد السمسار، وأبى القاسم ابن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبرى، قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما يُفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوًا مما ذكره فى التفسير، فأجابوه بمثل ذلك. فقال: إنا لله، ماتت الهمم، فاختصره فى نحو مِمَّا اختصر التفسير.(٢)

٤ - تَحَلِّيه - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ

قال الدكتور محمد الزحيلى: كان الطبرى على جانب رفيع من مكارم الأخلاق، فكسب محبة أصدقائه، ومشايخه، وتلاميذه، ومعارفه، لأن الأخلاق الحميدة أساس التعامل، والتعاون، والتعارف، وتبادل المحبة والثقة، ومفتاح العلم والتعلم.(٣)

وقال عبد العزيز بن محمد: وكان أبو جعفر ظريفًا فى ظاهره، نظيفًا فى باطنه، حسن العشرة لمجالسيه، متفقدًا لأحوال أصحابه، مهذبًا فى جميع أحواله، جميل الأدب فى مأكله، وملبسه، وما يخصه فى أحوال نفسه، منبسطًا مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وربما جىء بين يديه بشىء من الفاكهة، فيجرى فى ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم، والفقه، والمسائل، حتى يكون كأجَدِّ جد، وأحسن علم.

وكان إذا أهدى إليه مهْدٍ هدية مما يمكنه المكافأة عليه، قبلها، وكافأه، وإن كانت مما لا يمكنه المكافأة عليه ردها، واعتذر إلى مهديها، ووجه إليه أبو الهيجاء ابن

(١) الإمام الطبري، لمحمد الزحيلي (٣٢، ٣٣). (٢) معجم الأدباء (١٨/ ٤٢).
(٣) الإمام الطبري (٦٦).

حمدان ثلاثة آلاف دينار، فلما نظر إليها عجب منها، ثم قال: لا أقبل ما لا أقدر على المكافأة عنه، ومن أين لى ما أكافئ عن هذا؟ فقيل له: ما لهذا مكافأة، إنما أراد التقرب إلى الله -عز وجل- فأبى أن يقبله، ورده إليه.

وكان يختلف إليه أبو الفرج ابن أبى العباس الأصبهانى، يقرأ عليه كتبه، فالتمس أبو جعفر حصيراً لصفة[1] له صغيرة، فدخل أبو الفرج الأصبهانى، وأخذ مقدار الصفة، واستعمل له الحصير، متقرباً بذلك له، وجاءه به، وقد وقع موقعه، فلما خرج، دعا ابنه، ودفع له أربعة دنانير، فأبى أن يأخذها، وأبى أبو جعفر أن يأخذ الحصير إلا بها.

وأهدى إليه أبو المحَسِّن المحرِّر جاره فرخين، فأهدى إليه ثوبًا.

وقال أبو بكر ابن كامل: وكان إذا جلس لا يكاد يسمع له تنخم، ولا تبصق، ولا يُدرى له نخامة، وإذا أراد أن يمسح ريقه، أخذ ذؤابة منديله، ومسح جانبى فِيهِ. قال أبو بكر ابن كامل: ولقد حرصت مرارًا أن يستوى لى مثل ما يفعله، فيتعذر عَلَيَّ اعتياده. قال: وما سمعته قط لاحنًا، ولا حالفاً بالله -عَزَّ وَجَلَّ-.[2]

وكان الطبرى -رَحِمَه اللَّه- متوقفاً عن الأخلاق التى لا تليق بأهل العلم، ولا يؤثرها إلى أن مات، ولما كان يناظره مرة داود بن عليّ الظاهرى فى مسألة، فوقف الكلام على داود، فشق ذلك على أصحابه، فقام رجل منهم، فتكلم بكلمة مَضَّة، وموجعة لأبى جعفر، فأعرض عنه، ولم يردَّ عليه، وترفع عن جوابه، وقام من المجلس، وصنف كتاباً فى هذه المسألة والمناظرة.[3]

وقال أبو بكر ابن كامل: سألت أبا جعفر عن المسألة التى تناظر فيها هو والمزنى، فلم يذكرها، لأنه كان أفضل من أن يرفع نفسه، وأن يذكر ظفره على خصمه فى مسألة.[4]

---

(١) اسم لبيت صيفي.
(٢) باختصار، من معجم الأدباء (١٨/ ٨٦، ٩٠).
(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٧٨، ٧٩).
(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٥٤).

٥ – حِفْظُـهُ وَذَكَـاؤُهُ – رَحِمَـهُ اللَّـهُ –

وصفه تلميذه أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبرى، فقال: كان أبو جعفر من العقل، والعلم، والذكاء، والحفظ، ما لا يجهله أحد عَرَفَه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين، وانتشر من كتب المؤلفين، ما انتشر له.

ومما يدل على حفظه ما حصل بينه وبين محمد بن العلاء الهمذانى أبو كريب، عندما صار إلى الكوفة، وكان أبو كريب شرس الخلق، من كبار أصحاب الحديث، قال أبو جعفر: حضرت باب داره مع أصحاب الحديث، فاطلع من باب خوخة له، وأصحاب الحديث يلتمسون الدخول ويضجون. فقال: أيكم يحفظ ما كتب عَنِّى؟ فالتفت بعضهم إلى بعض، ثم نظروا إلىَّ، وقالوا: أنت تحفظ ما كتبتَ عنه؟ قال: قلتُ: نعم. فقالوا: هذا، فَسَلْهُ. فقلت: حدثتنا فى كذا بكذا، وفى يوم كذا بكذا، قال: وأخذ أبو كريب فى مسألته، إلى أن عَظُمَ فى نفسه، فقال له: ادخل إلىَّ، فدخل إليه، وعَرَفَ قدرَه على حداثته، ومكَّنه من حديثه، وكان الناس يسمعون به، فيقال: إنه سمع من أبى كريب أكثر من ألف حديث.(١)

قال الدكتور محمد الزحيلى: كان الطبرى –رحمه الله– موهوب الغرائز، وقد حباه الله تعالى بذكاء خارق، وعقل متقد، وذهن حاد، وحافظة نادرة، وهذا ما لاحظه فيه والده، فحرص على معونته على طلب العلم، وهو صبى صغير، وخصص له موارد أرضه، لينفقه على دراسته، وسفره، وتفرغه للعلم.

ومما يدل على هذا النبوغ والذكاء، ما قصه الطبرى عن نفسه فى تعلمه علم «العروض» فى ليلة واحدة، فقال: لما دخلت مصر، لم يبق أحد من أهل العلم، إلا لقينى، وامتحننى فى العلم الذى يتحقق به، فجاءنى يوماً رجل فسألنى عن شىء من العروض، ولم أكن نَشِطتُ له قبل ذلك، فقلت له: عَلَىَّ قول، ألا

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٥١، ٥٢).

أتكلم اليوم فى شىء من العروض، فإذا كان فى غد، فَصِرْ إِلىَّ، وطلبت من صديق لى العروض للخليل بن أحمد، فجاء به، فنظرت فيه ليلتى فأمسيت غير عروضى، وأصبحت عروضياً.

وهذا يدل على فطانته، وسرعة بديهته، وكفاءته فى حسن التخلص من المواقف المحرجة، وذكرنا سابقاً أنه حفظ القرآن، وهو ابن سبع سنين، وصلى بالناس وهو ابن ثمان سنين، وكتب الحديث، وهو ابن تسع سنين.(١)

٦- زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

وصفه ابن كثير-رحمه الله- فقال: وكان من العبادة، والزهادة، والورع، والقيام فى الحق، لا تأخذه فى ذلك لومة لائم، وكان من كبار الصالحين.(٢)

وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبرى: وكان فيه من الزهد، والورع، والخشوع، والأمانة، وتصفية الأعمال، وصدق النية، وحقائق الأفعال، ما دل عليه كتابه فى آداب النفوس. وقال: وكان عازفاً عن الدنيا، تاركاً لها ولأهلها، يدفع نفسه عن التماسها.(٣)

وَهَذِهِ بَعْضُ نَوَادِرِهِ فِى الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ:

أراد الخليفة المقتدر فى بعض الأيام أن يكتب كتاب وقف، تكون شروطه متفقاً عليها بين العلماء، فقيل له: لا يقدر على ذلك إلا محمد بن جرير الطبرى، فطلب منه ذلك، فكتب له، فاستدعاه الخليفة إليه، وقرب منزلته عنده، وقال له: سل حاجتك. فقال: لا حاجة لى. فقال: لابد أن تسألنى حاجة أو شيئاً. فقال: أسأل أمير المؤمنين، أن يتقدم أمره إلى الشرطة حتى يمنعوا السؤّال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع، فأمر الخليفة بذلك.(٤)

---

(١) الإمام الطبري (٦١، ٦٢)، دار القلم.
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٤٦).
(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٦٠، ٦١).
(٤) طبقات الشافعية (٣/ ١٢٤).

وقال أبو محـمد الفرغانى: أرسل العباس بن الحسن الوزير إلى ابن جرير: قد أحببت أن أنظر فى الفقه، وسأله أن يعمل له مختصراً فعمل له كتاب «الخفيف»، وأنفذه، فوجه إليه ألف دينار، فلم يقبلها. فقيل له: تصدق بها، فلم يفعل.[1]

وقـال الفرغـانى: رحل ابن جـرير من مدينة آمـل لما ترعرع، وسـمح له أبوه بالسفر، وكان طول حياته ينفذ إليه بالشىء بعد الشىء إلى البلدان، فسمعته يقول: أبطأت عنى نفقة والدى، واضطررت إلى أن فتقت كُمَّى القميص فبعتهما.[1]

وقال الفـرغانى: حدثنى أبو على هارون بن عـبد العزيز أن أبا جعـفر لما دخل بغداد، وكانت معه بضاعة يتقـوت منها، فسرقت، فأفضى به الحال إلى بيع ثيابه، وكُمَّى قميصه. فقال له بعض أصدقائه: تنشط لتأديب بعض ولد الوزير أبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان؟ قال: نعم. فمضى الرجل، فأحكم له أمره، وعاد، فأوصله إلى الوزير بعد أن أعـاره ما يلبسه، فقربه الوزير، ورفع مـجلسه، وأجرى عليه عـشرة دنانيـر فى الشهر، فـاشتـرط عليه أوقات طلبـه للعلم، والصلوات، والراحة، وسأل إسلافه رزق شهر، ففعل، وأدخل فى حجرة التأديب، وخرج إليه الصبى، وهو أبو يحيى، فلما كـتبه، أخـذ الخادم اللوح، ودخلوا مستبشرين، فلم تبق جـارية إلا أهدت إليـه صينية فـيهـا دراهم ودنانير، فردَّ الجـميع، وقـال: قد شورطت على شىء، فـلا آخذ سواه، فـدرى الوزير ذلك فأدخلته إليـه، وسأله. فقال: هؤلاء عبيد، وهم لا يملكون. فعظم ذلك فى نفسه.

وكان ربما أهدى إليـه بعض أصدقائه الشىء، فـيقبله، ويكافـئه أضعـافًا، لعظم مروءته.[2]

وقـال أبو بكر ابن كامل: قـال لنا أبو جـعفـر: لما وردت مصـر فى سنة ست وخمـسين ومئتـين، نزلت على الربيع بن سليمـان، فأمر من يأخذ لى داراً قـريبة منه، وجاءنى أصـحابه، فقـالوا: تحتاج إلى قـصرية، وزير، وحمـارين، وسُدَّة،

(١) طبقات الشافعية (٣/ ١٢٤). (٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧١، ٢٧٢).

فقلت: أما القصرية، فأنا لا ولد لى، وما حللت سراويلى على حرام، ولا حلال قطْ، وأما الزير، فمن الملاهى. وليس هذا من شأنى، وأما الحماران، فإن أبى وهب لى بضاعة، أنا أستعين بها فى طلب العلم، فإن صرفتها فى ثمن حمارين، فبأى شىء أطلب العلم؟ قال: فتبسموا، فقلت: إلى كم يحتاج هذا؟ فقالوا: يحتاج إلى درهمين وثلثين، فأخذوا ذلك منى، وعلمت أنها أشياء متفقة، وجاءونى بإجَّانة، (وهى: إناء تُغسل فيه الثياب)، وجُب، (وعاء ماء، وهو المسمى بالزير) للماء، وأربع خشبات، وقد شدوا وسطها بشريط، وقالوا: الزير للماء، والقصرية للخبز، والحماران والسّدة تنام عليها من البراغيث، فنفعنى ذلك، وكثرتْ البراغيث، فكنت إذا جئت، نزعت ثيابى، وعلقتها على حبل قد شددته، واتزرت، وصعدت إلى السدة، خوفًا منها.(١)

وروى الخطيب بسنده إلى أبى العباس البكرى، قال: جمعت الرحلة بين ابن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزى، ومحمد بن هارون الرويانى بمصر، فأرملوا، ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا، ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة، سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلونى حتى أصلى صلاة الخيرة، قال: فاندفع فى الصلاة، فإذا هم بشموع وخصى من قبل والى مصر، يدق الباب، ففتحوا، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هُوَ ذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارًا، فدفعها إليه، ثم قال: وأيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين ديناراً، وكذلك للرويانى، وابن خزيمة، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس، فرأى فى المنام أن المحامد جياع، قد طووا كشحهم، فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم: إذا نفدت، فابعثوا إلىَّ أحدكم.(٢)

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٥٥، ٥٦).
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

٧ – عِفَّتُـهُ عَنْ أَمْـوَالِ النَّـاسِ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

وقد أنشد –رَحِمَه اللَّهُ– لنفسه هذه الأبيات:

إِذَا أَعْـسَـرْتُ لَـمْ يَـعْـلَـمْ رَفِـيـقِـي   وَأَسْـتَغْنِي فَيَـسْـتَـغْـنِي صَدِيقِي

حَـيَـائِـي حَـافِـظٌ لِـي مَـاءَ وَجْـهِـي   وَرِفْـقِـي فِـي مُطَـالَبَـتِـي رَفِـيـقِـي

وَلَـوْ أَنِّـي سَـمَـحْـتُ بِـبَـذْلِ وَجْـهِـي   لَكُنْتُ إِلَى الْعُلَى سَهْلَ الطَّرِيقِ

وله:

خُـلُـقَـانِ لا أَرْضَـى فِـعَـالَـهُـمَـا   بَـطَـرُ الْـغِـنَـى وَمَـذَلَّـةُ الْـفَـقْـرِ

فَـإِذَا غَـنِـيـتَ فَـلا تَـكُـنْ بَـطِـراً   وإِذَا افْـتَـقَـرْتَ فَـتِـهْ عَلَى الدَّهْرِ[١]

قال الفرغاني: كان محمد بن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحقه من الأذى، والشناعات من جاهل، وحاسد، وملحد، فأما أهل العلم والدين، فغير منكرين علمه، وزهده في الدنيا، ورفضه لها، وقناعته بما كان يرد عليه من حصة خَلَفها له أبوه بطبرستان يسيرة، ولما تقلد الخاقاني الوزارة، وجه إليه بمال كثير، فأبى أن يقبله، فعرض عليه القضاء، فامتنع، فعاتبه أصحابه، وقالوا له: لك في هذا ثواب، وتحيي سُنَّة درست، وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم، فانتهرهم، وقال: قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك، لنهيتموني عنه.[٢]

وكان –رَحِمَهُ اللَّهُ– إذا أُهْدِيَ إليه هدية، فإن رأى أنه يمكنه أن يقابلها بأكثر منها، قبلها، وإلا ردها، ولم يقبلها.

وجه إليه أبو الهيجاء ابن حمدان ثلاثة آلاف دينار، فلما نظر إليها، عجب منها، ثم قال: لا أقبل ما لا أقدر على المكافأة عنه، ومن أين لي ما أكافئ عن هذا؟ فقيل: ما لهذا مكافأة؛ إنما أراد التقرب إلى الله –عَزَّ وَجَلَّ– فأبى أن يقبله، ورده.[٣]

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٦).   (٢) طبقات الشافعية (٣/ ١٢٥).

(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٨٧).

وأهدى أبو على محمد بن عبيد الله الوزير إلى أبى جعفر برُمَّان، فقبله، وفرَّقه فى جيرانه، فلما كان بعد أيام، وجه إليه بوعاء فيه بدرة، فيها عشرة آلاف درهم، وكتب معها رقعة، وسأله أن يقبلها، وقال الوزير لمن حملها: إن قبلها، وإلا فاسألوه أن يفرقها فى أصحابه، ممن يستحق، فلما دخل عليه، وأوصل إليه الرسالة، قال: يغفر الله لنا وله، اقرأ عليه السلام، وقل له: أَرْدِدْنَا إلى الرمان. وامتنع من قبول الدراهم. فقال له الرسول: ففرقها فى أصحابك، على من يحتاج إليها، ولا تردها. فقال: هو أعرف بالناس، إذا أراد ذلك، وأجاب عن الرسالة.(١)

وكان أبو الفرج ابن أبى العباس الأصبهانى يختلف إلى الطبرى ليقرأ عليه كتبه، فطلب الطبرى حصيرة لغرفة صغيرة له، فدخل أبو الفرج، وأخذ مقدار الغرفة، وعمل له الحصير متقرباً بذلك له، فلما جاء به، ووقع موقعه، أخذ الطبرى أربعة دنانير، ودفعها إلى ابن أبى الفرج، فأبى أن يأخذها، وأبى أبو جعفر أن يأخذ الحصير إلا بها.

وأهدى إليه أبو الحسن المحرر جاره فرخين، فأهدى إليه ثوباً.(٢)

٨ - تَوَاضُعُهُ وَعَفْوُهُ وَدَعَابَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

وصفه عبد العزيز بن محمد، فقال: كان جميل الأدب فى مأكله، وملبسه ما يخصه فى أحوال نفسه، منبسطاً مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة.(٣)

وكان أحد أتباع الطبرى، واسمه أبو الفرج ابن الثلاج، يتعسف فى كلامه، وقال: أكلت طباهقة، بدلاً من طباهجة، (وهو طعام من بيض، وبصل، ولحم مشروح)، فبدَّل الجيم قافاً، فلما سئل قال: ألا ترى أن العرب تعمل الجيم قافاً، فقال له أبو جعفر: فأنت إذاً أبو الفرق بن الثلاق، فصار يُعرف بأبى الفرق بن الثلاق، ويُمزح معه بذلك.

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٨٧، ٨٨).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٨٧).
(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٨٦).

قال أبو الحسن ابن المغلس: قـال لى أبو بكر ابن داود بن على: كان فى نفسى مما تكلم به ابن جرير على أبى، فدخلت يوماً على أبى بكر ابن أبى حامد، وعنده أبو جعـفر، فقال له أبو بكر: هذا أبو بكر مـحمد بن داود بن علىّ الأصبـهانى، فلما رآنى أبو جـعفر، وعرف مكانى، رحَّب بى، وأخـذ يثنى على أبى، ويصفنى بما قطعنى عن كلامه.(١)

قال أبو بكر ابن كامل: حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة، فسألته أن يجعل كل من عاداه فى حِلٍّ، وكنت سألته ذلك لأجل أبى الحـسن ابن الحسين ابن الصواف، لأنه كنت قرأت عليه القرآن، (وهو الذى عادى الـطبرى، لمدحه أبا حنيفة، وثنائه عليه)، فقال: كل من عادانى، وتكلم فى حِلّ، إلا رجلاً رمانى ببدعة.(٢)

٩ – اتِّبَـاعُـهُ لِلسُّنَّـةِ – رَحِمَهُ اللَّهُ–

عن محـمد بن على بن سـهل بن الإمام، صـاحب محـمد بن جـرير، قال: سمعـت محمد بن جرير، وهو يكلم ابن صالح الأعلم، وجرى ذكْر علىّ ﷺ ثم قال محمد بن جرير: من قال إن أبا بكـر، وعمر ليسا بإمامى هدى، أيش؟ قال: مبتدع، فقال ابن جرير –إنكارًا عليه–: مبتدع، مبتدع، هذا يُقتل.(٣)

وقال الذهبى: قال ابن جرير فى كتاب «التبصـير فى معالم الدين»: القول فيما أدرك علمه من الصفات خـبرًا، وذلك نحو إخباره تعالى أنه سـميع بصير، وأن له يدين، بقوله: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ (المائدة:٦٤)، وأن له وجـهاً، بـقوله: ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ (الرحمن:٢٧)، وأنه يضـحك، بقوله فى الحـديـث: «**لقى الله، وهو يضـحك إليه**»، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، لخبـر رسوله بذلك، وقـال –عليه السلام–: «**ما من قلب، إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن**».

إلى أن قـال: فإن هذه المـعانى التى وصـفت، ونظائرها مما وصف الـله نفسـه

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٨٠).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٨٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٥).

ورسوله، ما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، لا نكفر بالجهل بها أحدًا، إلا بعد انتهائها إليه.(١)

قال الذهبي: كان ابن جرير من رجال الكمال، وشُنِّعَ عليه بيسير تشيع، وما رأينا إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء، ولم نر ذلك في كتبه.(٢)

١٠- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبي: سمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وإسماعيل ابن موسى السدي، وإسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن أبي معشر، حدثه بالمغازي عن أبيه، ومحمد بن حميد الرازي، وأحمد بن منيع، وأبا كريب محمد ابن العلاء، وهنَّاد بن السري، وأبا همام السكوني، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، وبُنْدارًا، ومحمد بن المثنى، وسفيان بن وكيع، والفضل بن الصبَّاح، وعبدة بن عبد الله الصفَّار، ومسلم بن جنادة، ويونس بن عبد الأعلى، ويعقوب الدورقي، وأحمد بن المقدام العجلي، وبشر بن معاذ العقدي، وسوَّار بن عبد الله العنبري، وعمرو بن عليّ الفلاس، ومجاهد بن موسى، وتميم بن المنتصر، والحسن بن عرفة، ومهنَّا بن يحيى، وعلي بن سهل الرملي، وهارون بن إسحاق الهمداني، والعباس بن الوليد العذري، وسعيد بن عمرو السكوني، وأحمد ابن أخي ابن وهب، ومحمد بن معمر القيسي، وإبراهيم بن سعيد الجوهري، ونصر ابن علي الجهضمي، ومحمد بن عبد الله بن بذيع، وصالح بن مسمار المروزي، وسعيد بن يحيى الأموي، ونصر بن عبد الرحمن الأودي، وعبد الحميد بن بيان السُّكري، وأحمد بن أبي شريح الرازي، والحسن بن الصباح البزار، وأبا عمار الحسين بن حريث، وأممًا سواهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٧).

تَلامِذَتُهُ: قالَ الذهبى: حدَّث عنه أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحَرَّانى -وهو: أكبر منه- وأبو القـاسم الطبرانى، وأحمد بن كامل القـاضى، وأبو بكر الشافعى، وأبو أحمد ابن عدى، ومخلد بن جعفـر الباقرحى، والقاضى أبو محمد ابن زيد، وأحمد بن القاسم الخشاب، وأبو عمرو محـــمد بن أحمد بن حمدان، وأبو جعفر أحمد بن على الكاتب، وعبـد الغفار بن عبيد الله الحضينى، وأبو المـفضل محمد ابن عبد الله الشيبانى، والمُعَلَّى بن سعيد، وخلق كثير.(١)

١١- مُؤَلَّفـاتُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ (*)

١- جامع البيان فى تأويل آى القرآن، المعروف بتفسير الطبرى «مطبوع».

٢- تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبرى «مطبوع».

٣- ذيل المذيل «طبع منه جزء».

٤- اختلاف علماء الأمصار فى أحكام شرائع الإسلام، المعروف باختلاف الفقهاء.

٥- لطيف القول فى أحكام شرائع الإسلام، وهو فى الفقه الجريرى.

٦- الخفيف فى أحكام شرائع الإسلام، وهو مختصر السابق.

٧- بسيط القول فى أحكام شرائع الإسلام.

٨- تهذيب الآثار، وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار.

٩- آداب القضاة.

١٠- أدب النفوس الجيدة، والأخلاق الحميدة.

١١- المسند المجرد.

١٢- الرد على ذى الأسفار، وهو رد على داود بن علىّ الظاهرى.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٨، ٢٦٩).

(*) باختصار، من الإمام الطبري، للدكتور محمد الزحيلي (٥١، ٥٣).

١٣- القراءات وتنزيل القرآن.

١٤- صريح السنة.

١٥- التبصير فى معالم الدين.

١٦- فضائل علىّ بن أبى طالب.

١٧- فضائل أبى بكر، وعمر.

١٨- فضائل العباس.

١٩- كتاب فى عبارة الرؤيا فى الحديث، «لم يتمه».

٢٠- مختصر مناسك الحج.

٢١- مختصر الفرائض.

٢٢- الرد على ابن عبد الحكم على مالك.

٢٣- الموجز فى الأصول.

٢٤- الرمى بالنشاب.

٢٥- الرسالة فى أصول الفقه.

٢٦- العدد والتنزيل.

٢٧- مسند ابن عباس.

٢٨- كتاب المسترشد.

٢٩- اختيار من أقاويل الفقهاء.

١٢ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو محمد الفرغانى: حدثنى أبو بكر الدينورى قال: لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الاثنين الذى توفى فيه -فى آخره- ابن جرير، طلب ماء ليجدد

وضوءه، فقيل له: تؤخر الظهر، تجمع بينها وبين العصر، فأبى، وصلى الظهر مفردة، والعصر فى وقتها، أتمَّ صلاة وأحسنها.

وحضر موته جماعة، منهم: أبو بكر ابن كامل. فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر، أنت الحجَّة فيما بيننا وبين الله، فيما ندين به، فهل من شىء توصينا به من أمر ديننا، وبينه لنا، نرجو بها السلامة فى معادنا؟ فقال: الذى أدين الله به، وأوصيكم، هو ما ثبت، فى كتبى، فاعملوا به، وعليه، وكلاماً هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده، وبسطها، وقد فارقت روحه الدنيا.(١)

قال أحمد بن كامل: توفى ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال، سنة عشر وثلاث مئة، ودفن فى داره، برحبة يعقوب، يعنى: ببغداد، قال: ولم يغير شيبه، وكان السواد فيه كثيراً، وكان أسمر إلى الأدمة، أعين، نحيف الجسم، طويلاً، فصيحاً، وشيَّعه من لا يحصيهم إلا الله تعالى، وصلى على قبره عدة شهور، ليلاً ونهاراً. إلى أن قال: ورثاه خلق من الأدباء، وأهل الدين.

ومن ذلك قول أبى سعيد ابن الأعرابى:

حَدَثٌ مُفْظِعٌ وخَطْبٌ جَلِيلٌ ... دَقَّ عَنْ مِثْلِهِ اصْطِبَارُ الصَّبُورِ

قَامَ نَاعِى الْعُلُومِ أَجْمَعَ لَمَّا ... قَامَ نَاعِى مُحَمَّدِ بنِ جَرِيرِ(٢)

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٢).

مِنْ أَعْلامِ السَّلَفِ

(٤٣)

إِمَامُ الأَئِمَّةِ
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقِ بْنُ خَزِيمَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، أبو بكر السلمى النيسابورى الشافعى.

مَوْلِدُهُ: وُلِدَ سنة ثلاث وعشرين ومئتين.

صفَتُهُ: قال السبكى: قيل له يوماً: لو قطعتَ لنفسك ثيابًا تتجمل بها؟ قال: ما اذكر نفسى قطٌّ، ولى أكثر من قميصين.

وقال أبو أحمد الدارمى: وكان له قميص يلبسه، وقميص عند الخياط، فإذا نزع الذى يلبسه ووهبه، عَدُوا إلى الخياط، وجاءُوا بالقميص الآخر.

وقيل له يومًا: لو حلقتَ شعرك فى الحمَّام ؟ فقال: لم يثبت عندى أن رسول الله ﷺ دخل حمَّامًا قط، ولا حَلَقَ شَعْرَه، وإنما تأخذ شعرى جاريةٌ لى بالمقراض.

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال أبو بكر محمَّد بن سهلٍ الطوسى: سمعتُ الربيعَ بن سليمان، وقال لنا: هل تعرفون ابن خزيمة؟ قلنا: نعم. قال: استفدنا منه أكثر مما استفاد منَّا.[1]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/١١٨).

وعن عبد الرحـمن بن أبى حاتم، وسئِلَ عن ابن خزيمـة، فقال: [illegible] هو يسْأل عَنَّا ولا نُسْألُ عنه، هو إِمام يُقتدَى به.(١)

وقال الذهبى: الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإِسلام إمام الائمة.(٢)

وقال الحافظ أبو على النيسابورى: لم أرَ أحدًا مثل ابن خزيمة.

قال الذهبى: يقول مثل هذا، وقد رأى النسائى.(٣)

وقال أبو الحسن الدارقطنى: كان ابن خزيمة إمامًا ثبتًا معدوم النظير

وقال أبو الحسين ابن محمد الحافظ: لم أرَ مثل محمد بن إسحاق.(٤)

وقال الأسنوى فى «طبقاته»: صار ابن خزيمـة إمام زمانه بخراسان، رحلت [illegible] الطلبةُ من الآفاق.(٥)

وقال الحاكم: فضائل إمام الأئمة ابن خزيمـة عندى مجموعة فى أوراق كـثيرة، ومصنفاته تزيد على مئة وأربعين كتابًا سـوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مئة جزء، قال: وله فقه حديث بريدة فى ثلاثة أجزاء.(٦)

وعن أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب قال: رأيت ابن خزيمة فى النوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فقال: كذا قال لى جبريل فى السماء.(٧)

وقال التاج السبكى: المجتهد المطلق، البـحر العجاج، والحَبْر الذى لا يخاير فى الحجى، ولا يناظر فى الحجـاج، جمع أشتات العلوم، وارتفع مقداره فـتقاصدت عنه طوالع النجوم، وأقام بمدينة نيـسابور إمامَها حيث الضراغم مـزدحمة، وفرْدَها الذى رَفَعَ العِلْمُ بين الأفـراد عَلَمَه، والوفود تفـد على ربعه، لا يتجـنبه منهم إلا الأشقى، والفتاوى تحمل عنه براً وبحرًا، وتشق الأرض شقاً، وعلومه تسير فتهدى فى كل سوداء مُدلهمة، وتمضى عَلَماً تأتمُّ الهداة به، وكيف لا وهو إمام الأئمة.(٨)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/١١٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٢).

(٤) طبقات الشافعية (٣/١١٨).

(٥) شذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٢٦٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦).

(٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧).

(٨) طبقات الشافعية (١٤/ ١٠٩).

وحكى أبو بشر القطان قال: رأى جار لابن خزيمة من أهل العلم، كأن لوحًا عليه صورة نبيِّنا ﷺ وابن خزيمة يصقله. فقال المعبِّر: هذا رجل يحيى سنة رسول الله ﷺ.(١)

٣ - طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ وَسَعَةُ عِلْمِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قيل لابن خزيمة يومًا: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «مَاء زَمْزَمَ لِمَا شربَ لَهُ» وإنى لمَا شربت ماء زمزم، سألت الله علماً نافعاً.(٢)

وقال محمد بن الفضل بن محمد -يعنى: ابن إسحاق-: سمعت جدى يقول: استأذنت أبى فى الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لى: امكث حتى تصلى بالختمة ففعلت، فلما عَيَّدْنا أذن لى، فخرجت إلى مرو، وسمعت بمرو الروذ من محمد بن هشام صاحب هيثم، فنعى إلينا قتيبة.(٣)

قال أبو محمد حُسَيْنك: سمعت إمام الأئمة أبا بكر يحكى عن على بن خَشْرَم عن ابن راهويه أنه قال: أحفظ سبعين ألف حديث، فقلت لابن خزيمة: كم يحفظ الشيخ؟ فضربنى على رأسى وقال: ما أكثرَ فضولكَ؟ ثمَ قال: يا بنى ما كتبَت سوداَء فى بيضاء، إلا وأنا أعرفه.(٤)

قال أبو على الحافظ: كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة.

وعن أبى حاتم ابن حبان التميمى قال: ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السُّنَنِ، ويحفظ ألفاظها الصِّحاح وزياداتها، حتى كأن السنن كُلَّها بين عينيه، إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط.(٤)

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٢، ٣٧٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧١، ٣٧٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٢).

وقال الإمام أبو بكر محمد بن على الشاشى: حضرت ابن خزيمة، فقال له أبو بكر النقاش المقرئ: بلغنى أنه لما وقع بين المزنى وابن عبد الحكم، قيل للمزنى: إنه يرد على الشافعى. فقال المزنى: لا يمكنه إلا بمحمد بن إسحاق النيسابورى، فقال أبو بكر: كذا كان.[1]

وقال محمد بن إسماعيل السُّكَّرى: سمعت ابن خزيمة يقول: حضرت مجلس المزنى، فسئل عن شبه العَمْدِ، فقال له السائل: إن الله وصف فى كتابه القتل صنفين: عَمْدًا وخطأ، فلم قلتم: إنه ثلاثة أقسام، وتحتجُّ بعلىٍّ بن زيد بن جدعان، فسكت المزنى، فقلت لمناظره: قد روى الحديث أيضًا أيوب وخالد الحذاء، فقال لى: فمن عقبة بن أوس؟ قلت: شيخ بصرى قد روى عنه ابن سيرين مع جلالته، فقال للمزنى: أنت تناظر أو هذا؟ قال: إذا جاء الحديث فهو يناظر، لأنه أعلم به منى، ثم أتكلم أنا.[2]

وقال الإمام أبو العباس ابن سريج، وذكر له ابن خزيمة، فقال: يستخرج النُّكَتَ من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش.[3]

وقال الذهبى: وقد كان هذا الإمام جهبذاً بصيراً بالرجال فيما رواه عنه أبو بكر محمد بن جعفر، شيخ الحاكم: لست أحتج بشهر بن حوشب، ولا بحريز بن عثمان، لمذهبه، ولا بعبد الله بن عمر، ولا ببقية، ولا بمقاتل بن حيان، ولا بأشعث بن سَوَّار، ولا بعلى بن جُدعان، لسوء حفظه، ولا بعاصم بن عبد الله، ولا بابن عقيل، ولا بيزيد بن أبى زياد، ولا بمجالد، ولا بحجاج بن أرطاة، إذا قال: عن، ولا بأبى حذيفة النهدى، ولا بجعفر بن برقان، ولا بأبى معشر نجيح، ولا بعمر بن أبى سلمة، ولا بقابوس بن أبى ظبيان، ثم سمَّى خلقًا دون هؤلاء فى العدالة، فإن المذكورين احتج بهم غير واحد.[3]

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٧). (٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٣).

قال الحاكم: وسمعت الحسين بن الحسن يقول: سمعت عمى أبا زكريا يحيى ابن محمد بن يحيى التميمى يقول: استلقينا الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد لما ورد نيسابور مع ابن خزيمة، ومعنا أبو بكر ابن إسحاق وقد تقدمنا أبو عمرو الخفاف، ومعه جماعة من مشايخ البلد، فيهم أبو بكر الجارودى، فوصلنا إليه، وأبو عمرو عن يمينه، والجارودى عن يساره، والأمير يتوهم أن الجارودى هو ابن خزيمة، لأنه لم يكن قبل ذلك عرفهم بأعيانهم، فلما تقدمنا إليه، سلم ابن خزيمة عليه، فلم يلتفت إليه الالتفات إلى مثله، وكان أبو عمرو يساره، وهو يحدثه، إذ سأله عن الفرق بين الفىء والغنيمة، فقال له أبو عمرو: هذه من مسائل شيخنا أبى بكر محمد بن إسحاق، فاستيقظ الأمير ممَّا كان فيه من الغفلة، وأمر الحاجب أن يقدمه إليه، وعانقه، واعتذر إليه من التقصير فى أول اللقاء، ثم سأله ما الفرق بين الفىء والغنيمة؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الأنفال: ٤١)، ثم جعل يقول: حدثنا وأخبرنا، ثم قال: قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الحشر: ٧)، وأخذ يقول: حدثنا وأخبرنا.

قال عمى: وعدَدْنا مئةً ونيِّفاً وسبعين حديثاً سردها من حفظه فى الفىء والغنيمة.[١]

وقال الذهبى: عُنى فى حداثته بالحديث والفقه حتى صار يُضْرب به المثل فى سعة العلم والإتقان.[٢]

٤ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الحاكم: سمعت أبا بكر ابن بالويه سمعت أبا بكر ابن إسحاق، وقيل له: لو حلقتَ شعرك فى الحمَّام فقال: لم يثبت عندى أن رسول الله ﷺ دخل حمَّامًا قط، ولا حلق شَعْرَه إنما تأخذ شعرى جاريةٌ لى بالمقراض.[٣]

(١) طبقات الشافعية (٣/١١٧، ١١٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٠).

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى: سمعت ابن خزيمة يقول: ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قول إذا صحَّ الخبر.(١)

وقال الحاكم: سمعت محمَّدَ بن صالح بن هانئ، سمعت ابن خزيمة يقول: من لم يقرَّ بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر حلال الدم، وكان ماله فَيْئًا.(١)

قال الذهبى: من أقرَّ بذلك تصديقاً لكتاب الله، ولأحاديث رسول الله ﷺ وآمن به مفوِّضَ مَعْناه إلى الله ورسوله، ولم يخض فى التأويل ولا عمَّق فهو المسلم المتَّبع، ومن أنكر ذلك، فلم يَدْرِ بثبوت ذلك فى الكتاب والسُّنَّة فهو مقصِّر، والله يعفو عنه، إذ لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ما ورد فى ذلك، ومن أنكر ذلك بعد العلم، وَقَفَا غَيْرَ سبيلِ السلفِ الصالح، وتمعقل على النَّصِّ، فأمْره إلى الله، نعوذ بالله من الضلال والهوى.

وكلام ابن خزيمة هذا -وإن كان حقاً- فهو فجّ لا تحتمله نفوس كثير من متأخرى العلماء.

قال أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه: سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله تعالى، ومن قال: إنه مخلوق، فهو كافر يُستتاب، فإن تاب، وإلا قتِلَ، ولا يُدْفَن فى مقابر المسلمين.

قال الذهبى: ولابن خزيمة عَظَمَـةٌ فى النفوس، وجلالة فى القلوب، لعلمه ودينه واتباعه السنة، وكتابه فى التوحيد مجلد كبير، وقد تأوَّل فى ذلك حديث الصورة.(٢)

قال الذهبى: فليعْذَر من تأوَّل بعضَ الصفات، وأما السلف، فما خاضوا فى التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوَّضوا علمَ ذلك إلى اللَّه ورسوله، ولو أن كل من أخطأ فى اجتهاده مع صحَّة إيمانه وتوخيه لاتِّباع الحق أهدرناه وبدَّعْناه، لقلَّ من يسلم معنا، رحم الله الجميع بمَنِّه وكرمه.(٣)

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦).

قال الحاكم: سمعت أبا عمرو ابن إسماعيل يقول: كنت فى مجلس ابن خزيمة فاستمدَّنى مدَّة، فناولته بيسارى إذ كانت يمينى قد اسودت من الكتابة، فلم يأخذ القلم وأمسك، فقال لى بعض أصحابه: لو ناولت الشيخ بيمينك، فأخذت القلم بيمينى، فناولته فأخذ منى.(١)

٥ - مَسَائِلُ وَفَوَائِدُ عَنْ إِمَامِ الأَئِمَّةِ

قال التاج السبكى: ذهب إلى أن رفَع اليدين ركن من أركان الصلاة، نقله الحاكم فى ترجمة محمد بن على العلوى.

وقال: إن الجماعة شرط فى صحة الصلاة، نقله الإمام وغيره، وأن من صلى خلف الصف وحده يعيد.

قال أبو عاصم: قال ابن خزيمة فى معنى قوله ﷺ: «**إن اللَهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِه**» فيه سبب، وهو أن النبى ﷺ رأى رجلاً يضرب وجه رجل، فقال: «**لا تَضْرِبْ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِه**(٢)».(٣)

٦ - شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: سمع من إسحَاق بن راهويه، ومحمد بن حميد، ولم يحدِّث عنهما، لكونه كتب عنهما فى صغره، وقبل فهمه وتبصُّره، وسمع من محمود بن غيلان، وعتبة بن عبد الله المروزى، وعلى بن حُجْرٍ، وأحمد بن منيع، وبشر بن معاذ، وأبى كُريب، وعبد الجبار بن العلاء، وأحمد بن إبراهيم الدورقى،

(١) طبقات الشافعية (٣/ ١١١).

(٢) والصحيح: أن الضمير في قوله: «على صورته» يعود إلى الله -عز وجل- وهذه عقيدة السلف، التى لا يجوز لأحد أن يخالفها، وكما يقولون: لكل جواد كبوة.

(٣) طبقات الشافعية، الجزء الثالث.

وأخيه يعقوب، وإسحاق بن شاهين، وعمرو بن على، وزياد بن أيوب، ومحمد ابن مهران الجمَّال، وأبى سعيد الأشجِّ، ويوسف بن واضح الهاشمى، ومحمد بن بشار، ومحمد بن مثنى، والحسين بن حريث، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانى، ومحمد بن يحيى، وأحمد بن عبدة الضَّبِّى، ونصر بن على، ومحمد بن على، ومحمد بن عبد الله المخرمى، ويونس بن عبد الأعلى، وأحمد بن عبد الرحمن الوهبى، ويوسف بن موسى، ومحمد بن رافع، ومحمد بن يحيى القطنى، وسلم ابن جنادة، ويحيى بن حكيم، وإسماعيل بن بشر بن منصور السَّليمى، والحسن ابن محمد الزعفرانى، وهارون بن إسحاق الهمدانى، وأمم سواهم، ومنهم: إسحاق بن موسى الخطمى، ومحمد بن أبان البلخى.[1]

تلامذته: قالَ الذهبى: حدَّثَ عنه البخارى ومسلم فى غير الصحيحين، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم أحد شيوخه، وأحمد بن المبارك المستملى، وإبراهيم بن أبى طالب، وأبو حامد الشرقى، وأبو العباس الدغولى، وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى، وأبو حاتم البستى، وأبو أحمد ابن عدى، وأبو عمرو بن حمدان، وإسحاق بن سعد النسوى، وأبو حامد أحمد بن محمد ابن بالويه، وأبو بكر أحمد بن مهران المقرئ، وحفيده محمد بن الفضل بن محمد بن خزيمة، ومحمد بن أحمد بن على بن نصير المعدل، وأبو بكر ابن إسحاق الضبعى، وأبو سهل الصعلوكى، والحسين بن على التميمى حُسينك، وبشر بن محمد بن ياسين، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الشيبانى، وأبو الحسين أحمد بن محمد البحيرى، والخليل بن أحمد السجزى القاضى، وأبو سعيد محمد بن بشر الكرابيسى، وأبو أحمد محمد بن محمد الكرابيسى

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥، ٣٦٦).

الحاكم، وأبو نضر أحمد بن الحسين المرواني، وأبو العباس أحمد بن محمد الصندوقي، وأبو الحسن محمد بن الحسين الآبري، وأبو الوفاء أحمد بن محمد ابن حمويه المزكي، وخلق كثير.[١]

٧ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال السبكي: مات ابن خزيمة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

وفي مرثيته قال بعض أهل العلم:

يَا بْنَ إِسحَاقَ قَدْ مَضَيْتَ حَمِيدًا ... فَسَقَى قَبْرَكَ السَّحَابُ الْهَتُونْ

مَا تَوَلَّيْتَ لا بَلِ الْعِلْمُ وَلَّى ... مَا دَفَنَّاكَ بَلْ هُوَ الْمَدْفُونْ[٢]

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٦، ٣٦٧).
(٢) طبقات الشافعية، الجزء الثالث.

مِـنْ أَعْـلاَمِ السَّـلَـفِ

(٤٤)

الإِمَـامُ الطَّبْـرَانِـيُّ
سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْـمَـدَ بْـنُ أَيُّـوبَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

١ – اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللـخمى الشامى الطبرانى، وكنيته: أبو القاسم.

مَولدُهُ: ولد سنة ستين ومئتين، فى شهر صفر، بمدينة عكا، وكانت أمه عكاوية.

صفَتُهُ: قال ابن منده: بلغنى أن الطبرانى كان حسن المشاهدة، طيب المحاضرة.

قالَ الذهبى: قيل: ذهبت عيناه فى آخر أيامـه، فكان يقول: الزنادقة سحرتنى، فقـال له يوماً حـسن العطار تلميـذه -يمتـحن بصره-: كم عدد الجـذوع التى فى السقف؟ فقال: لا أدرى، ولكن نقش خاتمى سليمان بن أحمد.

٢ – ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال الحافظ أبو عبد الله ابن منده: أبو القاسمَ الطبرَانى أحد الحفاظ المذكورين.[١]

وقال الحافظ الذهبى: هو الإمام الحافظ الثقـة، الرَّحَّال الجُوَّال، محدث الإسلام، عَلَمُ المعبِّرينَ.[٢]

وقال كذلك: ولم يزل حديث الطبـرانى رائجاً، نافقاً، مرغوباً فيـه، ولا سيما

(١) سير أعلام النبلاء، الجزء السادس عشر. (٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩).

فى زمان صاحبه ابن رِيذَة؟ فقد سمع منه خلائق، وكتب السِّلفى عن نحو مئة نفس منهم.[1]

وقال سليمان بن إبراهيم الحافظ: كان ابن مردويه فى قلبه شىء على الطبرانى، فتلفظ بكلام، فقال له أبو نعيم: كم كتبت يا أبا بكر عنه؟ فأشارإلى حُزَمٍ. فقال: ومن رأيتَ مثله؟ فلم يقل شيئًا.[2]

وعن محمد بن الهيثم قال: سمعت أبا جعفر ابن أبى السَّرى، قال: لقيت ابن عقدة بالكوفة، فسألته يوماً أن يعيد لى فوتاً، فامتنع، فشددت عليه، فقال: من أى بلد أنت؟ قلت من أصبهان. فقال: ناصبة، ينصبون العداوة لأهل البيت. فقلت: لا تقل هذا، فإن فيهم متفقهة، وفضلاء، ومتشيعة، فقال: شيعة معاوية؟ قلت: لا والله، بل شيعة علىّ، وما فيهم أحد، إلا وعلىٌّ أعزُّ عليه من عينه وأهله، فأعاد علَىَّ ما فاتنى، ثم قال لى: سمعتَ من سليمان بن أحمد اللخمى؟ فقلت: لا. فقال: يا سبحان الله، أبو القاسم ببلدكم، وأنت لا تسمع منه، وتؤذينى بهذا الأذى بالكوفة، ما أعرف لأبى القاسم نظيرًا، قد سمعت منه، وسمع منى.[3]

وقال الداودى: الإمام الحجة، بَقِيَّةُ الحفاظ، أبو القاسم اللخمى الشامى الطبرانى، مسند الدنيا.[4]

٣- سَعَةُ عِلْمِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَكَثْرَةُ سَمَاعِهِ

قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوى: سمعت الأستاذ ابن العميد، يقول: ما كنت أظن أن فى الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التى أنا فيها، حتى شاهدت مناظرة أبى القاسم الطبرانى وأبى جعفر الجعابى بحضرتى، فكان الطبرانى يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه، حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابى: عندى حديث ليس فى الدنيا إلا

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٥).
(٤) طبقات المفسرين (١/ ٢٠٤).

عندى . فقال : هات . فقال : حدثنا أبو خليفة الجمحى ، حدثنا سليمان بن أيوب ، وحدَّث بحديث . فقال الطبرانى : أنا سليمان بن أيوب ، ومنى سمعه أبو خليفة ، فاسمع منى ، حتى يعلو فيه إسنادك ، فخجل الجعابى ، فوددت أن الوزارة لم تكن ، وكنت أنا الطبرانى ، وفرحتُ كفرَحِه . أو كما قال .(١)

وقال أبو بكر ابن أبى على المعدّل : الطبرانى أشهر من أن يدَلَّ على فضله وعلمه ، كان واسع العلم ، كثير التصانيف .(٢)

وقال أبو بكر ابن أبى على : سأل أبى أبا القاسم الطبرانى عن كثرة حديثه ، فقال : كنت أنام على البوارى ثلاثين سنة .(٣)

قال الذهبى : وأول سماعه فى سنة ثلاث وسبعين ، وارتحل به أبوه ، وحرص عليه ، فإنه كان صاحب حديث ، من أصحاب دُحيم ، فأول ارتحاله كان فى سنة خمس وسبعين ، فبقى فى الارتحال ، ولقى الرجال ستة عشر عاماً ، وكتب عمن أقبل وأدبر ، وبرع فى هذا الشأن ، وجمع ، وصنَّف ، وعُمِّرَ دهرًا طويلاً ، وازدحم عليه المحدثون ، ورحلوا إليه من الأقطار .

لقى أصحاب يزيد بن هارون ، وروح بن عبادة ، وأبى عاصم ، وحجاج بن محمد ، وعبد الرزاق ، ولم يزل يكتب حتى كتب عن أقرانه .(٤)

وقال كذلك : سمع بالحرمين ، واليمن ، ومدائن الشام ، ومصر ، وبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، وأصبهان ، وخوزستان ، وغير ذلك ، ثم استوطن أصبهان ، وأقام بها نحوًا من ستين سنة ، ينشر العلم ويؤلفه ، وإنما وصل إلى العراق بعد فراغه من مصر ، والشام ، والحجاز ، واليمن ، وإلا فلو قصد العراق ، لأدرك إسنادًا عظيماً .(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٤) (٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٢) . والبوارى : الحصير المنسوج .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩ ، ١٢٠) . (٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢١) .

٤ - مِنْ أَخْبَارِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَطَرَائِفِهِ

قال أبو بكر ابن مردويه فى تاريخه: لما قَدِم الطبرانى قدمته الثانية، سنة عشر وثلاثمائة إلى أصبهان، قبله أبو على أحمد بن رستم العامل، وضمه إليه، وأنزله المدينة، وأحسن معونته، وجعل له معلوماً من دار الخراج، فكان يقبضه إلى أن مات، وقد كَنَّى محمدًا أبا ذر، وهى كنية والده أحمد.(١)

وقال أبو نعيم الحافظ: سمعت أحمد بن بنْدَار، يقول: دخلت العسكر سنة ثمان وثمانين ومئتين، فحضرت مجلس عَبْدَان، وخرج ليملى، فجعل المستملى يقول له: إن رأيت أن تملى. فيقول: حتى يحضر الطبرانى. قال: فأقبل أبو القاسم بعد ساعة، متزرًا بإزار، مرتدياً بآخر، ومعه أجزاء، وقد تبعه نحوٌ من عشرين نفسًا من الغرباء، من بلدان شتى؟ حتى يفيدهم الحديث.(٢)

قال ابن منده: ووجدت عن أحمد بن جعفر الفقيه، أخبرنا أبو عمر ابن عبد الوهاب السُّلمى، قال: سمعت الطبرانى يقول: لما قدم أبو على ابن رستم بن فارس، دخلتُ عليه، فدخل عليه بعض الكتاب، فَصَبَّ على رجله خمسمائة درهم، فلما خرج الكاتب أعطانيها، فلما دخلت بنته أم عدنان، صبت على رجله خمسمائة، فقمت فقال: إلى أين؟ قلت: قمت لئلا يقول: جلست لهذا. فقال: ارفع هذه أيضا، فلما كان آخر أمره، تكلم فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ببعض الشىء، فخرجت ولم أعد إليه.(٣)

وقال أبو زكريا يحيى بن منده: سمعت مشايخنا، ممن يُعتمد عليهم، يقولون: أملى أبو القاسم الطبرانى حديث مكرمة فى الرؤية، فأنكر عليه ابن طباطبا العلوى، ورماه بدواة كانت بين يديه، فلما رأى الطبرانى ذلك، واجهه

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٢، ١٢٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٤).

بكلام اختصـرته، وقال في أثناء كلامه: مـا تسكتون، وتشتغلون بمـا أنتم فيه، حتى لا يذكر ما جرى يوم الحرة، فلما سمع ذلك ابن طباطبا، قام واعتذر إليه، وندم ثم قـال ابـن منده: وبلغنى أن الطبـرانى كـان حسن المشـاهدة، طيب المحاضرة، قرأ عليه يوماً أبو طاهر ابن لوقا حديث. «كَـانَ يَغْسِلُ حَصَى جُمَارِهِ» فصـحفـه، وقال: «خَصَى جُـمَارِهِ»، فـقال: ما أراد بذلك يا أبـا طاهر؟ قال: التواضع، وكـان هذا كالمعقل. قـال له الطبرانى يوماً: أنت ولدى. قال: وإياك يا أبا القاسم -يعني: وأنت.

٥- شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: سمع هاشم بن مرثد الطبـرانى، وأبا زرعة الثقفى، وإسـحاق الـدبرى، وإدريس العطار، وبشـر بن مـوسى، وحفص بـن عمـر سنجه، وعلى بن عبـد العزيز البغوى، ومقـدام بن داود الرعينى، ويحيى بن أيوب العلاف، وأبا عـبد الرحمن النائى، وعبـد الله بن محمد بن سـعيد بن أبى مريم، ونظراءهم.(١)

تَلامِذَتُهُ: قالَ الذهبى: حدَّث عنه أبو خليفة الجـمحى، وابن عقدة، وأحمد بن محـمد الصحاف، وهؤلاء من شـيوخه، وأبو بكر ابن مـردويه، والفقيه أبو عـمر محمـد بن الحسين البسطامى، والحسيـن بن أحمد بن المرزبان، وأبو بكر ابن أبى على الذكوانى، وأبو الفضل مـحمد بن أحمد الجـارودى، وأبو نعيم الحافظ، وأبو الحسـين ابن فادشاه، ومحـمد بن عبيـد الله بن شهريار، وعبـد الرحمن بن أحمد الصفار، وأبو بكر، ابن رِيذَة خاتمة أصحـابه، وبقى بعده عامين، عبد الرحمن ابن الذكوانى يروى عنه بالإجازة.(٢)

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩١٢، ٩١٣)، وانظر جملة مستكثرة من شيوخه فى «السير»، (١٦/ ١٢٠، ١٢١).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩١٣)، وانظر أيضاً: سير أعلام النبلاء في جملة أخرى من تلامذته (١٦/ ١٢١، ١٢٢).

٦- مُصَنَّفَاتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الداودى: وصنف «المعجم الكبير» وهو المسند، سوى «مسند أبى هريرة» فكأنه أفرده فى مصنف، و«المعجم الأوسط»، فى ست مجلدات كبار، على معجم شيوخه، يأتى فيه على كل شيخ بما له من الغرائب والعجائب، فهو نظير كتاب «الأفراد»، للدارقطنى، بيَّن فيه فضيلته، وسَعة روايته، وكان يقول: هذا الكتاب روحى، فإنه تعب عليه، وفيه كل نفيس وعزيز ومنكر. وصنف «المعجم الصغير» وهو عن كل شيخ له حديث واحد، وله كتاب «الدعاء»، فى مجلد كبير، وكتاب «المناسك» وكتاب «عشرة النساء»، وكتاب «السنة»، وكتاب «الطوالات» وكتاب «النوادر» وكتاب «دلائل النبوة»، وكتاب «مسند شعبة» وكتاب «مسند سفيان» وعمل مسانيد جماعة من الكبار وله كتاب «حديث الشاميين» وكتاب «الأوائل»، وكتاب «الرمى» وله «تفسير كبير»، وأشياء أُخَر.(١)

٧- وَفَاتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الذهبى: وقد عاش الطبرانى مئة عام وعشرة أشهر.

قال أبو نعيم الحافظ: توفى الطبرانى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ستين وثلاثمائة، بأصبهان، ومات ابنه أبو ذر فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، عن نيِّف وستين سنة.(٢)

---

(١) طبقات المفسرين للداودى (١/ ٢٠٤، ٢٠٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٨، ١٢٩).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٤٥)

الإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ

اسْمُهُ: على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادى.

مَولِدُهُ: وُلِدَ سنة ست وثلاثمائة، هو أخبر بذلك، من أهل محلة دار القطن ببغداد.

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال أبو عبد الله الحاكم: أبو الحسن صار واحدَ عصره فى الحفظ والفهم والورع، وإمامًا فى القراءة والنحويين، أول ما دخلت بغداد، كان يحضر المجالس، وسنه دون الثلاثين سنة.

قال الذهبى: وَهِمَ الحاكم، فإن الحاكم إنما دخل بغداد سنة إحدى وأربعين، وسن أبى الحسن خمس وثلاثون سنة.

صنَّف التصانيف، وسار ذكره فى الدنيا، وهو أول من صنف القراءات، وعقد لها أبوابًا قبل فرش الحروف.(١)

وقال كذلك: الإمام الحافظ المجوِّد، شيخ الإسلام، عَلَم الجهابذة.(٢)

وقال أبو بكر الخطيب: كان الدارقطنى فريدَ عصره، وقريعَ دهره، ونسيج وحْده، وإمامَ وقته، انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٠). (٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩).

الرجال، مع الصدق، والثقة، وصحة الاعتقاد، والاضطلاع بعلوم سوى الحديث، كالقراءات، فإن له فيها كتابًا مختصرًا، جمع الأصول فى أبواب عقدها فى أول الكتاب، وسمعت بعض من يعتنى بالقراءات، يقول: لم يسبق أبو الحسن إلى طريقته فى هذا، وصار القرّاء بعده يسلكون ذلك، قال: ومنها المعرفة بمذاهب الفقهاء، فإن كتابه «السنن» يدل على ذلك، وبلغنى أنه دَرَسَ فقه الشافعى على أبى سعيد الأصطخرى، وقيل: على غيره، ومنها المعرفة بالأدب والشعر، حدثنى حمزة بن محمد بن طاهر أن الدارقطنى كان يحفظ ديوان السيد الحميرى، فنُسِبَ لذا إلى التشيع.(١)

وقال رجاء بن محمد المعدل: قلت للدارقطنى: رأيتَ مثل نفسك؟ فقال: قال الله: ﴿فلا تزكّوا أنفسكم﴾ (النجم:٣٢)، فألححت عليه، فقال: لم أر أحدًا جمع ما جمعت. رواها أبو ذر والصورى عن رجاء المصرى. وقال أبو ذر: قلت لأبى عبد الله الحاكم: هل رأيتَ مثل الدارقطنى؟ فقال: هو ما رأى مثل نفسه، فكيف أنا.(٢)

وقال الصورى: سمعت الحافظ عبد الغنى، يقول: أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله ﷺ ثلاثة: ابن المدينى فى وقته، وموسى بن هارون -يعنى: ابن الحمَّال- فى وقته، والدارقطنى فى وقته.(٣)

وقال القاضى أبو الطيب الطبرى: كان الدارقطنى أميرَ المؤمنين فى الحديث.(٣)

وقال الحاكم: حجَّ شيخنا أبو عبد الله ابن أبى ذهل، فكان يصف حفظه، وتفرده بالتقدم فى سنة ثلاث وخمسين، حتى استنكرتُ وصفه، إلى أن حججتُ فى سنة سبع وستين، فجئت بغداد، وأقمت بها أزيدَ من أربعة أشهر، وكثر اجتماعنا بالليل والنهار، فصادفته فوق ما وصفه ابن أبى ذهل، وسألته عن العلل والشيوخ، وله مصنفات يطول ذكرها.(٤)

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤، ٣٥). (٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٥).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥١، ٤٥٢).

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمى فيـما نقله عنه الحاكم، وقال: شهدت بالله، إن شيخنا الدارقطنى لم يخلِّف على أديم الأرض مثله فى مـعرفة حديث رسول الله ﷺ وكذلك الصحابة، والتابعين، وأتباعِهم.(١)

وقال الخطيب فى ترجمته: حدثنى أبو نصر على بن هبة الله بن ماكولا، قال: رأيت كأنى أسال عن حال الدارقطْنى فى الآخرة، فقيل لى: ذاك يُدْعَى فى الجنة الإِمام.(٢)

وقال التاج السبكى: الإِمام الجليل أبو الحسن الدارقطْنى البغدادى الحافظ، المشهور الاسم، صاحب المصنفات، إِمام زمانه، وسيد أهل عصره، وشيخ أهل الحديث.(٣)

٣- قُوَّةُ حِفْظِهِ وَسَعَةُ عِلْمِهِ -رَحِمَـهُ اللَّـهُ-

قال الخطيب: حدَّثنا الأزهرَى، قال: بلغَنى أن الَدارقطنى حضر فى حداثته مجلس إِسماعـيل الصَفَّار، فجعل ينسخ جـزءًا كان معه، وإسماعـيل يملى، فقال رجل: لا يصح سَماعك، وأنت تنسخ. فقال الدارقطنى: فهمى خلاف فهمك، كم تحفظ أملى الشيخ؟ فقال: لا أحفظ، فقال الدارقطنى. أَمْلَى ثمانية عشر حديثاً، الأول عن فلان عن فلان، ومتنه كـذا وكذا، والحديث الثانى عن فلان عن فلان، ومـتنه كذا وكذا، ومرَّ فى ذلك حتى أتى على الأحاديث، فتعجب الناس منه، أو كما قال.(٤)

وقال الأزهرى: كـان الدارقطنى ذكيّا، إِذا ذُكـر شيئـاً من العلم -أىّ نوع كان- وجد عنده منه نصيب وافـر، لقد حدثنى محمد بن طلحة الـنَّعالى: أنه حضر مع أبى الحسن دعوة عند بعض الناس ليلة، فـجرى شىء من ذكر الأَكَلَة، فاندفع أبو الحسن يورد أخبار الأكلة، وحكاياتهم، ونوادرهم، حتى قطع أكثر ليلته بذلك.

قال الأزهرى: ورأيت ابن أبى الفوارس، سأل الدارقطنى عن عِلَّة حديث، أو اسم، فأجاب، ثم قال: يا أبا الفتح، ليس بين الشرق والغرب من يعرف هذا غيرى.(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٧). (٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠).
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٦٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٣)، وهو في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٤، ٤٥٥).

قال القاضى أبو الطيب الطبرى: حضرت الدارقطنى، وقد قُرِئت الأحاديث التى جمعها فى مسِّ الذكر عليه، فقال: لو كان أحمد بن حنبل حاضرًا، لاستفاد هذه الأحاديث.(١)

وقال أبو بكر البرقانى: كان الدارقطنى يملى عَلَيَّ العِلَلَ من حفظه. قال الذهبى: إن كان كتاب «العلل» الموجود قد أملاه الدارقطنى من حفظه، كما دلت عليه هذه الحكاية، فهذا أمر عظيم، يُقضى به للدارقطنى أنه أحفظ أهل الدنيا، وإن كان قد أملى بعضه من حفظه، فهذا ممكن، وقد جمع قبله كتاب "العلل" عليٌّ ابن المدينى حافظ زمانه.

قال رجاء بن محمد المعدل: كنا عند الدارقطنى يوماً، والقارئ يقرأ عليه، وهو يتنفل، فمر حديث فيه «نُسَير بن ذعلوق»، فقال القارئ: «بَشير» فسبح الدارقطنى، فقال: «بُشير» فسبَّح، فقال: «يسير»، فتلا الدارقطنى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ (القلم: ١).(٢)

وقال حمزة بن محمد بن طاهر: كنت عند الدارقطنى، وهو قائم يتنفل، فقرأ عليه أبو عبد الله ابن الكاتب: «عمرو بن شعيب»، فقال: «عمرو بن سعيد»، فسبح الدارقطنى، فأعاد، وقال: «ابن سعيد» ووقف، فتلا الدارقطنى: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصلاتُكَ﴾ (هود: ٨٧)، قال ابن الكاتب: «شعيب».(٢)

وقال الذهبى: وكان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ، ومعرفة علل الحديث ورجاله، مع التقدم فى القراءات وطرقها، وقوة المشاركة فى الفقه، والاختلاف، والمغازى، وأيام الناس، وغير ذلك.(٣)

وقال الحافظ أبو ذر الهروى: سمعت أن الدارقطنى قرأ كتاب «النسب» على مسلم العلوى، فقال له المعيطى الأديب، بعد القراءة: يا أبا الحسن، أنت أجرأ من

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٥)، وتاريخ بغداد (١٢/ ١٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٥)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٣٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٠).

خَاصِي الأسد، تقرأ مثل هذا الكتاب مع ما فيه من الشعر والأدب، فلا يُؤخذ فيه عليك لحنة، وتعجَّب منه.(١)

٤ - اتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبى: صحَّ عن الدارقطنى أنه قالَ: ما شَىء أبغض إلىَّ من علم الكلام. قال الذهبى: لم يدخل الرجل أبدًا فى علم الكلام ولا الجدل، ولا خاض فى ذلك، بل كان سلفياً، سمع هذا القول منه أبو عبد الرحمن السُلمى.(٢)

قال الدارقطنى: اختلف قوم من أهل بغداد، فقال قوم: عثمان أفضل، وقال قوم: علىٌّ أفضل، فتحاكموا إلىَّ، فأمسكت وقلت: الإمساك خير، ثم لم أر لدينى السكوت، وقلت للذى استفتانى: ارجع إليهم، وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمان أفضل من على باتفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ هذا قول أهل السنة، وهو أول عقد يحل فى الرفض.

قال الذهبى: ليس تفضيل على برفض ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين، فكل من عثمان وعلى ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان فى العلم والجلالة، ولعلهما فى الآخرة متساويان فى الدرجة، وهما من سادة الشهداء رضي الله عنهما ولكن جمهور الأئمة على ترجيح عثمان على الإمام على، وإليه نذهب، والخطْب فى ذلك يسير، والأفضل منهما بلاشك أبو بكر وعمر، ومَنْ خالف فى ذا فهو شيعى جلد، ومن أبغض الشيخين، واعتقد صحة إمامتهما، فهو رافضى مقيت، ومن سبهما واعتقد أنهما ليسا بإمامى هدى، فهو من غلاة الرافضة أبعدهم الله.(٣)

٥- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال التاج السبكى: سمع من أبى القاسم البغوى، وأبى بكر ابن أبى داود، وابن صاعد، ومحمد بن هارون الحضرمى، وعلى بن عبد الله بن

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٥)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٧). (٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٧، ٤٥٨).

مبشر الواسطى، وأبى عمر محمد بن يوسف القاضى، والقاسم والحسين ابنى المحاملى، وأبى بكر ابن زياد النيسابورى، وأبى روق الهزانى، وبدر بن الهيثم، وأحمد بن إِسحاق بن البهلول، وأحمد بن القاسم الفرائضى، وأبى طالب أحمد ابن نصر الحافظ، وخلق كثير ببغداد، والكوفة، والبصرة، وواسط، ورحل فى الكهولة إلى الشام ومصر، فسمع القاضى أبا الطاهر الذُّهلى، وهذه الطبقة.(١)

تلامذته: قالَ التاج السبكى: روى عنه الشيخ أبو حامد الإسفراينى الفقيه، وأبو عبد الله الحاكم، وعبد الغنى بن سعيد المصرى، وتمَّام الرازى، وأبو بكر البرقانى، وأبو ذر عبد بن أحمد، وأبو نعيم الأصبهانى، وأبو محمد الخلال، وأبو القاسم التنوخى، وأبو طاهر ابن عبد الرحيم الكاتب، والقاضى أبو الطيب الطبرى، وأبو الحسن العتيقى، وحمزة السهمى، وأبو الغنائم ابن المأمون، وأبو الحسين ابن المهتدى بالله، وأبو محمد الجوهرى، وخلق كثير.(٢)

٦ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال التاج السبكى: تُوفِيَ الدارقطْنى يومَ الخميس لثمانٍ خلون من ذى القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.(٣)

قال أبو نصر ابن ماكولا: رأيت فى المنام كأنى أسأل عن حال الدارقطْنى فى الآخرة فقيل لى: ذاك يدعى فى الجنة الإِمام.(٣)

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٦٢، ٤٦٣).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٦٣).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٦٦).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٤٦)

ابْـنُ مَنْـدَهَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ

اسْمُهُ: محمد بن أبى يعقوب إِسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، واسم منده: إِبراهيم بن الوليد بن سنده بن بطَّة بن أستندار بن جهاز بن بخت.

وقيل: إِن اسم أستندار هذا: فيرُزان، وهو الذى أسلم حين افتتح أصحاب رسول الله ﷺ أصبهان، وولاؤه لعبد القيس، وكان مجوسياً فأسلم، وناب على بعض أعمال أصبهان، العبدى الأصبهانى الحافظ صاحب التصانيف.

مَوْلِدُهُ: فى سنة عشر وثلاثمائة، أو إِحدى عشرة.

قال الذهبى: وقد أفردت تأليفاً بابن منده وأقاربه، وما علمت بيتًا فى الرواة مثل بيت بنى منده، بقيت الرواية فيهم من خلافة المعتصم، إِلى بعد الثلاثين وستمائة، وقد ذكرنا: أن والد أبى عبد الله الشيخ أبا يعقوب مات فى إِحدى وأربعين وثلاثمائة، يروى عن أبى بكر ابن أبى عاصم، وجماعة، وآخر من روى عن أبى عبد الله ولده عبد الوهاب، عُمِّر زماناً، ومات سنة خمس وسبعين وأربعمائة.[١]

٢ - ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال الباطرْقانى: حدثنا أبو عبد الله ابن مَنْدَه، إِمَام الأئمة فى الحديث -لقَّاه الله رضوانه-.[٢]

وقال الحاكم: التقينا ببخارى فى سنة إِحدى وستين وثلاثمائة، وقد زاد زيادة

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٨، ٣٩). (٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٢).

ظاهرة، ثم جاءنا إلى نيسابور سنة خمس وسبعين، ذاهباً إلى وطنه، فقال شيخنا أبو على الحافظ: بنو منده أعلام الحفاظ فى الدنيا، قديماً وحديثاً ألا ترون إلى قريحة أبى عبد الله.(١)

وقيل: إن أبا نعيم الحافظ ذُكر له ابن منده، فقال: كان جبلاً من الجبال.

قال الذهبى: فهذا يقوله أبو نعيم، مع الوحشة الشديدة التى بينه وبينه.(١)

ونقل غير واحد عن أبى إسحاق ابن حمزة أنه قال. ما رأيت مثل أبى عبد الله ابن منده.(٢)

وقال أحمد بن جعفر الحافظ: كتبت عن أزيد من ألف شيخ، ما فيهم أحفظ من ابن منده.(٣)

وقال شيخ هراه أبو إسماعيل الأنصارى: أبو عبد الله ابن منده سيد أهل زمانه.(٣)

٣ - سَعَةُ عِلْمِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَكَثْرَةَ مَشَايِخِهِ

قال الذهبى: لم أعلم أحداً كان أوسع رحلة منه، ولا أكثر حديثاً منه، مع الحفظ والثقة؟ فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ.

ويروى بالإجازة عن عبد الرحمن بن أبى حاتم، وأبى العباس ابن عقدة، والفضل بن الحصيب، وطائفة أجازوا له باعتناء أبيه وأهل بيته.

ولم يعمر كثيراً، بل عاش أربعاً وثمانين سنة.

وأخذ عن أئمة الحفاظ، كأبى أحمد العَسَّال، وأبى حاتم ابن حبان، وأبى على النيسابورى، وأبى إسحاق ابن حمزة، والطبرانى، وأمثالهم.(٤)

وقال الحسين بن عبد الملك: كتب إلى عبد الرحمن بن أبى عبد الله: أن والده كتب عن أربعة مشايخ أربعة آلاف جزء، وهم: أبو سعيد ابن الأعرابى، وأبو العباس الأصم، وخيثمة الأطرابُلسى، والهيثم الشاشى.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠).

قال: وسمعت أبى يقول: كتبت عن ألف وسبعمائة نفس.(١)

وقال جعفر بن محمد المستغفرى: ما رأيت أحدًا أحفظ من أبى عبد الله ابن منده، سالته يوماً كم تكون سماعات الشيخ؟ فقال. تكون خمسة آلاف من.

قال الذهبى: يكون المنُّ نحوًا من مجلدين، أو مجلداً كبيرًا.(٢)

وقال أبو الحسن على بن الحسين الإسكاف: سمعت أبا عبد الله ابن منده، يقول: رأيت ثلاثين ألف شيخ، فعشرة آلاف ممن أروى عنهم، وأقتدى بهم، وعشرة آلاف أروى عنهم، ولا أقتدى بهم، وعشرة آلاف من نظرائى، وليس من الكل واحد، إلا وأحفظ عنه عشرة أحاديث أقلها.

قال الذهبى: قوله: إنه كتب عن ألف وسبعمائة شيخ أصح، وهو شىء يقبله العقل، وناهيك به كثرة، وقل من يبلغ ما بلغه الطبرانى، وشيوخه نحو من ألف، وكذا الحاكم، وابن مردويه، فالله أعلم.(٣)

وقال عبد الله بن أحمد السوذرجانى: سمعت ابن منده يقول: كتبت عن ألف شيخ، لم أر فيهم أتقن من القاضى أبى أحمد العَسَّال.

وقال طاهر المقدسى: سمعت سعد بن على الحافظ بمكة، وسئل عن الدارقطنى، وابن منده، والحاكم، وعبد الغنى. فقال: أما الدارقطنى، فأعلمهم بالعلل، وأما ابن منده، فأكثرهم حديثاً، مع المعرفة التامة، وأما الحاكم، فأحسنهم تصنيفاً، وأما عبد الغنى، فأعرفهم بالأنساب.(٤)

٤ - رَحَلاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الحاكم: أول خروج ابن منده إلى العراق من عندنا سنة تسع وثلاثين، فسمع بها، وبالشام، وأقام بمصر سنين، وصنف التاريخ، والشيوخ.(٤)

وقال الباطرقانى: سمعت أبا عبد الله يقول: طفت الشرق والغرب مرتين.(٤)

وتقدم قول الذهبى: ولم أعلم أحدًا كان أوسع رحلة منه.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٥، ٣٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٦).

وقال الذهبي كذلك: بقي أبو عبد الله في الرحلة بضعًا وثلاثين سنة، وأقام زماناً بما وراء النهر، وكان ربما عمل التجارة، ثم رجع إلى بلده، وقد صار في عشر السبعين فولد له أربعة بنين: عبد الرحمن، وعبيد الله، وعبد الرحيم، وعبد الوهاب.(١)

قال الحافظ يحيى بن عبد الوهاب: كنت مع عمي عبيد الله في طريق نيسابور، فلما بلغنا بئر مجنة، قال عمي: كنت هاهنا مرة، فعرض لي شيخ جَمَّال، فقال: كنت قافلاً من خراسان مع أبي، فلما وصلنا إلى هاهنا، إذا نحن بأربعين وقرًا من الأحمال، فظننا أنه منسوج الثياب، وإذا خيمة صغيرة فيها شيخ، فإذا هو والدك، فسأله بعضنا عن تلك الأحمال، فقال: هذا متاع، قَلَّ من يرغب فيه في هذا الزمان، هذا حديث رسول الله ﷺ.(٢)

قال يحيى: ذكر لي عمي عبيد الله قال: قفلت من خراسان، ومعي عشرون وقراً من الكتب، فنزلت عند هذا البئر -يعني: بئر مجنة- فنزلت عنده اقتداء بالوالد.(٢)

وقيل: كان ابن منده إذا قيل له: فإنك سماع كذا وكذا. يقول: ما فاتنا من البصرة أكثر.(٣)

قال الذهبي: ما دخل البصرة، فإنه ارتحل إليها إلى مسندها علي بن إسحاق المادَرَائي، فبلغه موته قبل وصوله إليها، فحزن، ورجع.(٤)

وقال الذهبي كذلك: النواحي التي لم يرحل إليها أبو عبد الله: هراه، وسجستان، وكريان، وجرجان، والري، وقَزوين، واليمن، وغير ذلك، والبصرة.

ورحل إلى خراسان، وما وراء النهر، والعراق، والحجاز، ومصر، والشام.(٥)

٥- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبي: سمع أباه، وعم أبيه عبد الرحمن بن يحيى، وأبا علي الحسن بن أبي هريرة، وطائفة بأصبهان، ومحمد بن الحسين القطان، وعبد الله بن يعقوب الكرماني، وأبا علي الميداني، وأبا حامد ابن بلال، وخلقا بنيسابور، وأبا سعيد ابن الأعرابي بمكة، والهيثم بن كليب بسمرقند، وخيثمة بن سليمان،

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٦-٣٧).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٥).
(٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٣).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٠).

وطبقته بالشام، وأبا جـعفر ابن البخترى، وإسماعيل الصـفار، وعدة ببغداد، وأبا الطاهر المدينى، وكاتبه بمصر، وغير ذلك.[1]

تَلامِذَتُهُ: قال الذهبى: حدث عنه شـيخه أبو الشيخ، وأبو عـبد الله الحاكم، وأبو عبـد الله غُنجار، وأبو سعـد الإدريسى، وتمام الرازى، وحمزة السـهمى، وأبو نعيم، وأحمد بن الفـضل الباطرقانى، وأحمد بن محمـود الثقفى، وأبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن بنْدَار، وأبو عثـمان محمد بن أحمد بن ورقاء، وأولاده عبد الرحمن، وعبد الوهاب، وعبيد الله، وآخرون.[2]

٦ – مُصَنَّفَـاتُـهُ – رَحِمَـهُ اللَّـهُ–

قال الذهبى: ولأبى عـبد الله كتـاب كبيـر فى الإيمان فى مجلد، وكـتاب فى النفس والروح، وكتاب فى الرد على اللفظية.

وإذا روى الحـديث وسكـت، أجـاد، وإذا بوب أو تكلم من عـنده، انحـرف وعرقش، بل ذنبه وذنب أبى نعـيم أنهما يرويان الأحاديث السـاقطة، والموضوعة، ولا يهتكانها فنسأل الله العفو.

وقد سمعت جملة من حديث أبى عـبد الله بإجازة، ولم يقع لى شىء متصلاً. وكان القاضى نجم الدين بن حمدان آخرمن روى حديثاً عالياً.[3]

٧ – وَفَـاتُـهُ – رَحِمَـهُ الـلَّـهُ–

قال الباطِرْقـانى: وكنت مع أبى عبد الله فَى الليلة التى توفى فيـها، فـفى آخر نفسه، قال واحـد منا: لا إله إلا الله –يريد تلقينه– فأشار بيده دفـعتين أو ثلاثة، أى: اسكت. يقال: لى مثلِ هذا.[4]

قال أبو نعـيم وغيره: مات ابن منده فى سـلخ ذى القعدة سنة خمس وتسـعين وثلاثمائة.[4]

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٢).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٢، ١٠٣٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٨).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٤٧)

الْـحَـاكِـمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْبَيِّعِ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ – اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ

اسْمُهُ: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضَّبِّى الطهمانى النيسابورى، الحافظ أبو عبد الله الحاكم، المعروف بابن البَيِّع.

مَوْلِدُهُ: صبيحة الثالث من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

٢ – ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال أبو الطاهر السِّلفى: سمعت إسماعيل بن عبد الجبار القاضى بقزوين، يقول: سمعت الخليل بن عبد الله الحافظ، يقول: فذكر الحاكم أبا عبد الله وعَظَّمَهُ، وقال: له رحلتان إلى العراق والحجاز، الرحلة الثانية سنة ثمان وثلاثين، وناظَرَ الدارقطنى، فرَضِيَهُ، وهو ثقة، واسع العلم، بلغتْ تصانيفه قريبًا من خمسمائة جزء.[١]

وقال أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوى الحافظ: إن الحاكم أبا عبد الله قُلِّدَ قضاء نَسَا سنة تسع وخمسين فى أيام السامانية، ووزارة العتبى، فدخل الخليل ابن أحمد السِّجزى القاضى على أبى جعفر العتبى، فقال: هنأ الله الشيخ، فقد جهز إلى نسا ثلاثمائة ألف حديث لرسول الله ﷺ فتهلل وجهه.

قال: وقلِّدَ بعد ذلك قضاء جُرْجان فأبى. قال: وسمعت مشيختنا يقولون: كان الشيخ أبو بكر ابن إسحاق، وأبو الوليد النيسابورى يرجعان إلى أبى عبد الله

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٨).

الحاكم فى السؤال عن الجرح والتعديل، وعلل الحديث، وصحيحه وسقيمه.

قال: وأقمت عند الشيخ أبى عبد الله العصمى قريباً من ثلاث سنين، ولم أر فى جملة مشايخنا أتقى منه، ولا أكثر تنقيراً، فكان إذا أشكل عليه شيء، أمرنى أن أكتب إلى الحاكم أبى عبد الله، وإذا ورد عليه جوابه، حكم به، وقطع بقوله، وانْتُخب على المشايخ خمسين سنة.(١)

وقال عبد الغافر الفارسى: إن الحاكم اختص بصحبة إمام وقته أبى بكر أحمد ابن إسحاق الصِّبغى، وإنه كان يراجعه فى الجرح والتعديل، والعلل، وإنه أوصى إليه فى أمور مدرسته، دار السنة، وفوَّض إليه تولية أوقافه فى ذلك.

وسمعت مشايخنا يذكرون أيامه، ويحكون: أن مقدَّمى عصره، مثل الإمام أبى سهل الصُّعلوكى، والإمام ابن فورك، وسائر الأئمة يقدمونه على أنفسهم، ويراعون حق فضله، ويوفون له الحرمة الأكيدة؛ بسبب تفرده بحفظه ومعرفته.

وكان إذا حضر مجلس سماع محتوٍ على مشايخ وصدور، يؤنسهم بمحاضرته، ويطيب أوقاتهم بحكاياته، بحيث يظهر صفاء كلامه على الحاضرين، فيأنسون بحضوره.(٢)

وقال العبدوى: سمعت أبا عبد الرحمن السلمى، يقول: كتبت على ظهر جزء من حديث أبى الحسين الحجاجى «الحافظ»، فأخذ القلم، وضرب على «الحافظ»، وقال: أيش أحفظ أنا؟ أبو عبد الله البياع أحفظ منى، وأنا لم أر من الحفاظ إلا أبا علىّ النيسابورى، وأبا العباس ابن عقدة، وسمعت السلمى، يقول: سألت الدارقطنى: أيهما أحفظ، ابن منده، أو ابن البيِّع؟ فقال: ابن البيِّع أتقن حفظًا.(٣)

وقال الذهبى: الإمام الحافظ، الناقد العلامة، شيخ المحدثين.(٤)

وقال: ومن تأمل كلامه فى تصانيفه، وتصرفه فى أماليه، ونظره فى طرق

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٨).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧١).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٣).

الحديث، أذعن بفضله، واعترف له بالمزية على مَنْ تقدمه، وإتعابه مَن بعده، وتعجيزه اللاحقين عن بلوغ شأوه، وعاش حميدًا، ولم يخلف فى وقته مثله.[١]

وقال التاج السبكى: كان إِماماً جليلاً، وحافظاً حفيلاً، اتُّفق على جلالته وعِظَم قَدْره.[٢]

وقال كذلك: ورُحِلَ إِليه من البلاد، لسعة علمه، وروايته، واتفاق العلماء على أنه من أعلم الأئمة، الذين حفظ الله بهم هذا الدين.[٣]

وقال أبو حازم: أول من اشتهر بحفظ الحديث وعلله بنيسابور، بعد الإِمام مسلم بن الحجاج، إِبراهيم بن أبى طالب، وكان يقابله النسائى، وجعفر الفريابى، ثم أبو حامد الشرقى، وكان يقابله أبو بكر بن زياد النيسابورى، وأبو العباس ابن سعيد، ثم أبو على الحافظ، وكان يقابله أبو أحمد العسال، وإبراهيم بن حمزة، ثم الشيخان: أبو الحسين الحجاج، وأبو أحمد الحاكم، وكان يقابلهما فى عصرهما ابن عدى، وابن المظفر، والدارقطنى، وتفرَّد الحاكم أبو عبد الله فى عصرنا، من غير أن يقابله أحد بالحجاز، والشام، والعراقين، والجبال، والرى، وطبرستان، وقوس، وخراسان بأسرها، وما وراء النهر.

هذا بعض كلام أبى حازم، ذكره فى حياة الحاكم، وقال فى آخره: جعلنا الله لهذه النعمة شاكرين.[٤]

٣- طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ وَرَحَلاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

طلبَ العلم من الصغر، باعتناء والده، وخاله، فأول سماعه سنة ثلاثين (أى: وله تسع سنوات)، واستملى على أبى حاتم ابن حبان سنة أربع وثلاثين.

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٤٣، ١٠٤٤)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٦).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٧).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٨، ١٥٩).

ورحل من نيسابور إلى العراق سنة إحدى وأربعين، بعد موت إسماعيل الصفار بأشهر، وحج، وجال فى بلاد خراسان، وما وراء النهر، وأكثر.(١)

وشيوخه الذين سمع منهم بنيسابور -وحدها- نحو ألف شيخ، وسمع بغيرها من نحو ألف شيخ أيضاً.(٢)

وقد تقدم قول الخليل بن عبد الله الحافظ أنه قال: له رحلتان إلى العراق، والحجاز، الرحلة الثانية سنة ثمان وثلاثين.

وقال الذهبى: ولحق الأسانيد العالية بخراسان، والعراق، وما وراء النهر، وسمع من نحو ألف شيخ، ينقصون أو يزيدون، فإنه سمع بنيسابور -وحدها- من ألف نفس، وارتحل إلى العراق، وهو ابن عشرين سنة، فقَدِم بعد موت إسماعيل الصفار بيسير.(٣)

٤ - الجَوَابُ عَلَى مَنِ اتَّهَمَهُ بِالتَّشَيُّعِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال التاج السبكى ما ملخصه:

وقد رُمِىَ هذا الإمام الجليل بالتشيع، وقيل: إنه يذهب إلى تقديم علىّ، من غير أن يطعن فى واحد من الصحابة -رضى الله عنهم- فنظرنا، فإذا الرجل محدِّث لا يُختلف فى ذلك، وهذه العقيدة تبعد عن محدث، فإن التشيع فيهم نادر، وإن وجد فى أفراد قليلين ثم نظرنا مشايخه الذين أخذ عنهم العلم، وكانت له بهم خصوصية، فوجدناهم من كبار أهل السنة، ومن المتصلبة فى عقيدة أبى الحسن الأشعرى(٤)، كالشيخ أبى بكر ابن إسحاق الصبغى، والأستاذ أبو بكر

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٥٦) بتصرف. (٢) طبقات الشافعية الكبري، الجزء الرابع.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٣).

(٤) يميل التاج السبكي إلى تسمية الأشاعرة: أهل السنة، كما هو ظاهر، ولاشك في أنهم أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة، والجهمية، والشيعة، إلا أنهم كذلك يخالفون أهل السنة فى قضايا كلية، مما يجعلهم من الفرق المخالفة للفرقة الناجية، والعجيب: أن مؤسس مذهبهم قد رجع عنه، وصرح بأنه على عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل، إلا أن كثيراً من أتباعه استمروا على أشعريتهم، والله الهادي.

ابن فورك، والأستاذ أبو سهل الصعلوكي، وأمثالهم. وهؤلاء هم الذين كان يجالسهم في البحث، ويتكلم معهم في أصول الديانات، وما يجرى مجراها.

ثم نظرنا تراجم أهل السنة في «تاريخه»، فوجدناه يعطيهم حقهم من الإعظام، والثناء -مع ما ينتحلون- وإذا شئت، فانظر ترجمة أبى سهل الصعلوكي، وأبى بكر ابن إسحاق، وغيرهما من كتابه، ولا يظهر عليه شيء من الغمز على عقائدهم، وقد استقريت، فلم أجد مؤرخاً ينتحل عقيدة، ويخلو كتابه عن الغمز ممن يحيد عنها، سُنَّة الله في المؤرخين، وعادته في النقل، ولا حول ولا قوة إلا بحبله المتين.

ثم رأينا الحافظ الثبت أبا القاسم ابن عساكر، أثبته في عداد الأشعريين، الذين يُبَدِّعُونَ أهلَ التشيع، ويبرءون إلى الله منهم.(١)

٥ - شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبي: روى عن أبيه، ومحمد بن عليّ بن عمر المذكر، وأبي العباس الأصم، وأبي جعفر محمد بن صالح بن هانئ، ومحمد بن عبد الله الصفار، وأبي عبد الله ابن الأخرم، وأبي العباس ابن محبوب، وأبي حامد بن حَسْنَوِيه، والحسن بن يعقوب البخاري، وأبي النضر محمد بن محمد بن يوسف، وأبي الوليد حسان بن محمد، وأبي عمرو ابن السماك، وأبي بكر النجار، وأبي محمد ابن درستويه، وأبي سهل ابن زياد، وعبد الرحمن بن حمدان الجلاب، وعلي بن محمد بن عقبة الشيباني، وأبي علي الحافظ، وانتفع بصحبته، وما زال يسمع، حتى سمع من أصحابه.(٢)

تَلامِذَتُهُ: قالَ الذهبي: حدَّث عنه الدارقطني، وأبو الفتح ابن أبي الفوارس، وأبو العلاء الواسطي، ومحمد بن أحمد بن يعقوب، وأبو ذر الهروي، وأبو يعلى الخليلي، وأبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وأبو صالح المؤذن، والزكي عبد الحميد البحيري، وعثمان بن محمد المحمحي، وأبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي، وخلائق.

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٦١، ١٦٢). (٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٩).

وقد قرأ القراءات على ابن الإمام، ومحمد بن أبى منصور الصرام، وأبى على ابن النقار الكوفى، وأبى عيسى بكار البغدادى.

وقرأ المذهب على ابن أبى هريرة، وأبى سهل الصعلوكى، وأبى الوليد حسان ابن محمد، وكان يذاكر الجعابى، والدارقطنى، ونحوهما.

وقد سمع منه من شيوخه: أحمد بن أبى عثمان الحيرى، وأبى إسحاق المزكى.

وأعجب ما رأيت: أن أبا عمر الضلمنكي -وسيأتى فى هذه الطبقة- قد كتب فى علوم الحديث للحاكم ابن البيع، فى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، عن شيخ له، عن آخر عن الحاكم.[(١)]

٦- مُصَنَّفاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال أبو حازم عمر بن أحمد العَبْدُوى الحافظ: سمعت الحاكم أبا عبد الله، إمام أهل الحديث فى عصره، يقول: شربت ماء زمزم، وسألت الله أن يرزقنى حُسْن التصنيف.[(٢)]

وقال ابن طاهر: سألت سعد بن على الحافظ عن أربعة تعاصروا: أيُّهم أحفظ؟ قال: من؟ قلت: الدراقطنى، وعبد الغنى، وابن منده، والحاكم. فقال: أما الدارقطنى، فأعلمهم بالعلل، وأما عبد الغنى، فأعلمهم بالأنساب، وأما ابن منده، فأكثرهم حديثاً، مع معرفة تامة، وأما الحاكم، فأحسنهم تصنيفاً.[(٣)]

قال الذهبى: وقد شرع الحاكم فى التصنيف سنة سبع وثلاثين، فاتفق له من التصانيف ما لعله يبلغ قريباً من ألف جزء فى تخريج «الصحيحين»، والعلل، والتراجم، والأبواب، والشيوخ، ثم المجموعات، مثل «معرفة علوم الحديث»، و«مستدرك الحاكم»، و«تاريخ النيسابوريين»، وكتاب «مزكى الأخبار»، و«المدخل إلى علم الصحيح»، وكتاب «الإكليل» و«فضائل الشافعى»، وغير ذلك.

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٩، ١٠٤٠). (٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧٤).

ولا شك فى أن أشهر كتبه: «المستدرك على الصحيحين»، وهو مطبوع فى أربعة مجلدات، وبهامشه تلخيص الذهبى.

قال الذهبى: وسمعت المظفر بن حمزة بجرجان، سمعت أبا سعد المالينى، يقول: طالعت كتاب «المستدرك على الشيخين»، الذى صنفه الحاكم، من أوله إلى آخره، فلم أر فيه حديثاً على شرطهما.

قلت (الذهبى): هذه مُكَابَرَةٌ، وغُلُوٌّ، وليست رتبة أبى سعد أن يحكم بهذا، بل فى «المستدرك» شىء كثير على شرطهما، وشىء كثير على شرط أحدهما، ولعل مجموع ذلك ثلث الكتاب، بل أقل، فإن فى كثير من ذلك أحاديث فى الظاهر على شرط أحدهما، أو كليهما، وفى الباطن لها علل خفية، مؤثرة، وقطعة من الكتاب إسنادها صالح، وحسن، وجيِّد، وذلك نحو ربعه، وباقى الكتاب مناكير، وعجائب، وفى غضون ذلك أحاديث نحو المئة، يشهد القلب ببطلانها، كنت قد أفردت منها جزءًا، وحديث الطير بالنسبة إليها سماء، وبكل حال، فهو كتاب مفيد، قد اختصرته ويعوز عملاً وتحريراً.[١]

٧ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

روى أبو موسى المديني: أن الحاكم دخلَ الحمام، فاغتسل، وخرج، وقال: آه، وقبضت روحه، وهو مُتَّزِر؟ لم يلبس قميصه بعد، ودفن بعد العصر، يوم الأربعاء، وصلى عليه القاضى أبو بكر الحيرى.[٢]

قال الذهبى: توفى الحاكم فى صفر، سنة خمس وأربعمائة -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى-.[٣]

وقال الحسن بن أشعث القرشي: رأيت الحاكم فى المنام على فرس، فى هيئة حسنة، وهو يقول: «النجاة». فقلت له: أيها الحاكم، فى ماذا؟ قال: فى كَتَبَةِ الحديث. قال السبكى: قلت: كذا صح.[٤]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧٥، ١٧٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧٣).
(٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٤٥).
(٤) طبقات الشافعية (٤/ ١٦١).

(٤٨)

أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ حَزْمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ

اسْمُـهُ: على بن أحـمد بن سعـيد بن حـزم بن غالب بن صـالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، مولى الأمير يزيد بن أبى سفيان بن حرب الأموى ﷺ المعروف بيَزيد الخير.

وجده خلف بن مـعدان هو أول من دخل الأندلس فى صـحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل.(١)

مَوْلِدُهُ: كتب أبو محمد على بن حزم -بخط يده- لتلميذه أبى القاسم صاعد أنه ولد بعد سلام الإمـام من صلاة الصبح، وقبل طلوع الشمس، آخـر يوم من شهر رمضـان (ليلة الأربعاء) من سنة أربع وثمانين وثلاثمـائة، وهو اليوم السـابع من نوفمبر (سنة ٩٩٤م).

وكان مـولده بقرطبة فى الجـانب الشرقى بربض منية المغـيرة بقصـر أبيه القـريب من مدينـة المنصور بن أبى عـامـر (الزاهرة) التى خصَّ بهـا نفسـه ومسـاعديه فى الحكم، وجـعلها دار إمارة، تجـمع بين مظهر قـوة السلاح، ومظاهر العظمة والجاه.(٢)

---

(١) اختصار من سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤، ١٨٥).

(٢) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، د. عبد الحليم عويس (٥٩).

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة، والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار، وأخبرنى ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه محمد من تواليفه أربعمائة مجلد، وتشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.(١)

وقال أبو حامد الغزالى: وجدت فى أسماء الله تَعَالَى كتابًا ألفه أبو محمد ابن حزم الأندلسى، يدل على عظم حفظه، وسيلان ذهنه.(٢)

وقال أبو عبدالله الحُميدى: كان ابن حزم حافظًا للحديث وفقهه، مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننًا فى علوم جمة، عاملاً بعلمه، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس، والتدين، وكان له فى الأدب والشعر نَفَسٌ واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير، جمعته على حروف المعجم.(٣)

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: وكان أحد المجتهدين، ما رأيت فى كتب الإسلام فى العلم مثل «المحلى» لابن حزم، وكتاب المغنى «للشيخ موفق الدين».

قلت (الذهبى): لقد صدق الشيخ عز الدين وثالثهما: «السنن الكبرى»، للبيهقى، ورابعها «التمهيد» لابن عبد البر، فمن حَصَّل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العلم حقًا.(٤)

وقال اليسع بن حزم الغافقى، وذكر أبا محمد فقال: أما محفوظه، فبحر عجاج، وماء ثجاج يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت بثجاجه ألفاظ النعم فى رياض

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٦)، ومعجم الأدباء (١٢/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٧، ١٨٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩٣).

الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين، وأربى على كل أهل دين، وألَّف «الملل والنحل»، وكان فى صباه يلبس الحرير، ولا يرضى من المكانة إلا بالسرير، أنشد المعتمدَ فأجاد، وقصد بَلَنْسِيَّه وبها المظفر أحد الأطواد، وحدثنى عنه عمر بن واجب قال:

بينما نحن عند أبى ببَلَنْسِيَّة، وهو يدرس المذهب، إذا بأبى محمد ابن حزم يسمعنا ويتعجب، ثم سأل الحاضرين مسألة فى الفقه جووب فيها فاعترض فى ذلك، فقال له بعض الحضَّار: هذا العلم ليس من منتحلاتك، فقام وقعد ودخل منزله، فعكف ووكف منه وابل فما كف، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع فناظر أحسن مناظرة، وقال فيها أنا أتبع الحق، وأجتهد ولا أتقيد بمذهب.

قال الذهبى: قلت: نعم، من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الأئمة لَمْ يسُغْ له أن يُقَلِّدَ، كما أن الفقيه المبتدئ، والعامى الذى يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوغ له الاجتهاد أبدًا فكيف يجتهد، وما الذى يقول؟ وعلام يبنى؟ وكيف يطير ولما يريش؟ والقسم الثالث: الفقيه المنتهى الفَهِم المحدث الذى قد حفظ مختصرًا فى الفروع، وكتابًا فى قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك فى الفضائل، مع حفظه كتاب الله وتشاغله بتفسيره، وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد، وتأهل للنظر فى دلائل الأئمة، فمتى وضح له الحق فى مسألة، وثبت فيها النص، وعمل بها أحد الأئمة الأعلام، كأبى حنيفة مثلاً، أو كمالك أو الثورى، أو الأوزاعى، أو الشافعى، وأبى عبيد وأحمد وإسحاق، فليتبع فيها الحق، ولا يسلك الرخص وليتورع، ولا يسعه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليد، فإن خاف ممن يُشغِّب عليه من الفقهاء، فليتكلم بها، ولا يتراءى بفعلها، فربما أعجبته نفسه، وأحب الظهور، فيعاقب، ويدخل عليه الداخل من نفسه، فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه، لسوء قصده، وحبه للرئاسة العينية، فهذا داء خفى سار فى نفوس الفقهاء، كما أنه داء سار فى نفوس المنفقين من الأغنياء، وأرباب الوقوف، والترب المزخرفة، وهو داء خفى يسرى فى نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلتقون بالعدو، ويصطدم

الجمعان، وفى نفوس المجاهدين مُخَبَّآتٌ، وكمائن من الاختيال، وإظهار الشجاعة، والعجب، ولِبْس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر، فأنى يُنْصَرُون، وكيف لا يخذلون؟ اللهم، فانصر دِيْنَك، ووفق عبادك، فمن طلب العلم للعمل كسره العلم وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء تحامق واختال وازدرى الناس: أهلكه العجب، ومقتته الأنفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩، ١٠)، أى دسسها بالفجور والمعصية.[١]

وقال الذهبى كذلك: وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم، والنَّثْرَ، وفيه دين وخيْر ومقاصد جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد فى الرئاسة، ولزم منزله مُكباً على العلم، فلا نغلو فيه ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار.[٢]

وقال بعد أن ذكر وقوع أبى بكر ابن العربى فيه: لم ينصف القاضى أبو بكر -رَحِمَهُ اللَّهُ- شيخ أبيه فى العلم، ولا تكلم فيه بالقسط، وبالغ فى الاستخفاف به، وأبو بكر، فعلى عظمته فى العلم، لا يبلغ رتبة أبى محمد، ولا يكاد، فرحمهما الله وغفر لهما.[٣]

٣ - ابْتِدَاءُ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ وَبَرَاعَتُهُ فِيهِ

قال أبو محمد ابن العربى: إن أبا محمد ابن حزم ولد بقرطبة، وجده سعيد ولد بأونيه، ثم انتقل إلى قرطبة، وَوَلِى فيهَا الوزارة ثم ابنه علىّ الإمام، وأقام فى الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستاً وعشرين سنة، وقال: إننى بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدرى كيف أجيد صلاة من الصلوات.

قال أخبرنى الشيخ الإمام أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه، أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩١، ١٩٢)، ونقلناه بطوله، لنفاسته، فرحم الله الذهبى.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٧). (٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩٠).

العصر والخلق فـيه، فجلس ولم يركع، فقال له أسـتاذه يعنى الذى رباه بإشارة أن قم فصلِّ تحية المسجد، فلـم يفهم، فقال له بعض المجاورين له: أبلغت هذه السن ولا تعلم أن تحيـة المسجد واجـبة؟ وكان قد بلغ حـينئذ ستـة وعشرين عامًـا قال: فقـمت وركعت، وفـهمت إذا إشـارة الأستاذ إلىَّ بذلـك قال: فلما انصـرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسـجد مشاركـة للأحباء من أقرباء الميت دخلت المـسجد فبادرت بالركـوع فقيل لى: اجلس اجلس، ليس هذا وقت صـلاة، فانصرفت عن الميت، وقد خزيت ولحقنى ما هانت عَلَىَّ به نفسى، وقلت للأستاذ: دلنى على دار الشيخ الفـقيه المشاور أبى عـبد الله ابن دحون فـدلنى، فقصدته من ذلك المشـهد وأعلمته بما جرى فـيه، وسألته الابتداء بقراءة العلم واسترشـدته فدلنى على كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله فبـدأت به عليه قراءة من اليوم التـالى لذلك اليوم، ثم تتابعتْ قراءتى عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة.[1]

قال الذهبى -رَحِمَـهُ اللَّهُ-: نشأ فى تنعم ورفاهية، ورُزق ذكـاءً مفرطًا، وذهنًا سَيَّالاً، وكـتباً نفيـسة كثيرة، وكـان والده من كبار أهل قرطبـة، عمل الوزارة فى الدولة العامرية، وكذلك وَزَرَ أبو محمد فى شبيبته، وكان قد مهر أولاً فى الأدب، والأخبار، والشِّعْـرِ، وفى المنطق، وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيـه تأثيرًا ليته سلم من ذلك، ولقد وقفت لـه على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق، ويـقدمه على العلوم، فتـأملت له، فإنه رأس فى علوم الإسلام مـتبحرٌ فى النقل، عـديم النظير على يبس فيه وفرط ظاهرية فى الفروع لا الأصول.

وقيل إنه تفقـه أولاً للشافعى، ثم أداه اجتهاده إلى القـول بنفى القياس كله، جليه وخـفيه، والأخذ بظاهر النص وعـموم الكتاب والحديث، والقـول بالبراءة الأصلية واستصـحاب الحال، وصنف فى ذلك كتبًا كثـيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه.[2]

---

(١) معجم الأدباء (١٢/ ٢٤٠، ٢٤١) بتصرف.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٦).

٤ – مَا أُخِذَ عَلَيْهِ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال الذهبيّ: بسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة فى الخطاب، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها ونفروا منها، وأحرقت فى وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها، انتقادًا واستفادة، وأخذًا ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجًا فى الرَّصف بالخرز المهين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزِّئون، وفى الجملة فالكمال عزيزٌ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .[1]

وقال كذلك: ابن حزم رجل من العلماء الكبار، فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تفتح له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه وشرد عن وطنه، وجرت له أمور، وقام عليه الفقهاء، لطول لسانه واستخفافه بالكبار، ووقعه فى أئمة الاجتهاد بأفج عبارة، وأفظ محاورة، وأبشع رد، وجرى بينه وبين أبى الوليد الباجى مناظرة ومنافرة.

قال أبو العباس ابن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين.[2]

وقال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وكان ابن حزم كثير الوقيعة فى العلماء بلسانه وقلمه، فأورثه ذلك حقدًا فى قلوب أهل زمانه، وما زالوا به حتى بَغَّضوهُ إلى ملوكهم، فطردوه عن بلاده حتى كانت وفاته فى قرية له فى شعبان من هذه السنة، وقد جاوز التسعين، والعجب كل العجب منه أين كان ظاهرياً حائرًا فى الفروع، لا يقول بشىء من القياس الجلى، ولا غيره، وهذا الذى وضعه عند العلماء، وأدخل عليه خطأ كبيرًا فى نظره وتصرفه، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً فى باب الأصول وآيات الصفات، وأحاديث الصفات، لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق، وأخذه من محمد بن الحسن المذحجى الكتانى القرطبى ذكره ابن ماكولا وابن خلكان، ففسد بذلك حاله فى باب الصفات.[3]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٦، ١٨٧). (٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٥٣، ١١٥٤).

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٩٢).

وقال ابن حيان: وكان مما يزيد في شنئانه تشيّعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم، واعتقاده بصحة إمامتهم، حتى نسب إلى النَّصْبِ.(١)

وقال أبو مروان ابن حيان: كان ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه، وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله كتب كثيرة، لم يخلُ فيها من غلط لجرأته في التسور على الفنون، لا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هنالك، وضل في سلوك المسالك، وخالف أرسطو واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه، ولا ارتاض، ومال أولاً في النظر إلى الشافعي وناضل عنه حتى وسم به، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ ثم عدل إلى الظاهر، وجادل عنه، ولم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصك به معارضه صك الجندل، وينشقه إنشاق الخردل، فينفر عنه القلوب، ويقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فتمالئوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنه، ونهوا عوامهم من الدنو منه، فطفق الملوك يقصونه ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به منقطع أثره، وهي بلدة من بادية لبلة، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع، يبث علمه لمن ينتابه من بادية بلده من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يسمعهم ويفقههم ويدارسهم.(٢)

٥ - أَخْلَاقُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الدكتور عبد الحليم عويس: أبرز أخلاق ابن حزم صفتان تتفرع عنهما كل سلوكياته، ما قبله الناس وما لم يقبلوه، وهما: وفاؤه، وتدينه، وهو يقول لنا عن وفائه: ولقد منحني اللَّه -عَزَّ وَجَلَّ- من الوفاء لكل من يَمُت إليَّ بلقية واحدة، ووهبني من المحافظة لمن يتذمم مني ولو بمحادثة ساعة، حظًا أنا له شاكر وحامد، ومنه مستمد ومستزيد، وما شيء أثقل عليَّ من الغدر، ولعمري ما سمحت نفسي

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٥٢).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٥١، ١١٥٢).

قط في الفكرة في إضرار من بيني وبينه أقل ذمام، وإن عظمت جريرته وكثرت إلي ذنوبه، ولقد دهمني من هذا غير قليل: فما جزيت على السوء إلا بالحسنى، والحمد لله على ذلك كثيرًا.

ويقول: وكذلكَ أنا في السلو والتوفي فما نسيت ودًا قط، وإن حَنِيني إلى كل عهد تقدم، ليغصني بالطعام، ويشرقني بالماء، وقد استراح من لم تكن هذه صفته، وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به ولا أسرعت إلى الأنس بشيء قط أول لقائي به، ولا رغبت في الاستبدال إلى سبب من أسبابي منذ كنت.

أما عن تدينه فحسبك منه أنه عاش في ظروف تدعو كلها إلى المعصية ومع ذلك «فيعلم الله أني بريء الساحة، سليم الإدام، صحيح البشرة، نقي الحجزة، وإني أقسم بالله أجل الأقسام أني ما حللت مئزري على فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا منذ عقلت إلى يومي هذا».(١)

وقال الإمام الذهبي: وكان صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتَحَرٍ للصدق، وكان أبوه وزيرًا جليلاً محتشمًا كبير الشأن.(٢)

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبي: وسمع في سنة أربعمائة وبعدها من طائفة، منهم: يحيى ابن مسعود بن وجه الجنَّة، صاحب قاسم بن أصبغ، فهو أعلى شيخ عنده، ومن أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور، ويونس بن عبد الله بن مغيث القاضي، وحمام بن أحمد القاضي، ومحمد بن سعيد بن بنات، وعبد الله بن ربيع التميمي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد، وعبد الله بن محمد بن عثمان، وأبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، وعبد الله بن يوسف بن نامي، وأحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ، وينزل إلى أن يروى عن أبي عمر ابن عبد البر،

(١) ابن حزم الأندلسي (٨١، ٨٢)، وكلام ابن حزم من طوق الحمامة.
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٦).

وأحمد بن عمر بن أنس العذرى: وأجود ما عنده من الكتب «سنن النسائى» يحمله عن ابن ربيع عن ابن الأحمر عنه، وأنزل ما عنده «صحيح» مسلم بينه وبينه خمسة رجال، وأعلى ما رأيت له حديث بينه وبين وكيع فيه ثلاثة أنفس.(١)

تَلامذَتُهُ: قالَ الذهبى: حدث عنه: ابنه أبو رافع الفضل، وأبو عبد الله الحميدى، ووالد القاضى أبى بكر ابن العربى وطائفة وآخر من روى عنه مروياته بالإجازة أبو الحسن شريح بن محمد.(٢)

٧ - مُؤَلَّفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الدكتور عبد الحليم عويس:

ثمة إجماع بين المؤرخين على أن ابن حزم من أكثر أهل الإسلام تصنيفًا، ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية تلميذ ابن حزم صاعد وابنه الفضل أبو رافع فيما يرويه الأول عن الثانى، من أنه أخبره أن أباه ابن حزم قد بلغت مؤلفاته فى الفقه، والحديث، والأصول، والملل والنحل، وغير ذلك من التاريخ، والنسب وكتب الأدب، والرد على المعارضين، نحو أربعمائة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.

ويعلق صاعد على هذا الخبر الذى استقاه من أبى رافع بقوله: «وهذا شىء ما علمناه من أحد ممن كان فى دولة الإسلام قبله إلا لأبى جعفر ابن جرير الطبرى، فإنه أكثر أهل الإسلام تأليفًا».(٣)

ثم ساق الدكتور عبد الحليم عويس جملة، مستكثر من رسائله المفقودة وكذا الموجودة، ونحن نقتصر على الموجودة، لقصد الاختصار.

١- رسالة أصحاب الذين أخرج لهم بقى بن مخلد (ط).

٢- رسالة القراءات المشهورة فى الأمصار، الآتية مجىء التواتر.

٣- كتاب المُجلَّى.

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٥، ١٨٦).
(٣) ابن حزم الأندلسي (١١٠).

٤- كتاب المحلَّى (ط).

٥- مسائل الأصول (ط).

٦- رسالة فى الإمامة فى الصلاة.

٧- كتاب حجة الوداع (ط).

٨- كتاب مناسك الحج أو المناسك.

٩- مراتب الإجماع.

١٠- رسالة فى طهارة الكلب والرد على من قال بنجاسته (ط).

١١- رسالة الغناء المُلْهِى أَمُبَاح هو أَمْ محظور (ط).

١٢- كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين فى مذاهب أهل الرأى.

١٣- كتاب الإحكام فى أصول الأحكام (ط).

١٤- إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل (ط)

١٥- النبذ الكافية فى أصول أحكام الدين (ط).

١٦- ملخص إبطال القياس والرأى، والاستحسان والتقليد والتعليل (ط).

١٧- رسالة فى الرد على الهاتف من بعد (ط).

١٨- رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال تعنيف (ط).

١٩- كتاب التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية (ط).

٢٠- كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل (ط).

٢١- كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم منها مما لا يحتمل التأويل.

٢٢- النصائح المنجية والفضائح المخزية لجميع الشيعة والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، (وهو من أ اء الفِضَل).

٢٣- المفاضلة بين الصحابة (ط).

٢٤- كتاب الأصول والفروع.

٢٥- الرد على ابن النغريلة اليهودى (ط).

٢٦- قصيدة فى الرد على نفقور ملك الروم (ط).

٢٧- رسالة البيان عن حقيقة الإيمان (ط).

٢٨- كـتاب الدرة فى تحـقيق اللام بما يلزم الإنـسان اعـتقـاده فى الملة والنحلة باختصار وبيان.

٢٩- رسالة فى النفس (خ).

٣٠- فصل فى معرفة النفس بغيرها، وجهلها بنفسها (ط).

٣١- كتاب ابن حزم فى الجدل.

٣٢- رسالة فى ألم الموت وإبطاله (ط).

٣٣- رسالة فى حكم من قال: إن أهل الشقاء معذبون إلى يوم القيامة.

٣٤- مراتب العلوم، وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض (ط).

٣٥- رسالة التوفيق على شارع النجاة باختصار الطريق (ط).

٣٦- رسالة فى مداواة النفوس، وتهذيب الأخلاق، والزهد فى الرذائل (ط).

٣٧- رسالة فى التلخيص لوجوه التخليص (ط).

٣٨- السيرة النبوية (ط). (وهو المعروف بجوامع السيرة).

٣٩- رسالة فى تسمية من نقل عنه الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم فى كثرة الفتيا (ط).

٤٠- جمل من فتوح الإسلام.

٤١- رسالة فى أمهات الخلفاء والولاية وذكر مددهم.

٤٢- رسالة فى أمهات الخلفاء (ط).

٤٣- جمهرة أنساب العرب.

٤٤- رسالة الميزان فى التسوية بين علماء الأندلس وأهل بغداد والقيروان، وهى المعروفة برسالة فى فضائل علماء الأندلس (ط).

٤٥- نقط العروس فى تواريخ الخلفاء.

٤٦- طوق الحمامة (ط)، (المتداول بعضه فقط).

٤٧- ديوان ابن حزم.

٤٨- كتاب فى الرد على الكندى الفيلسوف (ط).

٤٩- ظل القمامة، وطوق الحمامة، وفضل القرابة والصحابة، (ويشك فى صحة نسبته لابن حزم) (خ).

٥٠- الرسالة الباهرة فى الرد على أهل الأهواء الفاسدة (خ).

٥١- المسائل اليقينية المستخرجة من الآيات القرآنية (خ).

٥٢- منظومة فى قواعد أصول فقه الظاهرية (ط).

٥٣- نبذة فى البيوع (خ).[١]

---

(١) ابن حزم الأندلسي (١١٧-١٢١) بتصرف.

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الدكتور عبد الحليم عويس:

وقد أمضى ابن حزم فى قريته «منت ليشم» سنواته الأخيرة التى تقترب من عقدين، يبث علمه فيمن ينتابه بباديته تلك من عامة المقتبسين منه من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم، ويفقههم ويدارسهم، ولا يدع المثابرة على العلم، والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف، حتى كمل فى مصنفاته فى فنون العلم وقر بعير.

وفى ليلة الاثنين ٢٨ من شعبان سنة ٤٥٦ هـ (١٥ يوليو ١٠٦٤م)، وبعد حياة حافلة بالإنتاج العلمى، والجدال فى الحق، والصدق فى الإيمان، توفى ابن حزم بعد عمر يبلغ اثنتين وسبعين سنة.

وكأنما كان -رَحِمَهُ اللَّهُ- يرثى نفسه حين قال:

كَأَنَّكَ بِالزُّوَّارِ لِى قَدْ تَبَادَرُوا ... وَقِيلَ لَهُمْ أُودَى عَلِىُّ بْنُ أَحْمَدِ

فَيَا رُبَّ مَحْزُونٍ هُنَاكَ وَضَاحِكٍ ... وَكَمْ أدمعٍ تُذْرَى وَخَدٍّ مُخَدَّدِ

عَفَا اللَّهُ عَنِّى يَوْمَ أَرْحَلُ ظَاعِنًا ... عَنِ الأَهْلِ مَحْمُولاً إِلَى ضِيقِ مَلْحَدِ

وَأَتْرُكُ مَا قَدْ كُنْتُ مُغْتَبِطًا بِهِ ... وَأَلْقَى الَّذِى آنَسْتُ مِنْهُ بِمَرْصَدِ

فَوَارا حَتَّى إِن كَانَ زَادِى مُقَدَّمًا ... وَيَا نَصَبِى إِن كُنْتُ لَمْ أَتَزَوَّدِ[١]

---

(١) ابن حزم الأندلسي (٨٣، ٨٤).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٤٩)

أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ

اسْمُهُ: أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخسرَوْجِردى الخراسانى البيهقى، وبيهق عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها.

مَوْلِدُهُ: فى شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال عبدالغافر: كان على سيرة العلماء، قانعًا من الدنيا باليسير، متجملاً فى زهده وورعه، عاد إلى النَّاحية فى آخر عمره، وكانت وفاته بها.(١)

وقال إمام الحرمين: ما من شافعى إلا وللشافعى فى عنقه منه، إلا البيهقى، فإن له على الشافعى منه، لتصانيفه فى نصرته لمذهبه، وأقاويله.(٢)

وقال أبو الحسن عبد الغافر فى «ذيل تاريخ نيسابور»: أبو بكر البيهقى الفقيه الحافظ الأصولى الدِّيِّن الورِعُ، واحدُ زمانه فى الحفظ، وفَرْدُ أقرانه فى الاتفاق والضبط، من كبار أصحاب الحاكم، ويَزِيدُ عَلَيْه بأنواع من العلوم، كتب الحديثَ وحفظَه من صباه، وتفقَّه، وبرع، وأخذ فى الأصول، وارتَحَلَ إلى العراق والجبال والحجاز، ثم صنف، وتواليفه تقارب ألف جزء، مما لم يسبقه إليه أحد، جمع بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث، ووجه الجمع بين الأحاديث،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٠).	(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٠، ١١).

طلب منه الأئمة الانتقال من النَّاحِيَةِ إلى نيسابور؛ لسماع الكتب، فأتى في سنة إحدى وأربعين، وعقدوا له المجلس لسماع كتاب المعرفة، وحضره الأئمة، وكان على سيرة العلماء قائماً باليسير.(١)

وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك، لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يلوح بنصر مسائل مما صح فيها الحديث.(٢)

وقال التاج السبكي: وفي كلام شيخنا الذهبي أنه أول من جمع نصوص الشافعي، وليس كذلك، بل هو آخر من جمعها، ولذلك استوعب أكثر ما في كتب السابقين، ولا أعرف أحداً بعده جمع النصوص، لأنه سد الباب على من بعده.(٣)

وقال التاج السبكي كذلك: كان الإمام البيهقي أحد أئمة المسلمين، وهداة المؤمنين، والدعاة إلى حبل الله المتين، حافظ كبير وأصولي نحرير، زاهد ورع قانت لله قائم بنصرة المذهب أصولاً وفروعاً، جبلاً من جبال العلم.(٤)

٣ – طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ وَتَفَوُّقُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ

قال الذهبي: وسَمِعَ وهو ابن خمس عشرة سنة من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي صاحب أبي حامد ابن الشرقي، وهو أقدم شيخ عنده، وفاته السماع من أبي نعيم الإسفراييني صاحب أبي عَوانة، وروى عنه بالإجازة في البيوع، وسمع من الحاكم أبي عبد الله الحافظ فأكثر جدًا، وتخرج به.(٥)

وقال ابن السبكي ما ملخصه:

وحج فسمع ببغداد من هلال الحفار، وأبي الحسين ابن بشران وجماعة، وبمكة من أبي عبد الله ابن نظيف وغيره بخراسان والعراق، والحجاز والجبال. وشيوخه

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٩).
(٣) طبقات الشافعية (٤/ ١٠).
(٤) طبقات الشافعية (٤/ ٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٤).

أكثر من مئة شيخ، ولم يقع له الترمذى ولا النسائى ولا ابن ماجه. وأخذ الفقه عن ناصر العمرى.

ثم اشتغل بالتصنيف بعد أَنْ صار أَوْحَدَ زمانه، وفارس ميدانه، وأحذق المحدثين، وأحدَّهم ذهناً، وأسرعهم فهماً، وأجودهم قريحة، وبلغت تصانيفه ألف جزء، ولم يتهيأ لأحد مثلها.(١)

٤- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: وسمع أبا الحسن محمد بن الحسين العلوى، وأبا عبد الله الحاكم، وأبا طاهر ابن محمش، وأبا بكر ابن فورك، وأبا على الروذبارى، وعبد الله بن يوسف بن بانويه، وأبا عبد الرحمن السلمى، وخلقاً بخراسان، وهلال بن محمد الحفار، وأبا الحسين ابن بشران، وابن يعقوب الإيادى، وعدة ببغداد، والحسن بن أحمد بن فراس بمكة، وجناح بن نذير وجماعة بالكوفة.(٢)

تَلامِذَتُهُ: قال الذهبى: ومن الرواة عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى بالإجازة، وولده إسماعيل بن أحمد، وحفيده أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد، وأبو زكريا يحيى بن منده الحافظ، وأبو المعالى محمد بن إسماعيل الفارسى، وعبد الجبار بن عبد الوهاب الدهان، وعبد الجبار بن محمد الخوارى، وأخوه عبد الحميد بن محمد الخوارى، وأبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن البحيرى النيسابورى المتَوَفَّى سنة أربعين وخمسمائة، وطائفة سواهم.(٣)

٥ - مُصَنَّفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال شيخ القضاة أبو على إسماعيل بن البيهقى: حدثنا أبى قال: حين ابتدأت بتصنيف هذا الكتاب -يعنى كتاب المعرفة فى السنن والآثار- وفرغت من تهذيب أجزاء منه، سمعت الفقيه محمد بن أحمد -وهو من صالحى أصحابى وأكثرهم

(١) طبقات الشافعية (٤/٨، ٩). (٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٩).

تلاوة وأصدقهم لهجة يقول: رأيت الشافعى -رَحِمَهُ اللَّهُ- فى النوم، وبيده أجزاء من هذا الكتاب، وهو يقول: قد كتبت اليوم من كتاب الفقيه أحمد سبعة أجزاء، أو قال -قرأتها- ورآه يعتد بذلك.

قال: وفى صباح ذلك اليوم رأى فقيه آخر من إخوانى الشافعى قاعدًا فى الجامع على سرير، وهو يقول: قد استفدت اليوم من كتاب الفقيه حديث كذا وكذا.

وأخبرنا أبى قال: سمعت الفقيه أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندى الحافظ يقول: سمعت الفقيه محمد بن عبد العزيز المروزى يقول: رأيت فى المنام كأن تابوتًا علا فى السماء يعلوه نور، فقلت: ما هذا؟ قال: هذه تصنيفات أحمد البيهقى، ثم قال شيخ القضاة سمعت الحكايات الثلاثة من الثلاثة المذكورين.

قال الذهبى: هذه رؤيا حق، فتصانيف البيهقى عظيمة القدر غزيرة الفوائد، قَلَّ من جود تواليفه مثل الإمام أبى بكر فينبغى للعالم أن يعتنى بهؤلاء سيما «سننه الكبير» وقد قدم قبل موته بسنة أو أكثر إلى نيسابور، وتكاثر عليه الطلبة، وسمعوا منه كتبه، وجلبت إلى العراق والشام والنواحى، واعتنى بها أبو القاسم الدمشقى، وسمعها من أصحاب البيهقى، ونقلها إلى دمشق هو وأبو الحسن المرادى.[1]

وقال كذلك: وبورك له فى عِلْمِهِ، وصنف التصانيف النافعة.

وانقطع بقريته مقبلاً على الجمع والتأليف فعمل «السنن الكبير» فى عشر مجلدات، ليس لأحد مثله، وألف كتاب «السنن والآثار»، فى أربع مجلدات. وكتاب «الأسماء والصفات» فى مجلدين، وكتاب «المعتقد» مجلد، وكتاب «البعث» مجلد، وكتاب «الترغيب والترهيب» مجلد، وكتاب «الدعوات» مجلد، وكتاب «الزهد» مجلد، وكتاب «الخلافيات» ثلاث مجلدات، وكتاب «نصوص الشافعى» مجلدان، وكتاب «دلائل النبوة» أربع مجلدات، وكتاب «السنن الصغير» مجلد ضخم، وكتاب «شعب الإيمان» مجلدان، وكتاب «المدخل إلى السنن» مجلد،

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٧، ١٦٨).

وكتاب «الآداب» مجلد، وكتاب «فضائل الأوقات» مجلدين، وكتاب «الأربعين الكبرى» مجلدين، وكتاب «الأربعين الصغرى» وكتاب «الرُّؤية» جزء، وكتاب «الإسراء»، وكتاب «مناقب الشافعي» مجلد، وكتاب «مناقب أحمد» مجلد، وكتاب «فضائل الصحابة» مجلد، وأشياء لا يحضرني ذكرها.(١)

وقال التاج السبكي بعد ذكر جملة من مصنفاته، وكلها مصنفات نِظَافٌ مَلِيْحَةُ الترتيبِ والتهذيب، كثيرة الفوائد، يشهد من يراها من العارفين بأنها لم تتهيَّأ لأحد من السابقين.(٢)

٦ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الذهبي: ولما سمعوا منه ما أحبوا في قدمته الأخيرة مرض، وحضرت المنية فتُوفِّي في عاشر شهر جمادى الأولى سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة، فغسل وكفن، وعمل له تابوت فنقل ودفن ببيهق، وهي ناحية قصبتها خسروجرد، هي مَحْتده، وهي على يومين من نيسابور، وعاش أربعاً وسبعين سنة.(٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٥، ١٦٧).
(٢) طبقات الشافعية (٤/ ١٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٩).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٥٠)

ابْـنُ عَبْـدِ الْبَـرِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ

اسْمُهُ: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمريُّ الأندلسى القرطبى المالكى صاحب التصانيف الفائقة.

مَوْلِدُهُ: سنة ثمان وستين وثلاثمائة فى شهر ربيع الآخر، وقيل فى جمادى الأولى، فاختلفت الروايات فى الشهر عنه.

٢ - ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال الحميدى: أبو عمر فقيهٌ حافظٌ ومكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السَّمَاع، يميل فى الفقه إلى أقوال الشافعى.(١)

وقال أبو على الغسَّانى: لم يكن أحدٌ ببلدنا فى الحديث مثل قاسم بن محمد وأحمد بن خالد الجباب، ثم قال أبو على: ولم يكن ابن عبد البر بدونهما ولا متخلفًا عنهما، وكان من النمر بن قاسط، طلب وتقدم، ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك الفقيه، ولزم أبا الوليد ابن الفرضى، ودأب فى طلب الحديث وافتن به وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس، وكان مع تقدمه فى علم الأثر وبصره بالفقه والمعانى له بسطة كبيرة فى علم النسب والأخبار، جلا عن وطنه، فكان فى الغرب مدة ثم تحول إلى شرق الأندلس، فسكن دَانِيَّةَ، وَبَلَنْسِيَّةَ وشَاطِبَةَ، وبها توفى.(١)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٦).

وقال أبو القاسم ابن بشكوال: «ابن عبد البر إمام عصره وواحد دهره».[(١)]

وقال أبو على ابن سكَّرة: أسمعت أبا الوليد الباجى يقول: لم يكن بالأندلس مثل أبى عمر ابن عبد البر فى الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب.[(٢)]

وقال أبو عبد الله بن أبى الفتح: كان أبو عمر أعلم من بالأندلس فى السنن والآثار واختلاف علماء الأمصار.[(٣)]

وقال الذهبى: كان إماماً دَيِّنًا ثقة مُتْقِنًا علامة متبحراً، صاحب سنة واتِّبَاع، وكان أولاً أثرياً ظاهرياً فيما قيل، ثم تحول مالكياً مع مَيْلٍ بَيِّنٍ إلى فقه الشافعى فى مسائل، ولا ينكر له ذلك، فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين، ومن نظر فى مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، ولكنْ إذا أخطأ إمام فى اجتهاده لا ينبغى لنا أن ننسى محاسنه، ونغطى معارفه، بل نستغفر له، ونعتذر عنه.[(١)]

وقال كذلك: وكان فى أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل فى علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه -رَحِمَهُمْ اللَّه.[(٤)]

٣ - طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ وَسِعَةُ عِلْمِهِ

قال الذهبى: وطلب العلم بعد التسعين وثلاثمائة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنَّفَ ووثق، وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، وفاته السماع من أبيه الإمام أبى محمد، فإنه مات قديماً فى سنة ثمان وثلاثمائة، فكان فقيهًا عابداً متهجداً عاش خمسين سنة، وكان قد تفقه على التجيبى، وسمع من أحمد بن مطرف وأبى عمر ابن حزم المؤرخ.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/١٦١).

نعم وأبيه صاحب الترجمة أبو عمر سمع من: أبى محمد عبد الله بن محمد ابن عبد المؤمن «سنن أبى داود» بروايته عن ابن داسة، وحدثه أيضاً عن إسماعيل ابن محمد الصفار، وحدثه بـ «الناسخ والمنسوخ» لأبى داود، عن أبى بكر النجاد، وناوله «مسند» أحمد بن حنبل بروايته عن القطيعى.(١)

وقال أبو عبد الله ابن أبى الفتح: وكان فى أول زمانه ظاهرى المذهب مدة طويلة، ثم رجع إلى القول بالقياس من غير تقليد أحد، إلا أنه كان كثيراً ما يميل إلى مذهب الشافعى، كذا قال، وإنما المعروف أنه مالكى.(٢)

وقال ابن خلكان: وفارق قرطبة، وجال فى غرب الأندلس مدة ثم تحول إلى شرق الأندلس، وسكن دَانِيَةَ من بلادها وبَلَنْسِيَّةَ وَشَاطِبَةَ فى أوقات مختلفة.

وتولى قضاء الأشبونة وشنترين فى أيام ملكها المظفر بن الأفطس، وصنف كتاب «بهجة المجالس وأنس المجالس» فى ثلاثة أسفار، جمع فيه، أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة.(٣)

٤- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: حدث عن خلف بن القاسم، وعبد الوارث بن سفيان، وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، ومحمد بن عبد الملك بن صيفون، وعبد الله ابن محمد بن أسد الجهنى، ويحيى بن وجه الجنة، وأحمد بن فتح الرسان، وسعيد بن نصر، والحسين بن يعقوب اليمانى، وأبى عمر أحمد بن الحسور وعدة.

وأجاز له من مصر المسند أبو الفتح ابن سيبخت، والحافظ عبد الغنى، ومن مكة أبو القاسم عبيد الله بن السقطى، وساد أهل الزمان فى الحفظ والإتقان.(٤)

تَلامِذَتُهُ: قالَ الذهبى: حدث عنه أبو محمد ابن حزم، وأبو العباس بن دِلْهاث الدِّلائى، وأبو محمد ابن أبى قحافة، وأبو الحسن بن مُفَوِّز، والحافظ أبو على

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٤٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٠).

(٣) وفيات الأعيان (٧/ ٦٧).

(٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٢٨، ١١٢٩).

الغساني، والحافظ أبو عبد الله الحميدي، وأبو بحر سفيان بن العاص، ومحمد ابن فتوح الأنصاري، وأبو داود، سليمان بن أبي القاسم نجاح، وأبو عمران موسى بن أبي تليد، وطائفة سواهم.[١]

٥ - مُصَنَّفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الذهبي: وكان مُوَفَّقًا في التأليف، مُعَانًا عليه، ونفع الله بتواليفه، وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر.[٢]

قال ابن خَلِّكَان: وألف في الموطأ كتبًا مفيدة، منها كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله وهو سبعون جزءاً.

قال أبو محمد ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه: ثم صنع كتاب «الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار، فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار» شرح فيه الموطأ على نسقه، ونسقِ أبوابه.

وجمع في أسماء الصحابة ﷺ كتابًا جليلاً مفيدًا سماه «الاستيعاب»، وله كتاب «جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله»، وكتاب «الدرر في اختصار المغازي والسير»، وكتاب «العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم»، وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم، وغير ذلك من تواليفه.[٣]

قال الذهبي: ولأبي عمر كتاب «الكافي في مذهب مالك» خمسة عشر مجلدًا، وكتاب «الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو»، وكتاب «التقصي في اختصار

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٥، ١٥٦). (٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٨).

(٣) وفيات الأعيان (٧/ ٦٧).

الموطأ» وكتاب «الإنباه عن قبائل الرواه»، وكتاب «الانتقاء لمذاهب الثلاثة العلماء مالك، وأبى حنيفة والشافعى» وكتاب «البيان فى تلاوة القرآن»، وكتاب «الأجوبة الموعبة»، وكتاب «الكنى»، وكتاب «المغازى»، وكتاب «القصد والأمم فى نسب العرب والعجم»، وكتاب «الشواهد فى إثبات خبر الواحد»، وكتاب «الإنصاف فى أسماء الله»، وكتاب «الفرائض»، وكتاب «أشعار أبى العتاهية»، وعاش خمساً وتسعين عاماً.[1]

٦ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو داود المقرئ: مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وأربعمائة، واستعمر خمسًا وتسعين سنة وخمسة أيام -رحمه الله-.[1]

قال الذهبى: «وكان حافظ المغرب فى زمانه».[1]

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٩).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٥١)

الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ

اسْمُهُ: أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى المشهور بالخطيب البغدادى، صاحب التصانيف وخاتمة الحفاظ.

مَوْلِدُهُ: ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، فى جمادى الآخرة يوم الخميس لست بَقَيْنَ من الشهر.

نَشْأَتُهُ: كان أبوه أبو الحسن خطيب بقرية درزيجان (إحدى قرى العراق)، وممن تلا القرآن على أبى حفص الكتانى، فحضَّ ولده أحمد على السماع والفقه، فسمع وهو ابن إحدى عشرة سنة، وارتحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة، وإلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وإلى الشام وهو كهلٌ وإلى مكة وغير ذلك، وكتب الكثير وتقدم فى هذا الشأن، وبَذَّ الأقران، وَجَمَع وصنَّف، وصحَّح وعلل، وجَرَّحَ وعَدَّل، وأرَّخ وأوضح، وصار أحفظ أهلِ عصره على الإطلاق.(١)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال ابن ماكولا: كان أبو بكر آخِر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظًا وإتقانًا وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ، وتفنناً فى علله وأسانيده، وعلماً بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره، ومطروحه، ولم يكن للبغداديين بَعْدَ أبى الحسن الدَّارَقطنى مثله.

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠، ٢٧١).

سألت أبا عبـد الله الصورى عن الخطيب وأبى نصر السّجـزى: أيهما أحـفظ؟ ففضل الخطيب تفضيلاً بينًا.(١)

وقال المؤتمن الساجـحى: ما أَخْرَجَتْ بَغْدَاد بعـد الدارقطنى أحفظ من أبى بكر الخطيب. وقال أبو على البردانى: لعل الخطيب لم ير مثل نفسه.(١)

وقال أبو إسحاق الشيرازى الفـقيه: أبو بكر الخطيب يشبَّه بالدارقطنى ونظرائه، فى معرفة الحديث وحفظه.

وقال أبو الفتيان الحافظ: كان الخطيب إمام هذه الصنعة، ما رأيت مثله.(٢)

وقال أبو القاسم النسـيب: سمعت الخطيب يقول: كتب مـعى أبو بكر البرقانى كـتابًا إلى أبى نعيم الحافظ يقول فـيه: وقد رحل إلى ما عندك أخونا أبو بكر -أيده الله وسلمه- ليقتبس من علومك! وهو -بحـمد الله- ممن له فى هذا الشأن سابقة حسـنة وقدم ثابت، وقد رحل فيه وفى طلبه، وحـصل له منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله، وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك، مع التورع والتحفظ ما يحسن لديك موقعه.(٣)

قال السـمعانى: سـمعت يوسف بن أيوب بِمَـرو يقول: حـضر الخطيب درس شيخنا أبى إسحـاق، فروى أبو إسحاق حديثاً من رواية بحـر بن كنيز السقاء، ثم قال للخطيب: ما تقول فيه؟ فقـال. إن أذنت لى ذكرت حاله فانحرف أبو إسحاق وقعد كـالتلميذ، وشرع الخطيب يقول وشـرح أحواله شرحًا حسـناً، فأثنى الشيخ عليه، وقال: هذا دارقطنى عصرنا.(٤)

وقال أبو على البَرَدانـى: حدثنا حافظ وقته أبو بكر الخطـيب، وما رأيت مثله، ولا أظنه رأى مثل نفسه.(٥)

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٦).

(٣) معجم الأدباء (١/ ٤١، ٤٢).

(٤) طبقات السبكي (٤/ ٣٥، ٣٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨١).

وقال السلفي: سألت شجاعًا النهلي عن الخطيب فقال: إمام مصنف حافظ لم ندرك مثله.[1]

وقال أبو سعد ابن السمعاني: كان مهيبًا، وقورًا، (ثقة)، متحرياً، حجة، حسن الخط، كثير الضبط، فصيحًا، ختم به الحفاظ.[2]

وقال الذهبي: الإمام الأوحد العلامة المفتي الحافظ الناقد محدث الوقت أبو بكر.[3]

وقال في «المذيل»: والخطيب في درجة القدماء من الحفاظ والأئمة الكبار، كيحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وأحمد بن أبي خيثمة، وطبقتهم، وكان عَلاَّمة العصر اكتسى به هذا الشأن غضارة وبهجة ونضارة، وكان مهيبًا، وقورًا، نبيلاً، خطيرًا، ثقة، صدوقًا، متحرياً، حجة فيما يصنفه ويقوله وينقله ويجمعه، حسن النقل والخطِّ، كثير الشكل والضبط، قارئًا للحديث، فصيحًا، وكان في درجة الكمال والرتبة العليا خَلْقًا وخُلُقاً، وهيئةً ومنظرًا، انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، وختم به الحفاظ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.[4]

وقال أبو طاهر السِّلفي: سألت أبا الغنائم النَّرسي عن الخطيب فقال: جبل لا يُسأل عن مثله، ما رأينا مثله، وما سألته عن شيء فأجاب في الحال إلا يرجع إلى كتابه.

قال الذهبي: قد مر أن الأمير -يعني ابن ماكولا كان يجيب في الحال، وهذا يدل على قوة حفظه، وأما الخطيب ففعله دال على ورعه وتثبته.[5]

٣- رِحْلاَتُهُ وَطَلَبُهُ لِلْعِلْمِ

وقد تقدم قول الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أنه سمع وهو ابن إحدى عشرة سنة، وارتحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة، وإلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وإلى الشام، وهو كهل، وغير ذلك.[6]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨١).
(٢) طبقات السبكي (٤/ ٣٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠).
(٤) معجم الأدباء (٤/ ٣٠).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٧٥).
(٦) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧١).

وقال الذهبى كذلك: وسـمع بعكبرا من الحسين بن محمـد الصائغ، حدثه عن نافلة علي بن حرب، ولحق بالبصرة أبا عمـر الهاشمى شيخه فى السنن، وعلى بن القاسم الشاهد، والحسن بن على السابورى وطائفة.

وسمع بنيسابـور القاضى أبا بكر الحيرى، وأبا سعيد الصـيرفى، وأبا القاسم عبد الرحمن السراج، وعلى بن محمد الطرازى، والحافظ أبا حازم العبدوى وخلقاً.

وبأصبهان: أبا الحسن ابن عبد كويه، وأبا عبد الله الجمال، ومحمد بن عبد الله ابن شهريار، وأبا نعيم الحافظ.

وبالدينور: أبا نصر الكسار.

وبهمذان: محمد بن عيسى وطبقته.

وسمع بالرى والكوفة وصور ودمشق ومكة.

وكان قدومه إلى دمشق فى سنة خمس وأربعين، فـسمع من محمد بن عبد الرحمن ابن أبى نصر التمـيمى وطبقته، واستـوطنها ومنها حج، وقرأ «صحـيح» البخارى على كريمة فى أيام الموسم.(١)

وقـال أحمد بن صـالح الجبلى: تفقه الخطيب وقـرأ بالقراءات، وارتحل وقرب من رئيس الرؤساء (القاسم على ابن الحسن بن المسلمة) فلما قبض عليـه البساسيرى استتر الخطيب، وخرج إلى صور، وبها عز الدولة أحد الأجواد، فـأعطاه مالاً كثيرًا.(٢)

وقال ياقوت: سمع ببـغداد شيوخ وقته، وبالبـصرة والدينور وبالكوفة، ورحل إلى نيسابور فى سنة خمس عـشرة وأربعمائة حَاجاً فسمع بها، ثم قـدمها بعد فتنة البسـاسيرى لاضطراب الأحوال ببـغداد، فآذاه الحنابلة بجامع المنصـور سنة إحدى وخمـسين، فسكنهـا مدة وحدث بهـا بعامة كـتبه ومـصنفاته إلى صفـر سنة سبع وخمـسين، فقصـد صور فأقام بهـا، وكان يتردد إلى القـدس للزيارة ثم يعود إلى

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٤).

صور، إلى أن خرج من صور فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وتوجه إلى طرابلس وحلب، فأقام فى كل واحدة من البلدتين أيامًا قلائل، ثم عاد إلى بغداد فى أعقاب سنة اثنتين وستين، وأقام بها سنة إلى أن توفى، وحينئذ روى تاريخ بغداد.(١)

٤ - عَقِيدتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الذهبى: قال عبد العزيز بن أحمد الكتانى: سمع من الخطيب شيخه أبو القاسم عبيد الله الأزهرى فى سنة اثنتى عشرة وأربعمائة، وكتب عنه شيخه البرقانى، وروى عنه، وتحلّق الفقه عن أبى الطيب الطبرى، وأبى نصر ابن الصباغ، وكان يذهب إلى مذهب أبى الحسن الأشعرى -رحمه الله-.

قال الذهبى: صدق فقد صرح الخطيب فى أخبار الصفات أنها تُمَرُّ كما جاءت بلا كيف(٢) ولا شك فى أن هذا مذهب الأشعرى الذى مات عليه، وهو مذهب الإمام أحمد وعلماء الحديث والسنة على مر الدهور وكر العصور، ولم يرض ابن السبكى كلمة شيخه الذهبى بأن مذهب الخطيب هو مذهب أهل السنة فى إثبات الصفات، فقال معلقًا فى «طبقاته»: وهو مذهب المحدثين قديمًا، وحديث إلا من ابتدع فقال بالتشبيه، وعزاه إلى السُّنة أو من لم يدر مذهب الأشعرى فردَّه بناء على ظن فيه ظنه، والفريقان من أصاغر المحدثين وأبعدهم عن الفطنة. وقال شيخنا الذهبى هنا عقيب قول الكتانى: «إن الخطيب كان يذهب إلى مذهب الأشعرى..» ما نصه: قلت: مذهب الخطيب فى الصفات أنها تُمَرُّ كما جاءت، صرح بذلك فى تصانيفه.

قلت: وهذا مذهب الأشعرى فقد أوتى الذهبى من عدم معرفته بمذهب الشيخ أبى الحسن كما أوتى أقوام آخرون، وللأشعرى قولٌ آخر بالتأويل.(٣)

والذى يقوى ما ذهب إليه الذهبى ما نقله عن الخطيب من اعتقاد خلاف ما صرح به ابن السبكى، قال الذهبى: أخبرنا أبو على الخلال أخبرنا أبو الفضل

(١) معجم الأدباء (٤/ ١٥). (٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٧).
(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٣٢، ٣٣).

الهمدانى، أخبـرنا أبو الطاهر السِّلفى، أخبرنا محمد بن مـرزوق الزعفرانى حدثنا الحافظ أبو بكر الخطيب قال: أمـا الكلام فى الصفات فإن ما روى فـيها فى السنن الصحاح مـذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفـى الكيفية والتشـبيه عنها، وقد نفاها قـوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحقـقها قوم من المثبتـين فخرجوا فى ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالى فيه والمقصر عنه، والأصل فى هذا أن الكلام فى الصفـات فرع الكلام فى الذات ويحـتذى فى ذلك حَـذْوه، ومثاله، فـإذا كان معلومًا أن إثبات رب الـعالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفـية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: لله يد وسمع وبصر فإنما هى صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدى والأسماع والأبصار هى جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التـوقيف ورد بها، ووجب نفى التشبـيه عنها[1]، لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٤).

٥- عِبَادَتُـهُ وَكَـرَمُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال غيث بن علىّ: حـدثنا أبو الفرج الإسفرايينى قـال: كـان الخطيب معنا فى الحج، فكان يختم كل يوم خـتمة قراءة ترتيل، ثم يجتـمع الناس عليه وهو راكب يقولون: حدِّثنا فيحدثهم أو كما قال.[2]

وعن ابن ناصر قـال: حدثنا أبو زكـريا التبـريزى اللغوى قال: دخـلت دمشق فكنت أقرأ على الخطيب بحلقته بالجامع كتب الأدب المسموعة، وكنت أسكن منارة الجامع، فصعد إلىَّ، وقال: أحببت أن أزورك فى بـيتك فتحدثنا ساعة، ثم أخرج ورقة، وقال: الهدية مستحبة، تشترى بهـذا أقلاماً ونهض فإذا خمسة دنانير مصرية،

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٣، ٢٨٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٩).

ثم صعد مرة أخرى ووضع نحواً من ذلـك، وكان إذا قرأ الحديث في جامع دمشق يسمع صوته في آخر الجامع، وكان يقرأ معربًا صحيحاً.(١)

وقال أبو منصـور علي بن علي الأمين: لما رجع الخطيب من الشـام كانت له ثروة من الثياب والذهب، ومـا كان له عقب، فكتب إلى القائم بأمر الله: إن مـالي يصير إلى بيت مالي، فائذن لي حتى أفرّقه فيمن شئت، فأذن له، ففرقها على المحدثين.(٢)

وقال الحـافظ ابن ناصر: أخـبرتني أمي أن أبي حـدثها قـال: كنت أدخل على الخطيب وأمرضه، فـقلت له يومًا: يا سيدي إن أبا الفضـل ابن خيرون لم يعطني شيئًا من الذهب الذي أمرته أن يفرقـه على أصحاب الحديث، فرفع الخطيب رأسه من المخدة، وقال: خذ هذه الخرقة، بارك الله لك فيها، فكان فيها أربعون ديناراً، فأنفقتها في طلب العلم.(٣)

٦ - دُرَرٌ مِنْ أقْوَالِهِ وَنُتَفٌ مِنْ أخْبَارِهِ

وقال المؤتمن: كان الخطيب يقول: من صنف فقـد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس.(٤)

قال ياقوت: وكان قد أظهر بعض اليهـود كتابًا وادعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجـزية عن أهل خيبر وفـيه شهادات الصـحابة، وأنه خـط علي بن أبي طالب ﷺ فعـرضه رئيس الرؤساء على أبي بكر الخطيب فـقال: هذا مزوَّر. فقيل له: من أين لك ذلك؟ قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق في سنة خمس، فاستُحسن ذلك منه.(٥)

قال ياقوت: وكـان الخطيب يذكر أنه لما حَجَّ شرب من مـاء زمزم ثلاث شربات،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٨). (٢) معجم الأدباء (٤/ ٢٧). تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٣، ١١٤٤).
(٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٤). (٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨١).
(٥) معجم الأدباء (٤/ ١٨).

وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات أخذًا بقول النبى ﷺ: «مَاءُ زَمْزَم لِمَا شُرِبَ لَهُ»، فالحاجة الأولى أن يحدّث بتاريخ بغداد، والثانية أن يملى الحديث بجامع المنصور، والثالثة أن يدفن إذا مات عند قبر بشرٍ الحافى فلما عاد إلى بغداد حدَّث بالتاريخ بها، وفتح إليه جزء فيه سماع الخليفة القائم بأمر الله، فحمل الجزء ومضى إلى باب مجدة الخليفة، وسأل أن يؤذن له فى قراءة الجزء، فقال الخليفة: هذا رجل كبير فى الحديث فليس له إلى السماع منى حاجة، ولعل له حاجة أراد أن يتوصل إليها بذلك فسلوه ما حاجته؟ فسئل فقال: حاجتى أن يؤذن لى أن أملى بجامع المنصور، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء، بأن يؤذن له فى ذلك: فحَضَرَ النقيب، فلما مات أرادوا دفنه عند قبر بشر بوصية منه. قال ابن عساكر: فذكر شيخنا إسماعيل بن أبى سعد الصوفى: وكان الموضع الذى بجنب بشر قد حفر فيه أبو بكر أحمد بن على الطرثيثى قبراً لنفسه، وكان يمضى إلى ذلك الموضع فيختم فيه القرآن. ويدعو، ومضى على ذلك عدة سنين، فلما مات الخطيب سألوه أن يدفنوه فيه فامتنع. فقال: هذا قبرى قد حفرته وختمت فيه عدة ختمات، ولا أمكن أحدًا من الدفن فيه، وهذا مما لا يتصور، فانتهى الخبر إلى والدى فقال له: يا شيخ لو كان بشر فى الأحياء ودخلت أنت والخطيب إليه أيكما كان يقصد إلى جنبه؟ أنت أو الخطيب؟ فقال: لا بل الخطيب، فقال له: كذا ينبغى أن يكون فى حالة الموت، فإنه أحق به منك، فطاب قلبه ورضى بأن يدفن الخطيب فى ذلك الموضع فدفن فيه.[1]

قال السمعانى: سمعت الخطيب مسعود بن محمد بمرو، سمعت الفضل بن عمر النسوعى يقول: كنت بجامع صور عند أبى بكر الخطيب فدخل علوى وفى كمه دنانير، فقال: هذا ذهب تصرفه فى مهماتك فغضب فى وجهه، وقال: لا حاجة لى فيه، فقال: كأنك تستقله وأرسله من كمه على سجادة الخطيب، وقال: هذه ثلاثمائة دينار، فقام الخطيب خجلاً محمرًا وجهه، وأخذ سجادته ورمى الدنانير وراح، فما أنسى عزَّه وذلَّ العلوى، وهو يلتقط الدنانير من شقوق الحصير.[2]

(١) معجم الأدباء (٤/١٦، ١٧). (٢) سير أعلام النبلاء (١٨/٢٧٧، ٢٧٨).

٧- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: سمع أبا الحسن ابن الصلت الأهوازى، وأبا عمر ابن مهدى، وأبا الحسين ابن المتيم، والحسين بن الحسن الجواليقى، وابن رزقويه، وابن أبى الفوارس، وهلال الحَفَّار، وإبراهيم بن مخلد الباخرجى. والموجودين ببغداد. وارتحل سنة اثنتى عشرة إلى البصرة فسمع أبا عمر القاسم بن جعفر الهاشمى راوية السنن، وعلى بن القاسم الشاهد، والحسن بن على النيسابورى.

وسمع بنيسابور أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج، والقاضى أبا بكر الحيرى وطبقتهما، وسمع بأصبهان أبا الحسن بن عبد كويه، ومحمد بن عبد الله ابن شهريار، وأبا نعيم الحافظ وطبقتهم، وسمع بالدينور أبا نصر الكسَّار وطائفة، وبهمدان محمد بن عيسى وطائفة.(١)

تلامذَتُهُ: روى عنه البرقانى شيخه، وأبو الفضل ابن خيرون، والفقيه نصر المقدسى، وأبو عبد الله الحميدى، وعبد العزيز الكتانى، وأبو نصر ابن ماكولا، وعبد الله بن أحمد السمرقندى، والمبارك بن الطيورى، ومحمد بن مرزوق الزعفرانى، وأبو بكر ابن الخاضبة وأبى النرسى، وأبو القاسم النسيب، وهبة الله ابن الأكفانى، وعلى ابن أحمد بن قيس الغسانى، ومحمد ابن على بن أبى العلاء المصيصى، وأبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصى، وعبد الكريم بن حمزة، وطاهر بن سهل الإسفراييني، وهبة الله بن عبد الله الشروطى، وأبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكلى، وعبد الرحمن بن محمد الشيبانى القزاز، وأبو منصور ابن خيرون المقرئ، ويوسف بن أيوب الهمذانى نزيل مصر، وخلق يطول عدهم.(٢)

٨ – مُصَنَّفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ–

قال الذهبى: وكتابة الخطيب مليحة مفسرة كاملة الضبط بها أجزاء بدمشق رأيتها، وقرأت بخطه: أخبرنا على بن محمد السمسار، أخبرنا المظفر حدثنا عبد الرحمن

---

(١) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٦).

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٧).

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن الحجاج حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى سمعت يزيد بن هارون يقول: ما عزت النية فى الحديث إلا شرفه.[1]

قال أبو سعد السمعانى: للخطيب ستة وخمسون مصنفًا: «التاريخ» مائة جزء وستة أجزاء، «شرف أصحاب الحديث» ثلاثة أجزاء، «الجامع» خمسة عشر جزءًا، «الكفاية» ثلاثة عشر جزءًا، «السابق واللاحق» عشرة أجزاء، «المتفق والمفترق» ثمانية عشر جزءًا، «المكمل فى المهمل» ستة أجزاء، «غنية المقتبس فى تمييز الملتبس» من وافقت كنيته اسم أبيه «الأسماء المبهمة» مجلد، «الموضح» أربعة عشر جزءًا، «من حدث ونسى» جزء، «التطفيل» ثلاثة أجزاء، «القنوت» ثلاثة أجزاء، «الرواة عن مالك» ستة أجزاء، «الفقيه والمتفقة» مجلد، «تمييز متصل الأسانيد» مجلد، «الحيل» ثلاثة أجزاء، «الأنباء عن الأبناء» جزء، «الرحلة» جزء، «الاحتجاج بالشافعى» جزء، «البخلاء» فى أربعة أجزاء، «المؤتنف فى تكميل المؤتلف»، «كتاب البسملة وأنها من الفاتحة»، «الجهر بالبسملة» جزآن، «مقلوب الأسماء والأنساب» مجلد، «جزء اليمين مع الشاهد»، «أسماء المدلسين»، «اقتضاء العلم العمل»، «تقييد العلم» ثلاثة أجزاء، «القول فى النجوم» جزء، «رواية الصحابى عن تابعى» جزء، «صلاة التسابيح» جزء «مسند نعيم ابن حماد» جزء، «النهى عن صوم يوم الشك»، «إجازة المعدوم والمجهول» جزء، «ما فيه ستة تابعيون» جزء، قال: وقد سرد ابن النجار تواليف الخطيب وزاد أيضاً: «معجم الرواة عن شعبة» ثمانية أجزاء، «المؤتلف والمختلف» أربعة وعشرون جزءاً، «حديث محمد بن سوقة» أربعة أجزاء، «المسلسلات» ثلاثة أجزاء، «الرباعيات» ثلاثة أجزاء، «طرق قبض العلم» ثلاثة أجزاء، «غسل الجمعة» ثلاثة أجزاء، «الإجازة للمجهول».

قال: أنشدنى أبو الحسن الحافظ، أنشدنا جعفر بن منير أنشدنا السلفى:

تَصَانِيفُ ابْنِ ثَابِتٍ الخَطِيبِ ... أَلَذُّ مِنَ الصِّبَا الغَضِّ الرَّطِيبِ

يَرَاهَا إذْ رَوَاهَا مَنْ حَوَاهَا ... رِيَاضًا لِلْفَتَى اليَقِظِ اللَّبِيبِ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٥).

وَيَأْخُذ حُسْنَ مَا قَدْ صَاغَ مِنْهَا بِقَلْبِ الحَافِظِ الْفَطِنِ الأَرِيبِ
فَأَيَةُ رَاحَةٍ وَنَعِيمِ عَيْشٍ يُوَازِي كُتْبَهَا بَلْ أَيُّ طِيبِ(١)

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال مكى الرملى: مرض الخطيب فى رمضان من سنة ثلاث وستين فى نصفه، إلى أن اشتد به الحال فى أول ذى الحجة، ومات يوم سابعه، وأوصى إلى أبى الفضل ابن خيرون، ووقف كتبه على يده، وفرق ماله فى وجوه البر، وشيعه القضاة والخلق وأمهم أبو الحسين ابن المهتدى بالله، ودفن بجنب بشر الحافى.

قال ابن خيرون دفن بباب حرب، وتصدق بماله وهو مائتا دينار، وأوصى بأن يتصدق بثيابه، وكان بين يدى جنازته، جماعة ينادون: هذا الذى كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا الذى كان ينفى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا الذى كان يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وختم على قبره عدة ختمات.(٢)

قال أبو الخطاب ابن الجراح المقرئ يرثى الخطيب بأبيات، منها:

فَاقَ الخَطِيبُ الْوَرَى صِدْقاً وَمَعْرِفَةً وَأَعْجَزَ النَّاسَ فِى تَصْنِيفِهِ الْكُتُبَا
حَمَى الشَّرِيعَةَ مِنْ غَاوٍ يُدَنِّسُهَا بِوَضْعِهِ وَنَفَى التَّدْلِيسَ وَالْكَذِبَا
جَلَى مَحَاسِنَ بَغْدَادَ فَأَوْدَعَهَا تَارِيخَهُ مُخْلِصًا لِلَّهِ مُحْتَسِبًا
وَقَالَ فِى النَّاسِ بِالْقِسْطَاسِ مُنْحَرِفًا عَنِ الْهَوَى وَأَزَالَ الشَّكَّ وَالرِّيَبَا
سَقَى ثَرَاكَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى ظَمَإٍ جَوْنٌ رُكَامٌ تَسِحُّ الْوَاكِفُ السَّرِبَا
وَنِلْتَ فَوْزًا وَرِضْوَانًا وَمَغْفِرَةً إِذَا تَحَقَّقَ وَعْدُ اللَّهِ وَاقْتَرَبَا
يَا أَحْمَدُ بْنَ عَلى طِبْتَ مُضْطَجِعًا وَبَاءَ شَانِيكَ بِالأَوْزَارِ مُحْتَقِبًا(٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٩-٢٩٣). (٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٩٤، ٢٩٥).

مِـنْ أعْـلامِ السَّـلَـفِ

(٥٢)

الحافظُ أبُو القاسمِ ابْن عَسَاكِر -رَحِمَهُ اللَّهُ-

١ – اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ

اسْمُهُ: على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، أبو قاسم الدمشقى الشافعى، المشهور بابن عساكر.

قال ابن السبكى: ولا نعلم أحدًا من جدوده يسمى عساكر، وإنما هو اشتهر بذلك.

مَوْلِدُهُ: ولد فى المحرم فى أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

٢ – ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال له شيخه أبو الحسن ابن قبيس، وقد عزم على الرحلة: إنى لأرجو أن يحيى الله تعالى بك هذا الشأن، فكان كما قال، وعُدَّتْ كرامة للشيخ، وبشارة للحافظ.(١)

ولما دخل بغداد أعجب به العراقيون، -وقالوا: ما رَأَيْنَا مثله، وكذلك قال مشايخه الخراسانيون.(١)

وقال شيخه أبو الفتح المختار بن عبد الحميد: قدم علينا أبو على ابن الوزير فقلنا: ما رأينا مثله، ثم قدم علينا أبو سعد ابن السمعانى فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله.(١)

وقال شيخه الخطيب أبو الفضل الطوسى: ما نعرف من يستحق هذا اللقب اليوم سواه، يعنى لفظة الحافظ، وكان يسمى ببغداد شعلة نار، من توقده وذكائه،

(١) طبقات الشافعية (٧/ ٢١٧).

وحسن إدراكه، لم يجتمع فى شيوخه ما اجتمع فيه، من لزوم طريقة واحدة منذ أربعين سنة يلازم الجماعة فى الصف المقدم، إلا من عذر مانع، والاعتكاف، والمواظبة عليه فى الجامع، وإخراج حق الله، وعدم التطلع إلى أسباب الدنيا، وإعراضه عن المناصب الدينية كالإمامة، والخطابة، بعد أن عرضتا عليه.(١)

وعن أبى الحسن سعيد الخير قال: ما رأيت فى سن أبى القاسم الحافظ مثله.(٢)

وحدث التَّاج محمد بن عبد الرحمن المسعودى سمعت الحافظ أبا العلاء الهمذانى يقول لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يرحل فقال: إن عرفت أستاذاً (أعلم منى) أو فى الفضل مثلى، فحينئذ إذن إليك أن تسافر إليه، اللهم إلا أن تسافر إلى الحافظ ابن عساكر، فإنه حافظ كما يجب.(٢)

فقلت: من هذا الحافظ؟ فقال: حافظ الشام أبو القاسم يسكن دمشق، وأثنى عليه.(٢)

وقال ابن النجَّار: قرأت بخط معمر بن الفاخر فى معجمه أخبرنى أبو القاسم الحافظ إملاء بمنى، وكان من أحفظ من رأيت، وكان شيخنا إسماعيل بن محمد الإمام يفضله على جميع من لقيناهم: قدم أصبهان، ونزل فى دارى، وما رأيت شاباً أحفظ ولا أورع ولا أتقن منه، وكان فقهياً أديباً سنياً، سألته عن تأخره عن الرحلة إلى أصبهان، قال: استأذنت أمى فى الرحلة إليها فما أذنت.(٣)

وقال السمعانى: أبو القاسم كثير العلم، غزير الفضل، حافظ متقن دين خير حسن السمت، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، صحيح القراءة، متثبت محتاط، إلى أن قال: جمع ما لم يجمع غيره، وأربى على أقرانه.(٤)

قال الذهبى: سمعت الحافظ على بن محمد يقول: سمعت الحافظ أبا محمد المنذرى يقول: سألت شيخنا أبا الحسن على بن الفضل الحافظ عن أربعة تعاصروا

---

(١) طبقات الشافعية (٧/٢١٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٦٣).
(٣) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٣٣).
(٤) تذكرة الحفاظ (١٣٣٠).

فقال: من هم؟ قلت: الحافظ ابن عساكر، والحافظ ابن ناصر؟ فقال: ابن عساكر أحفظ. قلت: ابن عساكر وأبو موسى المديني؟ قال: ابن عساكر، قلت: ابن عساكر وأبو طاهر السلفي؟ فقال: السِّلفي شيخنا، السِّلفي شيخنا.

قال الذهبي: لَوَّح بأن ابن عساكر أحفظ، ولكن تأدب مع شيخه، وقال لفظًا محتملاً لتفضل أبي طاهر، فالله أعلم.[1]

وقال الذهبي: وكان فَهِمًا حافظًا متقنًا ذكيًا بصيرًا بهذا الشأن، لا يلحق شأوه ولا يشقُّ غُباره، ولا كان له نظيرٌ في زمانه.[2]

وقال ابن خلكان: كان محدث الشام في وقته، ومن أعيان الفقهاء الشافعية، غلب عليه الحديث، فاشتهر به، وبالغ في طلبه، إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره، ورحل، وطَوَّف وجاب البلاد، ولقي المشايخ، وكان رفيق الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني في الرحلة، وكان حافظًا ديِّنًا جمع بين معرفة المتون والأسانيد.[3]

وقال ابن السبكي: هو الشيخ الإمام ناصر السنة وخادمها، وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها، إمام أهل الحديث في زمانه وختام الجهابذة الحفاظ، لا ينكر أحدٌ مكانة مكانِه محط رحال الطالبين، ومَوْئل ذوي الهمم من الراغبين، والواحد الذي أجمعت الأمة عليه، والواصل إلى ما لم تطمع الآمال إليه، البحر الذي لا ساحل له، والحبر الذي حمَّل أعباء السُّنة كاهله، قطع الليل والنهار دائبين في دأبه، وجمع نفسه على أشتات العلوم، لا يتخذ غير العلم والعمل صاحبين، وهما منتهى أربه، حفظ لا تغيب عنه شاردة، وضبط استوت لديه الطريفة والتالدة، وإتقان ما وعى به من سبقه إن لم يكن فاقه، وسعة علم أثرى بها، وترك الناس كلهم بين يديه ذوي فاقة.[4]

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٧، ٥٦٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٥٦).
(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٩).
(٤) طبقات الشافعية (٧/ ٢١٥، ٢١٦).

٣- طَلَبُهُ للعِلْمِ وَبَرَاعَتُهُ فِيهِ

قال ابن السبكى: لما حملت به أمه رأى والده فى المنام أنه يولد له ولد يحيى الله به السنة، -ولعمر الله هكذا كان أحيا الله به السنة وأمات به البدعة- يصدع بالحق لا يخاف فى الله لومة لائم، ويسطو على أعداء الله المبتدعة، ولا يبالى وإن رغم أنف الراغم، لا تأخذه رأفة فى دين الله، ولا يقوم لغضبه أحد، إذا خاض الباغى فى صفات الله.[(١)]

قال ولده الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم: قال لى أبى لما حملت بى أمى رأت فى منامها قائلاً يقول لها: تلدين غلامًا يكون له شأنٌ، فإذا ولدتيه فاحمليه إلى المغارة، يعنى مغارة الدم بجبل قاسيون - يوم الأربعين من ولادته، وتصدقى بشىءٍ فإن الله تعالى يبارك لك وللمسلمين فيه، ففعلت ذلك كله، وصدقت اليقظةُ منامها ونبهه السعد فأسهره الليالى فى طلب العلم، وغيره سَهرها فى الشهوات، أو نامها، وكان له الشأن العظيم، والشأو الذى يُجِلُّ عن التعظيم.[(٢)]

وقال التاج محمد بن عبد الرحمن المسعودى: وقال لى أبو العلاء (يعنى الهمذانى) يوما: أىّ شىء فتح له، وكيف ترى الناس له ؟ قلت: هو بعيد من هذا كُلِّه، لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتصنيف والتسميع حتى فى نزهه وخلواته. فقال: الحمد لله هذا ثمرة العلم ألا إنا قد حصل له هذه الدار والكتب والمسجد هذا يدل على قلة حظوظ أهل العلم فى بلادكم، ثم قال لى: ما كان يسمى أبو القاسم ببغداد إلا شعلة نار من توقده، وذكائه وحُسْن إدراكه.

وروى زين الأمناء حدثنا ابن القزوينى عن والد مدرس النظامية قال: حكى لنا الفراوى قال: قدم علينا ابن عساكر فقرأ علىَّ فى ثلاثة أيام فأكثر فأضجرنى وآليت أن أغلق بابى وأمتنع -جرى هذا الخاطر لى بالليل- فقدم من الغد شخص، فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليك رأيته فى النوم فقال: امض إلى الفرواى، وقل له:

---

(١) طبقات الشافعية (٧/ ٢١٧).   (٢) طبقات الشافعية (٧/ ٢١٨).

إن قدم إلى بلدكم رجل من أهل الشام أسمر يطلب حديثى فلا يأخذك منه ضجر ولا ملل. قال: فما كان الفراوى يقوم حتى يقوم الحافظ أولاً.(١)

قال أبو المواهب: وأنا كنت أذاكره فى خلواته عن الحفاظ الذين لقيتهم، فقال: أما ببغداد، فأبو عامر العبدرى، وأما بأصبهان فأبو نصر اليونارتى، لكن إسماعيل الحافظ كان أشهر منه، فعلى هذا ما رأى سيدنا مثل نفسه، فقال: لا تقل هذا، قال الله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النجم: ٣٢)، فقد قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١) فقال: نعم! لو قال قائل: إن عينى لم تر مثلى لصدق.(٢)

٤ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال أبو المواهب: وأنا أقول: لم أر مثله ولا من اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة من لزوم الجماعة فى الخمس فى الصف الأول إلا من عُذْرٍ، والاعتكاف فى رمضان وعشر ذى الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة، وأباها بعد أن عرضت عليه وقلة التفاته إلى الأمراء، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا تأخذه فى الله لومة لائم، قال لى: لما عزمت على التحديث والله المطلع أنه ما حملنى على ذلك حب الرياسة والتقدم، بل قلت: متى أروى كلَّ ما قد سمعته، وأى فائدة فى كونى أخلفه بعدى صحائف، فاستخرت الله، واستأذنت أعيان شيوخى ورؤساء البلد، وطفت عليهم فكلّ قال: ومن أحقُّ بهذا منك؟ فشرعت فى ذلك سنة ثلاث وثلاثين، فقال لى والدى أبو القاسم الحافظ: قال لى جدى القاضى أبو المفضل لما قدمت من سفرى اجلس إلى سارية من هذه السوارى، حتى نجلس إليك، فلما عزمت على الجلوس اتفق أنه مرض، ولم يقدر له بعد ذلك الخروج إلى المسجد.(٣)

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٤، ٥٦٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٥، ٥٦٦).

وقال ابنه القاسم: وكان مواظبًا على صلاة الجماعة، وتلاوة القرآن، يختم كل جمعة، ويختم فى رمضان كل يوم، ويعتكف فى المنارة الشرقية، وكان كثير النوافل والأذكار، يحيى ليلة النصف والعيدين بالصلاة والتسبيح، ويحاسب نفسه على لحظة تذهب فى غير طاعة. قال لى: لما حملت بى أمى رأت فى منامها قائلاً يقول: تلدين غلامًا يكون له شأن وحدثنى أن أباه رأى رؤيا معناه يولد لك ولد يحيى الله به السُّنَّة.[1]

٥- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: سَمِعَ أبا القاسم ابن الحصين، وأبا الحسن الدينورى، وأبا العز بن كادش، وأبا غالب ابن البناء، وأبا عبد الله البارع، وقاضى المرستان وطبقتهم ببغداد، وعبد الله بن محمد الغزال بمكة، وعمر بن إبراهيم الزيدى بالكوفة، وأبا عبد الله العزوى، وهبة الله (ابن) السيدى، وعبد المنعم بن القشيرى (وطبقتهم بنيسابور)، وسعيد بن أبى الرجاء، والحسين بن عبد الملك الخلال وطبقتهما بأصبهان، ويوسف بن أيوب الهمذانى الزاهد بمرو، وتميم بن أبى سعيد الجرجانى (وطبقته بهراه)، وعمل الأربعين البلدانية، وعدد شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ونَيِّف وثمانون امرأة.[2]

تلامذته: قال الذهبى: سمع منه معمر بن الفاخر، وأبو العلاء الهمذانى، وأبو سعد السمعانى، والكبار، وحدث عنه ولده القاسم، وأبو جعفر القرطبى، وزين الأمناء أبو البركات ابن عساكر، وأخوه الشيخ فخر الدين، وابن أخيه عز الدين النَّسَّابة، والحافظ عبد القادر الرهاوى، وأبو القاسم ابن صصرى، ويونس بن محمد الفارقى الخطيب، وأبو نصر الشيرازى، ومحمد ابن أخى أبى البيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن الخشوعى، وعبد العزيز أخوه، ويونس بن منصور السقبانى، ومحمد بن رومى الجردانى، ومحمد بن غسان الحمصى،

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٢).
(٢) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٢٨).

والمسلم بن أحمد المازنى، وذاكر الله الشعيرى، وعبد الرحمن بن راشد، البتب سوائى، وعمر بن عبد الوهاب بن البرازى، وعتيق السلمانى، والشيخ بهاء الدين بن الجميزى، ورشيد الدين بن مسلمة، وسديد الدين مكى بن علان، وخلق كثير.(١)

٦ - مُصَنَّفَاتُهُ

قال ابنه القاسم: روى عنه أشياء من تصانيفه بالإجازة فى حياته، واشتهر اسمه فى الأرض، وتفقه فى حداثته على جمال الإسلام أبى الحسن السلمى وغيره، وانتفع بصحبة جده لأمه القاضى أبى المفضل عيسى بن على القرشى فى النحو، وعلق مسائل فى الخلاف عن أبى سعد ابن أبى صالح الكرمانى ببغداد، ولازم الدرس والتفقه بالنظامية ببغداد، وجمع فأحسن.

قال: فمن ذلك «تاريخه» (أى تاريخ دمشق) فى ثمانمائة جزء. قلت (الذهبى): الجزء عشرون ورقة؛ فيكون ستة عشر ألف ورقة.

قال: وجمع «الموافقات» فى اثنين وسبعين جزءًا، و «عوالى مالك»، و«الذيل» عليه خمسين جزءًا، و«غرائب مالك» عشرة أجزاء، و«المعجم» فى اثنى عشر جزءًا، قلت (الذهبى) هو رواية مجردة -لم يترجم فيه شيوخه- قال: وله «مناقب الشبان» خمسة عشر جزءًا، و«فضائل أصحاب الحديث» أحد عشر جزءًا و«فضل الجمعة» مجلد، و«تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعرى» مجلد، و«المسلسلات» مجلد، و«السُّباعيات» سبعة أجزاء، «من وافقت كنية زوجته» أربعة أجزاء، و«فى إنشاء دار السنَّة» ثلاثة أجزاء، «فى يوم المزيد» ثلاثة أجزاء، «الزهادة فى الشهادة» مجلد، «طرق قبض العلم»، «حديث الأطيط»، «حديث الهبوط وصحته»، «عوالى الأوزاعى وحاله» جزءان.

ومن تواليف ابن عساكر اللطيفة «الخماسيات»، جزء «السداسيات»، جزء «أسماء الأماكن التى سمع فيها»، «الخضاب»، «إعزاز الهجرة عند إعواز النصرة»، «المقالة

---

(١) تذكرة الحفاظ (١٣٢٨/٤، ١٣٢٩).

الفاضحة»، «فضل كتابة القرآن»، «من لا يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً»، «فضل الكرم على أهل الحرم»، «فى حفر الخندق»، «قول عثمان: ما تغنيت»، «أسماء صحابة المسند»، «أحاديث رأس مال شعبة»، «أخبار سعيد بن عبد العزيز»، «مسلسل العيد»، «الابنة»، «فضائل العشرة» جزءان، «من نزل المزة»، «فى الربوة والنيرب»، «فى كفر سويسية»، «رواية أهل صنعاء»، «أهل الحمريين»، «فذايا»، «بيت قوفا»، «البلاط»، «قبر سعد»، «جسرين»، «كفر بطنا»، «حرستا»، «دوما مع مسرابا»، «بيت سوا»، «جركان»، «جديا وطرميس»، «زملكا»، «جوبر»، «بيت لها»، «برزة»، «منين»، «يعقوبا»، «أحاديث بعلبك»، «فضل عسقلان»، «القدس»، «المدينة»، «مكة» كتاب «الجهاد»، «مسند أبى حنيفة ومكحول»، «العزل»، وغير ذلك.(١)

٧- دُرَرٌ مِنْ أشْعَارِه

من نظم الحافظ أبى القاسم ابن عساكر:

أَلا إن الحَديثَ أَجَلُّ عِلْمٍ ... وَأَشْرَفُهُ الأَحَادِيثُ الْعَوَالِى

وَأَنْفَعُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْهُ عِنْدِى ... وَأَحْسَنُهُ الْفَوَائِدُ وَالأَمَالِى

فَإنك لَنْ تَرَى لِلْعِلْمِ شَيْئاً ... تُحَقِّقُهُ كَأفْوَاهِ الرِّجَالِ

فكنْ يا صاحِ ذا حِرْصٍ عليه ... وَخُذْهُ عَنِ الشُّيُوخِ بِلا مَلالِ

وَلا تَأخُذْهُ مِنْ صُحُفٍ فَتُرمى ... مِنَ التَّصْحِيفِ بِالدَّاءِ الْعُضَالِ

وله:

أَيَا نَفْسُ وَيْحَكِ جَاءَ المَشِيب ... فَمَاذَا التَّصَابِى وَمَاذَا الْغَزَلْ

تَوَلَّى شَبَابِى كَأنْ لَمْ يَكُنْ ... وَجَاءَ مَشِيبِى كَأن لَمْ يَزَلْ

كَأنِّى بِنَفْسِى عَلَى غِرَّةٍ ... وَخَطْبُ المَنُونِ بِهَا قَدْ نَزَلْ

فَيَالَيْتَ شِعْرِى مِمَّنْ أكُونُ ... وَمَا قَدَّرَ اللّه لِى فِى الأزل

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٥٨-٥٦٢).

قال الذهبى: ولا بن عساكر شعر حسنٌ يمليه عقيب كثير من مجالسه، وكان فيه انجماع عن الناس، وخير وترك للشهادات على الحكام، وهذه الرعونات.(١)

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

توفى فى رجب إحدى وسبعين وخمسمائة، ليلة الاثنين حادى عشر الشهر، وصلى عليه القطب النيسابورى، وحضره السلطان صلاح الدين، ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير.

قال الذهبى: وبلغنا أن الحافظ عبد الغنى المقدسى بعد موت ابن عساكر نَفَّذَ من استعار له شيئًا من «تاريخ دمشق» فلما طالعه، انبهر لسعة حفظ ابن عساكر، ويقال: ندم على تفويت السماع منه، فقد كان بين ابن عساكر، وبين المقادسة واقع رحم الله الجميع، ولأبى على الحسين بن عبد الله بن رواحة يرثى الحافظ ابن عساكر:

ذرا السَّعْى فى نيل العُلَى والفضائِلِ ... مَضَى مَنْ إليه كانَ شَدُّ الرَّواحلِ

وقولا لِسارى الْبَرْقِ إنِّى نَعَيْتُه ... بِنَارِ أَسَىً أَوْ دَمْعِ سُحْبٍ هَوَاطِلِ

وَمَا كَانَ إلا الْبَحْرُ غَارَ وَمَنْ يردْ ... سَوَاحِلَهُ لَمْ يَلْقَ غَيْرَ جَدَاوِلِ

وَهَبْكُمْ رُوِيتُمْ علْمَهُ عَنْ رُوَاتِهِ ... وَلَيْسَ عَوَالِى صَحْبِهِ بِنَوازِلِ

فَقَدْ فَاتَكُمْ نورُ الْهُدَى بِوَفَاتِهِ ... وَعَزُّ التُّقَى مِنْهُ وَنَجْحُ الْوَسَائِلِ

خَلَتْ سُنَّةُ الْمُخْتَارِ مِنْ ذَبِّ نَاصِرٍ ... فَأقْرَبُ مَا نَخْشَاهُ بِدْعَةُ خَاذِلِ

نَحَا لِلإمَامِ الشَّافِعِى مَقَالَةً ... فَأصْبَحَ شَافِى عَىَّ كلِّ مُجَادِلِ

وَسَدَّ مِنَ التَّجْسِيمِ بَابَ ضَلالَةٍ ... وَرَدَّ مِنَ التَّشْبِيهِ شُبْهَةَ بَاطِلِ(٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٩، ٥٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٦٨، ٥٦٩).

مِـنْ أَعْـلاَمِ السَّـلَـفِ

(٥٣)

أَبُو فَرَجٍ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: عبـد الرحمن بن على بن محـمد بن على بن عـبيد بن عـبد الله بن حمـادى بن أحمد بن مـحمد بن جـعفر بن عـبد الله بن القـاسم بن النضر بن القاسم بن مـحمد بن عبد اللـه ابن الفقيه عبـد الرحمن ابن الفقيـه القاسم بن محـمد ابن خلـيفة رسـول الله ﷺ أبى بكر الصـديق القرشى التيـمى البكرى البغدادى الحنبلى الواعظ.

مَوْلِدُهُ: ولد سنه تسع أو عشر وخمسمائة.

صِفَتُهُ: قال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجـوزى لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة.[(١)]

قال: ولـباسه أفـضل لبـاس الأبيض الناعم المطيب، وله ذهن وقـاد، وجواب حاضر، وقـال قـرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقـانى: أن ابن الجوزى شرب البلاذر فسقطت لحيته فكانت قصيرة جدًا، وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات.[(٢)]

٢ - ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قـال أبو عبـد الله ابن الدبيثى فـى «تاريخه»: شـيخنا جـمال الدين صـاحب التصانيف فى فنون العلوم من التـفسير والفقه، والحديـث والتواريخ، وغير ذلك،

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٧) باختصار.
(٢) باختصار من السير (٢١/ ٣٧٨).

وإليه انتهت معرفة الحديث، وعلومه، والوقوف على صحيحه، وسقيمه، وكان من أحسَن الناس كلاماً وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً وأجودهم بياناً.(١)

وقال الموفق عبد اللطيف فى تأليف له: كان ابن الجوزى لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه مئة ألف أو يزيدون، لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب فى اليوم أربع كراريس، وله فى كل علم مشاركة، لكنه كان فى التفسير من الأعيان، وفى الحديث من الحفاظ، وفى التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظى، فله فيه ملكة قوية، وله فى الطب كتاب «اللقط» مجلدان.

قال: وكان يراعى حفظ صحته وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة، جُلُّ غذائه الفراريج والمزاوير، ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات.(٢)

وقال أبو معتوق محفوظ بن معتوق بن البزورى فى «تاريخه» فى ترجمة ابن الجوزى: برع فى العلوم، وتفرد بالمنثور والمنظوم، وفاق على أدباء مصره، وعلا على فضلاء عصره، تصانيفه تزيد على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، بين عشرين مجلدًا إلى كراس، وما أظن الزمان يسمح بمثله.(٣)

وقال الذهبى: وكان رأسًا فى التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويعجب ويطرب ويطنب، لم يأتى قبله ولا بعده مثله فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع فى النفوس، وحسن السيرة. وكان بحرًا فى التفسير، عَلاَّمة فى السير والتاريخ، موصوفًا بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة فى الطب، ذا تفنن، وفهم وذكاء، وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، وحسن الشارة ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحدًا صنف ما صنف.(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٨٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).

وقال أيضًا: الشيخ الإمام العلاَّمة الحافظ المفسر شيخ الإسلام، مفخر العراق جمال الدين.[1]

وقال ابن خلكان: كان علامة عصره، وإمام وقته فى الحديث، وصناعة الوعظ، صنف فى فنون عديدة.[2]

وقال الداودى: الإمام العلامة حافظ العراق، وواعظ الآفاق، صاحب التصانيف المشهورة فى أنواع العلوم، فى التفسير والحديث، والفقه والوعظ، والزهد والتاريخ، والطب وغير ذلك.[3]

٣ - نَشأتُهُ وَطَلَبُهُ للعِلْمِ وَبَرَاعَتُهُ فِي الْوَعْظِ

قال الذهبى -رحمه الله-: توفى أبوه وله ثلاثة أعوام، فربته عمته، وأقاربه كانوا تجاراً فى النحاس، فربما كتب اسمه فى السماع عبد الرحمن بن على الصفار.

ثم لما ترعرع حملته عمته إلى ابن ناصر فأسمعه الكثير، وأحبَّ الوعظ، ولهج به، وهو مراهق، فوعظ الناس، وهو صبى، ثم مازال نافق السوق، مُعَظَمًا متغالياً فيه مزدحمًا عليه مضروباً برونق وعظه المثل كماله فى ازدياد واشتهار إلى أن مات -رحمه الله وسامحه-، فليته لم يخض فى التأويل، ولا خالف إمامه.[4]

وقال: وكان ذا حظ عظيم وصيت بعيد فى الوعظ، يحضر مجالسه الملوك والوزراء، وبعض الخلفاء والأئمة والكبراء، لا يكاد المجلس ينقص عن ألوف كثيرة، حتى قيل فى بعض مجالسه: إنه حزر الجمع بمئة ألف، ولا ريب أن هذا ما وقع، ولو وقع ما قدر أن يسمعهم، ولا المكان يسعهم.

قال سبطه أبو المظفر؟ سمعت جدى على المنبر يقول: بأصبعى هاتين كتبت ألفى مجلد، وتاب على يدى مئة ألف، وأسلم على يدى عشرون ألفاً وكان يختم فى الأسبوع ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥).

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠).

(٣) طبقات المفسرين (١/ ٢٧٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

قال الذهبى: فما فعلت صلاة الجماعة؟[1]

وقال أبو المظفر: جدى قرأ القرآن وتفقه على أبى بكر الدينورى الحنبلى وابن الفراء.

قال الذهبى: وقرأ القرآن على سبط الخياط.

وعنى بأمره شيخه ابن الزاغونى، وعلمه الوعظ واشتغل بفنون العلوم، وأخذ اللغة عن أبى منصُور الجواليقى، وربما حضر مجلسه مئة ألف، وأوقع الله له فى القلوب القبول والهيبة.

قال: وكان زاهدًا فى الدنيا متقللاً منها، كان يجلس بجامع القصر والرصُّافة وبباب بدر وغيرها، إلى أن قال: وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبى، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها.[2]

وقال ابن الجوزى -رحمه الله-: واعلم يا بنى، أن أبى كان موسرًا، وخلف ألوفًا من المال، فلما بلغت دفعوا لى عشرين دينارًا ودارين، وقالوا لى: هذه التركة كلها، فأخذت الدنانير واشتريت بها كتبًا من كتب العلم، وبعت الدارين وأنفقت ثمنها فى طلب العلم، ولم يبق لى شىء من المال وما ذل أبوك فى طلب العلم قط، ولا خرج يطوف فى البلدان كغيره من الوعاظ، ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئًا قط، وأموره تجرى على السداد ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).[3]

وقال أيضا: «وكنت فى زمن الصبا آخذ معى أرغفة يابسة، فأخرج إلى طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند المساء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتى لا ترى إلا لذة تحصيل العلم فأثمر ذلك عندى أنى عرفت بكثرة سماعى لحديث سير الرسول ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال الصحابة وتابعيهم، فصرت فى معرفة طريقه كابن أجود، وأثمر ذلك عندى من المعاملة ما

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٩، ٣٧٠). (٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٣).

(٣) لفتة الكبد (٤٨).

لا يدرك بالعلم حتى أننى أذكر فى زمان الصبوة ووقت الغُلمة والعزبة قدرتى على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعنى عنها إلا ما أثمر عندى من العلم من خوف الله -عز وجل.[1]

وقال أيضا: «كنت فى بداية الصبوة قد ألهمتُ طريق الزهاد بإدامة الصوم والصلاة، وحُببت إلَى الخلوة، فكنت أجد قلبًا طيباً، وكانت عين بصيرتى حادة، فانتهى الأمر بى إلى أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامى فأمالنى إليه، فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة، ثم أمالنى آخر فكنت أتقى مخالطته ومطاعمه، لخوف الشبهات».[2]

٤ - أَخْلاقُهُ وَعَبادَتُهُ

قال الدكتور محمد لطفى الصباغ: كانَ على خلق كريم، وكان يغلب عليه الجد، حتى منذ صغره، فقد كان وقوراً لا يمازح أحدًا ولا يعبث، وكان ورعًا فقد ذكروا ما كان يأكل من جهة لا يتبين حلها، وما زال كذلك حتى توفاه الله، وكان كثير التلاوة إذ كان يختم القرآن فى كل سبعة أيام، وكان يقوم الليل ولا يكاد يفتر عن ذكر الله، وقد نشأ على العفاف والصلاح، وله ذهنٌ وَقَّادٌ وجواب حاضر، وذكروا أن له مع ذلك مداعبات حلوة حتى يقول فى خلال حديثه عن نفسه: «ولولا خطايا لا يخلو منها البشر لقد كنت أخاف على نفسى من العجب غير أنه -عز وجل- صاننى وعلمنى وأطلعنى على أسرار العلم على معرفته وإيثار الخلوة به، ثم عاد فغمسنى فى التقصير والتفريط، حتى رأيت أقل الناس خيراً منى، وتارة يوقظنى لقيام الليل، ولذة مناجاته، وتارة يحرمنى مع سلامة بدنى.

وقد يغلب الرجاء بقوة أسبابه، لأنى رأيت أنه ربانى منذ كنت طفلاً فإن أبى مات وأنا لا أعقل، والأم لم تلتفت إلَىَّ، فركز فى طبعى حب العلم، وما زال يوقعنى على المهم فالمهم، ويحملنى على الأصوب حتى قوم أمرى وكم قد قصدنى

---

(١) صيد الخاطر (٢١٣).

(٢) صيد الخاطر (٧٨، ٧٩).

عدو فصده عنى، وإذا رأيته قد نصرنى وبصرنى ودافع عنى، ووهب لى قوى رجائى فى المستقبل بما قد رأيت فى الماضى.(١)

٥ - عُلُو هِمَّتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

يقول -رحمه الله- : وما ابتلى الإنسَان قط بأعَظمَ من علو همته، فإن من علت همته يختار المعالى وربما لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة فيبقى فى عذاب، ولا أقول ليته لم يكن، فإنه يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل.(٢)

وقال أيضاً: نظرت إلى علو همتى فرأيته عجبًا؟ وذلك أننى أروم من العلم ما أتيقن أنى لا أصل إليه، لأننى أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فن، وهذا أمر يعجز العمر عن بعضه.(٣)

وقال: خلقت لى همة عالية تطلب الغايات، بلغت الستين، وما بلغت ما أملت، فأخذت أسأل الله تطويل العمر وتقوية البدن وبلوغ الآمال، فأنكرت عَلَيَّ العادات وقالت: ما جرت عادة بما تطلب، فقلت: إنما أطلب من قادر على تجاوز العادات.(٤)

وقال: إنى أخبر عن حالى ما أشبع من مطالعة كتاب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأنى وقعت على كنز، ولقد نظرت فى ثبت الكتب الموقوفة فى المدرسة النظامية، فإذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد، وفى ثبت كتب أبى حنيفة، وكتب الحميدى وكتب شيخنا عبد الوهاب، وابن ناصر، وكتب أبى محمد ابن الخشاب، وكانت أحمالاً وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه.

ولو قلت: إنى طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد فى الطلب، فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وعبادتهم، وغرائب

---

(١) مقدمة الدكتور الصباغ لكتاب القصاص والمذكرين لابن الجوزي (١٤) ط. المكتب الإسلامي.

(٢) صيد الخاطر (٢٣٨). (٣) صيد الخاطر (٢٣٩).

(٤) صيد الخاطر (٢٥٠، ٢٥١).

علومهم مالم يعرفه من لم يطلع فصرت أستزرى ما الناس فيه، وأحتقرهم الطلاب ولله الحمد.[١]

وقال. «إنى رجل حُبّبَ إِلَيَّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به ثم لم يحبب إِلَيَّ فن واحد منه بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتى فى فن على بعضه بل أروم استقصاءه.[٢] وله من أبيات:

اللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يُطَوِّلَ مُدَّتِى لأَنَالَ بِالإِنْعَامِ مَافِى نِيَّتِى

لِى هِمَّةٌ فِى الْعِلْمِ مَا إِن مِثْلُهَا وَهِىَ الَّتِى جَنَتِ النُّحُولَ هِىَ الَّتِى[٣]

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: قال الذهبى: سمع من أبى القاسم ابن الحصين، وأبى عبد الله الحسين ابن محمد البارع، وعلى بن عبد الواحد الدينورى، وأحمد بن أحمد المتوكلى، وإسماعيل بن أبى صالح المؤذن، والفقيه أبى الحسن ابن الزاغونىّ، وهبةُ الله بن الطبرى الحريرى، وأبى غالب ابن البناء، وأبى بكر محمد بن الحسين المزرقىّ، وأبى غالب محمد بن الحسن الماوردى، وأبى القاسم عبد الله بن محمد الأصبهانى الخطيب، والقاضى أبى بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى، وإسماعيل ابن السمرقندى، ويحيى بن البناء، وعلى بن الموحد، وأبى منصور ابن خيرون وبدر الشِّيحى، وأبى سعد أحمد بن محمد الزَّوزنىّ، وأبى سعد أحمد بن محمد البغدادى الحافظ، وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطى الحافظ، وأبى السعود أحمد بن على بن المجلى، وأبى منصور عبد الرحمن بن زريق القزاز، وأبى الوقت السجزى، وابن ناصر، وابن البَطِىِّ وطائفة مجموعهم نيف وثمانون شيخاً قد خرَّج عنهم «مشيخة» فى جزأين.[٤]

تَلامِذَتُه: قالَ الذهبى: حدث عنه ولده الصاحب العلامة محيى الدين يوسف

---

(١) صيد الخاطر (٤٤٠، ٤٤١).
(٢) صيد الخاطر
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/٣٧٨، ٣٧٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٦).

أستاذ دار المستعصم بالله، وولده الكبير على الناسخ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن فرغلى الحنفى صـاحب مرآة الزمان والحافظ عبـد الغنى، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، وابن الدُّبيثى، وابن النـجار، وابن خليل، والضياء، واليلدانىُّ، والنجيب الحرانى، وابن عبد الدائم، وخلق سواهم.

وبالإجازة شـمس الدين عبـد الرحمن، وابن الفارى، وأحـمد بن أبى الخـير، والخضر بن حمُّويه. والقطب ابن عصرون.[1]

٧ - دُرَرٌ مِـنْ أقْوَالِـهِ وَنُتَـفٌ مِـنْ أشْعَـارِهِ

* عقارب المنايا تلسعُ، وخدارن حبسم يمنع، وماءُ الحياةَ فى إِناءِ العمرِ يرشحُ.

* يا أمير، اذكر عند القدرة عدل اللَّهِ فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليك، ولا تشفِ غيظك بسقم دينك.

وقال لصديق: أنت فى أوسع العذر من التأخر عنى لثقتى بك، وفى أضيقه من شوقى إِليك.

وقـال له رجل: مـا نمت البارحـة من شـوقى إِلى المجلس. قـال: لأنك تريد الفرْجَة، وإِنما ينبغى الليلة أن لا تنام.

وقام إِليه رجلٌ بغـيضٌ فقال: يا سيدى: نريد كلمة ننقلهـا عنك، أيما أفضل أبو بكر أو على؟ فقـال: اجلس فجلس، ثم قام فـأعاد مقـالته، فأقعـده، ثم قام فقال، اقعد فأنت أفضل من كل أحد.[2]

وسأله آخر أيام ظهور الشيـعة فقال: أفضلهما من كانت بنتـه تحته، وهذه عبارة محتملة ترضى الفـريقين. وسأله آخر: أيما أفضل أسبح أو أستـغفر؟ قال: الثوبُ الوسخُ أحوجُ إِلى الصـابونِ من البخورِ. وقال: من قنع طاب عـيشه، ومن طمع طال طيشه.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٧).

(٢) وقوله: «أفضل من كل أحد» يعني من الفضول.

وقال يومًا في وعظه: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفتُ منكَ، وإن سكت خفت عليك وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك، فقول الناصح: اتق الله خير من قول القائل: أنتم أهل بيت مغفور لكم.

وقال: يفتخر فرعون مصر بنهر ما أجراه، ما أجرأه؟![1]

وقال الواعظ أبو القاسم العلوي وأنشدني بواسط لنفسه:

يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا تَأَهَّبْ ... وَانْتَظِرْ يَوْمَ الْفِرَاقِ

وَأَعِدَّ زَاداً لِلرَّحِيلِ ... فَسَوْفَ يُحْدَى بِالرِّفَاقِ

وَابْكِ الذُّنُوبَ بِأَدْمُعٍ ... تَنْهَلُّ مِن سُحُبِ المَآقِي

يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ ... أَرَضِيتَ مَا يَفْنَى بِبَاقِ[2]

وله أيضًا:

ستنقلك المَنَايَا عَنْ دِيَارِكَ ... وَيُبْدِلُكَ الرَّدَى دَاراً بِدَارِكَ

وتترك ما عنيتَ به زَمَانَاً ... وتنقل من غناك إلى افتقارك

فدودُ القبر في عينيك يسعى ... وترعى عين غيرك في ديارك[3]

٨- مَا أُخِذَ عَلَيْهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ -

قال الدكتور الصباغ: كان لابن الجوزي زلات نذكرها من باب التقويم الموضوعي للرجل، ولله در من قال:

مَنْ ذَا الَّذِي تُرْجَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَى المَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُه

ونسأل الله أن يتجاوز عنَّا وعنه، وأن يغفر لنا وله، وأن يسامحنا وإياه، إنه سبحانه سميع مجيب كان لابن الجوزي مواقف يبدو أنها متعارضة، ويبدو هو من

---

(١) باختصار من السير (٢١/ ٣٧١، ٣٧٢). (٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٣).

(٣) ذيل طبقات (١/ ٤١٠)، نقلاً عن مقدمة د. الصباغ. لكتاب القصاص والمذكرين.

خلالها مزدوج الموقف فهو عندما ينتقد الصوفية والمتساهلين فى الحديث يكون إنسانًا على منهج سليم يدعو إلى الحق، الذى يراه بجرأة وحرارة، كما يظهر ذلك جلياً فى تلبيس إبليس، أو فى مقدمة «صفة الصفوة» أو كتاب الموضوعات، ولكنه فى مواضع من مؤلفاته تراه من أشد الناس تساهلاً فى إيراد الأحاديث الضعيفة التالفة كما نطالع ذلك، فى كتابه «المدهش» أو «ذم الهوى» وتراه فى مواضع أخرى يأتى بالقصص الباطلة والخرافات المردودة، ويورد ما يقوله المتصوفة ويحكونه فى مجالسهم، مع أنه انتقدهم وعاب عليهم فكرهم وسلوكهم، وذكرهم بما يستحقون، ووجه إليهم اللومَ اللاذع.(١)

ومما أخذ عليه كثرةَ الغلط فيما يصنفه: قال الذهبى: قرأت بخط الموقانى: أن ابن الجوزى كان كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره.

قال الذهبى: نعم له وهم كثير فى تواليفه، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحويل إلى مصنف آخر، ومن أن جل علمه من كتب وصحف، ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغى.(٢)

ومن ذلك ميله إلى التأويل أحيانا: قال الحافظ ابن رجب: نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا ميله إلى التأويل فى بعض كلامه، واشتد نكيره عليه فى ذلك، ولا ريب أن كلامه فى ذلك مضطرب مختَلف، وهو وإن كان مطلعاً على الأحاديث والآثار فلم يكن يحل شبه المتكلمين، وبيان فسادها.

ثم بين سبب ميله للتأويل فقال: «كان معظماً لأبى الوفاء ابن عقيل، متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه، وإن كان قد رد عليه فى بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعاً فى الكلام، ولم يكن له خبرة تامة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب فى هذا الباب، وتتلون فيه آراؤه، وأبو الفرج تابع له فى هذا التلون.(٣)

---

(١) مقدمة الدكتور الصباغ لكتاب القصاص والمذكرين (٤٢).

(٢) تذكرة الحفاظ (١٣٤٧/٤). (٣) شذرات الذهب (٣٣١/٤).

وقال موفق الدين: ابن الجوزى إمام أهل عصره فى الوعظ، وصنف فى فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، كان يصنف فى الفقه ويدرس، وكان حافظاً للحديث، إلا أننا لم نرض تصانيفه فى السنة، ولا طريقته فيها، وكانت العامة يعظمونه، وكانت تنفلت منه فى بعض الأوقات كلمات تنكر عليه فى السنة، فيستفتى عليه فيها ويضيق صدره من أجلها.(١)

ومما أخذ عليه شئ من الإعجاب بالنفس، واحتقار معاصريه، ويبدو أن من أسباب ذلك ذكاؤه النادر، ومجالس وعظه العجيبة الفريدة، التى لم يسبق إليها، ولا يلحق فيها.

ومما يشير إلى ذلك قوله:

كَمْ كَانَ لِى مِنْ مَجْلِسٍ لَوْ شُبِّهَتْ ... حَالاتُه لَتَشَبَّهَتْ بِالجَنَّةِ

أَشْتَاقُهُ لَمَّا مَضَتْ أَيَّامُهُ ... عُطلاً وَتَعْذرُ نَاقَةٌ إِنْ حَنَّتِ(٢)

قال الدكتور الصباغ: وقد كان منه بهاء وترفع فى نفسه وإعجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه، وذلك ظاهر فى كلامه فى نثره ونظمه فمن ذلك قوله:

مَا زِلْتُ أُدْرِكُ مَا غَلاَ بَلْ مَا عَلاَ ... وَأُكَابِدُ النَّهْجَ الْعَسِيرَ الأَطْوَلاَ

تَجْرِى بِىَ الآمَالُ فِى حَلَبَاتِهِ ... طَلْقَ السَّعِيدِ جَرَى مَدَى مَا أَمَّلاَ

أَفْضَى بِىَ التَّوْفِيقُ فِيهِ إِلَى الَّذِى ... أَعْيَا سِوَاىَ تَوَصُّلاً وَتَغَلْغُلاَ

لَوْ كَانَ هذا الْعِلْمُ شَخْصًا نَاطِقًا ... وَسَأَلْتُهُ هَلْ زَارَ مِثْلِى قَالَ لاَ(٣)

٩ – مُصَنَّفَاتُهُ

ذكر الأستاذ عبد الحميد العلوجى مؤلفات ابن الجوزى المطبوعة والمخطوطة والضائعة ونحن نقتصر على المطبوع من ذلك فراراً من التطويل.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٣٨٩). (٢) سير أعلام النبلاء (٢١/٣٧٩).
(٣) مقدمة (١٥).

١- إخبار أهل الرسوخ فى الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث.

٢- أخبار الظرفاء والمتماجنين.

٣- أخبار النساء (طبع منسوباً لابن القيم).

٤- الأذكياء.

٥- بستان الواعظين ورياض السامعين.

٦- تاريخ عمر بن الخطاب.

٧- تقويم اللسان.

٨- تقليح فهوم أهل الأثر.

٩- تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم العمر.

١٠- دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة.

١١- ذم الهوى.

١٢- الذهب المسبوك فى سيد الملوك.

١٣- روح الأرواح.

١٤- رؤوس القوارير.

١٥- سيرة عمر بن عبد العزيز.

١٦- صفة الصفوة.

١٧- صيد الخاطر.

١٨- الطب الروحانى.

١٩- العروس، أو مولد النبى ﷺ ، وطبع أيضاً بعنوان (بغية العوام فى شرح مولد سيد الأنام).

٢٠- كتاب الحمقى والمغفلين.

٢١- كتاب الوفا فى فضائل المصطفى ﷺ .

٢٢- مختصر مناقب عمر بن عبد العزيز.

٢٣- المدهش.

٢٤- ملتقط الحكايات.

٢٥- مناقب أحمد بن حنبل.

٢٦- مناقب بغداد.

٢٧- مناقب الحسن البصرى.

٢٨- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم.

٢٩- الناموس فى تلبيس إبليس (وطبع بعنوان تلبيس إبليس).

٣٠- ياقوتة المواعظ والموعظة.[١]

واستدرك عليه الدكتور حسن ضياء الدين عتر ثلاثة عشر كتاباً:

١ - التبصرة.

٢- الثبات عند الممات.

٣- زاد المسير فى علم التفسير.

٤- العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية.

٥- غريب الحديث.

٦- فنون الأفنان فى عيون علوم القرآن.[٢]

---

(١) مؤلفات ابن الجوزي للعلوجي نقلاً عن مقدمة د. حسن ضياء الدين عتر لفنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي (٦٠-٦٢).

(٢) مقدمة الأفنان في عيون علوم القرآن (٦٢).

٧- كتاب القصاص والمذكرين.

٨- كتاب اللطف فى الوعظ.

٩- لفتة الكبد فى نصيحة الولد.

١٠- مشيخة ابن الجوزى.

١١- المصغى بأكف أهل الرسوخ فى علم الناسخ والمنسوخ.

١٢- الموضوعات فى الأحاديث المرفوعات.

١٣- نواسخ القرآن.

١٠- وَفَاتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

مرض ابن الجوزى -رحمه الله- خمسة أيام، وتوفى ليلة الجمعة، بين المغرب والعشاء، فى الثالث عشر من رمضان المبارك، سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وله من العمر سبع وثمانون سنة، وارتجت قلوب الناس لنبأ وفاته رجاً، وغلقت الأسواق، وحضر لجنازته خلق عظيم، وحملت جنازته على رؤوس الناس، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور للصلاة عليه، فصلى عليه ابنه القاسم على، إذ لم يتمكن العلماء والأعيانَ من الوصول إليه، وضاق الجامع على سعته بالناس، وكان يوماً مشهوداً، فلم يصل إلى حفرته بباب حرب بمقبرة الإمام أحمد إلا وقت صلاة الجمعة، وصادف ذلك شهر تموز، وقيظ الصيف والناس صيام، ودفن عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد -رحمه الله-.[1]

---

(١) من مقدمة الدكتور حسن ضياء الدين عتر لفنون الأفنان في عيون علوم القرآن (٦٧).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَف

(٥٤)

الْحَافِظُ عَبْدُ الغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ – اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: تقى الدين أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسى الجماعيلى ثم الدمشقى المنشأ الصالحى الحنبلى.

مَوْلِدُهُ: ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة بجمّاعيل فى ربيع الأول، وقيل ثلاث أو أربع وأربعين.

صِفَتُهُ: قال الضياء: وكان ليس بالأبيض الأمهق، بل يميل إلى السمرة، حسن الشعر، كث اللحية، واسع الجبين، عظيم الخُلق، تامّ القامة، كأن النور يخرج من وجهه، وكان قد ضعف بصره من البكاء، والنسخ والمطالعة.(١)

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

عن عبد العزيز بن عبد الملك الشيبانى قال: سمعت التاج الكندى يقول: لم يكن بعد الدَّارقطنى مثل الحافظ عبد الغنى.

وعن الكندى قال: لم ير الحافظ مثل نفسه.

وقال أبو موسى المدينى: قل من قدم علينا يفهم هذا الشأن، كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين أبى محمد عبد الغنى المقدسى، وقد وفق لتبيين هذه الغلطات، ولو

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٦).

كان الدَّارقطنى وأمثاله فى الأحياء لصوبوا فعله، وقل من يفهم فى زماننا ما فهم. زاده الله علمًا وتوفيقًا.

وقال أبو نذار ربيعة الصنعانى: قد حضرت الحافظ أبا موسى، وهذا الحافظ عبد الغنى، فرأيت عبد الغنى أحفظ منه.(١)

قال الضياء: ما أعرف أحدًا من أهل السنة رآه إلا أحبَّه ومدحه كثيرًا، سمعت محمود بن سلامة الحرانى بأصبهان قال: كان الحافظ يصطف الناس فى السوق ينظرون إليه، ولو أقام بأصبهان مدة وأراد أن يملكها لملكها.(٢)

قال ضياء الدين: كان شيخنا الحافظ لا يكاد يُسال عن حديث إلا ذكره وبينه، وذكر صحته، أو سقمه، ولا يسأل عن رجل إلا قال: هو فلان بن فلان الفلانى ويذكر نَسَبَهُ، فكان أمير المؤمنين فى الحديث.(٣)

وعن إسماعيل بن ظفر قال: قال رجل للحافظ عبد الغنى: رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مئة ألف حديث، فقال: لو قال أكثر لصدق.(٤)

وقال ابنه عبد الرحمن سمعت بعض أهلنا يقول: إن الحافظ سئل: لم لا تقرأ من غير كتاب؟ قال: أخاف العجب.(٥)

وقال الذهبى: الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثرى المتَّبع عالم الحفاظ تقى الدين.(٦)

وقال ابن كثير عنه وعن المزى: -رحمهما الله- فلقد كانا نادرين فى زمانهما فى أسماء الرجال حفظاً، وإتقانًا، وسماعًا، وإسماعًا، وسردًا للمتون، وأسماء الرجال، والحاسد لا يفلح ولا ينال منالاً طائلاً.(٧)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٩، ٤٥٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٥٦، ٤٥٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٨، ٤٤٩).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٩).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣، ٤٤٤).
(٧) البداية والنهاية (١٣/٣٩).

وقال ابن العماد: وإليه انتهى حفظ الحديث متنًا وإسناداً، ومعرفة بفنونه مع الورع والعبادة، والتمسك بالأثر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وقال ابن ناصر الدين: هو محدث الإسلام، وأحد الأئمة المبرزين الأعلام، ذو ورع، وعبادة، وتمسك بالآثار، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر.(١)

وقال الضياء: وكان -رحمه الله- مجتهدًا على الطالب، يكرم الطلبة ويحسن إليهم، وإذا صار عنده طالب يفهم أمره بالرحلة، ويفرح لهم بسماع ما يحصلونه، وبسببه سمع أصحابنا الكثير.(٢)

وقال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الحافظ يقول: ما رأيت الحديث فى الشام كله إلا ببركة الحافظ، فإنى كل من سألته يقول: أول ما سمعت على الحافظ عبد الغنى، وهو الذى حرضنى.(٢)

وقال موفق الدين: كان الحافظ عبد الغنى جامعًا للعلم والعمل، وكان رفيقى فى الصِّبا، وفى طلب العلم، وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقنى إليه، إلا القليل، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة، وعداوتهم، ورزق العلم، وتحصيل الكتب الكثيرة، إلا أنه لم يعمر.(٣)

٣ - عِبَادَتُهُ وَاجْتِهَادُهُ وَمَجَالِسُهُ

قال ضياء الدين: كان لا يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة، فإنه كان يصلى الفجر، ويلقن القرآن، وربما يقرأ شيئًا من الحديث تلقيناً ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر، وينام نومة، ثم يصلى الظهر، ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب، فإن كان صائمًا أفطر، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء، وينام إلى نصف الليل أو بعده، ثم قام كأن إنسانًا يوقظه، فيصلى لحظة، ثم يتوضأ ويصلى إلى قرب الفجر، وربما توضأ سبع مرات، أو ثمان فى الليل، وقال: ما تطيب لى الصلاة إلا ما دامت أعضائى رطبة، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر.(٤)

(١) شذرات الذهب (٤/ ٣٤٥) باختصار.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٠).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٢، ٤٥٣).

وقال أخوه الشيخ العماد: ما رأيت أحدًا أشد محافظة على وقته من أخي.[(١)]

قال الضياء: وكان يستعمل السواك كثيراً حتى كأن أسنانه البرد.[(١)]

وعن محمود بن سلامة التاجر الحراني قال: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندى بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا قليلاً، بل يصلي ويقرأ ويبكي.[(١)]

قال ضياء الدين كان -رحمه الله- يقرأ الحديث يوم الجمعة بجامع دمشق، وليلة الخميس ويجتمع خلق وكان يقرأ ويبكي ويبكي الناس كثيراً حتى إن من حضره مرة لا يكاد يتركه، وكان إذا فرغ دعا دعاءً كثيراً.[(٢)]

وقال الشيخ ابن نجا الواعظ بالقرافة يقول -على المنبر: قد جاء الإمام الحافظ، وهو يريد أن يقرأ الحديث، فاشتهى أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات وبعدها أنتم تعرفون، وتحصل لكم الرغبة، فجلس أول يوم، وحضرت، فقرأ أحاديث بأسانيدها حفظًا، وقرأ جزءًا ففرح الناس به، فسمعت ابن نجا يقول: حصل الذى كنت أريده فى أول مجلس.

وقال بعض من حضر: بكى النَّاس حتى غشى على بعضهم، وكان يجلس بمصر بأماكن.[(٢)]

وقال الفقيه نجم الدين بن عبد الوهاب الحنبلي يقول -وقد حضر مجلس الحافظ-: يا تقى الدين، والله لقد حملتَ الإسلام، ولو أمكننى ما فارقت مجلسك.[(٢)]

٤ - أَمْرُهُ بالمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ المُنْكَرِ

قال الضياء: كان لا يرى منكرًا إلا غيره بيده، أو بلسانه، وكان لا تأخذه فى الله لومة لائم، قد رأيته مرة يهريق خمرًا، فجبذ صاحبه السيف، فلم يخف منه وأخذه من يده، وكان قويًا فى بدنه، وكثيرًا ما كان بدمشق يكسر الطنابير والشبابات.[(٣)]

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٤).

قال الموفق: كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه، وكنا مرة أنكرنا على قوم وأرقنا خمرهم وتضاربنا، فسمع خالى أبو عمر فضاق صدره، وخاصمنا فلما جئنا إلى الحافظ طيب قلوبنا، وصوب فعلنا وتلا ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ (لقمان: ١٧). (١)

قال الضياء وسمعت أبا بكر ابن أحمد الطحان قال: كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم طنابير، وكانوا فى بستان يشربون، فلقى الحافظ الطنابير فكسرها. قال: فحدثنى الحافظ قال: فلما كنت أنا وعبد الهادى عند حمام كافور؟ إذا قوم كثير معهم عصى، فخففت المشى، وجعلت أقول: «حسبى الله ونعم الوكيل»، فلما صرف، على الجسر لحقوا صاحبى فقال: أنا ما كسرت لكم شيئًا، هذا هو الذى كسر. قال: فإذا فارس يركض فترجل وقبل يدى وقال: الصبيان ما عرفوك. وكان قد وضع الله له هيبة فى النفوس. (٢)

قال الضياء: سمعت فضائل بن محمد بن على بن سرور المقدسى يقول: سمعتهم يتحدثون بمصر أن الحافظ كان قد دخل على العادل، فقام له، فلما كان اليوم الثانى جاء الأمراء إلى الحافظ، مثل سركس وأزكش، فقالوا: آمنا بكراماتك يا حافظ.

وذكروا أن العادل قال: ما خفت من أحد ما خفت من هذا، فقلنا: أيها الملك: هذا رجل فقيه. قال: لما دخل ما خيل إلى إلا أنه سبعٌ. (٣)

قال الضياء: وسمعت أبا بكر ابن الطحان قال: كان فى دولة الأفضل جعلوا الملاهى عند الدرج يعنى درج جيرون، فجاء الحافظ، فكسر شيئًا ثم صعد (أى المنبر) يقرأ الحديث، فجاء رسول القاضى يأمره بالمشى إليه، ليناظره فى الدفّ والشبابة، فقال: ذاك عندى حرام، ولا أمشى إليه، ثم قرأ الحديث، فعاد الرسول، فقال: لابد من المشى إليه، أنت قد بطلت هذه الأشياء على السلطان، فقال الحافظ: ضرب الله رقبته ورقبة السلطان، فمضى الرسول وخفنا فما جاء أحد. (٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٤، ٤٥٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٥).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٦).

٥ - أَخْـلاقُـهُ وَشَمَائِلُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الضياء: وكان شيخنا جوادًا، لا يدخر دينارًا ولا درهمًا مهما حَصَّلَ، أخرجه، لقد سمعت عنه أنه كان يخرج فى الليل بقفاف الدقيق إلى بيوت متنكرًا فى الظلمة فيعطيهم ولا يعرف، وكان يفتح عليه بالثياب، فيعطى الناس، وثوبه مرقع.(١)

قال: وسمعت بدر بن محمد الجزرى يقول: ما رأيت أحدًا أكرم من الحافظ، كنت أستدين، يعنى لأطعم به الفقراء فبقى لرجل عندى ثمانية وتسعون درهمًا، فلما تهيأ الوفاء أتيت الرجل فقلت: كم لك؟ قال: ما لى عندك شىء قلت: من أوفاه؟ قال: قد أوفى عنك، فكان وفاه الحافظ، وأمره أن يكتم عليه.(١)

وعن منصور الغضارى قال: شاهدت الحافظ فى الغلاء بمصر؟ وهو ثلاث ليالى يؤثر بعشائه ويطوى.(١)

وعن سليمان الأسعردى قال: بعث الأفضل بن صلاح الدين إلى الحافظ بنفقة وقمح كثير ففرقه كله.

رأيت يوما قد أهدى إلى بيت الحافظ بمشمش، فكانوا يفرقون فقال: من حينه: فرقوا ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (آل عمران: ٩٢).(٢)

وقد فتح له بكثير من الذهب وغيره، فما كان يترك شيئاً حتى قال لى ابنه أبو الفتح، والدى يعطى الناس الكثير، ونحن لا يبعث إلينا شيئاً.(٣)

٦- شُيُـوخُـهُ وَتَلامِـذَتُـهُ

شُيُوخُهُ: سمع أبا الفتح ابن البَطِّى، وأبا الحسن على بن رباح الفراء، والشيخ عبد القادر الجيلى، وهبة الله بن هلال الدقاق، وأبا زرعة المقدسى، ومعمر بن الفاخر، وأحمد بن المقرب، ويحيى، بن ثابت، وأبا بكر ابن النقور، وأحمد بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٧، ٤٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٨).

عبد الغنى الباجسرائى وعـدة ببغداد، والحافظ أبا الطاهر السِّلفى، فكتب عنه نحوًا من ألف جـزء، وبدمـشق أبا المكارم ابن هلال، وسلمـان بن على الرحـبى، وأبا المعـالى ابن صابر وعـدة، وبمصر مـحمـد بن على الرحـبى، وعبـد الله بن بَرِّى وطائفة، وبأصبـهان الحافظ أبا موسى المدينى، وأبا الوفاء محـمود بن حمكا، وأبا الفتح الخـرقى، وابن ينال الترك، ومحـمد بن عبـد الواحد الصائغ، وحـبيب بن إبراهيم الصوفى، وبالموصل أبا الفضل الطوسى وطائفة.[1]

تَلامذَتُهُ: قالَ الذهبى: حَدَّثَ عنه الشيخ موفق الدين، والحـافظ عز الدين محمد، والحافظ أبو موسى عبد الله، والفقيـه أبو سليمان أولاده، والحافظ الضياء، والخطيب سليمان بن رحمة الأسـعردى، والبهاء عبد الرحمن والشيخ الفقيـه محمد اليونينى، والالزين بن عـبـد الدائم، وأبو الحجـاج ابن خليل، والـتقى البلدانـى، والشهـاب القوصى، وعبد العزيز بن عبد الجـبار القلانسى، والواعظ عثمان بن مكى الشارعى، وأحمد بن حامد الأرتاحى، وإسماعيل بن عـبد القوى بن عزون وأبو عيسى عبد الله ابن علاق الرزاز، وخلق آخرهم موتًا سعد الدين محمد بن مهلهل الجينى.

وروى عنه بالإجازة شيخنا أحمد بن أبى الخير الحداد.[2]

٧ - مُصَنَّفَاتُهُ

كتاب «الصحاح فى عيون الأحاديث الصحاح» مشتمل على أحاديث الصحيحين، فهو مستخرج عليها بأسانيده فى ثمانية وأربعين جزءًا.

كتاب «نهاية المراد» فى السنن، نحو مئتى جزء لم يبيضه.

كتاب «اليواقيتَ» مجلد.

كتاب «تحفة الطالبين فى الجهاد والمجاهدين»، مجلد.

كتاب «فضائل خير البرية»، أربعة أجزاء.

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٤، ٤٤٥). (٢) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٦).

كتاب «الروضة» مجلد.

كتاب «التهجد»، جزءان.

كتاب «الفرج»، جزءان.

كتاب «الصلات إلى الأموات»، جزءان.

«الصفات»، جزءان «محنة الإمام أحمد»، جزءان «ذم الرياء» جزء. «ذم الغيبة»، جزء. «الترغيب فى الدعاء»، جزء. «فضائل مكة»، أربعة أجزاء. «الأمر بالمعروف»، جزء. «فضل رمضان»، جزء. «فضل الصدقة»، جزء. «فضل عشر ذى الحجة» جزء «فضائل الحج» جزء «فضل رجب» «وفاة النبى ﷺ »، جزء «الأقسام التى أقسم بها النبى ﷺ » كتاب «الأربعين بسند واحد» «أربعين من كلام رب العالمين» كتاب «الأربعين» آخر كتاب «الأربعين» رابع، «اعتقاد الشافعى» جزء. كتاب «الحكايات» سبعة أجزاء «تحقيق مشكل الألفاظ» مجلدين. «الجامع الصغير فى الأحكام» لم يتم «ذكر القبور» جزء «الأحاديث والحكايات» كان يقرؤها للعامة مئة جزء «مناقب عمر بن عبد العزيز» جزء وعدة أجزاء فى «مناقب الصحابة» وأشياء كثيرة جداً ما تمت والجميع بأسانيده، بخطه المليح الشديد السرعة، و«أحكامه الكبرى» مجلد، و«الصغرى» مجيلد، كتاب «درر الأثر» مجلد، كتاب «السيرة» جزء كبير، و«الأدعية الصحيحة» جزء «تبيين الإصابة لأوهام حصلت لأبى نعيم فى معرفة الصحابة» جزءان تدل على براعته، وحفظه، كتاب «الكمال فى معرفة رجال الكتب الستة» فى أربعة أسفار، يروى فيه بأسانيده.[1]

٨ – وَفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال الضياء: سمعت أبا موسى يقول: مرض أبى فى ربيع الأول مرضاً شديدًا منعه من الكلام والقيام، واشتد ستة عشر يومًا، وكنت أسأله كثيراً: ما يشتهى؟

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٦– ٤٤٨).

فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله لا يزيد على ذلك، فجئته بماء حار، فمد يده فوضأته وقت الفجر، فقال: يا عبد الله، قم صلِّ بنا وخفف، فصليت بالجماعة، وصلى جالسًا، ثم جلست عند رأسه، فقال: اقرأ يس، فقرأتها، وجعل يدعو وأنا أُؤَمِّنُ، فقلت: هنا دواء تشربه، قال: يا بنى، ما بقى إلا الموت، فقلت: ما تشتهى شيئًا؟ قال: أشتهى النظر إلى وجه الله سبحانه. فقلت: ما أنت عنى راضٍ؟ قال: بلى، والله. فقلت: ما توصى بشيء؟ قال: ما لى على أحد شيء ولا لأحد علىّ شيء، قلت: توصينى؟ قال: أوصيك بتقوى الله، والمحافظة على طاعته، فجاء جماعة يعودونه، فسلموا فردَّ عليهم، وجعلوا يتحدثون، فقال: ما هذا اذكروا الله! قالوا: لا إلهَ إلا الله، فلما قاموا جعل يذكر الله بشفتيه، ويشير بعينيه، فقمت لأناول رجلاً كتاباً من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه -رحمه الله- وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ست وستمائة وبقى ليلة الثلاثاء فى المسجد، واجتمع الخلق من الغد فدفناه بالقرافة.(١)

قال الضياء: سمعت أحمد بن يونس المقدسى الأمين يقول: رأيت كأنى بمسجد الدير وفيه رجال عليهم ثياب بيض وقع فى نفسى أنهم ملائكة، فدخل الحافظ عبد الغنى، فقالوا بأجمعهم: نشهد بالله إنك من أهل اليمين مرتين أو ثلاثاً.(٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٦٧، ٤٦٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٦٨، ٤٦٩).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٥٥)

سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ وَبَائِعُ الْمُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ
الْعِـزُّ بْـنُ عَبْـدِ السَّـلَامِ

١ – اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَكُنْيَتُهُ وَلَقَبُهُ

اسْمُهُ: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم ابن حسن بن محمد ابن مُهَذَّب.

مَوْلِدُهُ: قيل: سنة سبع وسبعين وخمسمائة للهجرة. وقيل: سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، والأول أرجح، لأنه توفى عن ثلاث وثمانين سنة، وكانت وفاته بالاتفاق سنة ستين وستمائة. وكان مولده بدمشق باتفاق المصادر.

وكنيته: أبو محمد.

أما لَقَبُهُ: فهو عز الدين جريًا على عادة ذلك العصر الذى انتشر فيه الألقاب عامة للخلفاء والملوك والأمراء والعلماء، والنسبة إلى الدين خاصة تقرباً إلى دين الله تعالى، وحبًا له وانتماء إليه، وطمعاً فى فضله ورغبة فى خدمته واعتزازًا به، لمكانة الدين فى نفوس الناس، وعنايتهم به، فلقب الشيخ بعزالدين، ويختصر بالعزّ، وهى التسمية الشائعة فى الاستعمال عند الناس، وفى كتب التاريخ، والتراجم، والفقه، كما اشتهر بلقبه الثانى «سلطان العلماء» وقد لقبه به تلميذه الأول ابن دقيق العيد، ووجه هذه التسمية أنه أكد مكانة العلماء، ورفع ذكرهم فى عصره، وجسد ذلك فى مواقفه كما سنرى فى الإنكار على الحكام والسلاطين

والأمراء، لبعض تصرفاتهم المخالفة، وقارعـهم بالحجة والبيان فغلبهم، وكان على رأس العلماء فى هذا الموقف الصلب، مما عرضه لكثير من المتاعب.(١)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة (٦٦٥هـ) أحد تلامذة الشيخ:

«وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة، وأزال كثيرًا من البدع التى كان الخطباء يفعلونها: من دق السيف على المنبر، وغير ذلك، وأبطل صلاتى الرغائب ونصف شعبان ومنع منهما».(٢)

وقال عز الدين الحسينى: كان عَلَم عصره فى العلم، جامعًا لفنون متعددة، مضافًا إلى ما جُبل عليه من ترك التكلف، مع الصلابة فى الدين، وشهرته تغنى عن الإطناب فى وصفه.(٣)

وقال الذهبى عن العز: بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رياسة المذهب، مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصلابة فى الدين.(٤)

وقال تاج الدين السبكى: شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، ولم ير مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً فى الحق، وشجاعة، وقوة جنان، وسلاطة لسان.(٥)

وقال العلامة ابن كثير -رحمه الله-: شيخ المذهب، ومفيد أهله، وله مصنفات حسان، وبرع فى المذهب، وجمع علوماً كثيرة، وأفاد الطلبة، ودرس بعده

---

(١) باختصار من «العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك»، للدكتور محمد الزحيلى، سلسلة أعلام المسلمين (٤١، ٤٢)، ط. دار القلم بدمشق.

(٢) شذرات الذهب (٥/ ٣٠٢).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢١٤).

(٤) العبر فى خبر من غبر (٥/ ٢٦٠).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٠٩).

مدارس، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، وقصد بالفتاوى من الآفاق، وكان لطيفًا ظريفاً يستشهد بالأشعار.[١]

وقال العلامة جلال الدين السيوطى: الشيخ عز الدين أبو محمد شيخ الإسلام، سلطان العلماء، وأخذ الأصول، وسمع الحديث، وبرع فى الفقه والأصول والعربية، وقدم مصر فأقام بها أكثر من عشرين سنة، ناشرًا للعلم، آمراً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، يغلظ على الملوك فمن دونهم، وألقى التفسير بمصر دروسًا، وهو أول من فعل ذلك، وله من المصنفات، وله كرامات كثيرة، ثم كان فى آخر عمره لا يتقيد بالمذهب، بل اتسع نطاقه، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده.[٢]

وقال العلامة فخر الدين محمد بن شاكر الكتبى: «شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، الشيخ عز الدين، سمع وتفقه ودرس وأفتى وبرع فى المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، وله الفتاوى السديدة، وكان ناسكاً ورعاً أمَّارًا بالمعروف نهاءًا عن المنكر، لا يخاف فى الله لومة لائم.[٣]

وقال العلامة ابن دقيق العيد: كان ابن عبد السلام أحد سلاطين العلماء.[٤]

وقال العلامة جلال الدين الإسنوى: الشيخ عز الدين كان -رحمه الله- شيخ الإسلام علماً وعملاً وورعًا وزهداً وتصانيف، وتلاميذ، آمراً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، يهين الملوك فمن دونهم، ويغلظ القول، وكان فيه مع ذلك حسن محاضرة بالنوادر والأشعار.[٥]

وقال العلامة اليافعى اليمنى: سلطان العلماء، وفحل النجباء، المقدم فى عصره على سائر الأقران، بحر العلوم والمعارف، والمعظم فى البلدان، ذو التحقيق والإتقان

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٥).

(٢) حسن المحاضرة (١/ ٣١٤، ٣١٥)، عن أعلام المسلمين، ترجمة العز بن عبد السلام (١٩٨).

(٣) فوات الوفيات (١/ ٥٩٤، ٥٩٥) نقلاً عن السابق.

(٤) طبقات الشافعية (٨/ ٢١٤). (٥) طبقات الشافعية للإسنوى (٢/ ٨٤).

والعرفان والإيقان، وهو من الذين قيل فيهم علمهم أكثر من تصانيفهم، لا من الذين عبارتهم دون درايتهم، ومرتبته في العلوم الظاهرة مع السابقين في الرعيل الأول.[1]

٣ - زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال الداودى: كان كل أحد يضرب به المثل فى الزهد والعلم.[2]

فمن أمثلة زهده، أن الملك الأشرف لما اعتذر إليه عما حدث بينهما، وقال: نحن نستغفر الله مما جرى، ونستدرك الفارط فى حقه، وقال: والله لأجعلنه أغنى العلماء. لم ينتهز العز هذه الفرصة ليصير أغنى العلماء، ولم يقبل منه درهماً.[3]

ولما أرسل إليه السلطان موسى بن الملك العادل أبى بكر فى مرض وفاته، وطلب منه أن ينصحه وأن يجعله فى حل مما كان منه، فقال: أما محاللتك فإنى كل ليلة أحالل الخلق، وأبيت وليس لى عند أحد مظلمة، وأرى أن يكون أجرى على الله، ولا يكون على الناس؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، وأن يكون أجرى على الله ولا يكون على خلقه أحبّ إلىّ، وأما دعائى للسلطان، فإنى أدعو له فى كثير من الأحيان، لما فى صلاحه من صلاح المسلمين والإسلام، والله تعالى يبصر السلطان فيما يبيض به وجهه عنده يوم يلقاه، وأما وصيتى ونصيحتى للسلطان، فقد وجبت وتعينت، لقبوله وتقاضيه، وكان قبيل مرضه قد وقع بينه وبين أخيه السلطان (الملك) الكامل واقع ووحشة، وأمر، وهو فى ذلك المرض بنصب دهليزه إلى صوب مصر، وضرب منزلة تسمى الكسوة، وكان فى ذلك الزمان قد ظهر التتار بالشرق.

فقال الشيخ للسلطان الملك الكامل: أخوك الكبير، ورحمك، وأنت مشهور بالفتوحات، والنصر على الأعداء، والتتار قد خاضوا بلاد المسلمين، تترك ضرب دهليزك إلى أعداء الله وأعداء المسلمين وتضربه إلى جهة أخيك، فينقل السلطان

---

(١) مرآة الجنان (٤/١٥٣)، نقلاً عن أعلام المسلمين، للدكتور محمد الزحيلى (١٩٦، ١٩٧).
(٢) طبقات المفسرين (١/ ٣١٢). (٣) أعلام المسلمين العز بن عبد السلام (١٠٦).

دهليزه إلى جهة التتار، لا تقطع رحمك فى هذه الحالة، وتنوى مع الله نصر دينه وإعزاز كلمته، فإنْ منَّ الله بعافية السلطان رجونا من الله إدالته على الكفار، وكانت فى ميزانه هذه الحسنة العظيمة؛ فإن قضى الله تعالى بانتقاله إليه كان السلطان فى خفارة نيته.

فقال له: جزاك الله خيراً عن إرشادك ونصيحتك، وأمر والشيخ حاضر فى الوقت بنقل دهليزه إلى الشرق إلى منزلة يقال لها: القصير فنقل فى ذلك اليوم، ثم قال له: زدنى من نصائحك ووصياك.

فقال له: السلطان فى مثل هذا المرض، وهو على خطر، ونوابه يبيحون فروج النساء، ويدمنون الخمور، ويرتكبون الفجور، ويتنوعون فى تمكيس المسلمين، ومن أفضل ما نلقى الله به أن تتقدم بإبطال هذه القاذورات، وبإبطال كل مكس، ودفع كل مظلمة، فتقدم رحمه الله للوقت بإبطال ذلك كله.

وقال له: جزاك الله عن دينك وعن نصائحك وعن المسلمين خيرًا، وجمع بينى وبينك فى الجنة بمنه وكرمه، وأطلق له ألف دينار مصرية، فردها عليه، وقال: هذه اجتماعية لله لا أكدرها بشيء من الدنيا.[1]

ولما استقال العز من القضاء عند فتواه ببيع الأمراء، ورفض السلطان لذلك خرج من القاهرة، وكل أمتعته فى الحياة مع أسرته حمل حمار واحد، مما يدل على قناعته بالقليل، وزهده فى المال والمتاع.[2]

أما ورَعُهُ: فقد قال الدكتور محمد الزحيلى: واتفقت كلمة معاصرى العز وتلاميذه ومن بعدهم من العلماء والمصنفين اتفقوا على وصف العز بهده الصفة، وأنه كان ورعًا نقيًا بل شديد الورع بالالتزام بالحلال، والبعد عن الحرام، واجتناب الشبهات فى أعماله وتصرفاته، فى مناصبه ومواقفه، وفى كسبه ورزقه وإنفاقه، وفى عباداته ومعاملاته، ومما يدل على ورعه كثير من التصرفات، ومنها: ما ذكرناه سابقًا فى قصة

---

(١) طبقات الحنابلة (٨/ ٢٤٠، ٢٤١). (٢) أعلام المسلمين (العز بن عبد السلام) (١٠٧).

طلبه للعلم، ونومه في الكلاسة واغتساله في ليلة باردة ثلاث مرات، ليحافظ على الطهارة، ويؤدى قيام الليل وصلاة الفجر جماعة في المسجد، ومنها وقوفه عند أحكام الشرع في نفسه، وكسبه، وإنفاقه، وفي وظائفه وأعماله، وفي مواقفه وزهده.[١]

٤ - كَرَمُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال ابن السبكي: وحكي قاضي القضاة بدر بن جماعة -رحمه الله- أن الشيخ لما كان بدمشق وقع مرة غلاء كبير حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل، فأعطته زوجته مصاغاً لها، وقالت: اشتر لنا به بستاناً نصيف فيه، فأخذ ذلك المصاغ وباعه، وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدى، اشتريت لنا؟ قال: نعم، بستانًا في الجنة إني وجدت الناس في شدة فتصدقت بثمنه. فقالت له: جزاك الله خيرًا .

وحكى أنه كان -مع فقره- كثير الصدقات، وأنه ربما قطع من عمامته وأعطى فقيرًا، إذا لم يجد معه غير عمامته.[٢]

٥ - قُوَّتُهُ فِي الحَقِّ وَمَوَاقِفُهُ فِي الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ

مواقفه -رحمه الله- في الجهر بكلمة الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كثيرة شهيرة.

نذكر شيئًا منها لبركتها، وحسن عائدتها، وعظيم فائدتها. فمن ذلك ما ذكره ابن السبكي عن والده أنه سمع شيخه الباجي (تلميذ العز) يقول:

طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان (نجم الدين أيوب) في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدى السلطان. فالتفت الشيخ إلى السلطان

---

(١) أعلام المسلمين (العز بن عبد السلام) (١٠٥).

(٢) طبقات الشافعية (٨/ ٢١٤).

وناداه: يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ قال: نعم، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة، ينادى كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال: يا سيدى، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبى، فقال: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (الزخرف: ٢٢)، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.(١)

قال الباجى: «سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع الخبر: يا سيدى كيف الحال؟ فقال: يا بنى، رأيته فى تلك العظمة، فأردت أن أهينه، لئلا تكبر نفسه فتؤذيه، فقلت: يا سيدى، أما خفته؟ فقال: والله يا بنى، استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان قدامى كالقط.(١)

ولما أراد الظاهر بيبرس أن يستلم السلطة والحكم استدعى الأمراء والعلماء، لمبايعته، وكان بينهم الشيخ العز الذى فاجأ الظاهر بيبرس بكل جرأة وشجاعة، وقال له: يا ركن الدين، أنا أعرفك مملوك البندقار -أى لا يصح مبايعة المملوك فى استلام السلطة- فأحضر بيبرس مما يثبت أن البندقار قد وهبه للملك الصالح أيوب، وأن الصالح أيوب قد أعتقه، وهنا تقدم الشيخ العز وبايعه على الملك، ليكون من أعظم ملوك العالم فى هزيمة الصليبيين ومطاردة التتار.(٢)

ومِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ بَيْعِهِ لِلأُمَرَاءِ:

قال ابن السبكى: وهم جماعة ذكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم منه، واحتزم الأمر والشيخ مصمم لا يصح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحًا، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان فى جملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضباً، فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلسًا وينادى عليكم لبيت مال

(١) طبقات المفسرين (١/ ٣١١).   (٢) أعلام المسلمين (العز بن عبد السلام) (١١٤).

المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعى، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة حاصلها الإنكار على الشيخ فى دخوله فى هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ، وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمار آخر، ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة قاصداً نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبى ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف لاسيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه، ولحقه واسترضاه وطيب قلبه فرجع، واتفقوا معهم على أن ينادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج النائب، وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنه بسيفى هذا، فركب بنفسه فى جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول فى يده، فطرق الباب فخرج ولد الشيخ أظنه عبد اللطيف فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث لذلك ولا تغير، وقال: يا ولدى أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها وارعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له. وقال: يا سيدى، خبر أيش تعمل؟

قال: أنادى عليكم، وأبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: فى مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتم له ما أراد، ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى فى ثمنهم وقبضه، وصرفه فى وجوه الخير، وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد -رحمه الله تعالى ورضى عنه-. (١)

ومن ذلك موقفه مع كبير أمناء الملك وابن شيخ الشيوخ وقائد الجيش:

قال ابن السبكى: استمر الشيخ عز الدين بدمشق إلى أثناء أيام الصالح إسماعيل المعروف بأبى الخيش، فاستعان أبو الخيش بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢١٦، ٢١٧).

الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين، وترك الدعاء له فى الخطبة، وساعده فى ذلك أبو عمرو ابن الحاجب الملكى، فغضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية فى حدود سنة تسع وثلاثين وستمائة، فلما مر الشيخ عز الدين بالكرك تلقاه صاحبها، وسأله الإقامة عنده فقال له: بلدك صغير على علمى، ثم توجه إلى القاهرة فتلقاه صاحبها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وأكرمه وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر والقضاء بها وبالوجه القبلى مدة، فاتفق أن أستاذ داره فخر الدين، عثمان ابن شيخ الشيوخ، وهو الذى كان إليه أمر المملكة عمد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره بناء لطبل خانات، وبقيت تضرب هنالك فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين حكم بهدم ذلك البناء وأسقط فخر الدين ابن الشيخ، وعزل نفسه عن القضاء، ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان، ولكنه لم يعده إلى الولاية، وظن فخر الدين وغيره أن هذا الحكم لا يتاثر به فخر الدين فى الخارج فاتفق أن جهز السلطان الملك الصالح رسولاً من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد، فلما وصل الرسول إلى الديوان ووقف بين يدى الخليفة، وأدى الرسالة خرج إليه وسأله: هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا، ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين ابن شيخ الشيوخ أستاذ داره. فقال الخليفة: إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته، فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة، ثم عاد إلى بغداد وأداها.[1]

ومن ذلك ما حدث بينه وبين الملك الصالح إسماعيل، وقد تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين، فأنكر عليه العز، وعزله عن الخطابة والإفتاء، وأمر باعتقاله، ثم أراد مساومته، فأرسل إليه بعض خواصة بمنديله، وقال له تدفع منديلى إلى الشيخ وتتلطف به غاية التلطف، وتستنزله وتعده بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك فتدخل به علىَّ، وإن خالفك فاعتقله فى خيمة إلى جانب خيمتى.

---

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢١٠، ٢١١).

فلما اجتمع الرسول بالشيخ، شرع فى مسايسته وملاينته، ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان، وتقبّل يده لا غير.

فقال له: يا مسكين ما أرضاه أن يقبّل يدى فضلاً أن أقبل يده، يا قوم، أنتم فى وادٍ وأنا فى وادٍ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به.

فقال له: قد رسم لى إن لم توافق على ما يطلب منك وإلا اعتقلتك. فقال: افعلوا ما بدا لكم، فأخذه واعتقله فى خيمة إلى جانب خيمة السلطان.

وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه. فقال يوماً لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذى يقرأ القرآن، قالوا: نعم، قال: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره علىَّ تسليمى لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ثم أخرجته، فجاء إلى القدس، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم، فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها.(1)

٦- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ: قال ابن السبكى: تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدى وغيره، وسمع الحديث من الحافظ أبى محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبى القاسم ابن عساكر، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبى سعد البغدادى، وعمر بن محمد بن طَبَرزَد، وحنبل بن عبد الله الرصاف، والقاضى عبد الصمد بن محمد الحرستانى وغيرهم، وحضر على بركات بن إبراهيم الخشوعى.(2)

تلامذَتهُ: قالَ ابن السبكى: روى عنه تلامذته ابن دقيق العيد، وهو الذى لقب الشيخ عز الدين سلطان العلماء، والإمام علاء الدين أبو الحسن الباجى، والشيخ تاج الدين بن الفيركاح، والحافظ أبو محمد الدِّمياطى، والحافظ أبو بكر محمد بن

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢٤٣، ٢٤٤)، بتصرف.
(٢) طبقات الشافعية (٨/ ٢٠٩).

يوسف بن مَسْدِى، والعلامة أحمد أبو العباس الدِّشناوى، والعلامة أبو محمد هبة الله القفطى وغيرهم.(١)

٧ – مُصَنَّفَاتُهُ

من تصانيف عز الدين: القواعد الكبرى، وكتاب «مجاز القرآن» وهذان الكتابان شاهدان بإمامته وعظيم منزلته فى علوم الشريعة، واختصر القواعد الكبرى فى «قواعد صغرى» والمجاز فى آخر.

وله كتاب «شجرة المعارف» حسن جداً.

وكتاب «الدلائل المتعلقة بالملائكة والنبيين -عليهم السلام والخلق أجمعين»، بديع جداً.

و«التفسير»، مجلد مختصر. و«الغاية فى اختصار النهاية» دلت على قدره.

و«مختصر صحيح مسلم».

و«مختصر رعاية المحاسبى».

و«الإمام فى أدلة الأحكام».

و«بيان أحوال الناس يوم القيامة».

و«بداية السول فى تفضيل الرسول ﷺ».

و«الفرق بين الإيمان والإسلام».

و«فوائد البلوى والمحن».

و«الجمع بين الحاوى والنهاية» وما أظنه كمل.

و«الفتاوى الموصلية».

و«الفتاوى المصرية» مجموع مشتمل على فنون من المسائل والفوائد.(٢)

---

(١) طبقات الشافعية (٨/ ٢٠٩، ٢١٠). (٢) طبقات الشافعية (٨/ ٢٤٧، ٢٤٨).

٨ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

توفى الشيخ العز -رحمه الله- تعالى فى جمادى الأولى سنة ٦٦٠هـ ١٢٦٢م باتفاق المؤرخين، وحكى أن شخصًا جاء إليه وقال له: رأيتك فى النوم تنشد:

وكنتُ كذى رجلين: رجل صحيحة، ورجل رمى فيها الزمان فشُلَّت.

فسكت ساعة ثم قال: أعيش من العمر ثلاثاً وثمانين سنة، فإن هذا الشعر لكثير عزة ولا نسبة بينى وبينه غير السن، أنا سنى وهو شيعى، وأنا لست بقصير وهو قصير، ولست بشاعر وهو شاعر، وأنا سلمى وليس هو بسلمى، لكنه عاش هذا القدر. قلت «ابن السبكى» فكان الأمر كما قال:

وقال الحافظ الدمياطى، وتوفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى، واشتهرت وفاته فى اليوم العاشر؛ لأنه دفن فيه قبيل الظهر فى آخر القرافة بسفح المقطم من ناحية البركة، وكان يوم دفنه مشهودًا، وحضر جنازته الخاص والعام من أهل مصر والقاهرة، وشارك فى الجنازة خلائق لا تحصى، وصلى عليه ملك مصر والشام الظاهر بيبرس. وقد تأثر الظاهر بيبرس على وفاة العز، وتأسف على موته أثناء دولته، فقال: لا إله إلا الله ما اتفقت وفاة الشيخ إلا فى دولتى، وشيع أمراءه وخاصته وأجناده لتشييع جنازته، وحمل نعشه، وحضر دفنه.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأدخلنا وإياه جنَّة عالية، قطوفها دانية.[1]

---

(١) أعلام المسلمين (١٩٢، ١٩٤) باختصار.

مِـنْ أَعْـلامِ السَّـلَـفِ

(٥٦)

الإِمَــامُ النَّـوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

إمامنا النووى من أوفر العلماء نصـيبًا من هذه المحبة ومن ثناء الخلق، والدارس لترجـمته -رحمـه الله- يرى فيه من الزهد، والـورع، والحرص على طلب العلم النافع، والعمل الصالح، والقوة فى الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والخشية والمحـبة لله -عز وجل- ولرسوله ﷺ ما يبين سـرَّ هذه المحبة التى تملأ قلوب الخلق.

لقد فاق الإمام النووى علماء عـصره، ومن المرجح أنه -رحمه الله- مات ولم يتـعدَّ الخـامسـة والأربعين عـامًا، وترك من الآثار الـعلميـة والتقـريرات والكتب المحررات ما فاق به علماء عصره وأئمة دهره.

فهذه ترجمة الإمام النووى أهديها إلى إخواننا من طلاب العلم لعلها تكون سببًا فى شحذ هممهم فى طلب العلم، والزهد فى أعراض الدنيا الفانية، أو الرغبة فى الآخرة الباقية، لقد تزوج شيخنا النووى كتب العلم النافع، ورضى بسكنى الأربطة المعدة للطلاب، وقنع بالكعك والتين، حتى يوفر وقته وجهده لخدمة المسلمين، وكان يلبس المرقع من الثيـاب ولا يبالى بزينة الدنيا طلبًا لرضى الملـك الوهاب، فما نال من الدنيا شيئاً من زينتها وشهواتهـا، ولم تنل منه الدنيا شيئًا، فكانت حياته كلها لله -عز وجل- حتى فارق الدنيا، وهو فى طلب العلم، والعبادة، والزهادة والتصنيف، والإفادة، فرحمه الله رحمة واسعة وأدخلنا وإياه جنة عالية، قطوفها دانية.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

١ - اسْمُـهُ وَكُنْيَتُهُ وَلَقَبُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

اسمُهُ: يحيى بن شرف بن مُـرِى بن حسن بن حسين بن محمـد بن جـمعة بن حزام الحزام الحورانى الدمشقى الشافعى.

كنيَتُهُ: أبو زكريا، وهى كنية علـى غير قياس، وقد اسـتحب ذلك أهل العلـم كما قال النووى -رحمه الله- فى المجموع:

«ويستـحـب تكنيـة أهل الفضل من الرجـال والنساء سواءٌ كـان له ولد أم لا، وسواء كنى بولده أو بغيـره، وسـواء كنى الرجل بأبى فلان أو بأبى فـلانة، وسواء كنيت المرأة بأم فلان أو أم فلانة».

وإنما كنى بأبى زكريا، لأن اسـمه يحيى، والعرب تكنى من كـان كذلك بأبى زكريا التفاتًا إلى نبى الله يحيى وأبيه زكريا -عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-، كمـا تكنى من كان اسمه يوسف بأبى يعقـوب ومن اسمه إبراهيم بأبى إسحاق، ومن اسمـه عمر بأبى حفص على غير قـياس، لأن يحيى ويوسف مولودان لا والدان، ولكنه أسلوب عربى مسموع.

لَقَبُهُ: محيى الدين، وقد كان -رحمه الله- ، يكره أن يلقب به.

قال اللخمى: وصح عنه أنه قال: لا أجـعل فى حلٍّ من لقبنى محيى الدين، وذلك منه على ما نشأ عليه من التواضع، وإلا فـهو جدير به لما أحيا الله به من سنن وأمـات به من بدع، وأقـام به من مـعـروف، ودفع به من منكـر، وما نفـع الله به المسلمـين من مؤلفات، ولكن يأبى الله إلا أن يظهر هذا اللقب له عرفانًا وإشارة بذكره، وفى الحديث عن النبى ﷺ من رواية أبى هريرة رضي الله عنه: **«وَمَا تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»**.(١)

مَوْلِدُه: اتفق المؤرخون على تحديد شـهر محرم من عام واحد وثلاثين وسـتمائة للهجرة لزمن ولادته.

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٤١) البر، والترمـذي (٤/ ٣٧٦) البر، وأحمد في المسند، (٢/ ٣٨٦)، والدارمي (١/ ٣٩٦) الزكاة.

صِفَتُهُ: قال الذهبى: كان أسمر، كث اللحية، ربعة، مهيبًا، قليل الضحك، عديم اللعب، بل جدّ صرف، يقول الحق وإن كان مرًا، لا يخاف فى الله لومة لائم. ووصفه الذهبى أيضًا بأن لحيته سوداء فيها شعرات بيضٌ وعليه هيئة وسكينة.

وأما بزته: فقال الذهبى فى «تاريخ الإسلام»: وكان فى ملبسه مثل آحاد الفقهاء من الحوارنة، لا يؤبه له، عليه شبختانية صغيرة.

وقال فى «التذكرة»: وكان يلبس الثياب الرثة، ولا يدخل الحمام، وكانت أمه ترسل له القميص ونحوه ليلبسه.(١)

٢- نَشْأَتُـهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَطَلَبُهُ للْعِلْمِ

ما كاد النووى -رحمه الله- يبلغ سنَ التمييز إلا وعناية الله ترعاه، لتؤهله لخدمة هذا الشرع المطهر المنيف، فبينما هو فى عامه السابع من العمر إذ هو نائم ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان بجوار والده -كما حكاه ابن العطار عن والده- إذ يكشف له سر من أسرار الله تعالى فى شهر رمضان المبارك، أخفى إدراكه على كثير من خلقه.

ألا وهى ليلة القدر، فانتبه من سباته نحو نصف الليل وإذا بدارهم ممتلئة نورًا فتعجب منه لما يعهده من الظلام الحالك فى هذه الليلة، ولم يكن يدرك لصغر سنه أن هذه الليلة مباركة، وهى أرجى ليالى القدر كما ذهب إليه الجمهور، فأيقظ أباه ليستفسره عن هذا الأمر العجيب الذى رآه على خلاف المعتاد قائلاً: يا أبت ما هذا الضوء الذى قد ملأ الدار؟ فاستيقظ أهله أجمعون فلم يروا شيئاً من ذلك، غير أن والده عرف أنها ليلة القدر، ولعل الله تعالى كشف هذه الليلة له ليكون سببًا لإحياء أبويه وأسرته لها بالعبادة والتضرع، فلعل دعوة صالحة متقبلة تصيبه فتكون سبباً لسعادته فى الدنيا والآخرة، وقد كان ذلك بتوفيق الله تعالى فشعر أبوه بأن لولده هذا شأنًا فى المستقبل، فطفق يغرس فى فؤاده منبع كل خير وفضيلة، ألا

---

(١) الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين (١٨٥، ١٨٦)، لعبد الغنى الدقر، ط. دار القلم.

وهو القرآن الكريم فذهب به إلى معلم الصبيان، فكان يتلقاه خير تلقٍ بأذن صاغية وقلب واعٍ، وما لبث أن شغف بالقرآن حتى لا يحب أن يصرف عن الاشتغال به لحظة واحدة ولم يلهه جماح الصبا ولا مرح الطفولة عن تلاوته، بل لقد كان يكره كل ما يشغله عن القرآن، فحدث ذات يوم أن الصبيان أكرهوه على اللعب معهم، فحاول الفرار من أيديهم، وهو يبكى لإكراههم على اللعب معهم، ولم يثنه ذلك الحال عن قراءة القرآن، وإذا بشيخ ظاهر الصلاح يشاهد ذلك الحال منه فيمتلئ قلبه محبة له، لتفرده عن أقرانه بهذا السلوك الفذ، وهو إذ ذاك لم يتجاوز العاشرة من العمر؛ أى السن الذى يكون الطفل فيه لا يطمح لشىء أكثر من طموحه للعب والترح، وحدث أن جعله أبوه وهو فى هذه السن فى دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فتفرس هذا الشيخ من سلوكه هذا بأنه سيكون له شأن صالح إن كان له فسحة فى الأجل، فذهب إلى معلمه ووصاه به قائلاً له: إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به، فسأله المعلم: أمنجم أنت؟ فأجاب الشيخ: لا ولكن الله أنطقنى بذلك.(١)

وقال صاحب الطبقات الوسطى: فلما كان ابن تسع عشرة سنة قدم به والده إلى دمشق، فسكن بالمدرسة الرَّواحية، وحفظ التنبيه، فى نحو أربعة أشهر ونصف، وحفظ ربع «المهذب» ولازم الشيخ كمال الدين إسحاق بن أحمد المغربى، ثم حجَّ مع والده ثم عاد، وكان يقرأ كل يوم اثنى عشر درسًا على المشايخ، شرحًا وتصحيحًا، فقهًا وحديثًا، وأصولاً ونحوًا ولغة، إلى أن برع وبارك الله له فى العمر اليسير ووهبه العلم الكثير.(٢)

٣ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال تلميذه ابن العطار: شيخى وقدوتى الإمام ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، وحيد دهره وفريد عصره، الصوام القوام، الزاهد فى الدنيا، الراغب فى

(١) باختصار من «الإمام النووى، وأثره في الحديث وعلومه»، (٢٥، ٢٦).
(٢) نقلاً عن هامش الطبقات الكبرى (٨/ ٣٩٧).

الآخرة، صاحب الأخلاق الرَّضيَّة، والمحاسن السنية، العالم الربانى المتفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته فى أقواله وأفعاله وحالاته، له الكرامات الشامخـة والمكرمات الواضحة، والمؤثر بنفسـه وماله للمسلمين، القائم بحـقوقهم وحقـوق ولاة أمورهم بالنصح والدعـاء فى العالمين مـع ما هو عليه مـن المجاهدة لنفسه، والعـمل بدقائق الفقه والاجـتهاد عن الخروج من خلاف الـعلماء ولو كان بعيدًا والمراقبة لأعمال القلوب وتصفـيتها من الشوائب، يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة، وكان محققًا فى علمه وكل شؤونه، حافظًا لحديث رسول الله ﷺ، عارفاً بأنواعه كلها من صحيحه وسقيمه وغريب ألفاظه، وصحيح معانيه واستنباط فقـهه، حـافظاً لمذهب الشافـعى وقواعده وأصـوله وفروعـه، ومذاهب الصـحابة والتابعين، واخـتلاف العلماء ووفاقهم، وإجـماعهم وما اشتهـر من جميع ذلك، سالكًا فى كل ذلك طريق السلف، قد صرف أوقاته كلها فى أنواع العمل، فبعضها للتصنيف، وبعضهـا للتعليم وبعضها للصلاة، وبعضهـا للتلاوة والتدبر والذكر لله تعالى، وبعضها للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.(١)

وقال الشـيخ قطب الدين موسى اليونينى الحنبلى: المحـدث الزاهد العابد الورع المفتخر فى العلوم، صاحب التصانيف المفـيدة، كان أوحد زمانه فى الورع والعبادة والتقلل من الدنيـا والإكباب على الإفادة والـتصنيف مع شدة التواضع، وخـشونة الملبس والمأكل، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.(٢)

وقال الكمال جعفر الإدفوى: إنه صنف تصـانيف مفيدة حصل النفع بها، ودارت عليه الفتوى بدمشق.

قال: ومـآثره عزيزة، ومضى على جمـيل وسداد. قال: وكان فـقده من أعظم المصائب، وعدمه بـلية رمت العباد بسهم من البلاء صـائب، -رحـمه الله- ونفعنا ببركته، وحشرنا معه فى آخرته فى دار كرامته.(٣)

---

(١) ترجمة السخاوي (١١٧-١١٨). (٢) ذيل مرآة الزمان (٣/ ٢٨٣).

(٣) السخاوي (٥٨).

وقال الحافظ الذهبى: الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الربانى، شيخ الإسلام، حسنة الأنام، محيى الدين، صاحب التصانيف التى سارت بها الركبان واشتهرت بأقصى البلدان.

إلى أن قال: لازم الاشتغال والتصنيف محتسباً فى ذلك مبتغيًا وجه الله تعالى مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد. وحفظ الجوارح، وذم النفس والصبر على العيش الخشن ملازمة كلية لا مزيد عليها.

قال: وكان مع ملازمته التامة للعلم ومواظبته لدقائق العمل، وتزكية النفس من شوائب الهوى وسيء الأخلاق، ومحقها من أغراضها، عارفًا بالحديث قائمًا على أكثر متونه عارفًا برجاله رأساً فى نقل المذهب، متضلعًا من علوم الإسلام.(١)

وقال اليافعى: شيخ الإسلام، مفتى الأنام، المحدث المتقن المدقق النجيب الحبر المفيد القريب(٢) والبعيد، محرر المذهب وضابطه ومرتبه، أحد العباد الورعين الزهاد، العالم العامل، المحقق الفاضل، الولى الكبير، السيد الشهير، ذو المحاسن العديدة والسير الحميدة والتصانيف المفيدة، الذى فاق جميع الأقران، وسارت بمحاسنه الركبان، واشتهرت فضائله فى سائر البلدان، وشوهدت له الكرامات وارتقى فى أعلى المقامات، ناصر السنة، ومعتمد الفتاوى، ذو الورع الذى لم يبلغنا مثله عن أحد فى زمانه ولا قبله.

قال: ولقد بلغنى أنه كان يجرى دمعه فى الليل ويقول:

لَئِنْ كَانَ هَذَا الدَّمْعُ يَجْرِى صَبَابَةً ... عَلَى غَيْرِ لَيْلَى فَهْوَ دمْعٌ مضَيَّعُ

قال: وقد رأيت له مقامات تدل على عظم شأنه، ودوام ذكره لله تعالى وحضوره، وشدة هيبته، وتعظيم وعده ووعيده.(٣)

وقال الحافظ ابن كثير: الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ المذهب، وكبير

(١) السخاوي (٥٨).

(٢) كذا ولعله للقريب.

(٣) مرآة الجنان (٤/ ١٨٢).

الفقهـاء فى زمانه، ومن حاز قصب السبق دونه أقرانه، وكـان من الزهادة والعبادة والتحـرى والورع والامتنان على الناس، والتخلى لطلب الـعلم، والتحلى به على جانب لا يقدر عليه غيره، ولا يضيع شيئًا من أوقاته.(١)

وقال التاج السبكى -رحمه الله-:

كان يحيى -رحمه الله- سيـدًا وحصورًا، وليثًا على النفس هصورًا، وزاهدًا لم يبال بخـراب الدنيا إذا صَيَّر دينه ربعًا معموراً، له الزهد والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجمـاعة، والمصـابرة على أنواع الخير، لا يصـرف ساعة فى غـير طاعة هذا مع التـفنن فى أصناف العلوم فـقـهاً، ومتون أحـاديث وأسـماء رجال، ولغة، وتصوفًا، وغير ذلك.(٢)

٤ - أَسْبَـابُ نُبُوغِـهِ وَتَقَـدّمِــهِ

قال الأستاذ أحمد عبد العـزيز قاسم: من المستحسن أن يفصل القول فى تكوين هذه الشخصية الفذة، وبعد استيعاب ترجمته رأيت أن العوامل التى كونتها تنحصر فى نوعين:

النوع الأول: عوامل عادية تجرى على أمثاله من طلاب العلم غير أنها تختلف من شخص لآخر من حيث التطبيق كاختلافهم فى المقاصد والغايات. وهى:

١- رحلته لطلب العلم.

٢- حلوله بالمدرسة الرواحية.

٣- اجتهاده فى طلب العلم.

٤- كثرة دروسه وسماعاته.

٥- قوة حفظه وكثرة مطالعاته.

٦- جلالة شيوخه وعنايتهم به.

---

(١) السخاوي (٦١).

(٢) طبقات الشافعـية الكبرى لتاج السبكى، بتحقيق عبد الفـتاح الحلو ومحمود الطناحى (٨/ ٣٩٥) ط. دار إحياء الكتب العربية.

٧- توفر الكتب لديه.

٨- اشتغاله بالتدريس.

أما النوع الثاني: فهي عوامل غير عادية، وإنما هي مواهب من الله تعالى لمن أراد له من عباده كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة:٢٦٩)، ولكن رهن إيتاء الحكمة بتقوى الله مراقبته، حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة:٢٨٢).

ثم فصل هذين النوعين[١]، وقد تركنا نقله لطوله ولما قصدناه من الاختصار، ومن طريف ما ينقل ما اعتذر به الحافظ السبكى عندما طُلب منه إكمال المجموع فقال -رحمه الله-:

«وقد يكون تعرضى لذلك مع قصورى عن مقام هذا الشرح إساءة إليه وجناية منى عليه».

قال: وأنَّى أنهض بما نهض به، وقد أسعف بالتأييد وساعدته المقادير، فقربت منه كل بعيد، قال: ولاشك أن ذلك يحتاج بعد الأهلية إلى ثلاثة أشياء:

أحدها: فراغ البال، وإتساع الزمان، وكان -رحمه الله- قد أوتى من ذلك الحظ الأوفى بحيث لم يكن له شاغل عن ذلك من تعيُّش ولا أهل.

الثانى: جمع الكتب التى يستعان بها على النظر والاطلاع على كلام العلماء، وكان -رحمه الله- قد حصل له من ذلك حظٌ وافر، لسهولة ذلك فى بلده فى ذلك الوقت.

الثالث: حسن النية، وكثرة الورع والزهد والأعمال الصالحة التى أشرقت أنوارها.

وكان -رحمه الله- قد اكتال من ذلك بالمكيال الأوفى، قال: فمن تكون اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث، أنَّى يضاهيه أو يدانيه من ليست فيه واحدة منها؟[٢]

ثم دفع السبكى لإتمامه كمال رغبته فى أن يعود عليه بركة صاحبه وما أتمه كذلك حتى أكمله المطيعى -رحمة الله على الجميع-.

---

(١) الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه (٢٨، ٢٩).

(٢) تكلمة المجموع للسبكى (٣/١٠).

٥ - زُهْـدُهُ وَوَرَعُـهُ وَعِبَادَتُـهُ - رَحِمَـهُ اللَّـهُ-

والزهد هو الرغبة عن الشىء لاستقلاله واستحقاره والرغبة فيما هو خير منه، وإنما ينشأ الزهد من اليقين بالآخرة ومعرفة قدر التفاوت بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى من الدنيا، ولم يكن إمامنا النووى -رحمه الله- ليغتر بالدنيا وزخارفها وزينتها، وإنما جعل حظه منها، كزاد الراكب أسوة بالنبى ﷺ فى قوله ﷺ: «مَا لِى وَلِلدّنْيَا إِنمَا أَنَا كَرَاكِبٍ قَالَ فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».(١)

وقد رضى الإمام النووى بأقل ما يبلغه من مأكل ومشرب وملبس، فكان يأكل الكعك والتين الحورانى الذى يرسله به أبوه، لأنه لا يتكلف وقتًا فى الطبخ أو الأكل، فكان هذا غالب مطعمه -رحمه الله-، ورضى بلبس المرقع من الثياب وسكنى الأربطة المعدة لطلاب العلم، بحيث إنه كان إذا زاره زائر أوسع له من أمكنة الكتب بوضع بعضها على بعض حتى يوفر للزائر مكانًا، ولم يدخل الحمام كما ورد عنه، وهى حمامات عامة يسخن فيها الماء، وترك أكل الفاكهة كما سيأتى فى بيان ورعه -رحمه الله-، فأى زهد يدانى هذا الزهد أو يقاربه، لم يسع لتزوج امرأة حسناء، أو تملك أمة يتسرى بها، بل كانت حياته كلها بذل للنصيحة وطلب للعلم، وتعليم له وتصنيف وعبادة وزهادة، والزهد فى النفس هو غاية الزهد، وقد كان الإمام النووى -رحمه الله- يعرض نفسه للتلف فى نصح الحكام، وقد قال فى رسالته التى وجهها لابن النجار: «وأنا بحمد الله تعالى ممن يود القتل فى طاعة الله تعالى».

وقال اليونينى: والذى أظهره وقدمه على أقرانه ومن هو أفقه منه، كثرة زهده فى الدنيا، وعظم ديانته وورعه.

أما ورعه -رحمه الله-: والورع هو الكف عن المحرمات واجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع فى المحرمات، وترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

(١) رواه الترمذى (٥٨٨/٤)، وقال حسن صحيح، وابن ماجه (١٣٧٦)، وأحمد (٣٩١/١، ٤٤١)، من حديث ابن مسعود.

وقد كان الورع ظاهرًا جدًا فى حياة الإمام النووى، فـقد وصفه السبكى بقوله: ما اجـتمع بعد التابعين المجموع الذى اجتمع فى النووى، ولا التيسير الذى تيسر له، وما ذاك إلا لما كان عليه من الورع الثخين، الذى خرب به دنياه وجعل دينه معمورًا.

ووصف ابن كثـير -رحمه الله- ورعـه بقوله فى معرض الثناء عليـه: والتورع الذى لم يبلغنا عن أحدٍ فى زمانه ولا قبله بدهر طويل.(١)

فلقد كـان من ورعه أنه لا يأكل من فاكـهة دمشق بحجـة أنها كثيـرة الأوقاف والأملاك لمن هو تحت الحجر شرعًا، ولا يجوز التصرف فى ذلك على وجه الغبطة والمصلحة، ثـم المعاملة فيـها على وجـه المساقاة وفيها اخـتلاف بين العلماء، قال: فكيف تطيب نفسى بأكل ذلك.

قال السيوطى -رحـمه الله-: لقد أتعب نفسه وأرضى ربه وضمـيره، وإلا فقد كـان يعلم أن الأصل فى الأشياء الإباحة، حـتى يدل الدليل على التحريم، ويفتى بهذا الأصل ويقرره فى كتبه كما قال فى تسمية النبات المجهول تسميته، حيث قال المتولى: يحرم أكله.

قال النووى: الأقرب الموافق للمحكى عن الشافعى الحل.(٢)

فكان له فى هذه القاعدة الفـقهية مندوحة، لو أراد أن يمـتع نفسه بما أحب من فاكهة دمشق، وهى حجة له عند ربه إن شاء الله تعالى. غير أن نفسه المرهفة النقية لا تطيب أن تتغـذى بشىء ينازع فيه الورع، حـيث يختلج فى صدره عـدم وجود القائمـين على الأوقاف على الـوجـه الأكمل، فلذلك هان عليـه ترك أكل فاكـهة الشام، وهى بستان الفواكـه ومعدنهـا، ورضى أن يقيم صلبه ويسد رمقه بما يرسل به أبواه من كعك يابس وتين حورانى، أو خـبز ما يكفيه جمعـه فيأكله، ولا يأكل سوى لون واحد من الإدام دبسًا أو خلاً أو زيتًا.(٣)

(١) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٢). (٢) الأشباه والنظائر (٦٧).
(٣) السخاوى (٣٩).

وحكى اليافعى أنه عوتب فى عدم التـزوج، وقيل له: هو سنة كبيرة، ولم يبق عليك من السنة إلا هو، وكلك محاسن، فـقال: أخاف أن آتى بسنة، وأدخل فى محرمات كثيرة.(١)

أما عبادته فقد قال الأستاذ عبد الغنى الدقر:

ومع هذا كان للنووى اشتـغال فى العبادة، قـال البـدر بن المسـامر: وكان -أى النووى- كثير العبادة.

وقال تلميذه ابن العطار: كان كثير التلاوة، كثير الذكر لله تعالى.

وقال القطب اليونينى: إنه كان كثير التـلاوة للقرآن والذكر، معرضًا عن الدنيا، مقبلاً على الآخرة من حال ترعرعه.

وقال ابن العطار: ذكـر لنا صاحـبنا أبو عبد الله مـحمد بن أبى الفـتح البـعلى الفاضل -نفع الله به فى حياة الشيخ- رحمه الله، قال:

كنت ليلة فى أواخـر الليل بجامع دمشق والشـيخ واقف يصلى إلى سـارية فى ظلمة، وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، مراراً بحزن وخشوع، حتى حصل عندى من ذلك شيء، والله أعلم به.

وفى البداية والنهاية لابن كثير: وكان يصوم الدهر.

وقال اليافعى: كان كثير السهر فى العبادة والتلاوة والتصنيف.(٢)

٦ – صَدْعُهُ بِالْـحَقِّ وَأَمْرُهُ بِالْـمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْـمُنْـكَـرِ

فمن صدعه بالحق ونصيحته، وأمره بالمعروف -رحمه الله- هذه الرسالة التى أرسلها إلى نـائب السلطنة يقول له: «خَـدَمَةُ الشرع العلمـاء بدمشق المحـروسة يُنهون أن الله -سبحـانه وتعالى- أخذ عليهم العهد بتـبليغ الشرع إلى المكلفين،

(١) نشر المحاسن العالية نقلاً عن الإمام النووى وأثره فى الحديث وعلومه (٩١، ٩٢).
(٢) الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين (١٢٣، ١٢٤) ط، دار القلم.

ونصيحة الله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ وولاة الأمر بتبليغه شرائع الأحكام وإرشادهم إلى شعائر الإسلام، بفعلها ونشرها . . . إلى أن قال مفندًا قول من اعترض على ذلك:

فهذا المخذول مخطئ جاهل، بل إن أعتقد هذا كان كافرًا لأن ما فعله رسول الله ﷺ هو الحق والصواب الذى يجب على كل مكلف الانقياد له، والمسارعة إلى قبوله وانشراح الصدر له، ثم استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١).

قال: وكل ما خالف سنة رسول الله ﷺ هو البدعة والضلالة والغباوة والجهالة والسفاهة والرذالة.

قال: بل هذه طريقة الكفار فى مدافعة دين الإسلام: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

قال: ويجب على ولى الأمر -وفقه الله لطاعته- إذا سمع هذا الزاعم الجاهل الضال الغاشم المتجاهل وغيره ممن يقول نحو هذا القول فى مدافعة الحق والاعتراض على سنة رسول الله ﷺ أن يؤدبه تأديبًا بليغًا ينزجر به هو وأمثاله، ويشهر أمره لينكف أهل الجهالة والضلال عن مثل فعله.

قال: وليعلم أن المراد بالاستسقاء امتثال أمر الله تعالى والاقتداء برسول الله ﷺ وهو مصلحة فاخرة أو سعادة معجلة ومنة من الله تعالى يُشكر على التوفيق لها، أما نزول المطر فهو إلى الله تعالى.

وليس المراد بالاستسقاء تيقن من نزول المطر، فإن علم الغيب، وإنزال الغيث وغيره من الكائنات إلى رب العالمين إلى أن قال: وليعلم أنه ليس للاستسقاء

شروط تعتبر فى صحته سوى اجتماع الناس والصلاة، وهذا متيسر لا مانع منه لكن قال العلماء: يستحب لولى الأمر أن يأمر الناس قبل الخروج للاستسقاء بالتوبة من المعاصى، ومصالحة الأعداء والصدقة، وصيام ثلاثة أيام، ويخرجون فى اليوم الرابع صيامًا، قال: وهذا أدب مستحب وليس بواجب ولا شرط، ولو ترك صح الاستسقاء، ومع هذا فهو هين لا كلفة فيه، فإن معناه أن ولى الأمر يأمر بعض نوابه أن ينادى فى الناس بذلك، وليس معناه أن يحكم على قلوبهم بفعله، فإن ذلك لا يقدر عليه إلا رب العالمين.

إلى أن قال: لاسيما وقد منَّ الله تعالى وله الحمد والنعمة على المسلمين، بما وفق له السلطان، زاده الله فضلاً وخيرًا وتمكينًا وعلوًا ونصرًا وأدامه ظاهرًا على أعداء الدين وسائر المخالفين، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكرات، مبطلاً للحوادث مظهرًا للمحاسن والخيرات، بما فعله من إزالة هذا المنكر العظيم الفاحش الجسيم، الذى لم يسبق إلى إزالته ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج: ٤٠).

قال: فهذه نصيحة الخَدَمَة أنهوها إلى الأمير، وهم راجون من فضل الله تعالى مسارعته إلى هذه المصلحة، وقد ضاق الوقت عن تأخيرها، وهذه المصلحة لا تحصل بفعل آحاد الناس، بلا اجتماع الناس كلهم، ومنهم العلماء والصالحون والصغار والضعفاء والمساكين والمضطرون. قال: وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلا بضُعَفَائكُمْ**». [١]

والله يوفق الأمير لكل مكرمة ويديمه آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر حاثًا على الاهتمام بشعائر الدين، ومصالح المسلمين، والحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين»[٢].

ولما وصلت الرسالة إلى ولى الأمر فعل ما أمره به، ثم سُقُوا بعد ذلك بسبعة أيام سقيًا عامة، وترادفت أمطار كثيرة بعد أن حصل لكثير من الناس قنوط،

---

(١) رواه البخاري (٢٨٩٦) في الجهاد: باب من استعان بالضعفاء والصالحين، وأحمد (٥/١٩٨).
(٢) السخاوي (٤٧-٤٩).

وسقيت كذلك في الوقت المذكور البلدان التي أمر فيه الوالي بإقامة الاستسقاء في اليوم الذي يستسقي فيه أهل دمشق.(١)

ومن ذلك ما ورد أن الظاهر بيبرس لما أراد قتال التتار بالشام أخذ الفتاوى من العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك، فأجازوه.

فقال: هل بقي أحدٌ.

فقيل له: نعم بقي الشيخ محيي الدين النووي.

فطلبه فحضر.

فقال له: اكتب خَطَكَ مع الفقهاء فامتنع.

فقال: ما سبب امتناعك؟

فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (بندقار) وليس لك مالٌ، ثم مَنَّ الله عليك وجعلك ملكًا، وسمعت أن عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من الذهب وعندك مائتا جارية، لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلاً من الحوائص وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفتيتك بأخذ المال من الرعية، فغضب الظاهر من كلامه.

وقال: اخرج من بلدي يعني دمشق.

فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى نوى.

فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى به، فأعده إلى دمشق.

فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ:

وقال: لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر.(٢)

---

(١) السخاوي (٤٩).

(٢) نقلاً عن علماء وأمراء لوحيد عبد السلام بالي (٧١).

٧ – مَكَانَـةُ النَّـوَوِيِّ عِنْدَ عُلَمَـاءِ الشَّافِعِيَّـةِ

يقول الأستاذ عبد الغنى الدقر: هذا وقد أخذ النووى -رحمه الله- الفقه الشافعى عن كبار علماء عصره كما رأيت ذلك فى شيوخه فى الفقه، وبفترة وجيزة حفظ الفقه وأتقنه، وعرف قواعده وأصوله، وفهم مخابئه وألغازه، وبرع فى معرفة أدلته حتى عُرف بذلك بين العامة والخاصة، ثم قفز فتساوى مع شيوخه، ولم يمض كبير وقت حتى كان أعلم علماء عصره وأحفظهم للمذهب وأتقنهم لأقوال علمائه، وأعرفهم بعلم الخلاف، وأحقهم بأن يكون: محرر المذهب.

وانتشر فى الآفاق ذكره، وتعلق الطلبة والعلماء بتآليفه، فانتفعوا بها، وما يزال الناس ينتفعون بكتبه، ويؤثرونها، وهاك طرفاً مما قاله العلماء فى فقهه.

يقول الإسنوى فى «طبقاته»: وهو -أى النووى- محرر المذهب، ومنقحه ومرتبه، سار فى الآفاق ذكره وعلا فى العلم محله وقدره.

ويقول ابن كثير عنه: شيخ المذهب، وكبير الفقهاء فى زمانه.

ويقول الذهبى: وكان رأساً فى معرفه المذهب. ويقول قاضى صفد محمد بن عبد الرحمن العثمانى فى ترجمته من الطبقات الكبرى له عن النووى: شيخ الإسلام، بركة الطائفة الشافعية، محيى المذهب ومنقحه، ومن استقر العمل بين الفقهاء فيه على ما يرجحه.

ويقول الشهاب أبو العباس ابن الهائم فى مقدمة «البحر العجاج شرح المنهاج»: الإمام العلامة الحافظ الفقيه النبيل محرر المذهب مهذبه وضابطه ومرتبه.

ويقول تلميذه ابن العطار: كان حافظاً للمذهب الشافعى وقواعده وأصوله وفروعه ومذاهب الصحابة والتابعين واختلاف العلماء ووفاقهم وإجماعهم وما اشتهر من ذلك جميعه وما هجر، سالكاً فى كلها طريقة السلف.

إلى أن قال: وقد يختلف قول النووى قليلاً فى كتاب من كتبه عن كتاب فالظاهر أن المرجح هو آخر أقواله، لأن القاعدة أن المتأخر ينسخ المتقدم.(١)

---

(١) الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين (٤٨، ٥٢)، ط. دار القلم.

٨- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمْ اللَّهُ -

شُيُوخُهُ: فى الفقه: تاج الدين الفزارى المعروف بالفركاح، الكمال إسحاق المغربى عبد الرحمن بن نوح، ثم عمر بن أسعد الأربلى، أبو الحسن سلام بن الحسن الأربلى.

فى الحديث: إبراهيم بن عيسى المرادى الأندلسى ثم المصرى ثم الدمشقى، أبو إسحاق إبراهيم بن أبى حفص عمر بن مضر الواسطى، زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف ابن سعد الرضى بن البرهان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى.

فى علم الأصول: القاضى أبو الفاتح عمر بن بندار بن عمر بن على بن محمد التفليسى الشافعى.

فى النحو واللغة: أحمد بن سالم المصرى، ابن مالك، الفخر المالكى.

تَلامِذَتُهُ: قال الأستاذ عبد الغنى الدقر: يقول تلميذه ابن العطار وسمع منه خلق كثير من العلماء والحفاظ والصدور والرؤساء وتخرج به خلق كثير من الفقهاء وسار علمه وفتاويه فى الآفاق . . إلخ.

ودونك بعضاً من تلاميذه: منهم خادمه العلامة علاء الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن داود الدمشقى عرف بابن العطار، الذى كان لشدة ملازمته له وتحققه به يقال له: «مختصر النووى».

يقول ابن العطار: وكان رحمه الله رفيقًا بى، شفيقًا علىَّ، لا يمكن أحدًا من خدمته غيرى، على جهد منى فى طلب ذلك منه، مع مراقبته لى -رضى الله عنه- فى حركاتى وسكناتى، ولطفه بى فى جميع ذلك، وتواضعه معى فى جميع الحالات وتأدبه لى فى كل شىء حتى الخطرات، وأعجز عن حصر ذلك.

وقرأت عليه كثيرًا من تصانيفه ضبطًا وإتقانًا، وأذنه لى -رضى الله عنه- فى إصلاح ما يقع لى من تصانيفه، فأصلحت بحضرته أشياء فكتبه بخطه، وأقرنى عليه، ودفع إلىَّ ورقة بعدة الكتب التى كان يكتب منها، ويصنف بخطه، وقال لى: إذا انتقلت إلى الله تعالى، فأتمم شرح المهذب من هذه الكتب، فلم يقدر

ذلك لى، وكانت مدة صحبتى له مقتصرًا عليه دون غيره من أول سنة سبعين وستمائة وقبلها بيسير إلى حين وفاته أى نحو ست سنين.

وممن أخذ عنه الصدر الرئيس الفاضل أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مصعب، والشمس محمد بن أبى بار ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن النقيب، والبدر محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة.

والشهاب محمد بن عبد الخالق بن عثمان بن مزهر الأنصارى الدمشقى المقرى، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن عباس بن جعوان.

والفقيه المقرى أبو العباس أحمد الضرير الواسطى الملقب بالجلال، والنجم إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن الخباز.[1]

٩ – مُصَنَّفَاتُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ –

قال الأستاذ أحمد عبد العزيز قاسم: لم يمض على الإمام النووى كبير وقت فى الطلب حتى أحس فى نفسه أهلية التأليف، فشرع فى الإسهام بالمؤلفات النافعة ابتداءً من عام ستين وستمائة تلبية لما قرره أهل العلم حيث ندبوا للطالب أن يشتغل بالتصنيف إذا تأهل له، فقد قال الحافظ ابن الصلاح فى النوع الثامن والعشرين نقلاً عن الخطيب ما نصه:

«وليشغل بالتخريج والتأليف، والتصنيف إذا استعد لذلك وتأهل له، فإنه يثبت الحفظ، ويزكى القلب ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، ويكشف الملتبس، ويكسب جميل الذكر، ويخلده إلى آخر الدهر، وما يمهر فى علم الحديث ويقف على غوامضه ويستبين الخفى من فوائده إلا من فعل ذلك».

وهذا ما فعله صاحبنا –رحمه الله تعالى– فإنه كما قال الجمال الإسنوى –رحمه الله تعالى–:

---

(١) باختصار من الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين (١٠٥، ١٠٦).

لما تأهل للنظر والتحصيل رأى فى المسارعة إلى الخير أن جعل ما يحصله ويقف عليه تصنيفًا. قال: ينتفع به الناظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلاً، وتحصيله تصنيفًا قال: وهو غرض صحيح، وقصد جميل. قال: ولولا ذلك لم يتيسر له من التصنيف ما تيسر له».

والإسنوى يشير بهذا إلى كثرة مؤلفاته، التى عجت بها المكتبات، وحققت رغبة أولى الرغبات، ولا ريب فقد أربت مؤلفاته على الخمسين مؤلفاً، هذا ما ذكر منها، ولعل ما لم يذكر منها أكثر، وقد قيل: إن تصنيفه بلغ كل يوم كراستين أو أكثر.

فقد حكى عنه تلميذه ابن العطار أنه أمره ببيع نحو ألف كراسة كان قد كتبها بخطه بعد أن يقف على غسله، فى الوراقة وخوفه إن خالف أمره، قال: فما أمكننى إلا طاعته، وإلى الآن فى قلبى منها حسرات.[1]

مؤلَّفَاتُهُ فِى الحَدِيثِ:

* شرح مسلم المسمى (بالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج).
* رياض الصالحين.
* الأربعين النووية.
* خلاصة الأحكام من مهمات السنن، وقواعد الإسلام.
* شرح البخارى كتب منه جزءاً يسيراً ولم يستكمله.
* الأذكار المسمى بـ «حلية الأبرار الأخيار فى تلخيص الدعوات والأذكار».

وفى علوم الحديث: الإرشاد، والتقريب والإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات.

فى الفقه:

روضة الطالبين -المجموع شرح المهذب، ولم يستكمله، وقد أكمله السبكى والمطيعى، والمنهاج والإيضاح والتحقيق.

(١) الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه (١٤٠، ١٤١).

التَّرْبِيَةُ وَالسّلوكُ: التبيان فى آداب حملة القرآن، وبستان العارفين.

التَّرَاجِمُ وَالسِّيَرُ: تهذيب الأسماء واللغات - وطبقات الفقهاء.

اللُّغَةُ: القسم الثانى من تهذيب الأسماء واللغات وتحرير التنبيه.

وقد حازت كتبه كلها القبول والرضا لدى الكافة والجميع من أهل العلم ينهل من معينها، ولا ترى أحدًا يأنف من الرجوع إليها، بل إن من رجع إليها، فقد عضد رأيه وقوّى حجته، وما من إنسان يقف على مؤلفاته إلا لهج بمدحه والثناء والترحم عليه، جزاء خدمته للعلم وأهله بتلك المصنفات المتقنة، فرحمه الله رحمة واسعة.[1]

١٠ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَمَا قِيلَ فِي رَثَائِهِ

وكما كان حظ إمامنا النووى من الدنيا قليلاً، فلم ينل منها ولم تنل منه، وكانت حياته كلها للعلم والعبادة والتصنيف والزهادة، كذلك كان بقاؤه فى الدنيا قليلاً، فلم يعمر فيه طويلاً ولم يبن الدور ولا سكن القصور، وإنما عاش على الكفاف والعفاف وسط الكتب وفى مدارس العلم الشرعى، يفيد ويستفيد إلى أن أدركته منيته، ولم تتحقق أمنيته، ولم يشبع نهمته من العلم النافع والعمل الصالح، وكانت آماله فى التصنيف والإفادة أطول من سنى عمره، فلم يستكمل كثيرًا من الكتب التى شرع فيها وخاصة المجموع شرح المهذب، ومن أكمله لم يبلغ علمه وإتقانه وإحسانه، فرحم الله الجميع، ولا غرو فى ذلك، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فنسأل الله تعالى أن يرفع درجة إمامنا النووى فوق كثير من خلقه، وأن ينفعه بما ترك من علم نافع وسلامة سريرة، وحسن سيرة.

قال ابن العطار: فبلغنى مرضه، فتوجهت من دمشق لعيادته، فسُرَّ بذلك، ثم أمرنى بالرجوع إلى أهلى، فودعته بعد ما أن أشرف على العافية فى يوم السبت العشرين من رجب، فلما كانت ليلة الثلاثاء فى الرابع والعشرين منه سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة انتقل إلى جوار ربه -رحمه الله تعالى-.

---

(١) بتصرف واختصار من السابق (١٤٤).

قال ابن العطار: وكان قبل قوله أذن لى فى السفر بأيام يسيرة، أرسل إليه فقير إبريقًا فقبله، وقال: قد أرسل إلىَّ فقير آخر زنبيلاً، قال: وهذا إبريق وذلك آلة السفر.

وقال التاج السبكى فى الطبقات الوسطى ونقله السخاوى: إنه قبل ظهوره إلى نوى رد الكتب المستعارة من الأوقاف جميعها.

وحكى اللخمى عن غير واحد من العلماء بدمشق أنه لما خرج منها إلى نوى خرج معه. جماعة من العلماء وغيرهم لظاهر دمشق، وسألوه متى الاجتماع؟ فقال: بعد مئتى سنة فعلموا أنه عنى القيامة.(١)

وقال القطب اليونينى: ولما وصل الخبر بوفاته لدمشق توجه قاضى القضاء عز الدين محمد بن الصائغ وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة على قبره.

يقول الذهبى: ورثاه غير واحد يبلغون عشرين نفسًا بأكثر من ستمائة بيت.

فممن رثاه الصدر الرئيس الفاضل أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مصعب، وأول قصيدته:

أَكْتُم حُزْنِى وَالْمَدَامِعُ تبْدِيه ... لفَقْدِ امْرِئٍ كُلُّ الْبَرِيَّةِ تُبْكِيه

وممن رثاه الأديب المحدث أبو الحسن على بن إبراهيم بن المظفر الكندى، وأول مرثيته:

لَهْفِى عَلَيْهِ سيِّداً وَحَصُوراً ... سنداً لأعلام الْهُدَى وَظَهِيرا

وممن رثاه الشيخ أبو محمد إسماعيل البسطى بقصيدة تعدادها واحد وثلاثون بيتًا أولها:

رَزِيَّةُ مُحْيِى الدِّينِ قَدْ عَمَّتِ الْوَرَى ... فَلَسْت ترَى إلا حَزِينًا مُفَكِّرَا

---

(١) باختصار وتصرف من «الإمام النووى» لعبد الغنى الدقر (١٩٧، ١٩٩).

ومن رثاه بقصيدة تعدادها عشرة أبيات تلميذه الفقيه المقرئ أبو العباس أحمد الضرير الواسطى الملقب بالخلال، وأولها:

لَقَـدْ ذَهَبَ الحَـبْـرُ الجَلِيل المُوَفَّقُ   وَعُـدْنَا حَـيَارَى وَالدُّمُـوعُ تَدَفَّقُ

ومن رثاه بعض المحبين -كما يقول ابن العطار- بقصيدة تعدادها أربعون بيتًا أولها:

وَجَـدَتْ عَلَيْكَ شَـرَائعُ الإِسْـلام   أَسَـفًـا يُلازِمُـهَـا مَـدَى الأَيَّام

انتهى إلى هذا الحد ما جمعنا من ترجمة إمامنا النووى -عليه رحمة ربنا العلى- والله يوفقنا للتأسى بهؤلاء الأعلام، ويجمعنا وإياهم فى دار السلام، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

مِنْ أَعْلاَمِ السَّلَفِ

(٥٧)

شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ

فهذه ترجمة عالم من العلماء العاملين، وَالأئمة الربانيين، شيخ الإسلام والمسلمين، إمام زمانه، والمقتدى به فى أوانه، بركة الزمان، وحسنة الأيام، الذى نفض الغبار عن منهج أهل السنة والجماعة، وجدد الله -عَزَّ وَجَلَّ- به شباب الإسلام، بعد أن أنهكه داء الشرك والوثنية، والبدع الردية، أنار الله -عَزَّ وَجَلَّ- به منار السنة، وأطفأ نار البدعة.

الإمام الذى بذل نفائس أنفاسه، وأوقات حياته، ينصر الحق وأهله، ويدفع الباطل، ويكشف زيفه، الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وناهيك به شرفًا، وعلمًا وفضلاً.

هيأ الله -عَزَّ وَجَلَّ- له أسباب الشرف، والعزة والرفعة فى الدنيا والآخرة، فقد نشأ فى بيت علم وفضل وسنة، فجده المجد أبو البركات شيخ الحنابلة، وأبوه شهاب الدين عبد الحليم من أنجم الهدى، وإنما خفى اسم أبيه، لأنه وقع بين نور القمر وضوء الشمس، كما قال الإمام الذهبى يشير بنور القمر إلى جده أبى البركات، وبضوء الشمس إلى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ولم يقتصر شرف، وعلم هذه الأسرة المباركة على جده، وأبيه، فقد تَرْجَمَ أحد المعاصرين لستة وعشرين ما بين رجال ونساء من هذه الأسرة المباركة، كلهم عالم فاضل.

نشأ شيخ الإسلام فى هذه الأسرة المباركة، وبدأ فى تحصيل العلم فى سنٍّ مبكرة، وأخذ عن أكثر من مئتى شيخ وقد وهبه الله -عَزَّ وَجَلَّ- عقلاً لَمَّاحًا ذكياً،

وقلبًا طاهرًا نقـيًا فنشأ أتم نشأة، وكـان شديد الحرص على أوقاته يضنّ بأنـفاسه، ولحظاته، فتصدر للفتيـا والدرس، وهو فى العشرين من عمره، وجلس مكان أبيه بعـد وفاته، وما زال فـى انتفـاع وارتفاع، حـتى صار شيـخ الإسلام، واستـحق الصدارة عن جدارة، وتأثر به علماء عصره، وصبغهم بصبغته السلفية.

منهم الإمام المزّى، وإن كـان أكبر منه سنًا وأطول باعًـا فى علم الحديث إلا أنه تأثر بمدرسة ابن تيمية السلفية، وكذا تلميذه ابن القيم، والذهبى، وابن كثير، وابن مُفْلح، فرحم الله الجميع.

قَال ابن عـبد الهـادى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لم يـبرح شيـخنا فى ازدياد من العلوم، وملازمة للاشتـغال، وبَثِّ العلم ونشره، والاجتهاد فى سبيل الخـير، حتى انتهت إليه الإمـامة فى العلم، والـعمل والزهد، والورع والشـجاعة والكرم والـتواضع، والحلم والإنابة، والجلالة والمهابة.(١)

وساعـد على تفوقه عـلى أقرانه، وسيـادته أهل زمانه أنه لم يشـتغل بشىء من الدنيا، وزَهِدَ فى أَعْرَاضِهَا الدنية، وشهواتها الدنيوية.

قال البزار: «وإلا فمن رأينا من العلماء من قنع من الدنيا بمثل ما قنع هو منها، أو رضى بمثل حالتـه التى كان عليهـا، لم يسمع أنه رغب فى زوجـة حسناء، ولا سرية حـوراء، ولا دار قوراء، ولا مماليك وجوار، ولا بسـاتين ولا عقار، ولا شد على دينار ولا درهم، ولا رغب فى دواب ولا نعَم، ولا ثياب ناعـمة فاخرة، ولا حشم، ولا زَاحَمَ فى طلب الرئاسات، ولا رؤُىَ ساعياً، فى تحصيل المباحات.(٢)

والدارس لتـرجمة شـيخ الإسلام يعـلم يقينًا لماذا لم يتـزوج، وترك هذه السنة العظيمة مع أنه كان أحرص الناس على السنة والجواب: أنه ما وجد هدنة أو فرصة فى حياته التى تجاوزت الستين عاماً حتى يتـزوج، فقد كان من معركة إلى معركة،

---

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٦-٩٧) ط، المدنى.
(٢) الأعلام العلية (٤٦).

ومن سجن إلى سجن، ومن مناظرة إلى مناظرة، وهذا خطاب أرسله شيخ الإسلام لأمه يعتذر إليها فى شغله عنها، وعدم تمكنه من السفر إليها، يقول فيه -رَحِمَهُ اللَّه-: «ويعلمون أن مقامنا فى هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية، متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا، ولسنا -وَاللَّه- مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور، لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فإنكم ولله الحمدُ ما تختارون الساعة إلا ذلك، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهراً واحدًا، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعوا لنا بالخيرة، فنسأل اللهَ العظيمَ أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخيرفى خيرٍ وعافية».[1]

وقد ترك شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ- دررًا فاخرة، وثروة علمية باهرة من الكتب والفتاوى، والتقريرات ومن رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهذه الأمة حَفظَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لنا -وله الحمد والمنة على كل نعمة- شيئًا من تراثه، فصدر من مصنفات شيخ الإسلام أكثر من سبعين مجلدًا، وكم من تراث علمى ما يزال حبيس دور المخطوطات، ولم ير النور، ولم ينتفع به المسلمون على كرِّ الدهور، وكم من تراث ضاع واندثر فلم نقف له على خبر، فَرحِمَ الله شيخ الإسلام، ونفعنا بعلومه، فقد فارق الدنيا؟ وهو صابر محتسب، عاكف على كتاب الله فى قلعة دمشق، فما أحوج طلاب العلم وعوام الناس إلى دراسة تراجم هؤلاء الأعلام! عسى أن تَتَجَدَّدَ همة لأحد الطلاب، فينهض لينل هذه الرتب العالية، والدرجات الرفيعة السامية، وصلى اللهُ على محمد وآله وصحبه.

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله بن تيمية النميرى الحرانى الدمشقى أبو العباس تقى الدين شيخ الإسلام.

---

(١) العقود الدرية (١٧٠).

سبب هذه التسمـية (تَيْمِيَة): ذكر ابن المتـوفى فى «تاريخ إربل» قال: حدثنى الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن عـمر الحرانى من لفظه قال: حدثنى غير مرة وقد سـألته عن اسم تيمـية ما معناه، فـقال: حج أبى وجدى -أنا أشك أيهـما قال- وكانت امرأته حاملاً، فلما كان بتيماء رأى جويرية خرجت من خباء، فلما رجع إلى حران، وجـد امرأته قد وضـعت، فلما رفعوه إليـه قال يا تيمـية، يا تيمية؛ يعنى أنها تشبه التى رأى بتيماء، فسمى بها أو كلامًا هذا معناه وذكر ابن ناصر الدين الدمشقى فى التبيان فقال: إن أم جده محمد بن الخضر كانت واعظة تُسَمَّى تَيْمِيَةَ، فنسب إليها.(1)

وجده أبو البركات مجد الدين عبد السلام بن عبد الله الإمام الفقيه المحدث.

كان جمال الدين بن مالك يقول: أُلِيْنَ للشيخ المُجدِّ الْفِقْهُ كما أُلِيْنَ لداودَ الحديدُ.

وهو صاحب المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرر فى الفقه، والأحكام الكبرى.

وأبوه شهـاب الدين أبو المحاسن عـبد الحليم بن عـبد السلام قـرأ المذهب على والده أتقنه، ودرس وأفـتى، وصنف، وصار شيخ الـبلد بعد أبيه، قـال الذهبى: وكـان الشيخ شـهاب الدين من أنجم الهـدى وإنما اخـتفى بين نور القـمر وضـوء الشمس، يشير إلى أبيه وابنه.

مَولِدُهُ: ولِدَ -رَحِـمَه اللَّهُ- بمدينة حَـرَّان فى يوم الاثنين عاشـر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة.

صِفَتُهُ: قال الشوكانى: قال الذهبى: وكـان أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عـينيه لسانان ناطقان ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبـين، جهورى الـصوت، فصيـحًا، سريـع القراءة، تعتـريه حدة لكنه يقهرها بالحلم.(2)

---

(1) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية، لناصر بن عبد الله الميمان (٤٥، ٤٦)، ط. جامعة أم القرى.
(2) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكانى (١/ ٦٤) ط، ابن تيمية.

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاء عَلَيْه (*)

قال الحافظ شمس الدين الذهبى -رَحِمَهُ اَللَهُ-: شيخنا الإمام شيخ الإسلام، فَرْدُ الزمان، بحر العلوم، تقى الدين . . .

وقال: وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالى والنازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه متونه الذى انفرد به، فلا يبلغ أحد فى العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجيب فى استحضاره واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة، والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال:

«كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث». اهـ.

وقال أيضًا: «. . . . وهو أكبر من أن ينبه مثلى على نعوته فلو حُلِّفْت بين الركن والمقام لحلفت: إنى ما رأيت بعينى مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه فى العلم». اهـ.

وقال الحافظ ابن سيد الناس: ألفيته ممن أدرك . . من العلوم حظاً، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم فى التفسير، فهو حامل رايته، أو أفتى فى الفقه، فهو مدرك غايته، أو ذاكر فى الحديث، فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل، لم ير أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من درايته، برز فى كل فن على أبناء جنسه ولم تر عَيْنُ من رآه مثله ولا رأَتْ عينُه مثلَ نفسِه.

وقال الإمام العلامة كمال الدين الزملكانى -رَحِمَهُ اللَهُ-: «لم يُر من خمسمائة سنة أحفظ منه». اهـ.

وقال أيضًا -رَحِمَهُ اللَّهُ-: سيدنا وشيخنا، وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العلامة، الأوحد البارع الحافظ، الزاهد الورع القدوة، الكامل العارف، تقى الدين شيخ الإسلام، سيد العلماء، قدوة الأئمة الفضلاء، ناصر السنة، قامع البدعة، حجة الله

(*) هذا الفصل بتمامه مختصر من مقدمة الشيخ محمد بن إسماعيل لرسالة ابن شيخ الحزامين «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار» (٦) ط، دار هند السلفية.

على العباد، رادِّ أهل الزيغ والعناد، أوحد العلماء العاملين، آخر المجتهدين، أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى، أَعْلَى اللَّهُ مناره، وَشَيَّدَ به من الدين أركانه.

مَـــاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ	وَمَحَاسِنُهُ جَلَّتْ عَنِ الحَصْرِ
هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ	هُوَ بَيْنَنَا أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ
هُوَ آيَةٌ فِي الْخَلْقِ ظَاهِرَةٌ	أَنْوَارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الفَجْرِ

وقال العلامة ابن دقيق العيد لَمَّا لقيه وسمعه: ما كنت أظن أن الله تَعَالَى بقى يخلق مثلك. اهـ.

وقال أيضًا: لَمَّا اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد.

وقال العلامة ابن الوردى: وحضرت مجالس ابن تيمية، فإذا هو بيت القصيدة، وأول الفريدة، علماء زمانه فَلَكٌ هُوَ قطبه، وَجِسْمٌ هو قلبه، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر، حضرت بين يديه يومًا، فأصبت المعنى، وَكَنَّانى وقبّل بين عينى اليمنى، وقلت:

إنَّ ابْنَ تَيْمِيَةَ فِي	كُلِّ الْعُلُومِ أَوْحَدُ
أَحْيَيْتَ دِينَ أَحْمَدٍ	وَشَرْعَهُ يَا أَحْمَدُ

وقال الحافظ جلال الدين السيوطى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: فوالله ما رمقت عينى أوسع علمًا، ولا أقوى ذكاءً من رجل يقال له ابن تيمية، مع الزهد فى المأكل والملبس والنساء ومع القيام فى الحقِّ، والجهاد بكل ممكن. اهـ.

وقال أيضًا: (ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة، الحافظ الناقد الفقيه، المجتهد المفسر، البارع شيخ الإسلام، عَلَم الزهاد، نادرة العصر، أحد الأعلام. كان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد، والأفراد) اهـ.

وقال الشيخ الجليل أحمد ولى الله الدهلوى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (فمثل هذا الشيخ

عزيز الوجود فى العالم، ومن يطيق أن يلحق شأوه، فى تحريره وتقريره، والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تَعَالَى) اهـ.

وقال الإمام العلامة محمد بن على الشوكانى -رَحِمَه اللهُ-: «لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظن أنه سمح الزمان بين عصرى الرجلين بمن يشابههما، أو يقاربهما، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه» اهـ.

٣- نَشْأَتُهُ وَطَلَبُهُ للْعِلْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

نشأ شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ- فى تصون تام وعفاف واقتصاد فى الملبس، والمأكل، ولم يزل على ذلك خلقًا صالحا برًا بوالديه تقيًا ورعًا ناسكًا صوامًا قوامًا، ذاكراً لله تَعَالَى فى كل أمر، وعلى كل حال، رجاعًا إلى الله تَعَالَى فى سائر الأحوال والقضايا، وَقَّافًا عند حدود الله تَعَالَى وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، لا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث.[١]

وكان -رَحِمَهُ اللَّهُ- منذ صغره ومخايل النجابة عليه واضحة، ودلائل عناية الله -عَزَّ وَجَلَّ- به لائحة.

قال الحافظ البزار: أخبرنى من أثق به عمن حدثه أن الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فى حال صغره كان إذا أراد المضى إلى المكتب يعترضه يهودى -كان منزله بطريقه- بمسائل يسأله عنها، لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة، وكان يجيبه عنها سريعًا، حتى تعجب منه، ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه، وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنّه.

وكان من صغره حريصاً على الطلب، مجداً على التحصيل والدأب، ولم

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، سيرته وأخباره عند المؤرخين، لصلاح الدين المنجد (٥٧).

يكن -رَحِمَه اللهُ- وقت صغره يعنى بما يعنى به أترابه من اللعب والبطالة، إذ كان لا يؤثر على الاشتغال بالعلم لذة، أىّ لذة، ولا يؤثر أن يضيع منه لحظة فى غير العلم.

قيل: إن أباه وأخاه وجماعة من أهله سألوه أن يذهب معهم يوم إجَازة ليتفرج ويتنزه، فتهرب منهم ولم يذهب معهم، فلما عادوا آخر النهار، لاموه على تخلفه عنهم، وفواته تلك النزهة عنه، مع تفرده وحده، فقال لهم: أنتم ما تزيَّد لكم شيء، ولا تجـدَّد، وأنا حفظت فى غيبتكم هذا المجلد، وكان ذلك الكتاب «جَنَّةُ الناظر وجُنَّةُ المناظر».

ومن المواقف التى تكشف عن قوة ذكائه، وسرعة فهمه، واستنباطه على صغر سنه حادثة ذكرها ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- فقال: كان صغيرًا عند بنى النجار، فبحث معهم، فادعوا شيئًا أنكره، فأحضروا النقل فلما وقف عليه ألقى المجلد من يده غيظًا، فقالوا له: ما أنت إلا جرىء ترمى المجلد من يدك وهو كتاب علم؟ فقال سريعًا: أيما خير أنا أو موسى؟ فقالوا: موسى. فقال: أيما خير هذا الكتاب أو ألواح الجوهر التى فيها العشر كلمات؟ قالوا: الألواح، فقال: إن موسى لما غضب ألقى الألواح من يده، أو كما قال.[1]

وقال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: قدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم، وابن أبى اليسر، وابن عبدان، والشيخ شمس الدين الحنبلى، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفى، والشيخ جمال الدين بن الصيرفى، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادى، والنجيب بن المقداد، وابن أبى الخير، وابن علان، وابن أبى بكر اليهودى، والكحلى عبد الرحيم، والفخر على، وابن شيبان، والشرف بن القواس، وزينب بنت مكى، وخلق كثير سمع منهم الحديث، وقرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث.[2]

---

(١) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية (٤٩، ٥٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ١٣٧) ط. دار الفكر.

٤ - تَفَوُّقُهُ فِى الْعِلْمِ وَبَرَاعَتُهُ فِي كُلِّ فَنٍّ وإِشَارَةُ الْعُلَمَاء إِلَى أَنَّهُ مُجَدِّدُ عَصْرِهِ، وَدُرَّةُ دَهْرِهِ

قال الحافظ الذهبى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: كان آية فى الذكاء، وسرعة الإدراك، رأسًا فى معرفة الكتاب والسنة، والاختلاف، بحرًا فى النقليات، هو فى زمانه فريد عصره علمًا، وزهدًا، وشجاعة، وسخاءً، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وكثرة تصانيف، قرأ وحَصَّلَ، وَبَرِعَ فى الحديث، والفقه، وتأهل للتدريس، والفتوى، وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدم فى علم التفسير، والأصول وجميع علوم الإسلام، أصولها، وفروعها، ودقها، وجلها، سوى علم القراءات، فإن ذكر التفسير، فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء، فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سمى المتكلمون، فهو فردهم وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلمَّ وتيههم، وهتك أستارهم، وكشف عوارهم، وله يد طولى فى معرفة العربية، والصرف، واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كَلِمِى، أو ينبه على شأوه قلمى، فإن سِيرَتَهُ وعلومه، ومعارفه ومحنه، وتنقلاته، تحتمل أن توضع فى مجلدين، وهو بشر من البشر له ذنوب، فالله تَعَالَى يغفر له، ويسكنه أعلى جنته، فإنه كان ربانى الأمة، وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين، وكان رأسًا فى العلم.[1]

وقال الحافظ ابن كثير-رَحِمَهُ اللَّهُ-: اشتغل بالعلوم، وكان ذكيًا كثير المحفوظ، فصار إمامًا فى التفسير وما يتعلق به، عارفًا بالفقه، فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا فى زمانه وغيره، وكان عالمًا باختلاف العلماء، عالمًا فى الأصول والفروع، والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قُطعَ فى مجلس، ولا تكلم معه فاضلٌ فى فن من الفنون

---

(١) باختصار من العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادى (١٩)، ط. المدنى.

إلا ظنَّ أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفًا متقنًا له، وأما الحديث، فكان حامل رايته، حافظًا له مميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله، متضلعًا من ذلك، وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة فى الأصول والفروع، كَمُلَ منها جملة، وَبُيِّضَتْ، وكتبت عنه وقرأت، عليه بعضها، وجملة كبيرة لم يكملها، وجملة كملها، ولم تُبَيَّضْ إلى الآن، وأثنى عليه وعلى علومه جماعة من علماء عصره، مثل القاضى الخوبى، وابن دقيق العيد، وابن النحاس والقاضى الحنفى قاضى قضاة مصر ابن الحريرى، وابن الزملكانى وغيرهم، وَوَجَدْتُ بخط ابن الزملكانى أنه قال: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتدين، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات:

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ ... وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الحَصْرِ

هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ ... هُوَ بَيْنَنَا أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ

هُوَ آيَةٌ فِى الخَلْقِ ظَاهِرَةٌ ... أَنْوَارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الْفَجْرِ

وهذا الثناء عليه وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة.(١)

وقال العلامة ابن عبد الهادى: وللشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- من المصنفات والفتاوى، والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط، ولا أعلم أحدًا من متقدمى الأمة، ولا متأخريها جمع ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريبًا من ذلك، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثير منها صنف فى الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب.(٢)

وقال الشيخ أثير الدين أبى حيان النحوى: لما دخل الشيخ مصر واجتمع به فأنشد أبو حيان:

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٧). (٢) العقود الدرية (٢٠/ ٢١).

لمَّا رَأَيْنَا تَقِيَ الدِّينِ لاح لَنَا دَاع إِلَى اللَّهِ فَرْدًا مَا لَهُ وزر

على محيَّاه منْ سيما الأولى صَحِبُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ نُورٌ دُونَهُ الْقَمَرُ

حَبْرٌ تَسَرْبَلَ مِنْهُ دَهْرُهُ حِبَرًا بَحْرٌ تَقَاذَفَ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدُّرَر

قَامَ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِي نَصْرِ شِرْعَتِنَا مَقَامَ سَيِّدِ تيم إِذْ عَصَتْ مُضَرُ

فَأَظْهَرَ الدِّينَ إِذ آثارُهُ دَرَسَتْ وَأَخْمَدَ الشِّرْكَ إِذْ طَارَتْ لَهُ شَرَرُ

يَا مَنْ تَحَدَّثُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ أَصِخْ هَذَا الإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَر

وقال ابن العماد الحنبلي: يشير بهذا إلى أنه المجدد، وممن صرح بذلك الشيخ عماد الدين الواسطي، وقد توفي قبل الشيخ، وقال في حقِّ الشيخ بعد ثناء طويل جميل ما لفظه: فوالله، ثم والله ثم والله لم يرَ تَحْتَ أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علمًا وعملاً وحالاً وخلقًا، واتباعًا، وكرمًا، وحلمًا، وقيامًا في حق الله عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقدًا، وأصحهم علمًا وعزمًا، وأنقذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همةً، وأسخاهم كفًا وأكملهم اتباعًا لنبيه محمد ﷺ.

ما رأينا في عصرنا هذا مَنْ تستجلى النبوة المحمدية من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة.(١)

وقال الألوسي: وكان العلم كأنه اختلط بلحمه ودمه وسائره، فإنه لم يكن له مستعاراً بل كان له شعارًا ودثارًا، جمع الله له ما خرق له العادة، ووفقه في جميع عمره لأعلام السعادة، وجعل مآثره لإمامته من أكبر شهادة، حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عنى نبينا ﷺ بقوله: «**إن الله، يبعث على رأس كل مئة سنة، من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**» فقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين، والحمد لله رب العالمين.(٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٦/ ٨٣) ط، دار الآفاق.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني (٢/ ١٦٥)، لمحمود شكري الألوسي ط، دار إحياء السنة النبوية الجديدة بيروت.

٥ - عِبَادَتُـهُ وَزُهْـدُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال البزار: أما تعبده، فإنه قل أن سُمع بمثله، لأنه كان قد قطع جل وقته، وزمانه فيه، حتى أنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تَعَالَى ما يراد له لا من أهل ولا من مال، وكان في ليله متفردًا عن الناس كلهم خاليًا بربه -عَزَّ وَجَلَّ- ضارعًا مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميله يمنة ويسرة، وكان قد عُرفت عادته لا يكلمه أحد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر، فلا يزال في الذكر يسمع نفسه، وربما يسمع ذكره إلى جانبه مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء، هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس، ويزول وقت النهي عن الصلاة.(١)

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الصبح ثم جلس يذكر الله إلى قريب من منتصف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغدَّ سقطت قوتي، أو كلامًا قريبًا من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلامًا قريبًا هذا معناه.(٢)

أما عن زُهْده: فإن الشيخ -رَحِمَه اللَه- نظر إلى هذه الدنيا نظرة ازدراء، تلاشت عنده مظاهرها، وتجلت حقيقتها، ومن ثم أراح نفسه من تعب الدنيا ونصبها في خدمة البدن، وشمر سائرًا لله والدار الآخرة، فارغ القلب من الشهوات، ممتلئة بمحبة الله ورسوله، وبوعود الله ورسوله وقد فتح الله عليه بهذا الزهد من صِغَرِه، حتى كان شعارًا له وصفة، أطبق مترجموه على ذكرها، حدث شيخه الذي علمه القرآن قال: قال لي أبوه وهو صبي -يعني الشيخ- أحب إليك أن توصيه، وتعده بأنك إن لم تنقطع عن القراءة والتلقين أدفع إليك كل شهر أربعين درهمًا، وقال: ودفع إليَّ أربعين درهمًا، وقال: أعطه إياها؛ فإنه صغير وربما يفرح بها، فيزداد

(١) الأعلام العلية (٣٦-٣٨).

(٢) الوابل الصيب.

حرصه فى الاشتغال بحفظ القرآن ودرسه، وقال له: لك فى كل شهر مثلها فامتنع من قبولها، وقال: يا سيدى، إنى عاهدت الله تعالى أن لا أخذ على القرآن أجرًا ولم يأخذها.

قال البزار: وإلا فمن رأينا من العلماء من قنع من الدنيا بمثل ما قنع هو منها، أو رضى بمثل حالته التى كان عليها؛ لم يسمع أنه رغب فى زوجة حسناء، ولا سُرِّية حوراء، ولا دار قوراء، ولا مماليك وجوار، ولا بساتين ولا عقار، ولا شد على دينار ولا درهم، ولا رغب فى دواب ولا نعم ولا ثياب ناعمة فاخرة، ولا حشم، ولا زاحم فى طلب الرئاسات ولا رؤى ساعيًا فى تحصيل المباحات.[1]

٦ - أَخْلاقُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

قال ابن عبد الهادى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لم يبرح شيخنا فى ازدياد من العلوم، وملازمة للاشتغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد فى سبيل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة فى العلم والعمل والزهد، والورع والشجاعة، والكرم والتواضع، والحلم والإنابة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والأمانة، والعفة والصيانة، وحسن القصد، والإخلاص والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له، وشدة التمسك بالأثر والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق، ونفع الخلق، وبالإحسان إليهم، والصبر على من آذاه، والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير.[2]

فمن أخلاقه: الكرم، والتواضع، والشجاعة، والحلم والصفح.

كَرَمُه -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

قال الإمام البزار: وحدثنى من أثق به أن الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- كان ماراً يومًا فى بعض الأزقة، فدعا له بعض الفقراء، وعرف الشيخ حاجته، ولم يكن مع الشيخ

(١) نقلاً عن القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية (٧١).
(٢) العقود الدرية (٦، ٧).

ما يعطيه، فنزع ثوباً على جلده ودفعه إليه، وقال: بعْه بما تيسر، وأنفقه، واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة، وهذا من أبلغ إخلاص العمل لله -عَزَّ وَجَلَّ-، فسبحان الموفق من شاء لما شاء. وسأله إنسان ذات يوم كتابًا ينتفع به فقال: خذ ما تختار فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفًا، قد اشترى بدراهم كثيرة، فأخذه ومضى، فلام بعض الجماعة الشيخ فى ذلك، فقال: أكان يحسن بى أن أمنعه بعدما سأله، دعه فلينتفع به. وبيَّن ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- كذلك أن كرمه كذلك كان فى العلم، فقال: فكان إذا سُئل عن مسألة من العلم ذكر مذاهب الناس فيها، ومأخذ الخلاف فيها، وترجيح القول الراجح، وذكر متعلقات المسألة التى ربما تكون أنفع للسائل من مسألته فيكون فرحه بتلك المتعلقات واللوازم أعظم من فرحه بمسألته، وكان خصومه يعيبونه بذلك، ويقولون: سأله السائل عن طريق مصر-مثلاً- فيذكر له معها طريق مكة والمدينة، وخراسان والعراق والهند، وأى حاجة بالسائل إلى ذلك؟! ولعمر الله ليس ذلك بعيب، وإنما العيب: الجهل، والكبر وهذا موضع المثل المشهور:

لَقَّبُوهُ بِحَامِضٍ وَهُوَ خَلٌّ … مِثْلُ مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْعُنْقُودِ(١)

تَوَاضُعُهُ -رحِمَهُ اللَّهُ-: قال البزار: وكان لا يسأم ممن يستفتيه، بل يقبل عليه ببشاشة وحب، ولين عَرِيكَة، ويقف معه حتى يكون هو الذى يفارقه ولا يُجَبِّهُهُ ولا يحرجه، ولا يُنَفِّرُهُ بكلامٍ يوحشه، بل يجيبه ويفهمه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط، وكان يلزم التواضع فى حضوره مع الناس ومغيبه عنهم، فى قيامه وقعوده، ومشيه ومجلسه، ومجلس غيره.(٢)

وحكى البزار عن بعض أصحابه قال: «ولقد بالغ معى فى حال إقامتى بحضرته فى التواضع والإكرام حتى إنه لا يذكرنى باسمى، بل يلقبنى بأحسن الألقاب، وأظهر لى من الأخلاق والمبالغة فى التواضع، بحيث إنه كان إذا خرجنا من منزله بقصد القراءة، يحمل هو بنفسه النسخة، ولا يدع أحدًا منا

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) الأعلام العلية (٥٠، ٥١).

يحملها عنه، وكنت أعتذر إليه من ذلك، خوفًا من سوء الأدب، فيقول: لو حملته على رأسى لكان ينبغى، ألا أحمل ما فيه كلام رسول الله ﷺ .

وكان يجلس تحت الكرسى ويدع صدر المجلس، حتى إنى لأستحى من مجلسه هناك، وأعجب من شدة تواضعه . . . وكان هذا حاله فى التواضع والتنازل والإكرام لكل من يرد عليه أو يصحبه أو يلقاه، حتى أن كل من لقيه يحكى عنه من المبالغة فى التواضع نحوًا مما حكيته وأكثر من ذلك، فسبحان من وفقه وأعطاه، وأجراه على خلال الخير، وحياه . . ». (١)

شَجَاعَتُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: قال الألوسى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وأما شجاعته وجهاده، فأمر متجاوز للوصف، فكان -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما قال الحافظ سراج الدين أبو حفص فى مناقبه: هو من أشجع الناس وأقواهم قلباً، ما رأيت أحداً أثبت جأشًا منه، ولا أعظم فى جهاد العدو منه، كان يجاهد فى سبيل الله بقلبه، ولسانه، ويده، ولا يخاف فى الله لومة لائم.

وأخبر غير واحد أن الشيخ كان إذا حضر مع عسكر المسلمين فى جهاد يكون بينهم إن رأى من بعضهم هلعًا أو جبنًا شجعه وثبته، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبَيَّنَ له فضل الجهاد والمجاهدين، وكان إذا ركب الخيل يجول فى العدو، كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، وينكى العدو من كثرة الفتك بهم، ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت، وحدثوا أنهم رأوا منه فى فتح عكا أمورًا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا: ولقد كان السبب فى تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته، وحسن نظره.

ولما ظهر السلطان ابن غازان على دمشق المحروسة، جاءه ملك الكرج، وبذل له أموالاً كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، فوصل الخبر إلى الشيخ، فقام من فوره، وشجع المسلمين، ورغبهم فى الشجاعة،

---

(١) الأعلام العلية (٥١، ٥٢).

ووعدهم على قيامهم بالنصـر والظفر والأمن وزوال الخوف، فانتدب منهم رجـال من وجوههم وكـبرائهم، وذوى أحـلامهم، فـخرجوا مـعه إلى حضـرة السلطان غـازان، فلما رأى الشـيخَ أوقع اللَّه له فـى قلبه هيـبـة عظيمـة، حـتى أدناه منه وأجلسه، وأخـذ الشيخ فى الكلام مـعه فى عكس رأيه من تسليـط المخذول ملك الكرجِ على المسلمين، وأخـبره بحرمـة دماء المسلمين، وذكره ووعظه فـأجابه إلى ذلك طائعاً، وحقنت بسببه دماء المسلمين، وحميت ذراريهم، وصين حريمهم.

قال الشـيخ كمـال الدين الأنجا: كنت حـاضرًا مع الشـيخ، فجـعـل يحدث السلطان بقـول الله ورسـوله في العـدل وغيـره، ويرفع صـوته على السلطان، ويقرب منه فى أثناء حـديثه، حتى لقد قـرب أن يلاصق بركبته ركـبة السلطان، والسلطان مع ذلك مـقبلٌ عليه بكليـته مصغٍ لمـا يقول، شاخص إليـه لا يعرض عنه، وإن السلطان من شدة ما أوقع الله فى قلبه من المحـبة والهيبة. سأل: مَنْ هذا الشيخ؟ فإنى لم أر مثله، ولا أثبت قلبًا منه، ولا أوقع من حديثه فى قلبى، ولا رأيتنى أعظم انقـيادًا لأحـد منه، فأخـبر بحـاله، وما هو عليـه من العلم والعمل، فقال الشيخ للترجمان: قل لغازان أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاض وإمام وشيخ ومـؤذنون على ما بلغنا، فغزوتنا، وأبوكَ وجدك كانا كـافرين، وما عمـلا الذى عملت عاهدا فـوفيا، وأنت عاهدت فـغدرت، وقلت فمـا وفيت، وجُرْتَ، ثم خرج من بين يديه مكَرَّمًـا معززاً بحسن نيته الصـالحة من بذل نفسه فى طلب حقـن دماء المسلمين، فـبلغه الله تَعَـالَى ما أراده، وكان أيـضًا سبـبًا لتـخليص غالـب أَسَارَى المسلمـين من أيديهم، وَرَدَّهُمْ على أهـليهم، وحـفظ حريمهم، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات، وقوة التجاسر.

وكان يقول: لا يخاف الرجل غـير الله إلا لمرض فى قلبـه، فإن رجلاً شكا إلى أحمد بن حنبل خـوفه من بعض الولاة، فقال: لو صـححت لم تخفْ أحدًا. أى خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك.[1]

---

(1) غاية الأمانى (٢/ ١٧٦، ١٧٧).

وحكى أحد الحُجَّابِ الأمراء عن معركة شقحب قال: قال لى الشيخ يوم اللقاء وقد تراءى الجمعان: يا فلان، أوقفنى موقف الموت قال: فسبقته إلى مقابلة العدو وهم منحدرون كالسيل، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار، وقلت له: هذا موقف الموت فدونك وما تريد، قال: فرفع طرفه إلى السماء وأشخص بصره، وحرك شفتيه طويلاً، ثم انبعث وأقدم على القتال، وما عدت رأيته حتى فتح الله، ونصر ودخل جيش الإسلام إلى دمشق المحروسة.

حِلمُهُ وَصَفْحُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: قال الأستاذ ناصر بن عبد الله الميمان: امتلأ قلب الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بحب العلم والحق والخير، ولم يكن فيه مجال لحظوظ النفس، والانتقام لها، والثأر لمصالحها، ومن هنا تجده يقف من خصومه وأعدائه الذين سعوا ما أمكنهم فى أذاه، وتجاوزوا فى خلافهم معه حدود العلم إلى الصراع الشخصى، والرغبة فى إذلاله، وكبت أمره، وتقليل شأنه، نجد الشيخ -رَحِمَه اللَه- يقف منهم موقفًا حميداً ينم عن قلب طاهر نقى، فهو يحلل، ويسامح كل من ظلمه، وآذاه.

جاء فى رسالة كتبها فى مصر إلى إخوانه فى دمشق: «. . . وقد أظهر الله نور الحق وبرهانه، ما رد به إفك الكاذب وبهتانه، فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علىَّ، أو ظلمه وعدوانه، فإنى قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مسلم من الخير ما أحبه لنفسى، والذين كذبوا وظلموا منهم فى حلٍ من جهتى، وأما ما يتعلق بحقوق الله، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم، فلو كان الرجل مشكورًا على سوء عمله لكنت أشكر من كان سبباً فى هذه القضية لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، ولكنَّ اللهَ هو المشكور على حسن نعمه وآلائه، وأياديه التى لا يقضى للمؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له ».

وأكبر من ذلك وأعظم موقفه من خصومه من علماء مصر الذين أمروا بسجنه، وسعوا فى قتله، فإنه لما عاد الملك الناصر إلى القاهرة، واسترد حكمه كان أول

شىء فعله أن طلب شـيخ الإسلام من الإسكندرية، فلما قدم عليـه أكرم وفادته، واستقبله أحسن استقبال، ثم أخذه إلى طرف المجلس، وتحدث معه ساعة.(١) قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وسمعت الشيخ تقى الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا من ذلك الشباك الذى جَلَسَا فـيه، وأن السلطان استفتى الشيخ فى قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فـيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك، ومبايعـة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضـاً، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه فى قتل بعضهم، وإنما كان حـقده عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيـه من عزله ومبـايعة الجاشنكيـر، ففهم الشـيخ مراد السلطان فـأخذ فى تعظيم القضاة والعلماء وينكر أن ينال أحـداً منهم بسوء، وقال له: إن قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له: إنهم قد آذوك، وأرادوا قتلك مراراً.

فقال الشـيخ: من آذانى فهو فى حل، ومن آذى الله ورسوله، فـالله ينتقم منه وأنا لا أنتصر لنفسى، وما زال به حتى حَلُمَ عنهم السلطان، وَصَفَح.(٢)

قال: وكان قاضى المالكـية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيـمية، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.(٢)

٧ - محْنَـةُ الشَّيْـخِ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الشوكانى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وقع للشـيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- من أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعد أخرى فى حيـاته، وَجَرَتْ فتنٌ عديدة، والناس قسمان فى شأنه: فبـعض منهم مقصر به عن المقـدار الذى يستحقه بل يرمـيه بالعظائـم، وبعض منهم يبـالغ فى وصفه ويجـاوز به الحد، ويتعـصب له كما يتـعصب أهل القِسْمِ الأول عليه، وهذه قـاعدة مطردة فى كل عالم يتبحر فى المعـارف العلمية، ويفوق أهل عـصره، ويدين بالكتاب والسـنة، فإنه لابد وأن يستنكره المقـصرون، ويقع له معهم محنة، بعد مـحنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له

(١) القواعد والضوابط (٦٧، ٦٨).
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٥٤).

بتلك الزلازل لسان صدق فى الآخرين ويكون لـعلمه حظ لا يكون لغيره، وهكذا حال هذا الإمام؛ فإنه بعد موته عـرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه، إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته، واشتهرت مقالاته.[1]

فقد تعرض شيخ الإسـلام -رَحِمَه اللَّهُ- لمحن كثيرة متتـابعة، فلا يكاد تمر عليه فـترة من الزمن حـتى يتـعـرض لمحنة، أو يشارك فى مـعركــة، أو تقع بينه وبين بعضــهم مخـاصمــة، أو مناظرة حتى خـتمت حـياته بقلعـة دمشق، وهو صـابر محـتسب، وقد حيل بينه وبين الكتابة والإفـادة، فعكف على تلاوة القرآن، فختمه إحدى وثمانين ختمة، انتهى فـى آخر ختمة إلى قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٤-٥٥).

فمن المحن التى تعرض لـها شيخ الإسلام -رَحِمَهُ الـلَّهُ-: أن أهل حماة كـانوا قد وجهوا للشيخ سؤالاً سنة ٦٩٨ هـ، فأجـابهم بما عُرف بالفتوى الحموية الكبرى التزم فيها قانون السلف فى الأسماء والصـفات والبعد عن التأويل والتعطيل، وكان الحسد قد استقر فى قلوب كثيـر من الفقهاء، فألبوا عليه بعض الولاة، ولكن التتار كانوا مستمـرين فى زحفهم، ففر الولاة والفقهاء وصمـد لها الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فلما مَنَّ الله بالنصر على التـتار، واستقرت أمور العبـاد، وعاد الشيخ إلى الإفادة والتصنيف تحرك الحـسد من جديد فى قلوب الحاقدين، لعلو كـعب الشيخ وارتفاع مقامه عند العامة والولاة على السواء.

ومن ذلك: مـا حـدث بينه -رَحِـمَـهُ اللَّهُ- وبين أبـى حـيـان فى القـاهرة سنة ٧٠٠هـ، وكان أبو حيان قد استقبل شيـخ الإسلام استقبالاً حسناً. وقال: ما رأت عيناى مثل هذا الرجل، امتدحه بأبيات من نظمه تقدم ذكرها، ثم دار بينهما كلام، فجرى ذكر سيـبويه، فأغلظ ابن تيمية القول فى سيبـويه، فنافره أبو حيان وقطعه، وصيَّر ذلك ذنبًا لا يغفر، وسُـئل عن السبب، فقال: ناظرته فى شىء من العربية،

---

(١) البدر الطالع (١/ ٦٥).

فذكرت له كلام سيبويه، فقال: ما كان سيبويه نبى النحو، ولا كان معصومًا بل أخطأ فى الكتاب فى ثمانين موضعًا ما تفهمها أنت.

فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره فى تفسير البحر بكل سوء، وكذلك فى مختصره النهر[1].

ومن ذلك: ما حدث له بسبب الطائفة الأحمدية الرفاعية سنة ٧٠٥ هـ، وكانوا يلبسون أطواق الحديد فى أعناقهم ويدَّهنون بدهن خاص، ثم يدخلون النار لا يحترقون، يَمْخَرِقُونَ بذلك على العامة من أهل الإسلام، فاشتد نكير الشيخ عليهم حتى شكوه إلى نائب السلطنة، يطلبون أن يكف الشيخ عنهم، وأن يتركهم وحالهم، فقال الشيخ: هذا لا يمكن، ولابد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة، قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً الحمَّام، ويغسل جسده جيداً، ثم يدخل إلى النار بعد ذلك إن كان صادقًا، ولو فرض أن أحدًا من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن ذلك لا يدل على صلاحه، ولا على كرامته، بل حالة من أحوال المخالفة للشريعة، إذا كان صاحبها على السنة، فما الظن بخلاف ذلك؟ وانتهى الحال على أن يخلعوا أطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه.

ثم ورد فى السَّنَة نفسها كتابٌ من السلطان بحَمْلِ الشيخ إلى القاهرة، فتوجه إليها على البريد، وخرجت جموع المسلمين باكية حزينة لوداعه، وهو واثق يرجو ويأمل فلما وصل إلى القاهرة عقد له مجلس فى القلعة، اجتمع فيه القادة وكبار رجال الدولة والقضاة والفقهاء، فلم يمكنوه من الكلام وتولى الادعاء عليه زين الدين بن مخلوف قاضى المالكية، فأخذ الشيخ فى الكلام فحمد الله، وأثنى عليه، فقيل له: أجب ولا تخطب، فعلم أنها المحاكمة لا المجادلة، فقال: من الحاكم فىَّ؟ فقيل له القاضى المالكى، فقال له الشيخ: كيف تحكم فىَّ وأنت خصمى، وآل أمرُ الشيخ إلى الحبس فى برج أيامًا، نقل بعدها ليلة عيد الفطر إلى

---

(١) البدر الطالع (١/ ٧٠) بتصرف.

السجن المعروف بالجب، وحبس معه أخواه شرف الدين وزين الدين، ولبث فى السِّجن نحو ثمانية عشر شهرًا حتى إذا كان شهر ربيع الأول سنة ٧٠٧ هـ حضر حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب إلى مصر، ودخل السجن، وأخرج الشيخ بنفسه بعد أن استأذن فى ذلك.

وخرج الشيخ فأقام بالقاهرة يعلِّم الخير، وينشر العلم، ويجتمع عليه الناس، حتى تقدم الصوفية بشكاية ضده إلى القاضى، وذكروا أنه يتناول ابن عربى وغيره من أعلام التصوف فى الكلام، وهؤلاء عند الصوفية حريم مقدس لا يمس، فخُيِّر الشيخ بين أشياء: أن يقيم بدمشق أو يقيم بالإسكندرية بشروط أو يحبس، فكان أن اختار الحبس مؤثرًا له على قبول تلك الشروط، ودخل السجن فى العام الذى خرج فيه.

ورغب أصحاب الشيخ إليه أن يجيب فى السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شرطوه عليه، فأجاب وركب متوجهًا إليها، فأبى خصومه إلا أن يكون فى قبضتهم، وتحت أعينهم، فصدر الأمر برده إلى القاهرة، فردَّ من الغد إليها، وأرسل إلى حبس القضاة، وأذن بأن يكون عنده من يخدمه، وكان السلطان الناصر بن قلاوون عارفًا قدر الشيخ، مُحبًا له، إلا أنه فى تلك الفترة كان قد عزل نفسه، وتولى السلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، وكان تلميذًا لنصر المنبجى الصوفى الذى يصدُر عن شِرب ابن عربى فى آرائه وأقواله، فأصبح شيخ الإسلام عدوًا سياسيًا على نحو ما، إذ ينظر إليه على أنه من أنصار الناصر بن قلاوون، ويقول فى أمور الاعتقاد بغير ما يقول به السلطان بيبرس وشيخه المنبجى الصوفى.

وتقرر نفى الشيخ إلى الإسكندرية فى الليلة الأخيرة من شهر صفر سنة ٧٠٩هـ، ومكث بها نحو ثمانية أشهر، مقيمًا ببرج مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر، يدخل إليه من شاء، ويتردد عليه الأكابر والفقهاء والأعيان يبحثون معه ويتعلمون منه.[1]

---

(١) الكواكب الدرية لمرعى بن يوسف الكرمى (١٣٥) نقلاً عن «حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» لمحمد بن سعيد رسلان (١٧-١٩).

قال الألوسى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عما هم فيه، كالشطرنج والنرد، مع تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله تَعَالَى بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم فى أعمال الخير، وحضهم على ذلك، حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيرًا من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتلئ منهم.(١)

وظل الشيخ بالإسكندرية حتى عاد السلطان الناصر إلى عرش مصر فى يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩هـ فأمر بإطلاق سراح الشيخ، وحمله إلى القاهرة مكرماً، فخرج الشيخ منها متوجهًا إلى القاهرة، ومعه خلق من أهلها يودعونه، ويسألون الله أن يرده إليهم، وكان وقتًا مشهوداً، ووصل إلى القاهرة فى الثامن عشر من شوال، واجتمع بالسلطان فى يوم الجمعة الرابع والعشرين منه.

واستمر الشيخ بالقاهرة ينشر العلم، ويحارب البدع، حتى توجه مع الجيش المصرى قاصدًا غزو التتار، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس، ومنه إلى دمشق، وجعل طريقه على «عجلون»، ووصل دمشق أول يوم من ذى القعدة سنة ٧١٢هـ، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع.

عاد الشيخ إلى الشام، فعاد إلى نشر العلم، وتصنيف الكتب، والإفتاء كلامًا وكتابة، يدور مع الكتاب والسنة حيث دارا.

وأفتى الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فى مسائل كثيرة من مسائل الفقه على حسب ما أدى إليه اجتهاده، فكان أن أفتى فى الحلف بالطلاق بعدم الإلزم، وأنه لا يقع به طلاق، وفرق بين الطلاق المعلق وبيَّنه، خالف بذلك ما عليه الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، واستنكار الفقهاء من أتباع المذاهب فتوى الشيخ، وجاهروا

(١) غاية الأمانى فى الرد على النبهانى (٢/ ١٩٦).

باستنكارهم، وكان ذلك فى سنة ٧١٨هـ، وأشار قاضى قضاة الشام على الشيخ بالكف عن الإفتاء فى هذه المسألة -مسألة الحلف بالطلاق- فقبل -رَحِمَه اللَّه- ووردت إشارة من السلطان بمنع الشيخ من الإفتاء بهذه المسألة، ونودى بذلك فى البلد، ولكن الشيخ امتنع قليلاً ثم عاد إلى الإفتاء حتى لا يقع فى إثم كتم العلم.

وانعقد مجلس بدار الحكم بحضرة نائب السلطنة حضره القضاة والفقهاء والمفتون من المذاهب الأربعة، وعاتبوا الشيخ دون جداله، وتكرر العتاب، والرجاء، ولم يفد كل ذلك شيئاً، فتقرر حبسه بأمر نائب السلطنة، واستمر محبوساً خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، تبدأ من اليوم الثانى والعشرين من رجب سنة ٧٢٠ هـ، وأفرج عنه بأمر السلطان فى اليوم العاشر من محرم سنة ٧٢١هـ.

وعاد الشيخ إلى دروسه من جديد، إلا أن الأعين المتربصة به، والقلوب الناقمة عليه، كانت له بالمرصاد، واجتمع المتآمرون عليه، وكاتبوا السلطان فجاء الأمر إلى دمشق فى السابع من شعبان سنة ٧٢٦هـ بحبس الشيخ فى القلعة قلعة دمشق.

وأخليت فى القلعة قاعة للشيخ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بأمر السلطان، واعتقل تلاميذه وأولياؤه، وعُزِّر بعضهم بإركابهم على الدواب والمناداة عليهم، ثم أطلقوا ما عدا تلميذه النجيب ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

وفرح الشيخ بالحبس هذه المرة، وأخذ يطالع فى سجنه ويصنف التصانيف ويرسلها خارج سجنه، حتى ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده من كتب وأوراق ومحابر، وأقلام ومنع منعًا باتًا من المطالعة، وكان ذلك فى اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧٢٨هـ.

ولم يطل الأمر بالشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فقد مرض فى محبسه، وكانت مدة مرضه بضعة وعشرون يومًا واستأذن الوزير شمس الدين فى الدخول عليه لعيادته، فأذن له الشيخ فى ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحله مما كان منه، فأجابه الشيخ أنه قد أحله مما كان منه، لكونه فعل ذلك مقلداً

غيره معذورًا، ولم يفعله لحظ نفسه، وقال: قد أحللت كل أحدٍ مما بيني وبينه إلا من كان عدوًا لله ورسوله ﷺ .

ثم توفي الشيخ -رَحِمَهُ اللَه- ليلة الاثنين لعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وكان بعد إخراج كتبه قد عكف على كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فكان يختم كل عشرة أيام ختمة.[1]

٨- شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ - رَحِمَهُمْ اللَّهُ-

شُيُوخُهُ:

١- زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم الإمام المحدث سند العصر، إليه منتهى علو الإسناد.

٢- تقى الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليسر التنوخى المسند الشهير.

٣- أمين الدين أبو محمد القاسم بن أبى بكر بن قاسم بن غنيمة الأرلبى.

٤- شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن مكى الدمشقى.

٥- والده شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية.

٦- شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى صاحب الشرح الكبير.

٧- عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن أحمد العلثى الحنبلى.

٨- فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البخارى.

٩- مجد الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عثمان بن المظفر بن هبة الله ابن عساكر الدمشقى.

---

(١) باختصار وتصرف من رسالة أخينا الفاضل محمد بن سعيد رسلان «حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٩-٢٦).

١٠ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القوى بن بدران بن عبد الله المرداوى المقدسى.[1]

تلامذته:

١ - شرف الدين أبو عبد الله محمد بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى.

٢ - جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف بن على المزى.

٣ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى.

٤ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الدمشقى الذهبى.

٥ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ابن أيوب المشهور بابن القيم الجوزية.

٦ - صلاح الدين أبو سعيد خليل ابن الأمير سيف الدين كيكلدى العلائى الدمشقى.

٧ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسى.

٨ - شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبدالله بن أبى عمر ابن محمد ابن أبى قدامة.

٩ - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصرى القرشى الدمشقى.

١٠ - تقى الدين أبو المعالى محمد بن رافع بن هجرس بن محمد الصميدى السلامى.[2]

---

(١) باختصار من القواعد والضوابط (٧٧-٨٠).

(٢) باختصار من القواعد والضوابط (٨٨-٩٣).

٩ – آثَــارُهُ الْعِلْمِيَّــةُ – رَحِمَهُ اللَّهُ–

وهى كثيرة جـدًا متنوعة تضيق هذه الترجمة المختصرة عن استيعابها، ونشير إلى أشهرها من المنشور:

١ – مجموع الفتاوى، ٣٧ مجلداً.

٢ – الفتاوى الكبرى، ٥ مجلدات.

٣ – درء تعارض العقل والنقل، ٩ مجلدات.

٤ – منهاج السنة النبوية.

٥ – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

٦ – الصارم المشهور على شاتم الرسول ﷺ.

٧ – الصفدية، مجلدان.

٨ – الاستقامة، مجلدان.

٩ – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

١٠ – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح «مجلدان».

١١ – السياسة الشرعية للراعى والرعية.

١٢ – الفتوى الحموية الكبرى.

١٣ – التحفة العراقية فى الأعمال القلبية.

١٤ – نقض المنطق.

١٥ – أمراض القلوب وشفاؤها.

١٦ – قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة.

١٧ – الحسنة والسيئة.

١٨ – مقدمة فى علم التفسير.

١٠- وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَمَا قِيلَ فِى رِثَائِه

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- مَا ملخصه:

وقد اتفق موته فى سحر ليلة الاثنين المذكورة، أى ليلة العشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ، فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها، وتكلم به الحراس على الأبرجة، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم، والأمر الجسيم فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجىء منه، فحارت الدولة ماذا يصنعون، وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزاه فيه، وجلس عنده، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب، فاجتمع عند الشيخ فى قاعته خلق من أخصَّاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية، فجلسوا عنده يبكون ويثنون «على مثل ليلى يقتل المرء نفسه»، وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزِّى -رَحِمَهُ اللَّهُ- وكشفت عن وجه الشيخ، ونظرت إليه وقبلته، وعلى رأسه عمامة بعذب مغروزة، وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه، وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا فى الحادية والثمانين فانتهينا إلى آخر اقتربت الساعة: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ (القمر: ٥٤، ٥٥) فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران: عبد الله بن المحب، وعبد الله الزرعى الضرير- وكان الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يحب قراءتهما - فابتدءا من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى.

ثم شرعوا فى غسل الشيخ، وخرجت إلى المسجد هناك، ولم يدعوا عنده إلا من ساعد فى غسله منهم شيخنا الحافظ المزى وجماعة من كبار الصالحين الأخيار أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة، وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى الجامع ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموى والخلائق فيه بين يدى الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يحصى عدتهم إلا الله تَعَالَى، فصرخ صارخ وصاح صائح: هكذا تكون جنازة أئمة السنة، فتباكى الناس، وضجوا عند سماع هذا الصارخ، ووضع الشيخ فى موضع الجنائز مما يلى

المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصًا، وجاء الناس من كل مكان، ونوى خلق الصيام، لأنهم لا يتفرغون فى هذا اليوم لأكل ولا لشرب، وكثر الناس كثرة لا تحد ولا توصف.

وبالجملة كان يومًا مشهودًا لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون فى زمن بنى أمية، حين كان الناس كثيرين، وكانت دار الخلافة، ثم دفن عند أخيه قريبًا من أذان العصر على التحديد، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة.(١)

مَا قيلَ فِى رِثَائِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

قالَ الدقوقى -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

مَضَى عَالَمُ الدُّنيَا الَّذِى عَزَّ فَقْدُهُ	وأَضْرَمَ نَارًا فِى الجَوَانِح بَعْدَهُ
فدَعَى طَلِيق فَوْقَ خَدِّى مُسَلْسَلٌ	أُكَفْكِفُه حِينًا وَجِفْنِى يَرُدُّهُ
ويَرْجُو التَّلاقِى والفِرَاقُ يَصُدُّهُ	وَمَا حِيلَةُ الرَّاجِى إذَا خَابَ قَصْدُهُ
مَضَى الطَاهِرُ الأَثْوَابِ ذُو الْعِلْمِ وَالحِجَى	وَلَمْ يَتَدَنَّسْ قَطُّ بِالإِثْمِ بَرْدُه
مَضَى الزَّاهِدُ النَّدْبُ ابْنُ تَيْمِيَةَ الَّذِى	أَقَرَّ لَهُ بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ ضِدُّهُ
بَكَتْهُ بِلاَدُ الشَّامِ طُرًا وَأَهْلُهَا	وَجَامِعُهَا وَانْمَاعَ لِلْحُزْنِ صَلْدُهُ
يَحِنُّ إلَيهِ فِى النَّهَارِ صِيَامُهُ	وَيَشْتَاقُهُ فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وِرْدُهُ
ويَبْكِى لَهُ نَوْعُ الْكَلامِ وجِنْسُهُ	ويَنْدبُهُ فَصْلُ الخِطَابِ وحَدُّهُ
حَمَى نَفْسَهُ الدُّنْيَا وَعَفَّ تَكَرُّمًا	وَلَمَّا يُصَعِّرْ لِلدَّنيَاتِ خَدَّهُ(٢)

وقال الشيخ شهاب الدين أحمد بن فضل الله:

أَهَكَذَا فِى الدَّيَاجِى يُحْجَبُ الْقَمَرُ	ويُحْبَسُ النُّورُ حَتَّى يَذْهَبَ المَطَرُ
أَهَكَذَا تُمْنَعُ الشَّمس المُنِيرَةُ عَنْ	مَنَافِعِ الأَرْضِ أَحْيَانًا فَتَسْتَتِرُ
أَهَكَذَا الدَّهْرُ لَيْلاً كُلُّهُ أَبَدًا	فَلَيْسَ يُعْرَفُ فِى أَوْقَاتِهِ سَحَرُ
أَهَكَذَا السَّيْفُ لا تَمْضِى مَضَارِبُهُ	وَالسَّيْفُ فِى الْفَتْكِ مَا فِى عَزْمِهِ خَوَرُ

(١) باختصار من القواعد والضوابط (٧٧-٨٠).

(٢) باختصار من القواعد والضوابط (٨٨-٩٣).

أَهَكَذَا الْقَوْسُ تَرْمِي بِالْعَرَاءِ وَمَا تَصْمِي الرَّمَايَا وَمَا فِي بَانِي بَاعِهَا قَصَرُ

أَهَكَذَا يَتْرُكُ الْبَحْرُ الْخِضَمُّ ولا يُلْوَى عَلَيْهِ وَفِي أَصْدَافِهِ الدُّرَرُ

أَهَكَذَا يَتَّقِي الدِّينَ قَدْ عَبَثَتْ أَيْدِي الْعِدَى وَتَعَدَّى نَحْوَهُ الضَّرَرُ

إِلَى ابْنِ تَيْمِيَةَ تُرْمَى سِهَامُ أَذَى مِنَ الأَنَامِ وَيُدْمَى النَّابُ وَالظُّفُرُ

بَدَا السُّوَيْقُ مُمْتَدَّ الْعِبَادَةِ لا يَنَالُهُ مَلَلٌ فِيهَا ولا ضَجَرُ

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ بَعْدَ الصَّحَابَةِ فِي عِلْمٍ عَظِيمٍ وَزُهْدٍ مَا لَهُ خَطَرُ(١)

وقال الشيخ الصالح محمد أبو طاهر البعلى الحنبلى:

يَا بْنَ تَيْمِيَةَ يَا أَنْصَحَ الْعُلَمَا يَا مَنْ لأَسْرَارِ دِينِ اللهِ قَدْ فَهِمَا

يَا آيَةً ظَهَرَتْ فِي الْكَوْنِ بَاهِرَةً لا زِلْتَ فِي سِلْكِ دِينِ اللهِ مُنْتَظِمَا

وَكُنْتَ وَاسِطَةً فِي عِقْدِهِ أَبَدًا تُزِيلُ مِنْهُ الأَذَى وَالْفُحْشَ وَالسَّقَمَا

جَمَّعَتْ مِنْهُ الَّذِي قَدْ كَانَ فَرَّقَهُ قَوْمًا راوه هُدًى مِنْهُ وَكَانَ عَمَى

وَكُنْتَ أَحْرَصَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمْ عَلَى التَّآلُفِ تُعْطِي الْفَضْلَ وَالنِّعَمَا

وَلَسْتَ خَبًّا لَئِيمًا بَاخِلاً شَرِهًا لَكِنْ تَقِيًّا نَقِيًّا سَيِّدَ الْكُرَمَا

تَعْفُو عَنِ الْجَاهِلِ الْجَانِي وَتَرْحَمُهُ وَتُكْثِرُ الْعَدْلَ وَالإِنْصَافَ لِلْخُصَمَا

مَا زِلْتَ تَغْضَبُ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَلَمْ تَكُنْ لِنَفْسِكَ يَا ذَا الْحِلْمِ مُنْتَقِمَا

فَأَنْتَ حَبْرُ هُدًى أَحْيَا الإِلَهُ بِهِ مِنْ دِينِهِ سَنَنًا أَمَاتَهُ الْغُشَمَا

فِي رَأْسِ سَبْعِ مِئِينَ قَدْ وَجَبَتْ لَكَ الإِمَامَةُ يَا خُلاَصَةَ الْعُلَمَا(٢)

انتهى بحمد الله ما جمعناه من سيرة هذا الإمام، عليه رحمة الملك العلام، وجمعنا اللهُ وإياه فى دار السلام، وصلى الله وسلم على النبى العدنان.

---

(١) باختصار من البداية والنهاية (١٤/١٣٨، ١٣٩).

(٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧٠، ٢٧١).

مِـنْ أَعْـلَامِ السَّـلَـفِ

(٥٨)

مُؤَرِّخُ الإِسْلَامِ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ

اسْمُهُ: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الشيخ عبد الله التركمانى الفارقى، ثم الدمشقى الشافعى، شمس الدين أبو عبد الله الذهبى.

اشتهر وصف إمامنا أبى عبد الله بـ «الذهبى» والواقع أن هذا الوصف لأبيه «أحمد» الذى برع فى صنعة الذهب المدقوق، والباحث المتتبع يجد أن الحافظ أبا عبد الله كان يعبر دائماً عن نفسه بقوله «ابن الذهبى»، ويكتب هذه النسبة فى مؤلفاته وإجازاته والسماعات التى بخطه، ولم يخالف ذلك إلا مرة واحدة حينما رحل إلى مصر، فعرف نفسه لابن دقيق العيد بـ «الذهبى».[١]

وقال الدكتور بشار عواد معروف: وعرف محمد بابن الذهبى نسبة إلى صنعة أبيه، وكان هو يقيد اسمه «ابن الذهبى»، ويبدو أنه اتخذ صنعة أبيه مهنة له فى أول أمره، لذا عرف عند بعض معاصريه بـ «الذهبى»، مثل الصلاح الصفدى، وتاج الدين السبكى، والحسينى، وعماد الدين بن كثير وغيرهم.[٢]

مَوْلِدُهُ: ولد ثالث شهر ربيع الآخر سنة (٦٧٣هـ) فى قرية كَفْر بَطْنا.[٣]

---

(١) الحافظ الذهبى مؤرخ الإسلام ناقد المحدثين إمام المعدلين والمجرحين لعبد الستار الشيخ (٢٩) ط، دار القلم. دمشق.

(٢) مقدمة سير أعلام النبلاء (١/ ١٦).

(٣) قرية من قرى غوطة دمشق الشرقية، وهى عامرة إلى الآن، وتبعد عن دمشق بضعة كيلو مترات.

٢ – ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال رفيقه وشيخه علم الدين البرْزالى: رجل فاضل، صحيح الذهن، اشتغل ورحل وكتب الكثير، وله تصانيف واختصارات، وله معرفة بشيوخ القراءات.[(١)]

وقال تلميذه صلاح الدين الصفدى: الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبى، حافظ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام فى تواريخهم والإلباس، ذهنه يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل فى التأليف، اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيرًا من تصانيفه، ولم أجد عنده جمود المحدثين، ولا كودنة النقلة.[(٢)]

وقال التاج السبكى: شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ محدث العصر، اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص: المزى، والبرزالى، والذهبى، والشيخ الإمام الوالد، لا خامس لهؤلاء فى عصرهم، وأما أستاذنا أبو عبد الله، فبصر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة؛ إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال فى كل سبيل، وهو الذى خرجنا فى هذه الصناعة، وأدخلنا فى عداد الجماعة.[(٣)]

وقال العماد بن كثير -رحمه اللَّهُ-: الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام شيخ المحدثين، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه.[(٤)]

ووصفه تلميذه الحسينى بأنه: الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين، قدوة الحفاظ والقراء، محدث الشام ومؤرخه، ومفيده.[(٥)]

---

(١) رونق الألفاظ لسبط ابن حجر ورقة (١٨٠)، نقلاً عن مقدمة الدكتور بشار عواد معروف لسير أعلام النبلاء (١/ ٦٩).

(٢) الوافى (٢/ ١٦٣) نقلاً عن مقدمة السير (١/ ٧٠).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠، ١٠١).

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٥).

(٥) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٤).

وقال في موضع آخر: وكان أحد الأذكياء المعدودين والحفاظ المبرزين.[1]

وحينما قدم العلامة أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الأصل الأطرابلسي إلى دمشق سنة ٧٣٤ هـ، ودرس على الذهبي في تلك السنة قال فيه:

مـا زِلْتُ بالسَّمْعِ أَهْوَاكُمْ وَمَا ذُكِرَتْ ... أخبـاركم قَطُّ إلا مِلْتُ مِنْ طَرَبِ

وَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنْ مِلْتُ نَحْوَكُمْ ... فَالنَّاسُ بِالطَّبْعِ قَدْ مَالُوا إِلَى الذَّهَبِ[2]

وقال الحافظ ابن حجر: قرأت بخط البدر النابلسي في مشيخته: كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم، حديد الفهم، ثاقب الذهن، وشهرته تغني عن الإطناب فيه.[3]

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: الشيخ الإمام، الحافظ الهمام، مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعدلين والمجرحين، وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالماً بالتفريع والتأصيل، إماماً في القراءات، فقيهاً في النظريات.[4]

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: مهر في فن الحديث، وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثيرة، حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً، ورغب الناس في تواليفه، ورحلوا إليه بسببها.[5]

وقالَ المحدث المؤرخ سبط ابن حجر: خَرَّجَ، وصحح وعدَّل ورجح، وأتقن هذه الصناعة، وفاق فيها فنعمت البضاعة، فهو الإمام سيد الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، إمام المحدثين، قدوة الناقدين.[5]

وقال الحافظ السيوطي: والذي أقوله: إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر.[5]

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٦). (٢) الرد الوافر (٣١، ٣٢).

(٣) الدرر (٣/٤٢٧)، نقلاً عن مقدمة د. بشار عواد (١/٧١).

(٤) نقلاً عن الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام لعبد الستار الشيخ (٥،٦).

(٥) نقلاً عن الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام لعبد الستار الشيخ (٦).

وقال تلميذه تقى الدين بن رافع السلامى المتوفى سنة ٧٧٤هـ: وكان خَيِّراً صالحاً متواضعاً، حسن الخلق، حلو المحاضرة، غالب أوقاته فى الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة، له ورد بالليل، وعنده مروءة وعصبية وكرم.[1]

وقال الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤هـ: مع ما كان عليه من الزهد التام، والإِيثار العام، والسبق إِلى الخيرات، والرغبة بما هو آت.[1]

٣ – طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ وَاجْتِهَادُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ–

بدأ الذهبى فى طلب العلم حين بلغ الثامنة عشرة من عمره، وتوجهت عنايته إِلى علم القراءات والحديث الشريف.

قال الدكتور بشار عواد ما ملخصه: اهتم الذهبى بدراسة القرآن الكريم، والعناية بدراسة علم القراءات، فتوجه سنة ٦٩١هـ هو ورفقة له إِلى شيخ القراء جمال الدين أبى إِسحاق إِبراهيم بن داود العسقلانى ثم الدمشقى، المعروف بالفاضلى.

وما لبث الذهبى أن أصبح على معرفة جيدة بالقراءات وأصولها ومسائلها، وهو لما يزل فتى لم يتعد العشرين من عمره.

وفى الوقت نفسه، كان الذهبى وهو فى الثامنة عشرة من عمره قد مال إِلى سماع الحديث، واعتنى به عناية فائقة، وانطلق فى هذا العلم حتى طغى على كل تفكيره، واستغرق كل حياته بعد ذلك، فسمع ما لا يحصى كثرة من الكتب، والأجزاء، ولقى كثيراً من الشيوخ والشيخات، وأصيب بالشره فى سماع الحديث وقراءته، ورافقه ذلك طيلة حياته، حتى كان يسمع من أناس لا يرضى عنهم. قال فى ترجمة علاء الدين أبى الحسن على بن مظفر الإِسكندرانى ثم الدمشقى، شيخ دار الحديث النفيسية المتوفى سنة ٧١٦هـ: ولم يكن عليه ضوء فى دينه، حملنى الشره على السماع من مثله، والله يسامحه، كان يُخِلّ بالصلوات، ويرمى بعظائم الأمور» وقال

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/٦٨).

فى ترجـمة شيخه شهاب الدين غـازى بن عبد الرحـمن الدمشقى المتوفى سنة ٧٠٩هـ: وكان ذا سيرة غير محمودة، فالله يعفو عنه، كتب عنه خلق من أبناء البلد.

بل إنه ليذهب به حـبه للحديث إلى القـراءة على الصمِّ، فقد ذكر فى ترجـمة شيخـه محمود بن مـحمد الخرائطى الصالحى الأصم المتـوفى سنة ٧١٦هـ: قرأت عليه بأقوى صوتى فى أذنه.[1]

٤- رِحْـــلاتُــهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الأستاذ عبد الستار الشيخ ما ملخصه:

لقـد حرص الذهبى على الرحلة إلى الـبلاد العـامرة بالعلمـاء، لكن والده لم يشجـعه عليهـا، وربما منعه فى بعض الأحايين، ولعـل ذلك يعود إلى أن الذهبى وحيـد أبويه، فضن الأب بابنه، حُبـاً له، ومخافة علـيه، وقد تحسـر الإمام على تأخره فى الرحلة، بيد أنه أطاع أباه والتزم بما اشترطه عليه وأوصاه به.

قال الذهبى فى ترجمة عبد الرحـمن بن عبد اللطيف البغدادى المقرئ (ت ٦٩٧هـ): وانتهى إليه عـلو الإسناد، وقد هممت بالرحلة إليه ثم تركـتـه لمكان الوالد. وقال فى موضع آخـر، وانفرد عن أقـرانه: وكنت أتحسر على الرحـلة إليه، وما أتجـسر خوفاً من الوالد، فإنه كان يمنعنى.

وفى ترجـمة عـبد الله بن منصور شيخ القـراء بالإسكندرية (ت٦٩٢هـ) يقول: ولما مات شـيخنا الفـاضلى قبل إكـمـالى القراءات بقـيت أتلهف، فذكـر لى هذا الشيخ، وإنه باقٍ بالإسكـندرية، وإنه أعلى رواية من الفـاضلى، فازددت تلهـفـاً وتحسراً على لقيه، ولم يكن الوالد يمكننى من السفر.

ثم سمح له أبوه بـالسفر والرحلة عندمـا اشتد عـوده، وبلغ نحواً من عـشرين سنة، واشترط عليه أن لا يغيب أكثر من أربعة أشهر.

(١) باختصار من مقدمة السير (١/ ٢٠-٢٣).

قال فى ترجمة يحيى بن أحمد الجذامى الإسكندرانى (ت ٧٠٥هـ): وقد وجد الذهبى صعوبة فى القراءة عليه لصممه، فخاف أن يضيع وقت الرحلة القصير دون فائدة «وكنت وعدت أبى وحلفت له أنى لا أقيم فى الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفت أعقه».

رحل الإمام الذهبى إلى الأشياخ المشهورين فى دمشق وقُرَاهَا، ثم طَوَّفَ كثيراً فى مدن وبلدان سورية، ولبنان والأردن، وفلسطين.

ورحل إلى مصر فى السادس عشر من رجب سنة ٦٩٥هـ.

ورحل إلى الديار المقدسة للحج والسماع سنة ٦٩٨ هـ.[١]

٥ - أَثَرُ شُيُوخِهِ وَأَقْرَانِهِ فِى تَكْوِينِهِ الْفِكْرِى

قال الدكتور بشار عواد: اتصل الذهبى اتصالاً وثيقاً بثلاثة من شيوخ ذلك العصر، وهم: جمال الدين أبو الحجاج المِزِّى «٦٥٤ - ٧٥٢هـ»، وتقى الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المعروف بابن تيمية الحرَّانى «٦٦١-٧٢٨هـ»، وعلم الدين أبو محمد، القاسم بن محمد البرزالى «٦٦٥-٧٣٩هـ»، وترافق معهم طيلة حياتهم، وكان الذهبى أصغر رفاقه سناً، وكان أبو الحجاج المِزِّى أكبرهم، وكان بعضهم يقرأ على بعض فهم شيوخ، وأقران فى الوقت نفسه.

وقد ساعد من شد أواصر هذه الرفقة اتجاههم نحو طلب الحديث، منذ فترة مبكرة، وميلهم إلى آراء الحنابلة، ودفاعهم عن مذهبهم، مع أن المزى والبرزالى والذهبى كانوا من الشافعية، وكان كل واحد منهم محبًا للآخر، ذاكرًا فضله، يذكر الذهبى جيدًا أن علم الدين البرزالى هو الذى حبَّب إليه العناية بالحديث النبوى الشريف، فقال فى «معجم شيوخه الكبير»: الإمام الحافظ، المتقن الصادق، الحجة مفيدنا ومعلمنا، ورفيقنا، محدث الشام، مؤرخ العصر . .». وقال فى موضع آخر: «وهو الذى حبَّب إلىَّ طلب الحديث، فإنه رأى خطى، فقال: خطك يشبه خط المحدثين، فأثر قوله فىَّ، أو سمعت منه، وتخرجت به فى أشياء.

---

(١) الحافظ الذهبى مؤرخ الإسلام (٤٧-٥٩).

وكتب الذهبى عـن شيخـه ورفيقـه المِزّى بأنه: العلامـة الحافظ البارع، أسـتاذ الجماعة محدث الإسلام، وأنه كان خاتمة الحفاظ، وناقد الأسانيد، والألفاظ، وهو صاحب معضلاتنا، وموضح مشكلاتنا.

أما ابن تيمـية، فكانت شخصـية قد اكتملت منذ أن كـان الذهبى شاباً فى أول طلبه العلم، وكان قـد أصبح مجتهدًا له آراؤه الخاصـة، التى تقوم فى أصلها على اتباع آثار السلف، وابتدأ منذ سنة ٦٩٨هـ يدخل فى خصومات عقائدية حادة، مع علماء عصره من المخـالفين له، وقد أحب الذهبى شيخه، ورفـيقه، وأعجب به، فقال بعـد أن مدحه مدحًا عظيـمًا: «وهو أكبر من أن ينبه مـثلى على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أنى ما رأيت بعـينى مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسـه فى العلم، ولما مات رثاه بقصـيدة. ومع أن الذهبى قد خالف رفـيقه، وشيـخه فى مسائل أصليـة، وفرعيـة، وأرسل إليه نصيحـته الذهبيـة التى يلومه، وينتقـد بعض آرائه وآراء أصحـابه بها، إلا أنه بلا ريب قـد تأثر به تأثراً عظيـمًا؛ بحـيث قـال تاج الدين السـبكى المتـوفى سنة ٧٧١هـ: «إن هذه الرفـقـة المزى، والذهبى، والبرزالى، أضـر بها أبو العـباس ابن تيمـية إضرارًا بيناً، وحـمّلها من عظائم الأمور أمراً ليس هينًا، وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم.

إن هذه الصلة بين الرفقة وما اختطوه لأنفسهم فيما ارتضوه، ومالوا إليه من آراء الحنابلة، قـد أدت فى كـثير مـن الأحيان إلى إيذائهم، والـتحامل عليـهم بما ليس فيهم، وقد أُوذى المِزِّى بسبب ذلك، وحـرم الذهبى بسبب آرائه من تولى أكبر دار للحديث بدمشق، هى دار الحديث الأشرفية، التى شغرت مشيختها بعد وفاة رفيقه المِزى سنة ٧٤٢ هـ، فأشـار قاضى القضـاة على بن عبد الكـافى أن يعين الذهبى لها، فتكلم الشافعية بأن الذهبى ليس بأشعرى.[1]

(١) وهذه الشهادة نعتز بهـا، وهى من بركة قرب الإمام الذهبى من رفيقه وشيخه شـيخ الإسلام ابن تيمية، الذى نفض الغبار عن عـقيدة أهل السنة ومنهجهـم، وتظهر عقيدة الإمام الذهـبى السلفية فى بعض مؤلفاته ككتـاب «العلو» وكذا فى ثنايا التراجم، حيث يظهر دائماً عـقيدة أهل السنة، ويرد على من خالفها، وهذا من أسباب تحامل التاج السبكى عليه أحياناً -رحم الله الجميع وغفر لهم-.

٦ - شُيُوخُهُ وَأَقْرَانُهُ

شُيُوخُهُ: ذكرت أغلب مصادر ترجمته أن عدد شيوخه بالسماع، والإجازة، نحو ألف وثلاثمائة شيخ، فمن أعيان شيوخه: أحمد بن إسحاق الأبرقوهى، وابن الظاهرى، وابن فرح الإشبيلى، وأبو العباس الحجَّار، وأبو الفضل ابن عساكر، وإبراهيم بن داود بن ظافر الفاضلى، وبرهان الدين الفزارى، والحافظ الدمياطى، وعبد الرحمن بن عبد الحليم سُحنون، وسنقر القضائى الزينى، وعبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبى ثم المصرى، وعثمان بن محمد بن عثمان التَّوزرِى، وعثمان بن يوسف النويرى، وأبو الحسين اليونينى، وأبو حفص ابن القواس، ومحمد بن أحمد بن تمام بن حسان، ومحمد بن أبى الفاتح البعلبكى، ومحمود ابن أبى بكر الأرموى القرافى، وأبو بكر محمد بن القاسم المرسى، وخديجة بنت يوسف بن غنيمة، وزينب بنت أحمد بن عمر، وفاطمة بنت إبراهيم.

أقْرَانُهُ:

أبو الحجاج المزى (٦٥٤-٧٤٢هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)، علم الدين البرزالى (٦٦٥-٧٣٩هـ)، أحمد بن يعقوب بن الصابونى (٦٧٥، ٦٧٦- ٧٣١هـ)، عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد الحارثى (٦٧١-٧٣٢هـ)، تقى الدين السبكى (٦٨٣-٧٥٦هـ)، ابن سيد الناس (٦٧١-٧٣٤هـ)، ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ).

٧ - مُصَنَّفَاتُهُ

وهى كثيرة متنوعة فى القراءات، والحديث والعقائد، وأصول الفقه، والرقاق والتاريخ، والتراجم والسير، ونحن نشير إلى أشهرها، فراراً من التطويل، فمن ذلك المستدرك على مستدرك الحاكم، الموقظة فى علم مصطلح الحديث، العلو، للعلى الغفار، الكبائر، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تذكرة الحفاظ، سير أعلام النبلاء، العبر فى خبر من غبر، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، السيرة النبوية، وهى فى تاريخ الإسلام، قض نهارك بأخبار ابن المبارك، بيان زغل العلم،

والطلب، الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة، ومن شاء مطالعة مصنفاته، فليراجع مقدمة الدكتور بشار عواد معروف لسير أعلام النبلاء حيث ذكر ٢١٥ مصنفًا ما بين مطبوع، ومخطوط، ومفقود.

٨- وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

أجمعت مصادر ترجمته على أنه مات فى ليلة الاثنين، ثالث ذى القعدة، سنة (٧٤٨هـ) بدمشق، ودفن بمقبرة باب الصغير، وحضر الصلاة عليه جملة من العلماء، منهم تلميذه السبكى، وقد نقل لنا تاج الدين السبكى صورة مؤثرة عن آخر ساعات شيخه الذهبى، فقال: توفى -رحمه الله تَعَالَى- ليلة الاثنين ثالث ذى القعدة بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح فى قاعة سكنه، ورآه الوالد قبل المغرب، وهو فى السياق، ثم سأله: «أدَخَلَ وقت المغربِ؟ فقال له الوالد: ألم تصلِّ العصر، فقال: نعم، ولكن لم أصلِّ المغرب إلى الآن، وسأل الوالد -رحمه الله- عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا، فأفتاه بذلك، ففعله، ومات بعد العشاء قبل نصف الليل، ودفن بباب الصغير، حضرت الصلاة عليه، ودفنه، وكان قد أضر قبل موته بمدة يسيرة».

وذكر ابن كثير أنه توفى بتربة أم الصالح، وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر فى جامع دمشق، ودفن بباب الصغير.

مَرَاثِيهُ: رثاه غير واحد من تلامذته، منهم الصفدى، ومن ذلك قوله:

أَشَمْسَ الدينِ غِبْتَ وَكُلُّ شَمْسٍ ... تَغِيبُ وَزَالَ عَنَّا ظِلُّ فَضْلِكْ

وَكَمْ وَرَّخْتَ أَنْتَ وَفَاةَ شَخْصٍ ... وَمَا وَرَّخْتَ قَطُّ وَفَاةَ مِثْلِكْ

ورثاه التاج السبكى بقصيدة يقول فيها:

مَنْ لِلْحَدِيثِ وَلِلسَّارِينَ فِى الطَّلَبِ ... مِنْ بَعْدِ مَوْتِ الإِمَامِ الحَافِظِ الذَّهَبِى

مَنْ لِلرِّوَايَةِ لِلأَخْبَارِ يَنْشُرُهَا ... بَيْنَ الْبَرِيَّةِ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبِ[1]

(١) باختصار من الحافظ الذهبى لعبد الستار الشيخ (٥٣٣، ٥٣٤).

مِنْ أَعْلَامِ السَّلَفِ

(٥٩)

ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُهُ وَمَوْلِدُهُ

اسْمُهُ: محمد بن أبى بكر ابن أيوب بن سعد بن حريز بن مكى، زين الدين الزُّرعى، ثم الدمشقى الحنبلى.

وكنيته أبو عبد الله، ولقبه شمس الدين.

وهو المشهور بابن القيم الجوزية، ويطلق عليه اختصارًا ابن القيم، ولا يصح أن يطلق عليه ابن القيم الجوزية، فقد كان قيم المدرسة الجوزية بدمشق والده الشيخ أبو بكر ابن أيوب الزرعى، واشتهرت ذريته وحفدتهم من بعد ذلك، فصار الواحد فيهم يدعى بابن قيم الجوزية.

والجوزى نسبة إلى محلة بالبصرة، وقيل إلى الجوز وبيعه.

مَوْلِدُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

قال الدكتور بكر أبو زيد: تتفق كتب التراجم على أن تاريخ ولادته سنة ٦٩١هـ، وذكر تلميذه الصفدى تحديد اليوم والشهر، فبيّن أن ولادته فى اليوم السابع من شهر صفر من السنة المذكورة، وتابعه على ذلك ابن تغرى بردى والداورى، والسيوطى، ولم أر من صرح بمحل ولادته، هل هو فى (زرع) أم فى (دمشق) سوى المراغى فى (طبقات الأصوليين)، فذكر أن ولادته فى دمشق، وهم يقولون فى ترجمته، وترجمة والده (الزرعى الأصل ثم الدمشقى)، ومعلوم أن

إصطلاحهم فى هذا التعبير قد يريدون بـه محل الولادة ثم محل الانتقال للمترجم له، وقد يريـدون أن والده أو أجداده مثلاً من هـذه البلدة، ثم صار الانتـقال إلى الأخرى، والله أعلم.(١)

٢ – ثَنَـاءُ الْعُلَـمَـاءِ عَلَيْـهِ

قال ابن رجب الحنبلى -رحـمه الله-: تفقـه فى المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقى الدين بن تيمـية، وتفنن فى علوم الإسلام، وكان عارفًا فى التـفسير لا يجارى فـيه، وبأصول الدين، وإليـه فيه المنتـهى، والحديث، ومعـانيه، وفقـهه، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق فى ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وعلم الكلام، والنحو، وغير ذلك، وكان عالمًا بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم، له فى كل فن من هذه الفنون اليد الطولى.(٢)

ويقول ابن كثير-رَحِمَهُ اللَّهُ-:

«سمع الحديث، واشتـغل بالعلم، وبرع فى علوم متعددة، لاسيما علم التـفسير، والحديث، والأصلين، ولما عاد شيخ الإسـلام من الديار المصرية سنة ٧١٢هـ- لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخـذ عنه علماً جماً، مع ما سلف له من الاشتـغال، فصار مزيدًا فى بابه فى فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهارًا، وكثرة الابتهال.(٣)

وقـال ابن ناصر الدمـشقـى: وكان ذا فنون من العلوم، وخـاصـة التفـسيـر، والأصول من المنطق والمفهوم.(٤)

وقال الذهبى: عنى بالحديث، ومـتونه، ورجاله، وكان يشتغل بالفـقه، ويجيد تقريره، وفى النحو، ويدريه، وفى الأصلين.(٥)

---

(١) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره (٩-١٠) ط. مكتبة المعارف الرياض.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨) نقلاً عن ابن قيم الجوزية حياته وآثاره (٢٩).

(٣) البداية والنهاية (١٤/٢٠٢).

(٤) الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام فهو كافر (٣٥-٣٦).

(٥) نقلاً عن ابن القيم الجوزية حياته وآثاره (٣٠).

وقال الشوكاني: برع في شتى العلوم، وفاق الأقران، و اشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف.[(١)]

وقال القاضي برهان الدين الزرعي: «ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه، ودرس بالصدرية، وأمَّ بالجوزية مدة طويلة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة».[(٢)]

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الشافعي: الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أحد المحققين، علم المصنفين نادرة المفسرين، له التصانيف الأنيقة، والتآليف التي في علوم الشريعة، والحقيقة.[(٣)]

وقال الحافظ السيوطي: وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية.[(٣)]

وقال القاضي عبد الرحمن التفهني الحنفي: تلميذه -أي ابن تيمية- ابن قيم الجوزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق. وقال أيضًا: ولو لم يكن له من آثار إلا ما اتصف به تلميذه ابن القيم من العلم لكفى.[(٤)]

وقال ملا علي القارئ فيه، وفي شيخه: ومن طالع شرح منازل السائرين، تبين له أنهما من أكابر أهل السنة، والجماعة، ومن أولياء هذه الأمة.[(٥)]

وقال صدِّيق حسن خان: الحبر العظيم (الشأن الرفيع المكان).[(٥)]

٣ - عِبَادَتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَأَخْلاقُهُ

قال ابن رجب الحنبلي -رَحِمهُ اللَّه-: وكان -رَحِمَه اللَّه تَعَالَى- ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله، ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة،

---

(١) البدر الطالع (١/ ١٤٣).

(٢) نقلاً عن ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه لعبد العظيم عبد السلام شرف الدين (٧٠).

(٣) نقلاً عن ابن قيم الجوزية لمحمد بن مسلم الغنيمي (١٠٤).

(٤) نقلاً عن ابن قيم الجوزية لمحمد بن مسلم الغنيمي (١٠٤، ١٠٥).

(٥) نقلاً عن ابن قيم الجوزية لمحمد بن مسلم الغنيمي (١٠٥).

والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله فى ذلك، ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعانى القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر فى معناه مثله، وقد امتحن، وأوذى مرات، وحبس مع الشيخ تقى الدين فى المرة الأخيرة بالقلعة، منفردًا عنه، ولم يفرج عنه، إلا بعد موت الشيخ، وكان فى مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر، والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق، والمواجب الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام فى علوم أهل المعارف، والدخول فى غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك.

حَجَّ مرات، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه.[1]

وقال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: لا أعرف فى هذا العالم فى زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة فى الصلاة يطيلها جدًا، ويمد ركوعها، وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه فى بعض الأحيان، فلا يرجع، ولا ينزع عن ذلك -رحمه الله-.[2]

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه، يذكر الله حتى يتَعَالَى النهار، ويقول: هذه غدوتى، لو لم أقعدها، سقطت قواى، وكان يقول: بالصبر والفقر، تنال الإمامة فى الدين، وكان يقول: لابد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره، ويهديه.[3]

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه، ولا يستعبده، ولا يحقد على أحد، وبالجملة كان قليل التطير فى مجموع أموره، وأحواله، والغالب عليه الخير، والأخلاق الفاضلة.[2]

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٨) نقلاً عن ابن القيم حياته وآثاره (٢٥، ٢٦).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٢٠٢).

(٣) الدرر الكامنة (٣/ ٤٠٠) نقلاً عن ابن القيم الجوزية عصره ومنهجه (٧١).

٤ - طَلَبُـهُ لِلْعِلْمِ - رَحِمَـهُ اللّـهُ -

قال الدكتـور بكر بن عبد الله أبو زيد: إن الناظر فى ترجمة ابن القـيم -رَحِمَهُ اللَّه تَعَـالَى- يلمس منه الرغبـة الصادقـة فى الطلب، والجد العظيم فى الـبحث، والنظر، والحـرية، فى التلقى عن الشيوخ من الحنابلة وغيـرهم، والتفانى فى سبيل العلم، وامتزاج ذلك بلحمه، ودمـه منذ نعومة أظفاره، وانبرى فى الطلب فى سن مبكرة، وعلى وجه التحديد فى السابعة من عمره، ويظهر ذلك بالمقارنة بين تاريخ ولادته سنة ٦٩١هـ وتاريخ وفيات جملة من شيوخه، الذين أخذ عنهم.

فمن شيوخه الشهاب العابر، المتوفى سنة ٦٩٧هـ، فـيكون على هذا بدأ بالسماع، وهو فى السابعة من عمره، وقد أثنى ابن القـيم على شيخه الشهاب، وذكـر طرفًا من تعبيره الرؤيا فى كتابه (زاد المعاد) ثم قال: وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لى قـراءة هذا العلم عليه، لصـغر السـن، واختـرام المنية له -رَحِـمَـهُ اللَّهُ- ومن شيوخه، أبو الفتح البعلبكى المتوفى سنة ٧٠٩هـ وقد قرأ عليه عددًا من الكتب فى النحـو من بينها ألفـية ابن مالك، والألفية ونحـوها مـن المطولات فى العربية، لا يدرسها إلا من تمكن، وبرع، وأشرف على النهاية فى الطلب.

ومعنى هذا أنه أتقن العربية، وهو دون التاسعة عشرة من عمره .

وهكذا فى عدد من شيوخه، وأساتذته، كما يأتى فى ثبت شيوخه إن شاء الله، وإن كثرة سماعه وشيوخه، ووفرة علومه التى أتقنها، وتفنن فيها، مع أن مدة مقامه فى هذه الدنيا تقارب ستين عاماً، تعطيناً تدليلاً ماديًا أيضًا على صدق هذه النتيجة.[١]

٥ - مِحْنَـتُـهُ - رَحِمَـهُ اللّـهُ -

قال الأستاذ عبد العظيم عبد السـلام شرف الدين: وقد أصابه ما أصاب شيخه من أذى، فقد اعتقل معه بالقلعة بعد أن أهين، وطيف به على جـمل مضروبًا بالدرة، وحبس، لإنكاره شد الرحـيل لزيارة قـبر الخليل، وجرت له محنة مع القضاة، وذلك أنه أفتى بجواز المسابقة بغير محلل، فأنكر عليه السبكى وطلبه، فرجع عما كان يفتى به.

(١) ابن القيم الجوزية حياته وآثاره (٢٧، ٢٨).

ويوضح هذا أن الشافعية، والحنفية وأحمد يرون أنه إذا سابق شخص آخر، وبذل أحدهما الرهن كان السباق جائزاً، فإن بذل كل منهما رهنًا، لم يجز السباق إلا إذا أدخلا بينهما محللاً، وذلك لأن السباق بدونه فى هذه الحال يكون قماراً لأن كلاً منهما يكون عرضة لأن يأخذ إذا سَبَقَ، ويؤخذ منه إذا سُبِقَ، فلو أدخلا بينهما محللاً، جاز الرهن، وهو ثالث يأتى بفرس كفء لفرسيهما، ولا يدفع شيئًا فإن سبقهما أخذ ما دفعاه، وإن سبق المحلل مع أحدهما اشترك والسابق فى مال الأخير، وإن سبقاه أحرزا ما أخرجاه، ولم يغرم المحلل شيئًا، وقد خالفهم ابن القيم، فرأى جواز المسابقة دون محلل، بل مال إلى عدم جواز المحلل، ومما جاء عنه فى هذا المقام قوله: والقول بالمحلل مذهب تلقاه الناس عن سعيد بن المسيب، وأما الصحابة فلا يحفظ عن أحد منهم قط أنه اشترط المحلل، ولا راهن به مع كثرة تناضلهم، ورهانهم، بل المحفوظ عنهم خلافه.

وقد عرض أدلة القائلين بالمحلل، وفندها، ثم عرض الأدلة المانعة للمحلل، ومما جاء عنه فى بيان ما يترتب على المحلل من فساد قوله، وفى هذا نوعان من الفساد:

أحدهما: الخروج عن موجب الإنصاف، الذى هو لازم للشريعة الكاملة، دائر معها، فإنَّ مدارها على العدل.

الثانى: أن يجعل المطيع لله ورسوله، الباذل للرهن رغبة فى تعلم السبق للتمكن من الجهاد أسوأ حالاً من هذا المستعار الذى هو دخيل، بل هذا الدخيل وهو المحلل مراعى جانبه ومصلحته.

وقد حبس مع شيخه منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان فى مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر، والتفكر، وفتح عليه من ذلك خير كثير، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه.[1]

(١) ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف (٧١، ٧٢) مكتبة الكليات الأزهرية.

وقال الدكتور/ بكر بن عبدالله أبو زيد ما ملخصه:

اشتهر عنه كثير من الفتاوى، والعقائد أوذى بسبب بعضها ومنها ما يلى:

١ - مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد:

أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى- بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر واحدة، وقد تصدى ابن القيم للفتوى بهذه المسألة على وفق اختيار شيخه ابن تيمية، وعامة أهل الأرض مطبقون على أن طلاق ثلاث بلفظ واحد يعتبر ثلاثاً لا واحدة، وهذا أمر من شأنه أن يبعث وحشة واستنكاراً فى النفوس، حاشا نفوس من لهم اطلاع واسع على تاريخ الفقه، وعلم الخلاف.

ويذكر تلامذته ما وقع له بسبب هذه الفتوى، فيقول ابن كثير:

«وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التى اختارها الشيخ تقى الدين بن تيمية وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضى القضاة تقى الدين السبكى، وغيره».

٢- فتواه بجواز المسابقة بغير محلل.[١]

٣- إنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل:

سعى ابن القيم جاهداً، لرد الخلف إلى طريق السلف، هذا يخالف ما كان عليه المستوى الفكرى فى المجتمع الذى يعيش فيه، إذ قد استولى عليه عدة أوهام، وأحاط به جملة معتقدات لا تتفق ومذهب السلف، ومن المسلَّم به أن ينال ابن القيم من الأذى ما ناله، إذا جهر بقوله الحق فى مجتمع كهذا.

فإن من الأعمال المعدودة من باب القربات شد الرحال إلى قبر الخليل، فأنكر ابن القيم ذلك، ونعى على معاصريه عامتهم، وخاصتهم، وبيَّن أن شد الرحال له من الأمور المنكرة فى الدين، والبدع المخالفة للصراط المستقيم، فأحدث ذلك صراعاً عجيباً، أوذى وسجن بسببه، وفى ذلك يقول ابن رجب:

---

(١) وقد تقدم بسطها.

وقد حبس مدة، لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل.(1)

٦ - شُيُوخُهُ وَتَلامِذَتُهُ

شُيُوخُهُ: والده أبو بكر ابن أيوب قيم الجوزية، وابن عبد الدائم، شيخ الإسلام ابن تيمية، الشهاب العابر، ابن الشيرازى، المجد الحرانى، ابن مكتوم، الكحالى، البهاء بن عساكر، الحاكم سليمان تقى الدين أبو الفضل ابن حمزة، شرف الدين بن تيمية أخو شيخ الإسلام، المطعِّم، فاطمة بنت جوهر، مجد الدين التونسى، البدر ابن جماعة، أبو الفتح البعلبكى، الصف الهندى، الزملكانى، ابن مفلح، المزِّى.

تلامذته: البرهان بن القيم الجوزى، ابنه برهان الدين، ابن كثير، ابن رجب، شرف الدين بن القيم، ابنه عبد الله بن محمد، السبكى، على بن عبد الكافى ابن على بن تمام السبكى، الذهبى، ابن عبد الهادى، النابلسى، الغزى، الفيروز آبادى المقرى.

٧- حجَّاتُهُ وَمُجَاوَرَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الدكتور بكر أبو زيد حفظه الله:

ويذكر لنا أخص تلاميذه به العلامة ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن شيخه ابن القيم -رحمَه اللَّه- حج مرات كثيرة، وجاور بمكة مدة، فيقول:

«وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة، وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه».

وابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يذكر فى مناسبات من كتبه بعض أحواله، وهو فى مكة حرم الله وأمنه، منها ما يلى:

١- منها تأليفه كتابه (مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة). مدة مقامه بمكة -حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى -فيقول فى أواخر مقدمته له:

---

(1) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره (٤٢، ٤٣).

«وكان هذا من بعض النزول،[١] والتحف التى فتح الله بها علىَّ حين انقطاعى إليه عند بيته، وإلقائى نفسى ببابه، مسكيناً ذليلاً، وتعرضى لنفحاته فى بيته، وحوله بكرة وأصيلاً، فما خاب من أنزل به حوائجه، وعلق به آماله، وأصبح ببابه مقيمًا، وبحماه نزيلاً».

٢- اسْتِشْفَاؤُهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، قال: ولقد أصابنى أيام مقامى بمكة أسقام مختلفة، ولا طبيب هناك ولا أدوية كما فى غيرها من المدن، فكنت أستشفى بالعسل وماء زمزم، ورأيت فيها من الشفاء أمرًا عجيبًا.

٣- تعالجه بالرقية، وشرب ماء زمزم، قال فى كتابه (مدارج السالكين) فى معرض كلامه على الرقى:

لقد جربت أنا من ذلك فى نفسى، وفى غيرى أمورًا عجيبة، ولاسيما مدة المقام بمكة؛ فإنه كان يعرض لى آلام مزعجة بحيث تكاد تنقطع الحركة منِّى، وذلك فى أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محل الألم، فكأنَّه حصاة تسقط، جربت ذلك مرارًا عديدة.

وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم، فأقرأ عليه الفاتحة مرارًا، فأشربه، فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله فى الدواء والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان، وصحة اليقين، والله المستعان.

٤- تَفَاؤُلُهُ لَمَّا ضَلَّ ابْنُهُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ:

قال فى (مفتاح دار السعادة) فى آخر مبحث الفأل:

وأخبرك عن نفسى بقضية من ذلك، وهى أنى أضللت بعض الأولاد يوم التروية بمكة، وكان طفلاً، فجهدت فى طلبه، والنداء عليه فى سائر الركب إلى وقت يوم الثامن، فلم أقدر له على خبر، فآيست منه، فقال لى إنسان: إن هذا عجز اركب، وادخل الآن إلى مكة فتطلبه، فركبت فرسًا فما هو إلا أن استقبلت

(١) كذا ذكر ولعله النزل وهو ما يقدم للضيف.

جـماعـة يتحـدثون فى سواد الليل فى الطـريق، وأحدهم يقول: ضـاع لحى شىءٌ فلقيـته، فلا أدرى انقـضـاء كلمته أسـرع أم وجـدان الطفل مع بعض أهل مكة فعرفته بصوته.[1]

٨ - مُؤَلَّفَاتُهُ الْـمَطْبوعَـةُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

١- اجتماع الجيـوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهـمية، طبع بالهند سنة ١٣١٤هـ ثم طبع بمصر سنة ١٣٥١هـ.

٢- أحكام أهل الذمة: طبع بتحقيق صبحى الصالح فى مجلدين.

٣- أسماء مؤلفات ابن تيمية، طبعت هذه الرسالة بتحقيق صلاح الدين المنجد.

٤- إعلام الموقعـين عن رب العالمين: طبع فى أربع مجلدات بالمطبـعة المنيرية، ومطبعة السعادة.

٥- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: طبع مرارًا فى مجلدين.

٦- إغاثة اللهفـان فى حكم طلاق الغضبان: مطبوعـة بتحقيق محمـد جمال الدين القاسمى.

٧- بدائع الفوائد: طبع بمصر فى المطبعـة المنيرية بلا تاريخ، وهو أربعة أجزاء فى مجلدين.

٨- التبيان فى أقسام القرآن طبع مرارًا.

٩- تحفة المودود فى أحكام المولود: طبع مرارًا منها طبعتـان محققتان: إحداهما طبعة عـبد الحكيم شرف الدين الهندى سنة ١٣٨٠هـ، والثانـية بتحقيق عـبد القادر الأرناؤوط، سنة ١٣٩١هـ.

١٠- تهذيب مختصر سنن أبى داود، طبع مع مختصر المنذرى، وشرحه (معالم السنن)، للخطابى فى ثمانية مجلدات لطيفة.

(١) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره (٣٤، ٣٥).

١١- جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام.

١٢- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، طبع فى مصر مرارًا.

١٣- حكم تارك الصلاة، طبع مرارًا فى مصر.

١٤- الداء والدواء، وطبع باسم (الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى).

١٥- الرسالة التبوكية، طبعت بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٧هـ.

١٦- روضة المحبين، ونزهة المشتاقين، طبع لأول مرة بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٥هـ.

١٧- الروح، طبع مرارًا.

١٨- زاد المعاد، فى هدى خير العباد: طبع مرارًا فى أربع مجلدات، وطبع أخيرًا فى خمس مجلدات.

١٩- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر، والحكمة والتعليل طبع مرتين.

٢٠- الطب النبوى، طبع مفردًا مرتين، وهو مأخوذ من زاد المعاد.

٢١- طريق الهجرتين وباب السعادتين، طبع مرارًا.

٢٢- الطرق الحكيمة فى السياسة الشرعية، طبع مرارًا.

٢٣- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، طبع مرارًا.

٢٤- الفروسية، وهو مختصر (الفروسية الشرعية).

٢٥- الفوائد، وهو غير (بدائع الفوائد)، طبع أول مرة بالمطبعة المنيرية.

٢٦- الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية. طبعت مرارًا، واشتهرت باسم النونية.

٢٧- الكلم الطيب والعمل الصالح، طبع مرارًا فى مصر والهند، باسم (الوابل الصيب من الكلم الطيب).

٢٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، طبع مرتين فى ثلاثة مجلدات بهذا الاسم، وهو شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام الأنصارى.

٢٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: طبع مرارًا، وفيه معرفة العلم وفضله ومعرفة حكمة الله فى خلقه، وحكمته فى تشريعه، ومعرفة النبوة وشدة الحاجة إليها.

٣٠- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف، طبع مرارًا، وطبع باسم (المنار).

٣١- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى. طبع مرارًا.

٩ - وَفَاتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ-

توفى -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ليلة الخميس، ثالث عشر رجب وقت آذان العشاء سنة ٧٥١هـ وله من العمر ستون سنة -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- وصلى عليه من الغد بعد صلاة الظهر بالجامع الأموى، ثم بجامع جراح، وقد ازدحم الناس على تشييع جنازته.

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وقد كانت جنازته حافلة -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- شهدها القضاة، والأعيان، والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه.

ودفن بدمشق، بمقبرة الباب الصغير عند والدته -رحمهما اللَّهُ تَعَالَى- وذكر بعض تلامذته أنه رأى قبل موته بمدة الشيخ تقى الدين -رحمه الله- فى النوم، وسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن فى طبقة ابن خزيمة -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، والله أعلم.[١]

(١) باختصار من (ابن قيم الجوزية حياته وآثاره) (١٩٨، ١٩٩).

مِـنْ أَعْـلاَمِ السَّـلَـفِ

(٦٠)

الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرِ الْعَسْقَلانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ

١ - اسْمُـهُ وَمَوْلِـدُهُ وَصِفَتُهُ

اسْمُهُ: أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن حجر، الكنانى القبيلة، العسقلانى الأصل، المصرى المولد والمنشأ، والدار والوفاة، الشافعى قاضى القضاة، شيخ الإسلام، حافظ الدنيا مطلقًا، أمير المؤمنين فى الحديث، كان يلقب شهاب الدين، وكناه أبوه بأبى الفضل.

مَوْلِدُهُ: ولد الإمام فى الثانى والعشرين من شعبان سنة ٧٧٣هـ. قال السخَاوى: وأما مولده فهو فى الثانى والعشرين من شعبان، سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، على شاطئ، النيل بمصر، والمنزل الذى ولد فيه بمصر معروف، استمر فى ملك شيخنا ثم بيع بعده، وهو بالقرب من دار النحاس والجامع الجديد.

صِفَتُهُ: كان -رَحِمَهُ اللَّهُ- ربعة للقصر أقرب، أبيض اللون، منوَّر الصورة، مليحَ الشكل، صبيحَ الوجه، كث اللحية أبيضها، قصير الشارب حسن الشيبة ينيرها، صحيح السمع والبصر، ثابت الأسنان نقيها، صغير الفم، قوى البنية، عالى الهمة، وفى الهامة، نحيف الجسم، فصيح اللسان، شجى الصوت، جيد الذكاء، عظيم الحذ ق، راوية للشعر، وأيام من تقدمه ومن عاصره.(١)

وقال ابن تغرى بردى: وكان -عَفَا اللَّهُ عَنْهُ- ذا شيبة نيرة ووقار وأبهة ومهابة، مع ما احتوى عليه من العقل، والحلم، والسكوت، والسياسة بالأحكام، ومداراة

(١) الحافظ ابن حجر العسقلانى أمير المؤمنين في الحديث لعبد الستار الشيخ (٥١) ط. دار القلم دمشق.

الناس، قل أن يخاطب النَّاس بما يُكره، بل كان يحسن لمن يسيء إليه، ويتجاوز عمن قدر عليه. (١)

٢ - ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ

قال الحافظ السخاوى: فأما ثناء الأئمة عليه، فاعلم أن حصر ذلك لا يستطاع، وهو فى مجموعة كلمة إجماع، لَكِنِّى أثبت ما حضرنى من ذلك الآن على حسب الإمكان. (٢)

قال العراقى -رَحِمَهُ اللَّه-: ولما كان الشيخ العالم الكامل الفاضل المحدث المفيد المجيد الحافظ المتقن الضابط، الثقة، المأمون، شهاب الدين أحمد أبو الفضل ابن الشيخ، الإمام، العالم، الأوحد، المرحوم(٣) نور الدين . . . فجمع الرواة، والشيوخ ومَيَّزَ بين النَّاسخ والمنسوخ، وجمع الموافقات والأبدال، ومَيَّزَ بين الثقات والضعفاء من الرجال، وأفرط بجدّه الحثيث حتى انخرط فى سلك أهل الحديث، وحصل فى الزمن اليسير على علم غزير. (٤)

وقال الحافظ ابن حجر فى ترجمة شيخه العراقى، وشهد لى بالحفظ فى كثير من المواطن، وكتب لى خطه بذلك مرارًا، وسئل عند موته عمن بقى بعده من الحفاظ فبدأ بى، وثنى بولده، وثلث بالشيخ نور الدين. (٥)

ويقول شيخه برهان الدين إبراهيم الأبناسى: وكان ممن لاحظته عيون السعادة، وسبقت له فى الأزل الإرادة، الشيخ الإمام العلامة المحدث المتقن المحقق الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام العالم صدر المدرسين، مفتى المسلمين، أبو الحسن علىّ الشهير بابن حجر نور الدين الشافعى، لما عنيت به عناية

---

(١) تغليق التعليق (١/ ٥٩). (٢) الجواهر والدرر (٢٠٤).

(٣) الصحيح أن يدعو له بالرحمة فيقول: رحمه الله، ولا يقطع بأنه مرحوم.

(٤) الجواهر والدرر (٢١٠) وعمر الحافظ إذ ذاك لا يتجاوز (٣٣) سنة.

(٥) الجواهر والدرر (٧٧).

التوفيق، ورعاية التحقيق، نظر فى العلوم الشرعية، فأتقن حلها، وحلَّ مشكلها، وكشف قناع معظمها، وصرف همته العلية، إلى أشرفها علم الحديث، وهو أفضلها.(١)

وقد أهدى شيخ القراء شمس الدين بن الجزرى مُصَنَّفَهُ (النشر فى القراءات العشر) للحافظ ابن حجر، وكتب على المجلد الأول منه: «هدية من العبد الفقير إلى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى محمد بن محمد بن محمد الجَزَرى مؤلفه -عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- لخزانة مولانا الشيخ الإمام العلامة حافظ عصره وشيخ مصره شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام المرحوم نور الدين أبى الحسن على بن محمد العسقلانى المعروف بابن حجر، -أَجَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى- وأدام نفع المسلمين بمؤلفاته المفيدة، وفضائله العديدة، وأيامه السعيدة.(٢)

وقال الحافظ أبو زرعة، وقد أثنى على بعض تخاريج ابن حجر- رَحِمَهُ اللَّهُ-:

وقفت على هذا التخريج الذى لا مثيل له، ووقفت عندما تضمنه من المحاسن المجملة والمفصلة، واعترفت بأنه المجموع الجامع للفوائد، والبحر الحاوى للفرائد، وقضيت العجب مما حواه، لما أمعنت النظر فيما رواه، وكيف لا يكون بهذه الأوصاف الزاهرة، وهو صادر عن صاحب الفضائل الباهرة، الشيخ الإمام، والسيد الهمام ذى الأوصاف الحميدة، والمناقب العديدة، جمال المحدثين مفيد الطالبين، شهاب الدين أبى الفضل، أفاض الله عليه من فضله، وجمع له بين وابل الخير وأصله.(٣)

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى فى بعض مراسلاته: «إلى مولانا وسيدنا شمس الإسلام، حافظ الأعلام، ناصر السنة، إمام الأئمة، قاضى قضاة الأمة، أبى الفضل أسبغ الله على الوجود ظِلَّ بقائه، ولا أخلانا والمسلمين من عوائد فوائده، ونعمائه.

(١) الجواهر والدرر (٢٠٥).
(٢) الجواهر والدرر (٢٢٩).
(٣) الجواهر والدرر (٢٢٢).

إلى أن قال: إنه قائم لجنابكم بوظيفة الدعاء. ومُثْنٍ كلما مَرَّ ذكركم الشريف بجميل الثناء، مبتهج بوجودكم سرورًا، متطلع إلى أخباركم كثيرًا.(١)

وقال العلامة المؤرخ ابن قاضى شهبة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: بقية العلماء الأعلام قاضى القضاة، أو صاحب المصنفات التى سارت بها الركبان، كتب الأجزاء والطباق بخطه الحسن، وبهر فى الحديث، وتميز فى الفن، وشيخه -يعنى العراقى- موجود، وجلس إلى جانب شيخه فى حال إملائه، ومهر فى الفنون، لكن غلب عليه فن الحديث، فانتهت إليه معرفته بهذا الشأن، وصار إمام زمانه بعد وفاة شيخه، وتصدى لنفع الناس، ودرس، وأفتى، وولى المناصب الكبار، والتدريس بعدة أماكن بالقاهرة، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، وبالجملة فهو إمام زمانه وحافظ وقته وأوانه، وعنده من الذكاء والفطنة، وصفاء القريحة ما تحير فيه الأبصار.(٢)

وقال الإمام برهان الدين إبراهيم بن خضر: «حافظ العصر على الإطلاق، وخاتمة علماء السنة إلى يوم التلاق، وأدام الله بهجته، وحرس للأنام مهجته».(٢)

وقال العلامة برهان الدين البقاعى: «شيخ الإسلام، وطراز الأنام، علم الأئمة الأعلام، شهاب المهتدين من أتباع كل إمام، حافظ العصر وأستاذ الدهر، سلطان العلماء، وملك الفقهاء الذى إن سلك بحر التفسير كان كالترجمان، والآتى من فرائده بعقود الجمان، أو ركب متن الحديث كان أحمد الزمان، وأظهر من خفايا خباياه ما لم يسبق إليه أبو حاتم، ولا ابن حبان، وإن تكلم فى الفقه وأصوله، علم أنه الشافعى، وأبرز من لوايا رواياه ما لم يتجاسر عليه ولا الرافعى، أو يتمم كلام العرب على اختلاف أنواعه، فسيبويه، والمبرد، وإن عرض العروض، أو الأدب على انشعاب أنحائه، فالخليل بن أحمد، متى تحدث المتفنون بشىء من العلم كان مالك قياده، وأستاذ نقاده، أبو الفضل شهاب الدين قاضى القضاة بالديار المصرية، والدولة الأشرفية، خلد الله نعمه، وأبَّدَ سعادته، وأيد همته.(٣)

(١) الجواهر والدرر (٢٣٥)، ولا يخفى أن لقب قاضي القضاة مما لا يجوز إطلاقه كملك الملوك.
(٢) الجواهر والدرر (٢٤٣).
(٣) الجواهر والدرر (٢٥٨-٢٥٩).

وقال جلال الدين السيوطي: «فريد زمانه، وحامل لواء السنة في أوانه، ذهبي هذا العصر ونضاره، وجوهره الذي ثبت به على كثير من الأعصار فخاره، إمام هذا الفن للمقتدين، ومقدَّم عساكر المحدثين، وعمدة الوجود في التوهية والتصحيح، وأعظم الشهود، والحكام في بابي التعديل والتجريح، شَهِد له بالانفراد -خصوصًا في شرح البخاري- كُلُّ مسلم، وقضى له كل حاكم بأنه المعلم، له الحفظ الواسع الذي إذا وصفته فحدث عن البحر ابن حجر ولا حرج، والنقد الذي ضاهى به ابن معين، فلا يمشي عليه بهرج هرج، والتصانيف التي ما شبهتها إلا بالكنوز والمطالب، فمن ثَمَّ قيض لها موانع تحول بينها وبين كل طالب، جَمَّل الله به هذا الزمان، والأخير، وأحيى به وبشيخه سنة الإملاء بعد انقطاعه من دهر كثير.[1]

وقال العلامة الشوكاني: «الحافظ الكبير، الشهير الإمام المنفرد بمعرفة الحديث، وعلله في الأزمنة المتأخرة، وشهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد، والعدو والصديق، حتى صار إطلاق لفظ (الحافظ) عليه كلمة إجماع، ورحل الطلبة إليه من الأقطار، وطارت مؤلفاته في حياته، وانتشرت في البلاد، وتكاتبت الملوك من قطر إلى قطر في شأنها، وهي كثيرة جدًا.[2]

٣- نَشْأَتُهُ وَطَلَبُهُ لِلْعِلْمِ- رَحِمَهُ اللَّهُ-

قال الأستاذ عبد الستار الشيخ: فَقَدَ ابن حجر والديه، وعمره أربع سنوات، فأبوه مات في رجب سنة (٧٧٧هـ)، وأمه ماتت قبل ذلك وهو طفلٌ، وكان والده قبل وفاته، أوصى بولده كبير التجار أبا بكر محمد بن علي بن أحمد الخروبي فقام بأمره أحسن قيام، وكذا أسند وصيته للشيخ شمس الدين بن القطان، لاختصاصه به.

فنشأ رضي الله عنه يتيمًا في غاية العفة، والصيانة والرياسة، في كنف الزكي الخروبي إلى أن مات، وقد راهق، لم يعرف له صبوة، ولم تضبط عنه زلة.

(١) نظم العيان (٤٥) نقلاً عن الحافظ ابن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث (٦١٢، ٦١٣).
(٢) البدر الطالع (١/ ٨٧-٨٨).

ولم يألُ الزكى الخروبى جهدًا فى رعايته، والعناية بتعليمه، فكان يستصحبه معه عند مجاورته بمكة، وأدخله (المكتب) بعد أن أكمل خمس سنوات.

وممن قرأ عنده فى المكتب شمس الدين بن العلاف -الذى ولى حسبة مصر وقتًا- وشمس الدين الأطروش، لكن لم يكمل حفظ القرآن العظيم إلا عند فقيهه ومؤدبه الفقيه شارح «مختصر التبريزى» صدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرازق السَّفطى المقرئ، أكمله وله تسع سنين.

ولما أكمل اثنتى عشرة سنة، صلى بالناس التراويح على جارى العادة بالمسجد الحرام سنة (٧٨٥هـ)، حيث إن وصيه الخروبى كان قد حَجَّ فى سنة أربع وثمانين، واستصحب ابن حجر معه ،ثم عاد صحبة وصيه الخروبى إلى مصر ووصلها سنة (٧٨٦هـ)، وأقبل على الاشتغال، فجدَّ واجتهد، فحفظ كتباً من مختصرات العلوم، مثل «عمدة الأحكام»، و«الحاوى الصغير» للقزوينى، «مختصر ابن الحاجب فى الأصول»، و«ملحة الإعراب» للحريرى، و«منهاج الوصول» للبيضاوى، و«ألفية الحديث» للعراقى، و«ألفية ابن مالك» فى النحو، و«التنبيه» فى فروع الشافعية للشيرازى وغيرها.[1]

وقال الدكتور حامد عبد المجيد: وحبب الله إليه الحديث فانشغف به، وأقبل عليه، ووقف حياته على دراسته، وأكثر الرحلة فى طلبه، وإن كان قد سمع كثيراً من الحديث من قبل، فإنه لم يُعْنَ بطلبه، ولم يقبل عليه بكليته إلا بعد سنة ست وتسعين وسبعمائة، فإنه كما كتب بخطِّه، رفع الحجاب، وفتح الباب، وأقبل العزم المصمم على التحصيل، ووفق للهداية إلى سواء السبيل.

فطاف من أجله على الشيوخ وطوَّف فى المدن وأكثر من المسموع جدًا، ونقل من الكتب الكبار شيئًا كثيرًا اجتمع بأستاذين كبيرين هما الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى، والشيخ نور الدين الهيثمى، وكان الحافظ العراقى

(١) الحافظ ابن حجر العسقلانى (٦٧-٧٠) باختصار.

مشهـوراً بالفقه، وأحفظ الناس لمذهب الشافـعى، ولاسيـما لنصوصه، مع مـعرفة تامة بالتفسـير، والحديث، والعربية.

اجتمع ابن حجـر بالحافظ العراقى فى شهر رمضان سنة ست وتسـعين، فلازمه عشـرة أعوام تخلل فى أثنائهـا رحلات ابن حجـر إلى الشام وغـيرها، وعلى هذا الشيخ تخرج ابن حـجر العسقـلانى، وهو أول من أذن له فـى التدريس فى علوم الحديث، ولقبه بالحافظ، وعظّمه جدًا، ونوّه بذكره.

أما أستاذه الثانى، فهو نور الدين الهيثـمى، وقد عاش الهيثمى بعد موت الزين العراقى عـامًا، أو مـا يقرب من عام، قـال الحافظ ابن حـجر: «ومما قـرأت عليه بانفراده نحو النصف من «مجمع الـزوائد»، ونحو الربع من «زوائد مسند أحمد»، وكان يودنى كثـيراً، وشهد لى بالتـقدم بالفنّ جزاه الله عنى خـيرًا، ولما رأى أحد شيوخـه، وهو الإمام محب الدين مـحـمد بن يحيى بن الوحدويه إذ رآه حـريصاً على سـماع الحديث وكتـبه، فنصحه بأن يعنى بالفقه عنايـته بالحديث، فإن الناس سيحتاجون إليه فى هذا العلم. قال الحافظ ابن حجر: قال لى: «اصرف بعض هذه الهمة إلى الفقه فإنى أرى بطريق الفراسة أن علمـاء هذا البلد سينقرضون، وسيحتاج إليك، فلا تقصر بنفسك، فنفعتنى كلمته، ولا أزال أترحم عليه لهذا السبب.[١]

٤ - عِبَـادَتُـهُ - رَحِـمَـهُ الـلَّـهُ-

قال الأستاذ عبد الستار الشـيخ: ولقد زان تلك الخلال الفريدة والخصال المجيدة ملازمته العبـادة، حتى صار مثلاً يقتدى به، فلقد كـان قوامًا بالليل مـتهجدًا حتى فى حال سفره وترحاله، واشتـداد المرض به، إلى أن عجز عن ذلك تماماً، لا يترك جمعة، ولا جماعة إلا قـهرًا عنه، كثـير الصوم، حريصًا على عدم تخلية وقته من العبادة، وقـد شهد له بذلك قاضى القضـاة الحنفية أبو الفضل ابن الشـحنة فقال: «ورافقته فى بعض الأسفار، فرأيته يقوم الليل».

(١) باختصار من «أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلانى» للدكتور حامد عبد المجيد (١٥-٢١) ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (٢٣).

وأكثر من الحج إلى بيت الله الحرام، فقدم الحجاز - طفل مع والده، وجاور هناك كذلك وقد -وكان حدثاً- صحـبه وصيه الزكى الخروبى، وجاور بمكة سنة (٧٨٤هـ) وفى سنة (٨٠٠هـ) حج حـجة الإسـلام كما حج سـنة (٨٠٥هـ)، وكانت الوقـفة الجمعـة، وجاور بعض سنة (٨٠٦)، ثم أتيحت له فـرصة السفر إلى الديار المـقدسة سنة (٨١٥هـ) فحج أيضًا، وكـانت آخـر حـجة له فى سنة (٨٢٤هـ)، ومعه صهره محب الدين بن الأشقـر وقريبه الزين شعبـان، وكانت الوقفة الجمعـة كذلك، وكان مقيماً فى هذه المرة «بالمدرسة الأفضلية» أنزله بها قاضى مكة المحب بن ظهيرة.

وكان كثير الذكر والتسبيح والاسـتغفار، يروى السخاوى قائلاً: «وتوجه مرة هو وصهره القاضى محب الدين بن الأشقر فى السـماسم بالخانقاه، فأخرج من جيبه مصـحفًا عـمائليـاً، وشرع فى التـلاوة فيـه، وكان -رَحِمَـه اللَّهُ- إذا جلس مع الجماعة بعد العـشاء وغيرها للمذاكرة تكون السبـحة داخل كمه، بحيث لا يراها أحد، ويستمر مديرها، وهو يسبح، أو يذكر غالب جلوسه.

ولقد عبر عن ذلك العلامة عبد السلام بن أحمد البغدادى فقال فيه:

ويا قـائمـا فى اللَّيْلِ يُحْـيِـيـه قَـانِتًا ... بـذكْـر وَقُـرآنٍ يصلّى وَيخْـشَـعُ

وقال:

وَمُـحْـيِى السنَةِ الشَّـهَـابُ مـذْ دَرَسَتْ ... يقْـطَعِ اللَّيْـلَ تَسْـبِـيـحًـا وَأَوْرَادًا

فكان القرآن العظيم أنيسه فى ليلـه، وجليسه فى خلوته، يتلوه ويذرف الدموع، لأنه يعلم ما تحمله كلـماته من معانٍ، وما تنطوى عليـه آياته من مواعظ وزواجر، فيخشى اللـه حق الخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨). ولقد أحسن النواجى وهو يصف الإمام، فيقول:

ولـهُ إذا سَـدَلَ الـظـلامُ رِوَاقَـهُ ... عَـيْـنٌ مُـسَـهَّـدةٌ وَدَمْـعٌ يَـذْرِفُ

فَـأَلَـذُّ مَـا يُـتْـلَـى عَـلَـيْـهِ كَـلامُ خَـا ... لِقِـهِ وَأَشْـهَـى مَـا إِلَـيْـهِ المُصْـحفُ[1]

---

(١) الحافظ ابن حجر العسقلانى (٦٠-٦١).

٥ – وَرَعُهُ وَتَحَرِّيهُ فِى مَأكَلِهِ

قال الدكتور محمد كمال عز الدين: حَرِصَ «ابن حجر» قدر مستطاعه على أن لا يأكل حرامًا، أو ما فيه شبهة الحرام، ولذا فإنه كان يتحرى فى وظائفه ما كان أقرب إلى الحلال ليأكل من معاليمها، بل لقد كان يميز المعاليم بعضها من بعض بالإشارة بنقطة أو نقطتين، ونحو ذلك.

ولا يتناول شيئًا مما يُهدى لبيته، فإذا ما اضطر إلى الحضور فى الولائم، والمهمات، ونحوها مما الغالب على أربابها عدم التوقى -يوهم أنه يأكل، وربما أعطى هذا وهذا ممن يكون جالسًا على السماط من الأتباع ونحوهم مما بين يديه، بحيث يسر صاحب المهم -غالباً-، أما هو فلا يدخل فى جوفه من ذلك شيئًا البتة.

وتشير المصادر إلى أن السلطان كان قد رتب له فى السفرة الشمالية، وأثناء المقام بحلب راتباً من اللحم يؤتى إليه به كل يوم، فكان لا يأكله، ولكن يشترى له غيره إلى أن فنى ماله هناك، فعمل حينئذ البقسماط يأكله بسكر ونحوه، ومن معه يأكلون اللحم المرتب لهم على السفرة التى يأكل السلطان عليها.

كما كان يتعفف عن تعاطى معلوم الخطابة بالقلعة أيام قضائه بسبب ضعف الوقف.

وكان يعطى خادمه ما يشترى به له شيئًا من المأكل ويوصيه أن لا يكلف البائع لأكثر مما يعطيه باختياره، ويسأله مع ذلك عن مصدر أكلته، فإذا ما نسى السؤال، واستطاب الأكل منه ظناً منه أنه مما جرت العادة بأكله يلقى الله فى خاطره السؤال عنه قبل تمام أكله، فإذا ما ذكرت له جهته التى لا يجب الأكل منها استدعى بطست وقال. أفعل كما فعل أبو بكر ﷺ ثم يتقيأ ما فى بطنه.[1]

٦ – جَوْدُهُ وَكَرَمُهُ – رَحِمَهُ اللَّهُ–

قال الدكتور محمد كمال عز الدين: أما بره وتصدقه على خلق الله -على اختلاف طبقاتهم- فقد وردت فيه روايات وقصص متعددة، مفادها أنه كان كثير البر مواظباً على الصدقة.

---

(١) التاريخ والمنهج التاريخى لابن حجر العسقلانى (١٠١-١٠٢) ط. دار اقرأ.

من ذلك أنه كان يعطى بعض جماعته مالاً جـزيلاً ليغدقه على طلبته ونحوهم، ويدفع هو لجماعة آخرين، كما كان يجتمع عنده الفقراء فى يوم من السنة معلوم، فيتولى -غالباً- بنفسه التفرقة عليهم أو بحضوره، ويتفقد أناسًا من المعتبرين فى العلم وغيرهم بالإرسال إلى محالهم، ويتفقد -كذلك- فى كل قليل المحابيس، ويصالح عنهم من ماله، ويحسن للفقراء من الجيران، ويشترى فى رمضان عسلاً وسكرًا تفرق على الناس توسعة فى نفقة الشهر، وفى العيد الزبيب وغيره، وفى عيد الأضحى يرسل بالضحايا إلى الفقراء، والمحتاجين أو يفرق فيهم ما يساوى مائة دينار، ويبالغ فى إخفاء كل هذا نشداناً لحصول صدقة السر.[1]

وقال فى «تغليق التعليق»: يذكر تقى الدين المقريزى أنه شاهده يهب -وهو صبى- امرءاً المائتى درهم الفضة دفعة واحدة.[2]

٧- صِدْقُ سَرِيرَتِهِ وَإِخْلاص نِيَّتِهِ وَاتِّفَاقَاتُهُ

قال الأستاذ عبد الستار الشيخ: فلا غرو أن تكون سريرة هذا العالم الربانى طيبة طاهرة، ونيته صادقة لربها خالصة، فتآخى المخبر مع المظهر، فأنجبا رجلاً فذاً نادراً، قَلَّ أن يجود الزمان بمثله.[3]

قال السخاوى: اتفق أنه جاء للقراءة على الجمال الحلاوى فى «مسند أحمد» -على عادته- فوجده مريضًا، فطلع هو والجماعة لعيادته -فأذن له الشيخ فى القراءة، فشرع ففى الحال مر حديث أبى سعيد ﷺ فى رقية جبريل -عليه السلام-قال شيخنا: فوضعت يدى عليه فى حال القراءة، ونويت رقيته، فاتفق أنه شفى حتى نزل للجماعة فى الميعاد الثانى معافى.

قال السخاوى: وله اتفاقات قريبة الشبه بذلك، من جملتها أنه كان يكتب فى حديث معاوية بن أبى قرة عن أنس أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله،

---

(١) التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلانى (١٠٢).
(٢) تغليق التعليق (١/ ١٧٤-١٧٥). (٣) الحافظ ابن حجر العسقلانى (٦١).

أرسل ناقتى وأتوكل أو أعقلها وأتوكل؟ قال: «**اعْقِلْهَا وتَوَكَّلْ**». قال: فاتفق أن غلامه جاء يستأذن فى ترك شىء من حوائج صاحب الترجمة خارج البيت، قال شيخنا: فقلت له: اعقلها وتوكل. وكان ينظر فى ليلة الأحد ثانى عشر جمادى الأولى، سنة أربع وأربعين فى دُمية القصر للباخرزى، فمر فى ترجمة المظفر بن علىّ أن له هذه الأبيات فى الرثاء، وهى:

بَلانِى الزَّمَانُ وَلاَ ذَنْبَ لِى ... بلى إن بَلْوَاهُ لِلأَنْبَلِ
وَأعْظَم مَا سَاءَنِى صَرْفُهُ ... وَفَاةُ أبِى يُوسُف الحَنْبَلِى
سِرَاجُ العُلُوم وَلَكِنْ خَفَا ... وَثَوبُ الجَمَالِ وَلَكِنْ بَلِى

قال شيخنا: فتعجبت من ذلك، ووقع فى نفسى أن قاضى الحنابلة المحب أحمد بن نصر الله البغدادى يموت بعد ثلاثة أيام بعدد الأبيات، وكان متوعكاً، فكان كذلك.(١)

٨ - شُيُوخُهُ وَتَلامِيذُهُ

شُيُوخُهُ: قال الحافظ السخاوى: اجتمع له من الشيوخ الذين يشار إليهم، ويعول فى حل المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحدٍ من أهل عصره، لأن كل واحد منهم كان متبحرًا ورأسًا فى فن اشتهر به، لا يلحقُ فيه، فالبُلقينى فى سعة الحفظ وكثرة الاطلاع، وابن الملقن فى كثرة التصانيف، والعراقى فى معرفة علم الحديث ومتعلقاته، والهيثمى فى حفظ المتون واستحضارها، والمجد الشيرازى فى حفظ اللغة واطلاعه عليها، والغمارى فى معرفة العربية ومتعلقاتها، وكذا المحب بن هشام كان حسن التصرف فيها لوفور ذكائه، وكان الغمارى فائقًا فى حفظها، والأبناسى فى حسن تعليمه، وجودة تفهيمه، والعز بن جماعة فى تفننه فى علوم كثيرة، بحيث إنه كان يقول أنا أقرأ فى خمسة عشر علمًا لا يعرف علماء عصرى أسماءها، والتَّنُوخى فى معرفة القراءات وعلو سنده فيها، وهم مع ذلك فى غاية التبجيل لصاحب الترجمة والتكريم والتحرز من مخاطبته بغير تعظيم، بل ربما راجعوه للتفهيم.(٢)

---

(١) الجواهر والدرر.
(٢) الجواهر والدرر (٧٩- ٨٠).

تلاميذه -رحمهم الله-:

١ - الحافظ السخاوى، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر، وهو مؤرخ حجة، علامة فى الحديث، ورجاله، والتفسير، والفقه، واللغة، والأدب انتهى إليه علم الجرح والتعديل.

٢- برهان الدين البقاعى، صاحب نظم الدرر فى تناسب الآى والسور.

٣- زكريا الأنصارى، وهو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى.

٤- ابن الخَيْضرى، وهو محمد بن محمد بن عبد الله بن حيضر.

٥- التقى بن فهد المكى.

٦- الكمال بن الهمام الحنفى.

٧- قاسم بن قُطْلوبُغا.

٨- ابن تغرى بردى صاحب المنهل الصافى.

٩- ابن قزنى.

١٠- أبو الفضل بن الشِّحنة.

١١- المحب البكرى.

١٢- ابن الصيرفى.

٩- دُرَرٌ مِنْ أَشْعَارِهِ

فمن أشعاره الرقيقة قوله:

أَشْتَاقُكُمْ شَوْقَ الْعَلِيلِ إِلَى الشِّفَا ... وَدِيَارُكُمْ فِى كُلِّ يَوْمٍ تَبْعُدُ

وَأَوَدُّ طَيْفَ خَيَالِكُمْ لَوْ زَارَنِى ... لَكِنَّ عَيْنِى بِالْكَرَى لا تَسْعَدُ

ولما سمعها قاضى الحنابلة المحب بن نصر الله، أنشد لنفسه:

شَوْقِى إِلَيْكُمْ لا يُحَدُّ وَأَنْتُمْ ... فِى الْقَلْبِ لَكِنْ لِلْعَيَانِ لَطَائِفُ

فَالْجِسْمُ عَنْكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِى نَوَى ... وَالْقَلْبُ حَوْلَ رُبَا حِمَاكُمْ طَائِفُ

ومن نظمه بعد أن سافر من حلب، وكان قد تزوج بها امرأة يقال لها «ليلى» وفارقها عند إرادة الرحيل، حيث لم يتيسر له أن ترحل معه:

رحلتُ وخلفتُ الحبيب بداره ... برغمي ولم أجنح إلى غيره ميلا

أشاغلُ نفسي بالحديث تعللاً ... نهاري وفي ليلي أحنُّ إلى ليلى

١٠- مُصَنَّفَاتُهُ

قال محدث مكة تقى الدين محمد بن فهد: «ألف التواليف المفيدة، المليحة، الجليلة، السائرة، الشاهدة له بكل فضيلة، الدالة على غزارة فوائده، والمعربة عن حسن مقاصده، جمع فيها فأوعى، وفاق أقرانه جنسًا ونوعًا. التى شنفت بسماعها الأسماع، وانعقد على كمالها لسان الإجماع، ورزق فيها الحظ السامى عن اللَّمس، وسارت بها الركبان سير الشمس.[١]

وقد نقل الحافظ السخاوى عن شيخه صاحب الترجمة أنه قال: «لست راضيًا عن شيء من تصانيفى، لأنى عملتها فى ابتداء الأمر، ثم لم يتهيأ من يحررها معى سوى: شرح البخارى ومقدمته، والمشتبه، والتهذيب، ولسان الميزان، بل كان يقول فيه: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، لم أتقيد بالذهبى، ولجعلته كتابًا مبتكرًا».

فمن هذه المصنفات:

١ـ إتحاف المهرة بأطراف العشرة، يقع فى ثمان مجلدات، جمع فيه أطراف عشرة كتب هى: الموطأ، ومسند الشافعى، ومسند أحمد، ومسند الدارمى، وصحيح ابن خزيمة، ومنتقى ابن الجارود، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومستخرج أبى عوانة، وشرح معانى الآثار للطحاوى، وسنن الدارقطنى، وإنما زاد العدد واحدًا لأن صحيح ابن خزيمة لم يوجد منه سوى قدر ربعه.

(١) الجواهر والدرر (٢١٥-٢١٦).

٢- النكت الظِّراف على الأطراف، وهو مطبوع بهامش تحفة الأشراف للمزى.

٣- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (طبقات المدلسين).

٤- تغليق التعليق.

٥- التمييز فى تخريج أحاديث شرح الوجيز (التلخيص الحبير).

٦- الدراية فى تخريج أحاديث الهداية، اختصره من كتاب (نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للحافظ الزيلعى).

٧- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، وهو أعظم شروح البخارى على الإطلاق، وأجل تصانيف الحافظ.

٨- القول المسدد فى الذَّبِّ عن مسند الإمام أحمد، تكلم فيه على الأحاديث التى زعم بعض أهل الحديث أنها موضوعة، وهى فى «مسند الإمام أحمد بن حنبل».

٩- الكافى الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف، وهو تلخيص لتخريج الزيلعى لأحاديث الكشاف للزمخشرى.

١٠- مختصر الترغيب والترهيب، اختصر فيه كتاب المنذرى فى قدر ربع الأصل، وانتقى منه ماهو أقوى إسنادًا، وأصح متنًا.

١١- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: استعرض فيه أحاديث ثمانية مسانيد كاملة، هى: مسانيد الحميدى، والطيالسى، وابن أبى عمر، ومُسَدَّد، وابن منيع، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، والحارث بن أبى أسامة. وأضاف إلى هذه الثمانية من «مسند أبى يعلى» بروايته المطولة -ومسند إسحاق بن راهويه- من نصفه الذى وقف عليه، فاستخرج من كل الأحاديث على أبواب الأحكام الفقهية خلافًا لترتيب المسانيد المستمد منها.

١٢- نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر: اختصر فيه علوم الحديث لابن الصلاح، وزاد أنواعاً لم يذكرها ابن الصلاح.

١٣- نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر، وهو شرح لكتابه السابق.

١٤- النكت على علوم الحديث، لابن الصلاح.

١٥- هدى السارى مقدمة فتح البارى.

١٦- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه.

١٧- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة.

١٨- تقريب التهذيب، اختصره من كتاب «تهذيب التهذيب»، وذكر فيه رجال مؤلفات أصحاب الكتب الستة.

١٩- تهذيب التهذيب، وهو تهذيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، وكتاب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ عبد الغنى المقدسى، وهذبه الحافظ المزى فى كتابه «تهذيب الكمال».

٢٠- لسان الميزان: وميزان الاعتدال للحافظ الذهبى من أجمع ما ألف فى أسماء المجروحين، وقد ذيل عليه الحافظ العراقى، ثم جاء الحافظ ابن حجر فالتقط من «الميزان» مَنْ ليس في «تهذيب الكمال»، وضم إليه ما فاته فى الرواة وتراجم مستقلة مع انتقاء وتحقيق.

٢١- الإصابة فى تمييز الصحابة.

٢٢- إنباء الغمر بأنباء العمر، ذكر فيه ما جرى فى كل سنة من الحوادث، ثم يلحق به الوفيات فى تلك السنة، مترجمًا للأعيان منهم، ابتدأ بسنة ٧٧٣هـ حتى ٨٥٠هـ.

٢٣- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، وترجم فيه لكل الفئات تقريبًا من سلاطين، وملوك وخلفاء وأمراء وعلماء، وفقهاء، وشعراء، وغيرهم.

٢٤- رفع الإصر عن قضاة مصر: ترجم فيه لقضاة مصر منذ الفتح الإسلامى إلى آخر المئة الثامنة.

٢٥- بلوغ المرام من أدلة الأحكام.

٢٦- قوة الحجاج في عموم المغفرة للحجاج.[1]

١١- وفاته ومراثيه -رحمه الله-

انقطع الحافظ ابن حجر في بيته بعد أن عزل نفسه من منصب قاضي القضاة في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٨٥٢هـ)، ولازم التصنيف والتأليف ومجالس الإملاء، إلى أن ابتدأ به المرض في ذي القعدة من السنة المذكورة، وكان إذا أخبر بالمنامات، وشبهها مما يدل على صحته، يقول: أما أنا فلا أراني إلا في تناقص، وما أظن الأجل إلا قد قرب ثم ينشد:

ثاء الثلاثين مني أوهنت بدني ... فكيف حالي مع ثاء الثمانينا

ويقول: اللهم حرمتني عافيتك، فلا تحرمني عفوك.

وما إن كانت ليلة السبت المسفرة عن الثامن والعشرين من ذي الحجة وبعد صلاة العشاء بساعتين، وقد جلس من حوله سبطه وبعض أصحابه يقرأون سورة (يس) مرة ويعيدون أخرى، فوصلوا إلى قوله تعالى: ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾ (يس:٥٨). حتى فاضت روحه إلى باريها، وتولى أحدهم تغميضه، كما شغل ولده -في اليوم التالي لموته- بتجهيزه وتغسيله، وكان وقع المصيبة عظيمًا، وبكى الناس عليه، وحزنوا على موته، حتى أهل الذمة، وقفلت الأسواق، وغلقت الحوانيت، وشوهدت له جنازة عظيمة، لم يكن بعد جنازة ابن تيمية أحفل منها، حتى قال السخاوي: واجتمع في جنازته من الخلق ما لا يحصيهم إلا الله -عز وجل- بحيث ما أظن كبير أحد من سائر الناس تخلف عن شهودها، وقفلت الأسواق، والدكاكين.

---

(١) باختصار وتصرف من «الحافظ ابن حجر» للأستاذ عبد الستار الشيخ (٣٧٧-٤٧٦).

وتقدم الأعيان بحمل نعشه، وكان ممن حمله السلطان فمن دونه من الرؤساء، والعلماء، وجهد الشخص الشديد الذى يتمكن من الوصول إلى نعشه أن يمس النعش برأس إصبعه.

يقول البقاعى: ومشى أعيان الناس من بيته داخل باب القنطرة إلى القرافة؛ حيث دفن، وحضر السلطان الظاهر جقمق الصلاة عليه، ومشى الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان، والقضاة والعلماء والأمراء والأعيان، بل غالب الناس فى جنازته حتى قيل عن بعض الأذكياء أنه حضر فى الجنازة أكثر من خمسين ألف إنسان كان لموته يوم عظيم على المسلمين حتى على أهل الذمة.

ولما وصلت الجنازة إلى المصلى أمطرت السماء على نعشه -ولم يكن زمان مطر فيما يرويه السيوطى، فيقول: وحدثنى الشهاب المنصورى شاعر العصر أنه حضر جنازته، فأمطرت السماء على نعشه، وقد قرب إلى المصلى، ولم يكن زمان مطر، فأنشدت فى ذلك الوقت:

قَدْ بَكَتِ السُّحْبُ عَلَى ... قَاضِى الْقُضَاةِ بِالْمَطَرْ

وَانْهَدَمَ الرُّكْنُ الَّذِى ... كَانَ مَشِيداً مِنْ حَجَرْ

وقد أشار أمير المؤمنين الخليفة العباسى بالتقدم للصلاة عليه، فصلى عليه العَلَم البلقينى بإذن الخليفة بمصلى المؤمنى بالرميلة خارج القاهرة، ونقل نعشه إلى القرافة الصغرى؛ حيث دفن بتربة بنى الخرّوبى المقابلة لجامع الديلمى بين تربة الإمام الشافعى والشيخ مسلم السلمى.(١)

وقد رثاه الشيخ شهاب الدين المنصورى بقصيدة، منها :

---

(١) باختصار من الحافظ ابن حجر العسقلانى، لعبد الستار الشيخ (٦١٥-٦١٨).

بَكَاكَ الْعِلْمُ حَتَّى النَّحْوُ أَضْحَى مَعْ التَّصْرِيفِ بَعْدَكَ فِى جِدَالِ

وقَدْ أَضْحَى البَدِيعُ بِلاَ بَيَانٍ وَقَدْ سَلَفَتْ مَعَانِيهِ الْغَوَالِى

وقَدْ دَرَسَتْ دُرُوسُ الْعِلْمِ حُزْنًا وَقَدْ ضَلَّ الجَوابُ عَنِ السُّؤَالِ

تَنَكَّرَتْ المَعَارِفُ فِى عَيَانِى وَتَمْيِيزِى غَدَا فِى سُوءِ حَالِ

وَمَا عُوِّضْتُ مِنْ بَدَلٍ وَعَطْفٍ سِوَى تَوْلِيدِ سَقَمِى وَاعْتِلاَلِى

وَكَمْ جَنَتِ المَنُون عَلَى كِرَامٍ وَجَنْدَلَتْ الْكَمِى بِلاَ قِتَالِ

فَيَا قَبْرًا ثَوى فِيهِ تَهَنَّى فَقَدْ حُزْتَ الجَمِيلِ مَعَ الجَمَالِ

سَقَاكَ اللّهُ عَيْنًا سَلْسَبِيلاً وَأَسْبَغْ مَا عَلَيْكَ مِنَ الظِّلاَلِ[١]

---

(١) باختصار من الحافظ ابن حجر العسقلانى، لعبد الستار الشيخ (٦٢٠-٦٢١).

فِهْرِسُ الْمَرَاجِعُ

١ - الإمام الترمذى، والموازنة بين جامعه، وبين الصحيحين، لنور الدين عتر، ط. مطبعة لجنة التأليف، والترجمة، والنشر.

٢ - الإمام على ابن المدينى، ومنهجه فى نقد الرجال، لإكرام الله إمداد الحق، ط. دار البشائر.

٣- الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث، لابن كثير.

٤ - البداية والنهاية، لابن كثير ط. دار الفكر.

٥ - تاريخ الأدب العربى، لبروكلمان، ط. دار المعارف.

٦ - تاريخ الإسلام، للذهبى، بتحقيق د. عبد السلام تدمرى، ط. دار الكتاب العربى.

٧- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادى، ط. دار الكتب العلمية.

٨- تاريخ التراث، لفؤاد سزكين، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩- تاريخ دمشق، لابن عساكر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٠ - تاريخ الخلفاء للسيوطى، ط. المكتبة التجارية.

١١ - تدريب الراوى، شرح تقريب النواوى، للسيوطى، ط. المكتبة العلمية بالمدينة.

١٢ - تذكرة الحفاظ للذهبى، دار الفكر العربى.

١٣- تصدير لجنة إحياء كتب السنة، بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، برئاسة/ محمد محيى الدين عبد الحميد، لصحيح البخارى، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٤- تقريب التهذيب، بتحقيق عوامة، ط. دار الرشيد.

١٥- تهذيب الأسماء، واللغات، للنووى، ط. دار الكتب العلمية.

١٦- تهذيب الكمال، لجمال الدين المزى، ط. الرسالة.

١٧- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى، ط. دار الفكر.

١٨- الثقات، لابن حبان، ط. مؤسسة الكتب الثقافية.

١٩- جامع الأصول، لابن كثير، ط. دار الفكر.

٢٠- الجرح والتعديل، لابن أبى حاتم، ط. دار الكتب العلمية.

٢١- حلية الأولياء، لأبى نعيم الأصبهانى، ط. مكتبة السعادة.

٢٢- خلاصة القول المفهم، على تراجم رجال جامع الإمام مسلم، لمحمد الأثيوبى.

٢٣- الخيرات الحسان، فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان، لابن حجر الهيثمى.

٢٤- ذخيرة العقبى، شرح سنن النسائى، لعلى بن آدم الأثيوبى، ط. دار المعراج.

٢٥- الرسالة، للإمام الشافعى، بتحقيق، وتقديم/ أحمد شاكر.

٢٦- سنن ابن ماجه، بترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقى، وإبراهيم عطوة، ط. المكتبة العلمية.

٢٧- سنن الترمذى، بتحقيق/ شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقى، وإبراهيم عطوة، ط. دار الحديث.

٢٨- سنن النسائى، بشرح السيوطى، وحاشية السندى، ط. دار الكتب العلمية.

٢٩- سير أعلام النبلاء، للذهبى، ط. الرسالة.

٣٠- سيرة الإمام أحمد، لصالح بن أحمد، بتحقيق/ فؤاد عبد المنعم، ط. دار الدعوة.

٣١- سيرة الإمام البخارى، لعبد السلام المباركفورى، ط. إدارة البحوث الإسلامية، بالجامعة السلفية بالهند.

٣٢- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزى، ط. دار الكتب العلمية.
٣٣- شرح علل الترمذى، لابن رجب، بتحقيق/ صبحى السامرائى، ط. عالم الكتب.
٣٤- شروط الأئمة الخمسة، علق عليها/ محمد زاهد الكوثرى، مكتبة عاطف.
٣٥- شروط الأئمة الستة، علق عليها/ محمد زاهد الكوثرى، مكتبة عاطف.
٣٦- صحيح مسلم بشرح النووى، ط. مؤسسة قرطبة.
٣٧- صفة الصفوة، لابن الجوزى، ط. مكتبة التوعية الإسلامية.
٣٨- طبقات ابن سعد، لمحمد بن سعد، ط. دار صادر.
٣٩- طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكى، ط. عيسى الحلبى.
٤٠- عارضة الأحوذى، شرح جامع الترمذى، لابن العربى، ط. الوحى.
٤١- عون المعبود، شرح سنن أبى داود، لشمس الحق أبادى، ط. المكتبة السلفية، بالمدينة المنورة.
٤٢- العبر، للذهبى، ط. دار الكتب العلمية.
٤٣- فتح البارى، شرح صحيح البخارى، ط. المكتبة السلفية.
٤٤- قاعدة فى الجرح والتعديل، للتاج السبكى، بتحقيق/ أبى غدة، مكتبة الرشيد.
٤٥- كتاب الزهد، ويليه كتاب الرقائق، لابن المبارك، بتحقيق/ أبى عبد الرحمن الأعظمى، ط. دار الكتب العلمية.
٤٦- الكامل، لابن الأثير، ط. دار الكتاب العربى.
٤٧- مستدرك الحاكم، ط. دار المعرفة.
٤٨- مسند الإمام أحمد، ط. المكتب الإسلامى.
٤٩- مقدمة شرح القسطلانى، لصحيح البخارى، لعطية عبد الرحيم، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٥٠- معجم الأدباء، لياقوت الحموى، ط. دار الفكر.

٥١- مناقب الشافعى، للبيهقى، بتحقيق/ أحمد صقر، ط. دار التراث.

٥٢- مناقب الشافعى، للرازى.

٥٣- موطأ مالك، بتحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقى، ط. عيسى الحلبى.

٥٤- ميزان الاعتدال، للذهبى، ط. دار الفكر العربى.

٥٥- المجروحين، لابن حبان، بتحقيق / محمود إبراهيم زايد، ط. دار الوعى، بحلب.

٥٦- المنهج الأحمد، فى تراجم أصحاب الإمام أحمد، للعليمى، ط. مطبعة المدنى.

٥٧- هدى السارى، لابن حجر العسقلانى، ط. المكتبة السلفية.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٥- شيوخه، وتلامذته	440
٦- آثاره - رحمه الله	442
٧- نتف من أخباره	442
٨- وفاته - رحمه الله	443
٣٧- أبو حاتم الرازي	444
١- اسمه، ومولده، وموطنه	444
٢- ثناء العلماء عليه	444
٣- اتباعه للسنة -رحمه الله	446
٤- سعة علمه	446
٥- رحلاته، وهمته في طلب العلم	447
٦- تشدده في توثيق الرجال	449
٧- شيوخه وتلامذته	449
٨- من أقواله وأشعاره	450
٩- وفاته - رحمه الله	450
٣٨- أبو عيسى الترمذي	451
١- اسمه، ومولده، وصفته	451
٢- ثناء العلماء عليه	451
٣- فضائل جامعه	453
٤- ما قيل في تسمية الكتاب	455
٥- تساهله -رحمه الله- في التصحيح	457
٦- شرط الترمذي في جامعه	458
٧- مرتبة جامع الترمذي	460
٨- شيوخه، وتلامذته	461
٩- مؤلفاته -رحمه الله	463
١٠- وفاته - رحمه الله	463
٣٩- إبراهيم الحربي	464
١- اسمه، ومولده	464
٢- ثناء العلماء عليه	464
٣- زهده	467
٤- ورعه ، وعفته	468
٥- طرف من أخباره، ودرر من أقواله	469
٦- شيوخه، وتلامذته	471
٧- وفاته - رحمه الله	471
٤٠- أبو عبد الرحمن النسائي	472
١- اسمه، ومولده، وصفته	472
٢- ثناء العلماء عليه	473
٣- تشدده في نقد الرجال	475
٤- شرط النسائي في سننه الكبري	476
٥- شيوخه وتلامذته	478
٦- مصنفاته - رحمه الله	479
٧- وفاته - رحمه الله	481
٤١- محمدُ بن نصر المرزويُّ	482
١- اسمه، ومولده، وصفته	482
٢- ثناء العلماء عليه	482
٣- عبادته - رحمه الله	484
٤- نتف من أخباره	485
٥- شيوخه وتلامذته	487
٦- من غرائبه	488
٧- من كلماته	488
٨- مصنفاته	489
٩- وفاته	490
٤٢- محمد بن جرير الطبري	491
١- اسمه، ومولده، وصفته	491
٢- ثناء العلماء عليه	492
٣- همته في طلب العلم	493
٤- تحليه بمكارم الأخلاق	495
٥- حفظه وذكاؤه	497
٦- زهده وورعه	498
٧- عفته عن أموال الناس	501
٨- تواضعه وعفوه ودعابته	502
٩- اتباعه للسنة	503
١٠- شيوخه وتلامذته	504
١١- مؤلفاته	505
١٢- وفاته	506
٤٣- محمدُ بن إسحاق بن خزيمة	508
١- اسمه، ومولده، وصفته	508
٢- ثناء العلماء عليه	508
٣- طلبه للعلم وسعة علمه	510
٤- اتباعه للسنة	512
٥- مسائل وفوائد عن إمام الأئمة	514
٦- شيوخه وتلامذته	514
٧- وفاته	516
٤٤- الإمام الطبراني	517
١- اسمه، ومولده، وصفته	517
٢- ثناء العلماء عليه	517
٣- سعة علمه وكثرة سماعه	518
٤- من أخباره وطرائفه	520
٥- شيوخه وتلامذته	521

الموضوع	الصفحة